

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي
وفلسفته في الإحياء

بمقدّم

الدكتور بيروني طباطبة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حزين القديري

From the Library of
Muhammad T. Hozien

المجلد الثاني

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا" سماراغ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(سورة قلم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب آداب الأكل)

(وهو الأول من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين)

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات ، غفّق الأرض والسموات ، وأنزل السماء الغشرات من المصريات ، فأخرج به الحب والنبات ، وقدر الأرزاق والأقوات ، وحفظ بالمأكولات قسوى الحيوانات ، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات به كل الطيبات ، والصلاة على محمد بن عبد الله المعجزات الباهرات ، وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على محرم الأوقات ، وتتضاعف بتعاقب الساعات ، وسلم تسلياً كثيراً .

أما بعد : فإن مقصد ذوى الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب ، وللاطريق إلى الوصول لقاء الله إلا بالعمل والعمل ، ولا تمكن للأواظية عليهما إلا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات ، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرار الأوقات ، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين إن الأكل من الدين ، وعليه يعرب العالمين ، بقوله وهو أصدق القائلين - كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى ، فلا ينبغي أن يتركه نفسه مهملأ سدى ، يسترسل في الأكل يسترسل البهائم في الرعى ، فإن ماهو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ، ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه وإنما أنوار الدين آدابه وسنة التي يزم العبد بزمائها ، ويلجج للثقي بإجماعها ، حتى يتزّن بميزان الشرع شهوة الطعام في إقدامها وإجماعها ، فيصير بسببها مدفة للوزر ، ومجلبة للأجر ، وإن كان فيها أوفى حظ للنفس . قال صلى الله عليه وسلم وإن الرجل ليؤجر حتى في القملة يرضعها إلى فيه وإلى في امرأته ^(١) وإنما ذلك إذا رضعها بالدين ولدين مرعياً فيه آدابه ووظائفه ، وهما عن رشد إلى وظائف الدين في الأكل فرائضها وسننها وآدابها وروايتها وهيئاتها أربعة أبواب . وفصل في آخرها . الباب الأول : فيها لا بد للأكل من مراعاته وإن اقرء بالأكل . الباب الثاني : فيها يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل . الباب الثالث : فيها يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين . الباب الرابع : فيها يخص الدعوة والضيافة وأشباهاها .

(كتاب آداب الأكل)

(١) حديث إن الرجل ليؤجر في القملة يرضعها إلى فيه وإلى في امرأته من حديث سعد بن أبي وقاص وإنك مهما أتقت من ثقة فاتها صدقة حتى القملة ترضعها إلى في امرأتك .

بقية

عوارف المعارف

السهروردی

[الباب التاسع في ذكر من انتهى إلى الصوفية وليس منهم]
فمن أولئك قوم يسمون نفوسهم قلندرية تارة وملازمة أخرى وقد ذكرنا حال للملازمة وأنه حال شريف ومقام عزيز وتمكك بالسنن والآثار وتحقق بالإخلاص والصدق وليس مما يزعم للفتونون بشيء فأما القلندرية فهو إشارة إلى أقوالهم ملكهم سكر طيبة قلوبهم حتى خربوا السادات وطرحوا التقيد والمطالبات وساحوا في مبادئ طيبة قلوبهم قذلت أعمالهم من الصوم والصلاة إلا القرائن

الباب الأول : فيما لا بد للمفرد منه وهو ثلاثة أقسام قسم قبل الأكل وقسم مع الأكل وقسم بعد الفراغ منه
(القسم الأول في الآداب التي تتقدم على الأكل وهي سبعة)

الأول : أن يكون الطعام يمدكو به حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب
بسبب مشروعه في الشرع ولا يحكم هوى ومداهنة في دين على ما سبأ في معنى الطيب العلق في كتاب
الحلال والحرام وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النبي عن الأكل على الباطل القتل
تفخيا لأمر الحرام وتفظيا لبركة الحلال فقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل - إلى قوله - ولا تغفلوا أنفسكم - الآية فالأصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض وأصول الدين
الثاني : غسل اليد - قال صلى الله عليه وسلم « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ويبيد السم (١) »
وفي رواية « ينفي الفقر قبل الطعام ويبيد » ولأن اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الأعمال فغسلها أقرب
إلى النظافة والزمانة ولأن الأكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجري
منه مجرى الطهارة من الصلاة . الثالث : أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو
أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على اللائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا أتى بطعام وضعه على الأرض (٢) فهذا أقرب إلى التواضع فإن لم يكن فعل السفرة فإنها تذكر
السفر وتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى وقال أنس بن مالك رحمه الله « ما أكل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة (٣) » . قيل فعل ما ذا كنتم تأكلون قال
على السفرة وقيل أربع أعمدات بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللوائد والناخل والأشنان
والشبع . واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى فلنا قول الأكل على اللائدة منهي عنه
نهى كراهة أو تحريم إذ لم يثبت فيه نهى وما يقال إنه أبعد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس
كل ما أبعد منيأ به النبي بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته بل الإبداع قد يجب
في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب وليس في اللائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثال
ذلك مما لا كراهة فيه والأربع التي جمعت في أنها مبعدة ليست متساوية بل الأشنان حسن لما فيه من
النظافة فإن الغسل مستحب للنظافة والأشنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لأنهم بما كان لا يعتاد
عندهم أولا لتيسر أو كانوا مشغولين بأمور أهم من المباحة في النظافة فقد كانوا لا يفسلون البديأ
وكانت مناديلهم الخمس أقدمهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا وأما المنخل فلقصود منه تطيب الطعام
وذلك مباح ما لم ينته إلى التمتع القرمط وأما اللائدة فتيسر للأكل وهو أيضا مباح ما لم ينته إلى السكر
والتعاطم وأما الشبع فهو أحد هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تسبيح الشهوات وتحريك الأدوات في البدن
فلندرك التفرقة بين هذه اللذات . الرابع : أن يحسن الجلسة على السفرة في أول جلوسه ويستدبرها كذلك

(الباب الأول)

(١) حديث الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ويبيد السم بخلافه في القسم الثاني وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام ويبيد
القضاي في مسند الشهاب من روايته موسى الرضا عن أبيه متصلا باللفظ الأول وللطبراني في الأوسط
من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام ويبيد سم ما ينفي الفقر ولأن داود وث من حديث سلمان
بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده وكلها ضعيفة (٢) حديث كان إذا أتى بطعام وضعه على
الأرض أحد في كتاب الزهد من رواية الحسن مرسل ورواه البزار من حديث أبي هريرة نحوه
وفيه مجاهد وثقه أحمد وضعه الدارقطني (٣) حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في سكرجة الحديث رواه ع .

ولم يألوا بتناول شيء
من لذات الدنيا من
كل ما كان مباحا
برخصة الشرع وربما
اقتصروا على رعاية
الرخصة ولم يطلبوا
حقائق المزية ومع
ذلك هم متمسكون
بترك الادخار وترك
الجمع والاستكثار ولا
يترمون بحرام
التشفين والتزهدين
وللتعبدين وقصوا
بطية قلوبهم مع الله
تعالى واقتصروا على
ذلك وليس عندهم
تطلع إلى طلب مزيد
سوى ما هم عليه من
طية القلوب والفرق
بين اللامق والقندري
أن اللامق يعمل
في كتم العبادات
والقندري يعمل
في تحريم العادات
واللامق يتمسك بكل
أبواب البر والخير
ويرى الفضل فيه

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جالساً للأكل على ركبته وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى (١) » وكان يقول « لا تأكل متكاً (٢) » إنما أنا عبد آكل كأبى كل العبد وأجلس كما يجلس العبد (٣) » والشرب متكاً مكروه للمعدة أيضاً ويكره الأكل نائماً ومتكاً إلا ما يتفطر به من الجيوب وروى عن علي كرم الله وجهه أنه أكل كعكاً على ترس وهو مضطجع ويقال منقطع على بطنه والعرب قد تضطجع الحامس : أن ينوي بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطعماً بالأكل ولا يقصد التلذذ والتعمم بالأكل قال إبراهيم بن شيان منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئاً لشهوتي وصرمت مع ذلك على تحليل الأكل فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإشثار القناعة على الاتساع قال رسول الله ﷺ « ماملأ آدمى وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيات يغمن صلبه فإن لم يغمل ثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفس (٤) » ومن ضرورة هذه النية أن لا يعتمد إلى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحد ما لابد من تقديمه على الأكل ثم ينبغي أن يرضع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسبأ في فائدة قوة الأكل وكيفية التدرج في التفضل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربيع للملوكات . السادس : أن يرضى بالوجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التتمم وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الحزب أن لا ينتظر به الأدم وقد ورد الأمر بـ « كرام الحزب (٥) » فكل ما يديم الرق ويقوى على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي أن يستحقر بل لا ينتظر بالحزب الصلاة إن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع قال رسول الله ﷺ « إذا حضر العشاء والعشاء فابدأوا بالعشاء (٦) » وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما مع قراءة الإمام ولا يقوم من عشاءه ومهما كانت النفس لاترق إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرر فالأولى بتقديم الصلاة فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان في التأخير ما يرد الطعام أو يشوش أمره فتقدمه أحب عند اتساع الوقت تأقت النفس أولم تنق لصوم الحزب ولأن القلب لا يغلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع وإن لم يكن الجوع غالباً . السابع : أن يجتهد في تسكير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا على طعامكم يارك لكم فيه (٧) » وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ربما جالساً للأكل على ركبته وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى د من حديث عبد الله بن بشر في أثناء حديث أنوا تلك القصعة فالتقوا عليها فأكثروا جالساً رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وله و ن من حديث أنس رأيته يأكل وهو مقع من الجوع وروى أبو الحسن بن المقرئ في التماثل من حديثه كان إذا قعد على الطعام استوفى على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كأبى كل العبد وأجلس كما يجلس العبد وإسناده ضعيف (٢) حديث كان يقول لا آكل متكاً من حديث أبي جحيفة (٣) حديث إنما أنا عبد آكل كأبى كل العبد وأجلس كما يجلس العبد تقدم قلبه من حديث أنس بلفظ وأفضل بدل وأجلس رواه الزبارة من حديث ابن عمر دون قوله وأجلس (٤) حديث ماملأ آدم وعاء شراً من بطنه الحديث ت وقال حسن ن . من حديث القناد بن معديكرب (٥) حديثاً كرموا الحزب الزبارة والطبراني وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام بإسناد ضعيف جداً وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٦) حديث إذا حضر العشاء والعشاء فابدأوا بالعشاء تقدم في الصلاة والعروف وأقيمت الصلاة (٧) حديث اجتمعوا على طعامكم يارك لكم فيه د من حديث وحشي بن حرب بإسناد حسن .

ولكن يغنى الأعمال والأحوال ويوقف نفسه موقف العوام فيهيئته وملبوسه وحركاته وأموامترا لجمال لثلا يغفلن له وهو مع ذلك متطلع إلى طلب المزيد بأذله مجوده في كل ما يتقرب به السيد والقنندري لا يتقيد بهيمة ولا ينال بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينقطع إلا على طيبة القلوب وهو رأس ماله والصوفي يضع الأشياء مواضعها ويدير الأوقات والأحوال كلها بالقيم الخلق مقامه وقيم أمر الخلق مقامهم ويستمر ما ينبغي أن يستمر ويظهر ما ينبغي أن يظهر ويأتي الأمور في موضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكال معرفة ورعاية صدق وإخلاص يقوم من القنوتين بمواضعهم ملائمة ولبسوا لبسة الصوفية لينسوا بها لله الصوفية وما هم من

لَا يَأْكُل وَحده ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي [١] ».

(القسم الثاني في آداب حالة الأكل)

وهو أن يبدأ بسم الله أولاً وبالحمد لله في آخره ولوقال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن حتى لا يفسد الله الصلة عن ذكر الله تعالى ويقول مع اللقمة الأولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهز به ليذكر غيره ويأكل باليمين ويبدأ بالمضغ ويغتم به ويسفر اللقمة ويجود مضغها ومالم ينتهها لمعد اليد إلى الأخرى فإن ذلك هبة في الأكل وأن لا ينضم ما كولا ، كان صلى الله عليه وسلم لا ييبس مأكولاً كان إذا أجهبه أكله ولا تركه ^(٢) وأن يأكل مما يليه إلا الفاكهة فإن له أن يجبل يده فيها قال صلى الله عليه وسلم « كل مما يليك ^(٣) » ثم كان صلى الله عليه وسلم يدور على الفاكهة قبل له في ذلك فقال ليس هو نوعاً واحداً ^(٤) وأن لا يأكل من دورة القصة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغبة إلا إذا قل الحيز فبكر الحيز ولا يقطع بالسكين ^(٥) ولا يقطع اللحم أيضاً فقد نهى عنه وقال انتهشوا نهشاً ^(٦) ولا يوضع على الحيز قصة ولا غيرها إلا ما يؤكل به قال ^(٧) « أكرموا الحيز فإن الله تعالى أنزلهم من ركات السماء [٢] » ولا يمسح يده بالحيز وقال صلى الله عليه وسلم « إذا وقت لقمة أحدم فليأخذها ويحيط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتديل حتى يلمق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة ^(٨) » ولا ينفخ في الطعام الحار ^(٩) فهو منى عنه بل يصر إلى أن يسهل أكله ويأكل من الثمر وتراسماً أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين أو ما اتفق ولا يجمع بين الثمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع النواتن فيه على ظهر كفه ثم يلقبها وكذا كل مالههم وتعلو أن لا يتركها لستردلهم من الطعام ويطرعه في القصة قبل يتركه

(١) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده رواء الخراطى في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (٢) حديث أنس كان لا ييبس مأكولاً إن أجهبه أكله وإلا تركه متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث كل مما يليك متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة (٤) حديث كان يدور على الفاكهة وقال ليس هو نوعاً واحداً . من حديث عكرات بن دؤب وفيه وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق فقال يا عكرات كد من حيث شئت فإنه غير لون واحد قال ت غريب ورواه حب في الضفاء (٥) حديث التهي عن قطع الحيز بالسكين رواء حب في الضفاء من حديث أبي هريرة وفيه نوح بن أبي مريم وهو كذاب ورواه البيهقي في الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٦) حديث التهي عن قطع اللحم بالسكين د من حديث عائشة وقال انتهشوا نهشاً قال ن منكر و ت . من حديث صفوان بن أمية وانتهشوا اللحم نهشاً وسنده ضعيف (٧) حديث إذا وقت لقمة أحدم فليأخذها فليحيط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتديل حتى يلمق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة م من حديث أنس وجابر (٨) حديث التهي عن النفخ في الطعام والشراب أحمد في مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبي داود وث صححه ابن ماجه إلا أنهم قالوا في الإناء و ت صححه من حديث أبي سعيد نهى عن النفخ في الشراب .

[١] (قوله وقال صلى الله عليه وسلم خير الطعام الخ) لم يتكلم عليه العراقي لسقوطه من نسخته كالم يذكره الشارح فلي تأمل .

[٢] (قوله أكرموا الحيز الخ) لم يخرج العراقي وقد أخرجه الشارح عن الحكم الترمذي وغيره فانظره .

الصوفية حتى يلم في غرور وغلط يشتركون بلبة الصوفية توقفتا تارة ودعوى أخرى ويتجهون مناهج أهل الإباحة وزعمون أن ضارهم خلصت إلى الله تعالى ويقولون هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمبراس الثرمة ربة العوام والقاصرين الأفهام للتحسين في مضيق الاقتداء تقليداً وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والابساد فكل حقيقة ردتها الثرمة فهي زندقة وجبل هؤلاء القرورون أن الثرمة حتى البودية والحقيقة هي حقيقة البودية ومن صار من أهل الحقيقة قيد محقق البودية وبها مطالباً بأسور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل إلى ذلك لأنه خلج عن عتقه ربة التكليف وبخامس باطنه الخوف

مع التمل حق لا يتبس على غيره. فيأكله وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غص بلقعة أو صدق عطشه فقد قيل إن ذلك مستحب في الطب وأنه دباغ المعدة. وأما الشرب: فأدبه أن يأخذ الكوز يحميه ويقول بسم الله ويشربه مصاً لا عياً قال صلى الله عليه وسلم «مصوا الماء ولا تعبوا» عا فان الكباد من الب^(١) «ولا يشرب قائماً ولا مضطجاً فانه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائماً^(٢)» وروى أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً^(٣) ولعله كان لمدركه، ويراعى أسفل الكوز حتى لا يخطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز بل يحميه عن فمه بالحمد ويرده بالنسبة وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب «الحمد لله الذي جعله عذبا فراثا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا^(٤)» والكوز وكل ما يدار على القوم بدار شربة «وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا وأبو بكر رضى الله عنه عن شحاله وأعرابي عن عبيد وعمر ناحيته فقال عمر رضى الله عنه أعط أبوبكر فناول الأعرابي وقال الأعرابي «و يشرب في ثلاثة أفاضل يحمده الله في أواخرها ويسمى الله في أوائلها ويقول في آخر النفس الأول الحمد وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين أدبا في حالة الأكل والشرب دلت عليها الأخبار والآثار.

(القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام)

وهو أن يسلك قبل الشبع ويلقى أصابعه ثم يمسح بالتمديد ثم يسلها ويلتقط فئات الطعام قال صلى الله عليه وسلم «من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوف في ولده^(٥)» ويتخلل ولا يتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالحلال إلا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه أما المخرج بالحلال فيرميه ولا يعضضم بعد الحلال فيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام وأن يلحق القصعة ويشرب ماءها ويقال من لقم القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة وأن التقاط الفئات مهور الحور العين وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيسبى الطعام نعمة منه قال الله تعالى - كانوا من طييات مازنناكم واشكروا لله - ومهما أكل حلالا قال الحمد لله الذي نعمته ثم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطعنا طيبا واستعملنا صالحا وإن أكل شبة فليقل الحمد فله كل حال اللهم لا تحمله قوة لنا على مصيبتك وبقراً بعد الطعام - قل هو الله أحد - و - لا يلاف قريش - ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولافان أكل طعام التبر فليدع له وليقل اللهم أكثر خيره وبارك له فيما رزقته ويسر له أن يفعل فيه خيرا وقمعه بما أعطيته واجعلنا وإياه من الشاكرين وإن أظفر عند قوم فليقل أظفر عندكم الصائون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبة لطيف بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها قوله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مصوا الماء ولا تبوء عا أبو منصور الديلمي في مسند الفردس من حديث أنس بالشرط الأول ولأبي داود في الراسيل من رواية عطاء بن أبي رباح إذا شربتم فاشربوا مصا (٢) حديث التهي عن الشرب قائماً من حديث أنس وأبي سعيد وأبي هريرة (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً متفق عليه من حديث ابن عباس وذلك من زمزم (٤) حديث كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذي جعل الماء عذبا فراثا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا الطبراني في الدعاء مرسل من رواية أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (٥) حديث من أكل ما سقط من المائدة عاش في سعة وعوف في ولده أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ آمن من الفقر والبرص والبله وعرف عن ولده الحق ولهم من حديث الحاجب بن علاط أعطى سعة من الرزق ووفى في ولده وكلاهما منكر حداثتهما.

والتحريف. أخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ القدسي قال أنا أبو محمد الخطيب ثنا أبو بكر بن محمد بن حجر قال ثنا أبو بكر بن أبي داود قال ثنا أحمد بن صالح قال ثنا عيسى بن يونس بن يزيد قال قال محمد يعني الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عتبة بن مسعود حدثه قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الوحى قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سربرته شيء، الله تعالى يحاسبه في سربرته ومن أظهر لنا سوى ذلك لم نأمنه وإن قال سربرتي حسنة وعنه أيضا رضى الله

« كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به »^(١) وليس من يأكل ويبيعه ويقل إذا أكل
بنا اللهم بارك لنا فيا رزقتنا وزدنا منه^(٢) فان أكل غيره قال اللهم بارك لنا فيا رزقتنا وارزقنا خيرا
منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللين لموم نفعه ويستحب عقب
الطعام أن يقول الحمد لله الذي أطعنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء ولا يكتفي
منه شيء أطعتم من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة وأغنيت
من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم أطعنا طيبا
فاستعنا صالحا واجبه عونا لثاني طاعتك ونمودبك أن نستعين به على مصيبتك وأما غسل البدن
بالأشنان فكيفيته أن يجعل الأشنان في كفه اليسرى ويصل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا
ويضرب أصابعه على الأشنان اليا بس فيمسح به شفته ثم يتم غسل القم بأصبعه وبذلك ظاهر أسنانه
وباطنها والخك والسان ثم يغسل أصابعه من ذلك بالأم ثم بذلك يقيه الأشنان اليا بس أصابعه
ظفرا وبطانا ويستغنى بذلك عن إعادة الأشنان إلى القم وإعادة غسله .

(الباب الثاني فهايزيد تسبب الاجتماع والشاركة في الأكل وهي سبعة)

الأول : أن لا يتدنى بالطعام ومنه من يستحق التقديم بغيره أو زيادة صل إلا أن يكون هو التبع والتقدم به فينبغي أن لا يطول عليهم الانتظار إذا أشربوا للأكل واجتمعوا . الثاني : أن لا يسكوا على الطعام فإن ذلك من سيرة العجم ولكن يشككون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها . الثالث : أن يرقق بريقه في القصة فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقا لما رقيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي أن يقصد الإتيار ولا يأكل كثيرين في دعة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأنههم فإن قلل رقيقه نشطه ورغبه في الأكل وقاله كل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات فإن ذلك إلحاح وإفراط . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خوطب في شيء ثلاثا لم يرجع بعد ثلاث^(١) وكان عليه السلام يكرر الكلام ثلاثا^(٢) فليس من الأدب الزيادة عليه فأما الحلف عليه بالأكل فمنع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما الطعام أهون من أن يحلف عليه . الرابع : أن لا يعوج رقيقه إلى أن يقول كل قال بعض الأدباء أحسن الأكلين أكل من لا يعوج صاحبه إلى أن يتفدده في الأكل وحصل عن أخيه مؤنة القول ولا ينبغي أن يبدع شيئا مما يشتهه لأجل نظر الغير إليه فإن ذلك تصنع بل يجري على العناد ولا ينقص من عادته شيئا في الوحدة ولكن يعود نفسه حسن الأدب في الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع نعم لو قاتل من أكله إشارا لإخوانه ونظرا لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن وإن زاد في الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل فلا بأس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يخدم

(١) حديث كل لحم نبت من حرام قالنار أولى به هو في شعب الإيمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ سحت وهو عدت وحسنه بلفظ لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به (٢) حديث القول عند أكل اللبن اللهم بارك لنا في ما رزقنا من دنانمه دت وحسنه و . من حديث ابن عباس إذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ومن سقاء الله لنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه .

(الباب الثاني فما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل)

(٣) حديث كان إذا خطب في شيء ثلاثاً لم يرجع بعد ثلاث أحمد من حديث جابر في حديث طويل ومن حديث أبي حنيفة أيضاً وإسنادهما حسن (٤) حديث كان يكرر الكلمة ثلاثاً من حديث أنس كان بعد الكلمة ثلاثاً .

عنه قال من عرض
نفسه لقتل فلان يؤمن
من أساء به الظن فإذا
رأيتهم اتوا بمحدود
الشرع مهملات لصلوات
والفروضات لا يمتد
بمخالات التلاوة والصوم
والصلاة ويدخل في
الداخل للكرهه
المهرمة نزه ولا قبله
ولا قبل دعواه أن له
سيرة صالحة .
أخبرنا شيخنا ضياء
الدين أبو النجيب
السهوردي بإجازة عن
عمر بن أحمد عن ابن
خلف عن السلي قال
سمعت أبا بكر الرازي يقول
سمعت أبا محمد الجري
يقول سمعت الجنيدي
يقول رجل ذكر الرفرا
قال الرجل أهد الرفرة
بأنه يصلون إلى تركه
الحركات من باب البر
والتقوى إلى الله تعالى
قال الجنيدي إن هذا
قول قوم تكلموا
بأساط الأعمال وهذه
عندي عظيمة والذي
يسرى وزني أحسن

فاخر الرطب إلى إخوانه ويقول من أكل أكثر أعطيه بكل نواة درهما وكان يعد النوى ويسطر كل من له فضل نوى بعده دراهم وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط في الانبساط . وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما أحب إخواني إلى أكثرهم أكلًا وأعظمهم لقمة وأعظمهم حلًا من يوحى إلى تعبه في الأكل وكل هذا إشارة إلى الجري على اللئذ وترك التصنع وقال جعفر رحمه الله أيضًا تبين جودة عجة الرجل لأخيه بمجموعة كفه في منزله . الخامس : أن غسل اليد في الطست لأبأس به وله أن يتنعم فيه إن أكل وحده وإن أكل مع غيره فلا ينبغي أن يدخل ذلك فإذا قدم الطست إليه غيره كراماته فليقبله . اجتمع أنس بن مالك وثابت البناني رضي الله عنهما على طعام قدم أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال أنس إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا ترددها فأما يكرم أقمز وجل وروى أن هرون الرشيد دعا أبي معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست ففازر قال يا أبا معاوية تدري من صب على يدك فقال لا قال صب أمير المؤمنين قال لا يصبر للمؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته فأجلك الله وأكرمك كما أجلت العلم وأهله . ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الانتظار فإن لمفعولوه فلا ينبغي أن يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا وضوءكم جمع الله شملكم »^(١) قيل إن الراديه هذا . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار لا يرفع الطست من بين يدي قوم إلا معلومة ولا تشبهوا بالمجم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنة الأعاجم والحادم الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائمًا وأحب أن يكون جالسًا لأنه أقرب إلى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروى أنه صب الماء على يد واحد خادم جالسًا فقام الصوب عليه فقبله ثم قال أحدنا لا بد وأن يكون قائمًا وهذا أولى لأنه أيسر للصب والتسل وأقرب إلى تواضع الذي يصب وإذا كان له نية في خدمته من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك ففي الطست إذن سبعة آداب أن لا يزيق فيه وأن يخدم به التواضع وأن يقبل الإكرام بالتقديم وأن يدار عنه وأن يجتمع فيه جماعة وأن يجمع الماء فيه وأن يكون الخادم قائمًا وأن يبعج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على القرائش وعلى أصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يده يضيفه هكذا فعل مالك بن النضر رضي الله عنهما في أول نزوله عليه وقال لا يروك ما رأيت من فخدمة الضيف فرض . السادس : أن لا ينظر إلى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحيون بل يفيض بصره عنهم ويشغل نفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا محتشمون الأكل بعده بل يعد اليد ويحبسها ويتناول قليلا قليلا إلى أن يتوفوا فإن كان قليل الأكل توقف في الابتداء وقل الأكل حتى إذا توسعوا في الطعام أكل معهم أخيرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنهم فإن امتنع لسبب فليعذر إليهم فعلا للخدمة عنهم . السابع : أن لا يفعل ما يستفد به غيره فلا يفيض يده في القصة ولا يقدم إلى الرأسه عند وضع القصة في فيه وإذا أخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذه يساره ولا يمس القصة اليمين في الحل ولا الحل في الدسومة فقد يكرهه غيره مما وقع في القصة لا يمس يمينها في الرقة والحل ولا يتكلم بما يذكر الاستفدات .

(الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين)

تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير . قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما إذا قدمت مع الإخوان على الأئمة فأطبلوا الجلوس فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم . وقال الحسن رحمه الله كل لقمة

(١) حديث اجموا وضوءكم جمع الله شملكم رواه القاضي في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به وجعل ابن طاهر مكان أبي هريرة إبراهيم وقال إنه مضل وفيه نظر .

(الباب الثالث في تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين)

حلالا من الذي يقول هذا وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه يرجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم أتعص من أعمال البر ذرة إلا أن عمال يذوقونها وإنها لا أكد في معرفتي وأتوى لحالي ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول ويرحمون أن الله تعالى يحل فيهم وعمل في أجسام يصطفها ويسبق لأفهامهم معنى من قول التصاري في اللاهوت والتاسوت . ومنهم من يستبيح النظر إلى اللسعات إشارة إلى هذا الوهم ويتخيل به أن من قال كلمات في بعض غلباته كان مضرا لشئ مما زعموه مثل قول الحلاج أنا الحق وما يحكى عن أبي زيد من قوله سبحانه خلعا أن ننفذ في أبي زيد أنه يقول ذلك لإطلاق معنى الحكاية عن الله تعالى

يفقه الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها أئمة الإتقة الرجل على إخوانه في الطعام فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك هذا مع ماورد من الأخبار في الطعام قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال لللائكة تصلي على أحدكم مادامت مادته موضوعة بين يديه حتى ترفع »^(١) وروى عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على أكل جميعه وكان يقول بلنغان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الاخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك »^(٢) فأنا أحب أن أستكثر مما قدمه إليكم كل فضل ذلك وفي الخبر « لا يحاسب العبد على ما أكل من طعام إخوانه »^(٣) وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك وقيل إذا أكل وحده وفي الخبر « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السجود وما أفطر عليه وما أكل مع الاخوان »^(٤) وقال على رضى الله عنه : « لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إلي من أن أعتق دقة وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول من كرم لله طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه وكان الصحابة رضى الله عنهم يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق وكانوا رضى الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يفترون إلا عن ذواق وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر « يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جئت فم تظمني فيقول كيف أطعمتك وأنت رب العالمين فيقول جاع أخوك للسل فم تظمه ولو أطعمته كنت أظمعتي »^(٥) وقال عليه السلام « إذا جاءكم الزائر فأكرموه »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة غرضا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها هي لمن آلان السلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من أطعم الطعام »^(٨) وقال عليه السلام « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خصال مسيرة »^(٩) وأما آدابه : فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام . أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوما مترصا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهى عنه قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوت التي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه - يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر

(١) حديث لا تزال لللائكة تصلي على أحدكم مادامت مادته موضوعة بين يديه حتى ترفع ، الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضيف (٢) حديث إن الاخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام ، لم أتف له على أصل (٣) حديث لا يحاسب العبد عما يأكله مع إخوانه هو في الحديث الذي بعده بضاعة (٤) حديث ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السجود وما أفطر عليهم وما أكل مع الاخوان ، الأزدى في الضعفاء من حديث جابر ثلاثة لا يستلون عن العلم : السائم والتسحر والرجل يأكل مع ضيفه أوردته في ترجمة سليمان بن داود الجزري وقال فيه منكر الحديث ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث يقول الله للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تظمني الحديث م من حديث أبي هريرة باقظ استطاعتك فلم تظمني (٦) حديث إذا جاءكم الزائر فأكرموه ، الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس وهو حديث منكر قاله ابن أبي حاتم في المثل عن أبيه (٧) حديث إن في الجنة غرضا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها ، هي لمن آلان السلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ت من حديث على وقال غريب لانهرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه (٨) حديث خيركم من أطعم الطعام أحمد والحاكم من حديث صهيب وقال صحيح الاسناد (٩) حديث من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خصال ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقال ابن جبان ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الذهبي غريب منكر .

وهكذا ينبغي أن يستد في قول الملاح ذلك ولوعنا أنه ذكر ذلك القول مضمرا لشيء من الحلول رددناه كما نردم وقد أثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسنة يضاء فيه يستقيم بها كل معوج وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز وصفاته تعالى بوما لا يجوز والله تعالى منزله أن يحل به شيء أو يحل شيء حتى لعل بعض القوتين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات تعلقت بياطه فيتألف له في فكره كلمات ينسبها إلى الله تعالى وأنها مكالة الله تعالى إياه مثل أن يقول قال لي وقلت له وهذا رجل إما جاهل بنفسه وحديثا جاهل بربه وبكيفية للكلمة والمحادثة ، وإما عالم يطلن ما يقول ، بمحله

«من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما» (١) ولكن حق الداخل إذا لم يترس وانفق أن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له فإذا قيل له كل نظر فإن علم أنهم يقولونه على محبة لمساعدته فليساعد وإن كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتصلق أما إذا كان جائعا فليقتصد ببعض إخوانه ليعطيه ولم يترس به وقت أكله فلا بأس به . قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا (٢) والدخول على مثل هذه الحالة إغانة لذلك السلم على حيازة ثواب الإطعام وهي عادة السلف وكان عون بن عبد الله السعدي له ثلاثمائة وستون صدقا يدور عليهم في السنة وآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر وآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة فكان إخوانهم معلومهم بدلائل كسبهم وكان قياما وذلك بهم على قصد التبرك بعبادة لهم فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واقفا بصدقاته عالما بفرحه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه إذا المراد من الإذن الرضا لاسيا في الأطعمة وأمرها على السنة فرب رجل يصرح بالإذن ويخلص هو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى - أو صدقكم - ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بليت الصدقة محلها (٣) وذلك لطفه بمرورها بذلك لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء ببله بالإذن فإن لم يعلم فلا بد من الاستئذان أولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسره ويقول هكذا كنا وروى عن الحسن رضي الله عنه أنه كان قائما يأكل من متاع يقال في السوق يأخذ من هذه الجوزة تينة ومن هذه قسبة فقال له هشام ما بذلك يا أباسيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه قال بالكع اطل على آية الأكل فلا إلى قوله تعالى - أو صدقكم - فقال فن الصدق يا أباسيد قال من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب ومشى قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري وجعل يقول ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا ، وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فظفر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبزها وغسب ذلك فحمله كله قدمه إلى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيئا فقبل له قد أخذه فلان فقال قد أحسن فدا ليه قال يأخى إن عادوا فعد فهذه آداب الدخول . وأما آداب التقديم : فترك التسكف أولا وتقديم ما حضر فإن لم يحضر شيء ولم

هواه على الدعوى بذلك ليوم أنه ظفر بجى . وكل هذا ضلال ويكون سبب نجسته على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين عن طائفة وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة وعسكهم بأمر القوم من صدق التقوى وكال الزهد في الدنيا فلما صفت أسرارهم تشككت في سرارهم عاظت مواقفه الكتاب والسنة فزلت بهم تلك المحاطبات عند استغراق السرار ولا يكون ذلك كلاما يسمعون بل كحديث في النفس يمجدهونه برؤية مواضع الكتاب والسنة مفهوما عند أهل مواضع قسمل ويكون ذلك مناجاة لسرارهم ومناجاة سرارهم أيام فيثبتون لنفوسهم مقام البودية ولولا الم الربوبية

(١) حديث من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما حق من حديث عائشة نحوه وضعفه ولأبي داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغتارا إنسانه ضئيف (٢) حديث قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه ، أما قصة أبي الهيثم فرواها ت من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح والقصة عندهم لكن ليس فيها ذكر لأبي الهيثم وإنما قال رجل من الأنصار ، وأما حديث قصد منزل أبي أيوب فرواها الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان من الصدقة فقال بليت الصدقة مكانها متفق عليه من حديث عائشة أهدى لبريرة لحم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية ، وأما قوله بليت محلها فقالها في الشاة التي أعطيتها نسية من الصدقة وهو متفق عليه أيضا من حديث أم عطية .

عليك ولا يستغرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم يسمع نفسه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال لولائي أخذته بدين لأطعمتك منه ، وقال بعض السلف في تفسير التكلف أن تطعم أخاك ما لا تأكل أنت بل تصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه وقال بعضهم ما أبالي بمن أتاني من إخواني فاني لا أتكلف له إنما أقرب ماعندي ولو تكلفت له فكرهت جبهه ومثلته وقال بعضهم كنت أدخل على أخ لي فيتكلف لي قتلته إنك لا تأكل وكل وحده هذا ولا أنا فإنا إذا اجتمعنا أكلناه فاما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع الجبهه قطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف أن يقدم جميع ماعنده فيجحف بيماله وتؤذي قلوبهم . وروى أن رجلا دعاه عليا رضي الله عنه قال علي أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخل مافي البيت ولا تعجب بمالك وكان بعضهم يقدم من كل مافي البيت فلا يترك نوعا إلا ويحضر شيئا منه وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله قدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلف لكم ^(١) وقال بعضهم إذا قصدت لزيارة قدم ماحضر وإن استزرت فلا تبق ولا تذر وقال سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا ^(٢) وفي حديث يونس النبي صلى الله عليه وسلم أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسرا وجزءا ثم قال كان يزعه ثم قال لهم كلوا لولأن الله لمن الله للتكليف لتكلف لكم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ماحضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندرى أيها أعظم وزرا الذي يحقر ما يقدم إليه أو الذي يحقر ماعنده أن يقدمه . الألب الثاني : وهو للزائر أن لا يفرح ولا يتعجب بشيء بينه وبينه فربما يشق على الزور إحضاره فإن خبره أخوه بين طلعابن فليخبر أسرهما عليه كذلك السنة ففي الخبر أنه ماخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أسرهما ^(٣) وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي زور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحاً جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح ستركان أطيب فخرج سلمان فزعه مطهرته وأخذ سعة فلقا أكلناه قال صاحبي الحمد لله الذي قمنا بما رزقنا فقال سلمان لو قمعت بما رزقت لم تمكن مطهرتي مرهونة هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له اقتراح ففعل الشافعي رضي الله عنه ذلك مع الزعفراني إذا كان نازلا عنده يفتداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألقى بها لونا آخر غطه ، فلما رأى الزعفراني ذلك اللون

(١) حديث دخلنا على جابر بن عبد الله قدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلف لكم رواه أحمد دون قوله لولا أنا نهينا وهي من حديث سلمان القارسي وسيأتي بعده وكلاما ضيف وللخاري عن عمر بن الخطاب نهينا عن التكلف حديث (٢) حديث سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا الجراطي في مكارم الأخلاق ، ولأحمد لولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أو لولا أننا نهينا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك ، وللطبراني نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلف للضيف ما ليس عندنا (٣) حديث ماخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أسرهما متفق عليه من حديث عائشة وزاد ما يمكن إنما ولم يذكرها م في بعض طرقه .

فيضيفون ما يجدونه إلى قومهم وإلى مولاهم وهم مع ذلك عالمون بأن ذلك ليس كلام الله وإنما هو علم حادث أحدثه الله في بواطنهم فطريق الأصحاء في ذلك القرار إلى الله تعالى من كل ما تحدثت قلوبهم به حتى إذا برئت ساحتهم من الهوى ألهموا في بواطنهم شيئا يشبهونه إلى الله تعالى نسبة الحادث إلى المحدث لانسبة الكلام إلى التكلم لينصتوا عن الزيف والتعريف ومن أولئك قوم يزعمون أنهم يفرقون في بحار التوحيد ولا يشعرون ويستقنون لفوسهم حركة وفلا يزعمون أنهم مجبورون على الأشياء وأن لافضل لهم مع فضل الله ويسترسلون في المعاصي وكل ما يدعو النفس إليه ويركونون إلى البطالة ودوام الغفلة

أنكر وقال ما أمرت بهذا فمررت عليه الرقعة ملحقاً بها خط الشافعي فلما وقعت عليه طرحت عليه فرح بذلك وأعلق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه . وقال أبو بكر السكاني دخلت على السري فبأه بفتيت وأخذ يجعل نصفه في القدر فقلت له أي شيء تعمل وأنا أنسبه كله في مرة واحدة فضحك وقال هذا أفضل لك من حبة ، وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع مع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان بالإنساض ومع أبناء الدنيا بالأدب . الأدب الثالث : أن يشتري الزور أخاه الزائر ويشتري منه الاقتراح مهما كانت قسوة طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه أجر وفضل جليل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صافد من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر « من قد أخاه بما يشتري كتب الله له ألف حسنة وهي عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة وأعطاه الله من ثلاث جنات جنات جنات الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد (٢) » . الأدب الرابع : أن لا يقول له هل أقدم لك طعاماً بل ينبغي أن يقدم إن كان قال لا توري إذا زارك أخوك فلا تقل له أنا كل أو أقدم إليك ولكن قدم فإن أكل وإلا فرفض وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاماً فلا ينبغي أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالكم تأتوا كلهم فلا تخدمهم به ولا يرونه معاشوقاً بل بعض الصوفية إذا دخل عليكم الفقراء قدموا إليهم طعاماً وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة فإذا دخل القراء فدلوهم على المحراب .

(الباب الرابع في آداب الضيافة)

ومكان الآداب فهاسته الدعوة أولاً ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف ولتقدم على شرحها إن شاء الله تعالى . فضيلة الضيافة : قال صلى الله عليه وسلم « لا تتكفوا للضيف تبخضوه فإنه من أبغض الضيف قد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا خير فيمن لا يضيف (٤) » ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبر كثيرة فلم يضيفه ومرتأة لها شويهاً فدبخت له فقال صلى الله عليه وسلم : انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق يبدل الله في شأن أن ينعمه خلقاً حسنات (٥) . وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف قال : قل لقمان اليهودي نزلني ضيف فأسلمني شيئاً من الدقيق إلى رجب قال اليهودي والله ما أكلته إلا برهن فأخبرته فقال والله إنى لأمين في السماء أمين في الأرض

(١) حديث من صافد من أخيه شهوة غفر الله له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله عز وجل البزار والطبراني من حديث أبي الدرداء من وافق من أخيه شهوة غفر له قال ابن الجوزي حديث موضوع وروى ابن حبان والقبيل في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق من سر مؤمناً فأغمر الله الحديث قال القبيل باطل لأصوله (٢) حديث جابر من قد أخاه بما يشتري كتب الله ألف حسنة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من رواية محمد بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد ابن حنبل هذا باطل كذب .

(الباب الرابع في آداب الضيافة)

(٣) حديث لا تتكفوا للضيف تبخضوه فإنه من أبغض الضيف قد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله ، أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان لا يتكفّن أحد لضيفه مالا غدر عليه وفيه محمد بن الفرج الأذرق يتكلم فيه (٤) حديث لاجر فيمن لا يضيف أحمد من حديث عتبة بن عامر وفيه ابن أبي عمير (٥) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبر كثيرة فلم يضيفه ومر بمرأة لها شويهاً فدبخت له الحديث الحارثي في مكارم الأخلاق من رواية أبي التهامل مرسل

والاغترار بالله والخروج من اللذة وترك الحسد والاحكام والحلال والحرام . وقد سئل سهل عن رجل يقول أنا صك الباب لا أحرك إلا إذا حركت قال هذا لا يقوله إلا أحد رجلين إما صديق أو زنديق لأن الصديق يقول هذا القول إشارة إلى أن قوام الأشياء بالله مع إحكام الأصول ورعاية حدود العبودية والزنديق يقول ذلك إحالة للأشياء على الله وإسقاطاً للأئمة عن نفسه وانحلالاً عن الدين ورحمة فأما من كان معتقداً للحلال والحرام والحجود والأحكام معترفاً بالمصيبة إذا صدرت منه معتقداً وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح وإن كان تحت الصور بما يركن إليه من البطالة ويروج بهوى النفس إلى

ولو أسلفني لأدبته فاذهب بدرعي وارهنه عنده^(١) وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميايين يبتس من يثدتي معه وكان يكنى أبا الضيفان والصدق نية فيه دامت ضيافته في مشهدة إلى يومنا هذا فلا تنقص ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قوم الموضع إنهم لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف^(٢) ومثل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الإيمان ؟ قال إطعام الطعام وبذل السلام^(٣) وقال **عليه السلام** : في السكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام^(٤) ومثل عن الحلي البرور قال : إطعام الطعام وطيب الكلام^(٥) وقال أنس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله لللائكة والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تحصى فلنذكر آدابها . أما الدعوة : فينبغي للداعي أن يبعد بدعوته الأغنياء دون الفقراء قال صلى الله عليه وسلم : أكل طعامك الأبرار^(٦) وفي دعائه لبعض من دعا له وقال صلى الله عليه وسلم : لا تأكل إلا طعامي ولا تأكل طعامك إلا تنقي^(٧) ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص . قال صلى الله عليه وسلم : شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء^(٨) وينبغي أن لا يهمل أقاربه في ضيافته فإن إهمالهم إهمالهم وإعاشهم وإعاشهم قطع رحم وكذلك يرعى الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إعمالاً لقلوب الباقين ، وينبغي أن لا يقصد بدعوته البهاة والتفاخر بل استئثار قلوب الإخوان والتدين بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين ، وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته قال سفيان وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب ، وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته قال سفيان من دعا أحداً إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطبة فإن أجاب للدعوة عليه خطبتان لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله وإطعام التقي إغانة على الطاعة وإطعام القاسق تنويع على الفسق . قال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الحيط والابرة أما أنت فمن الظلمة تسهم . وأما الإجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجودها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم : لودعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى فذراع قبلت^(٩) وللإجابة خمسة آداب : الأول أن لا يميز النبي بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر للنبي عنه . ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة وقال : انتظار الرقة ذل ، وقال آخر إذا وضعت يدي في قسمة غيري فقد ذلت له رقبتي ومن

- (١) حديث أبي رافع أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لقنان اليهودي زلدي ضيف فأسلفني شيئاً من التديق إلى رجب الحديث رواه إسحاق بن راهويه في مسنده والحراني في معجمه في الإخلاص وابن مردويه في التفسير بإسناد ضيف (٢) حديث مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان قال إطعام الطعام وبذل السلام متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ أي الإسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف (٣) حديث قال صلى الله عليه وسلم في السكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ت وصححه وك من حديث معاذ وقد تقدم بسنه في الباب الرابع من الأذكار وهو حديث اللهم إني أسألك فعل الخيرات (٤) حديث مثل عن الحلي البرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام تقدم في المجلد (٥) حديث أكل طعامك الأبرار د من حديث أنس بإسناد صحيح (٦) حديث لا تأكل إلا طعامي ولا تأكل طعامك إلا تنقي تقدم في الركعة (٧) حديث شر الطعام طعام الوليمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٨) حديث لودعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى فذراع قبلت ع من حديث أبي هريرة .

الأسفار والترحال في البلاد متوصلاً إلى تناول الفقراء والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذه ويعصره يبيع ما هو فيه والله الافرقي . [الباب العاشر في شرح رتبة للشيخة] ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفس محمد بيده لمن شتم لأقربكم لكم إن أحب عباد الله تعالى إلى الله الدين يحبون الله إلى عباده ويحبون عباد الله إلى الله ويمشون على الأرض بالصيحة وهذا الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة الشيخة والدعوة إلى الله تعالى لأن الشيخة يجب الله إلى عباده حقيقة ومحبة عباد الله إلى الله ، ورتبة الشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ونبأ النبوة في الدعاء إلى الله فأما وجه كون

التكبرين ممن يجب الأغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة كان صلى الله عليه وسلم يجب دعوة العبد ودعوة المسكين ^(١) ومن الحسن بن علي رضي الله عنهما يقوم من الساكنين الذين يسألون الناس على قارة الطريق وقد تشروا كسرا على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بقلته فسلم عليهم فقالوا له هلم إلى الدعاء يا ابن بنت رسول الله ﷺ فقال لهم إن الله لا يحب التكبرين فقلوا نعم فقدم معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد أجبتكم فأجيبوني قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم إليهم فأخبر الطعام وجلس يأكل معهم ، وأما قول القائل إن من وضعت يدي في فضته قد ذلت له رقبتي ، فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فإنه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقبل بهامة وكان يرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة فهذا يختلف كان يحضر لعله أن الداعي لا يتقبل منه ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستقبل الطعام وإنما يفعل ذلك مباحاة أو تكلفا فليس من السنة إجابته ^(٢) بل الأولى التملل ، ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه سلم إليك ودية كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الودية منه وقال سري السقطي رحمه الله آه على لقمة ليس لله فيها تبة ولا خلق فيها منه فإذا علم للدعواته لامة في ذلك فلا ينبغي أن يرد وقال أبو تراب النخعي رحمه الله عليه عرض على "طعام فامتنع فابتليت بالجموع أربعة عشر يوما فقلت أنه عقوبته وقبل لعروف الكرخي رضي الله عنه كل من دعاك عمر إليه فقال أنا ضيف أزل حيث أزلوني . الثاني : أنه لا ينبغي أن يمتنع عن الاجابة بعد الساقاة كما لا يمتنع لغير الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتياها في العادة لا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك يقال في الوراة أوبعض الكتب سربلاعد مريضا سربيلين شيخ جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زراخا في الله وإنما قدم إجابة الدعوة والزياراة لأنه فيه قضاء حق الحي فهو أولى من البت وقال صلى الله عليه وسلم « لودعيت إلى كراع بالقيم لأجبت ^(٣) » وهو موضع على أميال من المدينة أظرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ^(٤) لما بلغه قصر عنده في سفره ^(٥) . الثالث : أن لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فإن كان يسر أخاه إفطاره فليطهر وليحسب في إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يحسب في الصوم وأفضل وذلك في صوم التطوع وإن لم يتحقق سرور

الشيخ يجب الله إلى عباده فلأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صح اقتداؤه وإتباعه أحبه الله تعالى قال الله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله - ووجه كونه يجب عباد الله تعالى إليه أنه يسلك بالمريد طريق التزكية وإذا تركت النفس انحلت مرآة القلب وانكسرت فيه أنوار العظمة الإلهية ولا فيه جمال التوحيد وانحذبت أحداق البصرة إلى مطالعة أنوار جلال القدم

(١) حديث كان يجب دعوة العبد ودعوة المسكين ت . من حديث أنس دون ذكر المسكين وضفته وصححه ك (٢) حديث ليس من السنة إجابة من يطعم مباحاة أو تكلفا د من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام التبايرين قال د من رواه عن جرير لم يذكر فيه ابن عباس والعقيلي في الضعفاء نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام التباهيين والتبايرين للتبايرين فعملهم مباحاة والرياء قاله أبو موسى الدين ^(٣) حديث لودعيت إلى كراع بالقيم لأجبت ذكر القيم فيه ليعرف والمعروف لودعيت إلى كراع كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث ويرد هذه الزيادة ما رواه ت من حديث أنس لو أهدى إلى كراع لقبلت ^(٤) حديث إفطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغ كراع القيم رواه من حديث جابر في عام الفتح ^(٥) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في سفره عند كراع القيم لم أقفله على أصل والطبراني في الصغير من حديث ابن عمر كان يقصر الصلاة بالقيق يريد إذا بلغه وهذا يرد الأول لأن بين العقيق وبين المدينة ثلاثة أميال أو أكثر وكراع القيم بين مكة وعسفان والله أعلم .

ورؤية الكمال الأزلي فأحب العبد به لاهلته وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى - قد أفلق من زكاها - وفلاحها بالخفر بمعرفة الله تعالى وأيضا مرآة القلب إذا انحلت لاحت فيها الدنيا بجمعها وحقيقتها

قلبه فليصدق بالظاهر وليفطر وإن تحقق أنه متكلف فليتمل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بغير الصوم « تكلف لك أخوك » وتقول إني صائم ^(١) » وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار فالإفطار عبادة وهذه النية وحسن خلق قوايه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب وقد قيل السجل والذهن أحد القراءين. الرابع أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة أو للوضع أو البساط القروش من غير حلال أو كان يقام في الوضع منك من فرش دياج أو إناقة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو مباح شيء من الزامير والآله أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والمزل والمب واستماع النية والنجمة والزور والبتان والكذب وشبه ذلك فسل ذلك مما يمنع الإجابة واستجابها ويوجب تحريمها أو كراهيتها وكذلك إذا كان الداعي ظالماً أو متبذراً أو فاسقاً أو شريراً أو متكلفاً طلباً للباهاء والفخر. الخامس أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملاً في أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالإجابة عاملاً للأخرة وذلك بأن تكون نيته الانتداء بسنة رسول الله ﷺ في قوله « لودعيت إلى كراع لأجبت » وينوي الحذر من مصيبة الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم « من لم يحب الداعي قد عصى الله ورسوله ^(٢) » وينوي إكرام أخيه المؤمن اتباعاً لقوله صلى الله عليه وسلم « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله ^(٣) » وينوي إدخال السرور على قلبه امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم « من الزيارة من جانيه أيضاً وينوي صيانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بأن يعمل على تكبر أو سوء خلق أو استعقار أخ مسلم أو ما يجري مجراه فهذه ست نيات تلحق إجابته بالقرابات أحدها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول أنا أحب أن يكون لي في كل عملية حق في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرة إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ^(٤) » والنية إنما تؤثر في الباطن والطاعات أما الشهات فلا فاته لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز أن يقال الأعمال بالنيات بل لو قصد بالفرو الذي هو طاعة الباهاء وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذلك اللباس للردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنية فتؤثر النية في هذين القسمين لافي القسم الثالث. وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع

(١) حديث وقال لمن امتنع بغير الصوم تكلف لك أخوك وتقول إني صائم حق من حديث أنس بن مالك
الحديث منعت رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً وأنا نهي وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم إني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاكم أخوكم وتكلف لكم الحديث ولقد رقتني نحوه من حديث جابر (٢) حديث من لم يحب الداعي قد عصى الله ورسوله متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث من أكرم أخاه المؤمن فأنما يكرم الله تعالى الأصفياء في التواضع والتهيب من حديث جابر والعقيل في الضمائم من حديث أبي بكر وإسناده ضيف (٤) حديث من سر مؤمناً قدس الله نعمه في الباب قبله (٥) حديث وجبت محبة المتزاورين في التباذلين في من حديث أبي هريرة ولم يذكر الضيف هذا الحديث وإنما أعار إليه (٦) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب .

وما هيها ولاحت
الآخرة ونفاستها
بكنها وغايتها
فتكشف للبصيرة
حقيقة الدارين
وحاصل التزليق فيجب
العبد الباقي وزهد في
الغنى فتظهر فائدة
التركية وجسدي
للشيخة والقرية
قال الشيخ من جنود الله
تعالى يرشده الرشد
ويهدي به الطالبين .
أخبرنا أبو زرعة عن
أبيه الحافظ القدسي
قال أنا أبو الفضل
عبد الواحد بن علي
بمعدان قال أنا أبو بكر
محمد بن علي بن أحمد
الطوسي قال ثنا
أبو العباس محمد بن
يعقوب قال ثنا أبو عتبة
قال ثنا بقية قال ثنا
صفوان بن عمرو قال
حدثني الأزهر بن
عبد الله قال قد سمعت
عبد الله بن بشر صاحب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان
يقال إذا اجتمع

ولا يطول الانتظار عليهم ولا يجعل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق السكان على الحاضرين بالراحة بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يحافه أئنه فانه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد فحالفته تشوش عليه وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتضاع إكراما فليتنازع قال صلى الله عليه وسلم « إن من التواضع فة الرضا بالدون من المجلس (١) » ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجرة الذي للنساء وسترهم ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره ونقص بالتعبد والسؤال من يقرب منه إذا جلس وإذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبله ويبت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رضى الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام وقبل القوم وقال النسل قبل الطعام لبسائه وانصرف ، والنكر فرش الديباج واستمال أوأى القصة والذهب والتصوير على الحيطان ومماع للالهوى والزامير وحضور النسوة والتكشفات الوجوه وغير ذلك من المهرمات حتى قال أحمد رحمه الله إذا رأى مكعبة رأسها مفضض ينبغي أن يخرج ولم يأذن في الجلوس إلا في ضبة وقال إذا رأى كلة فينبى أن يخرج فان ذلك تسكف لا فائدة فيه ولا تدفع حرا ولا بردا ولا تستر شيئا وكذلك قال يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كانتر المكبة وقال إذا كثرت بيتا فيه صورة أو دخل الحمام ورأى صورة فينبى أن يحكمها فان لم يقدر خرج وكل ما ذكره صحيح وإنما النظر في السكة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينبغي إلى التحريم إذ الحرير يحرم على الرجال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذان حرام على ذكور أمي حل لئانها (٢) » وما على الحائط ليس منسوبا إلى الذكور ولو حرم هذا لم يحرم تزيين السكة بل الأولى بإحسته لموجب قوله تعالى - قل من حرم زينة الله - لاسما في وقت الزينة إذا لم يتخذ عادة للتفاخر وإن غيحل أن الرجال يستعمون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج معمالسة الجوارى والنساء والحيطان في معنى النساء إذ لسن موصوفات بالقورة. وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة : الأول تعجيل الطعام فذلك من إكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (٣) » ومهما حضر الأكترون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت للعود ففحق الحاضرين في التعجيل أولى من حق أولئك في التأخير إلا أن يكون التأخير قفيرا أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير وأحد للنعين في قوله تعالى - هل أتاك حديث ضيف إبراهيم للكريمين - إهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم دل عليه قوله تعالى - فإلبث أن جاء بعجل حنيد - وقوله - فراغ إلى أهله فجاء بعجل ممين - والروغان الذهب بسرعة وقيل في خفية وقبل جاء بعجن من لحم وإعاصي عجلا لأنه عجله ولم يلبث قال الحاتم الأصم المجلة من الشيطان إلا في خمسة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الضيف وتجهيز البيت

(١) حديث إن من التواضع فة الرضا بالدون من المجلس الخرائطي في مكارم الأخلاق وأبو نعم في رياضة التلعين من حديث طلحة بن عبيد بسند جيد (٢) حديث هذان حرامان على ذكور أمي دن . من حديث على وفيه أبو أفلح الهمداني جهله ابن القطان ون ت وصحه من حديث أبي موسى بنحوه . قلت الظاهر انقطاعه بين سعيد بن أبي هند وأبي موسى فأدخل أحمد بن حنبل رجلا لم يسم (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي سرج .

عشرون رجلا أو أكثر فان لم يكن فيهم من بهاب الله عز وجل فقد خطر الأمر في الشايخ وقار الله بهم يتأدب الريدون ظاهرا وباطنا قال الله تعالى - أولئك الذين هدى الله فبهم أقامه - فالشايخ لما اعتدوا أهلوا الافتداء بهم وجعلوا أئمة للنعين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه : إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت منه ولقته في ذكرى فإذا جعلت منه ولقته في ذكرى عشقني وعشقتني ورفضت الحجاب فيما بيني وبينه لاسموا إذ لاسها الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء وأولئك الأبطال حقا أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فيها فصرفته بهم عنهم والسر في وصول السالك إلى رتبة الشيخة أن السالك

وتزويج البكر وقضاء الدين والتوب من الذنب^(١) ويستحب التسجيل في الوليمة ، قيل الوليمة في أول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء . الثاني : ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولاً وإن كانت ذلك الوقت في الطباطها أسرع استراحة فيبني أن تضع في أسفل للعدة وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى - وفاكهة مما يتخيرون - ثم قال - ولحم طير مما يشتهون - ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والبريد قد قال عليه السلام «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» [٢] فإن جمع اليه حلالة بعده قد جمع الطيات ودل على حصول الإكرام باللحم قوله تعالى : في منيف إبراهيم إذا حضر العجل الحنيد أي الحنود وهو الذي أجيد نضجه وهو أحد معنى الإكرام أعني تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيات - وأزلنا عليك للنن والسوى - النن العسل والسوى اللحم سمى سولوى لأنه يقتل به عن جميع الآدم ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال **عليه السلام** «سيد الآدم اللحم» ثم قال بعد ذكر للنن والسوى - كلوا من طيات ما رزقاكم - فاللحم والحلاوة من الطيات قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه «أكل الطيات يورث الرضا عن الله وتم هذه الطيات جرب للآء البارد وصب للآء القار على اليد عند النسل قال للأموون شرب للآء بطلع يخلص الشكر وقال بعض الأدباء إذا دعوت إخوانك فأطعمهم حصرية وبورانية وسقيهم ماء بارداً قد أكلت الضيافة وأخفق بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء لمن كن تحتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيداً وماؤك بارداً وخلتك حاضفاً فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الأتوان والعسكن على للآئمة خير من زيادة لوتين وإجمال إن اللآئمة تحضر للآئمة إذا كان عليها قبل ذلك أيضاً مستحب ولما فيه من الرزق بالحضرة وفي الخبر إن للآئمة التي أزلت على بن إسرائيل كان عليها من كل البقول إلا السكرات وكان عليها ثمرة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وخب رمان فهذا إذا اجتمع حسن اللواقة . الثالث : أن يقدم من الألوان ألقتها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده وعادة للترفين تقديم الفليل ليشأف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الأكل وكان من سنة للتقدمين أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة وصفقون القصاع من الطعام على للآئمة ليأكل كل واحد مما يشتهي وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه . وعكس عن بعض أصحاب الروايات أنه كان يكبب نسخة بما يستحضر من الألوان ويعرض على الضيفان وقال بعض الشيخوخ قسم إلى بعض الشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بال عراق إنما يقدم هذا آخرها فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فجلبت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة فقدم إلينا ألوان من الروس للشوية طيبها وقد بدا فكننا لا نأكل فننتظر بعدها لونا أو حلا لجأنا بالطست ولم يقدم غيرها

(١) حديث حاتم الأهم المجلد من الشيطان إلا في خمسة فأنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الطعام وتجهيز البيت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب من حديث سهل بن سعد الأثانة من الله والمجلة من الشيطان وسنده ضيف وأما الاستثناء فروى د من حديث سعد بن أبي وقاص التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة قاله الأعمش لأعلم إلا أنه رفعه وروى الزبي في التذبيب في ترجمة محمد بن موسى بن تميم عن مشيخة من قومه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأثانة في كل شيء إلا في ثلاث إذا صيبح في خيل الله وإذا نودي بالصلاة وإذا كانت الجنازة... إلخ الحديث وهذا مرسل وث من حديث علي ثلاثة لا تؤخرها الصلاة إذا أنت والجنازة إذا حضرته والأم إذا وجدت كفؤا وسنده حسن.

[١] حديث فضل عائشة لم يخرجها العراقي وخرجه الشارح عن الترمذي في التائيل وغيره .

أمور سياسة النفس
مبتلى بصفتها لا يزال
يسلك بصدق العامة
حق تطمئن نفسه
وبطمانيتها ينزع
عنها البرودة واليوسة
التي استجبها من
أصل خلقها وبها
تتصلى على الطاعة
والاشياد للصمود فافا
زالت اليوسة عنها
ولانت بحرارة الروح
الواصل إليها وهذا
العين هو الذي ذكره
الله تعالى في قوله - ثم
تلين جلودهم وقلوبهم
إلى ذكر الله - تعالى
تجيب إلى العبادة وتلين
للطاعة عند ذلك
وقلب العبد متوسط
بين الروح والنفس
ذو وجهين أحدهما وجهه
إلى النفس والوجه
الأخر إلى الروح يستمد
من الروح بوجهه الذي
بليه وبعد النفس
بوجهه الذي يلها حتى
تطمئن النفس فافا
اطمأنت نفس السالك
وفرغ من سياستها

فقط بعضاً إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحاً إن الله تعالى يقدر أن يخلق رءوساً بلا أبدان قال وبثنا تلك الآلة جيعاً نطلب قتيلاً إلى المحور فهذا يستحب أن يقدم الجميع أو يغير عما عنده . الرابع : أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمسكهم من الاستغناء حتى يرفضوا الأبدى عنها فقل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتنفس عليه بالمبادرة وهم من التمكن على السائدة التي يقال إنها خير من لوئبي فيحتمل أن يكون الرد به قطع الاستعجال ومحمّل أن يكون أراد به سعة المكان . حكى عن السورى وكان سوفياً مزاحاً فحضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة قدم لإيهم حمل . وكان في صاحب السائدة يخل فلبس رأى القوم مزقوا الحبل كل حمق ضاق صدره وقال يا غلام ارفع إلى الصبيان ارفع الحبل إلى داخل الدار فقام السورى بعدو خلف الحبل فقبل له إلى أين فقال أكل مع الصبيان فاستبها الرجل وأمر برد الحبل ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فانه يستحيون بل يبنين أن يكون آخرهم أكلاً كان بعض السكرام يغير القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ جثا على ركبته ومسده يده إلى الطعام وأكل وقال بسم الله ساعدوني برك الله فيكم وعليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه . الخامس : أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل عن الكفاية قص في الروعة والزيادة عليه تصنع وسراً لا سيما إذا كانت فيه لاسمع بأن يأكلوا الكل إلا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع ونوى أن يشرك بفضلة طعامهم إذ في الحديث لا يحاسب عليه . أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاماً كثيراً على مائدة فقال سفيان بأما اسحاق أما تخاف أن يكون هذا سرفاً فقال إبراهيم ليس في الطعام سرف فان لم تكن هذه النية فالكثير تكلف قال ابن مسعود رضي الله عنه نهين أن تحجب دعوة من يياى بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام للباهة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون غام الشبع ويبني أن يزل أولاً نصب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامعة إلى رجوع شيء منه فقله لا يرجع فضيق صدورهم وتطلق في الضيفان ألسنتهم ويكون قد أطمع الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما يقى من الأطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة إلا إذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض أو علم ذلك بقرينة حاله وأنه يفرح به فان كان يظن كراهيته فلا ينبغي أن يؤخذ وإذا علم رضاه فينبى مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء . فلا ينبغي أن يأخذ الواحد إلا ما يحسه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن جبار . فاما الانصراف : فله ثلاثة آداب . الأول : أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر باكرامه قال عليه الصلاة والسلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقال عليه السلام « إن من سنة الضيف أن يشبع إلى باب الدار » [١] قال أبو قتادة قدم وفد النجاشى عن رسول الله ﷺ فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال كلا إنهم كانوا أصحاباً مكربين وأنا أحب أن أكافهم [٢] أو علم الأكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى السائدة قبل للأوزاعى رضى الله عنه ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال يزيد بن أبي زيادة ما دخلت على عبد الرحمن ابن أبي ليلى إلا حدثنا حديثاً حسناً وأطعمنا طعاماً حسناً الثانى أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى في حقه قصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليدرك بحسن [١]

انتهى سلوكه وتمسك من سياسة النفس واغاثت نفسه وطافت إلى أمر الله ثم القلب يشرط إلى السياسة لما فيه من التوجه إلى النفس فتقوم نفوس الريدن والطالبين والصادقين عنده مقام نفسه لوجود الجنسية في عين النقية من وجه ولوجود التألف بين الشيخ والريد من وجه التألف الإلهى قال الله تعالى سلوا عفت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله توس المريدن كما كان يسوس نفسه من قبل ويكون في الشيخ حيث معنى التحاق بأخلاق الله تعالى من معنى قول الله تعالى : ألا طلاق شوق الأبرار إلى لقائى وإنى إلى لقاءهم لأشد شوقاً وبما هيا الله تعالى من حسن التأليف بين

[١] حديث من سنة وكذا حديث إكرام وفد النجاشى وحديث إن الرجل ليدرك بحسنهم العراق .

خلفه درجة الصائم القائم » ودعى بعض السلف برسول فلما صافه الرسول فقام مع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج إليه صاحب التزل . وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بقية قال لا قال فكسرة إن بقيت قال لم يبق قال فالتقدر أمسحوا قال قد غسلها بالصراف بحمد الله تعالى قبله في ذلك فقال قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق . وحكى أن أستاذ أبي القاسم الجليل دعاه صبي إلى دعوة أبيه أربع مرات فرده الأب في المرات الأربع وهو يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي بالحضور وقلب الأب بالانصراف فهذه ثلث قد ذلت بالتواضع لله تعالى والطمانينة بالوجود وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها فلا تنكسر بما يجرى من العباد من الإذلال كما لا تستبشر بما يجرى منهم من الإكرام بل يرون السكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم أنا لأجيب الدعوة إلا لأني أتذكر بها طعام الجنة أي هو طعام طيب يحمل عنا كدته ومؤنته وحسابه . الثالث : أن لا يخرج إلا برضا صاحب التزل وإذنه ويراعى قلبه في قدر الإقامة وإذا زل ضيقا فلا يزيد على ثلاثة أيام فرمما يتبرم به ويحتاج إلى إخراجه قال صلى الله عليه وسلم « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة (١) » . نعم لو أُلح رب البيت عليه عن خلوص قلبه لله القيام إذ ذاك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان (٢) » .

(فصل يجمع آدابا ومناهى طيبة وشرعية متفرقة)

الأول : حكى عن إبراهيم النخعي أنه قال الأكل في السوق دناءة (٣) وأسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده قريب وقد نقل عنه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نكس ونشرب ونحن قيام (٤) . وروى بعض الشايع من التصوفة المعروفين بأكل في السوق قبله في ذلك فقال ويحك أجوع في السوق وآكل في البيت قبيل تدخل المسجد قال أضحى أن أدخل بيته للأكل فيه ووجه الجمع أن الأكل في السوق تواضع وترك تكاف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه وهو مختلف بآداب البلاد وأحوال الأشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر أعماله حمل ذلك على فلة الروءة وفرط الثروة ويقبح ذلك في الشهادة ومث يلق ذلك بجميع أحواله وأعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا . الثاني : قال على رضي الله عنه من ابتدأ غذاه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاد ومن أكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زينة حمراء لم ير في جسده شيئا يسكره واللحم يفت اللحم والتريد طعام العرب والبسقارجات تعظم البطن وترعى الألبين ولحم البقر داء ولبنها شفاء ومنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفى النساء بشيء أفضل من الرطب ، والسماك يذهب الجسد وقراءة القرآن والسواك ينهيان البهائم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليأكل بالقاء

(١) حديث الضيافة ثلاثة أيام فإذا نه دقة متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي (٢) حديث فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان م من حديث جابر (٣) حديث الأكل في السوق دناءة الطبراني من حديث أبي أمامة وهو ضيف ورواه ابن عدى . مكامل من حديثه وحديث أبي هريرة (٤) حديث ابن عمر كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نكس ونشرب ونحن قيام وصحة . وجب

الصاحب والصاحب
يصير المرید حزه
الشيخ كما أن الولد
جزء الوالد في الولادة
الطبيعة وتصير هذه
الولادة آغا ولادة
معنوية كما ورد عن
عيسى صلوات الله عليه
لن يبلغ ملكوت
السماء من لم يولد مرتين
فبالولادة الأولى يصير له
ارتباط بالملك وبهذه
الولادة يصير له ارتباط
بالملكوت قال الله
تعالى - وكذلك نرى
إبراهيم ملكوت
السموات والأرض
وليكون من اللوتين -
وصرف البقين على
السكالم يحصل في هذه
الولادة وبهذه الولادة
يستحق ميراث الأنبياء
ومن لم يصله ميراث
الأنبياء ما ولد وإن
كان على كمال من
الفطنة والدكاء لأن
الفطنة والكفاء نتيجة
العقل والعقل إذا كان
بابا من نور الشرع
لا يدخل للسلوك

وليكرر العشاء وليلبس الخداء ولن يتداوى الناس بشئ. مثل السم [١] وليقل غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين. الثالث : قال الحجاج لبعض الأطباء صف لي صفة آخذ بها ولا أعدوها قال لا تنكح من النساء إلا ثاة ولأن كل من اللحم إلا ثاة ولأن كل الطوبخ حتى ينم نضجه ولا تشرب دواء إلا من علة ولأن كل من الفاكهة إلا نضجها ولأن كل طعام إلا أجدت مضغه وكل مأحيت من الطعام ولا تشرب عليه فإذا شربت فلا تأكل عليه شيئا ولا تحبس النائط والبول وإذا أكلت بالتيار فم وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولومائة خطوة وفي معناه قول العرب فقد تعدت نضج نضج يعني تعدد قال الله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتطلى - أي يتسلط ويقال إن حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ما حوله إذا سد مجراه. الرابع : في الحبر « قطع العروق مسقمة وترك المشاء مهمة (١) » والعرب تقول ترك القدم يذهب بشحم الكفافة يعني الألية وقال بعض الحكماء لانه يابى لا يخرج من منزلك حتى تأخذ حطك أي تتخذى إذ به يبقى الحلم وبزول الطيش وهو أيضا أقل لشهوته لما يرى في السوق وقال حكيم لسمين أرى عليك قطيفة من نسج أشراسك فقم هي قال من أكل لباب البروصفار المز وأدهن بجام بنسج وألبس الكتان. الخامس : الحية تضر بالصبح كما يضر تركها بالمرض هكذا قيل وقال بعضهم من احتسب فهو على يقين من اللكروه وعلى شك من المواق وهذا حسن في حال الصحة « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيبا يأكل تمرًا وإحدى عينيه رمداء فقال أنا أكل التمر وأنت رمد فقال يا رسول الله إنما أكل بالشق الآخر (٢) » يعني جانب السليمة فضحك رسول الله ﷺ. السادس : أنه يستحب أن يحمل طعام إلى أهل البيت ، ولما جاء نبي جعفر بن أبي طالب قال عليه السلام « إن آل جعفر شغلوا بئتهم عن صنع طعامهم فاحملوا إليهم ما يأكلون (٣) » فذلك سنة وإذا قدم ذلك إلى الجلع حل الأكل منه إلا ما يبى للتواضع والمينات عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغي أن يؤكل معهم. السابع : لا ينبغي أن يحضر طعام ظالمًا أن كره فليقل الأكل ولا يقصد الطعام الأطيب. رد بعض الزكبي شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رأيتك تقصد الأطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه وأجبر السلطان هذا الزكي على الأكل فقال إما أن أكل وأخل الزكية أو أركى ولا آكل فلم يجدوا بدا من تركته فتركوه. وحكى أن ذا النون المصري حبس ولم يأكل أياما في السجن فشككت له أخت في الله فبشت إليه طعاما من منزلهما على يد السجان فامتنع فلم يأكل فصابت له المرأة بسد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاءني على طبق ظالم وأشار به إلى يد السجان وهذا غاية الورع. الثامن : حكي عن فتح الوصل رحمه الله أنه دخل على بشر الحافي زائرا فأخرج بشر درهما فدفنه لأحمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاما جيدا وأما طيبا ، قال فاشترت خيرا نظيفا وقلت : لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم شيء.

(١) حديث قطع العروق مسقمة وترك المشاء مهمة ابن عدى في الكامل من حديث عبد الله بن جراح بالشرط الأول و ت من حديث أنس بالشرط الثاني وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه الشرط الثاني من حديث جابر (٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيبا يأكل تمرًا وإحدى عينيه رمداء فقال له أنا أكل التمر وأنت رمد فقال إنما أمضع بالشق الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث صهيب بإسناد جيد (٣) حديث لما جاء نبي جعفر بن أبي طالب قال صلى الله عليه وسلم إن آل جعفر شغلوا بئتهم عن طعامهم فاحملوا إليهم ما يأكلون د ت من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن وابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس .

[١] قوله وليكرر العشاء إلى قوله السم ليس موجودا بنسخة الشارح ولعلها الأظهر فليأمل اهـ .

ولا يزال مترددا في اللثك ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية لأنه تصرف في الملك ولم يرتق إلى الملكوت ولللك ظاهر الكون ولللكوت باطن الكون والعقل لسان الروح والبصيرة التي منها تنبت أشعة الهداية قلب الروح واللسان ترجمان القلب وكل ما ينطق به الترجمان معلوم عند من يترجم عنه وليس كذلك ما عند من يترجم عنه يبرز إلى الترجمان فلهذا المعنى حرم الواقفون مع مجرد العقول العربية عن نور الهداية الذي هو موهبة الله تعالى وعند الأنبياء وأتباعهم الصواب وأصيل دونهم الحجاب لو قوفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية الثيان وكما أن في الولادة الطبيعية ذرات الأولاد في صلب الأب مودعة تتقل إلى أصلاب الأولاد

اللهم برك لنا فيه وزدنا منه^(١) سوى اللبن فشربت اللبن واشربت تمرا جبدا قدمت إليه فأكل وأخذ الباقي فقال جسر أندرون لم قلت اعتر طعنا طعنا لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر أندرون لم يقل كل لأنه ليس لتفسيان يقول لصاحب الدار كل أندرون لم حملاني لأنه إذ أصبح الشوك لم يضر الحبل . وحكى أبو الوردبary رحمه الله عز وجل أنه اتخذ صياغة فأوقدها ألف سراج فقال له رجل قد أسرفت فقال له ادخل فكل ما أوقدته فبكر الله فأطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فاقطع . واشترى أبو الوردبary أحملا من السكر وأمر الحلالين حتى يواجدا راءا من السكر عليه شرف ومحارب على أحمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى قدموها واتبوها . التاسع قال الشافعي رضي الله عنه : الأكل على أربعة أنحاء الأكل باصبع من اللق وباصبعين من السكر وثلاث أصابع من السنة^(٢) . وأربع وحسن من الشره . وأربعة أشياء تنوي البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة القسل من غير جماع وليس السكبان ، وأربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة اللحم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الخوخة ، وأربعة تنوي البصر الجلوس تجاه القبلة والسكر عند النوم والنظر إلى الحضرة وتظيف للبليس وأربعة توهن البصر النظر إلى القدر والنظر إلى الصلوب والنظر إلى فرج المرأة والقعود في استند بار القبلة ، وأربعة تزيد في الجماع أكل الصافير وأكل الأطرغل الأكبر وأكل القسقي وأكل الجرجير . والنوم على أربعة أنحاء قوم على القفا وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يشكرون في خلق السموات والأرض ونوم على البين وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك لبهضم جفاسهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين ، وأربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والوسائل . ومجالسة الصالحين والعلماء ، وأربعة هن من العبادة لاخطوخطوة إلا على وضوء . وكثرة السجود وزوم الساجد . وكثرة قراءة القرآن . وقال أيضا عبيت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت وعبيت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لا يموت وقال لم أر شيئا أضع في الوباء من البنسج يدهن به ويشرب والله أعلم بالصواب .

(كتاب آداب النكاح)

(وهو الكتاب الثاني من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الأهواء في محائب صمته بجري ولا ترجع العقول عن أوائل بدايتها إلا والهة حيرى ولا تزال لطائف نعمه على العالمين ترى فهي تتوالى عليهم اختبارا وقهرا ومن بدائع الطائف أن خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحرانة جبرا واستبق بها فسلهم إقهارا وقسرا ثم عظم أمر الأنساب وجعل لها قدرا غرم بسببها السفاح والتع في تقييده ردا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمرا إمرأ وندب إلى النكاح وحث عليه استجابا وأمرا فبجان من كتب اللوت على عباده فأذلهم به هدما وكسرا ثم بث بذور النطف في أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقا وجعله لكسر اللوت جبرا تنبها على أن يحار القادير فياضة على العالمين تعما

(١) حدث اللهم برك لنا فيه وزدنا منه قاله عند شرب اللبن تقدم في آخر الباب الأول من آداب الأكل
(٢) حديث الأكل بثلاث أصابع من السنة مسلم من حديث كعب بن مالك كان النبي ﷺ يأكل بثلاث أصابع . وروى ابن الجوزي في الطل من حديث ابن عباس موقوفا كل بثلاث أصابع فإنه من السنة .

(كتاب آداب النكاح)

بمدد كل ولد ذرة وهي
القرآت التي خاطبها
الله تعالى يوم الثاني
بالسنة ربكم قالوا بل
حيث مسح ظهر آدم
وهو ملق يطن لعنان
بين مكة والطائف
فسالت القدرات من
مسام جسده كما يسيل
الرقى بمدد كل ولد
من ولد آدم ذرة ثم
لما خوطبت وأجأت
ردت إلى ظهر آدم فمن
آباء من تنفذ القدرات
في صلبه ومنهم من لم
يودع في صلبه شيء
فينقطع نسله وهكذا
الشايخ فمنهم من تكثر
أولاده ويأخذون
منه العلوم والأحوال
ويودعونها غيرهم كما
وصلت إليهم من النبي
صلى الله عليه وسلم
بواسطة الصعبة ومنهم
من نقل أولاده ومنهم
من ينقطع نسله وهذا
النسل هو الذي رد
الله على السكار حيث
قالوا محمد أئبر لانس
له قال الله تعالى - إن

وضرا وخيرا وشرعا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلاة والسلام على محمد البعوث بالإندار والبشرى وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن النكاح معين على الدين ومعين للشياطين وحسن دون عدو الله حين سبب للتكثير الذي به مباتها سيد المرسلين لسائر النبيين لما أحراه بأن تتحرى أسبابه وتحفظ سنته وآدابه وتشرح مقاصدهم وآراءه وتفصل ضلوه وأبوابه والقدر اللهم من أحكامه ينكشف في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في الترغيب فيه وعنه . الباب الثاني : في الآداب الرعية في المقدم والمأقدين . الباب الثالث : في آداب المعاشرة بساقد إلى الفراق (الباب الأول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه)

اعلم أن العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي لعبادة الله واعترف آخرون بغضه ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تنق النفس إلى النكاح نوقانا يشوش الحال ويدعو إلى الوقوع وقال آخرون الأفضل تركه في زماننا هذا وقد كان له في حق من قبل إذ لم تكن الأكساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن يهدم أولا ماورد من الأخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه ثم تشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها .

(الترغيب في النكاح)

أما من الآيات، فقد قال الله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم - وهذا أمر وقال تعالى - فلا تنكحواهن أن ينكحن أزواجهن - وهذا منع من الضل ونهى عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية - فذكر ذلك في معرض الامتنان وإظهار الفضل ومع أولياءه بسؤال ذلك في السماء فقال - والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين - الآية ويقال إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلا التأليف فقالوا إن يعي صلى الله عليه وسلم قد تزوج ولم يجمع قيل إنما فعل ذلك لتبيل القليل وإقامة السنة وقيل لقض البصر وأما عيسى عليه السلام فإنه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له . وأما الأخبار فقوله **« روى عن النبي صلى الله عليه وسلم »** رغب عن سنن قد رغب عن **« وقال صلى الله عليه وسلم »** النكاح سنن فمن أحب فطرق فليس **« بسنن »** (١) وقال أيضا صلى الله عليه وسلم **« تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأم يوم القيامة حتى بالقسط »** (٢) وقال أيضا عليه السلام **« من رغب عن سنن فليس مني وإن من سنن النكاح فمن أحبني فليس »** (٣) وقال صلى الله عليه وسلم **« من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا »** (٤)

(الباب الأول في الترغيب في النكاح)

(١) حدث النكاح سنن فمن أحب فطرق فليس **« بسنن أبي يعلى في مسنده مع تقديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن »** (٢) حدث تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأم يوم القيامة حتى بالقسط أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر قوله حتى بالقسط وإسناده ضعيف وذكره بهذه الزيادة البيهقي في المعرفة عن الشافعي أنه بلغه (٣) حديث من رغب عن سنن فليس مني وإن من سنن النكاح فمن أحبني فليس **« بسنن متفق على أوله من حديث أنس من رغب عن سنن فليس مني وباقه تقدم قبله بحديث »** (٤) حديث من ترك التزويج خوف العيلة فليس منا رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف ولقد ارضى في مسنده والبيهقي في معجمه وأبي داود في الراسل من حديث أبي نجيع من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا وأبو نجيع اختلف في صحته

شأنك هو الأثر -
والأفضل رسول الله
صلى الله عليه وسلم باق
إلى أن تقوم الساعة
وبالنسبة للضوية يصل
ميراث العلم إلى أهل
العلم . أخبرنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السهروردي بإسناد قال
أنا أبو عبد الرحمن
للأبي قال أنا أبو
الحسن الداودي قال
أنا أبو محمد الحموي
قال أنا أبو عمران
السرقي قال أنا
أبو محمد الدارمي قال أنا
نصر بن علي قال حدثنا
عبد الله بن داود عن
عاصم عن رجاء بن
حيوة عن داود بن
جميل عن كثير بن
قيس قال كنت جالسا
مع أبي الفرداء في
مسجد دمشق فأتاه
رجل فقال يا أبا الفرداء
إني أتيتك من المدينة
مدينة الرسول صلى
الله عليه وسلم لحديث
يلقي عنك أنك تعدته
عن رسول الله صلى الله

وهذا من لمة الامتناع للأصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم « من كان ذا طول فليتزوج ^(١) » وقال من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليجمع فإن الصوم له وجاء ^(٢) » وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجاه هو عبارة عن رض المحصنين للفعل حتى تزول فحوته فهو مستعار للضعف عن الوقاع في الصوم وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تنكحوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ^(٣) » وهذا أيضا تعليل الترغيب لحوف الفساد . وقال ^(٤) من نكح قد وأنكح فاستحق ولاية الله ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني ^(٦) » وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة تحسنا من الفساد فكان الفساد لدين المرء في الأغلب فرجه وبطنه وقد كفي بالترزوج أحدهما ، وقال صلى الله عليه وسلم « كل عمل ابن آدم يتقطع إلا ثلاثا ولد صالح يدعو له ^(٧) » الحديث ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح . وأما الآثار فقال عمر رضي الله عنه : لا يتبع من النكاح إلا عجز أو فجور ، فبين أن الدين غير مانع منه وحصر للمانع في أمرين مذمومين . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يتم نكاح الناس حتى يتزوج يحصل أنه جله من النكاح وتسمته ، ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لقلية الشهوة إلا بالتزويج ولا يتم النكاح إلا بفرغ القلب وكذلك كان يجمع غلانه لما أدركوا عكرمة وكريما وغيرها ويقول إن أردتم النكاح أنكحتم فإن البعد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لولم يبق من عمرى إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزيا ومات امرأتان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو أيضا مطعوناً فقال زوجوني فاني أكره أن ألقى الله عزيا وهذا منهما يدل على أنهم رأوا في النكاح فضلا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول ما أتزوج إلا لأجل الولد . وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله ^(ﷺ) فخدمه ويحب عنده لحاجة إن طرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تزوج ؟ فقال يا رسول الله إني فقير لاشيء لي وأقطع عن خدمتك فسكت ثم عاد ثانيا فأعاد الجواب ثم نفكر الصحابي وقال والله رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقربني إلى الله مني ولئن قال لي الثالثة لأقبلن فقال له الثالثة ألا تزوج قال قلت يا رسول الله زوجني قال اذهب إلى بني فلان قتل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني فتأنس قال قلت يا رسول الله لاشيء لي فقال لأصحابه اجمعوا

(١) حديث من كان ذا طول فليتزوج . من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث من استطاع منكم الباءة فليتزوج الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تنكحوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ت من حديث أبي هريرة ونقل عن ع أنه لم يعبده محفوظا وقال د إنه خطأ ورواه ت أيضا من حديث أبي حاتم الزنى وحسنه ورواه د في الراسيل وأعله ابن القطان بإرساله وضعف رواه (٤) حديث من نكح فأنكح لله استحق ولاية الله عز وجل أحمد بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس من أعطى ف وأحب ف وأبغض ف وأنكح لله فقد استكمل إيمانه (٥) حديث من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الآخر ، ابن الجوزي في العلل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبراني في الأوسط بلنظ قد استكمل نصف الإيمان وفي السنن وصحح إسناده بلنظ من رزقه الله امرأة سالحة قد أعانه على شطر دينه الحديث (٦) حديث كل عمل ابن آدم يتقطع إلا ثلاثة فذكر فيه وولد صالح يدعو له من حديث أبي هريرة بنحوه .

عليه وسلم قال فإ جاء بك تجارة قال لا قال ولا جاء بك غيره قال لا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يلتمس به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن للنايكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر التجوم وإن العلماء هم ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما إنما أورثوا العلم لمن أخذه بحظه أو محظ وافره فأولما أودعت الحكمة والعلم عندكم أبي البشر عليه السلام ثم انتقل منه كما انتقل منه النسيان والعصيان وماتدعو إليه النفس والشيطان كما ورد إن الله تعالى أمر جبرائيل

لأخيك وزن نواقص من ذهب فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له أولم يجمعوا له من الأصحاب شاة لوليمة؟^(١) وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل أنه توسع فيه الحاجة إلى النكاح وحكى أن بعض البهائم في الأم السائلة طاق أهل زمانه في العبادة فذكر لنبي زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا أنه تارك لنبي من السنة فاعظم العابد لما سمع ذلك فسأل النبي عن ذلك فقال أنت تارك للتزويج فقال قلت أحرمة ولكني فقير وأنا عيال على الناس قال أنا أزوجه أنت فقري فزوجني عليه السلام ابنته ، وقال جرير بن الحرث : فضل على أحمد بن حنبل ثلاث يطلب الحلال لنفسه وتغيره وأنا أحلله لنفسى فقط ولا تساعه في النكاح وضيق عنه ولأنه نصب إماما للامة ، وقال إن أحمد رحمه الله تزوج في اليوم الثاني لوفاته أمه بولده عبدالله وقال أكره أن أبيت عزبا ، وأما بشر فإنه لما قيل له إن الناس يشكمون فيك تركك النكاح ويقولون هو تارك السنة قال قولوا لهم هو مشغول بالقرض عن السنة وعوب مرة أخرى فقال ما يمنعني من التزويج إلا قوله تعالى - ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف - فذكر ذلك لأحمد فقال وأين مثل بشر إنه تعد على مثل حد السنان ومع ذلك قد روى أنه رأى في المنام قيل له ما فعل الله بك فقال رخصت منازلي في الجنة وأشرف بي على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل المتأهلين وفي رواية قال لي ما كنت أحب أن تلقاني عزبا قال قلنا له ما فعل أبو نصر التمار فقال رفع فوقى سبعين درجة قلنا عابدا فقد كنا نراك فوقعه قال يصبره على بنيانه والعيال ، وقال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نساء وسبع عشرة سرية للنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء ، وقال رجل لإبراهيم بن آدم رحمه الله طوبى لك فقد فرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنا فيه قال فما الذي يمنعك من النكاح فقال مالي حاجة في امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسى ، وقد قيل فضل التأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب . وأما ما جاء في الترهيب عن النكاح : **فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** « خير الناس بعد الاثنين الخفيف الحاذق الذي لأهل له ولا ولد »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يبرونه بالقرى ويكفونه ما لا يطيق ، فيدخل الداخل التي يذهب فيها دينه قبله »^(٣) وفي الخبر « قاله العيال أحد اليسارين وكثرهم أحد الفقيرين »^(٤) « وشال بوسليان الداراني عن النكاح فقال الصبر عن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار ، وقال أيضا الوحيد يحد من حلالة الصل وفراغ القلب ما لا يجد التأهل ، وقال مرة ما رأيت أحدا من أصعابنا تزوج قبض على مرتبته الأولى .

(١) حدث كان بعض الصحابة قد اتطعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيت عنده حاجة إن طرقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تزوج الحديث أحمد من حديث ربيعة الأسلمى في حديث طويل وهو صاحب القصة بسانده حسن (٢) حدث خير الناس بعد الاثنين الخفيف الحاذق الذي لأهل له ولا ولد أبو يعلى من حديث حذيفة ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة وكلاهما ضعيف (٣) حديث يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يبرونه بالقرى ويكفونه ما لا يطيق فيدخل الداخل التي يذهب فيها دينه قبله الخطابي في العزلة من حديث ابن مسعود نحوه والبيهقي في الزهد نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث قلنا العيال أحد اليسارين وكثرهم أحد الفقيرين القضاة في مستند الشهاب من حديث علي وأبو منصور الدلمي في مستند الفردوس من حديث عبدالله بن عمر وابن هلال اللذان كلاهما بالشر الأول بسندين ضعيفين .

حتى أخذ قبضة من أجزاء الأرض والله تعالى نظير إلى الأجزاء الأرضية التي كونها من الجوهرة التي خلقها أولا فصار من مواقع نظر الله إليها خاصة السباع من الله تعالى والجواب حيث خاطب السموات والأرضين بقوله - اتيا طوعا أو كرها قالوا آتينا بأهلنا عبيد - فعملت أجزاء الأرض بهذا الخطاب خاصة ثم انتزعت هذه الخاصة منها يأخذ أجزاءها لتكوين صورة آدم فركب جسد آدم من أجزاء أرضية محتوية على هذه الخاصة فمن حيث نسبة أجزاء الأرض تركب فيه الهوى حتى مد يده إلى شجرة الفناء وهي شجرة الخطيئة في كثر الأقاويل فتطرق نقاله الفناء وبإكرام الله إياه ينفع الروح الذي أخبر عنه بقوله - فإذا سويته ونفخت

وقال أيضا : ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال الحسن رحمه الله إذا أراد الله بعبده خيرا لم يشغله بأهل ولا مال . وقال ابن أبي الخوارى تاطر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكون له بل أن يكون له ولا يشغلته وهو إشارة إلى قول أبي ساجان الله إراني ما شئت على أن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم ، وبالجمله لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا إلا مقرونا بشرط . وأما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بمصر آفات النكاح وفوائده .

آفات النكاح وفوائده : وفيه فوائد خمسة الولد وكثر الشهوة وتدير التزلز وكثرة المشيمة ومجاهدة النفس بالقيام بهن . الفائدة الأولى . الولد : وهو الأمل وله وضع النكاح والقصد لإبقاء النسل وأن لا يغلو العالم عن جنس الأنس وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالوكل بالفعل في إخراج البذر وبالأشقي في التحسين من الحرث تطلقا بهما في السياقة إلى اقتناس الولد بسبب الواقع كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهي ليساق إلى الشبكه وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب السببات على الأسباب مع الاستثناء عنها إظهارا للقدرة وإتماما لمعاجيب الصنعة وتحقيقا لما سبق به للشبهة وحققت به الكلمة وجري به القلم وفي التوصل إلى الولد قرينة من أربعة أوجه هي الاصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزبا . الأول موافقة محبة الله بالسي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الانسان والثاني طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من بمباهاته . والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده . والرابع طلب الشفاعة بعون الولد الصغير إذا مات قبله . أما الوجه الأول فهو أدق الوجوه وأبعدا عن أهام الجاهل وهو أتمها وأقواها عند ذوى البصائر النافذة في محاب الله تعالى ومجاري حكمه ، ويانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث وهياته أرضا مهياة للحراثة وكان السيد قادرا على الحراثة ووكيل به من يتقاضاه عليها فان تكامل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الوكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للعتاب والتاب من سيده والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والأنثيين وخلق النطفة في القفار وهما لمالئ الأنثيين عروفا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاض الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثي فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادى أرباب الأبواب بتعريف ما أعدت له ، هذا إن لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال « تناكحوا تناسلوا » فكيف وقد صرح بالأمر وباح بالسر فكل تمتع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيق للبذر معطل لما خلق الله من الآلات للمدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المضمومة من شواهد الحافظة للكتابة على هذه الأعضاء مخط للمنى ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية ولذلك عظم الفرع الأمر في القتل للأولاد وفي الوأد لأنه منع لتمام الوجود وإليه أشار من قال العزل أحد الوادين فالتاكح ساع في إتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمرض معطل ومضيق لما كره الله ضياعه ولأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالا طعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة الفرض فقال - من ذا الذي يفرض الله فرضا حسنا - فان قلت : قولك إن بقاء النسل والنفس محبوب يوم أن فاءها مكرهه عند الله هو فرق بين الموت والحياة بالإضافة إلى إرادة الله تعالى ومعلوم أن الكل بمشيئة الله وأن الله غنى عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم أو قواؤهم عن فناءهم . فاعلم أن هذه الكلمة حق

فيه من روي - قال العلم والحكمة بالقوة صار ذا نفس منقوسة وينفع الروح صار ذا روح روحاني وشرح هذا يطول فصار قلبه معدن الحكمة وقلبه معدن الهوى فاقبل منه العلم والهوى وصار ميرانه في ولده فصار من طريق الولادة أبا بواسطة الطباع التي هي محند الهوى ومن طريق الولادة للمنية أبا بواسطة العلم فالولادة الطاهرة تطرق إليها الفناء والولادة للمنية محبة من الفناء لأنها وجدت من شجرة الخلد وهي شجرة العلم لا شجرة الخنطة التي سماها إبليس شجرة الخلد فإبليس يرى النسي بصد فبين أن الشيخ هو الأب معنى وحكيما كان شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي رحمه الله يقول ولدي من سلك طريقي وانتهى بهدي فالشيخ

أريد بها بطلان ما ذكرناه لا ينافي بإضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله خيرها وشرها ونفعها وضرها
 ولكن المحبة والكرهية بضادان وكلاهما لا يضادان الإرادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالعاصي
 مكروهة وجميع الكراهية مرادة والطاعات مرادة وجميع كونها مرادة محبوبة ومرضية أما الكفر
 والشر فلا يقول إنه مرضى ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى - ولا يرضى لعباده الكفر - فكيف
 يكون الفناء بالاضافة إلى محبة الله وكرهته كالبقاء فانه تعالى يقول « ما ترددت في شيء كنت ردي في
 قبض روح عبدي السلم هو يكره اللوث وأنا أكره مسأته ولا بدله من اللوث (١) » قوله لا بدله
 من اللوث إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير للذكور في قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم اللوث - وفي
 قوله تعالى - الذي خلق اللوث والحياة - ولا مناقضة بين قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم اللوث -
 وبين قوله « وأنا أكره مسأته » ولكن إضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى الإرادة والمحبة
 والكرهية وبيان حقائقها فان السابق إلى الأفهام منها أمور تناسب إرادة الحق ومحبته وكرهته
 وهبات فينبى صفات الله تعالى وصفات الحق من البدن ما بين ذاته العزيز وذاته الحكيم وأن ذوات الحق
 جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذلك
 صفاته لاتناسب صفات الحق وهذه الحقائق داخلة في علم للكشفة ووراء سر القدر الذي منع
 من إفشائه فلنقتصر عن ذكره ولنقتصر على ما نبينا عليه من الفرق بين الإقدام على النكاح
 والإحجام عنه فان أحدهما مضيع لسلامة آدم وجوده من آدم عليه السلام عقبا بعد عقب إلى أن انتهى
 إليه فالمنتفع عن النكاح قد حسم الوجود الاستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه
 فبات أثر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون
 زوجوني لأتقي الله عزبا . فان قلت لما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه .
 فأقول الولد يحصل بالواقع ويحصل الواقع يباعث الشهوة وذلك أمر لا بدخل في الاختيار إنما العلق
 باختيار العبد إحضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد قد أدى ما عليه وهمل ما إليه
 والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعين أيضا فان نهضت الشهوة خفية لا يطلع
 عليها حتى إن للمسوح الذي لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستنجاب أيضا في حقه على الوجه الذي يستحب
 للأصغر إمرار الوسي على رأسه اقتداء بغيره ونفسها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطجاع
 في الحجج الآن وقد كان المراد منه أولا إظهار الجلد للكفار قصار الاقتداء والتشبه بالدين أظهروا الجلد
 سنة في حق من يعدم ويضعف هذا الاستنجاب بالاضافة إلى الاستنجاب في حق القادر على الحرث
 وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهية تعطيل المرأة وتضييعها فبا رجوع إلى قضاء الوطر فان ذلك
 لا تخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي ينبى على شدة إنكارهم ترك النكاح مع فتور
 الشهوة . الوجه الثاني السعي في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بشكر ما به مباحاته إذ
 قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وبدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ما روى
 عن عمر رضي الله عنه أنه كان ينسكح كثيرا ويقول إنما أنسكح للولد وما روى من الأخبار في
 مذمة المرأة العقيم إذ قال عليه السلام « لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لئلا (٢) »

(١) حديث أنه تعالى يقول ما ترددت في شيء كنت ردي في قبض روح عبدي السلم يكره اللوث
 وأنا أكره مسأته ولا بدله منه خ من حديث أبي هريرة انقرد به خالد بن مخلد القطواني وهو
 متكلم فيه (٢) حديث لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لئلا أبو عمر التوفاني في كتاب معاشرة
 الأهليلين موفوقا على عمر بن الخطاب ولم أجده مرفوعا .

الذي يكتب بطريقه
 الأحوال قد يكون
 مأخوذا في ابتدائه في
 طريق الحبسين وقد
 يكون مأخوذا في طريق
 الحبسين وذلك أن أمر
 الصالحين والصالحين
 ينقسم أربعة أقسام
 سالك مجرد ومجذوب
 مجرد وسالك متدارك
 بالجذبة ومجذوب
 متدارك بالسلك
 فالسالك المجرد لا يؤهل
 للشهوة ولا يطلع البقاء
 صفات نفسه عليه
 فيقف عند حظه من
 رحمة الله تعالى في مقام
 للعامة والرياسة ولا
 يرتقى إلى حال بروجها
 عن وهج للكابد
 والمجذوب المجرد من
 غير سلوك بيادته الحق
 بآيات اليقين ويرفع
 عن قلبه شيئا من
 الحجاب ولا يؤخذ في
 طريق العامة والعامة
 أثر تام سوف تفرحه
 في موضعه إن شاء الله
 تعالى وهذا أيضا
 لا يؤهل للشهوة ويوقف

وقال « خير نسائك الولود الودود ^(١) » وقال « سوداء ولود خير من حسناء لاتلد ^(٢) » وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لأن الحسناء أصلح للتصحيح وغضن البصر وقطع الشهوة . الوجه الثالث أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له كما ورد في الخبر أن جميع عمل ابن آدم مقطوع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح وفي الخبر « إن الأدعية تعرض على اللقي على أطباق من نور ^(٣) » وقول القائل إن الولد ربسا لم يكن صالحا لا يؤثر فيه فانه مؤمن والصالح هو الغالب على أولاد ذوى الدين لاسيما إذا عزم على تربيته وحمله على الصالح وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد برا كان أو فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كبه وغير مؤاخذ بسيئاته فانه لا تزر وزر أخرى ولذلك قال تعالى - ألقنناهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء - أي ما تنقصناهم من أعمالهم وجعلنا أولادهم مزيدا في إحسانهم . الوجه الرابع أن يموت الولد قبله فيكون له شفيعا قد دروي عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الطفل يمر بأبويه إلى الجنة ^(٤) » وفي بعض الأخبار « يأخذ بويه كما أنا الآن آخذ بوبك ^(٥) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « إن للولود يقال له أدخل الجنة فيقف على باب الجنة فيقول عبطنا أي نمتك غيظا وغضا » ويقول لأدخل الجنة إلا بأبويي معي فيقال أدخلوا أبويه معه الجنة ^(٦) » وفي خبر آخر « إن الأطفال يجتمعون في موقف الإقامة عند عرض الخلاق لحساب فيقال لللائكة اذهبوا هؤلاء إلى الجنة فيفتقون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بكم في الجنة ادخلوا لحساب عليكم فيقولون فأين آباؤنا وأمهاتنا فيقول الحزنة إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم محاسبون عليها ويطالبون قال فيتشاورون ويضعون على أبواب الجنة شجرة واحدة فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم ماهذه الشجرة فيقولون ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آباؤنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا فيقولون ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آباؤنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا

(١) حديث خير نسائك الولود الودود البيهقي من حديث ابن أبي أدية الصدفي قال البيهقي وروى بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار مراسلا (٢) حديث سوداء ولود خير من حسناء لاتلد ابن حبان في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح [١] (٣) حديث إن الأدعية تعرض على اللقي على أطباق من نور رويناه في الأربعين المشهورة من رواية أبي هدية عن أنس في الصدقة عن ثعلبة وأبو هدية كذاب (٤) حديث إن الطفل يمر بأبويه إلى الجنة . من حديث علي وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ إن الطفل ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا هي احتسنته وكلاهما ضعيف (٥) حديث إنه يأخذ بويه كما أنا الآن آخذ بوبك م من حديث أبي هريرة (٦) حديث إن الولود يقال له أدخل الجنة فيقف على باب الجنة فيقول عبطنا أي نمتك غيظا وغضا ويقول لأدخل إلا وأبويي معي الحديث حب في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح ون من حديث أبي هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال ادخلوا الجنة أتم وآباؤكم وإسناده جيد .

[١] وجد بهامش المراق بأحد النسخ القول عليها مانصه قلت : ولأن بعل بسند ضعيف ذروا الحسناء المقيم عليكم بالسوداء الولود فإن مكارم بكم الأمم رواه عبد الله وله من حديث أبي موسى إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن امرأة قد أعجبتني تلد أفأزوجه ؟ قال لا فأعرض عنها ثم تتبعها فقالت يا رسول الله قد أعجبتني هذه المرأة ونحرها أعجبتني لها وعمرها أفأزوجه ؟ قال لا امرأة سوداء ولود أحب إلي منها أما شررت أني مكارم بكم الأمم سند ضعيف .

عند حظه من الله مروا بحاله غير مأخوذ في طريق أعماله ماعدا القرصة والسالك الذي تدورك بالجذبة هو الذي كانت بدايته بالمجاهدة والسكينة والمعاملة بالإخلاص والوفاء بالشروط ثم أخرج من وهج السكينة إلى روح الحال فوجد العسل بعد العلقم وتروح بنجات الفضل ويرز من مضيق السكينة إلى منع السهولة وأونس بنجات القرب وفتح له باب من الشهادة فوجد دواءه وفاض وعازه وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت إليه القلوب وتوالى عليه فتوح التيب وصار ظاهره مسددا وباطنه مشاهدا وصلح للجلوة وصار له في جلوته خلوة فيقلب ولا يقلب ويغترس ولا يغترس يؤهل مثل هذه الشيخة لأنه أخذ في طريق

بأيدي آيهم فأدخلوه الجنة (١) . وقال صلى الله عليه وسلم « من مات له اثنان من الولد فقد احتضر بحظائر من النار (٢) » وقال ﷺ من مات له ثلاثة لم يلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إليم قيل بأمر رسول الله واثنان قال واثنان (٣) . وحكي أن بعض الصالحين كان يمرض عليه التزويج فيأتي برهة من دهره قال فاتتبه من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فسل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولما ويقضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الوقف وبني من العطش ما كاد أن يقطع عني وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب فتحن كذلك إذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أ كثر الناس لم يمدد يدي إلى أحد منهم وقتلوا حتى قد أجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد إنما نسقي آباءنا فقلت ومن أتم فقالوا نحن من مات من أطفال المسلمين وأحد للعاني الذكورة في قوله تعالى - فأنا حزنكم أني شتم وقدموا لأنفسكم - تقديم الأطفال إلى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا للولد . القائمة الثانية : التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر » وإليه الإشارة بقوله « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فليعب بالصوم فإن الصوم له وجاء » وأكثر ما شغلنا من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى وهذا المعنى دون الأول لأن الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله دافع لجمعه وصارف لشر مطونه وليس من يجب مولاة رغبة في تحصيل رضاه كمن يجب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل بالشهوة والولد مقدران بينهما ارتباط وليس يجوز أن يقال القصد القلة والولد لازم منها كإيثاره مثلاً لقضاء الحاجة من الأكل وليس مقصوداً في ذاته بل الولد هو القصد بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الإلهاء وهو ما في قضائها من اللذة التي لاتوازها لذة لودامت فهي منبهة على اللذات للعودة في الجنان إذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذوقاً لا ينفع فلو رغب النعين في لذة الجماع أو الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثاً على عبادة الله فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التمية الإلهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حيواناً حياة ظاهرة وحياتاً باطنة فالحياة الظاهرة حياة لزم يقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية فان هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فيستحث على العبادة

(١) حديث إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للعائكة انهوا بؤولاً إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بفرارى المسلمين ادخلوا لاحساب عليكم فيقولون أين آباؤنا وأمهاتنا الحديث بطوله لم أجده أصلاً يعتمد عليه (٢) حديث من مات له اثنان من الولد احتضر بحظائر من نار البزار والطبراني من حديث زهير بن أبي علقمة جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالت بأمر رسول الله إنه مات لي ابنان سوى هذا فقال لقد احتضرت من دون النار بحظائر شديد ولستم من حديث أبي هريرة في المرأة التي قالت دفنت ثلاثة لقد احتضرت بحظائر شديد من النار (٣) حديث من مات له ثلاثة لم يلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إليم قيل بأمر رسول الله واثنان قال واثنان من حديث أنس دون ذكر الاثنين وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ وهو متفق عليه من حديث أبي سعيد بلطف أيما امرأة بنحو منه .

الحبيين ومنع حالا من أحوال القربين بعد ما دخل من طريق أعمال الأبرار الصالحين ويكون له أنياع ينتقل منه إليهم علوم ويظهر بطريقه بركة ولكن قد يكون محبوساً في حاله محكما حاله فيه لا يطلق من وثاق الخلال ولا يبلغ كال التوال يقف عند حظه وهو حظ وافرسي والثين أوتوا السلم درجات ولكن القام الأكل في الشبيخة القسم الرابع وهو المجدوب للتدارك بالسلوك يادته الحق بالكشوف وأنوار اليقين وبرفع عن قلبه الحجب ويستتير بأنوار للشاهدة وينشرح وينفس قلبه ويتجاف عن دار الضرور ويبين إلى دار الخلود ويرتوي من بحر الخلال ويتخلص من الأغلال والأغلال ويقول معننا لا أعيد رباً لم أره ثم

الواصلة إليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر الواظبة على ما يوصله إلى نصيب الجنان ومامن ذرة من ذرات بدن الانسان باطنا وظاهرا ذرات بل ملكوت السموات والأرض إلا ونحتها من لطائف الحكمة ومخائباتها ما تحار العقول فيها ولكن إنما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها ويجدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغواثها فالتكاسح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لسكمن لا يؤتى عن عجز وعته وهم غالب الخلق فان الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اقتحام القواحش وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى - إلا تضلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير - وإن كان ملجأ بطعام التقوى فغايته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فيض البصر ويحفظ النرج فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لأزال النفس تجاذبه وتعدته بأمر الواقع ولا يفر عنه الشيطان للوسوس إليه في أكثر الأوقات وقد يرضى له ذلك في أثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من أمور الواقع ما لو صرح به بين يدي أحس الخلق لاستحيائه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق ورأس الأمور للريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والواظبة على الصوم لا تخطئ ماسة الوسوسة في حق أكثر الخلق إلا أن يضاف إليه ضعف في البدن وفساد في الزواج ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يمت نسك الناسك إلا بالتكاسح وهذه عنة عامة قل من يتخلص منها قال فتادة في معنى قوله تعالى - ولا تحملنا مالا طاقة لنا به - هو النلفة . وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا في معنى قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفا - إنه لا يصبر عن النساء وقال فياض بن نجيح إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبضهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما - ومن شرفاقي إذا وقب - قال قيام الذكر وهذه بلية غالبية إذا هاجت لا يقاومها عقل ولادين وهي مع أنها صالحة لأن تكون . بائنة على الحياتين كما سبق فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم وإليه أشار عليه السلام بقوله « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الألباب منكن » (١) وإنما ذلك لميجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم إني أعوذ بك من شر ممسى وبصرى وقلبي وشر مني » (٢) وقال « أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجى » (٣) فباستعذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لتبره وكان بعض الصالحين يكثر التكاسح حتى لا يكاد يغلو من التفتين وثلاث فأذكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقب بين يديه موثقاً بمعاملة غطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لورضيت في عمري كله بمنزل حاكمي في وقت واحد لما تزوجت لكن ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي إلا نغذته فأستريح وأرجع إلى شغلي ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي مصيبة وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوى الدين ما ترى تنكر منهم قال يأكلون مكثرا قال وأنت أيضا لو جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون قال يتكحون كثيرا قال وأنت أيضا لو حفظت عيبك وفرجك كما يحفظون لشكحت كما يتكحون . وكان الجنبه يقول يحتاج إلى الجماع كما يحتاج إلى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله

(١) حديث ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الألباب منكن م من حديث ابن عمر واتفقا عليه من حديث أبي سعيد ولم يسق م لفظه (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر ممسى وبصرى وشر مني تقدم في السموات (٣) حديث أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجى حق في الدعوات من حديث أم سلمة بإسناد فيه لين .

بصرى من باطله على
ظاهره وتجري عليه
صورة المجاهدة والعامة
من غير مكابدة وعناء
بل بلذائذ وهناء . ويصير
قلبه بصفة قلبه
لاستلام قلبه بحب
ربه ويلين جلده كما
لان قلبه وعلامة لين
جلده إجابة قلبه للعمل
كاجابة قلبه فيزيده
الله تعالى إرادة خاصة
وبرزقه محبة خاصة
من محبة المحبوبين
المرادين ينقطع فيواصل
ويرضى عنه فيواصل
يذهب عنه جلود
النفس ويصطلى
بحرارة الروح
وتتكشف عن قلبه
عروق النفس قال الله
تعالى - الله نزل أحسن
الحديث كتابا متشابها
مثاني تنشمر منه
جلود الدين ينشون
رهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله -
أخبر أن الجلود تلين
كما أن القلوب تلين
ولا يكون هذا إلا

صلى الله عليه وسلم كل من وقع نظره على امرأة فأنقذت إليها نفسه أن يجماع أهله ^(١) ، لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال صلى الله عليه وسلم : إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها ^(٢) وقال عليه السلام « لا تلتذخوا على القبيات وهي التي غاب زوجها عنها فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومنى ولكن الله أعانني عليه فأسلم ^(٣) » قال سفيان بن عيينة فأسلم معناه فأسلم أنا منه هذا معناه فإن الشيطان لا يسلم وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم أنه كان يخطر من الصدوم على الجماع قبل الأكل وربما جامع قبل أن يصلى القرب ثم يقتل ويصلى وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج غدة الشيطان منه وروى أنه جامع ثلاثاً من جواربه في شهر رمضان قبل العشاء الأخيرة وقال ابن عباس خبر هذه الأمة أكثرها نساء ^(٤) ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب كان استنكار الصالحين منهم للنكاح أشد ولأجل فراغ القلب أيسح نكاح الأمة عند خوف المستمع أن فيه إرقاق الولد وهو نوع إهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين وليس فيه إلا تنقيص الحياة على الولد مدة وفي اتحام الفاحشة تقويت الحياة الأخروية التي تستحق الأعمار الطويلة بالإضافة إلى يوم من أيامها وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقى شاب لم يرح فقال له ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس وأنا الآن أهابك وأجلك فقال ابن عباس إن العالم بمنزلة الوالد إذا كنت أفضيت به إلى أريك فأفرض إلى به فقال إني شاب لازوجك وربما خشيت العنت على نفسي فربما استحييت يدي فهل في ذلك مصيبة فأعرض عنه ابن عباس ثم قال أف وتفت نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا فهذا تنبيه على أن العزب القلم مردد بين ثلاثة شرور أدناها نكاح الأمة وفيه إرقاق الولد وأشد منه الاستمتاع بالبدن وألحش الزنا ولم يطلق ابن عباس الاباحة في شيء منه لأنها محذوران يفرغ إليهما حذران من الوقوع في محذور أشد منه كما يفرغ إلى تناول البتة حذران من هلاك النفس فليس ترجيح أهون الشرين بمعنى الاباحة للطهارة ولا في معنى الخبر المطلق وليس قطع البدن للتأكل من الحشرات وإن كان يؤذنه فيه عند إشراف النفس على الهلاك فاذن في النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لا يعم الكل بل الأكثر قريب شخص فترت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره فبعدم هذا الباعث في حقه وبقى ما سبق من أمر الولد فإن ذلك عام إلا للمسحوق وهو نادر ومن الطباع ما تقبل عليها الشهوة بحيث لا تحسن المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع فإن يسر الله مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن وإلا فيستحب له الاستبدال فقد نكح على رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ويقال

(١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فأنقذت نفسها إليها أن يجماع أهله أحمد بن حنبل في كشيبة الأعمام بن حنبل مررت به امرأة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال فكذلك فافعلوا فإنه من أمثال أقوامكم إتيان الحلال وإسناده جيد (٢) حديث جابر رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته الحديث مسلم والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح (٣) حديث لا تلتذخوا على القبيات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم الحديث ث من حديث جابر وقال غريب ومسلم من حديث عبد الله بن عمر ولا يدخل بعد يومى هذا على منية إلا ومعه رجل أو ثمان (٤) حديث ابن عباس خبر هذه الأمة أكثرها نساء معنى النبي صلى الله عليه وسلم رواه

حال المحبوب للسراد وقد ورد في الخبر أن إبليس سأل السيل إلى القلب قبيل له يحرم عليك ولكن السيل لك في مجارى الصروق للشبكة بالنفس إلى حد القلب فإذا دخلت العروق عرفت فيها من منق مجارها وامتزج عروق بماء الرحمة لترشح من جانب القلب في مجرى واحد ويصل بذلك سلطانك إلى القلب ومن جعلته نيباً أو ولياً فلتت تلك العروق من باطن قلبه فيصير القلب سليماً فإذا دخلت العروق لم تصل إلى الشبكة بالقلب فلا يصل إلى القلب سلطانك فالمحبوب للراد الذي أهل للشبهة سلم قلبه واتسرح صدره ولأن جلده صار قلبه بطبع الروح ونفسه بطبع القلب ولأن النفس بعد أن كانت أمارت بالسوء مستحبة

إن الحسن بن علي كان منكاحاً حتى نكح زيادة عن مائتي امرأة وكان ربما عقد على أربع في وقت واحد وربما طلق أربعاً في وقت واحد واستبدل بهن وقد قال عليه الصلاة والسلام « لا تحسب أشبه خلقي وخلقى » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « حسن مني وحسين مني » (٢) قيل إن كثرة نكاحه أحد ما أشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج الثيرة بن شعبة بثانين امرأة وكان في الصحابة من له الثلاث والأربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوماً فينبغي أن يكون العلاج بقدر الملة فالمراد تسكين النفس فلينظر إليه في الكثرة والقلة . الفائدة الثالثة : ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر واللإعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهي عن الحق غور لأنه على خلاف طبيعته فلو كانت الدائمة بالإكراه على ما غافلها جمحت وثابت وإذا روت بالذفات في بعض الأوقات قويت ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيد السكر وروح القلب وينبغي أن يكون للنفس التمتع استراحة بالمباحات ولذلك قال الله تعالى - ليسكن إليها - وقال له رضى الله عنه روحوا القلوب ساعة فأنها إذا كرهت جمحت وفي الخبر « على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يتجاسى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يغلو فيها بمطعمه ومشربه فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات » (٣) ومثله بلفظ آخر « لا يكون العاقل ظاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد وأمره لمعاش وأولدة في غير محرم » (٤) وقال عليه الصلاة والسلام « لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت قترته إلى سقى قد اهتدى » (٥) والشره الجدو المكابدة بحمة وقوة وذلك في ابتداء الإرادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان أبو الدرداء يقول « إنى استجبت نعى نبي من الله لأعقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ « شكوت إلى جبريل عليه السلام ضمني عن الوقوع فدلتني على الهريرة » (٦) وهذا إن صح لا يعمل له إلا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تحليه بدفع الشهوة فإنه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الأكر من هذا الأتس وقال عليه الصلاة والسلام « حب من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرعة عيني في الصلاة » (٧) فهذه أضافاً إلى ما ذكرناه من جرب إقبال نفسه في الأفكار والأذكار وصون الأعمال

(١) حديث أنه قال للحسن بن علي أشبهت خلقي وخلقى قلت المعروف أنه قال هذا اللفظ لجعفر بن أبي طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء ولكن الحسن أيضاً كان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما هو متفق عليه من حديث أبي جعفر والترمذي وصححه وابن حبان من حديث أنس لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن (٢) حديث حسن مني وحسين مني عن علي أحمد من حديث التميمي بن معديكر بن بسند جيد (٣) حديث على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة فيها يتجاسى ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يغلو فيها بمطعمه ومشربه حب من دنياكم حديث أبي ذر في حديث طويل أن ذلك في صحف إبراهيم (٤) حديث لا يكون العاقل ظاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مره لمعاش أو لقة في غير محرم حب من دنياكم حديث أبي ذر الطويل أن ذلك في صحف إبراهيم (٥) حديث لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت قترته إلى سقى قد اهتدى أحمد والطبراني من حديث عبدالله بن عمرو والترمذي نحو من هذا من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٦) حديث شكوت إلى جبريل ضمني عن الوقوع فدلتني على الهريرة عد من حديث حذيفة وابن عباس والقبلي من حديث معاذ وجابر بن عمرو وابن حبان في الضعفاء من حديث حذيفة والأزدي في الضعفاء من حديث أبي هريرة بطرق كلها ضيفة قال ابن عدى موضوع وقال القبلي باطل (٧) حديث حب إلى من دنياكم الطيب والنساء وقرعة عيني في الصلاة لمن حديث أنس بإسناد جيد وضعفه القبلي .

ولأن الجدولين الحسن ورد إلى صورة الأعمال بعد وجدان الحال ولا يزال روحه ينحذب إلى الحضرة الإلهية فيستريح الروح القلب وتستريح القلب النفس ويستريح النفس القلب فاسترجت الأعمال القلبية والقالية وانخرق الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر والقدرة إلى الحكمة والحكمة إلى القدرة والدنيا إلى الآخرة والآخرة إلى الدنيا وضح له أن يقوله لو كشف الغطاء ما زددت يقيناً فعند ذلك يطلق من وثاق الحال ويكون سيطراً على الحال لا الحسالة سيطراً عليه ويصير حراً من كل وجه والشيخ الأول الذي أخذ في طريق الهيين حر من رقي النفس ولكن ربما كان باقياً في رقي القلب وهذا

وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى إنها تطرد في حق الممسوح وعن لاشبهة إلا أن هذه الفائدة
تجمل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه التبة وقل من يقصد بالنكاح ذلك : وأما قصد الولد وقصد دفع
الشهوة وأمثالها فهو ما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى لقاء البلى والحضرة وأمثالها
ولا يحتاج إلى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاجهن فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص
فليتبناه له . القائمة الرابعة : تفرغ القلب عن تدير النزل والتكفل بشغل الطبع والكس والقرش
وتنظيف الأواني وتهيئة أسباب المعيشة فإن الإنسان لو لم يكن له مهنة أو لواقع لشغله العبيق في منزله
وحده إذ لو تكفل بجميع أشغال النزل لصاع كثر أوقاته ولم يفرغ قلبه والعمل فالمرأة الصالحة للصلحة
للمنزل عون على الدين بهذه الطريق واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنصحات
للعيش ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فاتها تفرغك لآخره
وإنما تفرغها بتدير النزل وبقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى - ربنا
آتانا في الدنيا حسنة - قال المرأة الصالحة وقال عليه الصلاة والسلام « ليتخذ أحدكم قلبا شاكرًا ولسانا
ذاكرًا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته ^(١) » فانظر كيف جمع بينها بين الذكر والشكر وفي بعض
التفاسير في قوله تعالى - فليحبه حياة طيبة - قال الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يقول ما أعطى العبد بعد الإيمان بالله خيرا من امرأة صالحة وإن من غنا لا يحصى منه ومنهم
غلا لا يندى منه وقوله لا يحصى أي لا ينضب عنه بعبادته وقال عليه الصلاة والسلام « فضلت على آدم
بخصلتين كانت زوجته عونًا له على الصبابة وأزواجه أعوان على الطاعة وكان شيطان كافرًا وشيطاني
مسلم لا يأمر إلا بخير ^(٢) » فمدعوته على الطاعة فضيلة منه أيضا من الفوائد التي يقصدها الصالحون
إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا تدعو إلى امرأتين بل الجمع ربما ينض
للمعيشة ويضطرب به أمور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشرتها وما يحصل من
القوة بسبب تداخل المشاعر فإن ذلك مما يحتاج إليه في دفع الشر وطلب السلامة وذلك قيل ذلك من
لناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فإن ذلك مشوش للقلب والعز
بالكثرة دافع لذلك . القائمة الخامسة : مجاهدة النفس ورأيتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق
الأهل والصبر على أخلاقهم واحتمال الأذى منهم والسمي في إصلاحهم وإرشادهم إلى طريق الدين
والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهم والقيام بربيته لأولاده فكل هذه أعمال عظيمة الفضل فاتها
رعاية ولاية والأهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وإنما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور
عن القيام بحقوقهم والاعتماد على الصلاة والسلام « يوم من والعدا لفضل من عبادة سبعين سنة ثم قل -
ألا كلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته ^(٣) » وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل

النسيخ في طريق
المحبوبين حر من رق
القلب كاهو حر من رق
النفس وذلك أن النفس
حجاب ظفاني أرضي
أعتق منه الأول
والقلب حجاب نوراني
مماوى أعتق منه
الآخر صار له لقلبه
ولموقعه لا لوقعه فبعد
الله حقا وآمن به صدقا
ويسجد لله سواده
وخيا له يؤمن به فؤاده
ويقر به لسانه كما قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض
سجوده ولا يخلف
عن العبودية منه شمرة
وتصير عبادته مشاكلة
لعبادة اللائكة - وفيه
يسجد من في السموات
والأرض طوعا وكرها
وظلالهم بالتدوير
والآمال ساقوا البهي
الظلال الساجدة لظلال
الأرواح القريبة في عالم
الشهادة الأصل كيف
والظل لطيف وفي عالم
الطيب الأصل لطيف
والظل كيف فيسجد

(١) حديث ليتخذ أحدكم قلبا شاكرًا ولسانا ذاكرًا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته ت وحسنه وه
واللفظ له من حديث وفيه انقطاع (٢) حديث فضلت على آدم صلى الله عليه وسلم بخصلتين كانت
زوجه عونًا له على الصبابة وأزواجه أعوان على الطاعة وكان شيطان كافرًا وشيطاني مسلم لا يأمر إلا
بخير رواه الخطيب في التاريخ من حديث ابن عمر وفيه محمد بن وليد بن أبي بكر بن القناس قال ابن عدي
كان يضع الحديث ولمسلم من حديث ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا
وبإياك يا رسول الله قل وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ولا يأمرني إلا بخير (٣) حديث يوم من وال
عادل أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قال ألا كلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته طيب وه في من
حديث ابن عباس وقد تقدم بلفظ ستين سنة دون مائة منه فإنه متفق عليه من حديث ابن عمر .

بإصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الأذى كمن ربه نفسه وأراحها فقامت الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر فضل عليّ أحمد بن حنبل بثلاث أحداها أنه يطلب الحلال لنفسه ولن يبرم وقد قال عليه الصلاة والسلام «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها إلى في امرأته» (١) وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل أعطاني الله نصيبا حتى ذكر الحجاج والجهاد وغيرها فقال له أين أنت من عمل الأبدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في القزو يملكون عملا أفضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال أنا أعلم قالوا فما هو قال رجل متنفذ ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياما متكئين فترهم وغطاهم بثوب فسهل أفضل مما نحن فيه وقال صلى الله عليه وسلم «من حسنت صلاته وكثر عياله وقل مالهم ولم ينتب السليمن كان معي في الجنة كهاتين» (٢) وفي حديث آخر «إن الله يحب الفقير المتنفذ أباء العيال» (٣) وفي الحديث «إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها عنه» (٤) وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا ألم بالعيال وفيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا ألم بطلب العيشة» (٥) وقال عليه السلام «من كان له ثلاث بنات فأنتق عليهن وأحسن إليهن حتى يرضين الله عنه أوجب الله له الجنة ألبنة ألبنة إلا أن يعمل عملا لا يفر له» (٦) كان ابن عباس إذا حدث بهذا قال والله هو من غرائب الحديث وغرره وروى أن بعض التبعدين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت فحضر عليه التزيج فامتنع وقال الوحدة أروح قلبي وأجمع لحمي ثم قال رأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء فتحت وكان رجالا ينزلون ويسرون في الهواء يتبع بعضهم مصافكا كما تنزل واحد فنظر إلى وقال لمن وراءه هذا هو المشوم فيقول الآخر نعم ويقول الثالث كذلك ويقول الرابع نعم فحسنت أن أسألهم هبة من ذلك إلى أن مر بي آخرهم وكان غلاما قلت له يا هذا من هذا المشوم الذي توشون إليه فقال أنت قتلت ولم ذاك قال كنت أرفع حملك في أعمال المجاهدين في سبيل الله فجمدته أمرا تأن تضع عملك مع الخالفين لما تدرى ما أحدثت فقال لإخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن فافارقه زوجتان أو ثلاث وفي أخبار الأنبياء عليهم السلام أن قوما دخلوا على بونى النبي عليه السلام فأضافهم فكان يدخل ويخرج إلى منزله فيخذه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فإن سألت الله تعالى وقلت ما أنت متعاب لي به في الآخرة فضج لي في الدنيا قال إن عقوبتك بنت فلان تزوج بها

(١) حديث ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في دفع اللقمة إلى في امرأته من حديث ابن مسعود إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحبسها كانت له صدقة ولها من حديث سعد بن أبي وقاص ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك (٢) حديث من حسنت صلاته وكثر عياله وقل مالهم ولم ينتب السليمن كان معي في الجنة كهاتين أبو يعقوب من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يحب الفقير المتنفذ أباء العيال من حديث عمران بن حصين بسند ضعيف (٤) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها أحمد من حديث عائشة إلا أنه قال بالحزن وفيه لبث بن أبي سليم مختلف فيه (٥) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا ألم بطلب العيشة الطبراني في الأوسط وأبو نعم في الحلية والخطيب في التلخيص للشمس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٦) حديث من كان له ثلاث بنات فأنتق عليهن وأحسن إليهن حتى يرضين الله عنه أوجب الله له الجنة ألبنة ألبنة إلا أن يعمل عملا لا يفر له الحرالط في مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس بسند ضعيف وهو عنده بلفظ آخر ولأن داود اللفظ له والترمذي من حديث أبي سعيد من قال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة ورحاله تمات وفي سننه اختلاف .

لطيف البعد وكشفه وليس هذا لمن أخذ في طريق المبین لأنه يستتبع صور الأعمال ويمثل بما أنیل من وجدان الحال وذلك تصور في العلم وقلة في الحظ ولو كثر العلم رأى ارتباط الأعمال بالأحوال كارتباط الروح بالجسد رأى أن لاغى عن الأعمال كالإغنى في عالم الشهادة عن القوالب فادامت القوالب باقية فالعمل باق ومن صح في القيام الذي وصفناه هو الشيخ لطلق والعارف الحقير المحبوب المتقى نظره دواء وكلامه شفاء بالله ينطق وبالله يسكت كما ورد ولا يزال العبد يتقرب إلى بالتواقل حتى أحبه فإذا أحبته كنت له سمعا وبصرا وبدا ومؤبدا ينطق وبني يصير الحديث فالشيخ يعطى بالله وينع بالله فلا رغبة له في عطاء ومنع لعين به

فزوجت بها وأنا صابر على ما رزق منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الضيق وتحسين الخلق فان للتفرد بنفسه أو الشارك لمن حسن خلقه لا ترشح منه خبايا النفس الباطنة ولا تتكشف باطن عيوبه فيحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه للتعرض لأمثال هذه الحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل أخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على الصيام مع أن الرياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذا أيضا من الفوائد ولكنه لا ينفع بها إلا أحد رجلين إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يمدن أن يرى هذا طريقا في المجاهدة وترتاض به نفسه وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة الفكر والقلب وإنما عمله عمل الجوارح بصلاة أو حج أو غيره فعلمه لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بترتيبهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا يتبدى غيرها إلى غير فاعلم الرجل الهذيل الأخلاق إما بكفاية في أصل الخلقة أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والكشفات فلا ينبغي أن يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو مكفي فيها وأما العبادة في العمل بالكسب لهم فالعلم أفضل من ذلك لأنه أيضا عمل وفائدة أكثر من ذلك وأعم وأشمل لاسر الخلق من فائدة الكسب على الصيام فهذا فوائد النكاح في البين التي بها يحكم بالفضيلة . أما آفات النكاح ثلاث الأولى وهي أقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل أحد لاسيما في هذه الأوقات مع اضطراب العايش فيكون النكاح سببا في التوسع لطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاكه وهلاك أهله والتعزب في أمن من ذلك وأما التزوج ففي الأكثر يدخل في مداخل سوء فيبيع هوى زوجته ويبيع آخرته بديناره وفي الخبر «إن العبد ليوقف عند البرزخ وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أمثله حتى يستغرق بذلك للطالبات كل أعماله فلا تبقى له حسنة فتدعى للالتصك هذا الذي أكل عياله حسنته في الدنيا وارتهن اليوم بأعماله وقال ابن أول ما يطلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربناخذنا بحسنته فانه ما علمنا ما تجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لانعلم فيقتص لم منه (١) » وقال بعض السلف إذا أراد الله بعبده شرا سلط عليه في الدنيا أنيابا تنشه بيني العيال وقال عليه الصلاة والسلام « لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله (٢) » فهذه آفة عامة قل من يتخلص منها لإلّا من له مال موروث أو مكتسب من حلال يقي به وبأهله وكان له من القناعة ما يمتعه من الزيادة فان ذلك يتخلص من هذه الآفة أو من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من اللباحات باحتطاب أو اصطياد أو كان في صناعة لا تتعلق بالسلطين وقد مر على أن يمايل به أهل الخبر ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم رحمه الله وقد سئل عن التزوج فقال هو أفضل في زمانها لمن أدركه شيق غالب مثل الحار يرى الأمان فلا يبتغي عنها بالضرب ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فركه أولى . الآفة الثانية: القصور عن القيام بمهمته والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن وهذه دون الأولى في الصوم فان القدرة على هذا أيسر من القدرة على الأولى وتحسين الخلق منع النساء والقيام بمحظوظهن أهون من طلب الحلال وفي هذا أيضا خطر لأنه راع ومسئول عن رعيته وقال عليه الصلاة والسلام « كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يول (٣) »

(١) حديث إن العبد ليوقف عند البرزخ وله من الحسنات أمثال الجبال ويسأل عن رعاية عياله والقيام بهن الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله ذكره صاحب القردوس من حديث أبي سعيد ولم يحده ولده أبو منصور في مسنده (٣) حديث كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يول دن يلفظ من يقوت وهو عند م يلفظ آخر .

هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده فيكون في الأعيان بمراد الله تعالى لا بمراد نفسه فان علم أن الله تعالى برحمته الدخول في سورة محمود دخل فيها لمراد الله تعالى لا لكون الصورة محمود بخلاف الخادم القائم بواجب خدمة عباد الله تعالى .

[الباب الحادي عشر في شرح حال الخادم ومن يشبهه به]
أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام وقال يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما الخادم يدخل في الخدمة راغبا في التواب وفيها أعد الله تعالى للعباد ويتصدى لإيصال الراحة ويخرج خاطر القلبين على الله تعالى عن مهام معاشهم ويغسل ما يغسله الله تعالى بنية صالحة فالشيخ واقف مع مراد الله تعالى والخادم واقف

وروى أن الحارث من عياله بمنزلة العبد الحارث الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم ومن يقصر عن القيام يحقن وإن كان حاضرا فهو بمنزلة حارث فقد قال تعالى - قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا - أمرنا أن نقيم النار كإنقي أنفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه وإذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف إلى نفسه نفس أخرى والنفس أماراة بالسوء إن كثرت كثرا الأمر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج وقال - أنا مبتلى بنفسى وكيف أضيف إليها نفسا أخرى كما قيل -

لن يسع القارة جحرها عقلت الكسكس في دبرها

وكذلك اعتذر إبراهيم بن آدم رحمه الله وقال لأعر امرأة بنفسى ولا حاجة لى فبين أى من القيام يحقن ونحسين وإمتاعهن - وأنا عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر وقال بمعنى من النكاح قوله تعالى - ولهن مثل الذى عليهن - وكان يقول لو كنت أعول دجاجة لحفت أن أمير جلادا على الجسر وروى سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رأيت ذاعيل أفلح وكان سفيان يقول :

يا حبذا العزبة والفتاح ومسكن تحرقه الرياح لا صنب فيه ولا صلب

فهذه آفة عامة أيضا وإن كانت دون عموم الأولى لا يسلم منها إلا حكيم عاقل حسن الأخلاق بصير بمادات النساء صبور على لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقن يتنافل عن زللهم ويدارى بقوله أخلاقهم والأغلب على الناس السفه والفظاظة والجدة والعلوش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فنادا من هذا الوجه لامحالة فالوحدة أسلم له . الآفة الثالثة : وهي دون الأولى والثانية أن يكون الأهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له إلى طلب الدنيا وحسن تدبير العيشة للأولاد بكثرة جمع المال وإدخالهم وطب التفاخر والتكاثريهم وكل ما يشغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشغوم على صاحبه ولست أعنى بهذا أن يدعو إلى محظور فإن ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية بل أن يدعو إلى التمتع المباح بل إلى الإغراق فى ملاعبة النساء ومؤانسةهن والامعان فى التمتع بهن ويشور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينقض الليل والنهار ولا يفرغ الزمان فيها للتفكير فى الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال إبراهيم بن آدم رحمه الله من تعود أخذ النساء لم ينج من شئ وقال أبو سليمان رحمه الله من تزوج فقد ركن إلى الدنيا أى يدعو ذلك إلى الركون إلى الدنيا فهذه بجميع الآفات والقوائد فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بجميع هذه الأمور بل تتخذ هذه القوائد والآفات معتبرا ومحكما ويعرض للريد عليه نفسه فإن اتفت فى حق الآفات واجتمعت القوائد بأن كان له مال حلال وخلق حسن وجدته فى الدين تام لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج إلى تدبير للزلزل والتحصن بالعشرة فلا يبارى فى أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعى فى تحصيل الولد فإن اتفت القوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له وإن تقابل الأمران وهو الغالب فيبنى أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك القائمة فى الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات فى نقصان منه فإذا غلب على الظن رجحان أحدهما حكم به وأظهر القوائد الولد وتسكين الشهوة وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاعتغال عن الله فلنفرض تقابل هذه الأمور فنقول من لم يكن فى أذية من الشهوة وكانت قائمة نكاحه فى السعى لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له أولى فلا خير فيها يشغل عن الله ولا خير فى كسب الحرام ولا يني بنقصان هذين الأمرين

مع نيته فالخادم ينقل
الشيء لله تعالى والشيخ
يفعل الذى لله تعالى فالشيخ
فى مقام القرين والخادم
فى مقام الأبرار فيختار
الخادم البذل والإيثار
والارتفاق من الأعيار
للأعيار ووظيفة وقته
تصديه لخدمة عباد الله
وفيه يعرف الفضل
وبرجحه على نوافله
وأعماله وقد بقي من
لا يعرف الخادم من
الشيخ الخادم مقام
الشيخ وربما جهل
الخادم أيضا حال نفسه
فيحب نفسه شبه لقله
العلم واندراست غلوم
القوم فى هذا الزمان
وقناعة كسبه من
الفقراء من الشايخ
بالقيمة دون العلم والحال
فكل من كان أكثر
إطعاما هو عندهم أحق
بالمشيخة ولا يفلون
أنه خادم وليس بشيخ
والخادم فى مقام حسن
وحظ صالح من الله
تعالى . وقدور ما يبدل
على فضل الخادم فيها

أمر الولد فان النكاح لاوله سمى في طلب حياة لولده موهومة وهذا قصصان في الدين ناجز حفظه
 لحياة نفسه وموطنها عن الهلاك أهم من السعى في الولد وذلك ربح والدين رأس مال وفي فساد الدين
 بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال ولا تقام هذه الفائدة إحدى هاتين الآتين وأما إذا
 انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس إلى النكاح نظر فإن لم يقو لجسم التقوى
 رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا أو يأكل الحرام والكسب
 الحرام أهون الشرين وإن كان يثق بنفسه أنه لا يزني ولكن لا يتقدم مع ذلك على غض البصر
 عن الحرام ترك النكاح أولى لأن النظر حرام والكسب من غير وجه حرام والكسب يقع دائماً
 وفيه عيبان وعيبان أهله والنظر يقع أحياناً وهو بخس وينصرف إلى قرب والنظر زنا العين ولكن
 إذا لم يصدق الفرج فهو إلى الضو أقرب من أكل الحرام إلا أن يخاف إفضاء النظر إلى مصيبة الفرج
 فيرجع ذلك إلى خوف العنت وإذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض البصر ولكن
 لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب إلى الضو أقرب وإنما
 يراد فراغ القلب للعبادة ولا يتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه فهكذا ينبغي أن توزن
 هذه الآفات بالفوائد ويحسبها ومن أحاط بهذا لم يشك عليه شيء مما قلنا عن السلف من
 ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه أخرى إذ ذلك بحسب الأحوال صحيح . فان قلت فمن أين
 الآفات لها الأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح ؟ فأقول يجمع بينهما لأن النكاح ليس مانعاً من
 التخلي لعبادة الله من حيث إنه عقد ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب فان قدر على الكسب
 الحلال فالنكاح أيضاً أفضل لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة والواجبة على
 العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرقاً للأوقات بالكسب حتى لا يتيق له وقت
 سوى أوقات السكونية والنوم والأكل وفضاء الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة
 إلا بالصلاة النافلة أو الحج وما يجري مجراه من الأعمال البدنية فالنكاح له أفضل لأن في كسب الحلال
 والقيام بالأهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على أخلاق النساء أنواعاً من العبادات لا يتقصّر فضلها
 عن نوافل العبادات وإن كان عبادة بالمع والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك
 النكاح أفضل . فان قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وإن كان الأفضل التخلي
 لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأزواج . فأقول أن الأفضل الجمع بينهما في حق
 من قدر ومن قوت منه وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا عليه السلام أخذ بالقوة
 وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة ^(١) متخلياً لعبادة الله وكان قضاء
 الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعاً لهم
 عن التدبير حتى يشتغلوا في الظاهر بقضاء الحاجة وقوتهم مشغوفة بهمهم غير خافعة عن مهماتهم
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاً درجته لاتباعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى
 فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ^(٢) ومتى سلم مثل هذا التصب لقبه فلا يبعد أن
 يثير السواقي بالأمير البحر الحظم فلا ينبغي أن يقاس عليه غيره . وأما عيسى صلى الله عليه وسلم
 فإنه أخذ بالحزم والقوة واحتاط لنفسه ولعل حاله كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل أو يتعذر
 حديث جمعه صلى الله عليه وسلم بين تسع نسوة مع من حديث أنس وله من حديثه أيضاً
 وهن إحدى عشرة ^(٣) حديث كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته مع من حديث أنس
 بأنهم سلمة لاتودى في عائته فانه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها .

أخبرنا الشيخ أبو زرعة
 ابن الحافظ أبي الفضل
 محمد بن طاهر القدسي
 عن أبيه قال أنا
 أبو الفضل محمد بن
 عبد الله القرني قال
 حدثنا أبو الحسن محمد
 ابن الحسين بن داود
 العلوي قال حدثنا
 أبو حامد الحافظ قال
 حدثنا عباس بن محمد
 الدوري وأبو الأزهر
 قلاهدن أبو داود قال
 ثنا سفيان عن
 الأوزعي عن يحيى بن
 أبي كثير عن أبي سلمة
 عن أبي هريرة أن النبي
 صلى الله عليه وسلم أتى
 بطعام وهو بمراً
 الظهران فقال لأبي بكر
 وعمر كلا فقالا إنا
 صائمان فقال ارحلا
 لصاحبيكما اعملا
 لصاحبيكما ادنوا فكل
 يعني أنكما ضعفتما
 بالصوم عن الخدمة
 فاحتجنا إلى من
 يخدمكما فكلوا وادعما
 أنفسكما فالخادم محرم
 على حيازة الفضل

مما طلب الحلال أولاً يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعادة فآثر التخلي للعادة وم أعلّم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم في طيب للكسب وأخلاق النساء وما على النكاح من غوائل النكاح وماله فيه ، ومهما كانت الأحوال متقسمة حتى يكون النكاح في بعضها أفضل وتركه في بعضها أفضل فحقنا أن نزل أفعال الأنبياء على الأفضل في كل حال والله أعلم .

(الباب الثاني في أبرامى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد)

أما العقد فأركانه وشروطه لينعقد ويفد الحل أربعة : الأول إذن الولي فإن لم يكن فالسلطان . الثاني رضا المرأة إن كانت نيباً بالغا أوكانت بكرًا بالغا ولكن زوجها غير الأب والجد . الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة فإن كانا مستورين حكماً بالانقياد للحاجة . الرابع إيجاب وقبول متصل به بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناها الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج أو الولي أو كليهما . وأما آداب تقديم الخطبة مع الولي لا في حال عدة المرأة بل بعد انقضائها إن كانت متعدة ولا في حال سبق غيره بالخطبة إذ نهى عن الخطبة على الخطبة ^(١) ومن آداب الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالإيجاب والقبول فيقول للزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة ويقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوماً خفياً والتحميد قبل الخطبة أيضاً مستحب . ومن آدابه : أن يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة وإن كانت بكرًا فذلك أخرى وأولى بالألفة ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فانه أخرى أن يؤدم بينهما . ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ، ومنها أن ينوي بالنكاح إقامة السنة وغض البصر وطيب الوله وسائر القوائد التي ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من أعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه الثبات قرب حتى يوافق الهوى قال عمر بن العزيز رحمه الله إذا وافق الحق الهوى فهو الزهد بالفرسان ولا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثاً معاً ويستحب أن يعقد في السجد وفي شهر شوال قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال ويبنى في شوال ^(٢) . وأما النكوحة فيعتبر فيها نوعان : أحدهما للحل . والثاني لطيب العيشة وحصول القاصد . النوع الأول ما يعتبر فيه الحل : وهو أن تكون خالية عن موانع النكاح واللوانع تسعة عشر : الأول أن تكون متكوحة للغير . الثاني أن تكون متعدة للغير سواء كانت عدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة أوكانت في استبراء وطء عن ملك بين . الثالث أن تكون مرتدة عن الدين لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر . الرابع أن تكون مجوسية . الخامس أن تكون وثنية أو زنديقة لا تنسب إلى نبي وكتاب ومنهين للتعبدات لمذهب الإباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتدة مذهباً فاسداً يحكم بكفر معتقده . السادس أن تكون كناية قد دانت بدينهم بعد التبديل أو بعد مبث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بنى إسرائيل فإذا عدت كلتا الحصلتين لم يحل نكاحها وإن عدت النسب فقط فقه خلاف . السابع أن تكون رقيقة والتناكح حراً قادراً على طول الحرة أو غير خائف من العت . الثامن أن تكون كلها أو بعضها مملوكاً للتناكح ملك بين . التاسع أن تكون فريسة للزوج

(الباب الثاني في أبرامى حالة العقد)

(١) حديث الثبي عن الخطبة على الخطبة تنفق عليه من حديث ابن عمر ولا يغلب على خطبة أخيه حتى يترك الحاطب قبله وأبذله (٢) حديث عائشة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال ويبنى في شوال م .

فيتوصل بالكسب تارة وبلاسترقاق والدروزة تارة أخرى وباستجلاب الوقف إلى نفسه تارة لعله أنه قيم بذلك صالح لإيصاله إلى للوقوف عليهم ولا يبالى أن يدخل في كل مدخل لا يذمه الشرع لحيازة الفضل بالحكمة وبرى الشيخ نفوذ البصرة وقوة العلم أن الاتفاق يحتاج إلى علم تام ومماناة تخليص النية عن شوائب النفس والشهوة الخفية ولو خلاصت تشتمارغب في ذلك لوجود مراده فيه وحاله ترك الراد وإقامة مراد الحق . أخبرنا أبو زرعة إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف إجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن الحسين بن الحشاش يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجليد يقول سمعت

بأن تكون من أصوله أو أصوله أول أصوله أو من أصله أو من أصله بعد أصله وأغنى
 لأصول الأمهات والجندات وبصوله الأولاد والأحفاد وبصول أول أصوله الإخوة وأولادهم
 وبأول فصل من كل أصل بعده أصل المعات والحالات دون أولادهم . العاشر : أن تكون محرمة
 بالزناح ويحرم من الزناح ما يحرم من النسب من الأصول والفصول كالمصبي ولكن المحرم خمس
 رضعات وما دون ذلك لا يحرم . الحادي عشر : المحرم بالصاهرة وهو أن يكون النكح قد نكح
 ابنتها أو جدتها أو ملك بعتد أو شبهة عقد [١] من قبل أو وطئن بالشبهة في عقد أو وطئ أمها
 أو إحدى جداتها بعتد أو شبهة عقد فجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ولا يحرم فروعها إلا بالوطء
 أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل . الثاني عشر : أن تكون للمكحوبة خامسة أي يكون تحت
 النكح أربع سواها إما في نفس النكاح أو في عدة الرجعة فإن كانت في عدة ينوت في تمتع الخامسة .
 الثالث عشر : أن يكون تحت النكح أختها أو عمتها أو خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل
 شخصين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يحز بينهما النكاح فلا يجوز أن يجمع
 بينهما . الرابع عشر : أن يكون هذا النكح قد طلقها ثلاثا فهي لا تحل له مالم يطأها زوج
 غيره في نكاح صحيح . الخامس عشر : أن يكون النكح قد لاعنها فانها تحرم عليه أبدا بعد
 الطعان . السادس عشر : أن تكون محرمة بمحض أو محرمة أو كان الزوج كذلك فلا ينقد النكاح
 إلا بعد تمام التحلل . السابع عشر : أن تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ .
 الثامن عشر : أن تكون بتيمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ : التاسع عشر : أن تكون من
 أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفي عنها أو دخل بها فآمن أمهات المؤمنين وذلك لا يوجد
 في زماننا فهذه هي أنواع المحرمة . أما الحصول الطيبة للعيش التي لابد من مراعاتها في المرأة ليديم العقد
 وتكون مقاصده ثمانية : الدين والحلق والحسن وخفة الهر والولادة والبركة والنسب وأن لا تكون
 فراقية . الأولى أن تكون صالحة ذات دين فهذا هو الأصل وبه ينبغي أن يقع الاعتناء فانها إن
 كانت ضيفة الدين في صيانة نفسها وفوجها أذرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة
 قلبه وتنقص بذلك عيشه فإن سلك سبيل الحية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وإن سلك سبيل التساهل
 كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحية والأثمة وإذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها
 أشد إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالكلى جاء إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إن لي امرأة لا ترد يد لأمس قال طلقها فقال إني أحبها قال
 أمسكها (١) وإنما أمره بما سألها خوفا عليه بأنه إذا طلقها أتبعها نفسه وفسد هو أيضا معها
 فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك
 ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فإن سكت ولم ينكره كان شريكا في العصية مخالفا
 لقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - وإن أنكره وخاصم تنقص العمر ولهذا بالغ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في التحريض على ذات الدين فقال لا تنكح المرأة لما لها وجمالها وحسبها
 (١) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لي امرأة لا ترد يد لأمس قال طلقها
 الحديث د ن من حديث ابن عباس قال ن ليس بثابت والمرسل أولى بالصواب وقال أحمد حديث
 منكرو وذكره ابن الجوزي في الموضوعات .

السرى يقول أعرف
 طريقا مختصرا قصدا
 إلى الجنة قلت له ما هو
 قال لا تسأل من أحد
 شيئا ولا تأخذ من أحد
 شيئا ولا يكن معك
 شيء تعطى منه أحدا
 شيئا والحامد يرى أن
 من طريق الجنة
 الخدمة والذل والإشارة
 فيقدم الخدمة على
 النواقل ويرى فضلها
 وللخدمة فضل على
 النافلة التي يأتي بها
 البعد طالبا لها الثواب
 غير النافلة التي يتوخى
 بها صحة حاله مع الله
 تعالى لوجود فقد
 قبل وعد . ومما يدل
 على فضل الخدمة على
 النافلة ما أخبرنا
 أبو زرعة قال أخبرني
 والدي الحافظ القدسي
 قال أنا أبو بكر محمد بن
 أحمد السمسار
 بأصفهان قال أنا
 إبراهيم بن عبد الله
 ابن خريشيد قال
 حدثنا الحسين بن
 إسحاق المحاسبي قال

[١] قوله أو ملك بعتد أو شبهة عقد ليس بنسخة الشارح وهو الصواب لأن الملك ليس من
 المحرمات اهـ .

ودينها فليكن بذات الدين تربت يداك^(١) وفي حديث آخر «من نكح المرأة لماله وجمالها حرم جمالها وماله ومن نكحها لمدينها رزقه الله ماله وجمالها^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يردبها ولا لماله فليلها يبعثها وانكح المرأة لمدينها^(٣)» وإنما بالغ في الحديث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عوناً على الدين فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له . الثانية حسن الخلق وذلك أصل مهم في طلب القرابة والاستمئنة على الدين فاتها إذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة لقيم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء محايضين به الأولياء قال بعض العرب : لا تنكحوا من النساء سنة لأننا نقول لمانته ولا خيانة ولا تنكحوا أحداً نقول لبراقه ولا شدة رافة . أما الأمانة فهي التي تكرار الأئين والتشكي وتصبر رأسها كل ساعة فنكاح للرامة أو نكاح للرامة لا خريفه ، والثالثة التي نحن على زوجها نقول فسلنا لأجل كذا وكذا ، والحلانة التي نحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر وهذا أيضاً مما يجب اجتنابه ، والحداقة التي ترى إلى كل شيء بحقدنا فنشبهه ونكلف الزوج شراره ؛ والبراقة تحتمل معنيين أحدهما أن تكون طول النهار في استقبال وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالنسج والثاني أن تنضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه لمة غيابة يقولون برقت المرأة وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنده ، والشداقة للتشدة الكثرة الكلام ومنه قوله عليه السلام « إن الله تعالى يفيض الترائين للتشدين^(٤) » وحكى أن السامع الأزدي لقي إلياس عليه السلام في سياحته فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح أربعا المختلة وللبارية والماهرة والثاثر ، فأما المختلة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب ، وللبارية الباهية بغيرها للفاخرة بأسباب الدنيا ، والماهرة الفاسقة التي تعرف غلبيل وخذل وهي التي قال الله تعالى « ولا متخذات أخدان » - والناظر التي تملى على زوجها بالفعال والقتال والنشر العالي من الأرض ، وكان على رضى افقده يقول : شرخص الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة إذا كانت بحيلة حفظت ماله وما زوجها وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تنكح كل أحد بكلام لبن مرعب وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واهتت مواضع التهمة خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة في النكاح . الثالثة حسن الوجه فذلك أيضاً مطلوب إذ به يحصل التحسن والطبع لا يكتفى بالدسمة غالباً كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يغترقان وما قلناه من الحديث وأن المرأة لا تنكح لجمالها ليس زاجراً عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الأمر يرغب في النكاح وهيون أمر الدين ويدل على الالتفات إلى

(١) حديث تنكح المرأة لماله وجمالها وحسبها ودينها فليكن بذات الدين متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث من نكح المرأة لماله وجمالها حرم ماله وجمالها الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلاً ومن تزوجها لماله لم يزد الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يردبها إلا أن يفض بصره ويحسن فرجه أو يصل رحمه بآرك الله فيها وبارك لحسبه ورواه حب في الضعفاء (٣) حديث لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يردبها . من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث إن الله يفيض الترائين للتشدين وحسنه من حديث جابر وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني يوم القيامة الترائون والتشددون ، ولأبي داود والترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو إن الله يفيض البليغ من الرجال الذي يتخلل لسانه تخلل الباقرة لسانها .

تنا أبو السائب قال
تنا أبو معاوية قال
تنا عاصم عن مورك
عن أنس قال كنا مع
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبنا الصائم
ومنا للفطر فنزلنا منزلاً
في يوم حار شديد
الحر فبنا من يتقى
الشمس يسده
وأكثرنا غلاماً صاحب
الكساء يستظل به
فبنا الصائمون وقام
الفطرون ففصروا
الأبنية وسقوا الركاب
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « ذهب
الفطرون اليوم بالأجر »
وهذا حديث يدل على
فضل الخدمة على النافلة
والخادم له مقام عزيز
يرغب فيه فأما من
لم يعرف تخليص النية
من شوائب النفس
ويتشبه بالخادم
ويتصدى لخدمة
الفقراء ويدخل في
مداخل الخدام بحسن
الارادة يطلب التأسي
بالخدام فتصكون

معنى الجمال أن الألف واللوثة تحصل به غالبا وقد ندب التبرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر فقال « إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فليُنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما ^(١) » أي يؤلف بينهما من وقوع الألفة على الألفة وهي الجملة الباطنة والشرة الجملة الظاهرة وإنما ذكر ذلك للباينة في الائتلاف وقال عليه الصلاة والسلام « إنني أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فليُنظر إليهن ^(٢) » قبل كان في أعينهن عشم وقيل صفر وكان بسنن الوريث لا يتكلمون كراهمهم لإبعد النظر احترازا من التروير وقال الأعمش كل تزويج يقع على غير نظر فأخذه هم وغم ومعلوم أن النظر لا يعرف الحلق والدين والمال وإنما يعرف الجمال من الصبح وروى أن رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فحصل خضابه فاستدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا حسبنا غابا فأوجه عمر ضربه وقال غررت القوم وروى أن بلالا وصيبا أتيا أهل بيت من العرب غلبا إليهم قبيل لهما من أشيا فقال بلال أنا بلال وهذا أخى صبيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فأعفانا الله وكنا عاتلين فأغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وإن تردونا فبجان الله قالوا بل تزوجنا والحمد لله فقال صبيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسواها مع رسول الله ﷺ فقال اسكت قد صدقت فأنسحك الصدق ، والفروير يقع في الجمال والحلق جميعا فيستحب إزالة الفروير في الجمال بالنظر وفي الحلق بالوصف والاستيفاف فينبغي أن يخدم ذلك على التكاح ولا يوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل إليها فيفرط في التناء ولا يحسدها فيقصّر لطباع مائلة في مبادئ التكاح ووصف التكوحات إلى الإفراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد بل الحذف والاعراض أغلب والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته . فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدبير المنزل فهو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب لأنه على الجملة ياب من الدنيا وإن كان قد بين على الدين في حق بسن الأشخاص قال أبو سليمان الداراني الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوج الرجل المجبور إشارة للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول ترك أحدكم أن يتزوج ببيعة فيؤجر فيها إن أطعمها وكساهما تكون خفيفة للؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يتي أبناء الدنيا فتشتي عليه الشهوات وتوهلوا كسنى كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عورا على أختها وكانت أختها جميلة فسأل من أعقلمها قبيل الموراء فقال زوجوني بإياها فهذا دأب من إقصد التمتع ، فأما من لا يأمن على دينه مالم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين . وقد قيل إذا كانت المرأة حسنة خيرة الأخلاق سوداء الحدة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون حجة لزوجها قصيرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فإن الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة ^(٣) وقوله - خيرات حسان - أراد بالخيرات حسنات الأخلاق وفي قوله - قاصرات الطرف - وفي قوله - عربا أربابا - العروب هي العاشقة لزوجها المشبهة للواقع به ثم اللذة والحور البياض والحوراء شديدة البياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والديان الواسعة العين . وقال عليه الصلاة والسلام « خير نسائك من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب

(١) حديث إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فليُنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما ابن ماجه بسند ضعيف من حديث أحمد بن مسلة دون قوله فإنه أحرى وللترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث الثوري بن شعبة أنه خطب امرأة قال النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما (٢) حديث إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فليُنظر إليهن مسلم من حديث أبي هريرة نحوه .

خدمته مشوبة منها ما يصيب فيها لموضع إيمانه وحسن إرادته في خدمة القوم ومنها ما لا يصيب فيها لما فيه من مزج الهوى فيضغ الشيء في غير موضعه وقد يخدم جهواه في بسن تصاريفه ويخدم من لا يستحق الخدمة في بسن أوقاته ويجب المصلحة والتناء من الخلق مع ما يجب من التوابورسا الله تعالى وربما خدم التناء وربما امتنع من الخدمة لوجود هوى يغامر في حق من يلقاه بكمروه ولا يراعى واجب الخدمة في طرف الرضا والنضب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى والحامد لا يتبع الهوى في الخدمة في الرضا والنضب ولا يأخذ في الله لومة لائم ويضع الشيء موضعه فلئن الشخص الذي وصفناه آثما متخادم وليس بخادم ولا يميز بين

عنها حفظته في نفسها وماله^(١) » وإنما يسر بالنظر إليها إذا كانت محبة للزوج . الرابعة أن تكون خفيفة الهر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا^(٢) » وقد نهى عن الغلالة في الهر^(٣) تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يد وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف^(٤) ، وأولم على بعض نسائه بدين من شعر^(٥) وعلى أخرى بدين من تمر ومدين من سويق^(٦) ، وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن الغلالة في الصداق ويقول ماتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم^(٧) ولو كانت الغلالة بمهور النساء مكربة لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم^(٨) وزوج سعيد بن السبب ابنته من أبي هريرة رضى الله عنه على درهين ثم حملها هو إليه ليلا فأدخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به وفي الخبر « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها » أى الولادة « ويسر مهرها^(٩) » وقال أيضا « أبركهن أقلهن مهرا^(١٠) » وكما تكرر الغلالة في المهر من جهة المرأة

(١) حديث خير نساكم التي إذا نظر إليها زوجها سرته وإن أسرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله للنسائي من حديث أبي هريرة نحوه بسند صحيح وقال ولا تغالقه في نفسها ولا مالها وعند أحمد في نفسها وماله ولأبي داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٢) حديث خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا ابن حبان من حديث ابن عباس خيرهن أسرهن صداقا وله من حديث عائشة من عن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها وروى أبو عمر التوفاني في كتاب معاشرته الأهلين إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وصححه (٣) حديث النبي عن الغلالة في الهر أصحاب السنن الأربعة موقوف على عمر وصححه الترمذى (٤) حديث تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يد وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف أبو داود الطيالسي والبخاري من حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم قال البخاري وأرأيت في موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورعى قيمته أربعون درهما ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد وكلامها ضعيف ولأحمد من حديث علي لما تزوجه فاطمة بنت معياذ غيلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحلين وسقاء وجرتين ورواه الحاكم وصححه إسناده وابن حبان غصصا (٥) حديث أولم على بعض نسائه بدين من شعر البخاري من حديث عائشة (٦) حديث وأولم على أخرى بدين تمر ومدى سويق الأربعة من حديث أنس أولم على صفية بسويق وتمر وسلم فعمل الرجل بغيره بفضل التمر وبفضل السويق وفي الصحيحين التمر والأظف والسمن وليس في شيء من الأصول تفيد التمر والسويق بدين (٧) حديث كان عمر ينهى عن الغلالة ويقول ماتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم الأربعة من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح (٨) حديث تزوج بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم متفق عليه من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتقويتها بخمسة دراهم رواه البيهقي (٩) حديث من بركة للمرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها أى الولادة وتيسر مهرها أحمد والبيهقي من حديث عائشة من عن المرأة أن تيسر خطبتها وأن يتيسر صداقها وأن يتيسر رحمها قال عروة يعني الولادة وإسناده جيد (١٠) حديث أبركهن أقلهن مهرا أبو عمر التوفاني في معاشرته الأهلين من حديث عائشة إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وقد تقدم ولأحمد والبيهقي أن أعظم النساء بركة أسرهن

الحاد والمستخدم إلا من له علم بصحة الثبات وتخليصها من شوائب الحسنى والمستخدم النجيب يبلغ ثواب الحاد في كثير من تصاريفه ولا يبلغ رتبته لتخليقه عن حاله بوجود مزج هواه وأما من أقام لخدمة الفقراء بتسليم وقف إليه أو توفير رفق عليه وهو يخدم لئال بفساده أو حظ عاجل بتركه فهو في الخدمة نفسه لالتزم فلا يقطع رقبته ما خدم وربما استخدم من يخدم فهو مع حظ نفسه يخدم من يخدمه ويحتاج إليه في الحافل يشكره ويقدمه به جاء نفسه بكثره الاتباع والأشباع فهو خادم هواه وطالب دنياه يحرص نهاده وليله في تحصيل ما يقم به جاهه ورضى نفسه وأهله وولده فيقتنع في الدنيا ويتزنا بغير زنى الحاد والفقراء وتنتشر نفسه

فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل ولا ينبغي أن يسكن طمعا في المال قال الثوري إذا تزوج وقال أي شيء المرأة فاعلم أنه لمس وإذا أهدى إليهم فلا ينبغي أن يهدي ليضطرهم إلى القابلة بأكثر منه وكذلك إذا أهدوا إليه فية طلب الزيادة نية فاسدة فأما التهادي فمستحب وهو سبب للمودة قال عليه السلام « تهادوا تحابوا » (١) وأما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى - ولا تهنن تسكتن - أي تطمئ لتطلب أكثر وتحت قوله تعالى - وما آتين من ربك ليربو في أموال الناس - فإن الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وإن لم يكن في الأموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار وبفسد مقاصد النكاح . الحاشية أن تكون المرأة ولودا فإن عرفت بالمعقر فليحتج عن تزوجها قال عليه السلام « عليكم بالولود الودود » (٢) فإن لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فإيرأى محنها وشبابها فإنها تكون ولودا في انساب مع هذين الوصفين . السادسة أن تكون بكرًا قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا « هلا بكراتلاعها وتلاعك » (٣) وفي البكرات ثلاث فوائد إحداها أن تحب الزوج وتأنله فيؤثر في معنى الود وقد قال عليه السلام « عليكم بالودود » والطابع محبوبه على الأنس بأول ما لوف . وأما التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فرمما لاترضى ببعض الأوصاف التي تخالف ما ألقته فتقتل الزوج . الثانية أن ذلك أكمل في مودته لها فإن الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج فغرة ما وذلك يقتل على الطبع مهما يذكر وبعض الطابع في هذا أشد تقورا . الثالثة أنها لا تهنن في الزوج الأول وأكدا الحلب ما يقع مع الحبيب الأول غالبا : السابعة أن تكون نسية أعنى أن تكون من أهل بيت الدين والصالح فإنها تستري بناتها وينبأ فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن للتأديب والتربية وذلك قال عليه السلام « إياكم وخضراء الدين قليل ما خضراء الدين قال المرأة الحسنة في الثبت السوء » (٤) وقال عليه السلام « تخبروا لنطقكم فإن العرق نزاع » (٥) . الثامنة أن لا تكون من القرابة القريبة فإن ذلك يقلل الشهوة قال صلى الله عليه وسلم « لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يعلق مناوبا » (٦) أي يخيف ذلك لتأثيره في تضعيف الشهوة فإن الشهوة إنما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس وإما بقوى الاحساس بالأمر الغريب الجديد فأما للمهود الذي دام النظر إليه مدة فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه وتأثير به ولا تنبعث به الشهوة فهذه هي الحاصل الرغبة في النساء ويجب على الولي أيضا أن يرأى خصال الزوج ولينظر لسكينة فلا يزوجه ممن ساء خلقه أو خلقه أو ضعف دينه أو قصر عن القيام بحقوقها أو كان لا يكافئها

صدقا وإسناده جيد (١) حديث تهادوا تحابوا البخاري في كتاب الأدب الفرد واليه في من حديث أبي هريرة بسند جيد (٢) حديث عليكم بالودود الودود أبو داود والنسائي من حديث مقتل بن يسار تزوجوا الودود الودود وإسناده صحيح (٣) حديث قال لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكراتلاعها وتلاعك متفق عليه من حديث جابر (٤) حديث إياكم خضراء الدين قليل وما خضراء الدين قال المرأة الحسنة في الثبت السوء الدارقطني في الأفراد والزاهر مزي في الأمثال من حديث أبي سعيد الخدري قال الدارقطني تفرد به الواقدي وهو ضعيف (٥) حديث تخبروا لنطقكم فإن العرق حساس ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا دون قوله فإن العرق وروى أبو مصور الدارقطني في مسند الفردوس من حديث أنس تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق حساس وروى أبو موسى ثدي في كتاب تضعيف العمر والأيام من حديث ابن عمر وانظر في أي نصاب تضع ولعلك فإن العرق حساس وكلاهما ضعيف . (٦) حديث لا تنكحوا القرابة فإن الولد يعلق مناوبا قال ابن الصلاح لم أجده أصلا مستندا . قلت إنما يعرف من قول عمر إنه قال لآل السائب قد أنجبت فأنكحوا في الواضع رواه إبراهيم الحارثي في غرب الحديث وقال معناه تزوجوا الغراب قال ويقال اغربوا ولا تضوا .

بطلب المخطوط ويستولى عليه حب الرئاسة وكلما كثر رقه كثرت مواد هواه واستطال على القراء ويحوج الفقراء إلى التخلق بالفرط له طلبا لرئائه وتوقيا لضميه وميله عليهم يقطع ما ينوبهم من الوقف فهذا أحسن حاله أن يسمى مستخدما فليس بخادم ولا متخادما ومع ذلك كله ربما نال برحمتهم باختياره خدمتهم على خدمة غيرهم وبإتائه إليهم وقد أوردنا الخبر للسند الذي في صياقه هم القوم الذي لا يشقى بهم جليسهم « والله الوفق وللمين .

[الباب الثاني عشر في شرح خرقه الشايع الصوفية] ليس الخرقه ارتباط بين الشيخ وبين الريد وتحكيم من الريد للشيخ في نفسه والتحكيم سائح في الشرع لمصالح دنيوية

في نسبا قال عليه السلام « النكاح رقي فلينظر أحدكم أين يضع كركبته ^(١) » والاحتياط في حقها أهم لأنها رقيقة بالنكاح لا غمض لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظانها أو فاسقا أو مبتدعا أو شاربا خرقه حتى يتي دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجه؟ قال بمن يتق الله فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها وقال عليه السلام « من زوج كركبته من فاسق فقد قطع رحمها ^(٢) » .

الباب الثالث : في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة .

أما : الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب في اثني عشر أمرا في الوليعة والمعاشرة والدعابة والسباسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب في الفشوز والوقاع والولادة والفاقرة بالطلاق . الأدب الأول الوليعة وهي مستحبة قال أنس رضي الله عنه « رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر حفرة فقال ما هذا فقال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أو لم ولو بشاة ^(٣) » وأول رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق ^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث مائة ومن مع مع الله به ^(٥) » ولم يرفعه إلا يزيد ابن عبد الله وهو غريب وتستحب تهنته فيقول من دخل على الزوج : بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير ^(٦) وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك ويستحب إظهار النكاح قال عليه السلام « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت ^(٧) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف ^(٨) » وعن الربيع بنت معوذ قالت « جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بني في مجلس على فراشي وجوريات لنا يضربن بدفون ويندن من قتل من آتاني إلى أن قالت إحداهن * وفيما نبي يعلم ما في غد * فقال لما استكني عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها ^(٩) » . الأدب الثاني : حسن الخلق معهن

(١) حديث النكاح رقي فلينظر أحدكم أين يضع كركبته رواه أبو عمر التوفاني في معاشرة الأهلين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر . قال البيهقي وروى ذلك مرفوعا وللوقوف أصح (٢) حديث من زوج كركبته من فاسق فقد قطع رحمها ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه في الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح .

(الباب الثالث في آداب المعاشرة)

(٣) حديث أنس رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر حفرة فقال ما هذا قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أو لم ولو بشاة متفق عليه (٤) حديث أولم على صفية بسويق وتمر الأربعة من حديث أنس وإسلم نحوه وقد تقدم (٥) حديث طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث مائة ومن مع مع الله به قال للصف لم يرفعه إلا يزيد بن عبد الله قلت هكذا قال الترمذي بعد أن أخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه (٦) حديث أبي هريرة في تهنة الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وتقدم في الدعوات (٧) حديث فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب (٨) حديث أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدف الترمذي من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقي (٩) حديث الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بني في مجلس على فراشي وجوريات لنا يضربن بدفون فحدث رواه البخاري وقال يوم بدر وقع في بعض نسخ الإحياء يوم يثا وهو وم .

فإذا يتكر التكر
للبن الحرة على طالب
صادق في طلبه يتصدق
شيخا بحسن ظن
وعقيد يحكمه في نفسه
لصالح دينه يرشده
ويهديه ويعرفه طريق
الواجب ويصره
بآفات النفوس وفساد
الأعمال ومداخل
الصدو فيسلم نفسه
إليه ويستسلم رأيه
واستصوابه في جميع
تصاريفه فيلبسه الحرة
إظهارا للتصرف فيه
فيكون لبس الحرة
علامة التفويض
والتسليم ودخوله في
حكم الشيخ دخوله
في حكم الله وحكم رسوله
وإحياء سنة البائبة
مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم . أخبرنا
أبو زرعة قال أخبرني
واللهي الحافظ القدسي
قال أنا أبو الحسين
أحمد بن محمد الزيار
قال أنا أحمد بن محمد
أخي ميمى قال ثنا يحيى
ابن محمد بن ساعد

واحتال الأذى متين ترهما عليهن لقصور عقلمن قال الله تعالى - وعاشروهن بالمعروف - وقال في تعظيم حقهن - وأخذن منكم ميثاقا غليظا - وقال - والصاحب بالجنب - قيل هي المرأة - وآخر ما وصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يشكك بهم حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول: الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم لا تكفوه مالا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان في أيديكم يعني أسراهن أخذنوهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله ^(١) وقال عليه السلام «من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلاءه ومن صبر على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون ^(٢) » . واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كلف الأذى عنها بل احتال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه راجعته السلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل ^(٣) وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال أتراجعيني بالكساء فقالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعته وهو خير منك ^(٤) فقال عمر خابت خصة وخسرت إن راجعته ثم قال لخصه لا تنفري بأية إن أبي تصافها فاتها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوتها من الراجحة وروى أنه دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزرتها أمها فقال عليه السلام دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك ^(٥) وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلها بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلمين أو أنكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا فطمها أبو بكر حتى دمي فوها وقال بأعديتها نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا ^(٦) وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك نبي الله فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما ^(٧)

(١) حديث آخر ما وصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يشكك بهم حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة وماملكت أيمانكم لا تكفوه مالا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عندكم الحديث النسائي في الكبرى وإن ما جاء من حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو في اللوت جعل يقول الصلاة وماملكت أيمانكم فما زال يقولها وما يقبض بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمعروف أن ذلك كان في حجة الوداع رواء مسلم من حديث جابر الطويل وفيه فالتقوا الله في النساء فانكم أخذنوهن بأمانة الله الحديث ^(٢) حديث من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلاءه الحديث لم أقف له على أصل ^(٣) حديث كان أزواجه صلى الله عليه وسلم راجعته الحديث وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل متفق عليه من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى - فإن تظاهرا عليه - ^(٤) حديث وراجعت امرأة عمر عمر في الكلام فقال أتراجعيني بالكساء قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعته وهو خير منك الحديث هو الحديث الذي قبله وليس فيه قوله بالكساء ولا قولها هو خير منك ^(٥) حديث دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزرتها أمها فقال صلى الله عليه وسلم دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك لم أقف له على أصل ^(٦) حديث جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكما الحديث الطبراني في الأوسط والخطيب في التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف ^(٧) حديث قالت له عائشة مرة غضبت عنده وأنت الذي تزعم أنك نبي فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الأمثال من حديث عائشة وفيه ابن اسحاق وقد عنونه .

قال ثنا عمرو بن علي ابن حفظة قال سمعت عبد الوهاب الثقفى يقول سمعت يحيى ابن سعيد يقول حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال أخبرني أبي عن أبيه قال «يا نارسول الله صلى الله عليه وسلم على التسامح والطاعة في السر واليسر والنشاط والمكره وأن لا تنازع الأمر أهله وأن تقول بالحق حيث كنا ولا تخاف من الله لومة لائم» ففي الحرقة معنى الباءة والحرقة عتبة الدخول في الصعبة والقصود السكلى هو الصعبة وبالصعبة يرعى للمريد كل خير . وروى عن أبي يزيد أنه قال من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان . وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيري عن شيخه أبي علي الدقاق أنه قال الشجرة إذا نبئت بنفسها من غير غارس

وكان يقول لما إني لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه ؟ قال إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت صدقت إنما أجهز اسمك ^(١) ويقال إن أول حبس وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها ^(٢) وكان يقول لها كنت لك كأي زرع لأم زرع غير أنه لا أطلقك ^(٣) وكان يقول لنسائه « لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكمن غيرها ^(٤) » وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان ^(٥) . الثالث أن يزيد على احتمال الأذى بالمداينة والزوج والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في المدو فسبته يوما وسبها في بعض الأيام فقال عليه السلام هذه بذلك ^(٦) وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفسكه الناس مع نسائه ^(٧) وقالت عائشة رضي الله عنها « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله ﷺ آتيني أن ترى لهم ؟ قالت قلت نعم فأرسل إليهم فجاءوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضعه كفهم على الباب ومديدهم ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظروا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حبيبك وأقولوا سكنت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حبيبك قلت نعم فأغار إليهم فانصرفوا ^(٨) » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكل اللؤميين إيماننا أحسنهم خلقا وألقهم بأهله ^(٩) » وقال عليه السلام « خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي ^(١٠) »

(١) حديث كان يقول لعائشة إني لأعرف غضبك من رضاك الحديث متفق عليه في حديثها .
 (٢) حديث أول حبس وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة الشبان من حديث عمرو بن العاص أن قال أئني الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة الحديث وأما كونه أول فرواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أنس وله أراد بالمدينة كما في الحديث الآخر أن ابن الزبير أول مولود ولد في الإسلام يربد بالمدينة وإلا فاجبة النبي صلى الله عليه وسلم لحديجة أمر معروف يشهد له الأحاديث الصحيحة (٣) حديث كان يقول لعائشة كنت لك كأي زرع لأم زرع غير أنه لا أطلقك متفق عليه من حديث عائشة دون الاستئذان ورواه هذه الزيادة الزبير بن بكار والطبيب (٤) حديث لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكمن غيرها البخاري من حديث عائشة (٥) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان منكم بلفظ ما رأيت أحدا كان أرحم بالصبيان من رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد على ابن عبد العزيز والبغوي والبيان (٦) حديث سبافته صلى الله عليه وسلم لعائشة فسبته ثم سبها وقال هذه تلك أبو داود والنسائي من السكبري وابن ماجه في حديث عائشة بسند صحيح (٧) حديث كان من أفسكه الناس مع نسائه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس دون قوله مع نسائه ورواه البراء والطبراني في الصغير والأوسط قتال مع صفى في إسناده ابن أبي عمير (٨) حديث عائشة سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم آتيني أن ترى لهم الحديث متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء وإنما قال يوم عيد ودون قولها أبكت وفي رواية لنسائي في السكبري . قلت لا تعجل مرتين وفيه فقال يا حبيراء وسند صحيح (٩) حديث أكل اللؤميين إيماننا أحسنهم خلقا وألقهم بأهله الترمذي والنسائي واللفظ له والحاكم وقال رواه ثقات على شرط الشيخين (١٠) حديث خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا خيركم لنسائي وله من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم.

لحانها تروق ولا تضر وهو كإله ويجوز أنها تضر كالأشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون لها كنهها طعم فأكبه البساتين والقرى إذا شغل من موضع إلى موضع آخر يكون أحسن حالا وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وقد اعتبر التفرع وجود التلصص في الكلب العلم وأهل ما يتله بخلاف غير العلم . ونسخت كثيرا من الشاي يقولون من لم يفلح لا يفلح ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم والآداب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى عن بعض الصحابة « علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الحرام » فالمريد الصادق إذا دخل تحت

وقال عمر رضي الله عنه مع خشوته ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ماعنده وجد رجلا . وقال لقمان رحمه الله ينبغي للعائل أن يكون في أهله كاصبي وإذا كان في القوم وجد رجلا وفي غير الخبر المروي « إن الله يفيض الجمه طرى الجواظ (١) » قيل هو الشديد على أهله التكبر في نفسه وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى « عتق » قيل العتق هو النطق اللسان التليظ القاب على أهله . وقال عليه السلام لجابر « هلا بكرا تلاعبا وتلاعب (٢) » ووصفت أغراية زوجها وقدمات قتالت والله لقد كان ضحوكا إذا ولح سكينتا إذا خرج أ كلا ما وجد غير مسائل عما فقد . الرابع : أن لا ينسقط في الدعابة وحسن الخلق والواقعة باتباع هواها إلى حد يغد خلقها ويسقط بالسكينة هيبته عندها بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهبة والاشباح مهما رأى منكرا ولا يفتح باب الساعدة على التكرات أثبتة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والروعة تتمر وامتنع قال الحسن والله ما أصبح رجل يطيع أمراته فيأتهوى إلا كبه الله في النار . وقال عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام « نص عبد الزوجة (٣) » وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبدها وقد نص فإن الله ملكة المرأة فكسها نفسه قد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال - ولأمرهم فليخبرن خلق الله - إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا وقد ممي الله الرجال قوامين على النساء وممي الزوج سيديا فقال تعالى - وألقيا سيدها لدى الباب - فإذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونقص المرأة في مثال نفسك إن أرسلت عنتها فليلا جمعت بك طويلا وإن أرخت عذارها فقرأ جذتك ذراعا وإن كبتها وشدت يدك عليها في محل الشدة ملكتها . قال الشافعي رضي الله عنه : ثلاث إن أكرمهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك المرأة والخادم والبنطي أراده إن محضت الإكرام ولم تخرج غلظك بليتك وقفا ظنك برفقك وكانت نساء العرب يملن بنتهن اختيار الأزواج وكانت المرأة تقول لا يفتني اختبري زوجك قبل الإقدام والجرامة عليه أنزعي زوج رحمة فإن سكت قطعي اللحم على ترسه فإن سكت فكسري العظام بسننه فإن سكت فاجعلي الاكاف على ظهره وامتيطي قائما هو حمارك وهي الجملة فبالمدل قامت السموات والأرض فكل ما جاوز حده انعكس على منده فبينما أن تسلك سبيل الاقتصاد في الخاتمة والواقعة وتبضع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فإن كبدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يتبدل ذلك منهن إلا بنوع لطف بمزوج بيساسة . وقال عليه السلام « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل العراب الأعصم بين مائة غراب (٤) » والأعصم يعني الأبيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يابن انتق المرأة السوء فإنها تشتيك

(١) حديث إن الله يفيض الجمه طرى الجواظ أبو بصكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنى هريرة بسند ضعيف وهو في الصحيحين من حديث جارية بن وهب الخزاعي بلفظ ألا أخفرك بأهل النار كل عتق جواظ مستكبر ولأبي داود لا يدخل الجنة الجواظ ولا العظري (٢) حديث قال لجابر هلا بكرا تلاعبا وتلاعبك متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٣) حديث نص عبد الزوجة ثم ألقه على أصل والمعروف نص عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة (٤) حديث مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل العراب الأعصم من مائة غراب الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص كناعع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحر الظهران فإذا بغيران كثيرة فيها غراب أعصم أحمر النقة قال لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا العراب في هذه الثمران وإسناده صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائي .

حكم الشيخ وصحبه وتأدب بأدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلى باطن الريد كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن الريد ويكون مقال الشيخ مستودع فائس الحال وينتقل الحال من الشيخ إلى الريد بواسطة الصحة وجماع القول ولا يكون هذا إلا لريد حضر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفي في الشيخ بترك اختيار نفسه فيألف الإلهي يصير بين صاحب والصاحب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة القطرية ثم لا يزال الريد مع الشيخ كذلك متأدبا بترك الاختيار حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى ويغفم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ

قبل الشيب وأتق شرار النساء فانهن لا يدعون إلى خير وكن من خيارهن على حذر . وقال عليه السلام « استعذبوا من القوافر الثلاث ^(١) » وعذ من المرأة سوء فاتها الشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر « وإن دخلت عليها سبتك وإن غبت عنها خاتك » وقد قال عليه السلام في خبرات النساء « إنكن صواحبات يوسف ^(٢) » يعني إن صرفنكم أبا بكر عن التقدم في الصلاة ميل مستكن عن الحق إلى الهوى وقال الله تعالى حين أفنيت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم إن توبيا إلى الله قد صفت قلوبكما أي مالت وقال ذلك في خير أزواجه ^(٣) وقال عليه السلام « لا يفلح قوم تعلقكم امرأة ^(٤) » وقد زبر عمر رضي الله عنه امرأته لما راجته وقال ما أنت إلا لعبة في جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة والإجلست كما أنت فاذن فبين سر وفيهن ضنف فالسياسة والحشونة علاج الشر واللطاية والرحمة علاج الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدّر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل أولا إلى أخلاقها بالتجربة ثم يعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها . الخامس : الاعتدال في الثيرة وهو أن لا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنّت ويحسّس البواطن قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء ^(٥) وفي لفظ آخر أن تبغ النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء لئلا تخالفه رجلان فسيقارأى كل واحد في منزله ما يكره ^(٦) وفي الخبر للشهور « المرأة كالضلع إن قومت كسرتة فدعه تستمع به على عوج ^(٧) » وهذا في تهذيب أخلاقها وقال ^(٨) « إن من الثيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية ^(٩) » لأن ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فإن بغض الظن لئم وقال على رضي الله عنه لا تسكر الثيرة على أهلك فتدعى بالسوء وأما الغيرة وأما الغيرة في محلها فلا بد منها وهي محودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يبار للؤمن يبار وغيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم عليه ^(١٠) » وقال عليه السلام « أنصحبون من غير سعد أنا والله أغبر منه وأغبر مني ^(١١) »

(١) حديث استعذبوا من القوافر الثلاث وعذ منهن للمرأة سوء فاتها الشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر أن دخلت عليها سبتك وإن غبت عنها خاتك وإن غبت عنها خاتك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضيف واللفظ الآخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من القوافر وذكر منها وامرأة إن حضرت أدتكم وإن غبت عنها خاتك وسند حسن (٢) حديث إنكن صواحبات يوسف متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث نزول قوله تعالى إن توبيا إلى الله قد صفت قلوبكما في خير أزواجه متفق عليه من حديث عمر والمرأتان عائشة وحفصة (٤) حديث لا يفلح قوم تعلقكم امرأة البخاري من حديث أبي بكره نحوه (٥) حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء الطبراني في الأوسط من حديث جابر نهى أن تطلب عثرات النساء والحديث عند مسلم بلفظ نهى أن يطرّق الرجل أهله لئلا يظنهم أو يطلب عثراتهم واقتصر البخاري منه على ذكر النهي عن الطروق لئلا (٦) حديث أنه قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا أهلكم لئلا تخالفه رجلان فسيقارأى فسيما إلى منازلها فرأى كل واحد في بيته ما يكره أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد (٧) حديث المرأة كالضلع إن أردت تقيمه كسرتة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر ابن عتيك (٩) حديث الله يبار للؤمن يبار وغيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم الله عليه متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري والؤمن يبار (١٠) حديث أنصحبون من غير سعد أنا والله أغبر منه والله لانا أغبر منه والله أغبر مني الحديث متفق عليه من حديث الثيرة بن حجة .

هذا الخبر كله للصحة وللإزمة للشيوخ والحرقة مقدمة ذلك ووجه لبس الحرقة من السنة ما أخبرنا الشيخ أبو زرعة عن أبيه الحافظ أبي الفضل للقدس قال أنا أبو بكر أحمد بن طي بن خلف الأديب النيسابوري قال أنا الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال أنا محمد بن إسحاق قال أنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الصري قال ثنا أبو الوليد قال ثنا إسحاق بن سعيد قال ثنا أبي قال حدثني أم خالد بنت خالد قالت « أتى النبي عليه السلام ثياب فيها خبيصة سوداء صغيرة فقال من زون أكوهذه ؟ فكت القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوني بأمر خالد قالت فأتني فألبسني يده فقال أئني وأخلق بقولها

ولأجل غيرة الله تعالى حرم القواحيش ماظهر ومايظن ولأحد أسب إليه الصدر من الله ولذلك يست
للتغذين والبشرين ولأحد أسب إليه اللدح من الله ولأجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبنتاه جارية قلت لمن هذا القصر قيل لعمر
فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال أعلبك أغار يا رسول الله ^(١) » وكان
الحسن يقول أتدعون لساكنكم ليزاحمن العلوج في الأسواق قبح الله من لا يشار ، وقال عليه الصلاة
والسلام « إن من القيرة ما يحبه الله ومنها ما يفيضه الله ومن الحبيلاء ما يحبه الله ومنها ما يفيضه الله
فأما القيرة التي يحبها الله فالقيرة في الريه والقيرة التي يفيضها الله فالقيرة في غيرة والاختيال الذي يحبه
الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة والاختيال الذي يفيضه الله الاختيال في الباطن ^(٢) »
وقال عليه الصلاة والسلام « إني لأغيور وما من امرئ لا يشار إلا منكوس القلب ^(٣) » والطريق القى
عن القيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج إلى الأسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا بته فاطمة عليها السلام « أي شيء خير للمرأة ؟ قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل ففضها إليه
وقال ذرية بضها من بعض ^(٤) » فاستحسن قولها وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الكوى
والثقب في المحيطان لئلا تطلع النسوان إلى الرجال ورأى معاذ امرأته تطلع في الكوة فضربها ورأى
امرأته قد دفعت إلى غلامه فتخاضه قد أكلت منها فضربها وقال عمر رضى الله عنه أعروا النساء يلزمن
الحجاب وإنما قال ذلك لأنهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الزينة وقال عودوا لساكنكم لا وكان قد أذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور السجد ^(٥) والصواب الآن التمسح إلا العجائز استصوب
ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضى الله عنها : لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لمتنهن
من الخروج ^(٦) . ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تلتعنوا إماء الله مساجد الله
فقال بعض ولله بلى والله لمتنهن فضربه و غضب عليه وقال اسمعنى أقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تلتعنوا فقول بلى ^(٧) » وإنما استجرا على مخالفة لعمه بتثير الزمان وإنما غضب عليه

(١) حديث رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبنتاه جارية قلت لمن هذا القصر قيل لعمر
الحديث متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسرى بي ولم يذكر الجارية وذكر الجارية في
حديث آخر متفق عليه من حديث أنى هريرة بينا أنا نائم رأيتنى في الجنة الحديث (٢) حديث إن
من القيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يفيضه الله تعالى أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث
جابر بن عتيك وهو الذى تقدم قبله بأربعة أحاديث (٣) حديث إني لغيور وما من امرئ لا يشار
إلا منكوس القلب تقدم أوله وأما آخره فرواه أبو عمر التوفى فى كتاب معاشرة الأهلين من رواية
عبد الله بن محمد مرسلا والظاهر أنه عبد الله بن الحنفية (٤) حديث قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا بته فاطمة أى شيء خير للمرأة ؟ قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل ففضها إليه
من حديث على بسند ضعيف (٥) حديث الإذن للنساء في حضور للساجد متفق عليه من حديث
ابن عمر ائذنوا للنساء بالليل إلى الساجد (٦) حديث قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم
ما أحدثت النساء بعده لمتنهن من الخروج متفق عليه قال البخارى لمتنهن من للساجد (٧) حديث
إن عمر لا تلتعنوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولله بلى والله الحديث متفق عليه .

[٩] بهامش النسخة الصحيحة : قلت وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما خير للنساء فلم ندر ما قول فصار على إلى فاطمة فأخبرها بذلك فقالت فهلا قلت لأخبرهن أن لا يرين
الرجال ولا يراهن الرجال فرجع فأخبره بذلك فقال له من عليك هذا قال فاطمة قال إنها بضعة منى .

مرتين وجعل ينظر إلى
علم في الحبيصة أسفر
وأحرو يقول بأمر خاله
هذا سنه . والسنه
هو الحسن بلسان
الحبيصة ولا يخاف أن
لبس الحرقة على الحبيصة
التي تشدها الشيوخ
في هذا الزمان لم يكن
في زمن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهذه
الهيئة والاجتماع لها
والاعتداد بها من
استحسان الشيوخ
وأصله من الحديث
ملرويه . والشاهد
لذلك أيضا التحكيم الذى
ذكرناه وأى اقتداء
برسول الله صلى الله
عليه وسلم أمم وآكد
من الاقتداء به في دعاء
الحلق إلى الحق وقد
ذكر الله تعالى في كلامه
القديم تحكيم الأمة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتحكيم
للريد شيخه إحياء سنة
ذلك التحكيم قال الله
تعالى - فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك

إطلاعه اللفظ بالخاتمة ظاهراً من غير إظهار العذرة كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن
لهن في الأعباد خاصة أن يخرجن ^(١) ولكن لا يخرجن إلا برضا أزواجهن والخروج الآن مباح للمرأة
الغيبقة برضا زوجها ولكن القعود أسلم وبنيت أن لا تخرج إلا بهم فإن الخروج للنظارات والأموار
التي ليست مهمة تخدح في الروعة وربما تفضي إلى القصاد فإذا خرجت فبيني أن تنص بصرها عن
الرجال ، ولنا قول إن وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حق بهلوكوجه الصبي الأورد
في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فإن لم تكن فتنة فلا إثم بل زل الرجال على عمر الزمان
مكشوف في الجوه والنساء يخرجن منتقيات ولو كان وجود الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالانتقب
أومنعن من الخروج إلا لضرورة ، السادس : الاعتدال في النفقة فلا يبني أن يقتز عليهن في الإحراق
ولا يبني أن يسرف بل يقتصد قال تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وقال تعالى - ولا تحمل بذلك
مفالة إلى عتلك ولا تبسطها كل البسط - وقد قال رسول الله ﷺ « خيركم خيركم لأهله » وقال
صلى الله عليه وسلم « دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في ربة ودينار تصدقته به على مسكين ودينار
أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك » ^(٢) وقيل كان لعلي رضي الله عنه أربع نساء
فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لحماً بدرهم ، وقال الحسن رضي الله عنه كانوا في الرجال
بخاصية وفي الأثاث والثياب مجاديب وقال ابن سيرين يستحب للرجل أن يصل لأهله في كل جمعة فالودجة
وكان الخلاوة وإن لم تكن من اللحامات ولكن تركها بالكيفية تختير في العادة وبنيت أن بأسرها بالتصدق
بقايا الطعام وما يفسد لوترك فهذا أقل درجات الخير وللمرأة أن تحمل ذلك حكم الحال من غير صريح
إذن من الزوج ولا يبني أن يستأثر عن أهله بما كوله طبيب فلا يطعمهم منه فإن ذلك مما يوغر الصدور
ويبعد عن العائشة بالمعروف فإن كان مزماً على ذلك فليأكله غفيرة بحيث لا يرفق أهله ولا يبني أن
يسف عديم طعاماً ليس يربط أطعمهم إياه وإذا أكل فليقدم العيال كلهم على مائتته فقد قال سفيان
رضي الله عنه بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة وأهم ما يجب عليه مراعاته
في الإنفاق أن يطعمهم من الحلال ولا يدخل مداخل سوء لأجلها فإن ذلك جناية عليها لأمراة لها
وقد أوردنا الأخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح . السابع : أن يتم للزوج من علم الحميم
وأحكام ما يجترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته أحكام الصلاة وما يفيض منها في الحميم وما لا يفيض فانه
أمر بأن يقبها النار بقوله تعالى - فوا أنفسم وأهليكم نارا - فليعلم أن يقبها اعتقاد أهل السنة ويزيل
عن قلبها كل بدعة إن استتمت إليها وخوفها في الله إن ساعدت في أمر الدين ويطعمها من أحكام الحميم
والاستحاضة ما تحتاج إليه وعلم الاستحاضة بطول فأما الذي لا بد من إرشاد النساء إليه في أمر الحميم
بيان الصلوات التي تنضبط فأنهما قطع معها قبيل القرب بمقدار ركة فليطعها أيضاً الظاهر والصريح وإذا
اشطع قبل الصبح بمقدار ركة فليطعها قضاء القرب والعشاء وهذا أقل ما يراعيه النساء فإن كان الرجل
قاعاً بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وإن قصر علم الرجل ولكن تاب عنها في السؤال فأخبرها
بجواب التي فليس لها الخروج فإن لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك وبصبي الرجل
بمنها ومما تملت ماهون الفرائض عاها فاقبس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تعامل فضل إلا برضا

فيها شجر بينهم ثم
لا يجسدا في أنفسهم
حرجا مما قضيت
وسلموا السلبا وسب
نزول هذه الآية وأن
الزير بن العوام رضي
الله عنه اختصم هو
وأخوه إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
شراج من الحسرة
والشراج مسيل الماء
كانا يسقيان به التخل
فقال النبي عليه الصلاة
والسلام للزير : اسق
يا زير ثم أرسل الماء إلى
جارك ، فغضب الرجل
وقال تضي رسول الله
لابن عمته ، فأمر الله
تعالى هذه الآية بسلم فيها
الأدب مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وشرط عليهم في الآية
التسلم وهو الاتفاق
ظاهراً ونفى المخرج وهو
الاتقياد بالباطن وهذا
شرط للرديع الشيخ
بعد التحكيم فليس
المخرقة بزيل اتهام
الشيخ عن باطنه في
جميع تصاريحه ومخبر

ومهما أهملت المرأة حكماً من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يلمسها الرجل خرج الرجل معها وشاركتها في الآثم . الثامن : إذا كان له نسوة فينبغي أن يعدل بينهما ولا يميل إلى بعضهن فإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أفرج بينهما^(١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن ظلم امرأة بليتها قضى لها فإن القضا واجب عليه وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام القسم وذلك بطول ذكره . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له امرأتان قال إلى إحداها دون الأخرى وفي لفظ لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحسنيهما مائل^(٢) » وإنما عليه العدل في العطاء والبيت وأما في الحب والواقع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى - ولئن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم - أرى لأتعدلوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الواقع « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهما في العطاء والبيت وفي الليالي ويقول : اللهم هذا جدي فبأملك ولا طاعة لي فبأعز ولا أملك^(٣) » يعني الحب وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نساءه إليه^(٤) وسائر نساءه يعرفن ذلك « وكان يطاق به محمولاً في مرضه في كل يوم وكل ليلة فبييت عند كل واحدة منهن ويقول أن أناغدا فظنت لذلك امرأة منهن فقالت إنما يسأل عن يوم عائشة فأنابا رسول الله قد أنابنا لك أن تكوني في بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تعدلي في كل ليلة فقال وقد رخصت بذلك قضائي نعم قال فعولوني إلى بيت عائشة^(٥) » ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبتها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نساءه قصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسأله أن يقرها على الزوجية حتى تعثر في زمرة نساءه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر أزواجه ليليلة^(٦) . ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان إذا تناقت نفسه إلى واحدة من النساء في غير نوبتها فجاءها طاف في يومه أوليك على سائر نساءه فمن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نساءه في ليلة واحدة^(٧) وعن أنس أنه عليه السلام

(١) حديث القرعة بين أزواجه إذا أراد سفره . متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث من كان له امرأتان قال إلى إحداها دون الأخرى وفي لفظ آخر لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحسنيهما مائل أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة قال أبو داود وابن حبان قال مع إحداهما وقال الترمذي فلم يعدل بينهما (٣) حديث كان يعدل بينهما ويقول اللهم هذا جهدي فبأملك ولا طاعة لي فبأعز ولا أملك أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه (٤) حديث كانت عائشة أحب نساءه إليه متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب أنه قال أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة وقد تقدم (٥) حديث كان يطاق به محمولاً في مرضه كل يوم وليلة فبييت عند كل واحدة ويقول أن أناغدا الحديث ابن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين الذي قال كان محمد في ثوب يطاق به على نساءه وهو مريض يقسم بينهما وفي مرسل آخره لا تامل قال ابن أناغدا قالوا عند فلانة قال فأبى أن أبعد قالوا عند فلانة فصرف أزواجه أنه يريد عائشة الحديث والبخاري من حديث عائشة كان يسأل في مرضه الذي مات فيه ابن أناغدا ابن أناغدا يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء وفي الصحيحين لا تامل استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له (٦) حديث كان يقسم بين نساءه قصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة الحديث أبو داود من حديث عائشة قالت سودة حين أسئت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم بإرساله الله يومى لعائشة الحديث وللظرائن فأراد أن يفارقها وهو عند البخاري بلفظ لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها يوم سودة وليليته ومرسلاً طلق سودة فقالت أريد أن أحشر في أزواجك الحديث (٧) حديث عائشة طاف على نساءه في ليلة واحدة متفق عليه بلفظ كنت أطيب رسول الله

الاعتراض على الشيخ
فانه السام القاتل للرديد
وقد أن يكون للرديد
يعترض على الشيخ بباطنه
فيطلع ويذكر الرديد
في كل ما أشكل عليه
من تصارييف الشيخ
قصة موسى مع الخضر
عليه السلام كعب كان
يصدر من الخضر
تصارييف ينكرها
موسى ثم لما كشف
له عن معناها بان
لموسى وجه الصواب
فذلك فهكذا ينبغي
للمريد أن يعلم أن كل
تصرف أشكل عليه
صحته من الشيخ
عند الشيخ فيه بيان
وبرهان للصحة ويد
الشيخ في لبس الحرفة
تتوب عن يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وتسلم للرديد تسليم
فه ورسوله قال الله
تعالى - إن الدين
يأبى ذلك إنما يأمرون
الله بداهة فوق أيديهم
فمن نكث فأنما ينكث
على نفسه - وبأخذ

طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار^(١)، التاسع: في التشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتم أمرهما فان كان من جانبها جريماً أو من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على إصلاحها فلا بد من تكلمين أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما - إن ريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما - وقد ثبت عمر رضي الله عنه حكماً إلى زوجين فادى ولم يصلح أمرهما فلهذا قال إن الله تعالى يقول - إن ريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما - فادى الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما وأما إذا كان التشوز من المرأة خاصة فالرجل قوامون على النساء - فله أن يؤدبها ويحملها على الطاعة قهراً وكذا إذا كانت تاركة الصلاة فله حملها على الصلاة قهراً ولكن ينبغي أن يتدرج في تأديبها وهو أن يقدم أولاً الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينفع ولاها ظهره في الضجج أو انفرد عنها بالقراش وهجرها وهو في البيت معها من ليلة إلى ثلاث ليال فان لم ينفع ذلك فاضربها ضرباً غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظماً ولا يدمي لها جسداً ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «ما حق للمرأة على الرجل؟» قال يطعمها إذا علم ويكسوها إذا اكتسى ولا يضرب الوجه ولا يضرب إلا ضرباً غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت^(٢)» وله أن يضرب عليها ويهجرها في أمر من أمور الدين إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أرسل إلى زينة بهدية فردتها عليه فقالت له التي هو في بيئها لقد أقانك إذ ردت عليك هديتك^(٣) أي أذلتك واستصغرتك فقال صلى الله عليه وسلم: «أئن أهون على الله أن تعصني ثم غضب عليهن كلهن شهراً إلى أن عاد إليهن - العائتر: في آداب الجماع ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله أحد أولاً ويكبر ويهل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من سلبى وقال عليه السلام «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا» فان كان بينهما ولم يضره الشيطان^(٤) وإذا قربت من الازال قل في نفسك ولا تحرك شريكك - الحمد الذي خلق من لاء بشر - الآية وكان بعض أصحاب الحديث يكره حتى يسمع أهل الدار صوته ثم يحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالواقع إكراماً للقبلة وليلفظ نفسه وأهله ثوباً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة: عليك بالسكينة^(٥) وفي الخبر «إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين^(٦)» أي الحارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبل

صلى الله عليه وسلم فيطوف على نسائه ثم يصبح محرماً ينضح طيباً (١) حديث أنس أنه طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار ابن عدي في الكامل والبخاري كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة (٢) حديث قيل له ما حق المرأة على الرجل فقال يطعمها إذا علم ويكسوها إذا اكتسى ولا يضرب الوجه ولا يضرب إلا ضرباً غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال ولا يضرب الوجه ولا يبيع وفي رواية لأبي داود ولا يفتح الوجه ولا تضرب (٣) حديث هجره صلى الله عليه وسلم نساءه شهراً لما أرسل بهدية إلى زينة فردتها فقالت له التي في بيئها لقد أقانك الحديث ذكره ابن الجوزي في الوفاء بغير إسناد وفي الصحيحين من حديث عمر كان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن وفي رواية من حديث جابر ثم اعتزلهن شهراً (٤) حديث لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبنا الشيطان الشيطان الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٥) حديث كان يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٦) حديث إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردان تجرد العيرين ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد يسند ضعيف .

الشيخ على المرید
عهد الوفاء بشرائط
الحرقه وصره حقوق
الحرقه فالشيخ المرید
صورة يستشف المرید
من وراء هذه الصورة
الطالبات الإلهية
والراضى النبوية
ويستشف المرید أن
الشيخ باب فتحه الله
تعالى إلى جناب كرمه
منه يدخل وإليه يرجع
ويزل بالشيخ سوانحه
ومهامه الدينية
والدنيوية ويستفاد أن
الشيخ ينزل بالله
الكریم ما ينزل
المرید به ويرجع في
ذلك إلى الله للمرید كما
يرجع المرید إليه
والشيخ باب مفتوح
من المسئلة والمحادثة
في التزم والبقطة فلا
يتصرف بالشيخ في
المرید بهواً فهو أمانة
الله عنده ويستغث
إلى الله بمحوائج المرید
كما يستغث بمحوائج
نفسه ومهام دينه ودنياه
قال الله تعالى - وما كان

قال صلى الله عليه وسلم «لا يجتمع أحدكم على امرأته كما تنفع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يا رسول الله قال القيلة والكلام» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من العجز في الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه والثاني أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته والثالث أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصحبها قبل أن يحذنها ويؤانسها ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه» (٢) ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر الأول والأخرو والنصف يقال إن الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال إن الشياطين يجمعون فيها وروى كراهة ذلك عن علي ومعاوية وأبي هريرة رضي الله عنهم ومن العلماء من استحج الجماع يوم الجمعة وليتبع تحقيقاً لأحد التأويلين من قوله صلى الله عليه وسلم «رحم الله من غسل واغتسل» (٣) الحديث ثم إذا قضى وطره فليستعمل على أهله حتى تقضى هي أيضاً نهجتها فإن إزالها ربما يتأخر فيجس شوهنها ثم القعود عنها إيداء لها والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التناظر معهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال والتوافق في وقت الإنزال الله عندها ليستغل الرجل نفسه عنها فاتهما بما تستعي وبغنى أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فهو أعدل إذ عدد النساء أربعة فجاز التأخير إلى هذا الحد ، ثم يغني أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين فإن تحصينها واجب عليه وإن كان لا يثبت الطالبة بالوطء فذلك لمر الطالبة والوفاء بها ولا يأتيها في الحيض ولا بعد انقضاءه وقبل النسل فهو محرم بنص الكتاب وقبل إن ذلك يورث الجذام في الولد وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير اللآئي إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى والأذى في غير اللآئي دائم فهو أهدأ تحريماً من إتيان الحائض وقوله تعالى - فأتوا حرشكم أني شتمتم - أي أي وقت شتمتم وله أن يستعي يديها وأن يستمتع بما تحت الأزار بما يشتهي سوى الوفاق وبغنى أن تنزّر المرأة بآزار من حقها إلى فوق الركبة في حال الحيض فهذا من الأدب وله أن يؤاكل الحائض ويغاطلها في الضاجة وغيرها وليس عليه اجتنبها وإن أراد أن يجمع ثانياً بعد أخرى فليستل فرجها أولاً وإن احتلم فلا يجمع حتى يسل فرجها أو يسل ويكره الجماع في أول الليل حتى لا ينام على غير طهارة فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولاً وضوء الصلاة فذلك سنة قال ابن عمر «قلت لئن صلى الله عليه وسلم : أيام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ» (٤) ولكن قد وردت فيه رخصة قالت عائشة رضي الله عنها «كان النبي ﷺ ينام جنباً لم يس ماء» (٥) ومهما عاد إلى فراشه فليمسح وجهه فرائشه أو لينفضه فانه لا يبدى ما حدث عليه بعده ولا يبتغي أن يحلق أو يلقم أو يستحداً ويخرج الدم أو يبين من نفسه جزءاً وهو جنب إذ نذر إليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنباً ويقال إن كل شعرة تطالبه بجنبائها ومن الآداب أن لا يعزل بل لا يسرح إلا إلى محل الحرق وهو الرحم فامن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة (٦) هكذا قال رسول الله ﷺ فان عزل فقد اختلف العلماء في إباحته وكرهته على أربع مذاهب فمن ميسح

لبشر أن يكاهه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا - فأرسل الرسول شخص بالأنبياء والوحي كذلك والكلام من وراء حجاب بالإهام والمواظف ولتأم وغير ذلك للشيوخ والراسخين في العلم . واعلم أن السريدين مع الشيوخ أو أن ارتضاع أو أن فقام وقد سبق شرح الولادة العنوية فأوان الارتضاع أو أن لزوم الصحة والشيخ يعلم وقت ذلك فلا يبتغي السريد أن يفارق الشيخ إلا بإذنه قال الله تعالى تأدياً للامعة إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا حكناوهم على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم - وأى

(١) حديث لا يقن أحدكم على امرأته كما تنفع البهيمة الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وهو منكر (٢) حديث ثلاث من العجز في الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أخضر منه وهو بعض الحديث الذي قبله (٤) حديث رحم الله من غسل واغتسل تقدم في الباب الخامس من الصلاة (٤) حديث ابن عمر قلت لئن صلى الله عليه وسلم أيام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ متفق عليه من حديث أن عمر سأله لأن عبد الله هو السائل (٥) حديث عائشة كان ينام جنباً لم يس ماء أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال يزيد بن هارون إنه وهم وقد سبق عن الحفاظ الطعن فيه قال وهو صحيح من جهة الرواية (٦) حديث مامن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة متفق عليه من حديث أبي سعيد .

مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قاتل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكان هذا القاتل محرم الإبداء دون العزل ومن قاتل يباح في العلوكة دون الحرة والصحيح عندنا أن ذلك مباح وأما الكراهية فانها تطلق لشي التحريم ولشي التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث أى فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في السجد أن يقدم فارغا لا يشتغل بذكر أو صلاة ويكره للحاضر في مكة مقابها أن لا يبيع كل سنة والراد بهذه الكراهية ترك الأولى والفضيلة فقط وهذا ثابتا بيننا من الفضيلة في الولد ولما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليجمع أهله فيكتبه بجماعه أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله قتل ^(١) » وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر التائب إليه مع أن الله تعالى خالقه وعيجه ومقوبه على الجهاد والذي إليه من التسبب فقد فعله وهو الواقع وذلك عند الإيماء في الرحم وإنما قلنا لا كراهية بمعنى التحريم والتنزيه لأن إيجابت الشيء إنما يمكن بنس أو قياس على منصوص ولا نص ولأصل يقاس عليه بلهنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلا أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإجماع فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب شيء ولا فرق إذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولما أُرِبت أسباب النكاح ثم الواقع ثم الصبر إلى الإنزال بعد الجماع ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض فلا امتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كالأول وليس هذا كالإجهاض والوادة لأن ذلك جناية على موجود حاصل ولها أيضا مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتخلط بماء المرأة وتستعصم لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية فان صارت مضغة وعلقه كانت الجناية أعمش وإن قُض فيه الروح واستوت الخافقة ازدادت الجناية فحاشا ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الاتصال بحيوا وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المني في الرحم لا من حيث الخروج من الإحليل لأن الولد لا يتخلق من منى الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إمامنا ومائنا أومن مائه ودم الحيض قال بعض أهل التفسير إن للضفة خلق يتقدرا لله من دم الحيض وإن الدم منها كاللبن من الرائب وإن النطفة من الرجل شرط في خور دم الحيض وانفاده كالإشعة للبن إذ بها يتقدرا الرائب وكيفما كان فإم المرأة ركن في الانقضاء فيجبرى لما آن يجري الإيجاب والقبول في الوجود الحكمى في العتود فمن أوجب ثم رجع قبل القول لا يكون حائبا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الإيجاب والقبول كان الرجوع بعده رقما وفسخا وقطعا وكما أن النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الإحليل ما لم يترج بماء المرأة أو دمها فهذا هو القياس الجلي . فان قلت فإن لم يكن العزل مكروها من حيث إنه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لأجل التبع الباعثة عليه إذ لا يثبت عليه إلانية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفى . فأقول الثبات الباعثة عن العزل خمس : الأولى في السراى وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العاقا وقصد استبقاء الملك بترك الإعتاق ودفع أسبابه ليس بمعنى عنه . الثانية استبقاء جمال المرأة وممها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلاق وهذا أيضا ليس منها عنه . الثالثة الخوف من كثرة المخرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التنب في السكسب ودخول مداخل السوء وهذا أيضا غير منى عنه . فان قلت المخرج معين على الدين ، نعم السكال والفضل في التوكل والثقة بزمان الله حيث قال - ومامن دابة في الأرض إلا على الله رزقها - ولا جرم فيسقط عن ذروة السكال وترك الأفضل ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وإدخاله مع كونه منافعا للتوكل لا تقول إنه منى عنه . الرابعة الخوف من الأولاد الأناث لما يفتقد في تزويجهم من العرة كما كانت من عادة

(١) حديث إن الرجل ليجمع أهله فيكتبه من جماعه أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله لم أجده له أصلا .

أمر جامع أعظم من أمر الدين فلا يأذن الشيخ للعريد في الفارقة إلا بعد عمله بأن أنه له وأن القطام وأنه يقدر أن يستغل نفسه واستقلاله بنفسه أن يفتح له باب الفهم من الله تعالى فإذا بلغ المرید رتبة إزال الحوائج والهام بالله والفهم من الله تعالى بغير فاته وتنبهاته سبحانه وتعالى لعبه السائل المحتاج قد بلغ أو أن قطامه ومضى فارق قبل أو أن القطام يناله من الإعلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال القسوم لغير أو أنه في الولادة الطبيعية وهذا التزام بصحة الشايخ للعريد الحقيقي والريد الحقيقي يلبس خرقه الإرادة . واعلم أن الخرقه خرقان خرقه الإرادة وخرقة التبرك والأصل الذي قصد الشايخ للعريد من خرقه

العرب في قلعهم الإناث فهذه نية فاسدة لترك بسببها أصل النكاح أو أصل الواقع أمهم لا يترك النكاح والوطء فكذا في العزل والفساد في اعتقاد العرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد وبئز لمنزلة امرأتك تركت النكاح استكفاً من أن يملوها رجل فكانت تشبه بالرجال ولا ترجع السكره إلى عين ترك النكاح . الخامسة: أن تمتع الزناة زهاو بميلها في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخوارج لما تشبهن في استعمال الياء حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ولا يدخلن الحلاء لإعراة فهدم بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو الفساد دون منع الولادة . فان قلت قد قال النبي ﷺ « من ترك النكاح عاقبة العيال فليس منا ثلاثاً » (١) . قلت فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا أي ليس مواضعنا على سنتنا وطريقتنا وسننا فعل الأفضل . فان قلت قد قال صلى الله عليه وسلم في العزل « ذلك الواد الحنفى وقرأ وإذا للوودة سئل (٢) » وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح أيضاً أخبار صحيحة (٣) في الإباحة وقوله الواد الحنفى كقوله الترك الحنفى وذلك يوجب كراهة لأمرهما .

فان قلت قد قال ابن عباس العزل هو الواد الأصفر فان للمنوع وجوده به هو للوودة الصغرى . قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك أنكره عليه على رضي الله عنه لما سمع قال ولا تكون موودة إلا بدمسج أي بعد أخرى سبعة أطوار وتلا الآية الواردة في أطوار الحلقة وهي قوله تعالى . ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . إلى قوله ثم أنشأناه خلقاً آخر . أي تفخايقه الروح . ثم تلا قوله تعالى في الآية . وإذا للوودة سئل وإذا نظرت إلى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك غاوت منصب على وابن عباس رضي الله عنهما في النوص على العاني ودرك العلوم كيف وفي التلق عليه في الصحيحين عن جابر أنه قال « كنا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل » وفي لفظ آخر « كنا نزل فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا » (٤) وفيه أيضاً عن جابر أنه قال « إن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنني جارية هي خادمتنا وسافيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال عليه الصلاة والسلام اعزل عنها إن شئت فانه سيأتها ما ندر لها فلبث الرجل ممشاء الله ثم أتاه فقال إن الجارية قد حملت فقال قد قلت سيأتها ما قدر لها (٥) » كل ذلك في الصحيحين . الحادى عشر : في آداب الولادة وهي خمسة : الأول أن لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى فانه لا بدري الحيرة له في أجهما فك من صاحب ابن يمتنى أن لا يكون له أويتمنى أن يكون بنتا بل السلامة منهن أ كثر الثواب فيهن أجزل

(١) حديث من ترك النكاح عاقبة العيال فليس منا تقدم في أوائل النكاح (٢) حديث قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الواد الحنفى مسلم من حديث جذامة بنت وهب (٣) حديث أحاديث إباحة العزل مسلم من حديث أبي سعيد أمهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم أن لا تضلوه ورواه النسائي من حديث أبي صرمة وللشيوخين من حديث جابر كنا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وللنسائي من حديث أبي هريرة سئل عن العزل قيل اليهود تزعم أنها للوودة الصغرى فقال كذبت يهود . قال البيهقي رواية الإباحة أكثر وأحفظ (٤) حديث جابر التلقى عليه في الصحيحين كنا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا هو كما ذكر متفق عليه إلا أن قوله فلم ينهنا انفرد بها مسلم (٥) حديث جابر أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنني جارية هي خادمتنا وسافيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها إن شئت الحديث ذكر اللفظ أنه في الصحيحين وليس كذلك وإنما انفرد به مسلم .

الإرادة وخرقة التبرك تشبه بخرقة الإرادة بخرقة الإرادة للمريد بخرقة الإرادة للمريد الخقيق وخرقة التبرك لمتشبهه ومن تشبه يقوم فهو منهم وسر الحرقه أن الطالب الصادق إذا دخل في صفة الشيخ وسلم نفسه وصار كالوادة الصغير مع الوالد يريه الشيخ بسله للتمد من الله تعالى بصدق الافتخار وحسن الاستقامة ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الإشراف على البواطن قد يكون للريد يلبس الحسن كتياب للتشفيق للزهد في وله في تلك الهيئة من اللبوس هو كامن في نفسه ليري بين الزهادة فأخذ ما عليه ليس التاعم وللنفس هو واختيار في هيئة مخصوصة من اللبوس في قصر السك والهيل وطوله وخشوته ونعومتها على

قال صلى الله عليه وسلم «من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غداها وأسبغ عليها من
التعمة التي أسبغ الله عليه كانت له مينة وميسرة من النار إلى الجنة» (١) وقال ابن عباس رضي الله عنهما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبتهما إلا أدخلتهما الجنة» (٢)
وقال أنس قال رسول الله ﷺ «من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبتهما كنت أنا وهو
في الجنة كهاتين» (٣) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خرج إلى سوق من أسواق
السلمين فاشتري شيئا فغمله إلى بيته غلص به إلا ناث دون ذلك كور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه
لم يعذبه» (٤) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حل طرفه من السوق إلى عياله
فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليدأ بالاناث قبل الذكور فانه من فرح أنى فكأنما بكى
من خشية الله ومن بكى من خشية حرم الله بدنه على النار» (٥) وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم
«من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن
قال رجل وثنتان يا رسول الله؟ قال وثنتان قال رجل أو واحدة؟ فقال وواحدة» (٦) . الأدب الثاني :
أن يؤذن في أذن الولد روى رافع عن أبيه قال «رأيت النبي ﷺ قد أذن في أذن الحسن حين ولدت فاطمة
رضي الله عنها» (٧) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من ولده مولود فاذن في أذنه اليمنى
وأقام في أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان» (٨) ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله
ليكون ذلك أول حديثه وختان في اليوم السابع ورد به الخبر (٩) . الأدب الثالث : أن تسميهما أحسنا
فذلك من حق الولد وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سميت فبيدوا» (١٠) وقال عليه الصلاة والسلام

(١) حديث من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غداها الحديث الطبراني في
الكبير والخرائطى في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث ابن عباس
ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبتهما إلا أدخلتهما الجنة ابن ماجه والحاكم وقال صحيح
الإسناد (٣) حديث أنس من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبتهما كنت أنا وهو
في الجنة كهاتين الخرائطى في مكارم الأخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذى بلفظ من عال جاريتين
وقال حسن عريب (٤) حديث أنس من خرج إلى سوق من أسواق السلمين فاشتري شيئا
فغمله إلى بيته غلص به إلا ناث دون ذلك كور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه الخرائطى
بسند ضعيف (٥) حديث أنس من حل طرفه من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة
الخرائطى بسند ضعيف جدا وابن عدى في الكامل وقال ابن الجوزى حديث موضوع (٦) حديث
أبي هريرة من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصر على لأوائهن الحديث الخرائطى واللفظه والحاكم
ولم يقل أو أخوات وقال صحيح الإسناد (٧) حديث أبي رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
أذن في أذن الحسين حين ولدت فاطمة أحمد واللفظه له وأبو داود والترمذى وصححه إلا أنها قالوا
الحسن مكبرا وضعه ابن القطان (٨) حديث من ولده مولود فاذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى
دفعت عنه أم الصبيان أبو يعلى الوصى وابن السنى في اليوم واليلة واليهيقي في شعب الإيمان من
حديث الحسين بن علي بسند ضعيف (٩) حديث الختان في اليوم السابع الطبراني في الصغير من
حديث جابر بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفى عن الحسن والحسين وختنهما
لسبعة أيام وإسناده ضعيف واختلف في إسناده فقيل عبد الملك بن إبراهيم بن زهير عن أبيه عن
جده (١٠) حديث إذا سميت فبيدوا الطبراني من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه معاذ
وصحح إسناده واليهيقي من حديث عائشة .

قدر حبائنها وهواها
فليبس الشيخ مثل
هذا الراكن تلك
الحية ثوبا بكسر
بذلك على نفسه هواها
وغرضها وقد يكون
على الريد ملبوس ناعم
أو هيئة في اللبوس
تصرف النفس إلى تلك
الحية بالعادة فليبس
الشيخ ما يخرج النفس
من عادتها وهواها
فتصرف الشيخ في
اللبوس كتصرفه في
الطعوم وكصرفه في
صوم المرید وإفطاره
وكصرفه في أمر دينه
إلى ما يرى له من الناصحة
من دوام الذكر ودوام
التفكير في الصلاة ودوام
التلاوة ودوام الخدمة
وكصرفه فيه برده
إلى الكسب أو الفتح
أو غير ذلك فليشيخ
إشراف على البواطن
وتنوع الاستعدادات
فيأمر كل مرید من أمر
نمائه ومعادته بما
يسلح له وتنوع
الاستعدادات تنوعت

« أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن »^(١) وقال « معوا باسمي ولا تكونوا بكنتي »^(٢) قال العلماء كان ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم إذ كان ينادي بأبا القاسم والآل فلا بأس نعم لا يجمع بين اسمه وكنتيه وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تجمعوا بين اسمي وكنتي »^(٣) وقيل إن هذا أيضا كان في حياته وتسمى رجلا بأبي عيسى قال عليه السلام « إن عيسى لأب له »^(٤) فيكره ذلك والسقط ينبغي أن يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بلغني أن السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه فيقول أنا أنت ستي وتزكيتي لاسم لي قال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدري أنه غلام وأجارية قال عبد الرحمن من الأسماء ما يجمعها كعمزة وعمارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم تدعون يوم القيامة بأسماءكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم »^(٥) ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله أبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص ببداه^(٦) « وكان اسم زينب برة » قال عليه السلام : تركي نفسها فها زينب^(٧) وكذلك ورد التي في تسمية أفصح وإسار ونافع وبركة^(٨) لأنه يقال أتم بركة فيقال : لا الرابع العقيدة عن الذكر يشاين وعن الأنثى بشاة ولا بأس بالشاة ذكرها كان أو أنثى وروى عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر في الغلام أن يلق بشاين مكاتئين وفي الجارية بشاة »^(٩) وروى « أنه عني عن الحسن بشاة »^(١٠) وهذا رخصة في الاختصار على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم « مع الغلام غقيقته فأهريقوا عنه دماء أمطبوها عنه الأذى »^(١١) ومن السنة أن يصدق بوزن شعره فعبا أو فضة قد ورد في غير « أنه عليه السلام أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتصدق بزنة شعره فضة »^(١٢)

(١) حديث أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن مسلم من حديث ابن عمر (٢) حديث معوا باسمي ولا تكونوا بكنتي بكنيتي متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ تسما (٣) حديث لا تجمعوا بين اسمي وكنتي أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر من سمى باسمي فلا يشكني بكنتي ومن تكنى بكنتي فلا يسمى باسمي .

(٤) حديث إن عيسى لأب له أبو عمر التوفاني في كتاب معاشرته الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ولأبي داود أن عمر ضرب ابنا له تكنى بأبي عيسى وأنكر على القميرة بن شعبة تكنيه بأبي عيسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنان وإسناده صحيح (٥) حديث إنكم تدعون يوم القيامة بأسماءكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم أبو داود من حديث أبي الفراء قال النووي بإسناد جيد وقال البيهقي إنه مرسل (٦) حديث بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص ببداه الله رواه البيهقي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي بسند صحيح (٧) حديث قال صلى الله عليه وسلم لزينب وكان اسمها برة تركي نفسها فها زينب متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث التي في تسمية أفصح وإسار ونافع وبركة مسلم من حديث حمزة بن جندب إلا أنه جعل مكان بركة رباعا وله من حديث جابر أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينسئ أن يسمى يعلى وبركة الحديث (٩) حديث عائشة أمر في الغلام بشاين مكاتئين وفي الجارية بشاة الترمذي وصححه (١٠) حديث عني عن الحسن بشاة الترمذي من حديث علي وقال ليس بإسناده متصل ووصله الحاكم إلا أنه قال حسين ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال كيشا (١١) حديث مع الغلام غقيقته فأهريقوا عنه دماء أمطبوها عنه الأذى البخاري من حديث سلمان ابن عامر الضبي (١٢) حديث أمر فاطمة يوم سابع حسين أن تحلق شعره ويصدق بزنة شعره فضة الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند الترمذي منقطع بلفظ حسن وقال ليس بإسناده متصل ورواه أحمد من حديث أبي رافع .

مراتب الدعوة قال الله تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والوعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - فالحكمة رتبة في الدعوة والوعظة كذلك والمجادلة كذلك فمن يدعى بالحكمة لا يدعى بالوعظة ومن يدعى بالوعظة لا يصلح لدعوته بالحكمة فهكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الأبرار ومن هو على وضع القربين ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ومن له هوى في التخنن أو في التتم فيخلق للرب من عادة ويخرجه من مضيق هوى شبه ويطلع به باختياره ويطلبه باختياره ثوبا يصلح له وهبة تصلح له ويدأوى بالحسرة المخصوصة والمينة المخصوصة دام هواء ويؤخى بذلك تقريره

فالت ثالثة رضى الله عنها لا يكسر لعققة عظم . الخامس أن يحنكه بتمر أو حلوة وروى عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها قالت « ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أنبت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت في حجره ثم دعا بتمر فعضها ثم غفل في فيه ^(١) » فكان أول شيء دخل جوفه فمريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمر ثم دعا له وبركة عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام فخر حواجه فرحا شديدا لأنهم قبل لم يكن إلا اليهود قد سحرته فلا يولد لهما . الثاني عشر : في الطلاق ولزم أنه مباح ولكنه أفضى للباحث إلى الله تعالى وإنما يكون مباحا إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل ومهما طلقها فقد آذاها ولا يباح إيذاء الغير إلا بجنابة من جانبها أو بضرورة من جانبها قال الله تعالى - فإن طعنكم فلا تبغوا عليهم سديلا - أي لا تطلبوا أحقادا للفرق وإن كرهها أبوه فليطلقها قال ابن عمر رضى الله عنهما « كان نحر امرأة أحبها وكان أبي يكرهها وبأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق إمرأتك ^(٢) » فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ولكن والدي يكرهها لا للرض فاسد مثل عمر ومهما آذت زوجها وبنت على أهلها فهي جائنة وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى - ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة - مهما بدت على أهلها وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا أن يذبه في العدة ولكنه تنبيه على التصود وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تغدى بيد مال ويكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فإن ذلك إحجاف بها وتحامل عليها ونجاسة على البضع قال تعالى - فلا جناح عليهما فيما اتدت به - فرد ما أخذته فما دونه لا تقب بالعداء فإن سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آثمعة قال صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة ^(٣) » وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وفي لفظ آخر أنه عليه السلام قال « المختلعات من المناقعات ^(٤) » ثم ليراع الزوج في الطلاق أربعة أمور . الأول أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فإن الطلاق في الحيض أو الطهر الذي جامع فيه يدمى حرام وإن كان واقعا لما فيه من تطويل العدة عليها فإن فعل ذلك فليراجعها « طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال صلى الله عليه وسلم لعمر : مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها فذلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء ^(٥) » وإنما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين لتلا يكون مقصود الرجعة الطلاق قط . الثاني : أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لأن الطلقة الواحدة بعد العدة نفيد التصود ويستفيد بها الرجعة إن ندم في العدة وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة وإذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج إلى أن يتزوجها محلل وإلى الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه ويكون هو السامع فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطلبه أعنى زوجة المحلل بعد أن زوج منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور ولست

(١) حديث أسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم آنت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمر فعضها ثم غفل في فيه الحديث متفق عليه (٢) حديث ابن عمر كانت نحر امرأة أحبها وكان أبي يكرهها فأمرني بطلاقها الحديث أصحاب السنن قال ت حسن صحيح (٣) حديث أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان (٤) حديث المختلعات من المناقعات النسائي من حديث أبي هريرة وقال لم يسمع الحسن من أبي هريرة قال ومع هذا لم أسمعه إلا من حديث أبي هريرة قلت رواه الطبراني من حديث عتبة بن عامر بسند ضعيف (٥) حديث طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

إلى رضامولاه فالمرید الصادق للقلب باطنه بار الإراقة في بدء أمره وجملة إرادته كاللوع الحريرى على من رقيه ويدويه فلذا صادق شيخا ثبت من باطن الشيخ صدق العناية به لاطلاع عليه ونبئت من باطن المرید صدق الهبة تألف القلوب وتسام الأرواح وظهور سر السابعة فيهما باجتماعهما لله وفي الله وبالله فيكون القيمى الذى يلىس المرید خرقه تبشر المرید بحسن عناية الشيخ به فيعمل عند المرید عمل قيمى يوسف عند يعقوب عليها السلام . وقد نقل أن إبراهيم الخليل عليه السلام حين أتى في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عرياناً فاجبريل عليه السلام بقيمى من حرير الجنة وألبسه إياه وكان ذلك

أقول: لجمع حرام لكنه مكروه بهذه المعاني وأغنى بالكره تركه النظر لنفسه . الثالث أن يتألف في العمل بتطيقها من غير تعنيف واستخفاف وتطبيب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجهابه من أذى الفراق قال تعالى - ومتنوعن - وذلك واجب مهما لم يتم لها مهر في أصل النكاح . كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلّاقاً ومنكحاً ووجه ذات يوم بعض أصحابه بطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم فقبل فلما رجع إليه قال ماذا فعلتما قالاً أما إحداها فنكست رأسها وتنكست وأما الأخرى فبكت واتجبت وصمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مرابطاً امرأتين بعد ما فارقتهما لراجعتها . ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت للكل عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر مسيرى ذلك لكان أحب إليّ من أن يكون لي ستة عشر ذكراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فدخل عليه الحسن في بيته فخطبه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال ألا أرسلت إليّ فكنت أجيئك فقال الحاجة لنا قال وما هي قال جئتك خاطباً ابنتك فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما على وجه الأرض أحد يمشي عليها أعز عليّ منك ولكنك تعلم أن ابنتي بضعة مني يسوؤني ما يسوؤها ويسرني ما يسرها وأنت مطلق فأخاف أن تطلقها وإن فعلت خشيت أن يتبرق قلبي في محبتك وأكره أن يتبرق قلبي عليك فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن شرطت أن لا تطلقها زوجتك فكنت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته سمعته وهو يمشي ويقول : ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقاً في عنقي . وكان على رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقاته فكان يستدبر منه على الليل ويقول في خطبته : إن حسناً مطلقاً فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله بأمر المؤمنين لننكحه ما شاء فإن أحب أمسك وإن شاء ترك فسر ذلك علياً وقال :

لو كنت بواباً على باب الجنة قلت لعمدان ادخلي بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل ولده بنوع حياء فلا ينبغي أن يوافق عليه فهذه الواقعة فيجوز بل الأدب المخالفة ما أمكن فإن ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن دأبه والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح وقد وعد الله النبي في الفراق والنكاح جميعاً فقال - وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله - وقال سبحانه وتعالى - وإن تفرقا بض الله كلا من سعة - . الرابع : أن لا يغشى سرها لافي الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في إفشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعبد عظيم ^(١) . وروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة فقيل له مالك الذي يريك فيها فقال العاقل لا يترك سر امرأته فطالطها قبله لم يطلتها قال مالي ولا امرأة غيرة فهذا بيان ماعلى الزوج .

(القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها)

والقول الثاني في أن النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقاً في كل ما يطلب منها في نفسها بما لا يمتنع فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم « يا أيها المرأة ماتت وزوجها عنها راض دخل الجنة » ^(٢) « وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل

(١) حديث الوعيد في إفشاء سر المرأة مسلم من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفضي سرها (٢) حديث أبي هريرة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أبيه .

عند إبراهيم عليه السلام فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فبعض يعقوب عليه السلام ذلك القديس في تمويده وجهه في عنق يوسف فكان لا يفارقه لما أتى في البئر عرياناً جاءه جبريل وكان عليه التصويد فأخرج القديس منه وألبسه إليه . أخبرنا الشيخ العالِمُ رضي الله عن أحمد ابن إسماعيل القزويني بإجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أخبرني ابن فنجويه الحسين بن محمد قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا الحسن بن عوفيه قال ثنا إسماعيل بن عيسى قال ثنا إسحاق بن بشر عن ابن السدي عن أبيه عن مجاهد قال كان يوسف عليه السلام أعلم بالله تعالى

من العلو إلى السفل وكان أبوها في الأسفل فرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول إلى أبيها قال **لا** : أطيعي زوجك فبات فاستأمرته فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها ^(١) . وقال صلى الله عليه وسلم **إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها** ^(٢) . وأضاف طاعة الزوج إلى مبادئ الإسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال **حاملات والداك مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين أزواجهن دخل مصليةن الجنة** ^(٣) . وقال صلى الله عليه وسلم **اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء ، قتلن لم يارسول الله ؟ قال يكنن القمن ويكفرن العشير** ^(٤) . يعني الزوج للعشير وفي خبر آخر **اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قتلن** . وأبن النساء قال شغلن الأحران الذهب والزعفران ^(٥) . يعني الخلى ومصنجات الثياب . وقالت عائشة رضي الله عنها **أنت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إلى فتاة أخطب فأكره التزويج لما حق الزوج على المرأة قال : لو كان من فرقة إلى قدمه صديد فلعنته ما أدت شكره قالت أقل أزواج قال بل تزوجي فانه خير** ^(٦) . قال ابن عباس **أنت امرأة من ختم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إني امرأة أيم وأريد أن أزوج لما حق الزوج ؟ قال : إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بغير لائحه ومن حقها أن لا تعطى شيئا من بيته إلا بإذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقها أن لا تصوم قطوعا إلا بإذنه فان فعلت جاءت وعطشت ولم يتقبل منها وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنت الملائكة حتى ترجع إلى بيته أوتوب** ^(٧) . وقال صلى الله عليه وسلم **لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقها عليها** ^(٨) .

(١) حديث كان رجل خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفلى وكان أبوها في السفلى فرض الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف إلا أنه قال غفر لأبيها (٢) حديث إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها الحديث ابن حبان من حديث أبي هريرة (٣) حديث ذكر النساء فقال حاملات والداك مرضعات الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي أمامة دون قوله مرضعات وهي عند الطبراني في الصغير (٤) حديث اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٥) حديث اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قتلن أبن النساء قال شغلن الأحران الذهب والزعفران أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف وقال الحرير بدل الزعفران والمسلم من حديث عزة الأشجعية وبل للنساء من الأحران الذهب والزعفران وسند ضعيف (٦) حديث عائشة أنت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ياني الله إلى فتاة أخطب وإني أكره التزويج لما حق الزوج على المرأة الحديث الحاكم وصححه إسناده من حديث أبي هريرة دون قوله بل تزوجي فإنه خير ولم أره من حديث عائشة (٧) حديث ابن عباس أنت امرأة من ختم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أزوج لما حق الزوج الحديث البيهقي مقتصر على شطر الحديث ورواه بتامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٨) حديث لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقها عليها الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة دون قوله والولد لأبيه فلم أرها وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث ابن أبي أوفى .

من أن لا يعلم أن قبعة لا برد على مقبوع بصره ولكن ذلك كان قيس إبراهيم وذكر ما ذكرناه قال فأمره جبرائيل أن أرسل بقميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى أو تقيم إلا مص وعوفي فتكون الحرة عند الريد السائق متحمة إليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحة لله وري لبس الحرة من عناية الله به وفضل من الله فأما خرقه التبرك فيطلبها من مظلوفة التبرك يرى القوم ومثل هذا لا يطالب بشرائط الصحة بل يوصى للزوم حدود الشرع ومخالطة هذه الطائفة لتعود عليه بكرتهم وبتأديب بآدابهم فسوف يرقه ذلك إلى الأهلية خرقه الإرادة صلى هذا خرقه التبرك بمذولة لكل طالب

وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قصر بيتها وإن صلاتها في حوض دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حوض دارها وصلاتها في غندما أفضل من صلاتها في بيتها ^(١) » والمهدق بيت في بيت وذلك لستر ولذلك قال عليه السلام « المرأة عورة فإذا خرجت استسترها الشيطان ^(٢) » وقال أيضا « المرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات ^(٣) » لحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك اللطافة بما رواه الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل إذا خرج من منزله يقول له امرأتاه وأبنته ياك وكسب الحرم فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . وم « رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا تزوجته لم ترين سفره ولم يدع لك نفقة قالت تزوجني منذ عرفته عرفت كالا وما عرفه رزاقا ولي رب رزاق يذهب الأكل ويبقى الرزاق . وخطبت رابعة بنت اسماعيل أحد بني أبي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالي همه في النساء لشغلي بحال قالت إني لأشغل بحال منك ومالي شهوة ولكن ورثت ما لا جزيل من زوجي فأردت أن تنفقه على اخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا إلى الله عز وجل فقال حتى أستاذن أستاذي فرجع إلى أبي سلمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فهاها ولة لله هذا كلام الصديقين قال فترزوها فكان في منزلنا كن من جس ففني من غسل أيدي المستجلبين للخروج بعد الأكل فضلا عن غسل بالأشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتليقني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام رابعة المدوية بالبصرة . ومن الواجبات عليها أن لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فسادها فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر ^(٤) » ومن حقها على الوالدین تعليمها حسن العاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى أن أسماء

وخرقة الإرادة ممنوعة
إلا من الصادق الراغب
وليس الأزرق من
استحسان الشيوخ
في الحرفة فان رأى
شيخ أن يلبس مريدا
غير الأزرق فليس
لأحد أن يترش
عليه لأن الشايع
أراؤم فيها يفعلون
بحكم الوقت وكان
شيئا يقول كان
الفقيه يلبس قصير
الأكام ليكون أعون
على الخدمة ويعوز
للشيخ أن يلبس الريد
خرقة في دلمات على
قدر ما يتلح في ذلك
الصلحة للريد في ذلك
على ما استلزمه من
تداوى هواء في
اللبوس واللون
فيختار الأزرق لأنه
أرقق للفقير لكونه
يعمل الوسخ ولا
يعوج إلى زيادة
الفصل لهذا المعنى
غسب وما عدا هذا
من الوجوه التي
يدكرها بعض

(١) حديث أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قصر بيتها فان صلاتها في حوض دارها أفضل من صلاتها في المسجد الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره وآخره رواه أبو داود مختصرا من حديثه دون ذكر محسن الدار ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ ولأن تصلي في الدار خير لها من أن تصلي في المسجد وإسناده حسن ولابن حبان من حديث أم حميد نحوه (٢) حديث المرأة عورة فإذا خرجت استسترها الشيطان الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود (٣) حديث للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة الحديث الحافظ أبو بكر محمد بن عمر الجعفي في تاريخ الطالبيين من حديث علي بن سعيد ضيف وللطبراني في الصغير من حديث ابن عباس للمرأة ستران قيل وما هما قال الزوج والقبر (٤) حديث لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الحديث أبو داود الطيالسي والبيهقي من حديث ابن عمر في حديث فيه ولا تطعمي من بيته شيئا إلا بإذنه فان فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر ولأبي داود من حديث سمع قالت امرأة يارسول الله إنا كل على آياتنا وأبداننا وأزواجنا فما يحل لنا من أموالهم قال الرطب تأكله وتهديته وقد صحح الدارقطني في العلل أن سعدا هذا رجل من الأنصار ليس ابن أبي وقاص واختاره ابن القطان ولمسلم من حديث عائشة إذا أهقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أهقت وتزوجها أجره بما كسب .

بنت خاتمة المزاري قالت لا ينبتها عند الزوج : إنك خرجت من العش التي فيه درجت فصرت إلى فراش
لم تعرفي مقرن لم تألفيه فكوني له أرضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له أمة يكن
لك عبدا لا تلحق به قهقلا ولا تباذعي عنه فيفساك إن دنا منك فأقرني منه وإن تأني فأبدي عنه واحفظي
أفقه وصممه وعينه فلا يشمن منك إلا طيبا ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا . وقال الرجل لزوجته :

خذني العفو متى استدعيني مودني ولا تطغي في سورتي حين أغضب
ولا تقربني فترك الدف مرة فانك لا تدريين كيف القيب
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى وبأباك قلبي والقلوب تغلب
فاني رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فأقول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة في قمر بيتها لازمة لمزملها لا يكثر
صعودها وإطاعتها قليلة الكلام لجبراتها لا تدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول تحفظ بصلها في
غيبتها وتطلب مسرتها في جميع أمورها ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن
خرجت باذنه فحذقة في هيئة رثة تطلب للواضع الحالية دون الشوارع والأسواق محترمة من أن
يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تتصرف إلى صديق بصلها في حاجاتها بل تشكر على من تظن
أنه يعرفها أو تعرفه مهما صلاح شأنها وتدير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها وإذا استأذن صديق
لبعائها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستعهم ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلمها وتكون
قائمة من زوجها بمرزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها منتظفة في نفسها مستعملة
في الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء مشقة على أولادها حافظلة للسر عليهم قصيرة اللسان عن سب
الأولاد ومراعاة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم « أنا وامرأة سفهاء الحدين كهاتين في الجنة
امرأة آمنت من زوجها وحسنت نفسها على بناتها حتى تابوا أو ماتوا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم
« حرم الله على كل آدمي الجنة بدخلها قبل غير آني أنظر عن يميني فإذا امرأة تبادرنى إلى باب الجنة
فأقول مالها تبادرنى فيقال لي يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها ضربت
عليهن حتى بلغ أمرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك (٢) » . ومن آدابها أن لا تتفاخر على الزوج
بجمالها ولا تزدري زوجها لتبجح فقد روى أن الأصمعي قال دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن
الناس وجها تحت رجل من أجبس الناس وجها قتلت لها باهذه أنرضين نفسك أن تكوني تحت
مثله فقالت يا هذا اسكت قد أسأت في قولك لله أحسن فها بينه وبين خالقه فبطلنى توابه أولم
أسأت فها بيني وبين خالقي فبطله عقوبتي أفلا أرضى بما رضى الله لي فأسكتني . وقال الأصمعي رأيت
في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي مخضبة ويدها سبعة قتلت ما أبعد هذا من هذا فقالت :

وفه مني جانب لا أضيعه وللهو مني والبطالة جانب

فصلت أنها امرأة صالحة لها زوج تزني له . ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والاعتباس في غيبة
زوجها والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها ولا يفتني أن تؤذى زوجها
بحال الروى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا
قالت زوجة من المحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يباركك البنا (٣) »

(١) حديث أنا وامرأة سفهاء الحدين كهاتين الحديث أبو داود من حديث أنى مالك الأشجعي بسند
ضعيف (٢) حديث حرم الله على كل آدمي الجنة بدخلها قبل غير آني أنظر عن يميني فإذا امرأة
تبادرنى إلى باب الجنة الحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٣) حديث معاذ

التصوفة في ذلك كلام
إقناعي من كلام
التصنعين ليس من
الدين والحقيقة بشيء
سمعت الشيخ سيد
الدين أبا القبر الحمداني
رحمه الله قال : كنت
يقعد عند أبي بكر
الشروطي فخرج إلينا
فقير من زاوية عليه
ثوب بوسخ فقال له بعض
الفقراء لم لا تغسل
ثوبك فقال يا أخى
ما أنفخ فقال الشيخ
أبو الفخر لا زال أتذكر
حلاوة قول الفقير
ما أنفخ لأنه كان
صادقا في ذلك فأجد
لغة قوله وبركة
بشدة كاري ذلك
فاختاروا للون لهذا
اللعن لأنهم من رعاية
وقتهم في شغل شافل
والأفأى ثوب ألبس
الشيخ الريد من
أيض وغبر ذلك
فلشيخ ولاية ذلك
بحسن مقصده ووفور
عله وقد رأينا من
النشائج من لا يلبس

ومحاجب عليها من حقوق التكاح إدامات عنها زوجها أن لأحد عليها أكثر من أربعة أشهر وعشرا وتجنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينت بنت أبي سلمة دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبوسفیان بن حرب فدمعت بطيب فيه صفرة خلوق وأغيره فدهنت به جارية ثمست بمارضها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني صمت رسول الله ﷺ يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا (١) ويكرهها لزوم مسكن التكاح إلى آخر المدة وليس لها الاشتغال إلى أهلها ولا الخروج للضرورة . ومن أدامها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها قدروى عن أمعاء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنها أنها قالت تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت أعلف فرسه ما كفيه مؤثته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن وكنت أهل النوى على رأسى من ثلثي فرسخ حتى أرسل إلى أبي بكر بحارية فكفتنى سياسة القرس فكأننا اعتقنا (٢) ولقيت رسول الله ﷺ يوما ومعه أصحابه والنوى على رأسى فقال صلى الله عليه وسلم أتع لينسخ ناقة ويحمل خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغبر الناس فصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي عليه وسلم أنى قد استحييت فبشت الزبير فعكيت لها جرى قتال والله حملك النوى على رأسك أشد على من ركوبك معه . ثم كتاب آداب التكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(كتاب آداب الكسب والمعاش)

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد الله حمد مودع انحق في توحيد ماسوى الواحد الحق وتلاشى . ونعجده تعجيد من يصرح بأن كل شئ ماسوى الله باطل ولا يتعاشى . وأن كل من في السموات والأرض لن يخلقوا ذابا ولواجتمعوا له ولا فاشا . ونشكره إذ ذرع السماء له باده سقا عبدا ومعد الأرض بساطهم وفراشا . وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا . لينتسروا في ابتغاء فضله ويستنشوا به عن ضراعة الحاجات امتعاشا . ونصلى على رسوله الذى يصدر للؤمنون عن حوصه رواء بدورهم عليه عطاشا . وعلى آله وأصحابه الذين ليدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكاشا . وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب . جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار التحل والاضطراب . والتشمير والاكنتاب . وليس التشمير في الدنيا مقصورا على البعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة إلى العاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها . والناس ثلاثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من المالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والأقرب إلى الاعتدال هو الثالث الذى شغله معاشه لمعاده فهو من القاصدين . ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم في طلب العيشة منهج السداد ولن يتقرب من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذريعة مالم

لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الخور العين لا تؤذيه الحديث الترمذى وقال حسن غريب وابن ماجه (١) حدثت أم حبيبة لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا متفق عليه (٢) حدثت أمعاء تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرس وناضحه فكنت أعلف فرسه الحديث متفق عليه .

(كتاب آداب الكسب)

الحرقه ويسلك بأقوام من غير لبس الحرقه ويؤخذ منه العلوم والآداب وقد كان طبقة من السلف الصالحين لا يعرفون الحرقه ولا يلبسونها للربدين فمن يلبسها فله مقصد صحيح وأصل من السنة وشاهد من الشرع ومن لا يلبسها فله رأبه وله في ذلك مقصد صحيح وكل تصاريف للشيخ عجملة على السداد والصواب ولا تخلو عن نية صالحة فيه والله تعالى ينفع بهم ويأتمهم إن شاء الله تعالى .

[الباب الثالث عشر في فضيلة سكان الرط] قال الله تعالى في يوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالندو والآمال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب

يتأدب في طلبها بآداب الشريعة . وهانحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسنبا ونسرحها في خمسة أبواب . الباب الأول : في فضل السكب والحث عليه . الباب الثاني : في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات . الباب الثالث : في بيان العدل في العامة . الباب الرابع : في بيان الإحسان فيها . الباب الخامس : في شفقة التاجر على نفسه ودينه .

(الباب الأول في فضل السكب والحث عليه)

أما من الكتاب قوله تعالى - وجعلنا النهار معاشاً - فذكره في معرض الامتنان ، وقال تعالى - وجعلنا لكم فيها معايش كثيراً ما تشكرون - فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها . وقال تعالى - ليس عليكم جناح أن تنفقوا فضلاً من ربحكم - وقال تعالى - وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله - وقال تعالى - فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله - وأما الأخبار : فقد قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله في طلب العيشة ^(١) » وقال عليه الصلاة والسلام « التاجر الصدوق يمشي يوم القيامة مع الصديقين والشهداء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالاً وتعتقاً عن المسئلة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر ^(٣) » وكان صلى الله عليه وسلم جالساً مع أصحابه ذات يوم ففطروا إلى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا وبع هذا لو كان شبابه وجده في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكتفها عن المسئلة ويضربها عن الناس فهو في سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضفاف ليقيمهم ويكفهم فهو في سبيل الله وإن كان يسعى فاختاراً وتكافراً فهو في سبيل الشيطان ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد يتخذ للهنة يستغنى بها عن الناس ويغنى العبد يتعلم العلم يتخذ مهنة ^(٥) » وفي الخبر « إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور ^(٧) » وفي خبر آخر

(الباب الأول في فضل السكب والحث عليه)

(١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله في طلب العيشة تقدم في السكاح (٢) حديث التاجر الصدوق يمشي يوم القيامة مع الصديقين والشهداء الترمذي والحاكم من حديث أبي سعيد قال الترمذي حسن وقال الحاكم إنه من مراديل الحسن ولابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر (٣) حديث من طلب الدنيا حلالاً وتعتقاً عن المسئلة وسعياً على عياله الحديث أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبونعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالساً مع أصحابه ذات يوم ففطروا إلى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا وبع هذا لو كان وجده في سبيل الله الحديث الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف (٥) حديث إن الله يحب العبد يتخذ للهنة يستغنى بها عن الناس الحديث لم أجده هكذا ، وروى أبونمصور النيسابى في مسند القردوس من حديث علي بن أبي حمزة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في طلب الحلال وفيه محمد بن سبل المطار قال الهارظى يضع الحديث (٦) حديث إن الله يحب المؤمن المحترف الطبراني وابن عدى وصفه من حديث ابن عمر (٧) حديث أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور أحمد بن محمد بن رافع بن خديج قيل يارسول الله أى السكب أطيب قال عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور ورواه البراء بن عازب عن عمه قال الحاكم صحيح الاستاد قال وذكر يحيى بن معين أن عم سعيد البراء بن عازب ورواه البيهقي من رواية سعيد بن عمير مرسلًا وقال هذا هو المخطوط وخطاً قول من قال عن عمه وحكاة عن البخارى ورواه أحمد والحاكم بن رواية

والأبصار - قيل إن هذه البيوت هي الساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت النبي عليه الصلوة والسلام : وقيل لما نزلت هذه الآية قام أبو بكر رضى الله عنه وقال يارسول الله هضم البيوت منها بيت على وفاطمة قال نعم أفضلها . وقال الحسن : بقاع الأرض كلها . جعلت مسجداً لرسول الله عليه الصلاة والسلام فمن هذا الاعتبار بالرجال الداكرين لا يصور البقاع أى بغمة حوت رجلا بهذا الوصف هي البيوت التى أذن الله أن ترفع : روى أنس ابن مالك رضى الله عنه أنه قال « ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادى بعضها بهضها لم يركب اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك فمن قائلته ومن قائلته لا فاذا قالت نعم علت أن لها عليها بلك فضل وما

«أهل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح»^(١) وقال عليه السلام «عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق»^(٢) وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال مانصع ؟ قال أتعبد قال من يبولك ؟ قال أخى قال أخوك أعبد منك وقال نبينا صلى الله عليه وسلم «إني لأعلم شيئاً يقرّ بكم من الجنة ويعدكم من النار إلا أمرتكم به وإني لأعلم شيئاً يعدكم من الجنة ويقرّ بكم من النار إلا نهيتكم عنه وإنّ الروح الأمين نفث في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطل عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل تركوا الطلب ثم قال في آخره «ولا عمنكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بحسبة الله تعالى فإن الله لا ينال ما عنده بحسبته»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها»^(٤) وقال عليه السلام «لأن يأخذ أحدكم حبله فيخطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه»^(٥) وقال «من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر»^(٦) . وأما الآثار : فقد قال لقمان الحكيم لابنه : يا بني استغن باليسب الحلال عن التقرّفات ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به . وقال عمر رضي الله عنه : لا يبعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تطر دهباً ولا فضة وكان زيد بن مسلفة يقرس في أرضه فقال له عمر رضي الله عنه أصبت استغن عن الناس يكن أسوء لدينك وأكرم لك عليهم كفاف صاحبكم أحيحة : فلن أزال على الزوراء أغمرها إن السكريم على الإخوان ذوالنار

وقال ابن مسعود رضي الله عنه إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في أمر دينه ولا في أمر آخرته . وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم التفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق أحب إليّ لأنه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق السكبال والبرهان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضي الله عنه : ما من موضع يأتيه اللوث فيه أحب إليّ من موطن أنسوق فيه لأهلي أبيع واشترى وقال المهديّ ربما يئسف عن الرجل يقع في فأذكر استغنى عنه فيكون ذلك على وقال أيوب كسب فيه شيء أحب إليّ من سؤال الناس وجاءت ربح

جميع بن عمير عن خاله أبي بردة وجميع ضعيف والله أعلم (١) حديث أهل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح أحمد من حديث أبي هريرة خير السكبال كسب العامل إذا نصح وإسناده حسن (٢) حديث عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق إبراهيم الحارثي في غريب الحديث من حديث نعم بن عبد الرحمن تسعة أعشار الرزق في التجارة ورجاله ثقات ونعم هذا قال فيه ابن منده ذكر في الصحابة ولا يصح وقال أبو حاتم الرازي وابن حبان إنه تابعي فالحديث مرسل (٣) حديث إني لأعلم شيئاً يعدكم من الجنة ويقرّ بكم من النار إلا نهيتكم عنه فإن الروح الأمين نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شاهداً الحديث أبي حميد وجابر وصحهما على شرط الشيخين وهما مختصران ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال إنه منقطع (٤) حديث الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها رويها في الطيوريات من قول الحسن البصري ولم أجده مرفوعاً (٥) حديث لأن يأخذ أحدكم حبله فيخطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر الترمذي من حديث أبي كبشة الأعمش روى في لائق عبد باب مسئلة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلة نحوها وقال حسن صحيح .

من عبد ذكره الله تعالى على بقعة من الأرض وأوصله الله عليها إلا شهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه يوم يموت . ، وقبل في قوله تعالى - فما بكت عليهم السماء والأرض - تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لأن الأرض تبكي عليهم ولا تبكي على من ركن إلى الدنيا واتبع الهوى فكان الرباط هم الرجال لأنهم ربطوا نفوسهم على طاعة الله تعالى وانقطعوا إلى الله فأقام الله لهم الدنيا بخدمة . وروى عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من انقطع إلى الله كفاه الله شؤنه ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها» وأصل الرباط ما يربط فيه الحيوان ثم قيل لكل فقر يدفع أهله عن

عاصفة في البحر فقال أهل السفينة لإبراهيم بن آدم رحمه الله وكان معهم فيها أما ترى هذه الشدة فقال ما هذه الشدة إنما الشدة الحاجة إلى الناس . وقال أيوب قال لي أبو قلابة الزم السوق فإن النقي من العافية يعني النقي عن الناس . وقيل لأحمد ما تقول فيمن جالس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتي رزقي فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي ^(١) » وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال « تندو خماسا وتروح بطان ^(٢) » فذكر أنها تندو في طلب الرزق ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويسملون في تخيلهم والندوة بهم وقال أبو قلابة لرجل لأن أراك تطلب معاشك أحب إلى من أن أراك في زاوية المسجد . وروى أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن آدم رحمه الله وطمع عنه حزمة حطب فقال له يا أبا إسحق إلى متى هذا إخوانك يكتفونك فقال دعني عن هذا يا أبا عمرو فإنه بلغني أنهم من وقته وقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال بوسليان الداراني ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وعريك بقوتك ولكن ابتدا برغبتك فأحرزها ثم تعبد . وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ينادي مناد يوم القيامة أين بضاض الله في أرضه فيقوم سؤال الساجد فيه مذمة الترفع لسؤال والاتكال على كفاية الأغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجي من ذلك إلا الكسب والتجارة . فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم « ما أوحى إلي أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلي أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ^(٣) » وقيل لسلمان الفارسي أوصنا فقال من استطاع منكم أن يموت حاجا أو غاريا أو عامرا لم يسجد به فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا خائنا . فالجواب أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال فقول لنا قول التجارة أفضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاله لا ييسرف إلى الحريات والصدقات فهي مذمومة لأنه إقبال على الدنيا التي حبر رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك ظلما لخائنا فهو ظلم وفسق وهذا ما أراده سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا خائنا وأراد بالتاجر طالب الزيادة فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه أو لأهله وكان يقدر على كفايتهم السؤال فالتجارة تنفعا عن السؤال أفضل وإن كان لاحتياج إلى السؤال وكان يسئلى من غير سؤال فالكسب أفضل لأنه إنما يسئلى لأنه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره فالتعفف والتسروا إلى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب أفضل لأربعة عابدين بالعبادات البدنية أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والكشافات أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما يتفهم الناس به في دينهم كالعلمي والفسر والمحدث وأمثالهم أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمرهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال الرصد للصالح والأوقاف السبلة على الفقراء أو العلماء فيقال لهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ولهذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح محمد ربك ولكن من الساجدين ولم يور إليه أن كن من التاجرين لأنه لا مكان جامعا لهذه المصالح الأربعة إلى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضي الله عنهم بترك التجارة فقلوا في الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن الصالح وكان يأخذ كفايته من مال الصالح ورأى ذلك أولى

(١) حديث إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي أحمد من حديث ابن عمر جعل رزقي تحت ظل رمحي وإسناده صحيح (٢) حديث ذكر الطير قال تندو خماسا وتروح بطان الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث ما أوحى إلي أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلي أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين.

وراءه رباط فالجاهد للرباط يدفع عن وراءه وللقبي إلى الرباط طي طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاء عن العباد والبلاء . أخبرنا الشيخ العالم رضي الدين أبو الحارث أحمد بن اسمعيل القزويني بإجازة قال أنا أبو سعيد محمد ابن أبي العباس الخليلي قال أخبرنا القاضي محمد ابن سعيد القرخزاي قال أنا أبو إسحق أحمد ابن محمد قال أنا الحسين ابن محمد قال أنا أبو بكر ابن خزيمة قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبو حنيفة الحمصي قال حدثنا يحيى بن سعيد القطار [١] قال حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن [١] قوله بالمعاش القطار هكذا بنسخة وفي أخرى المطار ولله القطان بالسون وليحرر .

ثم لما توفى أوصى بـرده إلى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء أولى ، ولهو لاء الأرمية حالتان أخبرنا
إحداهما أن تكون كفاتهم عند ترك الكسب من أيدي الناس وما يصدق بهم عليهم من زكاة أو صدقة
من غير حاجة إلى سؤال فترك الكسب والاشتغال بعام فيه أولى إذ فيه إعانة الناس على الحريات وقبول
منهم لما هو حق عليهم وأفضل لهم . الحالة الثانية الحاجة إلى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات
التي رويتها في السؤال وذمة تدل ظاهرا على أن التعفف عن السؤال أولى والطلاق القول فيه من غير
ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير بل هو موكول إلى اجتداد العبد ونظره نفسه بأن يقابل ما يلقى
في السؤال من المذلة وهتك الرودة والحاجة إلى التثقل والإلحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل
من الفائدة والقيمة قرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم أو العمل ويهون عليه
بأذن تعريض في السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يقابل المطلوب والمحدور
فينبغي أن يستغنى الربيد فيه قبله وإن أفاء القتون فإن الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق
الأحوال ولقد كان في السلف من له ثلاثة وستون صديقا يزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له
ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لهم بأن التكافؤ بهم يتقلدون منه من قبولهم لمراتهم فكان
قبولهم لمراتهم خيرا مضافا لهم إلى عباداتهم فينبغي أن يصدق النظر في هذه الأمور فإن أجر الآخذ
كأجر المعطى مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والمعطى يعطيه عن طيب قلب ومن اطاع على هذه
المانى أمكنه أن يعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته
فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذي به الاكتساب جامعاً لأربعة أمور الصحة والعدل والإحسان
والشفقة على الدين ونحن نقف في كل واحد باباً وينبغي بذكر أسباب الصحة في الباب الثاني .

(الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلام والإجارة والقراض والشركة
وبيان شروط التبرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار الكسب في التبرع)

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكنتب لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم وإنما
هو طلب العلم المحتاج إليه والمكتسب يحتاج إلى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على
مفسدات العاملة فيتحقق ما شذ عنه من القروع الشكية فيقع على سبب إشكالها فيتوقف فيها إلى أن
يسأل فانه إذا لم يعلم أسباب الفساد يعلم جمل فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا أقدم
العلم ولكنني أصبر إلى أن تقع لي الواقعة فنيدها أتعلم وأستغنى فقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما
لم تعلم جل مفسدات العقود فانه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر
من علم التجارة لينزله للبائع عن المخطور وموضع الإشكال عن موضع الوضوح ولذلك روى عن
عمر رضي الله عنه أن كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا إلا من
يفقه وإلا أكل الربا شاماً أمي ، وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تفك الكسب عنها
وهي البيع والربا والسلام والإجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها .

(العقد الأول البيع)

وقد أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان العاقد والمقود عليه واللفظ . الركن الأول : العاقد ينبغي للتاجر
أن لا يامل بالبيع أربعة الصي والمجنون والعبد والأعمى لأن الصي غير مكافئ وكذا المجنون وبمهما
باطل فلا يصح بيع الصي وإن أذن له فيه الولي عند الشافعي وما أخذه منهما مضمون عليه لهما وماله
في العاملة إليها فضاع في أيديهما فهو الضيع له . وأما العبد الماقل فلا يصح بيعه وشراؤه إلا بإذن سيده

(الباب الثاني في علم الكسب)

عن ابن عمر قال : قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن الله
تعالى ليدفع بالسلم
الصالح عن مائة من
أهل بيته ومن جيرانه
البلاء . » وروى عنه
صلى الله عليه وسلم أنه
قال « لولا عباد الله
ركع وصية رضع
وبهائم ترفع لصب
عليكم العذاب صباً
ثم يرض زساً »
وروى جابر بن
عبدالله قال : قال النبي
صلى الله عليه وسلم
« إن الله تعالى ليصلح
بصلاح الرجل ولده
وولده ولده وأهل
دورته ودورات
حوله ولا يزالون في
حفظ الله ما دام فيهم »
وروى داود بن صالح
قال قال لي أبو سلمة
ابن عبد الرحمن يابن
أخي هل تدري في أي
شيء زلت هذه الآية
- اصبروا وصابروا
ورابطوا قلت لا قال
يابن أخي لم يكن في

فلى البقال والحليز والقصاب وغيرهم أن لا يماضوا البيدماء تأذن لهم السادة في معاملتهم وذلك بأن يسمعه صريحا أو يفتقر في اليح أنه مأذون له في الشراء لبيده وفي اليح له فيعوك على الاستفاضة أو على قول عبد بن جهمر بنك فان عامله بغير إذن السيد فقد ضاع باطلوما أخذه منه مضمون عليه لبيده وماتله إن ضاع في يد العبد لا يتلقى رقبته ولا يضمنه سيده بل ليس له إلا اللطالة إذا عتق . وأما الأعمى فانه يبيع ويشترى ما لا يرى فلا يصح ذلك فليأمره بأن يوكل وكلا بصيرا ليشتري له أو يبيع فيصح توكيله وصح بيع وكيله فان عامله التاجر بنفسه فالمعاملة فاسدة وما أخذه منه مضمون عليه بقيته وما سلمه إليه أيضا مضمون له بقيته . وأما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه للصنف ولا للعبد السلم ولا يباع منه السلاح إن كان من أهل الحرب فان ضل قهبي معاملات مردودة وهو باعها ربه . وأما الجندي فمن الأتراك والتركانية والعرب والأكراد والسراق والحونة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكثر ما له حرام فلا ينبغي أن يملك مما في أيديهم شيئا لأجل أنها حرام إلا إذا عرف شيئا بينه أنه حلال وسأى تفضيل ذلك في كتاب الحلال والحرام . الركن الثاني في العقود عليه : وهو لئال التصود نقله من أحد العاقدين إلى الآخر مما كان أو شئنا فيعتبر فيمته شروط . الأول أن لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير ولا بيع زبل وعذرة ولا بيع العاج والأواني للتخذه منه فان العظم ينجس بالموت ولا يظهر القبل بالبيع ولا يظهر عظمه بالذكية ولا يجوز بيع الحجر ولا بيع الودك النجس للسترخرج من الحيوانات التي لا تؤكل وإن يصلح للاستصباح أو طلاء السفن ولا بأس ببيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة أو موت ذرة فيه فانه يجوز الاتفاق به في غير الأكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا يرى بأسا ببيع زراقرق فانه أصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان أولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فأرة للشك ويقضى بطهارتها إذا انفصلت من الطيبة في حالة الحياة . الثاني أن يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات ولا القارة ولا الحية ولا الثفات إلى انتفاع للشعب بالحية وكذا لا الثفات إلى انتفاع أصحاب الحق باخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الهررة والتحل وبيع القهد والأسد وما يصلح لصيد أو ينتفع بحلده ويجوز بيع القبل لأجل الحل ويجوز بيع الطوطى وهى البينة والطاوس والطيور اللبحة الصور وإن كانت لا تؤكل فان التفرج بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح وإنما الكلب هو الذى لا يجوز أن يقتنى إجماعا بصورته لى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ^(١) ولا يجوز بيع العود والصنح والزماير وللأهلي فانه لمنفعة لها شرعا وكذا بيع الصور المتنوعة من الطين كالحوانات التي تباع في الأعياد للعب الصبيان فان كسرها واجب شرعا وصور الأشجار متسامح بها وأما الثياب والأطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا السور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نشأ رضى الله عنها « أتخذى منها ثمارى ^(٢) » ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة وإذا جاز الاتفاق من وجه صح البيع فلهذا الوجه . الثالث أن يكون التصرف فيه مملوكا للعائد أو مأذونا من جهة المالك ولا يجوز أن يشتري من غير المالك انتظارا للادن من المالك بل لو رضى بعد ذلك وجب استئناف العقد ولا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد اعتادا على أنه لو عرف رضى به فانه إذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وأمثال ذلك مما جرى في الأسواق فواجب على العبد للتدين أن يحترمه . الرابع أن يكون العقود عليه مقدورا على تسليمه

ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزور يربط فيه الحليل ولنسكه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط لجهاد النفس والتسليم في الرباط مزايا بمجاهد نفسه قال الله تعالى « وجاهدوا في الله حق جهاده » قال عبد الله ابن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الأسكبر على ما روى في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من بعض غزواته « رجنا من الجهاد الأفسر إلى الجهاد الأكبر » . وقيل : إن بعض الصالحين كتب إلى أخيه له يستدعيه إلى التزو فكتب إليه يأخى كل الغور بجمعة لى في بيت واحد والباب على مردود فكتب إليه أخوه لو كان الناس كلهم لمزموها ما زمته اختلت أمور

(١) حديث الترمذى عن اقتناء الكلب متفق عليه من حديث ابن عمر من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أو ضاريا فمن من عمله كل يوم قيراطان (٢) حديث أنعذى منها ثمارى بقوله لعائشة متفق عليه من حديثها .

شرعا وحسا لما لا يقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه كالأبق والسمك في الماء والجبن في البطن وعشب القبل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فانه يتغير تسليمه باختلاط غير البيع بالمبيع والمعجوز عن تسليمه شرعا كالمرهون والوقوف والتسوية فلا يصح بيعها أيضا وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الأم لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع . الخامس : أن يكون البيع معلوم العين والتقدير والوصف أما العلم بالعين فبأن يشير إليه بنبته فلو قال بتلك شاة من هذا القطيع أمي شاة أردت أو ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك أو زراعا من هذا الكرياس وخذه من أي جانب شئت أو عشرة أذرع من هذه الأرض وخذه من أي طرف شئت والبيع باطل وكل ذلك مما يتبادر للتداول في الدين إلا أن يبيع شاة ما مثل أن يبيع نصف الشيء أو عشرة فإن ذلك جائز . وأما العلم بالقدر فاما يحصل بالسكيل أو الوزن أو النظر إليه فلو قال بتلك هذا الثوب بمائة باع به فلان ثوبه وهما لا يدريان ذلك فهو باطل ولو قال بتلك بزنة هذه الصنجة فهو باطل إذا لم تكن الصنجة معاونة ولو قال بتلك هذه الصبرة من الخنطة فهو باطل أو قال بتلك هذه الصبرة من الدرام أو بهذه القطعة من الذهب وهو راسخ البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة القدر ، وأما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية في الأغنياء ولا يصح بيع الغائب إلا إذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يخلب التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العين هذا أحد الفقهاء ولا يجوز بيع الثوب في النسخ اعتمادا على القوم ولا يصح الخنطة في سفلها ويجوز بيع الأرض في قشرته التي يدخر فيها وكذا بيع الجوز والقوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين ويجوز بيع البقالة الرطبة في شريه للحاجة ويتسامح ببيع القفص لجريان عادة الأولين به ولكن يجعله إجابة بعبء فان اشتراه لبيعه فاقباضه بطلانه لأنه ليس مستترا ستر خلقة ولا يبعد أن يتسامح به إنفي إخراجها إفساده كالزمان وما يستر بستر خلق منه . السادس : أن يكون البيع مقبوضا إن كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ما لم يقبض ^(١) ويستوى فيه العقار والنقول فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض قيمه باطل وقبض النقول بالنقل وقبض العقار بالتخليفة وقبض ما ابتاعه بشرط السكيل لا يتم إلا بأن يكتاله . وأما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصل فيه بمعاوضة فهو جائز قبل القبض . الركن الثالث : لفظ العقد فلا بد من جريان إيجاب وقبول متصل به بلفظ دل على المقصود منهم إما صريحا أو كناية فلو قال أعطيتك هذا بذاك بدل قوله بتلك فقال قبلته جاز مهما قصد به البيع لأنه قد غشمت الإعارة إذا كان في ثوبين أو دأيتين والنية تدفع الاحتمال والصريح أقطع للخصومة ولكن الكتابة تغيد الملك والحد أيضا فيما يختاره ولا يفتى أن يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط أن يزيد شيئا آخر أو أن يجعل المبيع إلى داره أو اشتري الحطب بشرط النقل إلى داره كل ذلك فاسد إلا إذا أفرد استجاره على النقل بأجرة معلومة مفردة عن الشراء للنقول ومهما لم يجر بينهما إلا الماطاة بالفعل دون التلفظ باللسان لم يتعد البيع عند الشافعي أصلا وانفقد عند أبي حنيفة إن كان في المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير فان رد الأمر إلى العادات فقد تجاوز الناس المحقرات في الماطاة إذ يتقدم الدالان إلى البراز يأخذ منه ثوبا دياجا قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله إلى المشتري ويؤد إليه بأنه ارتضاء فيقول له خذ عشرة فيأخذ من صاحبه عشرة ويحمله ويسلمها إلى البراز فيأخذها ويتصرف فيها ومشتري الثوب يقطعه ولم يجر بينهما إيجاب وقبول أصلا وكذلك يجمع المجهزون على حانوت

(١) حديث النبي عن بيع ما لم يقبض متفق عليه من حديث ابن عباس .

السفين وغلب الكفار فلا بد من التزو والجهاد فكتب إليه يأخى لو زيم الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم على سجداتهم الله أكبر انهم سور قسطنطينية . وقال بعض الحكماء ارتفاع الأموات في بيوت العبادات بحسن النيات وصف الطويات محل ما عقده الأوثان الدوائر في اجتماع أهل الرباط صرح على الوجه للوضوح له الربط وتحقق أهل الربط بحسن للعامة ورعاية الأوقات ونوق ما يفسد الأعمال واعتقاد ما يصحح الأحوال عادت البركة على البلاد والبلاد . وقال سري السقطي في قوله تعالى - اصبروا وصابروا - اصبروا - اصبروا - اصبروا - اصبروا - الدنيا رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا أهواء النفس

البيع فمعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد فيقول أحدهم هذا على بتسعين ويقول الآخر هذا على خمسة وتسعين ويقول الآخر هذا بمائة فيقال له زن فزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول قد استمرت به العادات وهذه من الضلالت التي ليست تجب العلاج إذ الاحتمالات ثلاثة . إما فتح باب المعاوضة مطلقا في الحقيق والتفويض وهو محال إذ فيه غل للكل من غير لفظ دال عليه وقد أحل الله البيع والبيع اسم للإيجاب والقبول ولم يجر ولم يطلق اسم البيع على مجرد فعل تسليم وتسليم تسلم فإذا يحكم باتصال للكل من الجانبين لاسيا في الجوارى والعيد والمقارن والدواب التفهيم وما يكثر التنازع فيه إذ التسليم أن يرفع ويقول قد ندمت وما بهته إذ لم يصدر مني إلا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع . الاحتمال الثاني أن نسد الباب بالكلية كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان العقد وفيه إشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات متعاقبا في زمن الصحابة ولو كانوا يتكفون الإيجاب والقبول مع البقال والحجاز والفساب لثقل عليهم فلهو لثقل ذلك قتل متشرا ولكان يشتر وقت الإعراض بالكلية عن تلك العادة فإن الأعصار في مثل هذا تفاوت . والثاني أن الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الإنسان شيئا من الأطعمة وغيرها إلا ويسلم أن البائع قدمه له بالمعاوضة فأى فائدة في تلفظه بالعقد إذا كان الأمر كذلك . الاحتمال الثالث أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قال أبو حنيفة رحمه الله وعند ذلك يصير الضبط في المحقرات وبشكل وجه ثقل للكل من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج إلى تحريم قول للشافعي رحمه الله على وقته وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال فلا بأس لومنا إليه لميسر الحاجب ولعموم ذلك بين الحلق ولما يلب على الظن بأن ذلك كان متعاقبا في الأعصار الأول . فأما الجواب عن الإشكاليين فهو أن قول أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تنكفه بالتقدير فإن ذلك غير ممكن بل له طرقتان وإحسان إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والجوز واللحم من العدود من المحقرات التي لا يعتاد فيها إلا المعاوضة وطالب الإيجاب والقبول فيه بعد مستقصا ويسترد تكليفه لذلك ويستعمل وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقيق ولا وجه له فهذا طرف الحقارة والطرف الثاني الدواب والعيد والمقارن والحيات النفسية فذلك مما لا يستبعد تنكف الإيجاب والقبول فيها وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة تحقق ذي الدين أن يعمل فيها إلى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأوساط مشككة وأما الثاني وهو طلب سبيل ثقل للكل فهو أن يجعل الفعل باليد أخذنا وتسليا سبيا إذ اللفظ لم يكن سبيا لعينه بل لمدالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم إليه ميسر الحاجة وعادة الأولين وأطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول مع التصرف فيها ، وأى فرق بين أن يكون فيه عوض أولا يكون إذ ذلك لا بد من هله في الجهة أيضا إلا أن العادة السالفة لا تفرق في الهدايا بين الحقيق والتفويض بل كان طلب الإيجاب والقبول يستنبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستنبح في غير المحقرات هذا ما تراه أعدل الاحتمالات وحق الورع للتدين أن لا يذيع الإيجاب والقبول للخروج عن شبه الخلاف فلا ينبغي أن يمنع من ذلك لأجل أن البائع قد تملكه بنبر إيجاب وقبول فإن ذلك لا يعرف تحقيقا فرما اشتراء بقبول وإيجاب فإن كان حاضرا عند شرائه أو أقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فإن كان الذي يحضر وهو إليه محتاج فليلتفظ بالإيجاب والقبول فإنه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه إذا الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن . فإن قلت فإن أمكن هذا فيما يشتريه فكيف فعل إذا حضر في ضيافة أو على مائدة وهو يعلم أن أصحابها يكتفون بالمعاوضة في البيع والشراء

الوامة وانقوا ما يجب
لكم التداية فلكم
تفاحون غدا على بساط
الكرامة وقيل أصبروا
على بلاني وصابروا
على نعماني وربطوا في
دار أعدائي وانقوا
حبة من سواني فلكم
تفاحون غدا بلاني .
وهذه شرائط ساكن
الرباط قطع للمام قطع
الحلق وفتح للمام قطع
الحق وتركه لاكتساب
الكفاة بكفاة سبب
الأسباب وحسب
النفس عن الخالطات
واجتناب التبعات
وطائق ليله ونهاره
البادة متعوسا بها
عن كل عادة شفه
حفظ الأوقات وملازمة
الأوراد وانتظار
الصلوات واجتناب
الفحشاء ليكون بذلك
مرابطا بمجاهد . حدثنا
شيخنا أبو التيجيب
السهروردي قال أنا ابن
نهران محمد الكاتب
قال أنا الحسن بن
شاذان قال أنا دعلج

أوسع منهم ذلك أوزاره أعجب عليه الامتناع من الأكل . فأقول : يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا قريبا ولم يكن من المحترقات . ولما أكل فلا يجب الامتناع منه فإني أقول إن تردنا في جعل الفضل دالة على قتل للثمن فلا ينبغي أن لا نجعله دالة على الإباحة فإن أمر الإباحة أوسع وأمر قتل الملك أضيّق فكل مطعوم جرى فيه بيع مطابقة تقسيم البائع إذن في الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال كإذن الخامى في دخول الحمام والإذن في الإطعام لمن يريده للشترى فيقول منزلة ما لو قال أبعث لك أن أأكل هذا الطعام أو تطعم من أردت فإنه يحله ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه لحل الأكل ويلزمه الضمان بدلا لكل هذا قياس الفتنة عندي ولكنه بعد المطاعة أكل ملكه ومتلف له فله الضمان وذلك في ذمته والتمن الذي جله إن كان مثل قيمته قد غفر للتمن بمثل جقه فله أن يسلكه مهما عجز عن مطابقة من عليه وإن كان قادرا على مطابقته فإنه لا يملك ما غفره من ملكه لأنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه فله الرجعة وأما هنا قد عرف رضا بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد أن يجعل الفضل دالة على الرضا بأن يستوفى دينه بما يسلم إليه فيأخذه بحقه لكن على كل الأحوال جانب البائع أغمض لأن ما أخذه قد يرد المالك ليصرف فيه ولا يمكنه التملك إلا إذا ألتفت عين طعامه فيد الشترى ثم ربما يقتدر على استئناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استغاده من الفضل دون القول . وأما جانب الشترى للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فعين فإن ذلك يباح بالإباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يترتب من مشاورته أن الضيف يشمن ما أتلفه ولما يسقط الضمان عنه إذا تملك البائع ما أخذه من للشترى فيسقط فيكون كالقاضي دينه والتحمل عنه فهذا مانراه في قاعدة المطاعة على غموضها والملم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون ، وأما الورع فإنه ينبغي أن يستغنى قلبه ويتقى مواضع الشبه .

(العقد الثاني عقد الربا)

وقد حرمه الله تعالى وشدد الأمر فيه ويجب الاحتراز منه على الضيافة المتعاملين على التقديرات وعلى المتعاملين على الأجمة إذ لا ربا إلا في نقد أو في طعام وعلى الصيرفي أن يحترز من النسبة والفضل . أما النسبة فإن لا يبيع شيئا من جواهر التقديرات بشيء من جواهر التقديرات إلا بيدا يد وهو أن يجري التفاضل في المجلس وهذا احتراز من النسبة وتسليم الصيرافة الذهب إلى دار الضرب وشراء الدنانير للضرورة حرام من حيث النساء ومن حيث إن الغالب أن يجري فيه تعاضل إذ لا يرد الضروب بمثل وزنه . وأما الفضل فيحترز منه في ثلاثة أمور في بيع السكر بالصحيح فلا يجوز العامة فيهما إلا مع العامة وفي بيع الجيد بالردى فلا ينبغي أن يشتري ردبا بمجيد دونه في الوزن أو يبيع ردبا بمجيد فوقة في الوزن أعني إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فإن اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة كالتدائير المتولدة من الذهب والفضة إن كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح العامة عليها أصلا إلا إذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فالتاريخ في العامة عليه إذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم النقوشة بالنحاس إن لم تكن راحة في البلد لم تصح العامة عليها لأن القصد منها التقرة وهي مجهولة وإن كان نقدا رائجا في البلد رخصا في العامة لأجل الحاجة وحروج التقرة عن أن يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالقررة أصلا وكذلك كل شيء مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي أن يشتري بمتاع آخر إن كان قدر الذهب منه معلوما إلا إذا كان موهبا بالذهب موهبا لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بثلثها

قال أنا البهوي عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال حدثنا صفوان عن الحرث عن سعيد ابن السيب عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إسباغ الوضوء في للكاره وإعمال الأقدام إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلا » . وفي رواية « ألا أخبركم بما يتحوا به الخطايا وترفع به الدرجات ألوا إلى بارئ رسول الله قال

إسباغ الوضوء في للكاره وكثرة الخطا إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط » [الباب الرابع عشر في مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة] قال الله تعالى - مسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يعبون

من التمرة بما أريد من غير التمرة وكذلك لا يجوز للصبري أن يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولأن بيغته بل بالفضة بدا يد إن لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها . وأما للتعاولون على الأنظمة فليعلم التفاضل في المجلس اختلف جنس الطعام للبيع والشراء أولم يختلف فإن اتحد الجنس فليعلم التفاضل وسراعة المائلة والمتاد في هذا معاملة القصاب بأن يسلم إليه اللحم ويشتري بها اللحم قدما أو نسيئة فهو حرام ومعاملة الحجاز بأن يسلم إليه الخنطة ويشتري بها الخبز نسيئة أو قدما فهو حرام ومعاملة الصار بأن يسلم إليه البرز والسمسم والزيتون ليأخذ منه الأدهان فهو حرام وكذا اللبان يعطى اللبن ليأخذ منه اللبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن فهو أيضا حرام ولا يباع الطعام بغير جنسه من الطعام إلا قدما وبجنسه إلا قدما ومتائلا وكل ما يتخذ من الشيء المعلوم فلا يجوز أن يباع به متائلا ولا متفاضلا فلا يباع بالخنطة دقيق وخبر وسويق ولا بالنسب والتمر دس وخل وعصير ولا باللبن من وزبد ومخيض ومصل وجبن والمائلة لاتخذ إذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب والنب بالنسب متفاضلا ومتائلا فهذه جمل مقننة في تعريف البيع والتبعية على ما يشر التاجر بمشائرات الفساد حتى يستفيق فيها إذا تشكل والتبس عليه شيء منها وإذا لم يعرف هذا لم يفتن لمواضع السؤال واتحم الربا والحرام وهو لا يدري .

(العقد الثالث السلم)

وليراع التاجر فيه عشرة شروط . الأول : أن يكون رأس المال معلوما على مثله حتى لو تم تسليم السلم فيه أمكن الرجوع إلى قيمة رأس المال فإن أسلم كفا من الدراهم جزاء في كره خنطة لم يصح في أحد القولين . الثاني : أن يسلم رأس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انسخ السلم . الثالث : أن يكون السلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والإبريسم والألبان واللحوم ومتاع المطارين وأشباهاها ولا يجوز في المعونات والمركبات وما يختلف أجزاؤه كالقسي المتنوعة والنبل المعمول والخفاف والعال المختلفة أجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يشترق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعني عنه ويتشامخ فيه . الرابع : أن يستقصى وصف هذه الأمور القابلة للوصف حتى لا يبق وصف متفاوت به القيمة تفاوت لا يتغابن بمثله الناس إلا ذكره فإن ذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية في البيع . الخامس : أن يجعل الأجل معلوما إن كان مؤجلا فلا يؤجل إلى الحصاد . ولإلى إدراك الثمار بل إلى الأشهر والأيام فإن الإدراك قد يتقدم وقد يتأخر . السادس : أن يكون السلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت الحمل ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا يفتى أن يسلم في النسيئة إلى أجل لا يدرك فيه وكذا سائر الفواكه فإن كان الثالب وجوده وجاء الحمل وعجز عن التسليم بسبب آفة قلته أن عمله إن شاء أو يفسخ ويرجع في رأس المال إن شاء . السابع : أن يذكر مكان التسليم فيها يختلف الفرض به كي لا يثير ذلك نزاعا . الثامن : أن لا يعلقه بعين فيقول من خنطة هذا الزرع أو ثمرة هذا البستان فإن ذلك يطل كونه ديناً ثم لو أضاف إلى ثمرة بله أو قرية كبيرة لم يضر ذلك التاسع : أن لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل مدرة موصوفة يمز وجود مثلها أو جارية حسنة معها ولدها أو غيرها ذلك مما لا يقدر عليه غالبا . العاشر : أن لا يسلم في طعام مهما كان رأس المال طعاما سواء كان من جنسه أو لم يكن ولا يسلم في نقد إذا كان رأس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربا .

أن ينظر واولا يجب الطهرين - هذا وصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لهم ماذا حكمتم تصنعون حتى أمي الله عليكم بهذا التاء قالوا كنا تتبع للناس الحجر وهذا أشباه هذا من الآداب وظيفه صوفية الربط يلزمونه ويتعاهدونه والرباط بينهم ومضربهم ولسكل قوم دار والرباط دارم وقد شابهوا أهل الصفة في ذلك على ما أخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ القدسي قال أنا أحمد بن محمد البرازي قال أنا عيسى ابن علي الوزير قال حدثنا عبد الله بن وهب قال حدثنا ابن جبة قال حدثنا خاله ابن عبد الله عن داود ابن أبي هند عن أبي الحرث حرب بن أبي الأسود عن طلحة رضي الله عنه قال كان الرجل إذا قدم

(العقد الرابع الإجارة)

وله ركنان الأجرة والنفقة فأما المأقود المأقود فيعابذ كراه في البيع والأجرة كالنخل فينبغي أن يكون معلوما وموصوفا بكل ما شرطناه في البيع إن كان عينا فإن كان ديناً فينبغي أن يكون معلوم القيمة والتقدير وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها وذلك مثل كراه الدار بيارتها فذلك باطل إذ قدر المارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المشتري أن يصرفها إلى المارة لم يجز لأن عمله في الصرف إلى المارة مجهول . ومنها استئجار النخل على أن يأخذ الجلب بعد السلع واستئجار حمال الجلب بجلد الجلفة واستئجار الطحان بالنخالة أو ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانقضائه على عمل الأجير فلا يجوز أن يجعل أجرة . ومنها أن يقدر في إجارة المور والحوانيت مبلغ الأجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت الدية مجهولة ولم تقدر الإجارة . الركن الثاني : للنفقة المقصودة بالإجارة وهي العمل وحده إن كان عملاً مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة وينطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه وجلة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة ولكننا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفتاوى وإنما نشير إلى ما لم يهمل في البلوى فليراجع في العمل للمستأجر عليه خمسة أمور : الأول أن يكون مقبوماً بأن يكون فيه كلفة وتعب فلو استأجر طاماً ليؤجر به المكان أو أشجاراً ليخفف عليها الثياب أو دراهم ليؤجر بها المكان لم يجز فإن هذه المنافع تجري مجرى حبة مسمومة وحبة بر من الأعيان وذلك لا يجوز معه وهي كالنظر في مرآة الغير والشرب من بئر والاستئجار بمجداره والاقتباس من ناره ولهذا لو استأجر يباع على أن يسلمه بكلمة يروجها سلمته لم يجز وما يأخذه البائعون عوضاً عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام إذ ليس يصدر منهم إلا كلفة لا تعب فيها ولا تعب لها وإنما يعمل ذلك إذا تبوأ بكثرة التردد أو بكثرة الكلام في تأليف أسرار العامة ثم لا يستحقون إلا أجرة الثلث فأما ما نواطئ عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذاً بالحق . الثاني : أن لا تتضمن الإجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز إجارة السكر لارضافه ولا إجارة اللواشي لقبها ولا إجارة البساتين ثمارها ويجوز استئجار للرضعة ويكون اللبن تاباً لأن أفراداً غير ممكن وكذا يتسامح بغير الورق ويخط الحياط لأنهما لا يقصدان على حالهما . الثالث : أن يكون العمل مقدوراً على تسليمه حسوا وشرعاً فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الأخرس على التعليم ونحوه . وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستئجار على قلع سن سلية أو قطع عضو لا يرخص الشرع في قطعه أو استئجار الخائض على كنس للمسجد أو العلم على تعليم السحر أو القس أو استئجار زوجة الغير على الإرضاع دون إذن زوجها أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات واستئجار الصانع على صيغة الأواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل . الرابع : أن لا يكون العمل واجباً على الأجير أو لا يكون بحيث لا تجري الياسة فيه عن المستأجر فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد ولا على سائر المبادات التي لا ياباة فيها إذ لا يقع ذلك عن المستأجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفي أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التدريس وإقراء القرآن خلاف أما الاستئجار على تعليم مشكلة بينها أو تعليم سورة بينها لشخص معين فصحيح . الخامس : أن يكون العمل والمنفعة معلوماً فالخياط يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار الحمول . ويقدر المسافة وكل ما يثير خصوصية في العادة فلا يجوز إجارته وتفصيل ذلك بطول وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الأحكام وينظن به لمواضع الأشكال فيسأل فإن الاستقصاء شأن المفتي لا شأن العوام .

للدنية وكان لها عريف ينزل على عريفه فإن لم يكن لها عريف فبمن نزل الصفة فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على صدق واحد وعزم واحد وأحوال المتناسبة ووضع الربط لهذا المعنى أن يكون سكانها بوصف ما قال الله تعالى - وزعمنا في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين - وللقابلة باستواء السر والعلانية ومن أضمر لأخيه فلا يفسد بمقابله وإن كان وجهه إليه فأهل الصفة هكذا كانوا لأن مثار القل والحدود وجود الدنيا وحسب الدنيا رأس كل خطيئة فأهل الصفة رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع فزال الأحماد والقل عن بواطنهم وهكذا أهل الربط متقابلون

(العقد الخامس القراض)

وليراع فيه ثلاثة أركان . الركن الأول : رأس المال وشرط أن يكون قدما معلوما مسلفا إلى العامل فلا يجوز القراض على القلوس ولا على العروض فإن التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من الدراهم لأن قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط مالك البند لنفسه لم يجز لأن فيه تضيق طريق التجارة : الركن الثاني : الربح ولكن معلوما بالجزئية بأن يشرط له الثلث أو النصف أو ما شاء فلو قال على أن لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع . الثالث : العمل الذي على العامل . وشرطه أن يكون تجارة غير مضيق عليه بتعيين وتأقيت فلو شرط أن يشتري بالمال مائة ليطلب نفسها فيشترى النسل أو حنطة فيخبرها ويتقاضى الربح لم يصح لأن القراض مأذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضرورتهما فقط وهذه حرف أمضى الخبر ورعاية اللواشى ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشتري إلا من فلان أولا يتجر إلا في الخمر الأحمر أو شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما انفقد العامل وكيل فيصرف بالتبعية تصرف الوكلاء . ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك فإذا فسخ في حالة والمال كله فيها قد لم ينف وجه القصة وإن كان عروضاً ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تسكينه أن يرده إلى النقد لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلزم شيئا وإن قال العامل أبيع وأبي المالك فالتبوع رأى المالك إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال ومهما كان ربح فعل العامل يبيع مقدار رأس المال بحسن رأس المال لا يفقد آخر حقيق يتميز الفاضل ربعا فيشتركان فيه وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال ومهما كان رأس السنة عليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة فإذا كان قد ظهر من الربح شيء . فالأقرب أن زكاة نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك فإن فعل صحت تصرفاته ولكنه إذا فعل ضمن الأعيان والأمان جميعا لأن عداوته بالقل يتعدى إلى ثمن النقد وإن سافر بالإذن جاز ونفقة الثقل وحفظ المال على ما مال القراض كما أن نفقة الوزن والسكيل والحمل الذي لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال فأما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المتعار فليس له أن يبدل عليه أجرة وعلى العامل نفقته وسكناء في البلد وليس عليه أجرة الخانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض فأدارج ضلله أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرها .

(العقد السادس الشركة)

وهي أربعة أنواع : ثلاثة منها باطلة . الأول : شركة القفاضة وهو أن يقولوا نتشارك في كل مالا وعلينا مالا ما ممتازان فهي باطلة . الثاني : شركة الأبدان وهو أن يتشاركا الاشتراك في أجرة العمل فهي باطلة . الثالث : شركة الوجوه وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التفتيل ومن جهة غيره العمل فهذا أيضا باطل . وإنما الصحيح العقد الرابع للسمى شركة العنان . وهو أن يختلط مالا ما بحيث يتمتع التمييز بينهما إلا بقسمه وبأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ثم بالعزل يتمتع بالتصرف عن العزول وبالقسمه ينصل المالك عن المالك والصحيح أنه يجوز عقد الشركة العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم النفع يجب تعلمه على كل مكتبس وإلا أحجم الحرام من حيث لا يدري . وأما معاملة القصاب والحجاز والبقال فلا يستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب والحلل فيها من ثلاثة وجوه من إهمال شروط البيع وإهمال

بنظرهم وبواطنهم
مجتعون على الألفة
والمودة مجتعون
للكلام . ومجتعون
للطعام ويتعرفون بركة
الاجتماع . روى وحشى
ابن حرب عن أبيه عن
جدتهم قالوا يا رسول
الله إنا نأكل ولا نشبع
قال لاسكنم تتعرفون
على طعامكم اجتمعوا
واذكروا الله تعالى
يبارك لكم فيه .
وروى أنس بن مالك
رضي الله عنه قال
« ما أكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في
سكرجة ولا خبز له
مرقق قبل فعل شيء
كانوا يأكلون
قال على السفر » فالعباد
والزهاد يطلبوا الاغراء
لدخول الآفات عليهم
بالاجتماع وكون
نفوسهم تتعلق للأهوية
والخوض فيها لا يخفى
فروا السلامة في
الوحدة والصوفية لقوة
عملهم وصحة حالهم
نزع عنهم ذلك

شروط السلم أو الانتصار على المظالم إذا لم تكن جارية بكتبه الخطوط على هؤلاء حاجات كل يوم ثم الحسابة في كل مدة ثم التوفيق بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك بمائزى القضاء بإيادى الحاجة ومحمل تسليمهم على إباحة تناول مع انتظار الموض فيحل آكله ولكن يجب الضمان بأكله وتلقى قيمته يوم الإنفاق فتجتمع في القيمة تلك القيم فإذا وقع التراضي على مقدار ما ينبغي أن يتلمس منهم الإبراء المطلق حتى لا يبق عليه عهدة إن تطرق إليه ضاوت في التوفيق فهذا ما يجب القناعة به فإن تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحاجات في كل يوم وكل ساعة تكليف بشطط وكذا تكليف الإيجاب والقبول وتقدير نعم كل قدر يسير منه فيه عسر وإذا أكثر كل نوع سهل شوعه وألفه للوفيق .

(الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في العامة)

اعلم أن العامة قد تجري على وجه حكم النقي بصحتها وانقضاءها ولكنها تشتمل على ظلم يضر به العامل لسخط الله تعالى إذ ليس كل نهي يقتضي فساد العقد وهذا الظلم يمس به ما استضر به الغير وهو منقسم إلى ما يمس ضرره وإلى ما يغض العامل .

(القسم الأول فيما به ضرره . وهو أنواع)

النوع الأول : الاحتكار فالعالم الطعام يذخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقة كفارة لاحتكاره » (١) وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من احتكر الطعام أربعين يوماً قد برى الله من الله وبرى الله من الله » (٢) وقيل فكانت تملأ قلوب الناس جميعاً . وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوماً قساقبه وعنه أيضاً أنه أحرق طعاماً احتكره بالنار وروى في فضل ترك الاحتكار عنه عليه السلام « من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكانت صدقة به وفي لفظ آخر فكانت أعتق رقبة » (٣) وقيل قوله تعالى - ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم - إن الاحتكار من الظلم وداخل تحته في الوعيد وعن بعض السلف أنه كان بواسط فيهز سقفة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله ببيع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد فوافق سقفة في السر فقال له التجار لو أخرت جمعة رحمت فيه أضاعفه فأخره جمعة فربح فيه أمثاله وكتب إلى صاحبه بذلك فكتب إليه صاحب الطعام يا هذا إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وإنك قد خالفت وما أحب أن نربح أضاعفه بذهب شيء من الدين فقد جنب علينا جناية فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال كله تصدق به على فقراء البصرة وليأتى أنجوم من إثم الاحتكار كغافلاً على ولاي . واعلم أن التهي مطاق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس أما الجنس فيطرأ على في أجناس الأقوات أما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالأدوية والعقاقير

(الباب الثالث في بيان العدل)

(١) حديث من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقة كفارة لاحتكاره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي والحطيب في التاريخ من حديث أنس بسندين ضعيفين (٢) حديث ابن عمر من احتكر الطعام أربعين يوماً قد برى الله من الله وبرى الله من الله أحمد والحاكم بسند جيد وقال ابن عدي ليس يحفظ من حديث ابن عمر (٣) حديث من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكانت أعتق رقبة وفي لفظ آخر فكانت أعتق رقبة ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ما من جالب يجلب طعاماً إلى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وللحاكم من حديث اليسع بن القيرة إن الجالب إلى سوقنا كالجاهد في سبيل الله وهو مرسل

هو أو الاجتماع في بيوت الجماعة على السجادة فسجادة كل واحد زاوية وهم كل واحد معهم ولعل الواحد منهم لا يتخطى همه سجدته ولهم في اتخاذ السجادة وجه من السنة . وروى أبو سعدة ابن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت « كنت أبعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيراً من الليف يملأ عليه من الليل » وروى يمينونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسلط له الحفرة في المسجد حتى يملأ عليها » والرباط يحتوي على شيان وشيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة فالشايخ بالرواية أليق نظر إلى ما يدعو إليه النفس من النوم والراحة والاستعداد بالحركات والسكنات فلفنس

والزعفران وأمثاله فلا يمتدى التهي إليه وإن كان مطبوعاً وأما ما يمين على القوت كاللحم والقواكه وما يسد مسدداً يبنى عن القوت في بعض الأحوال وإن كان لا يمكن للدائمة عليه فهذا في محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والصل والشحج والخبز والزيت وما يجري مجراه وأما الوقت فيحتمل أيضاً طرد التهي في جميع الأوقات وعليه تدل الحساية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السرر ويحتمل أن يخص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير يمه ضرراً فأمّا إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقية قليلة فانظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قطعاً فليس في هذا إضرار وإذا كان الزمان زمان قطع كان في ادخار الصل والسمن والشحج وأمثالها إضرار فينبغي أن يقضى بضرره ويحول في نفي التحريم وإثباته على الضرر فإنه مفهوم قطعاً من تخصيص الطعام وإذا لم يكن ضرراً فلا يخلو احتكاك الأقوات عن كراهية فإنه ينتظر مبادئ الضرر وهو ارتفاع الأسعار وانتظار مبادئ الضرر محذور كانتظار عين الضرر ولكنه دونه وانتظار عين الضرر أيضاً ودون الإضرار فيقدر درجات الإضرار فتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الأقوات مما لا يستحب لأنه طلب ربح والأقوات أصول خالفت قوام الربح من الزايب فينبغي أن يطلب الربح فيما خلق من جملة الزايب التي لا ضرورة للخلق إليها ولذلك أوصى بعض التائبين رجلاً وقال لاتسلّم ولك في بيعتين ولا في صنتين يبيع الطعام ويسع الأكفان فإنه يمتنع الفلاء وموت الناس والصنعان أن يكون جزاءها صنة تسمى القالب أو صواغا فإنه يزخرف الدنيا بالله وبالفضة . النوع الثاني ترويع الزيف من الدرهم في أثناء النقد فهو ظلم إذ يستغربه للعامل إن لم يعرف وإن عرف فسيروجه على غيره . فكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الأبدى ويم الضرر وينتسب الفساد ويكون وزراً للكل وبإله راجعاً إليه فإنه هو الذي فتح هذا الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سنّ سنة سيئة فعل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزانهم شيئاً»^(١) وقال بعضهم إنفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة مصيبة واحدة وقد تمت وانقطعت وإنفاق الزيف بدعة تظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة أو مائتي سنة إلى أن يفتن ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد من أموال الناس بسنته وطوبى لمن إذا مات مات معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره . ويسأل عنها إلى آخر اعتراضها قال تعالى - ونكتب ما قدموا وآثارهم - أي نكتب أيضاً ما أخرجه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموا وفي مثله قوله تعالى - ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر - وإنما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره . وليعلم أن في الزيف خمسة أمور : الأول أنه إذا ردت عليه شيء منه فينبغي أن يطرحه في بحر بحيث لا تعد إليه اليد وإياه أن يروج في بيع آخر وإن أفسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز . الثاني أنه يجب على التاجر تعلم النقد لا يستغنى بنفسه ولكن لئلا يسلم إلى مسلم زيفاً وهو لا يدري فيكون آمناً بتقصيره في تعلم ذلك العلم فكل عمل علم به يتم نصع للسليين فيجب تحصيله وبمثل هذا كان السلف يتفنون علامات النقد نظراً لدينهم لئلا يديهم . الثالث أنه إن سلم وعرف للعامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم لأنه ليس بأخذه إلا بوجه على غيره ولا غيره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلاً فأما بتخلص من إثم الضرر الذي يخص معاملته

(١) حديث من سنّ سنة سيئة فعل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزانهم شيء مسلم من حديث جرير بن عبد الله .

شوق إلى التفرد والاسترسال في وجوه الرفق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالعمود في بيت الجماعة والانكشاف لنظر الأغنياء لشكر السيون عليه فينتدب وتادب ولا يكون هذا إلا إذا كان جمع الرباط في بيت الجماعة مهتبعين يحفظ الأوقات وضبط الأفاضل وحراسة الحواس كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه كان عديم من هم الآخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض ببعض وهكذا يبنى لأهل الصديق والصوفية أن يكون اجتماعهم غير مضرب بوقتهم فإذا غفل أوقات الشبان الغفواللفظ فالأولى أن يلزم الشاب الطالب للوحدة والعزلة ويؤثر الشيخ الشاب بزوايته وموضع خلوته ليعبس

قط . الرابع : أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سئل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء »^(١) فهو داخل في بركة هذا الدعاء إن عزم على طرحة في بر وإن كان غلما على أن يروجه في معاملة فهذا شرّ وجه الشيطان عليه في معرض الخبر فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء . الخامس أن الزيف نفي به مالا ترة فيه أصلا بل هو محو أو مالا ذهب فيه أعنى في الذنائب أما ما فيه ترة فإن كان مخلوطا بالنحاس وهو قد البلد فقد اختلف العلماء في الماملة عليه وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك قد البلد سواء علم مقدار الترة أو لم يعلم وإن لم يكن هو قد البلد لم يجر إلا إذا علم قدر الترة فإن كان في ماله قطعة ترتها ناقصة عن قد البلد فعليه أن يجر به معاملة وأن لا يامل به إلا من لا يستحل التزويج في جملة التقد بطريق التلبس فأما من يستحل ذلك فتسليمه إليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العيب بمن يعلم أنه يتخذه خيرا وذلك محظور وإعانة على الشر ومشاركة فيه وسلك طريق الحق بمثل هذا في التجارة أشد من اللواطبة على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق أفضل عند الله من التجد وقد كان السلف يخاطبون في مثل ذلك حتى روى عن بعض الغزاة في سبيل الله أنه قال حملت على فرسي لأقتل علجا قصص فرسي فرجعت ثم دنا مني العليج فحملت ثانية فقصر فرسي فرجعت ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لأعتقد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست منكس الرأس منكسر القلب لما فاني من العليج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضت رأسي على عمود القسطاط وفرسي قائم فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك أردت أن تأخذ على العليج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علجا ودفعني في محنة درهما زائفا لا يكون هذا أبدا قال فانتبهت فرعا فذهبت إلى الهلاف وأبدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعبر ضرره وليفس عليه أمثاله .

(القسم الثاني ما يحسب ضرره للعامل)

فكل ما يستضره للعامل فهو ظلم وإنما العدل أن لا يضرب بأخيه السلم والضابط السكلى فيه أن لا يعب لأخيه إلا ما يعب لنفسه فكل ما لو عمل به شق عليه وتقل على قلبه فينبغي أن لا يامل غيره به بل يبنى أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم : من باع أخاه شيئا بدهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا بخمسة دنانير فإنه قد ترك الصبح المأمور به في الماملة ولم يحب لأخيه ما يعب لنفسه هذه جملة فاما تفصيله ففي أربعة أمور أن لا يبنى على السلفة بما ليس فيها وأن لا يكتن من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا أصلا وأن لا يكتن في وزنها ومقدارها شيئا وأن لا يكتن من سرها ما لو عرفه العامل لا تمتع عنه : أما الأول فهو ترك الشراء فإن وصفه للسلفة إن كان بما ليس فيها فهو كذب فإن قبل المشتري ذلك فهو تلبس وظلم مع كونه كذبا وإن لم يقبل فهو كذب وإسقاط مرموزة إذ الكذب الذي يروج قد لا يندفع في ظاهر المرموزة وإن أتى على السلفة بما فيها فهو هذيان وتكتم بكلام لا يمينه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لم ينسك بما قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - لأن يبنى على السلفة بما فيها بما لا يعرفه المشتري مالم يذكره كما يصفه من خفي أخلاق البعيد والجواري والدواب فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغ أو طاب ولكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه وتتقضى بسببه حاجته ولا يبنى أن يخلف عليه البينة فإنه إن كان كاذبا فقد جابها باليمين النعموس وهي من الكبار التي تذر الديار بلاقع وإن كان صادقا فقد جعل الله تعالى عرصة لأيمانها وقدا ساء فيه إذ الدنيا أخس من أن تصدروا بها بذكر اسم الله من غير ضرورة ،

(١) حديث رحم الله امرأ سئل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء البخاري من حديث جابر .

القلب نفسه عن دواعي الهوى والخواص فيها لا يمين ويكون الشيخ في بيت الجماعة لقوة حاله وصبره على معاملة الناس وتخلصه من جمعات الخاطلة وحضور وقاره بين الجمع فينضبط به التبر ولا يتكدر هو وأما الخدمة فشان من دخل الرباط مبتدئا ولم يثق طعم العلم ولم يتبه لتفاسس الأحوال أن يؤمر بالخدمة لتكون عبادته خدمة ويجذب بحسن الخدمة فتوق أهل الله إليه فتشمله بركة ذلك ويصين الاخوان للشتلين بالعبادة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمنون إخوة يطلب بعضهم إلى بعض الخواص فيقضى بعضهم إلى بعض الخواص يقضى الله لهم حاجاتهم يوم القيامة » فيتخفظ بالخدمة عن البطالة التي تحت القلب والخدمة عند

وفي الخبر « ويل للتاجر من بل والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد » وفي الخبر « الجين الكاذبة منفقة للسلعة بمحفة للبركة » وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عتل مستكبر ومنان بغيته ومنفق سلعته يمينه » فإذا كان الشتاء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث إنه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في أمر الجين وقد روى عن يونس بن عبيد وكان خزازا أنه طلب منه خزل لشراء فأخرج غلامه سقط الحز ونثره ونظر إليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده إلى موضعه ولم يمه وخاف أن يكون ذلك تمريضا بالثناء على السلعة قتل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضعوا دينهم في تجارتهم بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا . الثاني : أن يظهر جميع عيوب البيع حبيها وجليها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فإن أخفاء كان ظانما غاشا والفش حرام وكان تاركا للتصح في العامة والتصح واجب ومهما أظهر أحسن وجهي التوب وأخفى الثاني كان غاشا وكذلك إذا عرض الثياب في المواضع للظلة وكذلك إذا عرض أحسن فردى الحنف أو النمل وأمثاله وبدل على تحريم الفش ما روى « أنه مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بلا فقال ما هذا قال أصابته السماء فقال فهلا جلسته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا » وبدل على وجوب التصح بإظهار العيوب ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الإسلام ذهب لينصرف فحذبه توبه واشترط عليه التصح لكل مسلم (٥) فكان جرير إذا قام إلى السلعة يبيها بصر عيوبها ثم خيرها وقال إن شئت فخذ وإن شئت فترك فقيل له إنك إذا فعلت مثل هذا لم تنفد لك بيع فقال إنا يا أبا رسول الله ^{صلى الله عليه وسلم} نبي الله صلى الله عليه وسلم نبي الله صلى الله عليه وسلم وكان واثلة بن الأسقع واقفا يباع رجل ناقة له بثلاثة دراهم ففعل واثلة وقدها الرجل بالناقة فسمى وراءه وجعل يصيح به يا هذا اشتريتها للحمل والظهور فقال بل للظهور فقال إن غفها ثوبا قدر آيته وإني لاتباع السير فادفروها فتصعبا البائع ما قد درهم وقال لوالته رحمك الله أفعدت على يميني فقال إنا يا أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يحل لأحد يبيع بما إلا أن يبين آفته ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا يبينه » (٦) فقد فهموا من التصح أن لا يرضى لأحبه إلا ما يرضاه نفسه ولم يستعدوا أن ذلك من القضايا وزيادة القامات بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام المداخلة تحت بيعتهم وهذا أمر يشق على أكثر الخلق فلذلك يغازرون التحل للعبادة والاعتزال عن الناس لأن القيام بحق الله مع مخالطة العامة مجاهدة لا يقوم بها إلا الصديقون ولما يتيسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين . أحدهما أن تلبسه الصوب وتروجه

(١) حديث ويل للتاجر من بل والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد لم أقفله على أصل وذكر صاحب مسند القروس من حديث أنس بن مالك غير إسناد نحوه (٢) حديث الجين الكاذبة منفقة للسلعة بمحفة للبركة متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ الحلف وهو عند البيهقي بلفظ الصنف (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عاتل مستكبر ومنان بغيته ومنفق سلعته يمينه مسلم من حديثه إلا أنه لم يذكر فيها إلا عاتل مستكبر ولهما ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم رجل حلف على سلعة قد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب ولمسلم من حديث أبي ذر الثمان والسبل إزاره والنفق سلعته بالخلف الكاذب (٤) حديث مر برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فرأى بلا فقال ما هذا ما هذا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث جرير بن عبد الله بايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم على التصح لكل مسلم (٦) حديث واثلة بن الأسقع لا يحل لأحد يبيع بما إلا أن يبين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا يبينه الحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي.

القوم من جملة العمل الصالح وهو طريق من طرق الواجد تكسب الأوصاف الجميلة والأحوال الحسنة ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطلعا إلى الاعتناء بهم . أخبرنا الشيخ الفقيه أبو الفتح قال أنا أبو الفضل حميد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال ثنا سليمان بن أحمد قال ثنا علي بن عبد العزيز قال ثنا أبو عبيد قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شريك عن أبي هلال الطائي عن وثيق بن الرومي قال كنت معوكا لصمر بن الخطاب رضى الله عنه فكان يقول لي أسلم فانك إن أسلمت استغنت بك على أمانة المسلمين فانه لا ينبغي أن أستعين على أماناتهم بمن ليس منهم قل فأنيت فقال عمر - لا إكراه في الدين سخطا

السلع لا يزيد في رزقه بل يعقده وبذهب يركته وما جمعه من معارف التلبسات بهلكة الله دفعة واحدة .
 فقد حكى أن واحدا كان له بفرة يغلبها ويغلب بلينها الماء ويبيع فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض أولاده إن تلك للياه التفرقة التي صبتها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « اليغان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في يومها وإذا كتما وكذبا نزع بركة يومها » (١) وفي الحديث « بدأه على الشريكين مالم يتخاونا فإذا تخاونا رفع يده عنهما » (٢) فإذا لا يزيد مال من خيانة كالانقص من صدقة ومن لا يصر الزيادة والنقصان إلا بالميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف أن الدرهم الواحد قد يشارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الإنسان في الدنيا والدين والآلاف لاؤلة قد يرفع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك ملكها بحيث يمتنى الإفلاس منها وبراه أصلح له في بعض أحواله فيعرف معنى قولنا إن الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والتمنى الثاني الذي لا بد من اعتقاده ليم له التصحح يتسرع عليه أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وأن فوائد أموال الدنيا تقتضي باقتضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستجيز العاقل أن يسبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير والحير كله في سلامة الدين قال رسول الله ﷺ « لا تزال لإله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله مالم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم » (٣) وفي لفظ آخر « مالم يبالغوا ما نفع من دنياهم بسلامة دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين » وفي حديث آخر « من قال لا إله إلا الله عخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصه قال أن يحزبه عما حرم الله » (٤) وقال أيضا ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ومن علم أن هذه الأمور قادمة في إيمانه وأن إيمانه رأس ماله في تجارتته في الآخرة لم يضع رأس ماله لئلا يضره لا آخر له بسبب ربح يتفجع به أماما معدودة . وعن بعض التابعين أنه قال لو دخلت الجامع وهو غاص بأهله وتبلى من خبر هؤلاء قتل من أنصحبهم لهم فإذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قيل لي من شرهم قلت من أغشهم لهم فإذا قيل هذا قلت هو شرهم والتمس حرام في البيوع والصنائع جريا ولا ينبغي أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لوعامله به غيره لما ارتضاء لنفسه بل ينبغي أن يحسب الصنعة وعملها ثم يبين عيبها إن كان فيها عيب فيذلك يتخلص . وسأل رجل حذاف بن سالم فقال كيف لي أن أسام في بيع النعال فقال اجعل الوجهين سواء ولا تفضل الخمي على الأخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب بين الحز ولا تطبق إحدى التعلين على الأخرى ومن هذا الفن ما مثل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيع أن يخفيه وإنما يحل للرفا إذا علم أنه بظهر ماؤ أنه لا يريد البيع . فان قلت فلانتم للعاملة مهما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب البيع . فأقول ليس كذلك إذ بشرط التاجر أن لا يشتري للبيع إلا الجيد الذي يرضيه لنفسه لو أمسكه ثم يفتح في يده برح يسير فيبارك الله له فيه ولا

(١) حديث اليغان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في يومها الحديث متفق عليه من حديث حكيم
 ابن حزام (٢) حديث يد الله على الشريكين مالم يتخاونا فإذا تخاونا رفع يده عنهما أبو داود والحاكم
 من حديث أبي هريرة . وقال صحيح الإسناد (٣) حديث لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق
 سخط الله مالم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم الحديث أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس
 بسند ضعيف وفي رواية للترمذي الحكيم في التوابير حتى إذا نزلوا بالمثل الذي لا يبالغون ما نفع
 من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم الحديث وللطبراني في الأوسط نحوه من حديث عائشة وهو ضعيف
 أيضا (٤) حديث من قال لا إله إلا الله عخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصه قال أن يحزبه عما حرم الله الطبراني
 من حديث زيد بن أرقم في معجمه الكبير والأوسط بإسناد حسن .

حضرته الوفاة اعتنى
 فقال اذهب حيث شئت
 فالتقوس يكرهون
 خدمة الأغيار ويأبون
 مخالطتهم أيضا فان
 من لا يحب طريقهم
 ربما استضر بالنظر
 إليهم أكثر مما ينفع
 فانهم شر وتبدؤهم
 أمور يقتضى طبع
 البشر وشكرها التبر
 ثقة عليه بما صدمهم
 فيكون إياهم موضع
 الشفقة على الخلق
 لامن طريق التمز
 والترفع على أحد
 من السدين والثاب
 الطالب إذا خدم أهل
 الله لشغلين بطاعته
 يشاركون في الثواب
 وحيث لم يؤهل
 لأحوالهم السنية يخدم
 من أهل لها لخدمته
 لأهل القرب علامة
 حب الله تعالى . أخبرنا
 الثقة أبو الفتح محمد
 ابن سلمان قال أنا
 أبو الفضل حميد بن
 أحمد قال أنا الحافظ
 أبو نعيم قال ثنا

يحتاج إلى تلبس وإنما تعذر هذا لأنهم لا يقنعون بالريح اليسير وليس يسل الكثير إلا يتلبس فين
تعود هذا لم يشتر العيب فإن وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليتقن بقيته باع ابن سيرين شقة فقال
للمشتري أيا إليك من عيب فيها إنما تطلب العلف رجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري إنها
تتحدث مرة عندنا دما فكذلك كانت سيرة أهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك العاملة أو لوطن
نفسه على عذاب الآخرة . الثالث أن لا يكتفى في القدر شيئا وذلك بتعديل الزنآن والأخطا في وفي
الكيل فينبغي أن يكيل كما يكال قال الله تعالى - ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس
يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون - ولا يخلص من هذا إلا بأن يرجع إذا أعطى ويتقن إذا
أخذ إذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فإن من استقصى حقه بكاله
يوشك أن يتعداه وكان بعضهم يقول : لا أشتري الويل من الله بحجة فكان إذا أخذ نصف نصف حبة
وإذا أعطى زاد حبة وكان يقول : ويل إن باع بحبة حبة عرضها السموات والأرض وما أسخر من
بائع طوي بويل وإنما بالوا في الاحتراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها إذ لا يعرف
أصحاب الحيات حتى يجمعهم ويؤدى حقوقهم . ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
قال للوزن لما كان وزن غنمه وزن وأرجع^(١) ونظر فضيل إلى ابنه وهو يغسل دينارا يريد أن يصرفه
وزنل تشكبه ويتقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك فقال يا بني فلك هذا أفضل من حبتين وعشرين
عمرة وقال بعض السلف محنت للتاجر والبائع كيف ينجو وزن ويخلص بالهيار وينام بالليل وقال سليمان
عليه السلام لا نه : يا بني كاد تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخبيثة بين التبايعين . وصل بعض
الصالحين على عنت قبل له إنه كان فاسقا فكنت فأبعد عليه فقال كأنك قلت لي كان صاحب ميزانين
يعطي بأحدهما ويأخذ بالآخر أشار به إلى أن فسقه مظنة بينه وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد
والسابعة والعلوية أبعد والتشديد في أمر الميزان وأنبحوا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان - أي لسان
الميزان فإن النقصان والرجحان يظهر بحيلة وبالجملة كل من ينتصف نفسه من غيره ولو في كفة ولا ينتصف
بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى - ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون - الآيات
فإن تحريم ذلك في الكيل ليس لكونه مكابلا لكونه أمرا مقصود أترك العدل والصفة فيه فهو جار
في جميع الأعمال فأصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في أقواله وأفعاله وخطراته
قال ويل له إن عدل عن العدل ومال عن الاستقامة ولو لا أن هذا واستحاثته لما ورد قوله تعالى - وإن منكم
إلا أواردها كان على ربك حتما مقضيا - فلا يترك عبد ليس بمصوم عن البخل عن الاستقامة إلا أن درجات
البخل تتفاوت تفاوتات عظيمة فذلك تفاوت مدة مقامهم في النار إلى أوان الخلاص حتى لا يقي بعضهم
بالأقدر تحلة القسم ويبقى بعضهم ألقا وألوف سنين فنسأل الله تعالى أن يقربنا من الاستقامة والعدل
فإن الاستعداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غير مطموع فيه فإنه أدق من الشجرة وأحد من
السيف ولولا لسان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط المددود على متن النار التي من صفته
أنه أدق من الشجرة وأحد من السيف بقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم غف العبد يوم القيامة على
الصراط وكل من خلط بالطعام ربا أو غيره ثم كاله فهو من اللطفين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم
عظما ثم العادة بعثه فهو من اللطفين في الوزن وقس على هذا سائر التقديرات حتى في الدرع الذي يتعاطا البراز

(١) حديث قال فلوزن زن وأرجع أصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس قال
الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم .

أبو بكر بن خلاد قال
ثنا الحرث بن أبي
أسامة قال ثنا معاوية
ابن عمرو قال ثنا
أبو اسحاق عن حميد
عن أنس بن مالك
رضي الله عنه قال
لما انصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم من
تبوك قال حسين دنا
من المدينة إن
بالمدينة أقواما
ماسرتم من مسير ولا
قطعتهم ولديا إلا كانوا
معكم قالوا وهم في المدينة
قال «فهم حبسهم العذر»
فألقاهم بخمسة القوم
ثموق عن بلوغ درجهم
بغير القصور وعدم
الأهلية فقام حول
الحى بأدلا مجهوده في
الخدمة يتعلل بالأثر
حيث منع النظر لجزاه
الله على ذلك أحسن
الجزاء وأثالة من
جزيل العطاء وهكذا
هكان أهل الصفة
يتعاونون على البر
والتقوى ويجمعون
على الصالح الدينية

فانه إذا اشترى أرسل الثوب في وقت الذرع ولم يمهده وإذا باع مده وإذا باع مده في الذرع ليظهر تخاوتا في القدر
فكل ذلك من التطييف للرض صالحه لول . الرابع أن يصدق في سعر الوقت ولا يخفى منه شيئا قد
نهي رسول الله ﷺ عن تلقى الركبان (١) ونهي عن التجش (٢) أما تلقى الركبان فهو أن يستقبل
الركبة ويطلق التاع ويكذب في سعر البله قد قال صلى الله عليه وسلم « لا تلتقوا الركبان » ومن تلقاها
فصاحب السلمة بالخيار بعد أن يقدم السوق وهذا الشراء منقذ ولكنه إن ظهر كذبه ثبت البائع
الخيار وإن كان صادقا ففي الخيار خلاف لعارض محوم المحرم زوال التلبس ونهي أيضا أن يبيع حاضر
لباد (٣) وهو أن يقدم البدوي البله ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى يمه يقول له الحضرى أتركه
عندى حتى أغالى في ثمنه وأتظفر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلم خلاف والأظهر تحريمه
لموم النبي ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة لافضولى الضيق ونهي رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن التجش وهو أن يتقدم إلى البائع بين يدي الراغب المشتري ويطلب السادة زيادة
وهو لا يريد بها وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا إن لم يجر مواطاة مع البائع فهو فعل حرام
من صاحبه والبيع منقذ وإن جرى مواطاة ففي إثبات الخيار الأولي إثبات الخيار لأنه تقرير
يفعل يضاهي التقرير في الصرارة وتلقى الركبان فهذه التماهي تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع
والشترى في سعر الوقت ويكتم منه أمرا لوعله لما أقدم على القدر فقل هذا من النش الحرام
الضاد للنصح الواجب . قد حكى عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس مجهز
إليه السكر فكذب إليه غلامه إن قصب السكر قد أماتته آفة في هذه السنة فاشترى السكر قال
فاشترى سكرًا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا فانصرف إلى منزله فأفكر ليلته وقال
ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما أصبح غدا إلى بائع السكر فدفع إليه ثلاثين
ألفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن أين صارت لي فقال إني كنتك حقة الحال وكان السكر
قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمتك الله قد أغلست الآن وقد طيبت لك قال فرجع بها إلى منزله
ونفكر وبات ساهرا وقال ما نصحتك فلمه استعيا من قتركها لي فبكر إليه من الند وقال عافاك الله خذ
مالك إليك فهو أخيب لقلبي فأخذته ثلاثين ألفا فهذه الأخبار في المناهي والمحسبات تدل على أنه ليس
له أن يشتم فرصة ويتهم غفلة صاحب التاع ويخفى من البائع غلاء السعر أو من المشتري تراجع الأسعار
فإن فعل ذلك كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مراعاة بأن يقول بمت بما قام على
أوجبا اعترفته فليد أن يصدق ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد القدر من عيب أو نقصان ولو اشترى
إلى أجل وجب ذكره ولو اشترى مساحمة من صديقه أو ولده يجب ذكره لأن المعامل يقول على عادته في
الاستقصاء أنه لا يترك النظر لنفسه فإذا تركه بسبب من الأسباب فيجب إخباره إذ الاعتداء فيه على أماته .

(الباب الرابع في الإحسان في المعاملة)

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعا والعدل سبب النجاة قط وهو يجري من التجارة مجرى
رأس المال والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يمد من العقلاء
من تقع في معاملات الدنيا رأس ماله فكذا في معاملات الآخرة فلا يخفى للتدين أن يقتصر على العدل
(١) حديث النبي عن تلقى الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٢) حديث
النبي عن التجش متفق عليه من حديث ابن عمر وأبي هريرة (٣) حديث النبي عن بيع
الحاضر للبادي متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأمس .

(الباب الرابع في الإحسان في المعاملة)

ومواساة الاخوان
بالمال والبدن .

[الباب الخامس عشر
في خصائص أهل
الربط والصوفية
فيما يتماهدونه
ويخصون به]

أعلم أن تأسيس هذه
الربط من زينة هذه
للكة الهادية الهدية
ولكن الربط أحوال
تميزوا بها عن غيرهم
من الطوائف وهم على
هدى من ربهم قال
الله تعالى - أولئك
الذين هدى الله فبهم
اقتد - وما يرى من
التقصير في حق البعض
من أهل زماننا
والتخلف عن طريق
سلكهم لا يقتضي في أصل
أمرهم وصحة طريقهم
وهذا القدر الباقي من
الأثر واجتماع التصوفة
في الربط وما هيا الله
تعالى لهم من الرفق
بركة جمية بواطن
للشايخ للساكنين وأثر
من آثار منع الحق في
قهم وصورة الاجتماع

واجتناب الظلم وبيع أبواب الإحسان وقد قال الله - وأحسن كما أحسن الله إليك - وقال عز وجل - إن الله يأمر بالعدل والإحسان - وقال سبحانه - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ونهى بالإحسان فعل ما ينتفع به العامل وهو غير واجب عليه ولكنه فضل منه فإن الواجب - يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه - وتال رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور : الأول في الثابتة فينبغي أن لا يفتن صاحبه بما لا يفتن به في العادة فأما أصل الثابتة لما ذكروا فيه لأن البيع للربح ولا يمكن ذلك إلا بفتن ما ولكن ربما فيه التقريب فإن بهذا الشئ زيادة على الربح المتعاد إما لشدة رغبته أو لشدة حاجته في الحال إليه فينبغي أن يمنع من قبوله فذلك من الإحسان ومهما لم يكن تلبس لم يكن أخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء إلى أن التبعين بما يزيد على الثلث يوجب الحيار ولنا نرى ذلك ولكن من الإحسان أن يعطى ذلك التبعين . يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلال مختلفة الأثمان ضرب قيمة كل حلة منها أربعمائة وضرب كل حلة قيمتها مائتان فر إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة فرفض عليه من حلة المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها ففرض بها وهي على يديه فاستقبله يونس فرفض حلة فقال للأعرابي بك اشتريت فقال بأربعمائة فقال لساوي أكثر من مائتين فأرجع حتى تردّها فقال هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا أرفضها فقال له يونس انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاضع ابن أخيه في ذلك وقاله وقال أما استحييت أما اتقيت الله تبيع مثل التبع وترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذها إلا وهو راضٍ بها قال فعلا رضىت لها بما ترضاه لنفسك وهذا إن كان فيه إخفاء سر وتلبس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث « غبن السر تسل حرام »^(١) وكان الزبير بن عدي يقول أدرت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم أحد يحسن يشترى لحما بدرهم ثخين مثل هؤلاء السترسلين ظلم إن كان من غير تلبس فهو من ترك الإحسان وقفا بيم هذا إلا بنوع تلبس وإخفاء سر الوقت وإنما الإحسان المحض ما عدا عن السري السقطي أنه اشترى كر لو بدينارين وأكتب في روز تاجه ثلاثة دنانير بربحه وكأنه رأى ابن بريح على الشجرة نصف دينار فصار اللوز بثمانين فأناه الدلال وطلب اللوز فقال خذ قال بك فقال بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين فهدى اللوز بثمانين فقال السري قد عقدت عقدا لأحله لست أبيع إلا بثلاثة وستين فقال الدلال وأنا عقدت بثمانين والله أن لا أغش مسلما لست آخذ منك إلا بثمانين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السري باعه فهذا محض الإحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة الحال . وروى عن محمد بن السكندر أنه كان له شق بضعها بخمسة وبضعها بشرة فباع في غيبته غلامه بمائة من الحبسات بشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابي لاشترى طول النهار حتى وجده فقال له إن التلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بشرة فقال با هذا قدر ضيت فقال وإن رضىت فانا لا نرضى لك إلا ما ترضاه لأحسننا فآختر إحدى ثلاث خصال إما أن تأخذ شق من الشريكات بدراهمك وإما أن نرد عليك خمسة وإما أن ترد شقتنا وتأخذ درهمك فقال أعطني خمسة فرد عليه خمسة وانصرف الأعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ قبيل له هذا محمد بن السكندر فقال لا إله إلا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قطعنا فهذا إحسان فإن لا يربح على عشرة إلا نصف أو واحدا على ما جرت به العادة في مثل ذلك التابع في ذلك السكان ومن تقع بربح قليل كثرت معاملاته واستطاع من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة . كان على رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار

(١) حدث غبن السر تسل حرام الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف والبيهقي من حديث جابر بسند جيد وقال دبا بدل حرام .

خذوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتدروا كثيرا قبل ليد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما سبب
يسارك قال ثلاث ما رددت ربحا قط ولا طلب من حيوان فأخرت يمه ولا بعت بشيئة ويقال إباع
ألف ناقة لم أربع لإعقلها باع كل عقال بدرهم فرج فيها ألفا وربع من حقته عليها ليومه ألفا . الثاني :
في احتمال التبن والشتى إن اشترى طعاما من ضعيف أو شيئا من قبر فلا بأس أن يحمل التبن ويتساهل
ويكون بمعسنا وادخلا في قوله عليه السلام « رحم الله امرأ سئل البيع سهل الشراء » فأما إذا اشترى
من غنى تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال التبن منه ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير أجر
ولأحمد قدور في حديث من طريق أهل البيت « للقبول في الشراء لا محمود ولا مأجور »^(١) وكان
إياس بن معاوية بن قرة قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول لست بحب والحب لا يشفني ولا يبين
ابن سيرين ولكن يبين الحسن ويبين أبي يمين معاوية بن قرة والكمال في أن لا يدين ولا يبين كما وصف بعضهم
عمر رضي الله عنه فقال كان أكرم من أن ينجع وأقل من أن ينجع وكان الحسن والحسين وغيرهما من
أخبار السلف يستقصون في الشراء ثم يهون مع ذلك الجزل من المال قليل لبعضهم تستقصي في شرائك
على اليسير ثم تهب الكثير ولا يتالي قال إن الواهب يسطي ضله وإن القبول يبين عقله وقال بعضهم إنما
أعجب عظمي وبصري فلا أسكن الغائب منه وإذا وهبت أعطى له ولا أستكثر منه شيئا . الثالث : في
استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان في عمرة بالمساحة وحط البعض ومرة بالإهال والتأخير ومرة
بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب إليه ومحث عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم « رحم
الله امرأ سئل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء »^(٢) فليغتم دعاء الرسول صلى الله عليه
وسلم وقال صلى الله عليه وسلم « اسمع سمع لك »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من أنظر مصرا أو
ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا » وفي لفظ آخر « أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله »^(٤) وذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقبله هل عملت
خير أظن فقال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لفتيان ساعوا للوسر وأنظروا العسر »^(٥)
وفي لفظ آخر « ونجاوزوا عن العسر فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منك فجاوز الله عنه وغفر له »
وقال صلى الله عليه وسلم « من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره
بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة »^(٦) وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضى غريمه الدين
لأجل هذا الحر حق يكون كالتصدق بجميعه في كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم « رأيت على باب

(١) حديث من طريق أهل البيت للقبول لا محمود ولا مأجور الترمذي الحكيم في التواتر من
رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن علي يرضه قال
الذهبي هو متكرر (٢) حديث رحم الله سهل البيع سهل الشراء تقدم في الباب قبله (٣) حديث اسمع
يسمع لك الطبراني من حديث ابن عباس ورجاله ثقات (٤) حديث من أنظر مصرا أو ترك له حاسبه الله
حسابا يسيرا وفي لفظ آخر أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله مسلم باللفظ الثاني من حديث أبي
اليسر كعب بن عمرو (٥) حديث ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقبله
هل عملت خيرا فظن قال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لفتيان ساعوا للوسر الحديث مسلم من
حديث أبي مسعود الأنصاري وهو متفق عليه ينحصر من حديث حذيفة (٦) حديث من أقرض دينارا
إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة
ابن ماجه من حديث بريدة من أنظر مصرا كان له مثله كل يوم صدقة ومن أنظره بعد أجله كان له مثله
في كل يوم صدقة وسنده ضيف ورواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

اجتمعوا وبرابطة
التأليف الإلمى اتفقوا
وعشاهمة القلوب
نواظروا وتذبذب
النفوس وتصفية القلوب
في الرباط رابطوا
فلا بد لهم من التألف
والتودد والصح .
روى أبو هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « للؤمن
بألفه يؤلف ولا خير
فيمن لا يألف ولا
يؤلف » . وأخبرنا
أبو زرعة طاهر بن
الحافظ أبي الفضل
للقدس عن أبيه قال
ثنا أبو القاسم الفضل
ابن أبي حرب قال أنا
أحمد بن الحسين
الخيرى قال أنا أبو سهل
ابن زياد القطان قال
ثنا الحسين بن مكرم
قال ثنا يزيد بن هرون
الواسطي قال ثنا محمد
ابن عمرو عن أبي سلمة
عن أبي هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « الأرواح
جنود مجتمة فما تبارك

الجنة مكتوباً الصدقة بشر أمثالها والقرض بئان عشرة ^(١) قيل في معناه إن الصدقة تضع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يحد ذلك الاستعراض لإحتياج ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل بالزم رجلاً يدين فأومأ إلى صاحب الدين بيده أن يضع الشطر ففعل فقال للديون قم فأعطه ^(٢) وكل من باع شيئاً وترك عنه في الحال ولم يرهق إلى طلبه فهو في معنى القرض . وروى أن الحسن البصري باع بئله بأربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اصبر يا أباسعيد قال قد أسقطت عنك مائة قال له فأحسن يا أباسعيد فقال قد وهبت لك مائة أخرى قبض من حق مائتي درهم قيل له يا أباسعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الإحسان والإملا وفي الخبر : خذ حقك في كفاف وعفاف واف أو غير واف يحاسبك الله حساباً يسيراً ^(٣) . الرابع : في توفية الدين ومن الإحسان فيه حسن القضاء وذلك بأن يعنى إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يعنى إليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم « خيركم أحسنكم قضاء ^(٤) » ومهما قدر على قضاء الدين فليأدر إليه ولو قبل وقته وليس له أجود مما شرط عليه وأحسن وإن عجز فليؤن قضاءه مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم « من أذن ديناً وهو ينوى قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه ^(٥) » وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلف صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله ولقباله باللطف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاءؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله ﷺ فهم به أصحابه فقال : دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً ^(٦) » ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالإحسان أن يكون الليل الأكثر للتوسطين إلى من عليه الدين فإن المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذلك ينبغي أن تكون الاعانة للمشتري أكثر فإن البائع راغب عن السلطة ينفي ترويحها والمشتري محتج إليها هذا هو الأحسن إلا أن يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه عن تعديه وإعانة صاحبه إذ قال ﷺ « انصر أخاك ظملاً أو مظلوماً قيل كيف نصره ظالمًا فقال نعم لك إياه من الظلم نصرته ^(٧) » . الخامس : أن يعقل من يتقبله فإنه لا يستقبل إلا متمسكاً مستنصر بالبيع ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استقرار أخيه قال صلى الله عليه وسلم « من قال نادماً صفته أقاله الله عزته يوم القيامة ^(٨) » أو كالأخ السادس : أن يقصد في معاملته جماعة ممن القراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يطالبهم إن لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحى السلف من له دقران للحساب أحدهما ترجمته بجهولة فيه أسماء من لا يعرفه

(١) حديث رأيت على باب الجنة مكتوباً الصدقة بشر أمثالها والقرض بئان عشرة ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف . (٢) حديث أومأ إلى صاحب الدين بيده ضع الشطر الحديث متفق عليه من حديث كعب بن مالك (٣) حديث خذ حقك في عفاف الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بإسناد حسن دون قوله يحاسبك الله حساباً يسيراً وله ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر وعائشة (٤) حديث خيركم أحسنكم قضاء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث من أذن ديناً وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه أحمد من حديث عائشة ما من عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان معه من الله عون وحافظ وفي رواية له لم يزل معه من الله حارس وفي رواية للطبراني في الأوسط إلا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه (٦) حديث دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث انصر أخاك ظملاً أو مظلوماً الحديث متفق عليه من حديث أنس (٨) حديث من أقال نادماً صفته أقاله الله عزته يوم القيامة أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

منها التلغ وماتنا كره منها اختلف فهم باجتماعهم تجتمع بواطنهم وتقيد قوسهم لأن بعضهم عين على البعض على ماورد « المؤمن مرآة المؤمن » فأى وقت ظهر من أحدهم أثر التفرد نافروه لأن التفرد تظهر بظهور النفس وظهور النفس من تضيق حق الوقت فأى وقت ظهرت نفس الفقير علواً منه خروجه عن دائرة الجمية وحكوا عليه بتضييع حكم الوقت وإهمال السياسة وحسن الرعاية فيقاد بالنافرة إلى دائرة الجمية . أخيراً شيخنا ضياء الدين أبو النجيب عبدالقاهر السهروردي إجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد ابن منصور الصفاق قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي قال أنا

من الشفاء والفقراء وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتيه فيقول أحتاج إلى خمسة أرطال مثلا من هذا وليس معي ثمنه فكان يقول خذني واقض ثمنه عند اللبسة ولم يكن يد هذا من الخيار بل عد من الخيار من لم يكن ثبت اسمه في دفتر أصلا ولا يملكه دينا لكن يقول خذ ما تريد فإن يترك فاقض وإلا فأنت في حل منه وسعة فخذ طرق تجارات السلف وقد انبرست والقائم به على هذه السنة وبالجملة التجارة بحك الرجال وبها ينتفع دين الرجل وورعه ولذلك قيل : لا يتركك من الرء قيس رقهه أو يزار فوق كسب الساق منه رقهه أو جبين لاح فيه أثر قد قلصه ولدى الدرهم فانظر غيه أو ورعه ولذلك قيل إذا نسي على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال اتقي بمن يتركك فإنه رجل فأنى عليه خيرا فقال له عمر أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه قال لا لاقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق فقال لا قال فعاملته بالدينار والدرهم والذي يستبين به ورع الرجل قال لا قال أظنك رأيته قائما في المسجد يجمعهم بالقرآن يخفئ رأسه طورا ويرفعه أخرى قال نعم فقال اذهب فقلت تعرفه وقال للرجل اذهب فاتقني بمن يتركك .

(الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويم آخره)

ولا ينبغي للتاجر أن يشغل معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعا وصفته خاسرة وما يفوت من الربح في الآخرة لا يق به ما ينال في الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه وشفقته على نفسه يحفظ رأس المال ورأس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه في العاجل وأحوج شيء إليه في العاجل أحمد عاقبة في الأجل وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في وصيته إنه لا بد للثمن نصيبك في الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فأبدا بنصيبك من الآخرة غفده فأنك مستمر على نصيبك من الدنيا فتظلمه قال الله تعالى - ولا تنس نصيبك من الدنيا - لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة فإنها مزرعة الآخرة وفيها تسكنب الحسنات وإنما تم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور . الأول : حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فليو بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقيامًا بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو التصح للسلمين وأن يحب لساثر الحق ما يحب لنفسه ولينو اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته كما ذكرناه ولينو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فإذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عملا في طريق الآخرة فإن استفاد مالا فهو مزيد وإن خسر في الدنيا ربح في الآخرة . الثاني : أن يقصد القيام في سنته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت العبادي وهلك أكثر الحق فانتظام أمر الكل يتعاون الكل وتمكّل كل فريق بعمل ولو أقبل كلهم على سنة واحدة لعمّلت البواقي وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله ﷺ «اختلاف أمق رحمة» (١) أي اختلاف مهمم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها إلى طلب الثم والزين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا عن السلمين مهما في الدين وليجنب صناعة النقش والصياغة وتشديد البنيان بالجبس وجميع ما ترخف به الدنيا فكل ذلك كرهه

الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلي قال سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت روعبا يقول لا يزال الصوفية غير ماتقروا فإذا اصطالحوا هلكوا وهذه إشارة من روعب إلى حسن نقد بعضهم أحوال بعض إشفاقا من ظهور النفوس يقول إذا اصطالحوا أو رضوا للثافة من بينهم يخاف أن تخامر البواطن للساعة والراءاة وسامحة البعض البعض في إهمال دقيق آدابهم وبذلك تظهر النفوس وتسنو وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : رحم الله أمرا أهدي إلى عيوي . وأخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ القدسي قال أنا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز المروزي قال أنا عبد الرحمن بن أبي شريح قال أنا أبو القاسم البغوي قال

(الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه)

(١) حديث اختلاف أمق رحمة تقدم في العلم .

ذو الدين فأما حمل اللاهي والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الحياض القباء من الإبريسم للرجال وصياغة الصانع مراكب الذهب أو خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي والأجرة للأخوة عليه حرام وكذلك أوجبت الزكاة فيها وإن كنا لانوجب الزكاة في الخيل لأنها إذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مبيعة للنساء لا يلحقها بالخيل البائع ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من التصد وقد ذكرنا أن بيع الطعام وبيع الأكفان مكروه لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بفناء السر ويكره أن يكون جزاء لما فيه من قساوة القلب وأن يكون حجاباً أو كناساً لما فيه من غامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة أجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استثناء الدلال عن الكذب والافراط في التناء على السلمة لترويحها ولأن العمل فيه لا يتقدر قد يغل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو غلظ بل ينبغي أن ينظر إلى قدر الثمن وكرهوا شراء الحيوان للتجارة لأن المشتري يكره قضاء الله فيه وهو لولت الذي يصدده لمعالجة وحلوه وقيل يبيع الحيوان واشترى اللواتن وكرهوا الصرف لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ولأنه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد أعيانها وإنما يقصد رواجها ولغايتهم للصيرفي ربح إلا باعتبار جهالة معاملته بدقائق التقد قلماً بسل الصيرفي وإن احتاط وكره للصيرفي وغيره كسر الصحيح والدنانير إلا عند الشك في جودته أو عند ضرورة قال أحمد بن حنبل رحمه الله ورد نهى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) وعن أصحابه في الصياغة من الصالح وأما كره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدرهم ذهباً ويصوغه واستجوبوا تجارة البر قال سعيد بن السبب مامن تجارة أحب إلى من البر ما لم يكن فيها أيمان وقد روى «خير تجاركم البر وخير صناعتكم الحرز ^(٢)» وفي حديث آخر «لوانجر أهل الجنة لا تجروا في البر ولو انجر أهل النار لا تجروا في الصرف ^(٣)» وقد كان غالب أعمال الأنبياء من السلف عشر صنائع الحرز والتجارة والحمل والحياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل النازل ومعالجة ميدان البر والبحر والورافة قال عبد الوهاب الوراق قال لي أحمد بن حنبل ما صنعتك قلت الورافة قال كسب طيب ولو كنت صانعاً ما يسدي لصنعت صنعتك ثم قال لي لا تكتب إلا مواسطة واستبق الخواشي وظهور الأجزاء وأربعة من الصنائع موسومون عند الناس بضعف الرأي الحاكمة والقطانون وللغازليون وللملون ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة منغاة العقول تضعف العقل كما أن مخالطة المعتلا تزيد في العقل وعن مجاهد أن مريم عليها السلام مرت في طلبها ليعسى عليه السلام بما كفة فطلبت الطريق فأرشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كبهم وأتمهم قهراً وخقرهم في أعين الناس فاستجيب دعواها وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل البادات وفروض الكتابات كفضل للوني ودقهم وكذا الأذان وصلاة التراويح وإن حكم

(١) حديث الترمذي عن كسر الدينار والدرهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة ابن عبد الله عن أبيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكسر سكة للسدين الجائزة بينهم إلا من يأمر زاد الحاكم أن يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهباً وضعه ابن حبان (٢) حديث خير تجاركم البر وخير صناعتكم الحرز لم أقف له على إسناد وكره صاحب القردوس من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث لوانجر أهل الجنة لا تجروا في البر ولو انجر أهل النار لا تجروا في الصرف أبو منصور الديلمي في مسند القردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف . وروى أبو يعلى والقبيل في الضعفاء الشطر الأول من حديث أبي بكر الصديق .

حدثنا مصعب بن عبد الله الزيري قال حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب أن محمد بن نيمان أخبر بأن عمر قال في مجلس فيه المهاجرون والأنصار أرايتم لو ترخست في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلمين قال فسكتنا قال قال ذلك مرتين أو ثلاثاً أرايتم لو ترخست في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلمين قال بشر بن سعد لو فلت ذلك قومناك تخوم القدر قال عمر أتم إذن أتم وإذا ظهرت نفس الصوف بفضيب وخسومة مع بعض الإخوان خسرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فان النفس إذا قولت بالقلب انحسرت مادة الشر وإذا قولت النفس بالنفس ثارت الفتنة وذهبت الصمة قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن فإذا

بصفة الاستئجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فإن هذه أعمال حقها أن يتجر فيها للأخرة وأخذ الأجرة عليها استبدالاً بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك . الثالث أن لا يمتنع سوق الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة الساجد قال الله تعالى - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - وقال الله تعالى - في يومئذ أن ترفع ويدك فيها اسم - فينبغي أن يجعل أول النهار إلى وقت دخول السوق لأختره فيلازم السجود ويطلب على الأورد كان عمر رضى الله عنه يقول للتجار اجعلوا أول نهاركم لأخترتكم وما بعدة لدينا كم وكان صالحوا السلف يحصلون أول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة ولم يكن يبيع الحرصة والراء وس بكرة إلا الصبيان وأهل الذمة لأنهم كانوا في الساجد بعدوى الخبر « إن اللاتسكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفيها أول النهار وفي آخره ذكر الله وخير كثر الله عنه ما بينهما من سيء الأعمال (١) » وفي الخبر « تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله تعالى وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وجشام وهم يصلون فيقول الله سبحانه وتعالى أشهدكم أني قد غفرت لهم (٢) » ثم يهما مع الأذان في وسط النهار للأولى والعصر فينبغي أن لا يبرج على شغل وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه لما يغوته من فضيلة التكبير الأولى مع الإمام في أول الوقت لا توازها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصي عند بعض العلماء وقد كان السلف ينتدرون عند الأذان ويخلون الأسواق للصبيان وأهل الذمة وكانوا يستأجرون بالترابط لحفظ الحوانيت في أوقات الصلوات وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى - لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - إنهم كانوا حدادين وخرازين فكان أخذهم إذا رفع الطرقة أو غرز الإشي فيسمع الأذان لم يخرج الإشي من الغرز ولم يوقع الطرقة ورسم بها وقام إلى الصلاة . الرابعة أن لا ينصرف على هذا بل يلازم ذكر الله سبحانه في السوق ويشغل بالتبديل والتسبيح فذكر الله في السوق بين العاقلين أفضل قال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في العاقلين كالقاتل خلف القارئ وكالحى بين الأموات » وفي لفظ آخر « كالشجرة الخضراء بين المشهم » وقال صلى الله عليه وسلم « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة (٣) » وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله في السوق يحيى يوم القيامة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعد أهلها وكان عمر رضى الله عنه إذا دخل السوق قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسق ومن شر ما خاطبت به السوق اللهم إني أعوذ بك من عين فاجرة وصفة مسخرة وقال أبو جعفر الفرغانى كتابوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في الساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجالس ويسبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل المسجد بأخذ باذن بعض من فيه

(١) حديث إن اللاتسكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفي أول النهار وآخره ذكر وخير كثر الله ما بينهما من سيء الأعمال أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بمعناه (٢) حديث تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو أعلم كيف تركتم عبادي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الغداة وصلاة العصر الحديث (٣) حديث من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده شريك له الحديث تقدم في الأذكار .

الذى ينك وينه
عداوة كأنه ولي حميم .
وما يلقاها إلا الذين
صبروا - ثم الشيخ
أو الخادم إذا شكا إليه
فقير من أخيه فله أن
يسأله ما شاء فيقول
للعبدى لم تعبدت
ولتعبدى عليه ما ألقى
أذنبت حتى تصدى
عليك وسلط عليك
وهلا قالت نفسه
بالقلب رقاً بأخيك
وإعطاء للفتوة
والصحة حقاً فكل
منها جان وخارج عن
دائرة الجمعية فيرد إلى
الدائرة بالنار فيعود
إلى الاستغفار ولا يسلك
طريق الأصرار روت
عائشة رضى الله عنها
قالت « كان يقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم :
اللهم اجنني من
الذين إذا أحسنوا
استبشروا وإذا أساءوا
استغفروا » فيكون
الاستغفار ظاهراً مع
الإخوان وباطناً مع الله
تعالى وبرون الله في

فيخرجه ويجلس مكانه وإن لأعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلثائة ركة وثلاثون ألف
تسبيحة قال فسبق إلى وهى أنه ينى نفسه فكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لالتتم في
الدنيا فإن من يطلب الدنيا للامتانة بها على الآخرة كيف يدع ربع الآخرة والسوق والمسجد والبيت
له حكم واحد وإنما التجارة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم « اتق الله حينما كنت ^(١) » فوظيفة
التقوى لا تنقطع عن التجردين للدين كيما تقلبت بهم الأحوال وبه تكون حياتهم وعيشهم إذ فيه
يرون تجارهم ودرهمهم وقد قبل من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طامش والأحق يندو
وروح في لاش والعقل عن عيوب نفسه فتاش . الخامس : أن لا يكون شديد الحرص على السوق
والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر في التجارة فيما مكروهان
يقال إن من ركب البحر فقد استنقى في طلب الرزق وفي الخبر « لا يركب البحر إلا الجبج أو عمرة
أو غزو ^(٢) » وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول لائسكن أول داخل في
السوق ولا آخر خارج منها فإن بها باض الشيطان وفرغ روى عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر
أن أبلبس يقول لولم يزل يورس بكتائبك فأت أصحاب الأسواق زين لهم الكذب والحلف والحديعة
والسكر والحيانة وكن مع أول داخل وآخر خارج منها وفي الخبر « شر البقاع الأسواق وشر أهلها
أولهم دخولا وآخرهم خروجا ^(٣) » وتعلم هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته فإذا حصل كفاية
وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كانوا صالحو السلف لقد كان منهم من إذا ربح داهقا
انصرف قناعة به وكان حباد بن سلفة يبيع الحز في سبط بين يديه فكان إذا ربح جتين ربيع
سقطه وانصرف وقال إبراهيم بن بشار قلت لأبراهيم بن آدم رحمه الله أمر اليوم أعمل في الطين
قال يا ابن بشار إنك طالب ومطلوب يطلبك من لانوته وتطلب ما قد كفيته أما رأيت حرصا
محروما وضعيفا مبرزوقا قلت إن لي داهقا عند البقال فقال عز على بك تحلك داهقا وتطلب العمل
وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الأسبوع إلا يوما
أو يومين وكانوا يكفون به . السادس : أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتق مواضع الشبهات
ومظان الرب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستغنى قلبه فإذا وجد فيه حزازة اجتنبه وإذا حمل إليه
ساعة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة « وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم لبن فقال من أين لك هذا ؟ فقالوا من الشاة فقال ومن أين لك هذه الشاة ؟ قيل من
موضع كذا فخر بمنه ثم قال : إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا تأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا ^(٤) »
وقال « إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به الرسلين فقال - بأبها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم - ^(٥) » فقال النبي صلى الله عليه وسلم عن أمل النبي وأصل أمه ولم يزد لأن ما وراء ذلك
يتعدر وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فإنه كان عليه السلام لا يسأل
أوس بسند ضعيف ^(٥) حديث إن الله أمر المؤمنين بما أمر به الرسلين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

استغفارهم فلهذا المنى
يقفون في صف النعال
على أقدامهم تواضعا
وانكسارا وجمت
شيخنا يقول للفقير إذا
جرى بينه وبين بعض
إخوانه وحشة قم
واستغفر فيقول الفقير
ما أرى باطيا صافيا ولا
أؤثر القيام للاستغفار
ظاهرا من غير صفاء
الباطن فيقول أنت قم
فبكره سعيك وقيامك
ترزق الصفاء فكان
يجد ذلك ويرى أثره
عند الفقير ورق
القلوب وترفع الوحشة
وهذا من خاصية هذه
الطائفة لا يبتسون
والبواطن منظوية على
وحشة ولا يجتمعون
للطعام والبواطن تضمر
وحشة ولا يرون
الاجتماع ظاهرا في شيء
من أمورهم إلا بعد
الاجتماع بالباطن
وذهاب التفرقة والشك
فأقام الفقير للاستغفار
لا يجوز رد استغفاره
بحال . روى عبد الله

عن كل ما يحمل إليه (١) وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يامله فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو دبا فلا يامله وكذا الأجناد والظلة لا ياملهم البتة ولا يامل أصحابهم وأعوامهم لأنه معين بذلك على الظلم . وحيكى عن رجل أنه تولى عمارة سور لشتر من الثور قال فوقع في قصص من ذلك شيء وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الاسلام ولكن كان الأمير الذي تولى في محله من الظلة قال فسأت سفيان رضي الله عنه فقال لا تسكن عونا لهم على قليل ولا كثير قلت هذا سور في سبيل الله للسليين فقال نعم ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفرك أجره فتكون قد أجبت بقاء من يمسى الله وقد جاء في الخبر « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يمسى الله في أرضه » (٢) وفي الحديث « إن الله لا يرضى إذا مدح الناس » (٣) وفي حديث آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام » (٤) ودخل سفيان على للهدى ويده درج أيضا فقال ياسفیان أعطني الهواة حتى أكتب فقال أخبرتني أي شيء تكتب فان كان حقا أعطيتك وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المهوسين عنده أن يثاوله طينا ليحتم به الكتاب فقال تاولي الكتاب أولا حتى أنظر ما فيه فمكنا كانوا يحترزون عن معاونة الظلة ومعايشتهم أشد أنواع الاعانة فينبغي أن يجتنبها ذوو الدين ما وجدوا إليه سبيلا وبالجملة فينبغي أن ينضم الناس عنده إلى من يامل ومن لا يامل وليكن من يامله أقل ممن لا يامله في هذا الزمان قال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من زولني أن أعامل من الناس فيقاله عامل من شئت ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا قلنا وفلانا ثم أتى زمان آخر فكان يقال لاتعامل أحدا إلا فلانا وفلانا وأخى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضا وكأنه قد كان الذي كان يجذر أن يكون إما أنه وإنما إليه راجعون . السابع : ينبغي أن يراقب جميع مجاري معاملته مع واحد من معامليه فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فلة وقوة فإنه لم أقدم عليها ولأجل ماذا فانه يقال إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئا وقصة ومحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قاله بعضهم رأيت بعض التجار في التوم قلت ماذا فعل الله بك فقال نشر على خمسين ألف صحيفة قلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس يهدد كل انسان عاملة في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أول معاملته إلى آخرها فهذا ما على الكتب في عمله من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين

(١) حديث كان لا يسأل عن كل ما يحمل إليه أحمد من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مروا بأمرأة فذبحت لهم شاة الحديث فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمعة فلم يستطع أن يسفيها فقال هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها الحديث وله من حديث أبي هريرة كان إذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه الحديث وإسنادهما جيد وفي هذا أنه كان لا يسأل عما أتى به من عند أهله والله أعلم (٢) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يمسى الله في أرضه لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من قول الحسن وقد ذكره للصف هكذا على الصواب في آفات اللسان (٣) حديث إن الله ليغضب إذا مدح الناس ابن أبي الدنيا في الصمت وابن عدي في الكامل وأبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقر صاحب بدعة الحديث رواه ابن عدي من حديث عائشة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزي كلها موضوعة

ابن عمر رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « ارحموا
ترحموا وانظروا ينظر
لكم » . والصفوة في
تحليل يد الشيخ بعد
الاستفار أصل من
السنة . روى عبد الله
ابن عمر قال « كنت في
سرية من سرايا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
لخاص الناس حصة
فكنت فيمن حاص
قلنا كيف نسمع وقد
فررنا من الرخص بؤنا
بالغضب ثم قلنا لود قلنا
للدنية قتنا فيها ثم قلنا
لو عرضنا أنفسنا على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان كان لنا توبة
ولا ذنبنا فأتيانا
قبل صلاة القداة فخرج
قال من التوم قلنا نحن
القرأون قال لا بل
أنهم المكارون أنا فتسكروا
أنا فئة السليين » وقال
عكر الرجل إذا تولى ثم
كر راجعا والمكار
العطاف والرجاع » قال
فأتيانا حتى قبلنا يده »

وإن أضاف إليه الإحسان كان من اللقرين وإن أضاف مع ذلك وظائف الدين كما ذكر في الباب الخامس كان من الصديقين والله أعلم بالصواب ثم كتاب آداب السكب والتمشية بحمد الله ومنه .

(كتاب الحلال والحرام)

وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين لازب وصلصال ، ثم ركب صورته في أحسن تقويم وأتم اعتدال ، ثم غذاه في أول نشوه بلبن استصفاء من بين فرت ودم سائما كالماء الزلال ، ثم حماه بما آتاه من طيات الرزق عن دواهي الضعف والانحلال ، ثم قيد شهوته بالمعادية له عن السطوة والسيال ، وقهرها بما اقترضه عليه من طلب القوت الحلال ، وهزم بكسرهما جند الشيطان للتشعر للاضلال ، ولقد كان يجري من ابن آدم مجرى النهر السيل ، فضيّق عليه عزّة الحلال المجرى والجبال ، إذا كان لا يذوقه إلى أعماق العروق إلا الشهوة لالته إلى القلب والاسترسال ، فبقى لما زمت بزمام الحلال خائبا خاسرا ماله من ناصر ولا وال . والصلاة على محمد الهادي من الضلال وعلى آلِهِ خير آلٍ وسلم تسليما كثيرا . أما بعد . فقد قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة على كل مسلم ^(١) » رواه ابن مسعود رضي الله عنه وهذه الفريضة من بين سائر القرائن أعصاها على العقول فهما وأتقنها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندثار عمله إذ ظن الجهال أن الحلال مفقود وأن السيل دون الوصول إليه مسدود وأنه لم يبق من الطيات إلا اللاء القرات والحشيش الثابت في اللوات وما عداه قد أخبثته الأيدي المعادية وأفسدته العائلات الفاسدة وإذا انحدرت القناة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في الحرمان ففرضوا هذا القطب من الدين أصلا ولم يدركوا بين الأموال فرقا وفصلا وهيئات هيئات فأحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عمّ في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن قساده بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان ولا يخرجها التضييق عن حيز الإمكان . ونحن نوضح ذلك في سبعة أبواب . الباب الأول : في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام . الباب الثاني : في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام . الباب الثالث : في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظاهرها في الحلال والحرام . الباب الرابع : في كيفية خروج التائب عن النظام السالية . الباب الخامس : في إدرايات السلاطين وولاتهم وما يحل منها وما يحرم . الباب السادس : في الدخول على السلاطين ومخالطتهم . الباب السابع : في مسائل متفرقة .

(الباب الأول في فضيلة الحلال ومذمة الحرام ، وبيان أضاف الحلال

ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه)

(فضيلة الحلال ومذمة الحرام)

(كتاب الحلال والحرام)

(الباب الأول في فضيلة طلب الحلال)

(١) حديث ابن مسعود طلب الحلال فريضة على كل مسلم تقدم في الزكاة دون قوله على كل مسلم والطبراني في الأوسط من حديث أنس وأجاب على كل مسلم وإسناده ضعيف .

وروى أن أبا عبيدة
ابن الجراح قبل يدعم
عند قدمه وروى
عن أبي مرثد الثنوي
أنه قال « أتينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فزلت إليه وقبلت يده »
فهذا رخصة في جواز
بتقبيل اليد ولكن
أدب الصوفي أنه متى
رأى نفسه تنزع
بذلك أو تظهر بوصفها
أن يتنعم من ذلك فإن
سلم من ذلك فلا بأس
بتقبيل اليد ومعايهم
للأخوان غيب
الاستغفار لرجوعهم
إلى الألفة بعد الوحشة
وقدمهم من سفر
المجرة بالفرقة إلى
أوطان الجمعية فظهور
النفس تبرؤا وبسوا
وبغية النفس
والاستغفار قدموا
ورجعوا ومن استغفر
إلى أخيه ولم ينس قد
أخطأ قد ورد عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ذلك
وعيد روى عنه عليه

قال الله تعالى - كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل وقيل إن الراد به الحلال وقال تعالى - ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - وقال تعالى - إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما - الآية . وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بين يدي الربا إن كنتم مؤمنين - ثم قال - فإن لم تضلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله - ثم قال - وإن تبتم فلكم ردوس أموالكم - ثم قال - ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - جعل أكل الربا أول الأمر مؤذنا بحجارة الله وفي آخره متروضا لقرار والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » ولما قال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ^(١) » قال بعض العلماء أراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل الراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في غفاف كان في درجة الشهداء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ^(٣) » وفي رواية « زهد الله في الدنيا » وروى « أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله محاب الدعوة فقال له ألعب طعمتك تستبج دعوتك ^(٤) » ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحرص على الدنيا قال « رب أشعث أغبر مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يرفع يديه فيقول يارب يارب فأتى يستجاب لذلك ^(٥) » وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل ^(٦) » فقيل الصرغ النافلة والعسل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا بشرة دوام وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته إدام عليه منه شيء ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم تقدم في العلم (٢) حديث من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا في غفاف كان في درجة الشهداء الطبراني في الأوسط من حديث أن هريرة من سعى على عياله في سبيل الله ولأن منصور في مسند القردوس من طلب مكسبة من باب حلال يكف بها وجهه عن مسكلة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع التبيين والصديقين وإسنادهما ضيف (٣) حديث من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أبونعيم في الحلية من حديث أبي أيوب من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولابن عدي نحوه من حديث أبي موسى . وقال حديث منكر (٤) حديث أن سعدا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله أن يجعله محاب الدعوة فقال له ألعب طعمتك تستبج دعوتك الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه (٥) حديث رب أشعث مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام الحديث سلم من حديث أبي هريرة بلفظ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر الحديث (٦) حديث ابن عباس إن لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل لم أقف له على أصل ولأبى منصور البديلي في مسند القردوس من حديث ابن مسعود من أكل لقمة من حرام لم يقبل منه صلاة أربعين ليلة الحديث وهو منكر (٧) حديث من اشترى ثوبا بشرة دوام في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه شيء أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف . (٨) حديث كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به الترمذي من حديث كعب بن عجرة وحسنه وقد تقدم

فصل الصلاة والسلام أنه قال « من اعتذر إليه أخوه مملوءة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب الكوس » وروى جابر أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تصل إليه فلم يقبل لم يرد الخوض » ومن السنة أن يقدم للاخوان شيئا بعد الاستغفار روى أن كعب بن مالك قال لثني صلى الله عليه وسلم : إن من توبى أن أخلع من مالي كله وأهجر دارقومي للثني فيها أتيت النبي فقال له النبي عليه الصلاة والسلام « يجزيك من ذلك الثلث » فصار سنة الصوفية للطالبة بالقرامة بعد الاستغفار وللناقرة وكل قصد رعاية التألف حتى تكون بواسطتهم على الاجتماع كأن ظواهرهم على الاجتماع وهذا أمر نغردوا به من بين طوائف الإسلام . ثم

«من لا يزال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار» (١) «وقال صلى الله عليه وسلم العبادَةُ عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال» (٢) «روى هذا مرفوعاً وموقوفاً على بعض الصحابة أيضاً وقال صلى الله عليه وسلم «من أمسى واناباً من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنده راض» (٣) «وقال صلى الله عليه وسلم «من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أغفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جبراً ثم قدفه في النار» (٤) «وقال عليه السلام «خير دينكم الورع» (٥) «وقال صلى الله عليه وسلم «من لقي الله ورعاً أعطاه الله ثواب الاسلام كله» (٦) «ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه وأما الوردون فأننا أمتحن أن أحاسنهم وقال صلى الله عليه وسلم «درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زينة في الاسلام» (٧) «وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه «العدة حوض البدن والعروق إليها واردة فإذا حمت للعدة صدرت العروق بالصحة وإذا ستمت صدرت بالسقم» (٨) ومثل الطلعة من البدن مثل الأساس من البنيان فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البنيان وارتفع وإذا ضعف الأساس واعوجج انهار البنيان ووقع. «وقال الله عز وجل - ألفت أنسى بنيانه على تقوى من الله - الآية وفي الحديث «من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراهه كان زاهداً إلى النار» (٩) «وقد ذكرنا جملة من الأخبار في كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال. وأما الآثار : فقد ورد أن الصديق رضى الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقي* حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء» (١٠) «وفي بعض الأخبار أنه

(١) حديث من لم يزال من أين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من أين أدخله النار أبو منصور الدبلي في مسند الترمذ من حديث ابن عمر قال ابن العربي في عارضة الأحوذى شرح الترمذى إنه باطل لم يصح ولا يصح (٢) حديث العبادَةُ عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال أبو منصور الدبلي من حديث أنس إلا أنه قال تسعة في الصمت والعاثرة كسب اليد من الحلال وهو منكر (٣) حديث من أمسى واناباً من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنه راض الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس من أمسى كالا من حمل يديه أمسى مغفوراً له وفيه ضعف (٤) حديث من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أغفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جبراً ثم قدفه في النار أبو داود في الراسيل من رواية القاسم بن عجمرة مرسل (٥) حديث خير دينكم الورع تقدم في العلم (٦) حديث من لقي الله ورعاً أعطاه ثواب الاسلام كله لم أقف له على أصل (٧) حديث درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زينة في الاسلام أحمد والدارقطنى من حديث عبد الله بن حنظلة قال ستة وثلاثين ورجاله ثقات وقيل عن حنظلة الزاهد عن كعب مرفوعاً والطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ثلاثة وثلاثين وسنده ضعيف (٨) حديث أبي هريرة للعدة حوض البدن والعروق إليها واردة الحديث الطبراني في الأوسط والمقبلي في التسقاء وقال باطل لأصل له (٩) حديث من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراهه كان زاهداً إلى النار أحمد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ولابن حبان من حديث أبي هريرة من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه (١٠) حديث إن أباً بكر شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقي* وفي بعض الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبر بذلك قال أوما علمت أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيبا البخارى من حديث عائشة كان لأبي بكر غلام يهرج له الحراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوماً بشئ* فأكل منه أبو بكر.

شرط الفقير الصادق إذا سكن الرباط وأراد أن يأكل من وضعه وأما يطلب لسكانه بالدروزة أن يكون عنده من الشغل بالله مالا يسعه الكسب وإلا إذا كان للبطالة والحوض فبأبغى عنده مجال ولا يقوم بشروط أهل الارادة من الجهد والاجتهاد فلا ينبغي له أن يأكل من مال الرباط بل يكتسب ويأكل من كسبه لأن طعام الرباط لأقوام كعمل شغلهم بالله تقدمهم الدنيا لشغلهم بخدمة مولا لا أن يكون تحت سياسة شيخ عالم بالطريق ينتفع بصحبته ويهتدى بهديه فيرى الشيخ أن يطعمه من مال الرباط فلا يكون تصرف الشيخ إلا بصحة بصيرة ومن جملة ما يكون للشيخ في ذلك من النية أن يشغله بخدمة الفقراء

صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال أوما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيباً وكذلك شرب
 عمر رضى الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطاً فأدخل أصبه وتعباً وقالت عائشة رضى الله عنها إنكم
 لتغفلون عن أفضل العبادة هو الورع وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما صلوا حتى تسكنوا أكلها
 وصمت حتى تسكنوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بزورح حاجز وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله
 ما أدرك من أدرك إلا من كان يقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتب الله
 صدقاً فانظر عند من تخطر بإمكان وقيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله لا تشرب من ماء زمزم فقال
 لو كان لي دلو شربت منه وقال سفيان الثوري رضى الله عنه من أتق من الحرام في طاعة الله كان
 كمن طهر الثوب التجسى بالبول والثوب النجس لا يطهره إلا الماء والذهب لا يكره إلا الحلال وقال
 يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزان الله إلا أن مفتاحها الدعاء وأسنانها قم الحلال وقال ابن
 عباس رضى الله عنهما لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ البعد حقيقة
 الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال : أداء الفرائض بالنسبة وأكل الحلال بالورع واجتناب الهوى من
 الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الموت وقال من أحب أن يكشف بآيات الصديقين فلا يأكل كل إلا
 حلالاً ولا يمسك إلا في سنة أو ضرورة ويقال من أكل الشبهة أربعين يوماً عظم قلبه وهو تأويل قوله
 تعالى - كلا بلردان على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال ابن المبارك رد درهم من شبهة أحب إلى
 من أن تصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ألف درهم حتى يبلغ إلى سائمة ألف وقال بعض السلف
 إن البعد يأكل أكلة فيقلب قلبه فينقل كما ينقل الأديم ولا يعود إلى حاله أبداً وقال سهل رضى الله
 عنه من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أولم يعلم ومن كانت طمعه حلالاً طاعتها جوارحه
 ووقفت للحيرات وقال بعض السلف إن أول لقمة يأكلها العبد من حلال يفر له ماسلف من ذنوبه
 ومن أقام قسمه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كساقط ورق الشجر . وروى في آثار
 السلف أن الواعظ كان إذا جلس للناس قال الصلوا فنفقوا منه ثلاثاً فإن كان معتقداً لبدعة فلا
 تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق وإن كان سعي الطمعة فمن الهوى ينطق فإن لم يكن مكين
 العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الأخبار الشهيرة عن علي عليه السلام وغيره
 إن الدنيا حالها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهتها عتاب . وروى أن بعض الصالحين دفع
 طعاماً إلى بعض الأبدال فلم يأكل فسأله عن ذلك فقال نحن لأننا كل لإحلالاً فلذلك تستقيم قلوبنا
 ويدوم حالنا ونكشف للسكرات ونشاهد الآخرة ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجنا إلى شيء
 من علم اليقين ولذهب الخوف والشهادة من قلوبنا فقال له الرجل فاني أصوم الدهر وأختم القرآن في
 كل شهر ثلاثين مرة فقال له البدال هذه الشربة التي رأيتني شربتها من الليل أحب إلى من ثلاثين
 ختمة في ثلثائة ركعة من أعمالك وكانت شربته من لبن طيبة وحشية وقد كان بين أحمد بن حنبل
 ويحيى بن معين محبة طويمة فجهزه أحمد إذ صممه يقول إني لأسأل أحدا شيئاً ولو أعطاني الشيطان
 شيئاً لأكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت أمزح فقال تخرج بالدين أما علمت أن الأكل من الدين
 قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال - كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - وفي الخبر أنه مكتوب في التوراة
 « من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أي أبواب التيران أدخله » وعن علي رضى الله عنه
 أنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاماً إلا محتوماً حذراً من الشبهة واجتمع الفضيل بن عياض
 وقال له الغلام أنتدري ما هذا فقال وما هو قال كنت تسكنت لانساً في الجاهلية فذكره دون
 الرفوع منه فلم أجده .

فيكون ما يأكله في
 مقابلة خدمته . روى
 عن أبي عمرو والرجاسي
 قال ألت عند الجليل
 مدة لما رأي قط إلا
 وأنا مفتعل بنوع من
 العبادة لما كلفى حتى
 كان يوم من الأيام
 خلا للوضع من الجماعة
 قصت ونزعت ثيابي
 وكسنت للوضع
 ونظفته ورششته
 وغسلت موضع الطهارة
 فرجع الشيخ ورأى
 على أثر التبار فدعاني
 ورحب بي وقال أحسنت
 عليك بها ثلاث مرات
 ولا يزال المشايخ الصوفية
 يندبون الشباب إلى
 الخدمة حفظاً لهم عن
 البطالة وكل واحد
 يكون له حظ من
 العسالة وحظ من
 الخدمة . روى أبو
 محذورة قال : جعل
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لنا الأذان
 والسقاية لئلا هاشم
 والحجابة لئلا عبد الله
 وهذا يقتدى مشايخ

وابن عينة وابن البارك عندوهيب بن الوردي بكه فذكروا الربط فقال وهيب هو من أحب الطعام إلى
إلا أني لا آكله لا خلاط رطب مكة يساين زبدة وغيرها فقال ابن البارك إن نظرت في مثل هذا
ساق عليك الحبز قال وماسيه قال إن أصول الضياع قد اختلطت بالصواب فنسى على وهيب فقال سفيان
قتلت الرجل فقال ابن البارك ما أردت إلا أن أهون عليه فلما أفاق قال فله على أن لا آكل خبزا أبدا
حتى أفاق قال فكان حيرت اللبن فأتته أمه بلبن فسلمها فقالت هو من شاة بني فلان فقال عن ثمنها
وأنه من ابن كان لهم فذكرت فلما أدناه من فيه قال يقي أنها من ابن كانت ترمي فسكت فلم يضر لها
كانت ترمي من موضع فيحق للمسلمين قالت أمه اشرب فإن الله يفرلك فقال ما أحب أن يفرلي
وقد شرته فأنا لمفرته بمصعبته وكان بشر الحافي رحمه الله من الورعين قيل له من ابن تأكل ؟ قال
من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبيكي كمن يأكل وهو يضحك وقال يد أقصر من يد
ولقمة أصغر من لقمة وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات .

(أصناف الحلال ومداخله)

اعلم أن تفصيل الحلال إنما يتولى بيانه كتب الفقه ويستفي المريد عن تطويله بأن يكون له طعمة
معينة يعرف الفتوى حلها لا يأكل من غيرها فأما من يتوسع في الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر إلى
علم الحلال والحرام كله كإفصلته في كتب الفقه ونحن الآن نشير إلى مجاميعه في سياق تقسيم وهو أن الحلال
إنما يحرم إما لعن في عينه أو لخلل في جهة أو كسبه .

(القسم الأول)

الحرام للصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرها وتفصيله أن الأعيان للأكل على وجه الأرض لا تمدو
ثلاثة أقسام فإما أن تكون من العادن كاللح والطين وغيرها أو من النبات أو من الحيوانات .
أما العادن فهي أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله إلا من حيث إنه يضر بالأكل
وفي بعضها ما يجري مجرى السم والخبز لو كان مضرا لحرم أكله والطين الذي يتأذى كله لا يحرم
إلا من حيث الضرر وفائدة قولنا إنه لا يحرم مع أنه لا يؤكل أنه لو وقع شيء منها في مرقعة أو طعام
مائع لم يصير محرما . وأما النبات فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصحة فزيل العقل
البنج والخمر وسائر السكرات ومزيل الحياة السموم ومزيل الصحة الأدوية في غير وقتها وكان مجموع
هذا يرجع إلى الضرر إلا الخمر والسكرات فإن الذي لا يسكر منها أيضا حرام مع قلته لعينه ولصفته
وهي الشدة الطرية وأما السم فإذا خرج عن كونه مضرا قلته أولعنه بغيره فلا يحرم وأما الحيوانات
فتقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الأطعمة والنظر يطول في تفصيله لأسباب في
الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل أكله منها فإما يحل إذا ذبح ذبحا شرعيا روى فيه
شروط الذابح والآلة والذبح وذلك مذکور في كتاب الصيد والقبائح وما لم يذبح ذبحا شرعيا أو مات
فهو حرام ولا يحل إلا الميتان السمك والجراد وفي مناهما ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح والخل
والجبن فإن الاعتراض منها غير ممكن فأما إذا أفردت وأكلت فتحكمها حكم الدباب والحفصاء والغرب
وكل ما ليس له نفس سائلة لا سبب في تحريمها إلا الاستفذار ولو لم يكن لكان لا يكره فإن وجد شخص
لا يستقدره لم يلتفت إلى خصوص طبعه فإنه التحق بالحائث للعموم الاستفذار فيكره أكله كالوجع الحائط
وشربه كرم ذلك وأبست السكراة لتجاسنها فإن الصحيح أنها لا تجس بالموت إذ أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأن يقتل الدباب في الطعام إذا وقع فيه ^(١) وربما يكون حارا ويكون ذلك سبب موته

(١) حدث الأمر بأن يقتل الدباب في الطعام إذا وقع فيه البخاري من حديث أبي هريرة .

الصوفية في تفريق
الحكم على الفقراء ولا
يعذر في ترك نوع من
الخدمة إلا كامل
الشغل بوقته ولا يفتي
بكمال الشغل شغل
الجوارح ولكن نفي به
دوام الرعاية والحاسبة
والشغل بالقلب والقالب
وقتا وبالقلب دون
القالب وقا وتفقد
الزيادة من الثمن
فإن قيام الفقير بمقوق
الوقت شغل تام وبذلك
يؤدي شكر نصبة
الفرار ونصبة الكفاية
وفي البطالة كفران
نصبة الفرار والكفاية
أخبرنا شيخنا ضياء
الدين أبو النجيب
عبد القاهر إجازة قال
أنا عمر بن أحمد بن
منصور قال أنا أحمد بن
خلف قال أنا الشيخ
أبو عبد الرحمن محمد
ابن الحسين قال سمعت
أبا الفضل بن حدون
يقول سمعت علي بن
عبد الحميد الغضائري
يقول سمعت السري

ولو تهرت نعمة أودابة في قدر لم يجب إراقبها إذ الاستفاد هو جرمة إدا بق له جرم ولم ينحس حق يحرم بالنجاسة وهذا يدل على أن تحريمه للاستفاد ولذلك نقول لو وقع جزء من آدمي ميت في قدر ولو وزن دائق حرم السكل بالنجاسة فإن الصحيح أن الأدمي لا ينحس بالموت ولكن لأن أكله حرم احتراماً لاستفاداً وأما الحيوانات المأكولة إذا دعت بشرط الشرع فلا تحل جميع أجزائها بل يحرم منها اللحم والقرن وكل ما يقضى بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقاً يحرم ولكن ليس في الأعيان شيء يحرم نجس إلا من الحيوانات وأما النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالنبيج فإن نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه لكونه في مظنة التشوف ومهما وقعت قطرة من النجاسة أو جزء من نجاسة جامدة في مرقعة أو طعام أو دهن حرم أكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغيره أكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا اطلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته .

(القسم الثاني ما يحرم لحلال في جهة إثبات اليد عليه)

وفيه يتبع النظر فتقوله أخذ المال إما أن يكون باختيار المالك أو بشيخ اختياره فليكن بشيخ اختياره كالإرث والذي يكون باختياره إما أن لا يكون من مالك كنبيل المادون أو يكون من مالك والذي أخذ من مالك فاما أن يؤخذ قهراً أو يؤخذ تراضياً والتأخوذ قهراً إما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالنظام أو لاستحقاق الأخذ كزكاة المستعين والنفقات الواجبة عليهم والتأخوذ تراضياً إما أن يؤخذ بعوض كالبيع والصدقات والأجرة وإما أن يؤخذ بشيخ عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا السباق ستة أقسام . الأول : ما يؤخذ من غير مالك كنبيل المادون وإحياء اللوات والامسليات والاحتطاب والاستقاء من الأنهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط أن لا يكون التأخوذ مختصاً بشيخ حرمة من الأدميين فإذا افك من الاختصاصات ملكها أخذها وتفصيل ذلك في كتاب إحياء اللوات . الثاني : التأخوذ قهراً ممن لا حرمة له وهو النقي . والثانية : سائر أموال الكفار والمخاريين وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا منها المحسوس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير من كتاب النقي والثنية وكتاب الجزية . الثالث : ما يؤخذ قهراً باستحقاق عند امتناع من وجب عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض أو سلطان أو مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات إذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فإذا استوفيت شرائطها كان للتأخوذ حلالاً . الرابع : ما يؤخذ تراضياً بجماعة وذلك حلال إذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط التظليل أعني الإيجاب والتبويل مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط الفسدة وبيان ذلك في كتاب البيع والصلح والإجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والساقاة والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصدقات وسائر المعاملات . الخامس : ما يؤخذ عن رضا من غير عوض وهو حلال إذا روعي فيه شرط العمود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد إلى ضرر بولرث أو غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات . السادس : ما يحصل بشيخ اختيار كالإرث وهو حلال إذا كان الوروث قد اكتسب المال من بعض الجهات المحسوس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وأمدل القسم بين الورثة وإخراج الزكاة والصلح والكفارة إن كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا والنفقات فهذه مجامع مداخل الحلال والحرام أومأنا إلى جعلها يعلم المراد أنه إن كانت طمعة مترفة لأم جهة معينة فلا يستثنى عن

بقول من لا يعرف
قدر التمسك بها من
حيث لا يعلم . وقد
يسأل الشيخ العاجز
عن الكسب في تناول
طعام الرباط ولا يذير
الشاب هذا في شرط
طريق القوم على
الإطلاق فأما من حيث
تخوى الشرع فإن
كان شرط الوقف على
التصوفة وعلى من تزيبا
يزي للتصوفة وليس
خرتهم فيجوزاً كل
ذلك لم على الإطلاق
تخوى وفي ذلك
التمتع بالرخصة دون
التمتع التي هي شغل
أهل الإرادة وإن
كان شرط الوقف على
من يسلك طريق
الصوفية عملاً وحالاً
فلا يجوز أكله لأهل
البطالات والراكبين
إلى تضييع الأوقات
وطرق أهل الإرادة
عند مشايخ الصوفية
مشهورة . أخبرنا
الشيخ الثقة أبو القاسم
قال أنا أبو الفضل

علم هذه الأمور فشكل ما يأكله من جهة من هذه الجهات ينبغي أن يستحق فيه أهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فإنه كما يقال للعالم لم يخالفك عليك يقال للجاهل لم لازمك جهلك ولم تعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم .

(درجات الحلال والحرام)

اعلم أن الحرام كله خبيث لكن بعضه أخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه أطيب من بعض وأسمى من بعض وكما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الأولى كالسكر وبعضها حار في الثانية كالقانيذ وبعضها حار في الثالثة كالديس وبعضها حار في الرابعة كالعدل كذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الأولى وبعضه في الثانية أو الثالثة أو الرابعة وكذا الحلال تفاوت درجات صفاته وطيبه فلنقتد بأهل الطب في الاصطلاح على أربع درجات تقريباً وإن كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر إذ ينطبق إلى كل درجة من الدرجات أيضاً تفاوت لا ينحصر فإن من السكر ما هو أشد حرارة من سكر آخر وكذا غيره فذلك قول الورع عن الحرام على أربع درجات : ورع الدول وهو الذي يجب القسق بانتعاه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للعار بسببه وهو الورع عن كل ما عهرمه فتاوى الفقهاء . الثانية : ورع الصالحين وهو الامتناع عما ينطبق إليه احتمال التحريم ولكن للفقح برخص في تناول بناء على الظاهر فهو من موافق الشبهة على الجلبه فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية . الثالثة : ما لا عهرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه أذاؤه إلى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس وهذا ورع للتقين قال صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد درجة التقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس » (١) الرابعة : ما لا بأس به أصلاً ولا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس ولكنه يتناول لتبرأه على غير نية التقوى به على عبادة الله أو تطرق إلى أسبابه السهلة له كراهية أو معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة إلى أن تفصلها بالأمثلة والشواهد . وأما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الأولى وهو الذي يشترط التنورع عنه في العدالة والطراح ممة القسق فهو أيضاً على درجات في الحبث فالأخوذ بقصد فاسد كالعاطاة مثلاً فيل يجوز فيه العطاة حرام ولكن ليس في درجة للنصوب على سبيل القهر بل للنصوب أغلظ إذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وإيذاء الغير وليس في العطاة إيذاء وإنما فيه ترك طريق التمسك فقط ثم ترك طريق التمسك بالمعاطاة أعون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتأكيده في بعض الناهي على ما سيأتى في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة بل للأخوذ ظلماً من فقير أو صالح أو من يقيم أخبث وأعظم من للأخوذ من قوي أو غني أو فاسق لأن درجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات الوذى فهذه دقائق في تفاصيل الحبث لا ينبغي أن يذهل عنها فلو لا اختلاف درجات الصاة لما اختلفت درجات النار وإذا عرفت ماثرات التغليظ فلا حاجة إلى حصره في ثلاث درجات أو أربعة فإن ذلك جار مجرى التحكم والتشوي وهو طلب حصرها لا حصره ولذلك على اختلاف درجات الحرام في الحبث ما سيأتى في تمارض المذورات وترجيح بعضها على بعض حتى إذا اضطر إلى أكل ميتة أو أكل طعام الغير أو أكل صيد الحرم فإنا ندم بعض هذا على بعض .

(١) حديث لا يبلغ العبد درجة التقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس ابن ماجه وقد تقدم .

حميد قال أنا الحافظ
أبو نعيم قال حدثنا
أبو العباس أحمد بن
محمد بن يوسف قال
حدثنا جعفر القرياني
قال حدثنا محمد بن
الحسين البخاري
بسمرقند قال حدثنا
عبد الله بن المبارك
قال حدثنا سعيد بن
أبي أيوب الخزازي قال
حدثنا عبد الله بن
الوليد عن أبي سليمان
الأبشي عن أبي سعيد
الحدرى عن النبي
صلى الله عليه وسلم
أنه قال « مثل المؤمن
كمثل القرس في
آخيته يجول ويرجع
إلى آخيته وإن المؤمن
يسهو ثم يرجع إلى
الإيمان فأطمعوا
طعامكم الأغنياء وأولوا
معروفكم المؤمنين » .
[الباب السادس عشر
في ذكر اختلاف
أحوال مشايخهم في
السفر والقيام] اختلف
أحوال مشايخ الصوفية
فمنهم من سافر في

(أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا)

أما الدرجة الأولى : وهي ورع المدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل في الدخال الستة
التي ذكرناها من مداخل الحرام فقد شرط من الشروط فهو الحرام للطلق الذي ينسب مقتضاه
إلى الفسق وللصية وهو الذي يزيد الحرام للطلق ولا يحتاج إلى أمثلة وشواهد . وأما الدرجة
الثانية : فأمثلها كل شبهة لا توجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتي في باب الشبهات إذ من
الشبهات ما يجب اجتنابها فخلق الحرام ومنها ما يكره اجتنابها فالورع عنها ورع اللوسوسين كمن يمتنع من
الاصطياد خوفا من أن يكون الصيد قد أفلت من إنسان أخذه وملكه وهذا وسواس ومنها
ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « دعه ما يريك إلى ما
لا يريك » (١) ونعمله على نهى التنزيه وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كل ما أصعبت ودع
ما آتيت » (٢) والإنماء أن يجرح الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا إذ يحتمل أنه مات بسقطة
أو بسبب آخر والذي نختاره كما سيأتي أن هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله
دع ما يريك أمر تنزيه إذ ورد في بعض الروايات كل منته وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أرا غير
سبك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في السكب العلم : وإن أكل فلا تأكل فإني
أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه على سبيل التنزيه لأجل الخوف إذ قال لأبي ثعلبة الخشني
« كل منه فقال وإن أكل منه فقال وإن أكل » (٣) وذلك لأن حالة أبي ثعلبة وهو فقير فكتسب
لا تحتمل هذا الورع وحال عدى كان محتله . يحكى عن ابن سيرين أنه ترك لشريك له أربعة
آلاف درهم لأنه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به فأمثلة هذه الدرجة بذكرها في
التعرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة لا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة . أما الدرجة الثالثة :
وهي ورع التفتن فيشهد لها قوله ﷺ « لا يبلغ العبد درجة التفتن حتى يدع مالا بأس به مخافة ما به
بأس » وقال عمر رضي الله عنه كما ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن تقع في الحرام وقيل إن هذا
عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال أبو الدرداء إن من تمام التقوى أن يبتغي العبد في مثقال ذرة حتى
يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حتى يكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان
لهم مائة درهم على إنسان فغلبها إليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء السكك خيفة الزيادة
وكان بعضهم يتحرز فكل ما يستوفيه يأخذه بنقصان حبة وما يبطئه يوفيه زيادة حبة ليكون ذلك
حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الأحتراز عما يتسامح به الناس فإن ذلك حلال في الفتوى ولكن
يخاف من فتح بابه أن ينجر إلى غيره وتألف النفس الاسترسال وترك الورع فمن ذلك ما روى عن
علي بن معبد أنه قال كنت ما كنا في بيت بكرا . فكتبت كتابا وأردت أن آخذ من تراب الحائط
لأثر به وأجفنه ثم قلت الحائط ليس لي فقال لي نفسي وما قدر تراب من حائط فأخذت من التراب حاجتي فلما
نمت فإذا أنا بشخص واقف يقول يا علي بن معبد سيعلم غدا الذي يقول وما قدر تراب من حائط لعل معنى
ذلك أنه يرى كيف يحط من منزلته فإن للتقوى درجة تنفوت بفوات ورع التفتن وليس المراد به أن يستحق

(١) حديث دع ما يريك إلى ما لا يريك والنسائي والترمذي والحاكم وصحاحه من حديث الحسن
ابن علي (٢) حديث كل ما أصعبت ودع ما آتيت الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس
والبيهقي موقوفا عليه وقال إن الرفوع ضعيف (٣) حديث قال لأبي ثعلبة كل منته فقال وإن أكل
قال وإن أكل أبو داود من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ومن حديث أبي ثعلبة أيضا
مختصرا وإسنادهما جيد والبيهقي موقوفا عليه وقال إن الرفوع ضعيف

بدايته وأقام في نهايته
ومنه من أقام في بدايته
وسافر في نهايته ومنهم
من أقام ولم يسافر ومنهم
من استدام السفر ولم
يؤثر الإقامة ونشرح
حال كل واحد منهم
ومقتصد في رام فأما
الذي سافر في بدايته
وأقام في نهايته قصده
بالسفر لمان منها تعلم
شيء من العلم قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « اطلبوا العلم ولو
بالصين » وقال بعضهم
لوسافر رجلا من الشام
إلى أقصى اليمن في كفة
تدل على هدى ما كان
سفره ضائعا . ونقل أن
جابر بن عبد الله رحل
من المدينة إلى مصر
في شهر لحديث بلغه أن
أنسا يحدث به عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد قال عليه
السلام « من خرج من
بيته في طلب العلم فهو
في سبيل الله حتى يرجع »
وقيل في تفسير قوله
تعالى - السائحون -

عقوبة على فعله ، ومن ذلك ما روى أن عمر رضى الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة أنا أجيء الوزن فسكت عنها ثم أعاد القول فأعادت الجواب فقال لأحببت أن تضعية بكفة ثم تقولين فيها أثر النبار تحسحين بها عتقك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين . وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فأخذ بأفقه حتى لا تضيعه الرأفة وقال زهد لا ينفع منه إلا برحمة لما استبعد ذلك منه . وأخذ الحسن رضى الله عنه ثمرة من تمر الصدقة وكان صغيرا فقال **كُفْ كُفْ** ^(١) أي ألقها ، ومن ذلك ما روى بعضهم أنه كان عند محضر فأتى ليلا فقال أطفئوا السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن ، وروى سلمان التيمي عن نسيمة العطاراة قالت كان عمر رضى الله عنه يدفع إلى امرأته طيبا من طيب المسلمين لتيهه فاعتنى طيبا فحصلت قوم وتزيد وتنقص وتكسر بألسنتها فتعلق بأصبغها ثم منه فقالت به هكذا بأصبغها ثم مسح به خمارها فدخل عمر رضى الله عنه فقال ما هنالك الرأفة فأخبرته فقال طيب المسلمين تأخذينه فاتترع الخمار من رأسها وأخذ جرة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شيء بأصبغها فأدخلت أصبغها فيها ثم مسح به التراب فهذا من عمر رضى الله عنه وورع التقوى خوفا داء ذلك إلى غيره . ولا أفضل من الخمار ما كان بعيد الطيب إلى المسلمين ولكن ألقه عليها زجرا وردعا وإتقاء من أن يتعدى الأمر إلى غيره ، ومن ذلك ما سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون في المسجد يعمل حجرة لبعض السلاطين ويختر المسجد بالمود قال ينبغي أن يخرج من المسجد فإنه لا ينفع من العود إلا برأفته وهذا قد عارب الحرام فإن القدر الذي يبقى بثوبه من رائحة الطيب قد يقصد وقد يخل به فلا يدري أنه يتسامح به أم لا ، وسئل أحمد بن حنبل عن سقطت منه ورقة فيها أحاديث فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردّها فقال لا بل يستأذن ثم يكتب ، وهذا أيضا قد يشك في أن صاحبها هل يرضى به أم لا فيأمره في محل الشك والأصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الأولى ومن ذلك التورع عن الزينة لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها وإن كانت الزينة مباحة في نفسها ، وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السنية فقال أمانا فلا أستمعها ولكن إن كان للطين فأرجو وأمانا أراد الزينة فلا ، ومن ذلك أن عمر رضى الله عنه لما ولي الخلافة كاتله زوجة يحبها فطلقها خيفة أن تشرب عليه بشفاة في باطل فطبعها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا بأس به مخافة ما به الأسى أى مخافة من أن يفضى إليه وأكثرت الباحات داعية إلى المحظورات حتى استكثار الأكل واستعان الطيب للمتعزب فإنه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو إلى التفكير والفكر يدعو إلى النظر والنظر يدعو إلى غيره وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتعلمهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرس ويدعو إلى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تعصيه وهكذا الباحات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة أولا ثم بالحذر ثانيا قلما تخلو عاقبتها عن خطر وكذا كل ما أخذ بالشهوة قلما تخلو عن خطر حتى كرم أحمد بن حنبل تخصيص الحيطان وقال أما تخصيص الأرض فجمع التراب وأما تخصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه حتى أنكر تخصيص للساجد وتزيينها واستدل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم **م** أن نعلين أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كمرى موسى ^(٢) .

(١) حديث أخذ الحسن بن علي ثمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم كنع كنع ألقها. البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث أنه سئل أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كعريش موسى الدارقطني في الأفراد من حديث أبي البرداء وقال غريب .

(۱۳ - احیاء - ثانی)

أُتهم طلاب العلم -حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي -إملاء قال أنا أبو الفتح عبد الملك الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا أبو العباس الهبولى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال، حدثنا وكيع قال حدثنا أبو داود عن سفيان عن أبي هرون قال كنا نأتى أبا سعيد فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النبي عليه السلام قال « إن الناس لكم تبع وإن الرجال بأنوفهم من أقطار الأرض يتفقون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا » وقال عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وروى عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى أوحى إلى إنممن

وإنما هو شيء مثل الكحل يطل به فلم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكراه الساب الثوب الرقيق وقالوا من رقيق ثوبه رقيق دينه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في اللباجات إلى غيرها فان المظنور والباح تشبههما النفس بشهوة واحدة وإذا تمومت الشهوة للساعة استرسلت فاقضى خوف الفتوى الورع عن هذا كله فبكل حلال اتفق عن مثل هذه الخاتفة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة وهو كل مالا يخاف أداؤه إلى مصيبة أئنة . أما الدرجة الرابعة : وهو ورع الصديقين فالحلال عندهم كل ما لا تقدم في أسبابه مصيبة ولا يستأن به على مصيبة ولا يقصد منه في الحال والئال قضاء وطر بل يتناول في تعالى قسط والفتوى على عباده واستبقاء الحياة لأجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس في حراما امتلا قوله تعالى - قل الله ثم ذم في خواصهم يلعبون - وهذه رتبة للوحدين للتردين عن حظوظ أنفسهم للفردين في تعالى بالقصد ولا شك في أن من يتورع عما يوصل إليه أو يستأن عليه بمصيبة ليتورع عما يقتدر بسبب اكتسابه مصيبة أو كراهية في ذلك ما روى عن محمد بن كثير أن شرب الدواء قتلت له امرأته لو غشيت في الدار قليلا حتى يمدل الدواء قتلت هنم مشية لأعرافها وأنا أحبب نفسي منذ ثلاثين سنة ففكأنه لم تحضره نية في هذه للشية تعلق بالدين فلم يجرز الاقتداء عليها . وعن سري رحمه الله أنه قال انتهيت إلى حشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت من الحشيش وشربت من الماء وقلت في نفسي إن كنت قدأ كلفت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فهتفوني هائف إن القوة التي أوصلتك إلى هذا الوضع من أين هي فرجعت وندمت ومن هذا ما روى عن ذى النون للصرى أنه كان جائعا محبوسا فبعت إليه امرأة صالحة طعاما على يد السجان فلم يأكل ثم اعتذر وقال جاءني على طبق ظالم يعني أن القوة التي أوصلت الطعام إلى لم تكن طيبة وهذه القاية القصوى في الورع . ومن ذلك أن بشرنا رحمه الله كان لا يشرب للمؤمنين الأنياب التي حفرها الأمراء فان التهر سبب لجرمان الماء ووصوله إليه وإن كان للماء مباحا في نفسه فيكون كالشتمع بالهر المظنور بأعمال الأجرء وقد أعطوا الأجرة من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من الشرب الحلال من كرم حلال وقال لصاحب أفنديته إنسقتني من الماء الذي يجري في النهر الذي حفرته الظلة وهذا أبعد عن الظلم من شرب نقي الماء لأنه احتراز من استمداد الشرب من ذلك الماء . وكان بعضهم إذا فرغ من طريق الحج لم يشرب من الصانع التي حملها الظلة مع أن الماء مباح ولكنه بقي محفوظا بالمصنع الذي عمل به بحال حرام ففكأنه انتفاع به وامتناع ذى النون من تناول الطعام من يد السجان أعظم من هذا كله لأن يد السجان لا توصف بأنه حرام بخلاف الطبق القصبوب إذا حمل عليه ولكنه وصل إليه بقوة اكتسبت بالقاء الحرام ولذلك تقياً الصديق رضى الله عنه من اللبن خيفة من أن يبعث الحرام فيه فودع أنه شربه عن جهل وكان لا يجب إخراجها ولكن نخلة البطن عن الحشيش من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسب خياط يخط في السجد فان أحمد رحمه الله كره جلوس الخياط في السجد . وسئل عن الغازلي يجلس في قبة في التابري في وقت يخاف من الطر فقال إنما هي من أمر الآخرة وكره جلوسه فيها وأطفا بعضهم سراجا أسرجه غلامه من قوم يكره ما لهم وامتنع من تسجير تور الخيزر وقد بقي فيه جرمن حطب مكروه وامتنع بعضهم من أن يحكم شمع نعله في مشعل السلطان فهذه دقائق الورع عند السالك طريق الآخرة والتحقيق فيه أن الورع له أول وهو الامتناع مما حرمته الفتوى وهو ورع الدول ولغاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس في بما أخذ بشهوة أو توصل إليه بكمروه أو اتصل بسببه بكمروه . وبينهما درجات في الاحتياط فكلما كان البعد أشد تشديدا على نفسه كان أخف ظهرا يوم القيامة وأسرع جوارا على الصراط وأبعد عن أن

سلكه سلكا في طلب العلم سهلته له طريقا إلى الجنة ومن جملة مقاصدهم في البداية لقاء الصالحين والإخوان الصادقين فلهزمه بقاء كل صادق مزيد وقد ينضم لحظا الرجال كما ينضم لفظ الرجال . وقد قبل من لا ينضمك لحظه لا ينضمك لفظه وهذا القول قيمو جهان أحدهما أن الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان نفسه أكثر ما يكلمهم بلسان قوله فإذا نظر الصادق إلى تصاريحه في مورده ومصدره وخبره وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر إليه فهو قمع الحفظ ومن لا يكون حاله وأمانه هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لأنه يشكك بهوامة نورانية القول على قعر نورانية القلب ونورانية القلب حسب الاستفادة والقيام بواجب حتى

ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وتفاوت النزول في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تفاوت درجات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الجث ، وإذا علت حقيقة الأمر فإليك الخيار فإن شئت فاستكثر من الاحتياط وإن شئت فترخص. فلنفسك غناط وعلى نفسك ترخص والسلام .

(الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتميزها عن الحلال والحرام)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يلبسها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه ومن وقع في الشبهات وقع الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه (١) فهذا الحديث نص في إثبات الأقسام الثلاثة وللشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فإن ما يعرفه الكبير قد يعرفه القليل فتقول : الحلال للطلق هو الذي خلا عن ذاته الصفات للوجبة لتحريم في عبه وانحل عن أسبابه ما تطرق إليه تحريم أو كراهية ومثاله اللحم الذي يأخذه الإنسان من للطريق أن يقع على ملك أحد ويكون هو واقفا عند جمعه وأخذه من الهواء في ملك نفسه أو في أرض مباحة والحرام المحض هو ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة اللطرية في الحجر والتجاسة في البول أو حصل بسبب منى عنه قطعاً كالحصل بالظلم والربا ونظاره فهذان طرفان ظاهران ويتحقق بالطريق ما تحقق أمره ولكنه احتمل تقيده ولم يكن ذلك الاحتمال سبباً يدل عليه فإن صيد البر والبحر حلال ومن أخذ طرية فيحتل أن يكون قد ملكها صيده ثم أفلت منه وكذلك السمك فيحتل أن يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق إلى ماء للطر المختطف من الهواء ولكنه في معنى ماء الطر والاحتراز منه وسواس ، ونسب هذا الفن ورع للموسمين حتى تتحقق به أمثاله وذلك لأن هذا وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لولد عليه دليل فإن كان قطعاً كالوجود حلقه في أذن السمكة أو كان محتملاً كالوجود على الطرية جراحة فيحتل أن يكون كما لا يقدر عليه إلا بعد الضبط ويحتمل أن يكون جرحاً فهذا موضع الورع وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال للعدوم دلالة كلاحتمال العدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير داراً فيقيم عنده المير فيخرج ويقول له له مات وصار الحق قوارث فهذا وسواس إذ لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المذمومة ما تنشأ من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين فلما سببه لا يثبت عقده في النفس حتى يساوى القدر القابل له فيصير شكاً ولهذا تقول : من شك أنه صلى ثلاثاً أو أربعاً أخذ بالثلاث إذ الأصل عدم الزيادة ولو شئ إنسان أن صلاة الظهر التي أداها قبل هذا بشر سنين كانت ثلاثاً أو أربعاً لم يتحقق قطعاً أنها أربعة وإذا لم يقطع جواز أن تكون ثلاثة وهذا التجوز لا يكون شكاً إذ لم يحضره سبب أو جب اعتقاد كونها ثلاثاً فانتهم حقيقة الشك حتى لا يشبهه الوهم والتجوز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال للطلق يلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وإن أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواء فتاب عنه فقال فيحتل أنه مات وقد انتقل الملك إلى فأكله فإقدامه عليه إقدام على حرام محض لأنه احتمال لا مستند له فلا ينبغي أن يعدّ هذا الخط من أقسام الشبهات وإنما الشبهة نعى بها ما تشبه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين . ومثارات الشبهة خمسة :

(الباب الثاني في مراتب الشبهات)

(١) حديث الحلال بين والحرام بين متفق عليه من حديث النعمان بن بشير .

السبودة وحقيقتها
والوجه الثاني أن نظر
الغناء الراسخين في العلم
والرجال البالغين نرياق
نافع ينظر أحدهم إلى
الرجل الصادق
فيستكشف بنور
بصيرته حسن استعداد
الصادق واستنباه
لمواهب الله تعالى
الخاصة فيقع في قلبه
عجبة الصادق من
البردين وينظر إليه
نظر عجة عن بصيرة
وهم من جنود الله تعالى
فيصكبون بنظرم
أحوالاً سنية ويهيون
آثاراً مرضية وماذا
يشكر الله من قدره
الله أن الله سبحانه وتعالى
كاجل في بعض الأفعى
من الخاصة أنه إذا
نظر إلى إنسان يهلكه
بنظره أن يجعل في نظر
بعض خواص عباده
أنه إذا نظر إلى طالب
صادق بكسبه حالاً
وحياة وقد كان شيخنا
رحمه الله يطوف في
مسجد الحيف معنى

(لشأن الأول الشك في السبب المحلل والمحرّم)

وذلك لا يخفى إما أن يكون متعادلاً أو غلب أحد الاحتمالين فإن تعادل الاحتمال كان الحكم لماعرف قبله فيستحب ولا يترك بالشك وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للنائب ولا يتبين هذا إلا بالأشكال والشواهد فلتنقسم على أقسام أربعة . القسم الأول : أن يكون التحريم معلوماً من قبل ثم يقع الشك في المحلل فيه شبهة يجب اجتنابها وبمجرم الإقدام عليها . مثله : أن يرى إلى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتاً ولا يدري أنه مات بالفرق أو بالجرح فهذا حرام لأن الأصل التحريم إلا إذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق فلا يترك اليقين بالشك كما في الأحداث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها على هذا ينزل قوله عليه السلام لدى بن حاتم «لأننا كرهنا فله قتل غير كليك» ^(١) فذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا أتى بشئ اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية سأل عنه حتى يعلم أمها هو ^(٢) وروى «أنه صلى الله عليه وسلم أرق ليلة فقال له بعض نساءه أرقتي يا رسول الله فقال أجل وجدت عمرة غفشت أن تكون من الصدقة» ^(٣) وفي رواية «فأكلتها غفشت أن تكون من الصدقة» ومن ذلك ما روى عن بعضهم أنه قال «كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فقلنا منزلاً كثير الضباب فبينما القدور تقلب بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة مسخت من بني إسرائيل أخشى أن تكون هذه فأكلنا القدور» ^(٤) ثم أعلمه الله بعد ذلك أنه لم يمسح الله خلقاً لجعل له نسلاً ^(٥) وكان امتناعه أولاً لأن الأصل عدم المحل وشك في كون الدج محللاً . القسم الثاني : أن يعرف المحل ويشك في المحرم فالأصل المحل وله الحكم كما إذا نكح امرأتين رجلان وطار طائر فقال أحدهما إن كان هذا غراباً فأمرأتى طالق وقال الآخر إن لم يكن غراباً فأمرأتى طالق والتبس أمر الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يمتنع من اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطبيقهما حتى يحل لئلا نساء الأزواج وقد أمر مكحول بالاجتناب في هذه المسئلة وأقضى الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا فقال أحدهما للآخر أنت حشود فقال الآخر أحسنا زوجته طالق ثلاثاً فقال الآخر نعم وأشك الأمر وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له إذ ثبت في الباء والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه . فإن قلت وأى مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة فإنه لازم من غير ذلك في بعض الصور فإنه يمتنع طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له أن يتوضأ به فكيف لا يجوز أن يشربه وإذا جوز الشرب فقد سلم أن اليقين لا يزال بالشك إلا أن ههنا دققة وهو أن وزان الماء أن يشك في أنه طلق زوجته أم لا فيقال الأصل أنه مطلق

(١) حديث لأننا كرهنا فله قتل غير كليك قاله لدى بن حاتم متفق عليه من حديثه (٢) حديث كان إذا أتى بشئ اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية يسأل عنه البخاري من حديث أبي هريرة (٣) حديث أنه أرق ليلة فقال له بعض نساءه أرقتي يا رسول الله فقال أجل وجدت عمرة غفشت أن تكون من الصدقة أحمد من رواية عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده بإسناد حسن (٤) حديث كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فقلنا منزلاً كثير الضباب فبينما القدور تقلب بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة من بني إسرائيل مسخت فأخاف أن تكون هذه فأكلنا القدور ابن حبان والبيهقي من حديث عبد الرحمن وحسنه وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه حديث ثابت بن زيد نحوه مع اختلاف قال البخاري وحديث ثابت أصح (٥) حديث أنه لم يمسح الله خلقاً لجعل له نسلاً مسلم من حديث ابن مسعود .

ويتصفح وجوه الناس قبل له في ذلك فقال أنه جاد إذا نظروا إلى شخص أكبوه معادة فأننا نطلب ذلك ومن جملة المقاصد في السفر ابتداء قطع للألوات والانسلاخ من ركون النفس إلى معهود ومعلوم والتعامل على النفس بتجرع مرارة فرقة الإلاف والخلاف والأهل والأوطان فمن صبر على تلك المألوفات محسباً عند الله أجراً فقد حاز فضلاً عظيماً . أخبرنا أبو زرعة بن أبي الفضل الحافظ القدسي عن أبيه قال أنا القاضي أبو منصور محمد بن أحمد الفقيه الأصمهاني . قال أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خريشد قوله قال حسدنا أبو بكر عبد الله ابن محمد بن زياد النيسابوري قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى

ووزان مسئلة الطائر أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين ويشبهه عنه فلا يجوز أن يستعمل أحدهما
بغير اجتهاد لأنه قابل يقين النجاسة يقين الطهارة فيبطل الاستصحاب فكذلك هنا قد وقع الطلاق
على إحدى الزوجتين قطعا والتبس عين الطلقة بغير الطلقة فتقول اختلف أصحاب الشافعي في الإناءين
على ثلاثة أوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين
الطهارة يجب الاجتناب ولا يفي الاجتهاد وقال القصدون بجهتده وهو الصحيح ولكن وزانه أن
تكون له زوجتان فيقول إن كان غرابا فزنب طالق وإن لم يكن فصره طالق فلا جرم لا يجوز له
غشيانها بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد إذ لا علامة ونحرهما عليه لأنه لو وعظهما كان مقتضا
للحرام قطعا وإن وطئ أحدهما وقال أقصر على هذه كان متحكما بيمينها من غير ترجيح ففي هذا
افترق حكم شخص واحد أو شخصين لأن التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين إذ كل
واحد شك في التحريم في حق نفسه . فان قيل فلو كان الإناءان لشخصين فينبغي أن يستثنى عن
الاجتهاد ويثبت لكل واحد إيمانه لأنه يقرن طهارته وقد شك الآن فيه فتقول هذا محتمل في الفقه
والأرجح في ظني النع وأن تمدد الشخصين هنا كاعاده لأن صحة الوضوء لاستدعم ملكا بل وضوء
الإنسان بما غيره . فرفع الحدث كوضوءه بما نفسه فلا يقين لاختلاف للكل وأما أثر بخلاف الوطء
لزوجة الغير فانه لا محل ولأن للملامات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب
غوية الاستصحاب بلامه ليُدفع بها قوة يقين النجاسة للمقابلة ليقين الطهارة وأبواب الاستصحاب
والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقصينا في كتب الفقه ولنا قصد الآن إلى التنبيه على
قواعدهما . القسم الثالث : أن يكون الأصل التحريم ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب فهو
مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن إلى سبب معتبر شرعا فالذي يختار
فيه أنه محل واجتنابه من الورع . مثاله : أن يرعى إلى صيد فيجب ثم يدرك ميتا وليس عليه أثر
سوى سهمه ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فان ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة
أخرى التحق بالقسم الأول وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم واختار أنه لا يزال لأن
الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والأصل أنه لا يطرأ غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين
بالشك . فان قيل فقد قال ابن عباس : كل ما أصحمت ودع ما أنهيت . وروث عائشة رضي الله عنها « أن رجلا
أتى النبي ﷺ بأرنب فقال ربيق عرفت فيها سهمي فقال أصحمت أو أنهيت فقال بل أنهيت قال إن الليل
خافى من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فلعلمه أعان على قتله شيء (١) » وكذلك قال صلى الله عليه وسلم
لعدي بن حاتم في كلبه اللهم « وإن أكل فلأنا كل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه (٢) »
والغالب أن السكك للعلامة . خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق وهو أن
الحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب وتام السبب بأن يفيض إلى الموت سليما من طريان غيره عليه
(١) حديث عائشة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأرنب فقال ربيق عرفت فيها سهمي فقال
أصحمت أو أنهيت قال بل أنهيت قال إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فلعلمه
أعان على قتله شيء ليس هذا من حديث عائشة وإنما رواه موسى بن أبي عائشة عن أبي زرارة قال جاء رجل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم بصيد فقال إني رميته من الليل فأعياني ووجدت سهمي فيه من اللد
وعرفت سهمي فقال الليل خلق من خلق الله عظيم لعلمه أعانك عليها شيء رواه أبو داود في الترغيب
والترهيب وقال أبو زرارة اسم مسعود والحديث مرسل قال البخاري (٣) حديث قال لعدي في كلبه اللهم
وإن أكل فلأنا كل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه متفق عليه من حديثه .

قال حدثنا بن وهب
قال حدثني يحيى بن
عبد الله عن أبي عبد
الرحمن عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص
قال مات رجل بالمدينة
عن ولدها فبلى عليه
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال
ليته مات بغير مولده
قالوا ولم ذلك يا رسول
الله قال إن الرجل إذا
مات بغير مولده قيس له
من مولده إلى منقطع
أثر من الجنة ومن
جدة القاصد في السفر
استكشاف دقائق
النفوس واستخراج
رعوناتها ودعاؤها
لأنها لا تمكث تبيين
حقائق ذلك بغير السفر
ومضى السفر سفرًا لأنه
يسفر عن الأخلاق
وإذا وقف على دأبه
يتشعر لدأله وقد
يكون أثر السفر في
نفس للبتدي أكثر
التوافل من الصلاة
والصوم والتجود وغير
ذلك وذلك أن التفتل

وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشبه أن موته على الحل أو على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك فيها بطرا عليه . فالجواب أن نهى ابن عباس ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتزبه بدليل ما روى في بعض الروايات أنه قال « كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهمك » وهذا تنبيه على الشيء الذي ذكرناه وهو أنه إن وجد أثرا آخر قد تعارض السببان بتمارض الظن وإن لم يجد سوى جرحه حصل غلبة الظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس للظنون والمعمومات للظنونة وغيرها . وأما قول القائل إنه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون حكا في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق إذ الجرح سبب للوث فطريان القبر شك فيه وبدل على صحة هذا الإجماع على أن من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص على جرحه بل إن لم يثبت بحتمل أن يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الإنسان فجأة فينبغي أن لا يجب القصاص إلا بجرم الزينة والجرح للذنب لأن الملل القائمة في الباطن لا تؤمن ولأجلها يموت فجأة ولا قائل بذلك مع أن القصاص مبناه على الشبهة وكذلك جنين للذكاة حلال ولله مات قبل ذبح الأصل لا بسبب ذبحه أو لم ينفع فيه الروح وغرة الجنين يجب وقتل الروح لم ينفع فيه أو كان قد مات قبل الجنابة بسبب آخر ولكن يبنى على الأسباب الظاهرة فإن الاحتمال الآخر إذا لم يستدل إلى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كذا ذكرناه فكذلك هذا وأما قوله صلى الله عليه وسلم « أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه » فقلنا في رحمته الله في هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لأن السبب قد تعارض إذا الكلب العلم كالألة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل ولو استرسل العلم بنفسه فأخذ لم يحل لأنه يتصور منه أن يسطاد نفسه ومهما أثبت بإشارته ثم كل دل ابتداء انبمائه على أنه نازل منزلة آتاه وأنه يسعى في وكالته ونيابته ودل أكله آخره على أنه أمسك نفسه لاصحابه فقد تعارض السبب ائفال فيتمارض الاحتمال والأصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كالموكل وكل رجلا بأن يشتري له جارية فأشترى جارية ومات قبل أن يبين أنه اشتراها لنفسه أو لموكله لم يحل للموكل وطؤها لأن للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعا ولا دليل مرجح والأصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الأول لا بالقسم الثالث . القسم الرابع : أن يكون الحل معلوما ولكن يثلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا فيرفع الاستصحاب ويقضى بالتحريم إذ بان لنا أن الاستصحاب ضعيف ولا يبق له حكم مع غالب الظن . ومثاله أن يؤدي اجتنبه إلى نجاسة أحد الإنانين بالاعتداد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجب منع الوضوء به وكذا إذا قال إن قتل زيد عمرا أو قتل زيد صيدا منفردا بقتله فأسرأى طالق فجرحه وغاب عنه فوجد ميتا حرمت زوجته لأن الظاهر أنه منفرد بقتله كما سبق وقد نص الشافعي رحمه الله أن من وجد في القدران ماء متغيرا احتمل أن يكون قتيبه بطول الكسك أو بالنجاسة فيستعمله ولو رأى غلبة بالث فيه ثم وجده متغيرا واحتمل أن يكون بابول أو بطول الكسك لم يجز استعماله إذ صار البول للشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة بعين الشيء فأما غلبة الظن لامن جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي رضي الله عنه في أن أصل الحل هل يزال به إذا اختلف قوله في التوضؤ من أواني الشركين ومدمن الخمر والصلاة في القابر النبوة والصلاة مع طين الشوارع

سأعسان إلى الله تعالى من أوطان الغفلات إلى محل القربات وللشافعية طلع المسافات ويقلب في القافز والقولات بحسن النية لله تعالى سالرا إلى الله تعالى بمرامه الموصى ومهاجرة ملاذ الدنيا . أخبرنا شيخنا بإجازة قالنا عمر بن أحمد قال أنا أحمد بن محمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت عبد الواحد ابن بكر يقول سمعت على بن عبد الرحيم يقول سمعت النووي يقول التصوف ترك كل حظ النفس فإذا سافر للبتدى تاركا حظ النفس تطلعت النفس وتلين كالتلين بدوام النافذة ويكون لها بالسفر دباغ ينهب عنها الحشوة بنو اليوسه الجلية والبغونة الطبيعية كالجلد يمد من هيئة الجلود إلى هيئة الثياب فمرد

(١) حديث كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثر سهم غيرك متفق عليه من حديث عدى بن حاتم

أعنى التقدير الزائد على ما يتعدى الاحتراز عنه وبعبارة الأصحاب عنه بأنه إذا تعارض الأصل والغالب فأيهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من أواني مدمن الحجر ولشركين لأن النجس لا يحل شربه فإذا أخذ التجارة والحل واحد فالتردد في أحدهما يوجب التردد في الآخر والذي أختره أن الأصل هو المتبر وأن العلامة إذا لم تتماق بين تناول لم توجب رفع الأصل وسيأتي بيان ذلك وبرهانه في لثائر الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط قد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه أو وطن^(١) وحكم حرام شك في طريان محلل عليه أو وطن^(٢) وبأن الفرق بين ظن يستند إلى علامة في عين الشيء وبين مالا يستند إليه وكل ما حكنا في هذه الأقسام الأربعة بحله فهو حلال في الدرجة الأولى والاحتياط تركه فالقدم عليه لا يكون من زمرة للتقنين والصالحين بل من زمرة الصدوق الذين لا يتعفى في فتوى الشرع بفسخهم وعصياتهم واستحقاقهم العقوبة إلا ما ألغناه برتبة الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من الورع أصلا .

(لثائر الثاني للشبهة شك منشؤه الاختلاط)

وذلك بأن يخلط الحرام بالحلال ويشبه الأمر ولا يتميز والخلط لا يخلو إما أن يقع بحد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما أو بسدد محصور فان اختلط بمحصور فلا يخلو إما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالاشارة كاختلاط اللبانات أو يكون اختلاط استيهام مع التميز للأعيان كاختلاط الأبعد والحدود والأفراق والذي يخلط بالاستيهام فلا يخلو إما أن يكون مما يقصد عينه كالمروض أو لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام . القسم الأول : أن تسبب العين بسدد محصور كالو اختلطت البتة بمذكات أو بشر مذكات أو اختلطت رضية بشر نسوة أو يتزوج إحدى الأختين ثم تلبس بهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع لأنه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا وإذا اختلطت بسدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه بين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين أن ثبت حل فطرأ اختلاط محرم كالو أو وقع الطلاق على إحدى زوجتين في مسئلة الطائر أو يخلط قبل الاستحلال كالو اختلط رضية بأجنبية فأراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق إحدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فتمتف الاستصحاب وجانب الخطر أغلب في نظر الشرع فلذلك ترجح وهذا إذا اختلط حلال محصور بمحرم محصور فان اختلط حلال محصور بمحرم غير محصور فلا يفتي أن وجوب الاجتناب أولى . القسم الثاني : حرام محصور بحلال غير محصور كالو اختلطت رضية أو عشر رضائع بنسوة بله كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل البلد بل لأن ينكح من شاء منهم وهذا لا يجوز أن يملك بكثرة الحلال إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بنسح حلال ولا يقال به بل العلة القلبية والحاجة جميعا إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشراء والأكل فان ذلك حرج ومافى الدين من حرج ويسلم هذا بأنه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن^(١) وغل واحد في الفدية عبادة^(٢) لم يمتنع أحد من شراء المجان والبغاء في الدنيا وكذلك كل ماسرق وكذلك كان

(١) حديث سرقه الهن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم (٢) حديث غل واحد من الفئام عبادة البخاري من حديث عبد الله بن عمر ، واسم الدال كركرة

النفس من طيبة
الطنان إلى طيبة
الإيمان . ومن جملة
للقاصد في السفر رؤية
الآثار والعبر وتوسيع
النظر في مسارج الفكر
ومطالعة أجزاء الأرض
والجبال ومساوطني
أقدام الرجال وأصنام
التسيح من ذرات
الجمادات والقهم من
لسان حال القطع
التجارات قد تجد
اليقظة تجد مستوع
البر والآيات وتوفر
بمطالعة للشاهد
والسواقف الشواهد
والدلالات قال الله تعالى
- سخرهم آياتنا في
الآفاق وفي أنفسهم حتى
يتبين لهم أنه الحق -
وقد كان السري يقول
لصوفي : إذا خرج
الشتاء ودخل أمار
وأورقت الأشجار طاب
الانتشار . ومن جملة
للقاصد في السفر إثارة
الحول والطراح حظ
القبول ضد في الصافي
ينم على أحسن الحال

يبرأ أن في الناس من يرى في الدرهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدرهم والدنانير بالكلية (١) وبالجملة إنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم الحلق كلهم عن المعاصي وهو محال وإذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط أيضا في بلد إلا إذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع اللوسوسين إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة ولا ينصور الوفاء به في مدة من الليل ولا في عصر من الأعصار . فان قلت فكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور ولو أراد الانسان أن يحصر أهل بلد بقدر عليه أيضا إن تمكن منه . فاعلم أن تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن وإنما يضبط بالتقريب . فنقول كل عدد لو اجتمع على صيد واحد لمسر على الناظر عديم بمجرد النظر كالألف والألفين فهو غير محصور وما سهل كالشربة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين أوساط متشابهة تلتحق بأحد الطرفين بالظن وما وقع الشك فيه استفتى فيه القلب فان الإنم حراز القلوب وفي مثل هذا للقيام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اوصية « استفت قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك (٢) » وكذا الأنعام الأربعة التي ذكرناها في لئار الأول يقع فيها أطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات وأوساط متشابهة فالمتقى يفتى بالظن وعلى السفتى أن يستفتى قلبه فان حاله في صدره شيء فهو الآثم بينه وبين الله فلا ينجي في الآخرة خوي للفتى فانه يفتى بالظاهر والله يتولى السرائر . القسم الثالث : أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر حكم الأموال في زمانها هذا فالذي يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم لنتحكم هنا به والذي يختاره خلاف ذلك وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيء بنبته احتمال أنه حرام وأنه حلال إلا أن يقرن بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام فان لم يكن في العين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه ورع وأخذ حلال لا يفسق به آكله ومن العلامات أن يأخذه من يد سلطان ظالم إلى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الأثر والقياس فأما الأثر لما علم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده إذ كانت أمم الحور ودرهم الربا من أيدي أهل القمة مختلطة بالأموال وكذا غلول الأموال وكذا غلول النخبة ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه وسلم عن الربا إذ قال « أول ربا أضمه ربا العباس (٣) » ماترك الناس الربا بجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمر وسائر المعاصي حتى روي أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه لمن الله فلانا هو أول من من بيع الخمر إذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لثمنها وقال صلى الله عليه وسلم « إن فلانا يجر في النار عبادة قد غلبها (٤) » وقتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلبها (٥) وكذا أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهى أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يمتنع من تلك الأموال مشارا إليه في الورع والأكثر من يمتنعوا

(١) حديث إن في الناس من كان يرى في الدرهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدرهم والدنانير بالكلية هذا معروف وسيأتي حديث جابر بعده بحديث وهو يدل على ذلك (٢) حديث استفت قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك قاله لوصية تقدم (٣) حديث أول ربا أضمه ربا العباس مسلم من حديث جابر (٤) حديث إن فلانا يجر في النار يجر عبادة قد غلبها البخاري من حديث عبد الله بن عمر وتقدم قبله بثلاثة أحاديث (٥) حديث قتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلبها أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث يزيد بن خالد الجهمي .

ورزق من الخلق حسن الاقبال وقفا يكون صادق متمسك بروة الاخلاص ذو قلب عامر لا يورق إقبال الخلق حتى سمعت بعض الشايخ يحكي عن بعضهم أنه قال : أريد إقبال الخلق على لآني أبلغ نفسي حظها من الهوى فاني لا ألي أقبلا أو أدبوا . ولكن تكون إقبال الخلق علامة تدل على صحة الحال فاذا ابتلى المرء بذلك لا يأمّن نفسه أن تدخل عليه بطريق الركون إلى الخلق وربما يفتح عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق السير والدخول في الأسباب الممودة وتريه فيوجهه للصحة والفضيلة في خدمة عباده وبذل اللوجود ولا تزال النفس به والشيطان حتى يجره إلى السكون إلى الأسباب واستجلاء

مع الاختلاط وكثرة الأموال للتهوية في أيام الظلمة ومن أوجب مالم يوجبه السلف الصالح وزعم أنه
تغلبن من الشرع مالم يغلظوا له فهو موسوس مختل العقل ولوجاز أن يزداد عليهم في أمثال هذا لجواز
عنايتهم في مسائل لاستند فيها سوى إفتائهم كقولهم إن الجدة كالأم في التحريم وابن الإبن كالابن
وشر الخنزير وشحه كاللحم المذكور تحريمه في القرآن والربا جار فيما عدا الأشياء الستة وذلك محال
فإنهم أولى بفهم الشرع من غيرهم . وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات
وخرب العالم إذ الفسق يظلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدى ذلك
لإحالة إلى الاختلاط . فإن قيل قد تفتح أنه صلى الله عليه وسلم امتنع من الضب وقال « أخشى
أن يكون مما مسخه الله » وهو في اختلاط غير المحصور ؟ قلنا يعمل ذلك على التزهد والورع أو يقول
الضب شكل غريب ربما يدل على أنه من السخ ففى دلالة في عين للتناول . فإن قيل هذا معلوم
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والتهب وغلول الغنيمة
وغيرها ولكن كانت على الأهل بالإضافة إلى الحلال فإذا تقول في زماننا وقد صار الحرام أكثر مافى
أيدى الناس لفساد المعاملات وإحمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة ، فمن أخذ مالا
لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهل هو حرام أم لا ؟ فأقول ليس ذلك حراما وإنما الورع
تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلا . ولكن الجواب عن هذا أن قول القائل أكثر
الأموال حرام في زماننا غلط محض ومنشؤه التفتة عن الفرق بين الكثير والأكثر فأكثر الناس
بل أكثر الفقهاء يظنون أن ما ليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنهما قياسان متقابلان ليس بينهما
ثالث وليس كذلك بل الأقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر . ومثاله أن الخنثى فيها بين الخلق
نادر وإذا أضيف إليه للريض وجد كثيرا وكذا السفر حق يقال الرضى والسفر من الأعداء العامة
والاستحاضة من الأعداء النادرة ، ومعلوم أن المرض ليس بنادر وليس بالأكثر أيضا بل هو كثير
والفقيه إذا تساهل وقال الرضى والسفر غالب وهو عذر عام أراد به أنه ليس بنادر فإن لم يرد هذا
فهو غلط والصحيح والقيم هو الأكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر فإذا فهم هذا
فقول قول القائل الحرام أكثر باطل لأن مستند هذا القائل إما أن يكون كثرة الظلمة والجندية
أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأيدي التي تكررت من أول الإسلام إلى زماننا هذا على
أسول الأموال الموجودة اليوم . أما المستند الأول فباطل فإن الظالم كثير وليس هو بالأكثر فإنهم
الجندية إذ لا يظلم إلا ذو غلبة وشوكة وهم إذا أضيفوا إلى كل العالم لم يبلغوا عشرين عشرين فكل سلطان
يجمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك إقبلا يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من
بلاد مملكته يزيد عددها على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك
الكل إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بشئ من مصالحهم في المعيشة ولا يتصور
ذلك بل كفاية الواحد منهم يجمع من ألف من الرعية وزيادة وكذا القول في السراق فإن البلدة
الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل . وأما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهى
أكثر كثيرة وليست بالأكثر إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء أكثر والذى
يتعامل بالربا وأغبره فلو عدت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد إلا أن يطلب
الإنسان بوجهه في البلد خصوصا بالجهة والحج وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر
ومثل ذلك المخصوص نادر وإن كان كثيرا فليس بالأكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخفى
هو أيضا عن معاملات صحيحة تساوى الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وإنما غلب

يقول الخلق وربما
قوبا عليه جراه إلى
التصنع والتعمل
ويشع الحرق على
الرايع . وصمت أن
بعض الصالحين قال
لمريد له أنت الآن
وصلت إلى مقام لا يدخل
عليك الشيطان من
طريق الشر ولكن
يدخل عليك من
طريق الخير وهذا منزلة
عظيمة للأقدام فافهم
تعالى يدرك الصادق
إذا ابتلى بشئ من
ذلك وزعجه بالعناية
الساجدة والمونة
اللاحقة إلى السفر
فيفارق للعارف
والموضع الذى فتح
عليه هذا الباب فيه
ويشجده لله تعالى
بالخروج إلى السفر
وهذا من أحسن
للقاصد في الأسفار
للصادقين فهذه جملة
اللقاصد المطلوبة للشايع
في بداياتهم ماعدا
الحج والفرو وزيارة
بيت المقدس ، وقد نقل

هذا على النفوس الفاسدة لاستكثار النفوس الفاسدة واستبعادها إياه واستعظامها له وإن كان نادرًا حتى ربما يظن أن الرثا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فينبغي أنهم ألا كثورون وهو خطأ فانهم الأمون وإن كان فيهم كثرة . وأما السند الثالث وهو أخيليا أن يقال الأموال إنما تحصل من اللادن والثبات والحيوان والثبات والحيوان حاصلان بالثواب فإذا نظرنا إلى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد أصولها إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يغفل هذا أن يتطرق إلى أصل من تلك الأصول غضب أو معاملة فاسدة فكيف يقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل إلى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والقواكه تحتاج إلى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلا إلى أول الترع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن أصله وأصل أصله كذلك إلى أول زمان النبوة حلالا وأما اللادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الإيتاء وهي أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدرهم والدنانير ولا يخرج إلا من دار الضرب وهي في أيدي الظلمة مثل اللادن في أيديهم يمتعون الناس منها ويترمون الفقراء استخراجا بالأعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غضبا فإذا نظر إلى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لا يتطرق إليه عقد فاسد ولا ظلم وقت الثيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا يبدى في معاملات الصرف والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى إذن حلال إلا الصيد والنجاش في الصحارى واللوات والغاوى والحطب الباعث من يحصله لا يقدر على كفه فيفتقر إلى أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل إلا بالاستقنيات والثواب فيكون قد بدل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تخيلا . والجواب أن هذه التلبه لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن القبط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تضارب الأصل والغالب إذ الأصل في هذه الأموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرج عن صلاحه فيضاهي هذا محل القولين لكشافه رضى الله عنه في حكم النجاسات والصحيح عندنا أنه تجوز الصلاة في الشوارع إذا لم يجد فيها نجاسة فإن طين الشوارع طاهر وأن الوضوء من أواني الشرب جائز وأن الصلاة في المقابر المنيوثة جائزة فثبت هذا أولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة ، وتوضع حجر رضى الله عنه من جرة نصرانية ، مع أن مشربهم الحجر ومطعمهم الحنظل ولا يمتزجون عما نجسه شرعا ، فكيف تسلم أو اتهم من أبيهم ، بل قول نعم قطعا أنهم كانوا يلبسون القراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل أحوال الدباغين والقمارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة والطهارة في تلك الثياب محال أو نادر ، بل قول نعم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يسلطونه مع أنه يداس بالبر والحيوانات وهي تبول عليه وتروث وتقا بخلص منها ، وكانوا يركبون الدواب وهي تفرق وما كانوا يسلطون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد زبلها الأمطار وقد لا تزبلها وما كان يمتزجها ، وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالمال ويصلون معها ويمجسون في التراب ويمشون في الطين من غير حاجة ، وكانوا لا يمشون في البول والفضة ولا يجلسون عليهما ويستترهون منه ، ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها ، ولا ينبغي أن نظن أن الأعصار أو الأمصار تختلف في مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تنقل في عصرهم أو كانت تحرس من الدواب هيئات فذلك معلوم استحالة بالمادة قطعا فدل على أنهم لم يمتزجوا إلا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين ، فأما الظن الغالب الذي يستتر من رد الهجران إلى مجارى الأحوال فلم يمتزجوا وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل ينجس من خير تغير واقع .

أن ابن عمر خرج من المدينة قاصدا إلى بيت المقدس وصل فيه الصلوات الخمس ثم أسرع راجعا إلى المدينة من القد . ثم إذا من الله على الصادق بإحكام أمور بدايته قلبه في الأسفار ومنعه الحفظ من الاعتبار وأخذ نصيه من العلم قدر حاجته واستغاف من مجاورة الصالحين وانتش في قلبه فوائد النظر إلى حاله للثنين وتطرباطه باستشاق عرف معارف القرين وتحسن بحماية نظر أهل الله وخاصته وسير أحوال النفس وأسفر السفر عن دقائق أخلاقها وشهواتها الخفية وسقط عن باطنه نظر الخلق وصار يطلب ولا يطلب كالأل الله تعالى أخبارا عن موسى - فخرت منكم لما خفتم فوهب لي ربي حكما وجسلا من الرسل - فهد ذلك

إذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها البياض القليلة والأبدى المختلفة تنص
 فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الترض ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية ثبت جواز شربه
 والتحقيق حكم الحلال بحكم النجاسة . فان قيل لا يجوز قياس الحلال على النجاسة إذ كانوا يتوسمون في أمور
 الطهورات ويحترزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليها . قلنا إن أردبه أنهم صلوا
 مع النجاسة والصلاة معها معصية وهي عباد الدين فيفسد الظن بل يجب أن نتدبر فيهم أنهم احترزوا
 عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم يجب وكان في محل تسامحهم هذه الصورة التي
 تعارض فيها الأصل والغالب فإن أن الغالب الذي لا يستند إلى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح
 وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس لأن أمر الأموال
 مخوف والنفس تميل إليها إن تمسكت عنها وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال
 المحض خيفة أن يشغل قلبه . وقد حكى عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور
 المحض فالاعتراق في ذلك لا يقدح في الترض الذي أجمعناه على أن تجري في هذا المستند على الجواب الذي
 قدمناه في المستندين السابقين ولا نعلم ما ذكره من أن الأكثر هو الحرام لأن المال وإن كثرت أصوله
 فليس بواجب أن يكون في أصوله حرام بل الأموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم إلى أصول بعضها
 دون بعض وكان الذي يتبدأ غصبه اليوم هو الأقل بالإضافة إلى ما لا يغصب ولا يسرق فهكذا كل مال
 في كل عصر وفي كل أصل فالمغصوب من مال الدنيا والتناول في كل زمان بالفساد بالإضافة إلى غيره أقل
 ولنا ندرى أن هذا الفرع يمتنع من أي القسمين فلا نعلم أن الغالب تحرره فانه كما يزبدل لمغصوب بالتوالد
 يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الأقل أعماله في كل عصر وزمان أكثر من الغالب أن الحبوب
 المغصوبة تغصب للأكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتل التوالد فكيف
 يقال إن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام وليغفهم للمستند من هذا
 طريق معرفة الأقل فانه مزلة قدم وأكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا في التوالدات
 من الحيوانات والحبوب فأما العادان فانهما معلقة مسيلة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن
 قديماً أخذ السلاطين بسببها منهم أو يأخذون الأقل لأعماله لا الأكثر ومن حاز من السلاطين مدناً فظلمه
 بمنع الناس منه فأما ما يأخذ الأخذ منه فيأخذ من السلاطين بأجرة والصحيح أنه يجوز الاستقالة في
 إثبات اليد على الباحات والاستتجار عليها فالاستتجار على الاستقالة إذا حاز لاء دخل في ملك المستقل له
 واستحق الأجرة فكذلك التلب إذا فرغنا على هذا لم تحرم عين الذهب إلا أن يقدر ظلمه بنقصان
 أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة ثم لا يجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالماً ببقاء الأجرة في ذمته وأما
 دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار
 يعملون إليهم الذهب للسبوك أو النقد الردي . ويستأجرونهم على السبك والضرب يأخذون مثل
 وزن ماسلوه إليهم إلا شيئاً قليلاً يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز وإن فرض دنائير مضروبة
 من دنائير السلطان فهو بالإضافة إلى مال التجار أقل لا بمالعة ، نعم السلطان يظلم أجراء دار الضرب بأن
 يأخذ منهم ضريبة لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بمشعة السلطان فما يأخذ
 السلطان عوض من حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم
 لأهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من الفائة واحد وهو عشر العشر فكيف يكون
 هو الأكثر فهذه أغلظ دلت على القلوب بالوهم وتشمير لثريتها جماعة ممن رقى دينهم حتى قبحوا
 الورع وسدوا بابه واستجبوا تغيير من بين مال ومال وذلك عين البدع والفساد . فان قيل فلو قدر

رده الحق إلى مقامه
 ويعدمه بجزيل إقامه
 ويجهله إماما للعتيق به
 يتنذى وعدا للمؤمنين
 به يهتدى . وأما الذي
 أقام في بدايته وسافر
 في نهايته يكون ذلك
 شخصاً يسر الله له في
 بداية أمره صحة صحيحة
 وقبض له شيخاً عالماً
 يسلك به الطريق
 ويُدْرِجُه إلى منازل
 التحقيق فيلازم موضع
 إرادته ويلتزم بصحة
 من رده عن عادته
 وقد كان الشبل يقول
 لا حصري في ابتداء
 أمره إن خطر يالك
 من الجملة إلى الجملة غير
 الله فحرام عليك أن
 تحضرن من رزقي
 مثل هذه الصحة
 يحرم عليه السفر
 فالصحة خير له من
 كل سفر وفضيحة
 يقصدها . أخبرنا رضي
 الدين أبو الخير أحمد
 ابن اسمعيل القزويني
 بإجازة قال أنا أبو
 الظفر عبد السم بن

غلبة الحرام . وقد اختلط غير محصور بغير محصور فإذا تقولون فيه إذا لم يكن في العين للتناول علامة خاصة . فنقول الذي نراه أن تركه وريح وأن أخذه ليس بحرام لأن الأصل الحل ولا يرفع الإجماع بمعية كافي طين الشوارع ونظائرها بل أزيد . وأقول : لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا أنه لم يبق في الدنيا لكانت أقول نستأنف تعهد الشروط من وقتنا ونفعو بحماسلف وهول ماجاوز حده انكس إلى ضده فهما حرام الكل حل الكل ، وبرهانه أنه إذا وقت هذه الواقعة فالاحتالات خمسة : أحدها أن يقال بيع الناس الأكل حتى يموتوا من عند آخرهم . الثاني أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمي بزجون عليها أيما إلى الموت . الثالث أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاءوا وسرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة . الرابع أن يقتصروا شروط الشرع ويستأنفوا قواعد من غير اقتصار على قدر الحاجة . الخامس أن يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة أما الأول فلا يخفى بطلانه وأما الثاني فياقل قطعا لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرمي وزجوا أوقاتهم على الضعف فشا فيهم اللواتن وبطلت الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكسبية وفي خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليعملها مصالح الدين وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال والنصب والسرقة والتراضى وكيفما انتق فهو رفع لسد الكسر بين القسدين وبين أنواع الفساد فتمتد الأيدي بالنصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون ليس يميز صاحب اليد باستحقاق عنافاته حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فإن كان هو محتاجا فلنا أيضا محتاجون وإن كان الذي أخذته في حق زائدا على الحاجة فقد سرقة نحن هو زائد على حاجته يومه وإذ لم يراع حاجة اليوم والسنة فما الذي يراعى وكيف يضبط وهذا يؤدي إلى بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل شيء يد على ما فيه وهو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضى هو طريق الشرع وإذا لم يجز إلا بالتراضى فالتراضى أيضا محتاج في الشرع تتعلق به الصالح فإن لم يعتبر فلم يمتنع أصل التراضى وتقطل تفصيله . وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدي فهو الذي نراه لا ينافى بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لإيجابه على الكافة ولا إدخاله في فتوى العامة لأن أيدي الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس وكذا أيدي السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرص سرق ويقول لاحق له إلا في قدر الحاجة وأما محتاج ولا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدي اللالك ويستوعبها أهل الحاجة وقد ورد على الشكل الأموال يوما فوما أوسنة فستة وفيه تكليف شطاط وتضييع أموال . أما تكليف الشطاط فهو أن السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك أصلا وأما التضييع فهو أن ما فضل عن الحاجة من القواكه واللحوم والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتفنن فإن الذي خلقه الله من القواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفعهم فكيف على قدر حاجتهم ثم يؤدي ذلك إلى سقوط المحرم والزكاة والكفارات التالية وكل عبادة نيطت بالثمن عن الناس إذا أصبح الناس لا يمكن أن لا يقدر حاجتهم وهو في غاية القبح بل أقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمور ويعد تفصيل أسباب الأملاك بالتراضى وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حلالا من غير فرق وأعى بقولى يجب عليه إذا كان النبي ممن بث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم إذ لا يمتد الصلاح برد الكافة إلى قدر الضرورة والحاجة إليه فإن لم يمتد للصلاح لم يجب هذا ونحن يجوز أن يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم فإنه يضل من يشاء ويهدى من

عبد الكريم بن
هو ابن القشيري عن
والده الأستاذ أبي
القاسم قال سمعت محمد
ابن عبد الله الصوفي
يقول سمعت عياش بن
أبي الصخر يقول سمعت
أبا بكر الزقاق يقول
لا يكون الربيد مريدا
حتى لا يكتب عليه
صاحب الشمال شيئا
عشرين سنة فمن رزق
صحة من يندب إلى
مثل هذه الأحوال
السنية والعزائم القوية
يحرم عليه المقارفة
واختيار السفر ثم إذا
أحكم أمره في الابتداء
بلزوم الصحة وحسن
الاعتدال وارتوى من
الأحوال وبلغ مبلغ
الرجال وانجس من
قلبه عيون ماء الحياة
وصارت نفسه مكسبة
للسعادات يستنشق
نفس الرحمن من صدور
الصادقين من الإخوان
في أنظار الأرض
وشاح البلدان يشرب
إلى التلاق وينبت

يشاء ويحب من يشاء ويحي من يشاء ولكننا قد قرر الأمر جاريا على ما ألف من سنة الله تعالى في سنة
 الأنبياء لصالح الدين والدنيا وماي أقدر هذا وقد كان ما أقدره فلقد بعث الله نبيا صلى الله عليه وسلم على
 فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريبا من ستمائة سنة والناس مقسمون
 إلى مكذبين له من اليهود وعبدة الأوثان وإلى مصدقين له قدشاع الصق فيهم كاشاع في زماننا الآن
 والكفار مخاطبون بغرور الشريعة والأموال كانت في أيدي للكذابين وللمصدقين أما للكاذبون
 فكانوا يتساهلون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما للمصدقين فكانوا يتساهلون مع أصل التصديق كما
 يتساهل الآن للسلمون مع أن العهد بالنبوة أقرب فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما
 وعفا ^{عنه} عما سلف ولم تعرض له وخص أصحاب الأيدي بالأموال ومهدا للشرع وما ثبت تحريمه في
 شرع لا ينقلب حلالا ليعترض رسول ولا ينقلب حلالا بأن يسلم الذي في يده الحرام فانا لا نأخذ في الجزية من
 أهل القسمة ما نعرفه بينه أنه ثمن خمر أو مال ربا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن
 وأمر الحرب كان أشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال
 الخامس هو طريق الورع بل تمام الورع الاقتصاد في الباع على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا
 بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نكلم في الفقه للنوط بمصالح الخلق ونحوى الظاهر له حكم
 ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين الذي لا يقدر على سلوكه إلا الأحماد ولو اشتغل الخلق كلهم
 به لبطل النظام وخرب العالم فان ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك
 الدنيا وتركوا الحرف الدينية والصناعات الحسبسات لبطل النظام ثم يسلط يطلانه للثلاث أيضا بالهتفرون
 إنما سخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك القبول على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين لقوى الدين وهو
 ملك الآخرة ولولا ما سلم لقوى الدين أن يضاعفهم فشرط سلامة الدين لهم أن يمرض الأكثرون عن
 طريقهم ويستغلوا بأموال الدنيا وذلك قسمة سبقت بها الشيعة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تعالى - نحن
 قسما بينهم ميعشتهم في الحياة الدنيا ورفضنا بعضهم فوق بعض درجات لينخذل بعضهم بعضا سخريا - فان
 قيل لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لا يبق حلال فان ذلك يرواقع وهو معلوم ولا شك في أن البعض
 حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأقل أكثر فيه نظر وما ذكرتموه من أنه الأقل بالإضافة إلى الكل جلي
 ولكن لا بد من دليل يحصل على تجوز له ليس من المصالح الرسالة وما ذكرتموه من التفسيرات كلها صالح
 رسالة فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل
 للمصالح الرسالة . فأقول إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفي بنا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 والصحابه مع وجود الربا والسرقة والقتول والتهب وإن قدر زمان يكون الأقل أكثره هو الحرام فيحل تناول
 أيضا قبرهاته ثلاثة أمور . الأول : التقسيم الذي حصرناؤه باطلنا أنه أرى بقوله تعالى القسم الخامس فان ذلك إذا
 أجرى فيها إذا كان الكل حراما كان أخرى فيها إذا كان الحرام هو الأقل أكثره هو الأقل وقول القائل هو مصلحة
 رسالة هوس فان ذلك إنما نخيل من نخيله في أمور مظنونة وهذا متطوع به فانا لا نشك في أن
 مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس يعظنون ولا شك في أن رد كافة الناس
 إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد عذب للدين وأولا للدين بواسطة الدنيا ثانيا في
 لا يشك فيه لا يحتاج إلى أصل يشهد له وإنما يستشهد به الحيات للظنونة المتعلقة بأحد الأشخاص .
 البرهان الثاني : أن يعلى بقياس محرر مردود إلى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالأقيسة الجزئية عليه وإلا
 كانت الجزئيات مستحقة عند المحصلين بالإضافة إلى مثل ما ذكرناه من الأمر الكلى الذي هو ضرورة
 النبي لوبست في زمان عم التحريم حتى لو حكم بغيره لحرب العالم والقياس الحرر الجزئي هو أنه قد تناقض

إلى الطوائف في الآفاق
 يسيره الله تعالى في
 البلاد لقائدة العباد
 ويستخرج بمخاطب
 حاله خب أهل الصدق
 وللتعلمين إلى من
 يخبر عن الحق وينذر
 في أراضي القلوب بنذر
 الفلاح ويكثر بركة
 نفسه وصحته أهل .
 الصلاح وهذا مثل
 هذه الأمة الهادية في
 الإنجيل كدع أخرج
 شطأه فأزوره فاستفظ
 فاستوى على سوقه
 تعود بركة البعض
 على البعض وتسرى
 الأحوال من البعض
 إلى البعض ويكون
 طريق الوراثة ممورا
 وعلم الإفادة منشورا .
 أخبرنا شيخنا قال أنا
 الإمام عبد الجبار البيهقي
 في كتابه قال أنا
 أبو بكر البيهقي قال
 أنا أبو علي الروذباري
 قال ثنا أبو بكر بن
 داود قال ثنا أبو داود
 قال أنا يحيى بن أيوب
 قال ثنا إسماعيل بن

أصل وغالب فيما انقطع فيه العلامات للنية من الأمور التي ليست محصورة فيحكم بالأصل لا بالعالم
قباسا على طين الشوارع وجرة التصارية وأتواى للتركين وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة
وقولنا انقطع العلامات للنية احتراز عن الأتواى التي تطرق الاجتهاد إليها وقولنا ليست محصورة
احتراز عن التباس النية والرضية بالذكية والأجنبية . فان قيل كون الماء طهورا مستيقن وهو الأصل
ومن يسلم أن الأصل في الأموال الحل بل الأصل فيها التحريم . فنقول الأمور التي لا تحرم لصحة فيها
حرمة الحجر والخزير خلقت على صفة تستند لقبول للعلامات بالتراضي كما خلق الماء مستعدا للوضوء
وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منها فلا فرق بين الأمرين فانها تخرج عن قبول العاملة
بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه ولا فرق بين
الأمرين . والجواب الثاني أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب وأتواى منه
بدليل أن الشرع أخلقه به إذ من ادعى عليه دين قال قول قوله لأن الأصل براءة ذمته وهذا استصحاب
ومن ادعى عليه ملك في يده قال قول أيضا قوله إقامة ليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد إنسان
قال الأصل أنه ملكه ما يدل على خلافه علامة معينة . البرهان الثالث : هو أن كل مادل على جنس
لا يحصر ولا يدل على معين لم يستبر وإن كان قطعا بأن لا يستبر إذا دل بطريق الظن أولى ويانه
أن ما علم أنه ملك زيد فحقه من التصرف فيه بغير إذنه ولو علم أنه له مالكا في العالم ولكن وقع
اليأس عن الوقوف عليه وعلى وازنه فهو مال مرصود لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم الصلحة
ولو دل على أن له مالكا محصورا في عشرة مثلا أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم الصلحة فالذي
يشك في أن له مالكا سوى صاحب اليد لا يزيد على الذي يتيقن قطعا أن له مالكا ولكن
لا يعرفه عنه فليجز التصرف فيه بالصلحة وللصلحة ما ذكرناه في الأقسام الخمسة فيكون هذا الأصل
شاهدا له وكيف لا وكل ما منافع قد مالكة بصرفه السلطان إلى الصالح ومن الصالح الفقراء وغيرهم
فلو صرف إلى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه فهو سارق قطع يده فكيف قد تصرفه
في ملك الغير ليس ذلك إلا لحكمنا بأن للصلحة تقتضي أن ينتقل الملك إليه ويحل له قضيتها عوجب
الصلحة . فان قيل ذلك يخص بالتصرف في السلطان . فنقول والسلطان لم يجوز له التصرف
في ملك غيره بغير إذنه لأسببه إلا الصلحة وهو أنه لو ترك لصاحبه فهو مردد بين قضيه وصرفه إلى
مهم والصرف إلى مهم أصلح من التضييع فرجع عليه وللصلحة فيها بشك فيه ولا يعلم تحريمه
أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الأيدي إذا نزاعها بالشك ونسكينهم الاقتصار على الحاجة
يؤدي إلى الضرر الذي ذكرناه وجهات للصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى أن الصلحة أن يبنى
بذلك المال قطرة وتارة أن يصرفه إلى جند الإسلام وتارة إلى الفقراء ويدور مع الصلحة كيفما
ذارت وكذلك القنوى في مثل هذا تدور على الصلحة وقد خرج من هذا أن الحلق غير مأخوذ
في أعيان الأموال بظنون لا تستند إلى خصوص دلالة في ملك الأعيان كالم يؤخذ السلطان والفقراء
الأخرون منه بفهم أن المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالكه مشار إليه ولا فرق بين عين المال
وبين عين الأملاك في هذا المعنى فهذا بيان هبة الاختلاط ولينظر في امتزاج النامعات والدرهم
والعروض في يد مالك واحد وسبأ في بيانه في باب تفصيل طريق الخروج من الظالم .

(لثالث التثنية أن يصل بالسبب المحلل معصية)

إما في قرائنه وإما في لواحقه وإما في سوابقه أو في عومته وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد القدر
وإبطال السبب المحلل . مثال المعصية في القرائن : البيع في وقت النداء يوم الجمعة والدع بالسكين

جفر قال أخبرني الملاء
ابن عبد الرحمن عن
أبيه عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال « من دعا إلى هدى
كان له من الأجر مثل
أجر من اتبعه
لا ينقص ذلك من
أجرهم شيئا ومن دعا
إلى ضلالة كان عليه
من الإثم مثل آثام
من اتبعه لا ينقص
ذلك من آثامهم شيئا »
فأما من أقام ولم يسافر
يكون ذلك شخصارياه
الحق سبحانه وتعالى
وتولاه وفتح عليه
أبواب الخير وجذبه
بنياته . وقد ورد
جذبته جذبات الحق
تولذى عمل التقليل
ثم لما علم منه الصدق
ورأى حاجته إلى من
ينفع به ساق إليه
بعض الصديقين حتى
أيده لبطنه ولقطه
ومداركه لخطه وفتح
بسوة حاله وكفاه
يسير الصلحة لكمال

للتوبة والاحتساب بالقدوم للتصوب والبيع الغير والسوم على سومه فكل من ورد في القود ولم يدل على فساد المقدان الاتماع من جميع ذلك ورع وإن لم يكن الشفاد بهذه الأساليب محكوما بمرجه وتسمية هذا الخط شبهة فيه تسامح لأن الشبهة في غالب الأمر تطلق لإرادة الاختباء والجهل والاعتناء وهنا بل الصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة أيضا معلوم ولكن قد تشقق الشبهة من الشبهة وتناول الحاصل من هذه الأمور مكروه والكرهية تشبه التحريم فإن أريد بالشبهة هذا فقسمة هذا شبهة له وجه وإلا فينبغي أن يسمى هذا كراهة لأية وإذا عرف الغير فلا مشاحة في الأسامي فصادفة الفقهاء التسامح في الاطلاقات. ثم اعلم أن هذه الكراهة لها ثلاث درجات : الأولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم والأخيرة تنتهى إلى نوع من البالغة تكاد تلتحق بورع للوسوسين وبينهما أوساط نازعة إلى الطرفين فالكرهية في حيد كلب منصوب أشد منها في الذبيحة بسكين منصوب أو للقتل بسهم منصوب إذ الكلب له اختيار وقد اختلف في أن الحاصل به لما لك الكلب أو للصيد ولبه شبهة البذر وللزروع في الأرض للتصوبة فإن الزرع لما لك البذر ولكن فيه شبهة ولو أنبتنا حق الحبس لما لك الأرض في الزرع لكان كالتقريب الحرام ولكن الأقيس أن لا يثبت حق حبس كما لو طعن بطاحونة منصوبة واقتصر بشبكة منصوبة إذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منعها بالصيد ولبه الاحتساب بالقدوم للتصوب ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين التصوب إذ لم يذهب أحد إلى تحريم الذبيحة ولبه البيع في وقت النداء فإنه ضعيف التعلق بمقصود العقد وإن ذهب قوم إلى فساد العقد إذ ليس فيه إلا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو أقصد البيع بمثله لأقصد بيع كل من عليه درهم زكاة أو صلاة فائت وجوبها على الفور أو في ذمته مظلة دائقة فإن الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة إلا الوجوب بعد النداء وينجر ذلك إلى أن لا يصح نكاح أولاد الظلة وكل من في ذمته درهم لأنه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه إلا من حيث ورد في يوم الجمعة نهى على الخصوص ربما سبق إلى الأنفهام خلاصة فيه فتكون الكراهية أشد ولا بأس بالخبر منه ولكن قد ينجر إلى الوسواس حتى يتخرج عن نكاح بنات أرباب الظالم وسائر ممالئهم . وقد حكى عن بعضهم أنه اشترى شيئا من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة فرده خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية البالغة أنه رد بالثمن ومثل هذا الوهم في تقدير الناهي أو الفساد لا يتقطع عن يوم السبت وسائر الأيام والورع حسن والمبالغة فيه أحسن ولكن إلى حد معلوم فقد قال عليه السلام « هلك المتظلمون »^(١) فليحذر من أمثال هذه المبالغات فإن كانت لا تضر صاحبها ربما أومع عند الغير أن مثل ذلك مهم ثم سجد مما هو أيسر منه فترك أصل الورع وهو سقند أكثر الناس في زماننا هذا إذ ضيق عليهم الطريق فأيسروا عن القيام به فاطرحوه فسكا أن الوسوس في الطهارة قد يسجد عن الطهارة فتركها فسكدا بعض الوسوسين في الحلال سبق إلى أوهامهم أن مال الدنيا كله حرام فحسبوا تركوا التمييز وهو عين الضلال . وأما مثال الواحى : فهو كل تصرف بنفسى في سبائه إلى معصية وأعلاه بيع النسيب من الخمار وبيع الغلام من العروف بالمعجور بالقلان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن للأخوذ منه والأقيس أن ذلك صحيح والأخوذ حلال والرجل طاهر بعده كما يعصى بالذبح بالسكين للتصوب والذبيحة حلال وإن كان يعصى عصيان الأمانة على المعصية إذ لا يتصل ذلك بين المقدف للأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من تورع اللهم وليس حرام ولبه في الرتبة بيع النسيب ممن يشرب الخمر ولم يكن خذرا وبيع السيف ممن يفرز ويظلم أيضا

(١) حديث هلك المتظلمون مسلم من حديث ابن مسعود وتقدم في قواعد العقائد .

الأهلية في صاحب
والصحب وإجراء
سنة الله تعالى في إعطاء
الأسباب حضا الإقامة
رسم المحكمة بحوج
إلى سير السجدة فيثبه
بالقليل والكثير وفيه
اليسير من السجدة عن
المعظا الكثير ويكتفى
بواقر حظ الاستبصار
عن الأسفار ويتنوض
بأشعة الأنوار عن
مطالعة الغير والآثار
كما قال بعضهم الناس
يقولون اقتحوا
أعينكم وأبصروا وأنا
أقول غمضوا أعينكم
وأبصروا . وصحت
بعض الصالحين يقول
لله عباد طور سيناهم
ركبهم تكون دروسهم
على ركبهم وهم
في حد القرب فمن
ينبع له معصية
الحياة في ظلة خلوته
فإذا يصنع بدخول
الظلمات ومن اندرج
له أطباق السموات
في طي شهوده ما
يصنع بثلب طرفه في

لأن الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خفية أن يشتريه ظاهراً فهذا ورع فوق الأول والكرهية فيه أخف عليه ما هو بالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة أنه لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لأنهم يستعينون بها على الحرثة ويبيعون الطعام من النظرة ولا يبيع منهم البقر والقدان وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة إذ ينجر إلى أن لا يبيع من الفلاح طعام لأنه يتقوى به على الحرثة ولا يسبق من الماء العام لذلك وينتهي هذا إلى حد التنطع لله في كل متوجه إلى شيء على قصد خيرا لا بد وأن يدرك إن لم يدرك العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستغفر الناس بعده بها وهو يظن أنه مشغول بالخير ولهذا قال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي (١) وللتطوعون هم الذين يغنى عنهم أن يكونوا ممن قيل فيهم - الذين نزل معهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وبالجملة لا ينبغي للإنسان أن يشتغل بدقائق الورع إلا بحضرة عالم متقن فإنه إذ جاوز مارسه له وتصرف بذهنه من غير صانع كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وقد روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه أحرق كرمه خوفاً من أن يباع العنب ممن يتخذة خمرا وهذا لا أعرف له وجهاً إن لم يعرف هو سبباً خاصاً يوجب الإحراق إذ ما أحرق كرمه ونخله من كان أرفع قدرا منه من الصحابة ولو جاز هذا لجاز قطع الكرم خوفاً من الزنا وقطع اللسان خوفاً من الكذب إلى غير ذلك من الإنافات . وأما للتقدمات : فلتطرق للصعبة إليها ثلاث درجات . الدرجة العليا التي تستند الكراهة فيها : ما يقترن في التناول كالأكل من شاة علفت بلف مفصوب أو رعت في مرعى حرام فإن ذلك معصية وقد كان سبباً لبقائها وربما يكون الباقي من دمها ولحمها وأجزاءها من ذلك الملف وهذا الورع مهم وإن لم يكن واجباً ونقل ذلك عن جماعة من السلف وكان لأبي عبد الله الطوسي التروغ في شاة يعملها على رقبته كل يوم إلى الصحراء وبرعاها وهو يصلي وكان يأكل من لبها فضل عنها ساعة فتناول من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل أخذها . فإن قيل فقد روى عن عبيد الله بن عمر وعبيد الله أنهما اشتريا إبلا فبشاهما إلى الحمى فرعته إلهما حتى سمحت فقال عمر رضي الله عنه أرعيتاهما في الحمى فقالا نعم فشاطرهما فهذا يدل على أنه رأى الإثم الحاصل من الملف لصاحب الملف فليوجب هذا تحريماً . قلنا ليس كذلك فإن الملف يفسد بالأكل والجم خلق جديديس عين الملف فلا شر كصاحب الملف شرعاً ولكن عمر غرمها قيمة الكلاء ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن أبي وقاص ماله لما أن قدم من الكوفة وكذلك شاطر أباه مرة رضي الله عنه إذ رأى أن كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافياً على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهاداً . الرتبة الوسطى : ما نقل عن بشر بن الحرث من امتناعه عن الماء الساقي في نهر احتقره الظلمة لأن النهر موصل إليه وقد عصى الله بحفره وامتنع آخر عن عنب كرم يسقي بهما يجري في نهر حفر ظاهراً وهو أرفع منه وأبلغ في الورع وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين بالطرق وأعطى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال وأوصل إليه على يد سجان وقوله إنه جاءه على يد ظالم ودرجات هذه الرتبة لا تنحصر . الرتبة الثالثة : وهي قريب من الوسواس والبالغة أن ينتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا أو القذف وليس هو كالموعى بأكل الحرام فإن الوصول قوة بالحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحل بل الامتناع من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس غلاف أكمل الحرام إذ الكفر لا يلتصق بعمل الطعام وينجر هذا إلى أن لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بصفة أو كذبة وهو غاية التنطع والإسراف فليشبه ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب

السموات ومن جمعت أحداق بصيرته متفرقات الكائنات ماذا يستفيد من طي القلوب ومن خلص بغاصبة فطرته إلى جمع الأرواح ماذا تفيد زيادة الأشباح . قيل أرسل ذو النون للصري إلى أبي يزيد رجلاً وقال قل له إلى متى هذا النوم والراحة وقد سارت القافلة فقال الرسول قل لأخي الرجل من يتم الليل كله ثم يصبح في اللؤلؤ قبل القافلة فقال ذو النون هنيئاً له هذا كلام لا يبلغه أحوالنا . وكان بشر يقول يا مبشر القراء سيحوا فطبيوا فإن للآل إذا كثرت بك في موضع تبر وقيل قال بعضهم عند هذا الكلام صريرها حتى لا تنفبر فإذا أدام الربيد سير الباطن يقطع مسافة النفس الأمارة بالسوء حتى قطع منازل آفاتنا

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي تقدم في العلم .

للموصل كالنهر وقوة اليد الاستفادة بالعداء الحرام ولو امتنع عن الشرب بالكوز لأن صانع الفخار الذي عمل الكوز كان قد صوّف الله يومًا بضرب إنسان أوشتمه إكل هذا وسواسا ولو امتنع من لم شاة سافها آكل حرام فهذا أبعد من يد السجان لأن الظام يسوقه قوة السجان والشاة تنشى بنفسها والسائق يمنحها عن المدول في الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجتا في بيان ما تدعى إليه هذه الأمور . واعلم أن كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فإن فتوى الفقيه تخص بالدرجة الأولى التي يمكن تكليف عامة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرجه العالم دون ما عداه من ورع الثقلين والصالحين والفتوى في هذا ماقاله ^{عليه السلام} لواءة إذ قال « استغفرك وإني أتوك وأتوك وأتوك » وعرف ذلك إذ قال « إني حراز القلوب ^(١) » وكل ما حك في صدر الرمي من هذه الأسباب فلوا قدم عليه مع حرازة القلب استغفره وأظلم قلبه بقدر الحرازة التي يجدها بل لو أقدم على حرام في علم الله وهو يظن أنه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه ولو أقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حرازة في قلبه كذلك يضربه وإنما الذي ذكرناه في التمسك عن الباطلة أردنا به أن القلب الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حرازة في مثل تلك الأمور فان مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحرازة فأقدم مع ما يجد في قلبه فذلك يضربه لأنه مأخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بغتوى قلبه وكذلك يشدد على الوسوس في الطهارة ونية الصلاة فإنه إذا غلب على قلبه أن الله لما لم يصل إلى جميع أجزائه بثلاث مرات لثبة الوسوسة فيجب عليه أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه وإن كان محظا في نفسه أولئك قوم شددوا فتشداقه عليهم ولذلك شدد على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا في السؤال عن البقرة ولواخذوا أولا بموسى لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لأجزأهم ذلك فلا تغفل عن هذه الدقائق التي رددناها نثيا وإثباتا فان من لا يطلع على كنه السلام ولا يحيط بعجائمه يوشك أن يزل في درك مقاصده . وأما للصية في العوض فله أيضا درجات . الدرجة العليا : التي تشتد الكراهة فيها أن يشتري شيئا في النعمة ويقضى عنه من غضب أو مال حرام فينظر فإن سلم إليه البائع الطعام قبل قبض الثمن يطيب قلبه فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع أعني قبل قضاء الثمن ولا هو أيضا من الورع المؤكد فإن قضى الثمن بعد الأكل من الحرام فكأنه لم يقض الثمن ولو لم يقضه أصلا لكان متعلدا للمظلمة بترك ذمته مرتبة بالدين ولا يتقلب ذلك حراما فان قضى الثمن من الحرام وأبرأه البائع مع العلم بأنه حرام قد بدرت ذمته ولم يبق عليه إلا مظلمة تصرفه في الدرام الحرام بصرفها إلى البائع وإن أبرأه على ظن أن الثمن حلال فلا تحصل البراءة لأنه يبرئه بما أخذه إبراء استيفاء ولا يصلح ذلك للإبراء هذا حكم المشتري والأكل منه وحكم الذمة وإن لم يسلم إليه بطيب قلب ولكن أخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام أو بعده لأن الذي تسمى « الفتوى » به نبوت حق الجلس للبائع حتى يمين مملكته بإقباض التقد كاتمين ملك المشتري وإنما يطالب حق حبسه إما بالإبراء أو الاستيفاء ولم يجرى عنهما ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراعي لا دعاء إذا أكله بغير إذن للرهن وبينه وبين أكل طعام التفرقة ولكن أصل التحريم شامل هذا كله إذا قبض قبل توفية الثمن إما بطيبة قلب البائع أو من غير طيبة قلبه فأما إذا وفي الثمن الحرام أولا ثم قبض فإن كان البائع عالما بأن الثمن حرام ومع هذا أقبض للبيع بطل حق حبسه وبقى له الثمن في ذمته إنما أخذه ليس بشئ ولا يصير أكل البيع حراما بسبب بقاء الثمن فأما إذا لم يعلم أنه حرام وكان يجب لوعلمه لما رضى به ولا قبض البيع فحق حبسه لا يطل بهذا التأسيس فأكله حرام تحريم أكله الهون إلى أن يبرئه أو يوفى من حلال

(١) حديث الإثم حراز القلوب تقدم في العلم .

وبدل أخلاقها
للمدومة بالمعودة
وعائق الإقبال على
الله تعالى بالصدق
والإخلاص اجتمع له
الفتوحات واستفاد في
حضره أكثر من سفره
لكون السفر لا يخلو
من متاعب وكلف
ومتوشحات وطوارق
ونوازل يتجدد الضعف
عن سياستها بالعلم
للضفاء ولا يقدر على
تسليط العلم على
متجددات السفر
وطواره إلا الأقوياء
قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فلهذا
ركب عندم رجلا : هل
صحبته في السفر الذي
يستدل به على مكلم
الأخلاق قال لا قال
ما أراك تعرفه فإذا
حفظه الله عهده في بداية
لعمره من تشوش
السفر وتمتة بجمع للم
وحسن الإقبال في
الحضر وساق إليه من
الرجال من أكتب
به صلاح الحال قد

أورضى هو بالحرام ويرى فيصح إبراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الأولى من الحل والحرمه فأما الامتناع عنه فمن الورع اللهم لأن العصية إذا تمكنت من السبب للوصول إلى الشيء تشتت الكراهة فيه كما سبق وأقوى الأسباب للوصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضى البائع بتسليمه إليه فراضاه لا يخرج عن كونه مكروهاً كراهية شديدة ولكن العدالة لا تتخرب به وتزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلاً ثوباً أو أرضاً في الدق وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسله إلى قتيه أو غيره صلة أو خلة وهو شك في أنه سيقتضى ثمنه من الحلال أو الحرام فلهذا أخلف إذ وقع الشك في تطرق للعصية إلى الثمن وتفاوتت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقتله في مال ذلك السلطان وما ينبغي على الظن فيه وبعضه أشد من بعض والرجوع فيه إلى ما يندفع في القلب . الرتبة الوسطى : أن لا يكون الموضع غصباً ولا حراماً ولكن يتباً لمصبة كالسلم عوضاً عن الثمن عينا والأخذ شارب الحرام أو سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريماً في مبيع اشتراه في الدقة ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب وتفاوت درجات هذه الرتبة أيضاً بتفاوت غلبة للصبة على قابض الثمن ودوره ومهما كان الموضع حراماً فبذله حرام وإن احتمل تحريمه ولكن أيسر بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندى النبي عن كسب الحجام وكراهته ^(١) إذ نهى عنه عليه السلام مرات ثم أمر بأن يعلق الناضح ^(٢) وما سبق إلى الوهم من أن سببه مباشرة التجاسة والتفرد فاسد إذ يجب طرده في الدماغ والكناس ولا قاتل به وإن قيل به فلا يمكن طرده في القصاب إذ كيف يكون كسبه مكروهاً وهو يدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومحامرة القصاب التجاسة أكثر منه للحجام والقصاب فإن الحجام يأخذهم بالمعجوق ويصحه بالقطنه ولكن السبب أن في الحجامية والتصد تحريب بنية الحيوان وإخراجاً لدمه وبه قوام حياته والأصل فيه التحريم وإعماله بضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحسب واجتهاد وربما يظن ناضحاً ويكون ضاراً فيكون حراماً عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحسب ولذلك لا يجوز للفساد فصدحى وعبد ومستهو إلا بإذن وليه وقول طبيب ولو لا أنه حلال في الظاهر لما أعطى عليه السلام أجره للحجام ^(٣) ولو لا أنه يعمل التحريم لما نهي عنه فلا يمكن الجمع بين إعطائه ونهيهِ إلا باستنباط هذا المعنى وهذا كان ينبغي أن نذكره في القرائن والقروية بالسبب فإنه أقرب إليه . الرتبة السفلى : وهي درجة اللوسوسين وذلك أن يحلف إنسان على أن لا يلبس من غزل أمه فباع غزلاً واشترى به ثوباً فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروى عن القنبر أنه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بأن النبي ﷺ قال «لن الله اليهود حرمت عليهم الخمر فباعوها وأكلوا أموالها» ^(٤) وهذا غلط

(١) حديث النبي عن كسب الحجام وكراهته ابن ماجه من حديث أبي مسعود الأنصاري والنسائي من حديث أبي هريرة بإسنادين صحيحين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام والبخاري من حديث أبي جعفر نهي عن غنّ الدم ومسلم من حديث رافع بن خديج كسب الحجام خبيث (٢) حديث نهي عنه مرات ثم أمر بأن يعلق الناضح أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث يحيى أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في إجارة الحجام فنهاه عنها فلم يزل يسأل ويستأذن حتى قال ألقه ناضحاً وأطعمه رفيقك وفي رواية لأحمد أنه زجره عن كسبه فقال ألا أطعمه أينما لي قال لا قال ألقه أتصدق به قال لا فرخص له أن يعلقه ناضحه (٣) حديث أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجره للحجام متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث القنبر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يلبس من غزل أمه فباع غزلاً واشترى به ثوباً وهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروى عن القنبر أنه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بأن النبي ﷺ قال «لن الله اليهود حرمت عليهم الخمر فباعوها وأكلوا أموالها» ^(٤) وهذا غلط

أحسن إليه . قيل في تفسير قوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب - هو الرجل للقطع إلى الله يشكل عليه شيء من أمر الدين فيعت الله إليه من يحل إشكاله فإذا ثبت قدمه على شروط البداية رزق وهو في القام من غير سفر ثمزات النهاية فيستقر في الحضرة استاء وابتداء وأقيم في هذا القام جمع من الصالحين وأما الذي أدام السفر فرأى صلاح قلبه وصحة حاله في ذلك يقول بعضهم اجتهد أن تكون كل ليلة صيف مسجد ولا تموت إلا بين مزلين . وكان من هذه الطبقة إبراهيم الخواص ما كان يقيم في بلد أكثر من أربعين يوماً وكان يرى إن أقام أكثر من أربعين يوماً يفسد عليه توكله فكان علم الناس

لأن بيع المحور باطل إذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وضمن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا أن يملك الرجل جارية هي أخته من الرضاع فتباع بجماعة أجنبية فليس لأحد أن يتورع منه وتشبيه ذلك ببيع الخمر غاية السرف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدرج فيها وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلاث أو أربع ولا في عدد ولكن القصد من التعبد والتفريب والتفهم . فإن قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوباً بشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه ^(١) » ثم أدخل ابن عمر أصبعيه في أذنيه وقال سمنا إن لم أكن سمته منه . قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بشرة لا في الدمة وإذا اشترى في القصة فقد حكنا بالتحريم في أكثر الصور فليجعل عليها ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمصيبة تطرقت إلى سيئه وإن لم يدل ذلك على فساد العقد كالشترى في وقت النداء وغيره .

(الثاني الرابع الاختلاف في الأدلة)

فإن ذلك كالإختلاف في السبب لأن السبب سبب لحكم الحل والحرمه والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمه فهو سبب في حق العرفه وما لم يثبت في معرفة التفسير فلا فائدة لثبوته في نفسه وإن جرى سببه في علم الله وهو إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع أو لتعارض العلامات الدالة أو لتعارض التشابه . القسم الأول : أن تتعارض أدلة الشرع مثل تعارض عموميين من القرآن أو السنة أو تعارض فرائض أو تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه إلى الاستصحاب أو الأصل للعلوم قبله إن لم يكن ترجيح فإن ظهر ترجيح في جانب الحذر وجب الأخذ به وإن ظهر في جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه وإتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق التقى والمثل وإن كان التقى يجوز له أن يأخذ بما أفق له مقلده الذي يظن أنه أفضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع والقرائن وإن كان لا يحسن الطب وليس للسفهي أن ينتقد من المذهب أوسعها عليه بل عليه أن يبحث حتى يقبل على ظنه الأفضل ثم يتبعه فلا يخالفه أصلاً ، نعم إن أفق له إمامه بشيء وإمامه فيه مخالف فالمرار من الخلاف إلى الإجماع من الورع للؤكد وكذا المجتهد إذا تعارضت عنده الأدلة ورجح جانب الحل يحسد وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان للفتون يفتون بعمل أشياء لا يقدمون عليها قط تورعاً منها وحذراً من الشبهة فيها فلنفس هذا أيضاً على ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : ما يتأكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الآخر عليه فنن الهامات التورع عن فريسة الكلب للمل إذا أكل منها وإن أفق التقى بأنه حلال لأن الترجيح فيه فامض وقد اخترنا أن ذلك حرام وهو أنيس قول الشافعي رحمه الله ومهما وجد الشافعي قول جديد موافق لمذهب أبي حنيفة رحمه الله وأخبره من الأئمة كان الورع فيه مهما وإن أفق التقى بالقول الآخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وإن لم يخلف فيه قول الشافعي رحمه الله لأن الآية ظاهرة في إلجائها والأخبار متواترة فيه فانه صلى الله عليه وسلم قال لكل من سأله عن الصيد « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل ^(٢) » ونقل ذلك على التكرار وقد شهر الشيخ بالجملة ^(٣) وكل ذلك يقوى دليل الاشتراط

- (١) حديث من اشترى ثوباً بشرة دراهم الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل مثق عليه من حديث عدى بن حاتم ومن حديث أبي ثعلبة الحنفي (٣) حديث التسمية على الذبح متفق عليه من حديث رافع بن خديج ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر .

ومعهم إياه براء سيبا ومعلوما . وحكى عنه أنه قال مكنت في البادية أحد عشر يوماً لم أكل وتطلعت فسى أن أكل من حبش البر فرائت الحذر مقبلاً نحوى فهربت منه ثم التفت فإذا هو رجى عنى فقبل لم هربت منه قال تشوفت فسى أن ينيثي فهو لاء القرارون بدنيهم . أخبرنا أبو زرعة طاهر ابن الحافظ أبي الفضل القمى عن أبيه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي قال أنا أبو عبد الله بن يوسف بن نامية قال ثنا أبو محمد الزهرى القاضى قال ثنا محمد بن عبد الله بن أسباط قال ثنا أبو نعيم قال ثنا محمود بن ابن مسلم عن عثمان ابن عبد الله بن أوس عن سليمان بن هرمز عن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أحب شيء إلى الله التبرياء »

ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم «لاؤمن يذبح على اسم الله تعالى ممي ولم يسم» (١) واحتمل أن يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها ويحتمل أن يخص هذا بالناس ويترك الظاهر ولأنا أول وكان حمله على الناس ممكنا تمهيدا لعذرهم في ترك التسمية بالنسيان وكان تمعيبه وتأويل الآية ممكنا إمكانا أقرب رجحنا ذلك ولانكسر رفع الاحتمال للقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الأولى . الثانية : وهي مزاحمة لدرجة الوسواس أن يتورع الانسان عن أكل الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان للذبح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الأخبار حديث الجنين إن ذكاته ذكاة أمه (٢) محبة لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا منصف إلى سنده وكذلك صح أنه أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وقد قل ذلك في الصحيحين وأظن أن أحاطة لم تبلغه هذه الأحاديث ولو بلغت لقال بها إن أنصف وإن لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يستد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد . الرتبة الثالثة : أن لا يشتر في الشك خلافا أصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فأنا أتورع فإن الثقة وإن كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لفرض خفي جائز عليهم لأن العدل أيضا قد يكذب والوهم جائز عليه فانه قد يسبق إلى معهم خلاف ما يقوله القائل وكذا إلى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعون من عدل تسكن نفوسهم إليه وأما إذا تطرقت شبهة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الزاوي فللتوقف وجه ظاهر وإن كان عدلا . وخلاف من خالف في أخبار الآحاد غير ممتد به وهو تكلاف النظام في أصل الإجماع وقوله إنه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع أن يمتنع الانسان من أن يأخذ ميراث الجد أبي الأب ويقول ليس في كتاب الله ذكر إلا للبين وإلحاق ابن الابن بالابن بإجماع الصحابة وهم غير مصومين والغلط عليهم جائز إذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتدعى إلى أن يترك ما علم بمومات القرآن إذ من التكمسين من ذهب إلى أن العمومات لاصفة لها وإنما يمتنع بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فلاذن لأطرف من أطراف الشبهات إلا وفيها غلو وإسراف فليفهم ذلك ومهما أشكل أمر من هذه الأمور فليستغف في القلب وليدع الورع ماربى إلى مالابريه وليترك حزاز القلوب وحكايات الصدور وذلك يختلف

(١) حديث للؤمن يذبح على اسم الله ممي أو لم يسم قال الصنف إنه صح . قلت لا يعرف بهذا اللفظ فضلا عن محته ولأبي داود في الرسائل من رواية الصلت مرفوعا ذبيحة للسلم خلال ذكر اسم الله أو لم يذكر وقطبراني في الأوسط والدارقطني وابن عدى والبيهقي من حديث أبي هريرة قال رجل يارسلو الله الرجل منا يذبح ويبي أن يسمى الله فقال اسم الله على كل مسلم قال ابن عدى منكر والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عباس للسلم بكتفه اسمه فإن نسي أن يسمى حين يذبح قايسم وليذكر اسم الله ثم يأكل فيه محمد بن سنان ضعف الجمهور (٢) حديث ذكاة الجنين ذكاة أمه قال الصنف إنه صح لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا منصف إلى سنده وأخذ هذا من إمام الحرمين فانه كذا قال في الأساليب والحديث رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاستاد وليس كذلك وللطبراني في الصغير من حديث ابن عمر بسند جيد وقال عبد الحق لا يمتنع بأساندها كلها (٣) حديث أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصنف هو في الصحيحين وهو كما ذكره من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد .

قيل ومن الغرباء : قال القسطلوني بدينهم يجمعون إلى عيسى ابن مريم يوم القيامة وهذه كلها أحوال اختلفت واتبع أربابها الصحة وحسن النية مع الله وحسن النية يقتضى الصدق والصدق لئنه محمود كيف تقلبت الأحوال لمن سافر ينبغي أن يفقد حاله ويصح نية ولا يقدر على تخليص النية من شوائب النفس إلا كبر العلم تام التقوى وافر الحظ من الزهد في الدنيا ومن انطوى على هوى كامن ولم يستقم في الزهد لا يقدر على تصحيح النية قد يدعو إلى السفر نشاط جبلي قسائي وهو يظن أن ذلك داعية الحق ولا يميز بين داعية الحق وداعية النفس ويحتاج الشخص في علم محبة النية إلى العلم

بالأشخاص والوقائع ولكن ينبغي أن يحفظ قلبه عن دواهي الوسواس حتى لا يحكم إلا بالحق فلا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ولا يغلو عن الحازنة في مظان السكرامة وما أعز مثل هذا القلب وكذلك لم يرد عليه السلام كل أحد إلى قنوى القلب وإنما قال ذلك لوابسة لما كان قد عرف من حاله (١) . القسم الثاني : تعارض العلامات الدالة على الحل والحزمة فإنه قد ينهب نوع من التناع في وقت ويندر وقوع مثله من غير التهب فيرى مثلاً في يد رجل من أهل الصلاح فبدل صلاحه على أنه حلال وبدل نوع التناع وندوره من غير التهب على أنه حرام فيتعارض الأمران وكذلك غير عدد أنه حرام وآخر أنه حلال أو تتعارض شهادة فاسقين أو قول صبي بالغ فإن ظهر ترجيح حكمه والورع الاجتناب وإن لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسأى تخصيصه في باب التعرف والبحث والسؤال . القسم الثالث : تعارض الأشياء والصفات التي تناطحها الأحكام . مثله أن يوصى بمال للفقهاء فيعمل أن الفاضل في الفقه داخل فيه وأن الذي ابتدا التعلم من يوم أو شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لأنخصي يقع الشك فيها فالنقي يقى بسبب الظن والورع الاجتناب وهذا أخص مشاراة الشبهة فإن فيها سوراً يتجر للقي فيها تحميراً لازماً لاحية له فيه إذ يكون للتصنيف صفة في درجة متوسطة بين الدرجتين للتقاربين لا يظهر له حله إلى أحدهما وكذلك الصدقات المصروفة إلى المحتاجين فإن من لا شيء له معلوم أنه محتاج ومن له مال كثير معلوم أنه غني ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكتب فإن قدر الحاجة منه لا يتنع من الصرف إليه والفاضل يتنع والحاجة ليست محدودة وإنما تدرك بالتقريب ويتصدى منه النظر في مقدارسة الدار وأثاثها ومقدار قيمتها السكنى في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بداردونها وكذلك في نوع أثاث البيب إذا كان من الصفر لامن الخنز وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك في الاحتياج إليه كل يوم وما يحتاج إليه كل سنة من آلات الشتاء وما لا يحتاج إليه إلا في شتاء وشيء من ذلك لأخذه والوجه في هذا ما قاله عليه السلام « دع ما يريك إلى ما لا يريك (٢) » وكل ذلك في محل الريب وإن توقف للقي فلا وجه إلا التوقف وإن أفتى للقي بظن وتخمين فالورع التوقف وهو أهم مواضع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال إذ فيه طرفان يعلم أن أحدهما قاصر وأن الآخر زائد وبينهما أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والاطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل للسكى في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة أرطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريه إلى ما لا يريه وهذا جار في كل حكم ينط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب إذ العرب وسائر أهل اللغات لم يقدروا امتصنات اللغات بمحدود محدودة تقطع أطرافها عن مقابلاتها فلفظ الستة فإنه لا يعتمد مادونها وما فوقها من الأعداد وسائر ألفاظ الحساب والتقديرات فليست الألفاظ القنوية كذلك فلا لفظ في كتاب الله سورة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وينطرق الشك إلى أوساط في مقتضياتها تدور بين أطراف متضاربة فتعظم الحاجة إلى هذا الفن في الوسايا والأوقاف فالوقف على الصوفية مثلاً مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض فكذلك سائر الألفاظ وسنشير إلى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص

(١) حديث لم يرد كل أحد إلى قنوى قلبه وإنما قال ذلك لوابسة وقدم حديث وابسة وروى الطبراني من حديث وابسة أنه قال ذلك لوابسة أيضاً وفيه الغلاء بن ثعلبة مجهول .

(٢) حديث دع ما يريك إلى ما لا يريك تقدم في الباب قبله .

بمعرفة الحواطر وشروح الحواطر وعليها يحتاج إلى باب مفرد لنفسه ونومى الآن إلى ذلك يرمز يدركه من نازله شيء من ذلك فأكثر الفقهاء من علم ذلك ومعرفة على بعد . اعلم أن ما ذكرناه من نشاط النفس واقع للفقير في كثير من الأمور قد يجد الفقير الروح بالخروج إلى بعض الصحارى والبساتين ويحكون ذلك الروح مضراً به في ثانی الحال وإن كان يترأى له طية القلب في الوقت وسبب طية قلبه في الوقت أن النفس تنفس وتنفس يلوع غرضها وتيسر يسير هواها بالخروج إلى الصحراء والترف وإذا اتسمت بعدت عن القلب وتحت عنه منشوقة إلى متعلق هواها فيتزوج القلب لا لـصحراء بل يعد النفس منه كشخص

يلزم به طريق التصرف في الألفاظ وإلا فلا مطمع في استيفائها فهذه اشتباهات تور من علامات متعارضة تجذب إلى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتيازها إذا لم يرجع جانباً لحد بدلالة قلب على الظن أو باستصحاب بموجب قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» وبموجب سائر الأدلة التي سبق ذكرها فهذه منارات الشبهات وبعضها أشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الأمر أغلظ مثل أن يأخذ طعاماً مختلفاً فيه عوضاً عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد غلط ماله وليس هو أكثر ماله ولكنه صار مشتبهاً به فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى أن يشتد الأمر في اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح أخذ به وما التبس فليجتنب فإن الإثم حراز القلب وحيث قضيتا باستفتاء القلب أردنا به حيث أبلغ التقى أما حيث حرمة فيجب الامتناع ثم لا يمول على كل قلب قرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن إلى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين وإنما الاعتبار بقلب العالم للوقوف للراقب لمذاق الأحوال وهو الهلك الذي يتحنن به خفايا الأمور ، وما أعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليتمسك النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقته ، وجاء في الزبور : إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام قل لبي إسرائيل إني لا أنظر إلى صلاتكم ولا صيامكم ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجل فذلك الذي أنظر إليه وأؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي .

(الباب الثالث : في البحث ، والسؤال ، والمعجم ، والإجمال ومظانها)

اعلم أن كل من قدم إليك طعاماً أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تنهب فليس لك أن تفتش عنه وتساءل وتقول هذا مما لا يتحقق حله فلا تأخذه بل أفتش عنه وليس لك أيضاً أن تترك البحث فتأخذ كل ما لا يتيقن نحرجه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله ، والدول الشافى فيه هو أن مظنة السؤال مواقع الريه ومنشأ الريه ومثارها إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال .

(الجزء الأول أحوال الثالث)

وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال إما أن يكون مجهولاً أو مشكوكاً فيه أو معلوماً بنوع ظن يستند إلى دلالة . الحالة الأولى : أن يكون مجهولاً والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزنى الأجناد ولا ما يدل على صلاحه ككتاب أهل التصوف والتجارة والعلم وغيرها من العلامات فإذا دخلت قرية لا تعرفها قرأت رجلاً لا تعرف من حاله شيئاً ولا عليه علامة تنسب إلى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول وإذا دخلت بلدة غريبة ودخلت سوقاً ووجدت رجلاً خائزاً أو قصاباً أو غيره ولا علامة تدل على كونه مريئاً أو خائناً ولا ما يدل على نقيته فهو مجهول ولا يدري حاله ولا تقول إنه مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتضادين متقابلين لهما سببان متقابلان وأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين المالا يدري وبين ما يشك فيه وقد عرفت بما سبق أن الورع ترك المالا يدري . قال يوسف بن أسباط منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء إلا تركته وتكلم جماعة في أشق الأعمال فقالوا هو الورع فقالوا لهم حسان بن أبي سنان ما شئ عندى أسهل من الورع إذا حاك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع وإنما تذكر الآن حكم الظاهر ، فتقول حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاماً أو حمل إليك هدية أو أردت أن تشتري من دكانه شيئاً فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلماً دلائل كافيتان

(الباب الثالث : في البحث والسؤال)

يباعد عنه قرن يستقله ثم إذا عاد الفقير إلى زاويته واستفتح ديوان معاملته وميز مستور حاله يجد النفس مقارئة للقلب بمزيد تميل موجب لثبرمه بها وكلما ازداد ثقلها تكدر القلب وسبب زيادة ثقلها استمرارها في تناول هواها فيصير الخروج إلى الصحراء عين الداء ويظن الفقير أنه يروغ ودواء قلو صبر على الوحدة والحلوة ازدادت النفس ذوباناً وخفت ولطفت وصارت قرينة صالحاً للقلب لا يستقلها وعلى هذا يقاس التروح بالأسفار فلتنفس وتبث إلى توهم التروحات فمن فطن لهذه الدقيقة لا يتر بالتروحات للستارة التي لا تحمد عاقبتها ولا تؤمن غائلتها ويثبت عند ظهور خطر السفر ولا يكثر بالخطر بل يطره بسدم الالتفات

في الهجوم على أخذه ، وليس لك أن تحول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا السلم بينه وإن بعض الظن إنهم وهذا السلم يستحق بإسلامه عليك أن لاتسب الظن به فإن أسأت الظن به في عينه لأنت رأيت فسادا من غيره قد جنبت عليه وأعت به في الحال قدما من غير شك ولواخذت للمال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضی الله عنهم في غزواتهم وأسفارهم كانوا يزلون في القرى ولا يدورون القرى ويدخلون البلاد ولا يعمرزون من الأسواق وكان الحرام أيضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال إلا عن رية إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن كل ما يعمل إليه بل يسأل في أول قدمه إلى المدينة عما يعمل إليه أصدقة أم هدية (١) لأن قرينة الحال تدل وهو دخول المهاجرين للمدينة وهم قراء قلب على الظن أن ما يعمل إليهم بطريق الصدقة ، ثم إسلام المعلى ويده لا يدلان على أنه ليس بصدقة ، ولذلك دعت أم سليم (٢) ودعا الخياط (٣) كما في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وقسم إليه طعاما فيه قرع ، ودعا الرجل الفارس فقال عليه الصلاة والسلام وأنا وعائشة فقال لا تقال فلا ثم أجابه بعد فلقب هو وعائشة يشاوقان قرب إليهما إهالة (٤) ولم يزل السؤال في شيء من ذلك ، وسأل أبو بكر رضي الله عنه عبده عن كبه لما ربه من أمره ، وسأل عمر رضي الله عنه الذي سقا من لبن إبل الصدقة إذ رابه وكان أحبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل مرة وهذه أسباب الرتبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عابيا بأجابته من غير تفتيش بل لو رأى في داره تجمل ومالا كثيرا فليس له أن يقول الحلال عزروه هذا كثير فمن أين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه يحتمل أن يكون ورث مالا أو أكتبه فهو بعينه يستحق إحسان الظن به ، وأزيد على هذا وأقول ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع فلا يدخل جوفه إلا ما يدري من أين هو فهو حسن فليطلق في الترك وإن كان لا بد منه من أكله فليأكل بشر سؤال إذ السؤال إيذاء وهتك ستر وإعاش وهو حرام بلا شك . فان قلت لله لا يتأذى فأقول لله لا يتأذى فأنت تسأل حنرا من لعل فان قمت قلل ماله حلال وليس الهم المهدور في إيذاء مسلم بأكل من الهم في أكل الشبهة والحرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدري هو به لأن الإيذاء في ذلك أكثر وإن سأله من حيث لا يدري هو فقه إساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبث بالنية وإن لم يكن ذلك صريحا وكل ذلك منهي عنه في آية واحدة قال الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - وم زاهد جاهل يوحش القلوب بالتفتيش ويتكلم الكلام الحسن المؤذي وإنما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشبهة بأكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى

(١) حديث سؤاله في أول قدمه إلى المدينة عما يعمل إليه أصدقة أم هدية أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد من حديث سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان بطعام فسأله عنه أصدقة أم هدية الحديث تقدم في الباب قبله من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان يدعى إلى الضيافات فيجب ولا يسأل أصدقة أم لاهذا معروف مشهور من ذلك في الصحيحين من حديث أبي مسعود الأنصاري في منيع أبي شعيب طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا خامس خمسة . (٣) حديث دعت أم سليم متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث أنس أن خياط دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم إليه طعاما فيه قرع متفق عليه (٥) حديث دعاه الرجل الفارس فقال أنا وعائشة الحديث مسلم عن أنس .

سيئا ظنه بالنفس
وتسويلاها ومن هذا
القبيل والله أعلم قول
رسول الله صلى الله
عليه وسلم «إن الشمس
تطلع من بين قرني
الشیطان» فيكون
للنفس عند طلوع
الشمس وبثبات تستند
تلك الوببات والنهضات
من النفس إلى اللزج
والطباع ويطول
شرح ذلك ويسمى
ومن ذلك القبيل خفة
مرض الریض غدوة
بخلاف العشيات
فيشكل اهتزاز النفس
بنهضات القلب ويدخل
على القبر من هذا
القبيل آفات كثيرة
يدخل في مداخل
باهتزاز نفسه ظنانه
أن ذلك حكم نهوض
قلبه وربما يترأى له
أنه بالله يسول وبالله
يقول وبالله يتحرك
قد ابتلى بنهضة النفس
ووثوبها ولا يقع هنا
الاعتناء إلا لأرباب
القلوب وأرباب الأحوال

أشدهم خوفاً على يمينه أن يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري إذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليحتمل أن طريق الورع الترك دون التمسك وإذا لم يكن بد من الأكل فالورع الأكل وإحسان الظن لهذا هو للأولف من الصعابة رضى الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع وهو حال مبتدع وليس بمنهج فمن يبلغ أحدهم وأحدهم ولا ينفقه ولو أشق ما في الأرض جميعاً كيف «وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بيرة قيل إنه صدقة قال هو لها صدقة ولنا هدية» ولم يسأل على الصدقة عليها فكان للصدقة مجهولاً عنده ولم ينتفع . الحالة الثانية : أن يكون مشكوكاً فيه بسبب دلالة أورث رية فلهذا كرسورة رية ثم حكها . أما صورة الرية فهو أن تله على تحريم ما في يده دلالة إيمان خلقتة أو من زيه ويأبه أو من فيه وقوله ، أما الحلقة فإن يكون على خلقه الأتراك والبوادي والبروفين بالظلم وقطع الطريق وأن يكون طويل الشارب وأن يكون الشعر مقرفاً على رأسه على دأب أهل القصاد ، وأما الثياب القباء والقطنسة وزى أهل الظلم والقصاد من الأجناد وغيرهم ، وأما الفضل والقول فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يحل فإن ذلك يدل على أنه يتساهل أيضاً في المال ويأخذ ما لا يحل فلهذا مواضع الرية فإذا أراد أن يشتري من مثل هذا شيئاً أو يأخذ منه هدية أو يجيء إلى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه إلا هذه العلامات فيحتمل أن يقال اليتدلى على ذلك وهذه الدلالات ضئيفة للإقدام جائز والترك من الورع ويحتمل أن يقال إن اليد دلالة ضئيفة وقد قلنا لمثل هذه الدلالة فأورث رية فالهجوم غير جائز وهو الذي نختاره وتبقى به قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» فظاهره أمر وإن كان يحتمل الاستجاب لقوله صلى الله عليه وسلم «الإنم حراز القلوب» وهذا له وقع في القلب لا ينكر ولأن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أصدقاءه هو أو هدية وسأل أبو بكر رضى الله عنه غلامه وسأل عمر رضى الله عنه وكل ذلك كان في موضع الرية وحمله على الورع وإن كان ممكناً ولكن لا يحمل عليه إلا قياس حكى والقياس ليس يشهد بتحليل هذا فإن دلالة اليد بالإسلام وقد عارضتها هذه الدلالات فأورث رية فإذا تخالفاً فلا احتلال لاستدله وإنما لا يترك حكم اليد بالاستصحاب بشك لا يستد إلى علامة كما إذا وجدنا لواء متغيراً واحتمل أن يكون بطول للكث فإن رأينا غلبة البات فيه ثم احتمل التغير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات خاوت فإن طول الشوارب وليس القباء وهيئة الأجناد يدل على الظلم بالمال أما القول والفضل المخافان للشرع إن تعلقا بظلم للمال فهو أيضاً دليل ظاهر كالوصف بأمر بالنصب والظلم أو بمقدور الربا فأما إذا رآه قد شتم غيره في غضبه أو أتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضئيفة فكم من إنسان يصرح في طلب المال ولا يكتسب إلا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتبني لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبطها بعد فليست البدن مثل ذلك قلبه . وأقول إن هذا إن رآه من مجهول لله حكم وإن رآه ممن عرفه بالورع في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن لله حكم آخر إذا تعارضت الدلالات بالاضافة إلى المال وتساقطنا وعاد الرجل كالمجهول إذ ليست إحدى الدلاتين تناسب للمال على الخصوص فكم من متخرج في المال لا يتخرج في غيره وكم من عسّن للصلاة والوضوء والقراءة وما كل من حيث بعد الحكم في هذه المواضع ما يميل إليه القلب فإن هذا أمر بين البدوين الله فلا يمدان بناط بسبب خفي لا يطمع عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم حراز القلوب ثم ليقبه دقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة يبنى أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ماله حرام بأن يكون

وغير أرباب القلب والحال من هذا يميل وهذه مزية قدم خصته بالخصوص دون العوام فاهم ذلك أنه عزز على وأقل مراتب اقتراء في مبادئ الحركة السفر للتصحيح وجه الحركة أن يقدموا صلاة الاستخارة وصلاة الاستخار لا تهمل وإن بين فقير صحة خاطره أو تين له وجه الصلحة في السريان أوضح من الحاطر فلتقوم مراتب في التبيان من العلم بصحة الحاطر وبما فوق ذلك ففي ذلك كله لا تهمل صلاة الاستخارة اتباعاً لسنة ففي ذلك البركة وهو من تعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو العجب السهروردي إمامه قال أنا أبو القاسم بن عبد الرحمن في كتابه أن أبا سعيد الكنجرودي أخبرهم

(١) حديث أكله طعام بيرة قيل إنها صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث دع ما يريك فكم في الباين قبله (٣) حديث الإنم حراز القلوب تقدم في العلم .

جندياً أو حائل سلطان أو نائمة أو مغنية فإن دل على أن في ماله حراماً قليلاً لم يكن السؤال واجباً بل كان السؤال من الورع . الحالة الثالثة : أن تكون الحالة معلومة بتوابع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظناً في حل المال أو تحريمه مثل أن يعرف صلاح الرجل ودياته وعداته في الظاهر وجوز أن يكون الباطن بخلافه فهنا لا يجب السؤال ولا يجوز كافي المجهول فالأولى الإقدام والإقدام ههنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حراماً وأما أكل طعام أهل الصلاح فغالب الأتقياء والأولياء قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل كل الإطعام تقي » ولا يأكل طعامك إلا تقي^(١) » فأما إذا علم بالخبرة أنه جندى أو منقز أو مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهبة والشكل والقيام فهنا السؤال واجب للحالة كافي موضع الريية بل أولى .

(لشار الثاني ما يستند الشك فيه إلى سبب المال في حال التالك)

وذلك بأن يختلط الحلال بالحرام كما إذا طرح في سوق أحمال من طعام غصب واشتراها أهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أن ذلك أكثر مما في أيديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال فإن لم يكن هو إلا أكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد والدليل على أنه لا يجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن الأغلب الحرام أن الصحابة رضي الله عنهم لم يتسألوا من السراء من الأسواق وفيها دراهم الربا وغلول التينة وغيرها وكانوا لا يسألون في كل عقد وإنما السؤال نقل عن آحادهم نادراً في بعض الأحوال وهي محال الريية في حق ذلك الشخص للعين وكذلك كانوا يأخذون الضامن من الكفار الذين كانوا قدقاتوا للسلبين وربما أخذوا أموالهم واحتمل أن يكون في تلك الضامن شيء مما أخفوه من السلبين وذلك لا يحمل أخذه جازاً بالإخلاق بل برد على صاحبه عند الشاخي رحمه الله وصاحبه أولى به بالتمسك عند أبي حنيفة رحمه الله ولم ينقل قط التفتيش عن هذا . وكتب عمر رضي الله عنه إلى أذربيجان إنكم في بلاد تدفع فيها البيعة فانظروا ذكياً من بينه أذن في السؤال وأمر به ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التي هي أعمالها لأن أكثر دراهمهم لم تكن أثمان الجلود وإن كانت هي أيضاً تباع وأكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه إنكم في بلاد أكثر ضايعها الجوس فانظروا الذكي من البيعة فخص بالأكثر الأمر بالسؤال ولا يضح مقصود هذا الباب إلا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها [مسئلة] شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكان طعام منصوب أو مال منهوب ومثل أن يكون القاضي أو الرئيس أو العامل أو القيق الذي له إدرار على سلطان ظالمه أيضاً مال موروث ودعته أو تجارة أو رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويرى أيضاً فإن كان الأكثر من ماله حراماً لا يجوز أكل كل من شياته ولا قبول هديته ولا صدقته إلا بعد التفتيش فإن ظهر أن لا أخوذ من وجهه حلال فذاك وإلا ترك وإن كان الحرام أقل والأخوذ مشتبته فهذا في محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبين إذ قضينا بأنه لو اشبهذ أية بشر ميثت مثلاً وجب اجتناب الشكل وهذا يشبهه من وجه من حيث إن ماله الرجل الواحد كالصور لا سباً إذا لم يكن كثير المال مثل السلطان وبخلافه من وجه إذ الميتة يعلم وجودها في الحال يقيناً والحرام الذي خالط ماله محتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجوداً في الحال وإن كان المال قليلاً وعلم قطعاً أن الحرام موجود في الحال فهو ومشئلة اختلاط البيعة واحد وإن كثر المال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا أخف من ذلك ويشبهه من وجه الاختلاط بغير محصور كافي الأسواق والبلاد ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا يشك في

(١) حديث لا تأكل كل الإطعام تقي ولا تأكل كل طعامك إلا تقي تقدم في الزكاة .

قال أنا أبو عمرو بن
حسان قال حدثنا
أحمد بن الحسين
الصوفي قال حدثنا
منصور بن أبي مزاحم
قال حدثنا عبد الرحمن
ابن أبي اللواتي عن محمد
ابن النكدر عن جابر
رضي الله عنه قال « كان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يطنا
الاستخارة كما يطنا
السورة من القرآن
قال : إذا هم أحدكم
بالأمر أو أربأ الأمر
فليصل ركعتين بين
غير الفريضة ثم يقل
اللهم إني أستخيرك
بملك وأستغثرك
بقدرتك وأسألك من
فضلك العظيم فانك
تقدر ولا أقدر وتعلم
ولا أعلم وأنت علام
الغيوب اللهم إن كنت
تعلم أن هذا الأمر
وبسمه بينه خير
لي في ديني ومعاشي
ومعادي وعقبه أمري
أو قال عاجل أمري
وأجله فاقدره لي ثم

بذلك لي فيه وإن كنت
معه مشرا إلى مثل ذلك
فاصره حتى واصرفني
عنه واقدري الحبر
حيث كان .

[الباب السابع عشر
في يحتاج إليه الصوفي
في سفره من الفرائض
والفضائل]

فأما من الفقه وإن
كان هذا يذكر في كتب
لفقه وهذا الكتاب
غير موضوع لذلك
ولكن تحول على سبيل
الإيجاز فيما يذكر
للأحكام الشرعية التي
هي الأساس الذي يبنى
عليه لابد للصوفي
للسافر من علم التيمم
وللسح على الحفين
والقصر والجمع في
الصلاة أما التيمم فجائز
لمريض والسافر في
الجنابة والحدث عند
عدم الماء أو الخوف
من استعماله تلقا في
النفس أو المال أو
زيادة في المرض على
القول الصحيح من
للذهب أو عند حاجته

أن المجوم عليه يمد من الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا ماقص للمعالة وهذا من حيث النقل
أيضا غامض لتجاذب الأبياء ومن حيث النقل أيضا غامض لأن ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع
في مثل هذا وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من
إقدام على الأكل كما كل أبي هريرة رضي الله عنه طعام معاوية مثلا إن قدر في جملة ما في يده حرام فذلك
أيضا يحتمل أن يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانة أن عين ما يأكله من وجه مباح للأفصال في هذا
ضمنية الدلالة ومذاهب العلماء للتأخرين مختلفة حتى قال بعضهم لو أعطاني السلطان شيئا لأخذته وطرد
الإباحة فيها إذا كان الأكل أيضا حراما منها لمصرف عين للأخذ واحتمل أن يكون حلالا واستدل
بأخذ بعض السلف جواهر السلاطين كما سيأتي في باب بيان أموال السلاطين فأما إذا كان الحرام هو الأقل
واحتمل أن لا يكون موجودا في الحال لم يكن الأكل حراما وإن تحقق وجوده في الحال كما في مسئلة
اقتناء الذبابة باليتة فهذا مما لا أدري ما أقول فيه وهو من التشابهات التي يتجرى للفقهاء فيها لأنها مترددة
بين مشابهة المصور وغير المصور والرضية إذا اشبهت بقرية فيها عشرين سنة وجب الاجتناب وإن
كان يملأ فيها عشرة آلاف لم يجب وبينهما أعداد ولوسلت عنها لكن لا أدري ما أقول فيها ولقد
توقف العلماء في مسائل هي أوضح من هذه أنزل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى ميذا فوقع
في ملك غيره أيكون الصيد للرامي أو لملك الأرض قال لا أدري فروجع فيه مرات قال لا أدري
وكثيرا من ذلك حكينا عن السلف في كتاب العلم فليقطع للفقهاء طمعه عن ذلك الحكم في جميع الصور
وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما يماثلون السلاطين فقال إن لم يماثلوا سوى
السلطان فلا تعاملهم وإن عاملوا السلطان وغيره فعاملهم وهذا يدل على الساحة في الأقل ويحتمل
الساحة في الأكثر أيضا وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهجون بالكيفية تعامله القصاب والحجاز
والتاجر لتعامله عقد واحد أو فاسدا أو لمعامله السلطان مرة وتقدر بذلك فيه بعد والمسئلة مشكلة في نفسها
فان قيل فقد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رخص فيه وقال خذ ما يطعك السلطان فأما
يطعك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام وسئل ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك
قال له السائل إن لي جارا لا أعلمه إلا خبيثا يدعوننا أو نحتاج فنستسلمه فقال إذا دعاك فأجبه وإذا
احتجت فاستسلمه فان لك الهنا وعليه الأثم وأفق سلمان بثل ذلك وقد علل على بالكثرة وعلل ابن
مسعود رضي الله عنه بطريق الإشارة بأن عليه الأثم لأنه يعرفه ولك الهنا أي أنت لا تعرفه . وروى
أنه قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه إن لي جارا يأكل الربا فيدعوننا إلى طعامه أفأتيه فقال نعم
وروى في ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه روايات كثيرة مختلفة وأخذ الشافعي ومالك رضي الله
عنهما جواز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالف ما ملهم الحرام . قلنا أما ما روى عن علي رضي
الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فانه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه
ولا يكون له إلا قبض واحد في وقت القتل لا يجذبه غيره ولست أنكر أن رخصته صريح في الجواز
وفسه يحتمل للورع ولكنه لو صرح فقال السلطان له حكم آخر فانه يحكم كثره يكاد يلتحق بما
لا يحصر وسيأتي بيان ذلك وكذا فعل الشافعي ومالك رضي الله عنهما متعلق بمال السلطان وسيأتي
حكمه وإنما كلامنا في آحاد الخلق وأموالهم قرية من الحصر وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه فقبل
إنه إنما نقله خوات التيمي وانه ضعيف الحفظ والشهور عنه ما يدل على توقي الشبهات إذ قال لا يقولن
أحدكم أخاف وأرجو فان الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات فذرع ما يريك إلى ما لا يريك
وقال اجتنبوا المحاكمات فيها الاسم . فان قيل فلم قلت إذا كان الأكل حراما لم يجز الأخذ مع أن

لأخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك حتى إن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والسكرتة توجب ظنا مرسلًا لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثروا الحرام ولا يجوز أن يستدل على هذا بمسوم قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لأنه مخصوص ببعض المواضع بالافتقار وهو أن يريه بعلامه في عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فإن ذلك يوجب رية ومع ذلك قطعتم بأنه لا يحرم . فالجواب أن اليد دلالة صريحة كالاستصحاب وإنما تؤثر إذا سلت عن معارض قوى فإذا تحققنا الاختلاط وتحققنا أن الحرام المالحظ موجود في الحال والمال غير خال عنه وتحققنا أن الأكثروا الحرام وذلك في حق شخص معين يد ب ماله من المحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم يحمل عليه قوله عليه السلام «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لا يقي له حمل إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور إذ كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا يصدقه على أي موضع حمل. هذا كان هذا في معناه وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فإن تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحاب والسكرتة تأثير في تحقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمعا حتى قال أبو حنيفة رضي الله عنه لا تجزئ إلا إذا كان الظاهر هو الأكثروا فاشتراط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة السكرتة ومن قال يأخذ أي آية أراد بلا اجتهد بناء على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب أيضا فيلزمه التجوز هنا بمجرد علامة اليد ولا يجري ذلك في بول اشتبه بماء إذ لا استصحاب فيه ولا نظره أيضا في ميتة اشتبهت بذكاة إذ لا استصحاب في الميتة واليد لا تدل على أنه غير ميتة وتدل في الطعام للباح على أنه ملك فهنا أربع متعلقات استصحاب وقعة في المخلوط أو كثرة وانحصار أو اتساع في المخلوط وعلامة خاصة في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن ينقل عن مجموع الأربعة ربما يخلط فيشبه بعض المسائل بما لا يشبهه فحصل مما ذكرناه أن المختلط في ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثروا أو أقله وكل واحد إما أن يعلم يقين أو يظن عن علامة أو توهم فالسؤال يجب في موضعين وهو أن يكون الحرام أكثروا يقينا أو ظنا كالرأي رأي تركيا مجهولا بحتم أن يكون كل ماله من غنمية وإن كان الأقل معلوما باليقين فهو محل التوقف وتكاد تيسر سير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الليل إلى الرخصة وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال غير واجب فيها أصلا . مسئلة : إذا حضر طعام إنسان علم أنه دخل في يده حرام من أدران كان قد أخذه أو وجه آخر ولا يدري أنه بقي إلى الآن أم لا ؟ فله الأكل ولا يلزمه التفتيش وإنما التفتيش فيه من الورع ولو علم أنه قد بقي منه شيء ولكن لم يدر أنه الأقل أو الأكثر فله أن يأخذ بأنه الأقل وقد سبق أن أمر الأقل مشكل وهذا يقرب منه . مسئلة : إذا كان في بدلتولي للخيرات أو الأوقاف أو الوصايا مالان يستحق هوا أحدهما ولا يستحق الثاني لأنه غير موصوف بتلك الصفة فهل له أن يأخذ ما يملكه إليه صاحب الوقت فنظر، فإن كانت تلك الصفة ظاهرة يرفعها للتولي وكان التولي ظاهر العدالة فله أن يأخذ بشير بحث لأن الظن بالتولي أنه لا يصرف إليه ما يصرفه إلا من المال الذي يستحقه وإن كانت الصفة خفية وإن كان للتولي ممن عرف حاله أنه يخلط ولا يبالى كيف يفعل فعليه السؤال إذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يعول عليه وهو وزان مؤل الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والمدية عند تردده فهما لأن اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينجي منه إلا السؤال فإن السؤال حيث أسقطناه في المجهول أسقطناه بعلامه اليد والإسلام حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لحامن ذي حتم واحتمل أن يكون مجوسا لم يجز له ما لم يعرف أنه مسلم إذ اليد

إلى الماء للوجود لسطته
أو عطش دأته أو
ريقته في هذه الأحوال
كلها يصلى بالتييم
ولا إعادة عليه والخائف
من البرد يصلى بالتييم
وبعيد الصلاة على
الأصم ولا يجوز التيمم
إلا بشرط الطلب للماء
في مواضع الطلب
ومواضع الطلب مواضع
تردد للسافر في منزله
للاحتياط والاحتشاش
ويكون الطلب بعد
دخول الوقت والسفر
التصريح بذلك كالطول
وإن صلى بالتييم مع
تيقن الماء في آخر
الوقت جاز على الأصح
ولا يبعد مهما صلى
بالتييم وإن كان الوقت
باقيا ومهما توهم وجود
الماء بطل تيممه كالإذا
طلع ركب أو غير ذلك
وإن رأى الماء في أثناء
الصلاة لا يبطل صلاته
ولا تلزمه إعادة
ويستحب له الخروج
منها واستئذانها بالوضوء
على الأصح ولا يتييم

لاتدل في الميتة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين فيجوز أن يظن بالذي ليس فيه علامة السكر أنه مسلم وإن كان الخطأ ممكناً فيه فلا ينبغي أن تتلبس اللوازم التي تشهد فيها اليد والحال بالتي لاتشهد . مسئلة : له أن يشتري في البلد داراً وإن علم أنها تشتمل على دور منصوبة لأن ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وإن كان في سكة عشر دور مثلاً إحداها منصوب أو وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز وبحسب البحث عنه ومن دخل بلدة وفيها رباطات خصص بوقفها أرباب المذاهب وهو على منذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له أن يسكن أيها شاء وبأكل من وقفها بغير سؤال لأن ذلك من باب اختلاط المحصور فلا بد من التميز ولا يجوز المجامع مع الإيهام لأن الرباطات وللدارس في البلد لابد أن تكون محصورة . مسئلة : حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غضبه وإنما أوجبنا السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالي بنضب مثله إذ يجب إغناء الظالم بأكثر من ذلك والقالب أن مثل هذا لا ينضب من السؤال ، نعم إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسأل مهما استراب لأنهم لا ينضوبون من سؤاله ولأن عليه أن يسأل ليمسهم طريق الحلال ولذلك سأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر من سقاء من إبل الصدقة وسأل أبا هريرة رضي الله عنه أيضاً لما أن قدم عليه بمال كثير فقال وحك أكل هذا طيب من حيث إنه تعجب من كثرتة وكان هو من رعيته لاسماً وقد رفق في صيغة السؤال وكذلك قال على رضي الله عنه ليس شيء أحب إلى الله تعالى من عدل إمام ورعه ولا شيء أبغض إليه من جوره وخرقه . مسئلة : قال الحرث المحاسبي رحمه الله لو كان له صديق أو أخ وهو بأمن غضبه لوسأله فلا ينبغي أن يسأله لأجل الورع لأنه ربما يدعوله ما كان مستورا عنه فيكون قد حمل على هتك السر ثم يؤدي ذلك إلى البغضاء وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لامن الوجوب فالورع في مثل هذه الأمور الاحتراز عن هتك السر وإثارة البغضاء أهم وزاد على هذا فقال وإن رآه منه شيء أيضاً لم يسأله ويظن به أنه يطعمه من الطيب ويحببه الحديث فلن كان لا يطمئن قلبه إليه فيحتجز متلعطاً ولا يهتك سره بالسؤال قال لأنني لم أرا أحداً من العلماء فعله فهذا منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل على مسامحة فيها إذا خالط للمال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لاعتد التحقيق لأن لفظ الزرية يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فإبراع هذه الدقائق بالسؤال . مسئلة : ربما يقول القائل أي فائدة في السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فإن وثق بأمانته فليقتل بدياته في الحلال . فأقول مهما علم مخالطة الحرام لمال إنسان وكان له غرض في حضورك ضيافته أو قبولك هديته فلا تحصل التهمة بقوله فلا فائدة للسؤال منه فليقتل أن يسأل من غيره وكذا إن كان يابغاه وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا تحصل التهمة بقوله إنه حلال ولا فائدة في السؤال منه وإنما يسأل من غيره . وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن منهما كما يسأل التولي على المال الذي يسأله أنه من أي جهة وكأ سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فإن ذلك لا يؤدي ولا يهزم القائل فيه وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدرى طريق كسب الحلال فلا يثبت في قوله إذا أخبر عن طريق صحيح وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فهنا يفيد السؤال فإذا كان صاحب المال منهما فليسا من غيره فإذا أخبره عدل واحد قبله وإن أخبره فاسق يعلم من قربته حاله أنه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قوله لأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس وقد حصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض الأحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من

تفرض قبل دخول الوقت ويقيم لكل فرصة ويصل مهما شاء من التوافل يقيم ولحد ولا يجوز أداء التفرض بقيم النافقة ومن لم يجد ماء ولا ربا يصل ويبعد عند وجود أحدهما ولكن إن كان محدثاً لا يمس للصخب وإن كان جنباً لا يقرأ القرآن في الصلاة بل يذكر الله تعالى عوض القراءة ولا يقيم إلا بتراب طاهر غير خالط للرمل والجص ويجوز بالتباعد على ظهر الحيوان والثوب ويسمى الله تعالى عند التيمم وينوي استباحة الصلاة قبل ضرب البس على التراب وضم أصابعه لفرضه الوجه ويمسح بجميع الوجه فلو بقي شيء من محل الفرض غير مسح لايصح التيمم وضرب ضربة للدين مبسوطة الأصابع ويمسح بالتراب محل الفرض

تري الدالة في ظاهره بصدق وإنما نيطت الشهادة لعدالة الطاهرة لضرورة الحكم فإن البواطن لا يطلع عليها وقد قيل أبو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق وكمن شخص تعرفه وتعرف أنه قد يقتنع العاصي ثم إذا أخبرك بشيء وثقت به وكذلك إذا أخبر به صبي مميز بمن عرفته بالثبوت قد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتدال عليه فأما إذا أخبر به مجهول لا يدري من حاله شيء أصلاً فهذا ممن جوزنا الأكل من يده لأن يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال إسلامه دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يغلو قوله عن أثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة تفيد ظناً قوياً إلا أن أثر الواحد فيه في غاية الضعف فلينظر إلى حد تأثيره في القلب فإن النقي هو القلب في مثل هذا الوضع والقلب التضائعات إلى فرائض خفية يضيئ عنها نطاق النطق فليأمل فيه ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روى عن عقبة بن الحرث « أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني تزوجت امرأة فجات أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهي كاذبة فقال دعها فقال إنها سوداء يسفر من شأنها فقال عليه السلام فكيف وقد زعمت أنها قد أرضعتنا لا خير لك فيها دعها عنك ^(١) » وفي لفظ آخر كيف وقد قيل « ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر أمارة غرضه فيه كان له وقع في القلب بالحاجة لذلك بتأكده الأمر بالاحتراز فإن اطمأن إليه القلب كان الاحتراز حتماً واجباً . مسألة : حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تماثلوا وكذا قول فاسقين ويجوز أن ترجح في قلبه قول أحد العدلين أو أحد الفاسقين ويجوز أن ترجح أحد الجانبين بالكثرة أو بالاختصاص بالخبرة واللعرفة وذلك مما يتشعب تصويره . مسألة : لو نهب متاع مخصوص صادف من ذلك النوع متاعاً في يد إنسان وأراد أن يشتريه واحتمل أن لا يكون من للتصوب فإن كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع وإن كان الرجل مجهولاً لا يعرف منه شيئاً فإن كان يكتنوع ذلك للتاع من غير للتصوب لله أن يشتري وإن كان لا يوجد ذلك للتاع في تلك البقعة إلا نادراً وإنما أكثر بسبب التصب فليس يدل على الحل إلا البعد وقد عارضته علامة خاصة من شكل التاع ونوعه فالمتاع عن شرائه من الورع اللهم ولكن الوجوب فيه نظر فإن العلامة متعارضة ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم إلا أن أردّه إلى قلب المستفت لينظر ما الأقوى في نفسه فإن كان الأقوى أنه منصوب لزم تركه وإلا حله شراً وهو أكثر هذه الوقائع يتبس الأمر فيها فهي من للتشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقها قد استبرأ لمرته ودينه ومن اتحمها قد حارم حول الحمى وخاطر نفسه . مسألة : لو قال قائل قد سألت رسول الله ^(صلى الله عليه وسلم) عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة فسأل عن الشاة من أين هي فذكر له فسكت عن السؤال ^(٢) . فيجب السؤال عن أصل ذلك أم لا وإن وجب فمن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة وما الضبط فيه ؟ فأقول لا ضبط فيقول لا تدبر لينظر إلى الرية للتفتية للسؤال إملاً جوباً أو ورعاً ولا غاية للسؤال إلا بحيث تقطع الرية للتفتية وذلك يختلف باختلاف الأحوال فإن كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فإن قال اشترت اقطع بسؤال واحد وإن قال من شاة وقع الشك في الشاة فإذا قال اشترت اقطع وإن كانت الرية من الظلم وذلك مما في أيدي العرب ويؤلف في أيديهم للتصوب فلا تقطع الرية بقوله إنه من شاة ولا يقوله إن الشاة ولدتها شاة فإن أسنده إلى الورثة من أبيه وحالة أبيه مجهولة اقطع السؤال وإن كان يعلم أن جميع مال أبيه حرام

(١) حديث عقبة بن الحرث (٢) حديث سأل رسول الله ^(صلى الله عليه وسلم) عن لبن قد قدم إليه الحديث تخمس في الباب الخامس من آداب الكسب والمال .

وإن لم يقدر إلا بضربين فصاعداً كيف أمكنه لا بد أن يتم التراب محل القرض ويسمح إذا فرغ إحدى الراتين بالأخرى حتى تصيراً محسنتين ويمر البعد على ما نزل من اللعبة من غير إصالح التراب إلى الثابت . وأما للسح : فيسح على الخف ثلاثة أيام ولياليهن في السفر والقيم يوماً وليلاً وابتداء لليلة من حين الحديث بدلبس الخف من حين لبس الخف ولا حاجة إلى التيقن لبس الخف بل يحتاج إلى كمال الطهارة حتى لو لبس أحد الخفين قبل غسل الرجل الأخرى لا يصح أن يسح على الخف ويشترط في الخف إمكان متابعة الشاة عليه وستر محل القرض ويكفي مسح يسير من أعلى الخف والأولى مسح أعلاه وأسفله

فقد ظهر التحريم وإن كان يعلم أن أكثره حرام فبكرة التواله وطول الزمان وتطرق الإرث إليه لا يغير حكمه فليست هذه العائى . مسألة : سئلت عن جماعة من سكان خاقان الصوفية وفي يد خادهم الذى يقدم إليهم الطعام وفقت على ذلك السكن ووقف آخر على جهة أخرى غير هؤلاء وهو يخلط السك ويشتق على هؤلاء وهؤلاء فأكل طعامه حلالاً وأحراماً أوشبه . فقلت إن هذا يلتفت إلى سبعة أصول . الأصل الأول : أن الطعام الذى يقدم إليهم في الغالب يشتري بالمطاعة والذى اختارته صحة للمطاعة لاسيما في الأطعمة والسعقرات فليس في هذا لإشبهه الخلاف . الأصل الثانى : أن ينظر أن الخادم هل يشتريه بين المال الحرام أو فى الذمة فإن اشتراه بين المال الحرام فهو حرام وإن لم يعرف فالغالب أنه يشتري فى الذمة ويجوز الأخذ بالغالب ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بريد وهو شراؤه بين مال حرام . الأصل الثالث : أنه من يشتريه فإن اشترى ممن أكثر حاله حرام لم يجز وإن كان أقل ماله فقه فظهر قد سبق وإذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشتريه ممن ماله حلال أو ممن لا يدرى للشترى حاله يمين كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لأن ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال . الأصل الرابع : أن يشتريه لنفسه أو للقوم فإن التولى والخادم كالنائب وله أن يشتري له ونفسه ولكن يكون ذلك بالية أو صريح اللفظ وإذا كان الشراء يجرى بالمطاعة فلا يجرى اللفظ والغالب أنه لا ينشأ عند للمطاعة والتصاب والحجاز ومن يماهله يحول عليه ويقصد البيع منه لا يمين لا يحضرون فيقع عن جبهته ويدخل في ملكه وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن ثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم . الأصل الخامس : أن الخادم يقدم الطعام إليهم فلا يمكن أن يحصل ضيافة وهدية بغير عوض فانه لا يرضى بذلك وإنما يقدم اعتياداً على عوضه من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا إقراض لأنه لو انتفىض لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فأشبهه أصل ينزل عليه هذه الحالة الحدية بشرط الثواب أى هدية لالفت فيها من شخص تقتضى قرينة حاله أنه يطعم في ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وههنا ما طمع الخادم في أن يأخذ ثواباً فيما قدمه لإحترامه من الوقف ليقضى به دينه من الحجاز والتصاب والبقال فهذا ليس بقيمة إذ لا يشترط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب ولا بملااة بقول من لا يصحح هدية في انتظار ثواب . الأصل السادس : أن الثواب الذى يلزم فيه خلاف قيل إنه أقل ممتول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى أنه لا يرضى بأضعاف القيمة والصحيح أنه يتبع رضاه فإذا لم يرض بحد عليه وههنا الخادم قد رضى بما يأخذ من حق السكان على الوقف فإن كان لهم من الحق بقدر ما أكلوه فقد تم الأمر وإن كان ناقصاً ورضى به الخادم صح أيضاً وإن علم أن الخادم لا يرضى لولا أن في يده الوقف الآخر الذى يأخذه بقوة هؤلاء السكان فمكانه رضى في الثواب بتقدير بضعه حلال وبضعه حرام والحرام لم يدخل في أيدي السكان فهذا كالحلل للتطرق إلى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وأنه متى يقتضى التحريم ومتى يقتضى الشبهة وهذا لا يقتضى تحريماً على ما فصلناه فلا تغلب الهدية حراماً يتوصل للهدى بسبب الهدية إلى حرام . الأصل السابع : أنه يقتضى دين الحجاز والتصاب والبقال من ربع الواقفين فإن وفى ما أخذ من حقهم بقيمة ما أعطاهم فقد صح الأمر وإن قصر عنه فرضى التصاب والحجاز بأى ثمن كان حراماً أو حلالاً فهذا لا يخلط تطرق إلى ثمن الطعام أيضاً فليفت إلى ما تقدمناه من الشراء فى الذمة ثم قضاه الثمن من الحرام هذا إذا علم أنه قضاه من حرام فإن احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة أبعد وقد خرج من هذا أن كل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بيمين الوريع لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرة أقوى

من غير تكرار ومق
لرفع حكم للصح
باغضام اللة أو ظهور
شئ من محل الفرض
وإن كان عليه لثافة
وهو على الطهارة يغسل
القدمين دون استئفاف
الوضوء على الأصح
وللناسخ في السفر إذا
أقام يمسح كالقيم
وهكذا القيم إذا سافر
يمسح كالسافر والبد
إذا ركب جوراً أو نعل
يجوز المسح عليه ويجوز
على للرج إذا ستر
محل الفرض ولا يجوز
على للنسوج وجهه
الذى يستر بعض القدم
به والباقي بالثافة .
فأما القصر والجلب
فيجمع بين الظاهر
والعصر في وقت أحدهما
ويقيم لكل واحدة
ولا يفضل بينهما بكلام
وغيره . وهكذا الجمع
بين القرب والعشاء
ولا قصر في القرب
والصبح بل يصليهما
كترشهما من غير
قصر وجمع . والسنة

في النفس كما أن الحبر إذا طال إسناده صار احتمال الكذب والفاط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من التناوي وإنما أوردناها ليعرف كيفية نخرج الوقائع للفتنة للفتنة وأنها كيف ترد إلى الأصول فإن ذلك مما يحسن عنه أكثر للفتن .

(الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن اللطام المالية)

اعلم أن من تاب وفي يده محتلة فلهية وظيفة في تمييز الحرام وإخراجه ووظيفة أخرى في مصرف المخرج فلينظر فيها .

(النظر الأول في كيفية التمييز والإخراج)

اعلم أن كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب أو ودية أو غيره فأمره سهل فلهية تمييز الحرام وإن كان ملتبساً محتاطاً فلا يغلو بما أن يكون في مال هومن ذوات الأثمان كالحبوب والنفود والأدهان وإنما أن يكون في أعيان متباعدة كالعيد والصور والياب فإن كان في التاللات أو كان شامها في المال كله كمن اكتسب للمال تجارة يعلم أنه قد كذب في بعضها في الرابحة وصدق في بعضها أو من غصب عنها وخلطه بدهن شبهه أو فلي ذلك في الحبوب والدرهم والدينارين فلا يغلو ذلك إما أن يكون معلوم القدر أو مجهولاً فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من حبة ماله حرام فلهية تمييز النصف وإن كان أشكل فله طريقان أحدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ بظالم الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه مكات الصلاة ونحن لا نجوز في الصلاة إلا الأخذ باليقين فإن الأصل اشتغال اللمة فيستحب ولا يغير إلا بعلامة قوية وليس في أعداد الركعات علامات يوثق بها وأما هنا فلا يمكن أن يقدّر الأصل أن ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بظالم الظن اجتهداً ولكن الورع في الأخذ باليقين فإن أراد الورع فطريق التحري والاجتهاد أن لا يستيق إلا القدر الذي يثبت أنه حلال وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلاً أن يكون في يده مال تجارة فسد بعضها فييقن أن النصف حلال وأن الثلث مثلاً حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بظالم الظن وهكذا طريق التحري في كل ما هو أن يقتنع القدر اللتين من الجانبين في الحال والحزمة والقدر للتردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه وإن غلب الحل جازله الامساك والورع إخراجه وإن شك فيه جاز الامساك والورع إخراجه وهذا الورع أكد لأنه صار مشكوكاً فيه وجاز إمساكه اعتماداً على أنه في يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضعيفاً بعد يقين اختلاط الحرام ومحملاً أن يقال الأصل التحريم ولا يأخذ إلا ما يظن على ظنه أنه حلال وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر وليس يثبت في في الحال ترجيح وهو من الشكوك . فإن قيل هب أنه أخذ باليقين لكن الذي يخرج ليس يدرى أنه عين الحرام فقلل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز أن يقال إذا اختلطت مئة بقس مذكرة فهي الحرام لله أن يطرح واحدة أي واحدة كانت ويأخذ الباقى ويستعمله ولكن يقال لعل اللمة فما استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم يحل لاحتمال أنها الحرام . فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا أن المال يحل بإخراج البذل لطرق المعاوضة إليه وأما اللمة فلا تطرق للمعاوضة إليها فليكشف الطلاء عن هذا الاشكال بالفرض في درهم معين اشبهه بدرهم آخر فيمنه درهمان أحدهما حرام قد اشبهه به وقد سئل أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن مثل هذا فقال يبيع السكك حتى يثبتين وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل إليه الرهنين آيتين وقال لأدري أيهما آتيتك فتركهما فقال للرهنين هذا هو الذي لك وإنما كنت أختبرك فقضى دينه ولم يأخذ

(الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن اللطام)

الرواتب يصلها بالبحر
بين السنتين قبل
القرضتين الظهر
والعصر وبعد الفراغ
من القرضتين يصل
ما يصل بعد القرض
من الظهر ركعتين
أو أربعاً وبعد
القصر من المغرب
والعشاء يؤدي السن
الرابعة لهما ويوزر
بدهما ، ولا يجوز أداء
القرض على الدابة
بحال إلا عند الاتهام
القتال للغزى ويجوز
ذلك في السن
الرواتب والتوافل
وتكفيه الصلاة على
ظهر الدابة وفي الركوع
والسجود الإيماء
ويكون إيماء السجود
أخفض من الركوع
إلا أن يكون قادراً
على التحمل مثل أن
يكون في محبرة وغير
ذلك ويقوم توجهه
إلى الطريق مقام
استقبال القبلة ولا
يوجهها إلى غير
الطريق إلا لضرورة

الرهن وهذا ورع ولسنا نقول إنه غير واجب فلنفرض المسئلة في درهم له مالك معين حاضر فقول إذا رد أحد الدرهمين عليه ورضى به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر لأنه لا يغلو بما أن يكون الردود في علم الله هو التآخوذ قد حصل للقصور وإن كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه فلا احتياط أن يبايما باللفظ فإن لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد الماطاة وإن كان النصب منه قد فات له درهم في يد القاص وعسر الوصول إلى عبته واستحق ضيائه فلأخذ وقع عن الضمان بمجرد القبض وهذا في جانبه واضح فإن الضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال في الجانب الآخر أنه لم يدخل في ملكه . فقول لأنه أيضا إن كان قد تسلم درهم نفسه قد فات له أيضا درهم في يد الآخر فليس يمكن الوصول إليه فهو كالتائب فيقع هذا بدلا عنه في علم الله إن كان الأمر كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله كما يقع التقاص لو أنفد رجلان كل واحد منهما درهما على صاحبه بل في عين مسئلتنا لو أنق كل واحد مافي يده في البحر أو أحرقه كأن قد أنفقه ولم يكن عليه عهدة الآخر بطريق التقاص فكذا إذا لم يتلف فإن القول بهذا أولى من التصير إلى أن من يأخذ درهما حراما ويطره في ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال معجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا الذهب يؤدي إليه فانظر مافي هذا من البعد وليس فيها ذكرناه إلا ترك اللفظ والماطاة يسع ومن لا يعملها يعا حيث يتطرق إليها احتمال إذ القمل يضعف دلالته حيث يمكن التلفظ وهما هذا التسليم والتسليم للبدالة قطعا والبيع غير ممكن لأن البيع غير مشار إليه ولا معلوم في عينه وقد يكون محال قبل البيع كالوخلط رطل دقيق بألف رطل دقيق لثيرة . وكذا الدبس والرطب وكل مالا يباع البعض منه بالبعض . فإن قيل فأنتم جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه يعا . قلنا لا نجعله يعا بل قول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك التلف عليه من الرطب إذا أخذ مثله هذا إذا ساعده صاحب المال فإن لم يساعده وأضر به وقال لا تأخذ درهما أصلا إلا بعين ملكي فإن استبهم فأتزكه ولأبيه وأعطاك عليك مالك . فأقول على القاضي أن ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فإن هذا محض التثبت والتضييق والتسرع لم يرد به فإن عجز عن القاضي ولم يجد فليحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فإن عجز فيقول هو بنفسه . ويغرد على نية الصرف إليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له الباقي وهذا في خلط اللبائث أظهر وأقوم . فإن قيل فينبغي أن يحل له الأخذ وينتقل الحق إلى ذمته فأى حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف في الباقي . قلنا قال قائلون يحل له أن يأخذ مادام يبقى قدر الحرم ولا يجوز أن يأخذ الكل ولو أخذ لم يجزه ذلك وقال آخرون ليس له أن يأخذ ما لم يخرج قدر الحرم بالتوبة وقصد الإبدال وقال آخرون يجوز للأخذ في التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يسطى فإن أعطى عصى هو دون الأخذ منه وما يجوز أحد أخذ الكل وذلك لأن المالك لو ظهر فله أن يأخذ حقه من هذه الجملة إذ يقول لعل المصروف إلى يميني حق وباليمين وإخراج حق الغير وتميزه يدفع هذا الاحتمال فهذا المال يرجع بهذا الاحتمال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم كما تقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك ما محتمل فيه رجوع المثل مقدم على ما محتمل فيه رجوع القيمة وما محتمل فيه رجوع العين يقدم على ما محتمل فيه رجوع المثل ولو جاز لهذا أن يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الآخر أن يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على فضاء حقه من موضع آخر إذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك أحدهما بأن يقدر قائما بأولى من الآخر لأن ينظر إلى الأقل فيقدر أنه فات فيه أو ينظر إلى الذي حاط فيجد لفضله متفقا لحق غير موكلاهما ببيان جدوا وهذا واضح في ذوات الأشكال فلإيهما تقع عوضا في الاتلافات من غير عقد فأما إذا اشتبه دار بدور أو عبد ببيد فلا يسيل إلى المصلحة والتراضي .

لو حرق دابته عن الصوب للتوجه إليه لا إلى نحو القبلة بطلت صلاته . ولما شى يتنقل في السفر ويقنه استقبال القبلة عند الإحرام ولا يجزئه في الإحرام إلا الاستقبال ويقنه الإيعاء للركوع والسجود وراكب الحاجة لا يحتاج إلى استقبال القبلة لإحرام أيضا . وإذا أصبح للسافر مقاما ثم سافر ضايه أمام ذلك اليوم في الصوم وهكذا إن أصبح مسافرا ثم أقام والصوم في السفر أفضل من الفطر وفي الصلاة القصر أفضل من الإتمام . فهذا القدر كاف للصوف أن يعلمه من حكم البيع في مهام سفره . فأما التدبؤ وللتحب فينبغي أن يطلب لنفسه رفقا في الطريق بينه على أمر الدين وقد قيل الرفيق ثم الطريق ونهى رسول الله صلى الله

فإن أبى أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه وأراد الآخر أن يوق عليه جميع ملكه فإن كانت متباينة القيم فالطريق أن يبيع القاضى جميع الدور ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أخص الدور وصرف إلى المتعنت منه مقدار قيمة الأقل ويوقف قدر التفاوت إلى البيان أو الاصطلاح لأنه مشكل وإن لم يوجد القاضى فللذى يريد الخلاص وفي هذه السلك أن يتولى ذلك بنفسه هدمهى السلعة وماعداها من الاحتمالات ضئيلة لأغناها وفيما سبق تنبيه على الملة وهذا في الخلطة ظاهر وفي التقود دونه وفي العروض أغمض إذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فذلك احتيج إلى البيع ولترسم مسائل يتربها بيان هذا الأصل . مسألة : إذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيقة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة ولو رد من الضيقة نصفها وهو قدر حقه ساهمه الورثة فإن النصف الذى لا يتميز حتى يقال هو الردود والباقي هو التصوب ولا يصير مجزا بنية السلطان وقصد حصر التصب في نصيب الآخرين . مسألة : إذا وقع في يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب وقال عتار وكان قد حصل منه ارتضاع فبينى أن يجب أجر مثله لطول تلك للذة وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدير أجر العبيد والخياب والأواني وأمثال ذلك مما لا يحتاج إيجازها مما يصير ولا يدر لك إلا الاجتهاد وتخمين وهكذا كل التوقعات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأقصى وما رجع على لئال التصوب في عقود عقدها على القيمة وقضى الثمن منه فهو ملك له ولكن فيه شبهة إذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وإن كان بأعيان تلك الأموال فالقود كانت فلسفة ، وقد قيل تنفذ بآجارة المنصوب منه للصلحة فيكون المنصوب منه أولى به والقياس أن تلك القود تنسخ وتسترد الثمن وترد الأعراس فإن عجز عنه لكثرته فهي أموال حرام حصلت في يده فللمنصوب منه قدر رأس ماله والفضل حرام يجب إخراجا ليصدق به ولا يحمل التناصب ولا للمنصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده . مسألة : من ورث مالا ولم يدر أن مورثه من أين اكتسبه أمن حلال أم من حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال باخفاق العلماء وإن علم أن فيه حراما وعك في قدره أخرج مقدار الحرام بالتحري فإن لم يعلم ذلك ولكن علم أن مورثه كان يتولى أعمالا للسلطين واحتمل أنه لم يكن يأخذ في عمله شيئا أو كان قد أخذ ولم يق في يده منه شيء لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم فيلزمه إخراج ذلك التقدر بالاجتهاد . وقال بعض العلماء : لا يلزمه والتمس على الورث واستدل بما روى أن رجلا من ولئ عمل السلطان مات فقال صحابى الآن طاب ماله أى لو ارثه وهذا ضئيل لأنه لم يذكر اسم الصحابى ولله صدر من متساهل فقد كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحمة الصعبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن أين يؤخذ هذا نعم إذا لم يثبت يجوز أن يقال هو غيب مأخوذ بالايدى فيطيب لو ارث لا يدرى أن فيه حراما يتينا .

(النظر الثاني في الصرف)

فإذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال : إما أن يكون له مالك معين فيجب الصرف إليه أو إلى وارثه وإن كان غالبا فينتظر حضوره أو الإيصال إليه وإن كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده إلى وقت حضوره وإما أن يكون لملك غير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه ولا يدرى أنه مات عن وارث أم لا فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك ويوقف حتى يتضح الأمر فيه وربما لا يمكن الرد لسكرة الملاك كغلول النخلة فانها بعد غرق النواة كيف يقدر على جمعهم وإن قدر فكيف يفرق دينار واحد على ألف

عليه وسلم أن يسافر الرجل وحده إلا أن يكون صوفيا طالما بأفة نفسه يختار الوحدة على بصيرة من أمره فلا بأس بالوحدة وإذا كانوا جماعة ينبغي أن يكون منهم أمير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمروا أحداكم » والذى يسميه الصوفية يشتر وهو الأمير وينبى أن يكون الأمير أزهد الجماعة في الدنيا وأوفر حظا من التقوى وأتمهم مروءة وسخاوة وأكثرهم شفقة . روى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه » قل عن عبد الله الروزى أن أباطى الرباطى حبه فقال على أن أكون أنا الأمير أو أنت فقال بل أنت فخرزل يحمل

أولفين فهذا يبني أن يصدق به وإما من مال الفداء والأموال للصدقة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك إلى القناطر والمساجد والرباطات ومساكن طريق مكة وأمثال هذه الأمور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الأول لأشبهه فبما اتصدق وبناء القناطر فيبني أن يتولاه القاضي فيسلم إليه المال إن وجد قاضيا متدينا وإن كان القاضي مستحلا فهو بالتسليم إليه ضامن لو ابتدأ به فبما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من أهل البلد طالما متدينا فإن التحكيم أولى من الانفراد فإن عجز فليتول ذلك بنفسه فإن التصود الصرف وأما عن الصرف فأنما نطلبه لمصارف دقيقة في المصالح فلا يترك أصل الصرف بسبب العجز عن صرف هو أولى عند القدرة عليه . فإن قيل ما دليل جواز التصديق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة إلى أن ذلك غير جائز لأنه حرام . وحكى عن التفضيل أنه وقع فيه درهمان فلما علم أنهما غير وجههما رماهما بين الحجارة وقال لا تصدق إلا بالطيب ولا أرضى بشيء مما لأرضاء لنفسى فتقول نعم ذلك وجه واحتمال وإنما اخترنا خلافه للخبر والأثر والقياس . أما الخبر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالثاء الصلية التي قدمت إليه فكلت يأنها حرام إذ قال صلى الله عليه وسلم أطعموها الأسارى (١) ولما نزل قوله تعالى - ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيبلون - كذبه للشركون وقالوا للصحابة ألا ترون ما يقول لصاحبكم زعم أن الروم سيغلب ، فضاخرهم أبو بكر رضى الله عنه بإذن رسول الله عليه وسلم فلما حقق الله صدقه وجاء أبو بكر رضى الله عنه بما قاهرهم به قال عليه الصلاة والسلام هذا سحت تصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله وكان قد نزل تحريم القمار بعد إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في المخاطرة مع الكفار (٢) وأما الأثر فان ابن مسعود رضى الله عنه اشترى جارية لم ينظر بها لكان ليقتد الحسن فطلبه كثيرا فلم يجد فتصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه إن رضى وإلا فالأجر لى ، وسئل الحسن رضى الله عنه عن توبة الغال وما يؤخذ منه بعد غرق الجيش فقال يتصدق به . وروى أن رجلا سئل له نفسه قتل سافة دينار من التهمة ثم أتى أسيره ليردها عليه فأبى أن يقبضها وقال له خرق الناس فأبى معاوية فأبى أن يقبض فأبى بعض السالك فقال ادفع خمسها إلى معاوية وتصدق بما بقى فبلغ معاوية قوله فتلطف إذ لم يخطر له ذلك ، وقد ذهب أحمد بن حنبل والحارث المحامسى وجماعة من أئمة الحديث إلى ذلك . وأما القياس فهو أن يقال إن هذا المال مرددين أن يضيع وبين أن يصر إلى خير إلا أنه وقع اليأس من مالكة وبالضرورة يعلم أن صرفه إلى خير أولى من إلقائه في البحر فأن إن رميناه في البحر فقد فوتاه على أنفسنا وعلى المالكة ولم نحصل منه فائدة وإذا رميناه في يد قدير يدعو مالكة حصل للمالك بركة دعاه وحصل للفقير سداجته وحصول الأجر فلما كثر خبر اختياره في التصديق لا يبنى أن ينكر

(١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالثاء الصلية التي قدمت بين يديه وكلمته بأنها حرام إذ قال أطعموها الأسارى أحمد بن حنبل حديث رجل من الأنصار قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما رجنا لقينا راحى امرأة من قريش فقال إن فلانة تدعوك ومن معك إلى طعام الحديث وفيه قتال أجدلهم غاة أخذت بشير إذ نأهلهما وفيه قتال أطعموها الأسارى وإسناده جيد (٢) حديث غاطرة أنى بكر الشركين بأذنه صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى - ألم غلبت الروم - وفيه قتال مسلم . الله عليه وسلم هذا سحت تصدق به البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن عباس وليس فيه أن ذلك كان بأذنه صلى الله عليه وسلم والحديث عند الترمذى وحسنه الحاكم ومعه دون قوله أيضا هذا سحت تصدق به .

أفراد نفسه ولا يلى على ظهره وأمنطرت السماء ذات ليلة قام عبد الله طول الليل على رأس رقيقه يضعه بكسائه عن اللطو وكذا قال لا تعمل خول الست الأمير عليك الاتياد والطاعة فأما إن كان الأمير يصحب الفقراء لمبة الاستبغاع وطلب الرياسة والتزلف ليلسلط على الخدم في الربط ويبلغ نفسه هو لها فهذا طريق أرباب الهوى الجهال اللبائين لطريق الصوفية وهو سبيل من يريد جمع الدنيا فليخذ لنفسه رقتا مائتين إلى الدنيا يجمعون لحصيل أغراض النفس والدخول على أبناء الدنيا والظلمة فتوصل إلى تحصيل مأرب النفس ولا يخلو اجتماعهم هذا عن الخوض في النية والدخول في المداخل المكروهة والتعلق

فإن في الخبر الصحيح « إن للزارع والغارس أجرا في كل ما يصبیه الناس والطيور من ثماره وزرعه »^(١) وذلك بغير اختياره ، وأما قول القائل لا تصدق إلا بالطيب فذلك إذا طلبنا الأجر لأتقنا ونحن الآن نطلب الخلاص من الظلمة لا الأجر وتردنا بين التضييع وبين التصديق ورجعنا جانب التصديق على جانب التضييع ، وقول القائل لا ترضى لغيرنا ما لا نرضاه لأتقنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستثنائنا عنه ولفقير حلال إذا أحله دليل التبرع وإذا اقتضت الصلعة التحليل وجب التحليل وإذا حل فقد رخصنا له الحلال ، وقول إن له أن يصدق على نفسه وعياله إذا كان فقيرا . أما عياله وأهله فلا يعني لأن الفقر لا يثبت فيهم بكونهم من عياله وأهله بل هم أولى من يصدق عليهم وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لأنه أيضا فقير ولو تصدق به على فقير لجاز وكذا إذا كان هو الفقير ، ولترسم في بيان هذا الأصل أيضا مسائل - مسألة : إذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرد إلى السلطان فهو أعلم بما تولاه فيقلبه ما قلله وهو خير من أن يصدق به واختار المحاسبي ذلك وقال كيف يصدق به فقل له مالك مينا ولو جاز ذلك لجاز أن يسرق من السلطان ويتصدق به ، وقال قوم يصدق به إذا علم أن السلطان لا يردده إلى المالك لأن ذلك إغانة للظالم وتكرير لأسباب ظلمه فالرد إليه تضييع لحق المالك ، والمختار أنه إذا علم من عادة السلطان أنه لا يردده إلى مالكه فيصدق به عن مالكه فهو خير للمالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان لأنه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق السليين فردة على السلطان تضييع فإن كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع وإغانة للسلطان الظالم وتحويل لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر فإذا وقع في يده من ميراث ولم يعد هو بالأخذ من السلطان فإنه يشبه بالظلمة التي ليس عن معرفة صاحبه إذ لم يكن له أن يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له أن يملكها ثم وإن كان غنيا من حيث إنه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصديق . مسألة : إذا حصل في يده مال لا مالك له وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب أسرار الزكاة ، فقد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وإن قدر على شراء ضيعة أو تجارة يكتب بها للعائلة فعل وهذا ما اختاره المحاسبي ولكنه قال الأولى أن يصدق بالكل إن وجد من نفسه قوة التوكل ويتنظر لطف الله تعالى في الحلال فإن لم يجد فله أن يشتري ضيعة أو يشتد رأس مال يمشي بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا أمسك ذلك اليوم عنه فإذا بقي عاد إليه فإذا وجد حلالا مينا تصدق بمثل ما أتقنه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم إنه يأكل الحبز ويترك اللحم إن قوى عليه وإلا أكل اللحم من غير تيم وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جل ما أتقنه قرضا عنده فيه نظر ولا شك في أن الورع أن يجعله قرضا فإذا وجد حلالا تصدق بمثل ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يصدق به عليه فلا يبعد أن لا يجب عليه أيضا إذا أخذه لفقره لاسبا إذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متدينا بصبه وكسبه حتى يملك الأمر عليه فيه . مسألة : إذا كان في يده حلال وحرام أو غيبة وليس بغضل الكل عن حاجته فإذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لأن الحاجة عليه أو كد في نفسه منه في عبده وعياله وأولاده الصغار والكبار من الأولاد يحرصهم من الحرام إن كان لا يفيض بهم إلى ما هو أشد منه فإن أفضى فيقطعهم بقدر الحاجة وبالجملة كل ما عذرته في غيره فهو محذور في نفسه وتزويده وهو أنه يتناول مع العلم والبالر بما تصدق إذا

(١) حديث أجرة الزارع والغارس في كل ما يصبى الناس والطيور البخاري من حديث أنس مامن مسلم يفرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له صدقة .

الربط والاستمتاع
والترعة وكلما كثر
العلوم في الرباط أطالوا
للقام وإن تصدرت
أسباب الدين وكلما قل
العلوم رحلوا وإن
تيسرت أسباب الدين
وليس هذا طريق
الصوفية ومن السحب
أن يودع إخوانه إذا
أراد السفر ويدعو لهم
بدهاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم . قال
بعضهم محبت عبد الله
ابن عمر من مكة إلى
المدينة فلما أردت
مفارقتها شيخني وقال
صحت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
قال لقمان لابنه يا بني
إن الله تعالى إذا
استودع شيئا حفظه
وإن استودع الله
دينك وأمانتك
وخواتيم عملك . وروى
زيد بن أرقم عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال وإذا أراد
أحدكم سفرا فليودع
إخوانه فإن الله تعالى

لم نعلم إذ لم تتول الأمر بنفسها قليداً بالحلال بنفسه ثم بمن يقول وإذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤمنين كأجرة الحجام والصابغ والقصار والحال والاطلاء بالثورة والدهن وحمارة للزول وتهدم الدابة وتسيير التنور وتحن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فإن ما يتعلق بيده ولاغنى به عنه هو أولى بأن يكون علياً وإذا دار الأمر بين القوت واللباس فيحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال لأنه منجز بلحمه ودمه وكل لحم ثبت من حرام فالنار أولى به وأما الكسوة فقادت ستر عورته ودفع الحر والبرد والإبصار عن بشرته وهذا هو الأنظهر عندى وقال الحرث المحاسبي يقدم اللباس لأنه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روى أنه « لا يغبل الله صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة دراهم فيها درهم حرام ^(١) » وهذا محتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام ^(٢) فإفراغة الهم والاعظم أن يثبت من الحلال أولى ولذلك تقياً الصديق رضى الله عنه ماشر به مع الجهل حتى لا يثبت منه لحم يثبت ويقي . فإن قيل فإذا كان السكل منصرفاً إلى أغراضه فأى فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهه وما مدرك هذا الفرق . قلنا : عرف ذلك بما روى أن رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف ناضحاً وعبدًا حجاً ما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قهى عن كسب الحجام فروج صرات فنع منه قبيل إن له إيتاماً قال أعلفوه الناضح ^(٣) فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو أوداته فإذا انتفع سيل الفرقى قصص عليه التفصيل الذى ذكرناه . مسئلة : الحرام الذى في يده لو تسدى به على الفقراء هل أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيّق ماقدّم وما أنفق على عياله فليقتصد وليكس وسطاً بين التوسيع والتضييق فيكون الأمر على ثلاث مراتب فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو قدير فليوسع عليه وإن كان غنياً فلا يطمعه إلا إذا كان في برة أو قدم ليلاً ولم يجد شيئاً فإنه في ذلك الوقت قدير وإن كان المقبر الذى حضر ضيفاً قوياً لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الحداد فلا يبنى أن يكرم أخاه بما يكره ولا يبنى أن يقول على أنه لا يدري فلا يضره فإن الحرام إذا حصل في اللصة أثر في قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ولذلك تقياً أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أفتينا بأنه حلال للفقراء أحلتنا بحكم الحاجة إليه فهو كالخنزى والحرام إذا أحلتنا بالضرورة فلا يلتحق بالطيّات مسئلة : إذا كان الحرام أو الشبهة في يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا سيخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينأىهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى فإن كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاها بل هو واجب فليتطلف في الامتناع فإن لم يقدر فليوافق وليقل الأكل بأن يصغر القمعة ويطيّل اللضع ولا يتوسع فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأن حقهما أيضاً مؤكد وكذلك إذا ألبسته أمه ثوباً من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل

(١) حديث لا تغبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة دراهم وفيها درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم (٢) حديث الجسد نبت من حرام تقدم (٣) حديث أن رافع بن خديج مات وخلف ناضحاً وعبدًا حجاً ما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قهى عن كسب الحجام فروج صرات فنع منه قبيل إن له إيتاماً قال أعلفوه الناضح (٤) فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو أوداته فإذا انتفع سيل الفرقى قصص عليه التفصيل الذى ذكرناه . مسئلة : الحرام الذى في يده لو تسدى به على الفقراء هل أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيّق ماقدّم وما أنفق على عياله فليقتصد وليكس وسطاً بين التوسيع والتضييق فيكون الأمر على ثلاث مراتب فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو قدير فليوسع عليه وإن كان غنياً فلا يطمعه إلا إذا كان في برة أو قدم ليلاً ولم يجد شيئاً فإنه في ذلك الوقت قدير وإن كان المقبر الذى حضر ضيفاً قوياً لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الحداد فلا يبنى أن يكرم أخاه بما يكره ولا يبنى أن يقول على أنه لا يدري فلا يضره فإن الحرام إذا حصل في اللصة أثر في قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ولذلك تقياً أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أفتينا بأنه حلال للفقراء أحلتنا بحكم الحاجة إليه فهو كالخنزى والحرام إذا أحلتنا بالضرورة فلا يلتحق بالطيّات مسئلة : إذا كان الحرام أو الشبهة في يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا سيخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينأىهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى فإن كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاها بل هو واجب فليتطلف في الامتناع فإن لم يقدر فليوافق وليقل الأكل بأن يصغر القمعة ويطيّل اللضع ولا يتوسع فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأن حقهما أيضاً مؤكد وكذلك إذا ألبسته أمه ثوباً من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل

(١) حديث لا تغبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة دراهم وفيها درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم (٢) حديث الجسد نبت من حرام تقدم (٣) حديث أن رافع بن خديج مات وخلف ناضحاً وعبدًا حجاً ما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قهى عن كسب الحجام فروج صرات فنع منه قبيل إن له إيتاماً قال أعلفوه الناضح (٤) فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو أوداته فإذا انتفع سيل الفرقى قصص عليه التفصيل الذى ذكرناه . مسئلة : الحرام الذى في يده لو تسدى به على الفقراء هل أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيّق ماقدّم وما أنفق على عياله فليقتصد وليكس وسطاً بين التوسيع والتضييق فيكون الأمر على ثلاث مراتب فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو قدير فليوسع عليه وإن كان غنياً فلا يطمعه إلا إذا كان في برة أو قدم ليلاً ولم يجد شيئاً فإنه في ذلك الوقت قدير وإن كان المقبر الذى حضر ضيفاً قوياً لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الحداد فلا يبنى أن يكرم أخاه بما يكره ولا يبنى أن يقول على أنه لا يدري فلا يضره فإن الحرام إذا حصل في اللصة أثر في قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ولذلك تقياً أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أفتينا بأنه حلال للفقراء أحلتنا بحكم الحاجة إليه فهو كالخنزى والحرام إذا أحلتنا بالضرورة فلا يلتحق بالطيّات مسئلة : إذا كان الحرام أو الشبهة في يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا سيخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينأىهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى فإن كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاها بل هو واجب فليتطلف في الامتناع فإن لم يقدر فليوافق وليقل الأكل بأن يصغر القمعة ويطيّل اللضع ولا يتوسع فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأن حقهما أيضاً مؤكد وكذلك إذا ألبسته أمه ثوباً من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل

(١) حديث لا تغبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة دراهم وفيها درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم (٢) حديث الجسد نبت من حرام تقدم (٣) حديث أن رافع بن خديج مات وخلف ناضحاً وعبدًا حجاً ما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قهى عن كسب الحجام فروج صرات فنع منه قبيل إن له إيتاماً قال أعلفوه الناضح (٤) فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو أوداته فإذا انتفع سيل الفرقى قصص عليه التفصيل الذى ذكرناه . مسئلة : الحرام الذى في يده لو تسدى به على الفقراء هل أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيّق ماقدّم وما أنفق على عياله فليقتصد وليكس وسطاً بين التوسيع والتضييق فيكون الأمر على ثلاث مراتب فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو قدير فليوسع عليه وإن كان غنياً فلا يطمعه إلا إذا كان في برة أو قدم ليلاً ولم يجد شيئاً فإنه في ذلك الوقت قدير وإن كان المقبر الذى حضر ضيفاً قوياً لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الحداد فلا يبنى أن يكرم أخاه بما يكره ولا يبنى أن يقول على أنه لا يدري فلا يضره فإن الحرام إذا حصل في اللصة أثر في قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ولذلك تقياً أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أفتينا بأنه حلال للفقراء أحلتنا بحكم الحاجة إليه فهو كالخنزى والحرام إذا أحلتنا بالضرورة فلا يلتحق بالطيّات مسئلة : إذا كان الحرام أو الشبهة في يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا سيخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينأىهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى فإن كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاها بل هو واجب فليتطلف في الامتناع فإن لم يقدر فليوافق وليقل الأكل بأن يصغر القمعة ويطيّل اللضع ولا يتوسع فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأن حقهما أيضاً مؤكد وكذلك إذا ألبسته أمه ثوباً من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل

(١) حديث لا تغبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة دراهم وفيها درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم (٢) حديث الجسد نبت من حرام تقدم (٣) حديث أن رافع بن خديج مات وخلف ناضحاً وعبدًا حجاً ما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قهى عن كسب الحجام فروج صرات فنع منه قبيل إن له إيتاماً قال أعلفوه الناضح (٤) فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو أوداته فإذا انتفع سيل الفرقى قصص عليه التفصيل الذى ذكرناه . مسئلة : الحرام الذى في يده لو تسدى به على الفقراء هل أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيّق ماقدّم وما أنفق على عياله فليقتصد وليكس وسطاً بين التوسيع والتضييق فيكون الأمر على ثلاث مراتب فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو قدير فليوسع عليه وإن كان غنياً فلا يطمعه إلا إذا كان في برة أو قدم ليلاً ولم يجد شيئاً فإنه في ذلك الوقت قدير وإن كان المقبر الذى حضر ضيفاً قوياً لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الحداد فلا يبنى أن يكرم أخاه بما يكره ولا يبنى أن يقول على أنه لا يدري فلا يضره فإن الحرام إذا حصل في اللصة أثر في قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ولذلك تقياً أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أفتينا بأنه حلال للفقراء أحلتنا بحكم الحاجة إليه فهو كالخنزى والحرام إذا أحلتنا بالضرورة فلا يلتحق بالطيّات مسئلة : إذا كان الحرام أو الشبهة في يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا سيخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينأىهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى فإن كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاها بل هو واجب فليتطلف في الامتناع فإن لم يقدر فليوافق وليقل الأكل بأن يصغر القمعة ويطيّل اللضع ولا يتوسع فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأن حقهما أيضاً مؤكد وكذلك إذا ألبسته أمه ثوباً من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل

(١) حديث لا تغبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة دراهم وفيها درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم (٢) حديث الجسد نبت من حرام تقدم (٣) حديث أن رافع بن خديج مات وخلف ناضحاً وعبدًا حجاً ما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قهى عن كسب الحجام فروج صرات فنع منه قبيل إن له إيتاماً قال أعلفوه الناضح (٤) فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو أوداته فإذا انتفع سيل الفرقى قصص عليه التفصيل الذى ذكرناه . مسئلة : الحرام الذى في يده لو تسدى به على الفقراء هل أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيّق ماقدّم وما أنفق على عياله فليقتصد وليكس وسطاً بين التوسيع والتضييق فيكون الأمر على ثلاث مراتب فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو قدير فليوسع عليه وإن كان غنياً فلا يطمعه إلا إذا كان في برة أو قدم ليلاً ولم يجد شيئاً فإنه في ذلك الوقت قدير وإن كان المقبر الذى حضر ضيفاً قوياً لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الحداد فلا يبنى أن يكرم أخاه بما يكره ولا يبنى أن يقول على أنه لا يدري فلا يضره فإن الحرام إذا حصل في اللصة أثر في قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ولذلك تقياً أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أفتينا بأنه حلال للفقراء أحلتنا بحكم الحاجة إليه فهو كالخنزى والحرام إذا أحلتنا بالضرورة فلا يلتحق بالطيّات مسئلة : إذا كان الحرام أو الشبهة في يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا سيخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينأىهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى فإن كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاها بل هو واجب فليتطلف في الامتناع فإن لم يقدر فليوافق وليقل الأكل بأن يصغر القمعة ويطيّل اللضع ولا يتوسع فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأن حقهما أيضاً مؤكد وكذلك إذا ألبسته أمه ثوباً من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل

جاء له في دعائهم البركة . وروى عنه عليه السلام أيضاً أنه كان إذا ودع رجلاً قال « زدوك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت » وينبئني أن يستغنى إخوانه إذا دعا لهم واستودعهم الله أن الله يستجيب دعاءه قد روى أن عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطايام إذا جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رأيت أحداً أشبه بأحد من هذا بك قال الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين إن أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به قتالت تخرج وتدعى على هذه الحالة قتلت أستودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قتلت فإذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار تلوح على قبرها قتلت للقوم ماهدم النار فقالوا هذه من قبر فلانة تراها كل ليلة قتلت والله إنها

وليس بين يديها ولينزع في غيبتها وليجند أن لا يصل في إلا بعد حضورها فيصل في صلاة الضلوة
وهذه تعارض أسباب الورع فينبغي أن يتفقد هذه الدقائق . وقد حكى عن جبر رحمه الله أنه سلمت
إليه أمه رطبة وقالت عني عليك أن تأكلها وكان يكرهه فأكل ثم صعد غرفة فصعدت أمه وراءه
فرأته يتبأ وإنيما فصل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة العدة وقد قيل لأحمد بن
حنبل مثل جبر هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال أحمد هذا شديد قتل له مثل محمد بن مقاتل
الباداني عنها فقال بر . والديك فإذا تقول فقال للسائل أحب أن تعطيني قد سمعت ما قالوا ثم قال
ما أحسن أن تداريها . مثله : من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية
لأنه مفلس ولا تجب عليه الزكاة إذ معنى الزكاة وجوب إخراج ربع الشئ مثلاً وهذا يجب عليه
إخراج الكل إماردا على السالك إن عرفه أو صرفا إلى الفقراء إن لم يعرف للمالك وأما إذا كان
مال شبهة يحتمل أنه حلال فإذا لم يخرج من يده لزمه الحج لأن كونه حلالا يمكن ولا يسقط الحج
إلا بالقرء ولم يتحقق قرءه وقد قال الله تعالى - وقف على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا -
وإذا وجب عليه التصديق بما يزيد على حاجته حيث يطلب على ظنه تحريمه فالزكاة أولى بالوجوب
وإن لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص يمينين وقد قال قوم يلزمه الصوم دون
الإطعام إذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبي يكتفي بالإطعام والذي نخاره أن كل شبهة حكمنا بوجوب
اجتنابها وأثرمانه إخراجها من يده لتكون احتمال الحرام أغلب على ما ذكرناه فليجمع بين الصوم
والإطعام أما الصوم فلا لأنه مفلس حكما وأما الإطعام فلا أنه قد وجب عليه التصديق بالجميع وبمتمل
أن يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة . مثله : من في يده مال حرام أمسه للحاجة فأراد
أن يتطوع بالحج فإن كان ماضيا فلا بأس به لأنه سبأ كل هذا المال في غير عبادة فأكله في عبادة
أولى وإن كان لا يقدر على أن يمشي ويحتاج إلى زيادة للمركوب فلا يجوز الأخذ لثل هذه الحاجة
في الطريق كالاجتزاء شراء للمركوب في البلد وإن كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام بحيث يستغنى
به عن بقية الحرام فالإقامة في انتظاره أولى من الحج ماشيا بالمال الحرام . مثله : من خرج لحج
واجب بماله فيه شبهة فليجتهد أن يكون قوته من الطيب فإن لم يقدر فمن وقت الإحرام إلى التحلل
فإن لم يقدر فليجتهد يوم عرفه أن لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه حرام ومطلبه
حرام فليجتهد أن لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فإنما وإن جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع
ضرورة وما ألطفاه بالطيبات فإن لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والتمس ما هو مضطر إليه من تناول
ماليس بطيب ففساد ينظر إليه بين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حرته وخوفه وكراهته . مثله :
مثل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال له دين وعليه دين فقال تقضى وتقتضى فقال أمضى ذلك قال أتدعه
نزع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال تقضى وتقتضى فقال أمضى ذلك قال أتدعه
محتسبا بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على أنه رأى التحريم بإخراج مقدار الحرام إذ قال يخرج
قدر الربع وأنه رأى أن أعيان أمواله ملك له بدلا عما بذله في المعاوضات الفاسدة بطريق التماس
والتقابل مهما كثرت التصرف وعسر الرد وعول في قضاء دينه على أنه يقين فلا يترك بسبب الشبهة .

(الباب الخامس في إدراوات السلاطين وصلاتهم وما يعل منها وما يحرم)

اعلم أن من أخد من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة أمور في مدخل ذلك إلى يد السلطان
من أين هو وفي صفته التي بها يستحق الأخذ وفي القدر الذي يأخذه هل يستحقه إذا أضيف إلى
حاله وحال شركائه في الاستحقاق .

(الباب الخامس في إدراوات السلاطين)

كانت صوامة فوامة
فأخذت اللؤلؤ حتى
استهينا إلى القبر فحفرنا
وإذا سراج وإذا هذا
الغلام يدب فقبل إن هذا
وديعتك ولو كنت
استودعنا أمه لوجدتها
فقال عمر لهو أشبه بك
من القراب بالقراب .

وينبغي أن يودع كل
منزل يرحل عنه
بركنين ويقول : اللهم
زودني التقوى واغفر لي
ذنوبي ووجهي للخير
أيتها وجهت . وروي
أنس بن مالك قال كان
رسول الله عليه الصلاة
والسلام لا ينزل منزلا
إلا ودعه بركنين
فينبغي أن يودع كل
منزل ورباط يرحل
عنه بركنين وإذا
ركب الدابة فليقل
- سبحان الذي سخر
لنا هذا وما كنا له
مقرنين - بسم الله
والله أكبر توكلت على
الله ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم .
اللهم أنت الحامل على

(النظر الأول في جهات الدخل للسلطان)

وكل ما يحمل للسلطان سوى الإحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان : مأخوذ من الكفار وهو النسيئة للأخوذة بالقهر والنيء وهو الذي حصل من مالهم في يد من غير قتال والجزية وأموال الصالحة وهي التي تؤخذ بالتبرع والمعاينة . والقسم الثاني للمأخوذ من المسلمين فلا يحمل منه إلا بقين : للواريث وسائر الأمور الضائعة التي لا يتعين لها مالك والأوقاف التي لا تتولى لها أما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج والضروب على المسلمين والصادرات وأنواع الرشوة كلها حرام فإذا كتب لقيه أو غيره إمدار أو صلة أو خلة على جهة فلا يخلو من أحواله عماينة : فانه إما أن يكتب له ذلك على الجزية أو على الواريث أو على الأوقاف أو على ملك أحياء السلطان أو على ملك اشتراه أو على عامل خراج المسلمين أو على بيع من جملة التجار أو على الخزنة . فالأول هو الجزية وأربعة أثمانها للمصالح وخمسها لطبقات معينة فما يكتب على الخس من تلك الطبقات أو على الأثمان الأربعة لما فيه مصلحة وروحي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط أن لا تكون الجزية إلا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير فانه أيضا في محل الاجتهاد وللسلطان أن يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط أن يكون القسم الذي تؤخذ الجزية منه مكتسبا من وجه لا يلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالما ولا يبيع خمر ولا سبي ولا امرأة إلا بالجزية عليهما فهذه أمور ترامي في كنية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف إليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك . الثاني للواريث والأموال الضائعة فهي للمصالح ولتظن أن الذي خلقه هل كان ماله كله حراما أو أكثره أو أقله وقدم سبق حكمه فان لم يكن حراما بقى النظر في صفة من يصرف إليه بأن يكون في الصرف إليه مصلحة ثم في القدر للصروف . الثالث الأوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في الثبات مع زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون للأخوذة موافقا له في جميع شرائطه . الرابع ما أحياء السلطان وهذا لا يعتبر فيه شرط إذ له أن يسطر من ملكه ما شاء لمن شاء أي قدر شاء وإنما النظر في أن الغالب أنه أحياءه بأكرامه الأجراء وأبداء أجرهم من حرام فان الإحياء يحصل بحجر القناة والأنهار وبناء الجدران وتسوية الأرض ولا يتولا السلطان نفسه فان كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وإن كانوا متأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة قد نهينا عليها في تعلق الكراهة بالأعواض . الخامس ما اشتراه السلطان في القصة من أرض أو ثياب خلة أو فرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف فيه ولكنه سيغني عنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى وقد سبق تفصيله . السادس أن يكتب على عامل خراج المسلمين أو من يجمع أموال القصة والصادرة وهو الحرام السمحت التي لا شبهة فيه وهو أكثر الإدارات في هذا الزمان إلا ما على أراضي العراق فانها وقف عند الشافعي رحمه الله على مصالح المسلمين . السابع ما يكتب على بيع يامل السلطان فان كان لا يامل غيره فانه كمال خزنة السلطان وإن كان يامل غير السلاطين أكثر فما يعطيه فرض على السلطان وسيأخذ بدله من الخزنة فالخلل يتطرق إلى العوض وقد سبق حكم التمن الحرام . الثامن ما يكتب على الخزنة أو على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام فهو سمحت محض وإن عرف بقينا أن الخزنة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل أن يكون ما يسل إليه بينه من الحلال احتمالا قرباه وقع في النفس واحتمل أن يكون من الحرام وهو الأغلب لأن أغلب أموال السلاطين حرام في هذه الأعصار والحلال في أيديهم معدوم وعزيز

النظر وأنت للثمان على الأمور والسنة وأن يرحد من النازل بكرة ويستندى يوم الخميس روى كتب بن مالك قال قلنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى السفر إلا يوم الخميس وكان إذا أراد أن يبعث سرية جنها أول النهار ويستحب كلما أشرف على منزل أن يقول : اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقلن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا للزلزلة وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا للزلزلة وشر أهله وإذا نزل فليصل ركعتين . وما ينبغي للمسافر أن يصحبه آلة الطهارة قبل كان إبراهيم الخواص لا يغارقه أربعة أشياء في الحضر والسفر الركوة والجبل والإبرة

قد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن أنه حرام فمن أن آخذه وقال آخرون لا يحل أن يأخذ ما لم يتحقق أنه حلال فأغلح شبهة أصلا وكلاما إسرافا والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب إذا كان حراما حرم وإن كان الأغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفا فيه كما سبق . ولقد احتج من جواز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال مهما لم يتحقق أن عين الناخذ حرام بما روى عن جماعة من الصحابة أنهم أدركوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال منهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله وجابر وأنس بن مالك والسورين محزمة فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان وزيد بن عبد الملك وأخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعي وإبراهيم والحسن وابن أبي ليلى وأخذ الشافعي من هرون الرشيد ألف دينار دفعة وأخذ مالك من الحلقاء أموال الجاهة وقال علي رضي الله عنه خذ ما يحيطيك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعا مخافة على دينه أن يعمل على ما لا يحل الآثرى قول أبي ذر " لا تحزن من قيس خذ العطاء ما كان تحمله فإذا كان آثما دينكم فدعوه . وقال أبو هريرة رضي الله عنه إذا أعطيتا قبلنا وإذا منعا لم نسأل . وعن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه كان إذا أعطاه معاوية سكت وإن منه وقع فيه وعن الشعبي عن مسروق لا يزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار أي يحمله ذلك على الحرام لأنه في نفسه حرام وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله ثم يقول لأسأل أحدا ولا أورد مارزقي الله وأهدي إليه ناقة قبلها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يمارضه ما روى أن ابن عمر رضي الله عنهما لم يرد هدية أحد إلا هدية المختار والاسناد في رده أثبت وعن نافع أنه قال يمشي ابن عمر إلى ابن عمر يستين ألفا تقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرضه من بعض من أعطاه وأعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي رضي الله عنهما على معاوية رضي الله عنه فقال لأبيرك بجائزة لم أجزها أحدا قبلك من العرب ولا أجيزها أحدا بعدك من العرب قال فأعطاه أربعمائة ألف درهم فأخذها وعن حبيب بن أبي ثابت قال لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس قبلاهما قبيل ما هي قال مال وكسوة وعن الزبير بن عدي أنه قال قال سليمان إذا كان لك صديق طمأ أو تاجر عارف الربا فدعك إلى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئا فاقبل فإن للهالك وعليه الوزر فإن ثبت هذا في الربى فالظالم في معناه وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية وقال حكيم بن جبير مدينا على سعيد بن جبير وقد جعل عامل على أسفل الفرات فأرسل إلى العشارين أطمعونا بمعاندكم فأرسلوا بطعام فأكلوا وكنا معه وقال الولاد بن زهير الأزدي أتى إبراهيم أبي وهو عامل على حلوان فأجازه قبل وقال إبراهيم لأبى بجائزة المال إن لعمل مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب لما أعطاك فهو من طيب ماله قد أخذته هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من أطاعهم في معصية الله تعالى وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم بل على الورع كالحلفاء الراشدين وأبي ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال الطالح زاهد ومن الحلال الذي يخاف إفضاؤه إلى محذور ورعا وتوقى فأقدم هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لا يدل على التحريم وما هل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفا وما هل عن الحسن من قوله لا أتوضأ من ماء صيرني ولو ضاق وقت الصلاة لأتت لأدري أصل ماله كل ذلك ورع لا ينكر وإبائهم عليه أحسن من إتيائهم على الاتساع ولكن لا يحرم إتيائهم على الاتساع أيضا فهذه شبهة من يجوز أخذ مال السلطان للعطاء والجواب أن ما هل من أخذ هؤلاء محصور قليل بالإضافة إلى

وخيوطها والقراض ورويت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر حل معه خمسة أشياء المرأة والمكحلة والهدى والسواك والمشط وفي رواية للقراض والصوفية لا تنافقهم الصاوي أيضا من السنة . روى معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أخذت منبراً قد أخذته إبراهيم وإن أخذت الصا قد أخذتها إبراهيم وموسى » وروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال التوكؤ على الصا من أخلاق الأنبياء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عصا يتوكأ عليها ويأمر بالتوكؤ على الصا وأخذ الزكوة أيضا من السنة . وروى جابر بن عبد الله قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ من

ما نقل من ردده وإنكارهم وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتمال الورع فيطرق إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة في الدرجة بغاوتهم في الورع فإن الورع في حق السلطان أربع درجات . الدرجة الأولى : أن يأخذ من أموالهم شيئا أصلا كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى إن أبا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان يأخذه من بيت المال فلغ سنة آلاف درهم فخرمها البيت المال وحتى إن عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال يوما فدخلت ابنة له وأخذت درهما من المال فقبض عمر في طلبها حتى سقطت للناحفة عن أحد منكميه ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فأدخل عمر أصبه فأخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال أيها الناس ليس لعمرو ولا لآل عمر إلا ما للمسلمين قريتهم وميدهم وكسح أبو موسى الأشعري بيت المال فوجد درهما فربى لعمرو رضي الله عنه فأعطاه إياه فأرى عمر ذلك في يد الغلام فسأله عنه فقال أعطانيه أبو موسى فقال يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت أعون عليك من آل عمر أردت أن لا يبق من أمة محمد ﷺ أحد إلا لاطلنا بمظلة ورد الدرهم إلى بيت المال هذا مع أن المال كان حلالا ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الأقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « دع ما بينك وبينك إلى ما لا يريك » ^(١) وقوله « ومن تركها فقد استبرأ لفرسه ودينه » ^(٢) ولما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات في الأموال السلطانية حتى قال ﷺ حين بعث عبادة بن الصامت إلى الصدقة « اتق الله يا أبا الوليد لا تخفي » يوم القيامة يعير عمله على رقبته رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها تواج قال يا رسول الله أهكذا يكون قال نعم والذي نفسي بيده إلا من رحم الله قال فوالذي بشك بالحق لأعمل على شيء أبدا ^(٣) وقال ﷺ « إنى لأخاف عليكم أن تتركوا بدى إنما أخاف عليكم أن تنافسوا » ^(٤) وإنما خاف التنافس في المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال إلى لم أجد نفسي فيه إلا كالو إلى مال القيم إن استغنيت استغنفت وإن افتقرت أكلت بالمعروف وروى أن ابنا لطاوس افعل كتابا عن لسانه إلى عمر بن عبد العزيز فأعطاه ثلثمائة دينار فباع طلوس ضيعة له وبعت من ثمنها إلى عمر ثلثمائة دينار هذا مع أن السلطان مثل عمر بن عبد العزيز في هذه الدرجة العليا في الورع . الدرجة الثانية : هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة خلال فاستأثر به السلطان على حرام آخر لا يضره . وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكثر الصحابة والورع منهم مثل ابن عمر فإنه كان من اللبائين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من أشدهم إنكارا عليهم وأشداهم ذما لأموالهم وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوفا عند الله تعالى بها فقالوا له إننا نرجو لك الخير فحفر الآبار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال أقول ذلك إذا طاب للكسب وزكت النفقة وسرد قترى وفي حديث آخر أنه قال إن الحديث لا يكفر الحديث وإنك قدوليت البصرة ولا أحببك إلا قد أصبت منها شرا فقال له ابن عامر ألا تدعو لي فقال

(١) حديث دح ما بينك وبينك إلى ما لا يريك تقدم في الباب الأول من الحلال والحرام (٢) حديث من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه متفق عليه من حديث الثمان بن بشير وقد تقدم أوله في أول الباب الثاني من الحلال والحرام (٣) حديث قال لبيدة بن الصامت حين بعث إلى الصدقة اتق الله يا أبا الوليد لا تخفي يوم القيامة يعير عمله على رقبته الحديث الشافعي في السنن من حديث طلوس مرسل ولأن يلى في اللجم من حديث ابن عمر مختصرا أنه قال لسعد بن عبادة وإن شاء صبيح (٤) حديث إنى لأخاف عليكم أن تتركوا بدى إنما أخاف عليكم أن تنافسوا متفق عليه من حديث عتبة بن عامر .

ركوة إذ جهش الناس نحوه أى أسرعوا نحوه . والأصل فيه البكاء كالصبي يتلزم بالأم ويسرع إليها عند البكاء قال قتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك قالوا يا رسول الله ما نجد ماء نضرب ولا نؤسنا به إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فنظرت وهو يغور من بين أصابعه مثل الميون قال قرونا القوم منه قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة في غزوة الحديبية . ومن سنة الصوفية عند الوسط وهو من السنة . روى أبو سعيد قال « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة وقالوا ربطوا على أوسا طسكم بأزركم فربطنا ومشيئا خلفه للمروقة . ومن ظاهر آداب الصوفية عند

ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يقبل الله صلاة بشر طهور ولا صدقة من غلول (١) وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرفه إلى الخيرات وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال في أيام الحجاج : ما شئت من الطعام مذاتيت الدار إلى يومى هذا . وروى عن علي رضى الله عنه أنه كان له سوق في إتاه مخوم يشرب منه قليل أو شغل هذا العراق مع كثرة طعامه فقال أما إنى لأخشمه بخلافه ولكن أنكره أن يجعل فيه ما ليس منه وأكره أن يدخل بطي غريب فهذا هو المألوف منهم وكان ابن عمر لا يسيبه شيء إلا أخرج عنه فطلب منه نافع ثلاثين ألفا فقال إنى أخاف أن تغتني دراهم ابن عامر وكان هو الطالب أذهب فأنت حر . وقال أبو سعيد الخدرى ما من أحد إلا وقد مال به الدنيا إلا ابن عمر فهذا يتضح أنه لا يظن بوجوبه كان في منصبه أن يأخذ مالا يدرى أنه حلال . المرحلة الثالثة : أن يأخذ ما أخذه من السلطان ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستحقين فإن مالا يتعين ماله هذه حكم الشرع فيه فإذا كان السلطان إن لم يأخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظم فقد قول أخذه منه وضرته أولى من تركه في يده ، وهذا قدر آراء بعض العلماء وسيأتى وجهه ، وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم ولذلك قال ابن المبارك إن الذين يأخذون الجواز اليوم ويعتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهما لأن ابن عمر فرق ما أخذ حتى استقرض في مجلسه بعدد خمس مائة ألفا وعائشة فعلت مثل ذلك وجابر بن زيد جاءه مال فتصدق به وقال رأيت أن أخذه منهم وأصدق أحب إلى من أن أدعها في أيديهم وهكذا فعل الشافعى رحمه الله بما قبله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك نفسه حبة واحدة ، الدرجة الرابعة : أن لا يتحقق أنه حلال ولا يفرق بل يستبقى ولكن يأخذ من سلطان أكثر ماله حلال وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة رضى الله عنهم والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن أكثر ما لهم حراما ويدل عليه تليل على رضى الله عنه حيث قال فإن ما يأخذ من الحلال أكثر فهذا ما قد جوزه جماعة من العلماء تمويلا على الأكثر ونحن إنما توقعنا فيه في حق أحاد الناس ومال السلطان أخيه بالخروج عن الحصر فلا يبعد أن يؤدي اجتهاد مجتهد إلى جواز أخذ مالم يعلم أنه حرام اعتادا على الأغلب وإنما منعناه إذا كان الأكثر حراما فإذا فهمت هذه الدرجات تحققت أن إدارات الظلمة في زماننا لا تجري مجرى ذلك وأنها تخارقه من وجهين قاطعين : أحدهما أن أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والنفقة والقيمة لا وجودها وليس يدخل منها شيء في يد السلطان ولم يبق إلا الجزية وأنها تؤخذ بأنواع من الظلم لا يحل أخضاها به فاتهم بما جاوزوا حدود الشرع في الأخوذ والتأخوذ منه والوفاء له بالشرط ثم إذا ثبت ذلك إلى ما ينسب إليهم من الحراج والضروب على المسلمين ومن الصادرات والرشا ومنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشرينه . والوجه الثانى أن الظلمة في العصر الأول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشرين من ظلمهم ومقتوفين إلى استئالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطايهم وجوازهم وكانوا يفتنون إليهم من غير سؤال وإذلال بل كانوا يتقلدون لثمة قبولهم ويفرحون به وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطعمون السلاطين في أغراضهم ولا يفتشون مجالسهم ولا يكترون جمعهم ولا يحبون بقايم بل يدعون عليهم ويطلبون اللسان فيهم ويشكرون للسكرات منهم عليهم لما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن يأخذهم بأس فاما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا في استخدامهم والسكرتهم والاستئانة بهم على أغراضهم والتجمل بشيخان مجالسهم وتكليفهم الواظبة على الدعاء والتناء والتركية والاطراء

(١) حديث لا يقبل الله صلاة بشر طهور ولا صدقة من غلول مسلم من حديث ابن عمر .

في حضورهم ومنهم من فلو لم يذلل الآخذ نفسه بالسؤال أولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالتناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة على أغراضه عند الاستعانة رابعا وبشكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسا وبإظهار الحب والوالاء للنصرة ثانيا على أعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقاييسه مساويا أعماله ساجدا لمنهم عليه درهم واحد ولو كان في فضل الناضي رحمه الله مثلا فلا يزال يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يميل أنه حلال لأفضائه إلى هذه المعاني فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه فمن استجر على أموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس للامتناع بالحدادين في أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة أعمالهم واحتال القل منهم والثناء عليهم والتردد إلى أبوابهم وكل ذلك محصية على ماسمين في الباب الذي يلي هذا فإذا قد تبين مما تقدم مداخل أموالهم وما يجل منها وما لا يجل فلو تصور أن يأخذ الإنسان منها ما يجل فبغير استحقاقه وهو جالس في بيته يساق إليه ذلك لا يحتاج فيه إلى تفقد عامل وخدمته ولا إلى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا إلى مساعدتهم فلا يحرم الأخذ ولكن يكره لمان سنه عليه في الباب الذي يلي هذا.

(النظر الثاني من هذا الباب في قدر للأخوذ وصفة الأخذ)

ونفرض للآمن أموالا للصلح كأربعة أحماس التي* وللوارث فان ماعده ماقد معين مستحقه إن كان من وقف أو صدقة أو خسر فيء أو خسر غنيمة وما كان من ملك السلطان مما أحياء أو اشتراه فله أن يعطى ما شاء لمن شاء وإنما النظر في الأموال الضائعة ومال الصالح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب فلأما التي الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه هذا هو الصحيح وإن كان الطاء قد اختلوا فيه ، وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على أن لكل مسلم حقا في بيت المال لكونه مسلما كثيرا جمع الإسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على محسوسين صفات فإذا ثبت هذا فكل من يتولى أمرا يقوم به تعدى مصلحته إلى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتطلل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم أعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون ولؤذنون ، وطلبة هذه العلوم أيضا يدخلون فيه فاهم إن لم يكنوا لم يتسكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين تربط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد للترتقة الذين يحرسون للملكة بالسيف عن أهل العداوة وأهل البغي وأعداء الإسلام ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج إليه في ترتيب ديوان الخراج أعني العمال على الأموال الحلال لأعلى الحرام فان هذا المال للمصالح وللصاحبة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالأجناد حراسة الدنيا والدين وللك توأمان فلا يستثنى أحدهما عن الآخر والطبيب وإن كان لا يرتبط ببله أمر ديني ولكن يرتبط بمصلحة الجسد والدين يبقه فيجوز أن يكون له ولين يجري مجراه في العلوم المحتاج إليها في مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد إدارا من هذه الأموال لينفروا لمعالجة المسلمين أعني من حال منهم بغير أجره وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يعطوا من التي قل الخلفاء الراشدين كانوا يحطون للهاجرين والأنصار ولم يسرفوا بالحاجة وليس يتقدر أيضا بتقدير بل هو إلى اجتهد الإمام وله أن يوسع ويضي وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية في دفعة واحدة أربع مائة ألف درهم وقد كان عمر رضي الله عنه يعطى لجماعة اثني عشر ألف درهم ثمرة في السنة ، وأثبت عائشة رضي الله عنها في هذه الجريدة وجماعة عشرة آلاف وجماعة ستة آلاف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شيء فان خص واحدا منهم بمال كثير فلا بأس وكذلك السلطان أن يخص

الأرض ثم يسل يديه ويحصل وجهه إلى الموضع الذي يخرج منه ويودع الحاضرين فان أخذ بعض الإخوان رايته إلى خارج الرباط لا يمنعه وهكذا الصواب لا يبرق ويودع من شيه ثم يشد الرواية برفع يده اليمنى ويخرج اليسرى من تحت إبطه الأيمن ويشد الرواية على الجانب الأيسر ويكون كفته الأيمن خاليا وعقدة الرواية على الجانب الأيمن فإذا وصل في طرقه إلى موضع شريف أو استقبله جمع من الإخوان أو شيخ من الطائفة عمل الرواية ويحطها ويستقبلهم ويسلم عليهم ثم إذا جاوزوه يشد الرواية وإذا دنا من منزل رباطا كان أو غيره يجل الرواية ويحطها تحت إبطه الأيسر وهكذا الصواب لا يبرق يمكنه يساره وهذه

من هذا المال ذوى الخصائص بالخلع والجوارز قد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي أن يلتفت فيه إلى الصلحة ومهما خضع عالم أو شجاع بصلة كان فيه بحث للناس وتعرض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلوات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط بإجتهاد السلطان وإنما النظر في السلاطين الظلة في شيئين : أحدهما أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو إمام معزول أو واجب المزل فكيف يجوز أن يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان - والثاني أنه ليس يصح بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للأحد أن يأخذوا أفيجوز لهم الأخذ بقدر حصصهم أم لا يجوز أصلاً أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى . أما الأول فالذي نراه أنه لا يتبع أخذ الحق لأن السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلمه وكان في الاستبدال به فتنه تائرة لا تطلق وجب تركه ووجبت الطاعة كما تجب طاعة الأمراء إذ قد ورد في الأمر بطاعة الأمراء ^(١) وللتع من سل اليد عن مساعدتهم ^(٢) وأمر وزواج فالدلي نراه أن الخلافة متقدمة للتكفل بها من بني العباس رضي الله عنه وأن الولاية نافذة للسلاطين في أنظار البلاد والبايعين للخليفة وقد ذكرنا في كتاب للتظهير المتنبط من كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار تأليف القاضي أبي الطيب في الرد على أصناف الروافض من الباطنية ما يشير إلى وجه الصلحة فيه . والقول الوجيز أنا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوقاً إلى مزايا الصالح ولو قضينا بطلان الولايات الآن لطلت الصالح رأساً فكيف يفوت رأس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع إلا الشوكة فمن باهه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في أصل الخطبة والسكفة بسلطان نافذ الحكم والقضاء في أنظار الأرض ولاية نافذة الأحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في أحكام الإمامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلست نطول الآن به . وأما الإشكال الآخر وهو أن السلطان إذا لم يصح بالمعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فلا بعضهم وقال كل ما يأخذ فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدرى أن حصته منه دائق أو حبة فليترك السكك وقال قوم له أن يأخذ قدر قوت يومه فقط فإن هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فإن أخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذوق في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم إنه يأخذ ما يسطع وللظلم هم الباقون وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركاً بين المسلمين كالخليفة بين الفاعمين ولا كإيراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكاً لهم وهذا لو لم يتفق قسمه حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الإرث بل هذا الحق غير متعين وإنما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومما أعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكاً لهم ولم يتبع بظلم المالك بقية الأصناف ينتع حقهم هذا إذا لم يصرف إليه كل المال بل صرف إليه من المال مالم يصرف إليه بطريق الإيثار والتفضل مع تعين الآخرين لجزاه له أن يأخذه والتفضل جائز في المعطاء . سوى أبو بكر رضي الله عنه فراجعه عمر رضي الله عنه فقال إنما فضلهم عند الله وإنما الدنيا بلاغ وفضل

(١) حديث الأمر بطاعة الأمراء البخاري من حديث أنس اصموا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زينة . ولمسلم من حديث أبي هريرة عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك الحديث وله من حديث أبي ذر أوصاني النبي ﷺ أن أسمع وأطيع ولو لعبد مجعد الأطراف (٢) حديث للنعم من سل اليد عن مساعدتهم الشيخان من حديث ابن عباس ليس أحد يفارق الجماعة شراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية ولمسلم من حديث أبي هريرة من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية وله من حديث ابن عمر من خلق يدا من طاعة نبي الله يوم القيامة ولا حيلة له .

الرسوم استحسناها قراءه
خراسان والجيل ولا
يشهد بها أكثر قراءه
العراق والشام والغرب
وبمجرى بين الفقراء
مشاحنة في رعايتها
لمن لا يتهددها يقول
هذه رسوم لا نلزم
والالتزام بها وقوف
مع الصور وغفلة عن
الحقائق ومن يتهددها
يقول هذه آداب
ومنهموا للتقدم وإذا
رأوا من يخل بها أو
بشيء منها ينظرون
إليه نظر الازدراء
والحقارة ويقال هذا
ليس بصوفي وكلا
الطائفتين في الانكار
يتصنون الواجب
والصحيح في ذلك أن
من يتهددها لا ينكر
عليه فليس ينكر
في الشرع وهو أدب
حسن ومن لم يلزم
بذلك فلا ينكر عليه
فليس يوجب في
الشرع ولا مندوب
إليه وكثير من قراءه
خراسان والجيل يبالغ

عمر رضى الله عنه في زمانه فأعطى عائشة اثني عشر ألفاً وزيب عشرة آلاف وجوبية سنة ثلاث
وكذا مائة وأقطع عمر لعل خاصة رضى الله عنها وأقطع عثان أيضاً من السواد خمس جات وآثر
عثان عليها رضى الله عنها بها قبل ذلك منه ولم ينكر وكل ذلك جائز في عمل الاجتهاد
وهو من المجتهدين التي أقول فيها إن كل مجتهد مصيب وهي كل مسألة لانس على عنها ولا على
مسئلة تخرب منها فتكون في معناها قياس على كنهه للسئلة ومسئلة حد الشرع فانهم جلدوا
أربعين ومائتين والسكل سنة وحق وإن كل واحد من أبي بكر وعمر رضى الله عنها مصيب باتفاق
الصحابه رضى الله عنهم إذ للفتول مارد في زمان عمر شيئاً إلى الفاضل مما قد كان أخذه في زمان
أبي بكر ولا الفاضل ابتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا
أن كل واحد من الرايين حق فليؤخذ هذا المجلس ذمتورا للاختلافات التي يصب فيها كل مجتهد
فأما كل مسئلة شذ عن مجتهد فيها نص أو قياس على بشفة أو سوء رأى وكان في القوة بحيث ينقض
به حكم المجتهد فلا حول فيها إن كل واحد مصيب بل للصيب من أصاب النص أو مافي معنى النص وقد
تحصل من مجموع هذا أن من وجد من أهل الخصوص للوصوفين بشفة تتعلق بها مصالح الدين
أو الدنيا وأخذ من السلطان خلة أو إداراً على التركات أو الجرية لم يصرفها عما أخذها وإنما
يفسق بخدمته لهم ومعاوته أيام ودخوله عليهم وثائمه وإطرائه لهم إلى غير ذلك من لوازم لا يسلم
للال غالباً إلا بها كما فسيتها .

(الباب السادس فيما جعل من مخالطة السلاطين الظلمة ومحرّم

وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والأكرام لهم)

اعلم أن لك مع الأمراء والعامل الظلمة ثلاثة أحوال . الحالة الأولى : وهي شرها أن تدخل عليهم والثانية
وهي دونها أن يدخلوا عليك والثانية وهو الأسلم أن تتزل عنهم فلا ترام ولا يروك . أما الحالة
الأولى : وهي الدخول عليهم فهو مضموم جداً في الشرع وفيه تليقات وتشديدات تواردت بها
الأخبار والآثار فتقها لتعرف ذم الشرع له ثم تعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه
الفتوى في ظاهر العلم . أما الأخبار : فإنه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة
قال « فمن نابذهم نجاً ومن اعترلهم سلم أو كاد أن يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم » (١)
وذلك لأن من اعترلهم سلم من إنهم ولكن لم يسلم من عذاب بعه معهم إن نزل بهم تركه
للنايبة والنازعة وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون من يصدى أمراء يكذبون ويظلمون
فمن صدقهم يكذبهم وأعلمهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض » (٢) وروى
أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم « أنفست القراء إلى الله تعالى الذين يزودون
الأمراء » (٣) وفي الخبر « خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الأمراء »

(الباب السادس فيما جعل من مخالطة السلاطين)

(١) حديث فمن نابذهم نجاً ومن اعترلهم سلم أو كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم الطبراني
من حديث ابن عباس بسند ضيف وقال ومن خالطهم هلك (٢) حديث سيكون يصدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم يكذبهم وأعلمهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض
النسائي والترمذي وصححه والحاكم من حديث كعب بن جبر (٣) حديث أبي هريرة أنفست القراء إلى الله عز وجل الذين يأتون الأمراء تقدم في العلم .

في رعاية هذه الرسوم
إلى حد يخرج إلى
الافراط وكثيراً ما يغفل
بها قراء العراق
والهائم والفاربة إلى
حد يخرج إلى
الاضطراب والأليق أن
ما يكره الشرع
ينكر وما لا ينكره
لا ينكر ويجعل
للمصروف الاخوان
أعداء مالم يكن فيها
منكر أو إخلال
بمندوب إليه والله
الوفق .

[الباب الثامن عشر
في القدوم من السفر
ودخول الرباط
والأدب فيه]
ينبغي للفقير إذا رجع
من السفر أن يستعذ
بالله تعالى من آفات
القام كما يستعذ به
من وعاء السفر .
ومن الدعاء المأثور :
« اللهم إني أعوذ بك
من وعاء السفر
وكأبة القلب وسوء
الغفط في الأهل وللال
والوله » وإذا أشرف

وفي الخبر والعلماء أثناء الرسل على عباد الله ما لم يخالفوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم^(١) رَوَاهُ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَأَمَّا الْأَثَارُ : فَهَذَا حَدِيثٌ إِذَا كَانَ وَمَوَاقِفُ الْفَتَى قِيلَ وَمَا هِيَ قَالَ أَبْوَابُ الْأُمَرَاءِ يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ عَلَى الْأَمِيرِ فَيُصَدِّقُهُ بِالْكَذِبِ وَيَقُولُ مَا لَيْسَ فِيهِ وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لَسَلَّةٌ يَأْتِي سَلَةَ الْأَنْصَارِ أَبْوَابَ السَّلَاطِينِ فَأَنْتَ لَا تُصِيبُ مِنْ دِينِهِمْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابُوا مِنْ دِينِكَ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَقَالَ سَيْفَانٌ فِي جِهَنَّمَ وَادَّ لَا يَسْكُنُهُ إِلَّا الْقَرَاءُ الزُّوَارُونَ لِلْمُلُوكِ ، وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ مَا مِنْ شَيْءٍ أَضْعَفُ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَالِمٍ يَزُورُ عَامِلًا . وَقَالَ سَمْنُونٌ مَا أَصْبَحَ بِالْعَالَمِ أَنْ يُؤْتَى إِلَى جُلْسَةٍ فَلَا يَوْجِدُ نَيْسًا لَهُ فَقَالَ عَبْدُ الْأَمِيرِ . وَكُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ يُقَالُ إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَالِمَ يَجِبُ الدُّنْيَا فَاتَّهَمُوهُ عَلَى دِينِكُمْ حَتَّى جَرَيْتَ ذَلِكَ إِذَا مَا دَخَلْتَ قَطُّ عَلَى هَذَا السَّلَاطِينِ إِلَّا وَحَاسِبْتَ نَفْسِي بِعَدِّ الْخُرُوجِ فَأَرَى عَلَيْهِ الْفُرْجَعُ مَا أَوَاجَهُمْ بِهِ مِنَ الظَّلْمَةِ وَالْمُتَالَفَةِ لِمَوَالِهِمْ ، وَقَالَ عَهَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ حِبَّ الْقَارِيَّ النَّاسِكَ الْأُمَرَاءَ شَاقَّ وَجْهَ الْأَغْنِيَاءِ رِيَاءً ، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ مِنْ كَثَرِ سَوَادِ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ أَمَى مِنْ كَثَرِ سَوَادِ الظَّلْمَةِ ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنْ الرَّجُلُ لِيَدْخُلَ عَلَى السَّلَاطِينِ وَمَعَهُ دِينُهُ فَيُخْرِجُ وَلَادِينَ لَهُ قِيلَ لَهُ وَلَمْ يَلَمْزْهُ لَاحَظُهُ رِضْيُهُ بِسُخْطِ اللَّهِ وَاسْتَعْمَلَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْمَزِيزِ رَجُلًا قَتِيلًا كَانَ عَامِلًا لِلْحَبَاجِ فَمَزَلَهُ فَقَالَ الرَّجُلُ إِنَّمَا عَمَلْتُ لَهُ عَلَى شَيْءٍ يَسِيرُ فَقَالَ لَهُ عَمْرُ حَسْبُكَ بِصَبْتٍ يَوْمًا أَوْ بِضَى يَوْمٍ شَوْمًا وَشِرًّا ، وَقَالَ الْقُضَيْلِيُّ مَا زَادَ رَجُلٌ مِنْ ذِي سُلْطَانٍ قَرَبًا إِلَّا زَادَ مِنْ اللَّهِ بَعْدًا . وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ السَّيِّبِ يَشْجُرُ فِي الرِّيَازِ وَيَقُولُ إِنْ فِي هَذَا لَفَتْحٌ عَنْ هَؤُلَاءِ السَّلَاطِينِ ، وَقَالَ وَهَبُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ عَلَى الْمُلُوكِ لَمْ أَضِرَّ عَلَى الْأُمَّةِ مِنَ الْقَاضِيَيْنِ ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَةَ الدِّبَابِ عَلَى الْعُذْرَةِ أَحْسَنُ مِنْ قَارِيٍّ عَلَى بَابِ هَؤُلَاءِ ، وَلَمَّا خَالَطَ الزُّهْرِيُّ السَّلَاطِينَ كَتَبَ أَمْرًا لَهُ فِي الدِّينِ إِلَيْهِ : عَلَانَا اللَّهُ وَإِلَّاكَ يَا أَبَاكَرٍ مِنَ الْفَتَى قَدْ أَصْبَحْتَ بِهَالٍ يَبْنِي لِمَنْ عَرَفَكَ أَنْ يَدْعُو لَكَ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِكَ أَصْبَحْتَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ أَتَقَنَّاكَ نَمُّ اللَّهُ مَا فَهَمَكُمُ مِنْ كِتَابِهِ وَعِلْمِكَ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَيْسَ كَذَلِكَ أَخَذَ اللَّهُ لِلثَّاقِي عَلَى الْعَمَاءِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - ثَلَاثِينَ لِنَاسٍ وَلَا تَكْتُمُونَهُ - وَاعْلَمْ أَنَّ أَمِيرًا ارْتَكَبَتْ وَأَخْفَا مَا امْتَحَنَتْ أَنْكَ آتَسَتْ وَحَشَةَ الظَّالِمِ وَسَهَلَتْ سَبِيلَ الْبَغْيِ يَدْعُونَ عَنْ لَمْ يُوَدِّعُوا وَلَمْ يَتْرَكُوا بِاطْلَاحٍ أَدْنَاكَ أَخَذُوا قَطْبًا تَدْوَرُ عَلَيْكَ رَحَى ظُلْمِهِمْ وَجَسَرًا يَمِيرُونَ عَلَيْكَ إِلَى بِلَاسِهِمْ وَسَلَا يَصْعَدُونَ فِيهِ إِلَى ضَلَالَتِهِمْ وَيَدْخُلُونَ بِكَ الشُّكَّ عَلَى الْعَمَاءِ وَيَقْتَادُونَ بِكَ قُتُوبَ الْجَهْلَاءِ فَمَا أَمِيرٌ مَا عَمَرُوا لَكَ فِي جَنْبِ مَا خَرَّبُوا عَلَيْكَ وَمَا أَكْثَرَ مَا أَخَذُوا مِنْكَ فَمَا أَقْسَدُوا عَلَيْكَ مِنْ دِينِكَ فَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ تَكُونَ عَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ - غُلْفٌ مِنْ بَيْنِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ - الْآيَةَ وَإِنَّكَ تَعَامَلُ مِنْ لَاجِبِهِمْ وَتَحْفَظُ عَلَيْهِمْ لَنْ لَا يَنْفَعَكَ فِدَاؤُكَ دِينَكَ قَدْ دَخَلَ سَتَمٌ وَهِيَ زَادَكَ قَدْ حَضَرَ سَفَرُ بَعِيدٍ - وَمَا يُغْنِي عَنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ - وَالسَّلَامُ ، فَهَذِهِ الْأَخْبَارُ وَالْأَثَارُ تَدُلُّ عَلَى مَا فِي خِلَافَةِ السَّلَاطِينِ مِنَ الْفَتَى وَأَنْوَاعِ الْقِسَادِ وَلَكِنْ تَفَصَّلُ ذَلِكَ تَفْصِيلًا قَطْعًا تَمِيزُ فِيهِ الْمَهْظُورُ عَنِ الْمَكْرُوهِ وَالْبَاحِ . فَقَوْلُ : الدَّخَالُ عَلَى السَّلَاطِينِ مَتَرَعُضٌ لِأَنْ يَصْعُقَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا يَفْعَلُهُ أَوْ بِسُكُوتِهِ وَإِمَامًا بِقَوْلِهِ وَإِمَامًا بِعَاقِبَتِهِ فَلَا يَنْفَعُكَ عَنْ أَحَدِهِمْ الْأُمُورُ أَمَّا الْقَوْلُ فَالدَّخُولُ عَلَيْهِمْ فِي غَالِبِ الْأَحْوَالِ يَكُونُ إِلَى دَوْرٍ مَنصُوبَةٍ وَتَحْطِيطٍ وَالدَّخُولُ فِيهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ لِلْمُلُوكِ حَرَامٌ وَلَا يَزِنُكَ قَوْلُ الْقَاتِلِ إِنْ ذَلِكَ مِمَّا يَتَسَامَعُ بِهِ النَّاسُ كَثْمَةً أَوْ قَاتِ خَبْرًا فَإِنَّ ذَلِكَ صَحِيحٌ فِي غَيْرِ التَّصَوُّبِ أَمَّا التَّصَوُّبُ فَلَا لِأَنَّهُ إِنْ قِيلَ إِنْ كُلِّ جُلْسَةٍ خَفِيفَةٍ لَا تَنْتَقِصُ لِلْمُلُوكِ فَهِيَ فِي عَمَلِ التَّسَامُحِ وَكَذَلِكَ الْاجْتِنَابُ فَيَجْرِي هَذَا فِي كُلِّ وَاحِدٍ فَيَجْرِي أَيْضًا فِي الْمَجْمُوعِ وَالتَّصَبُّبُ إِمَامًا تَمَّ فِعْلُ الْجَمِيعِ وَإِمَامًا يَتَسَامَعُ بِهِ

(١) حَدَّثَنَا أَنَسُ الْعَمَاءِ أَتَيْنَا الرِّسْلَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ مَا لَمْ يَخَالَطُوا السَّلَاطِينَ الْحَدِيثَ الْعَقِيلِي فِي الضَّعْفِ فِي تَرْجُمَةِ حَفْصِ الْأَمِيرِ وَقَالَ حَدِيثُهُ غَيْرُ مَحْفُوظٍ تَقَدَّمَ فِي الْمَطْمَ .

على يد يريد القيام بها
يشير بالسلام على من
بها من الأحياء
والأموات ويقرأ من
القرآن ما ييسر
ويحمله هدية للأحياء
والأموات ويكره قد
روى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
كان إذا قُصِلَ مِنْ
غَزْوٍ أَوْ حِجٍّ يَكْبُرُ عَلَى
كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَيَقُولُ :
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ الْمَلِكُ
وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ آيَةُ
تَأْيِيدُونَ عَابِدُونَ
سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ
صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ
عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ
وَحْدَهُ وَيَقُولُ إِذَا رَأَى
الْبَيْتَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا بِهَا
قَرَارًا وَرِزْقًا حَسَنًا
وَلَوْ اغْتَسَلَ كَانَ حَسَنًا
اِقْتَدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ
اغْتَسَلَ لِدُخُولِ مَكَّةَ .
وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا
رَجَعَ مِنْ طَلَبِ الْأَحْزَابِ

إذا أقرد إذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فأما إذا كان ذلك طريقاً إلى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم ينسحب على الكل فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل طريقاً اعتاداً على أن كل واحد من الدارين إنما يخطو خطوة لاتقص للكل لأن المجموع مفوت للكل وهو كغربة خفيفة في التعلم تباح ولكن بشرط الاغتراف فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع أن كل واحدة من الضربات لو أقردت لكانت لاتوجب قصاصاً فإن فرض كون الظالم في موضع غير مقصوب كالموت مثلاً فإن كان تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام والدخول إليه غير جائز لأنه استغراق بالحرام واستغلال به فإن فرض كل ذلك حلالاً فلا يسمى بالدخول من حيث أنه دخول ولا بقوله السلام عليكم ولكن إن سجد أو ركع أو مثل قائماً في سلامه وخدمته كان مكرماً للظالم بسبب ولايته التي هي آفة ظلمه والتواضع للظالم معصية بل من تواضع لشيء ليس بظالم لأجل غناه لا لشيء آخر اقتضى التواضع قصص تلكا دينه فكيف إذا تواضع للظالم فلا يباح الا مجرد السلام فأما تقبيل اليد والاحتفاء في الخدمة فهو معصية إلا عند الخوف أو لإحرام عادل أو لأم أن أولئك يستحق ذلك بأمر ديني . قبل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يد على كرم الله وجهه لما أن لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استغفاراً لهم وعد ذلك من محاسن القربات فأما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لأن ذلك واجب فلا ينبغي أن يسقط بالظالم فإن ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يغلو من الجلوس على بساطهم وإذا كان أغلب أموالهم حراماً فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل . فأما السكوت فهو أنه يبرى في مجلسهم من القرض الحرر وأواني الفضة والحرر اللبوس عليهم وعلى غنائهم ماهو حرام وكل من رأى سبحة وسكت عليها فهو شرك في تلك السبحة بل ينسحب من كلامهم ماهو غش وكذب وعظم وإبداء والسكوت على جميع ذلك حرام بل إمام لابسين الثياب الحرام وآكلين الطعام الحرام وجميع ما في أيديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بفعله . فإن قلت : إنه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستثنى عن أن يمرض نفسه لارتكاب ما لا يباح إلا بصدر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى تسقط عنه بالمعذر وعند هذا أقول من علم مساداً في موضع وعلم أنه لا يقدر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي أن يحترز عن مشاهدته . وأما القول فهو أن يدعو للظالم أو يثنى عليه أو يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحيك رأيه أو باستئثار في وجهه أو يظهر له الحب واللواء والاشتياق إلى لقائه والحرص على طول عمره ويقاله فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يصدق كلامه هذه الأنسام . أما الدعاء له فلا يعمل إلا أن يقول أصليحك الله أو وقتك الله للخيرات أو طول الله عمرك في طاعته أو ما يجري هذا المجرى فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز قال صلى الله عليه وسلم « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يبعث الله في أرضه » (١) فان جاوز الدعاء إلى الثناء فبذكر ما ليس فيه فيكون به كاذباً ومناقاً ومكرماً للظالم وهذه ثلاث معاص وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله لينضب إذا مدح الفاسق » (٢) وفي خبر آخر « من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الاسلام » (٣)

وزل المدينة نزع لأنته
واغتسل واستتم
ولا فليجد الوضوء
ويطلب ويطلب
ويستدقق الاخوان
بذلك وينوي التبرك
عن هناك من الأحياء
والأموات وزورهم .
روى أبو هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« خرج رجل زوراً فأخا
له في الله فأرسل الله
بمدرجته ملكاً وقال
أين تريد قال أزور
فلانا قال قرابة قال
لا قال لئمة له عندك
تشكرها قال لا قال
فيم زوره قال إني
أحبه في الله قال فاني
رسول الله إليك بأنه
يجبك بحبك إياه » .
وروى أبو هريرة رضي
الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال « وإذا دعا الرجل
أخاه أو زاره في الله قال
الله له طيب وطيب
عجتهك ويطبوا من الجنة
مؤلاً » وروى أن

(١) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يبعث الله في أرضه تقدم (٢) حديث إن الله لينضب إذا مدح الفاسق تقدم (٣) حديث من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الاسلام تقدم أيضاً .

فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول والتركيز والشاء على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق والإعانة
 فإن التركيز والشاء إعانة على العصية وتحريك للرغبة فيه كما أن التكذيب واللذبة والتضييع زجر
 عنه وتضييع لدواعيه والإعانة على العصية ولو بشرط كلمة ، ولقد سئل سفيان الثوري رضى الله
 عنه عن ظالم أشرف على الهلاك في بركة هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت فإن ذلك إعانة له
 وقال غيره يسقى إلى أن تثوب إليه نفسه ثم يرض عنه فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والتشوق إلى لقائه
 وطول بقائه فإن كان كلابا عصى معصية الكذب والنفاق وإن كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه
 أن يفضيه في الله وعقته فالنقض في الله واجب وبحب العصية والراضى بها عاص ومن أحب ظالما فإن
 أحبه لظلمه فهو عاص لمحبه وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث إنه لم يخضه وكان الواجب عليه
 أن يخضه وإن اجتمع في شخص خير وشر وجب أن يحب لأجل ذلك الخير وينقض لأجل ذلك الشر
 وسيأتي في كتاب الإخوة والتحابين في الله وجه الجمع بين البنض والحب فإن سلم من ذلك كله وهيبات
 فلا يسلم من فساد يتطرق إلى قلبه فإنه ينظر إلى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتنعا
 بنهى رسول الله ﷺ حيث قال « يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق (١) »
 وهذا مع ما فيه من اقتداء غيرة به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله بإهم إن كان
 ممن تجمل به وكل ذلك إمامكروها أو محطورات . دعى عيدين للسبب إلى البيعة للوليد وسليمان ابني
 عبد الملك بن مروان فقال لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن النبي ﷺ نهى عن يمتين (٢)
 فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر فقال لا والله لا يقتدى بي أحد من الناس فجعل مائة وألبس
 السوح ولا يجوز الدخول عليهم إلا بعشرين . أحدهما أن يكون من جهتهم أمر إلزام لا أمر إكرام
 وعلم أنه لو امتنع أؤذى أو قد عليهم طاعة الرعية واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الإجابة
 لأطاعته بل مراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية . والثاني أن يدخل عليهم في دفع ظلم عن
 مسلم سواء أوعن نفسه إما بطريق الحسبة أو بطريق التظلم فذلك رخصة بشرط أن لا يكذب ولا يثنى
 ولا يبع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول . الحالة الثالثة أن يدخل عليك السلطان الظالم
 زائرا فجواب السلام له منه وأما القيام والأكرام فلا يحرم مقابله على إكرامه فإنه باكرام العلم
 والدين مستحق للاحسان كما أنه بالتظلم مستحق للإبعاد فالأكرام بالأكرام والجواب بالسلام ولكن الأول
 أن لا يقوم إن كان معه في خلوة يظهره بذلك عز الدين وحقارة الظلم ويظهر غضبه للدين وإعراضه
 عن عرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه وإن كان الداخل عليه في جمع فإعانة حشمة أرباب
 الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية وإن علم أن ذلك لا يورث فسادا في الرعية
 ولا يناله أدى من غضبه فترك الأكرام بالقيام أولى ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه فإن
 كان يقارف ما لا يعرف بحرمته وهو يتوقع أن يتركه إذا عرف فليعرفه بذلك واجب وأما ذكر تحريم
 ما يحل تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه أن يخوفه بما يرتكبه من المعاصي مهما ظن
 أن التخويف يؤثر فيه وعليه أن يرشده إلى طريق الصلحة إن كان يعرف طريقا على وفق الشرع

(١) حديث يامعشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق الحاكم من حديث
 عبد الله بن الشخير أقولوا الدخول على الأغنياء فإنه أجدر أن لا تزددوا نعم الله عز وجل وقال صحيح
 الإسناد (٢) حدث دعا ابن السبب إلى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك فقال لا أبايع اثنين
 ما اختلف الليل والنهار فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن يمتين أبو نعيم في الحلية بإسناد
 صحيح من رواية يحيى بن سعيد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كتب
 نهيكم عن زيارة
 القبور فزورها فإنها
 تذكروا الآخرة » فيحصل
 للفقر فائدة الأحياء
 والأموات بذلك فافها
 دخل البلد يتدنى
 بمسجد من الساجد
 يصلي فيه ركعتين فإن
 قصد الجامع كان أكمل
 وأفضل وقد كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 إذا قدم دخل المسجد أولا
 وصلى ركعتين ثم دخل
 البيت والرباط للفقر
 بمنزلة البيت ثم قصد
 الرباط قصد الرباط
 من السنة على ما روينا
 عن طلحة رضى الله
 عنه قال : سكتان
 الرجل إذا قدم للدينة
 وكان له بها عريف
 ينزل على عرشه وإن
 لم يكن له بها عريف
 نزل الصفة فكنت
 ممن أنزل الصفة ، فإذا
 دخل الرباط بمضى إلى
 الوضع الذى يريد نزاع
 الخف فيه فيحل

بحيث يحصل بها غرض الظلم من غير معصية لصدده بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم وإذا يجب عليه التبريد في محل جهله والتخوف فيما هو مستجري عليه والإرشاد إلى ما هو غافل عنه بما يبينه عن الظلم فهذه ثلاثة أمور تلزمه إذا توقع للسلام فيه أثراً وذلك أيضاً لا لزوم على كل من انفق له دخول على السلطان بغير أو بغير عذر . وعن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلفة وإذا ليس في البيت إلا حمير وهو جالس عليه ومصحف بقرآفه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فينأى أنا عنده إذ دق دق الباب فإذا هو محمد بن سليمان فأذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له مالي إذا رأيتك امتلأت منك رعباً قال حماد لأنت قال عليه السلام : « إن العالم إذا أراد بطله وجه الله هابه كل شيء . وإن أراد أن يكثر به السكونز هاب من كل شيء . »^(١) ثم عرض عليه أربعين ألف درهم وقال تأخذها وتسعين بها قال أرددها على من ظلمتها قال والله ما أعطيتك إلا بما ورثته قال لاحقاً لي بها قال فتأخذها فتضيقها قال لملي إن عدلت في قسمتها أخاف أن يقول بعض من لم يرزق منها إن علم عدل في قسمتها فيأثم فازوها على الحالة الثالثة : أن يتزلمهم فلا يروهم ولا يرونه وهو الواجب إذ لسلامة إلا فيه ضلعه أن يعتقد بشئهم على ظلمهم ولا يحب بقاوم ولا يثق عليهم ولا يستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى التصلين بهم ولا يتأسف على ما يفتون بسبب مفارقتهم وذلك إذا خطر بياله أمرهم وإن غفل عنهم فهو الأحسن وإذا خطر بياله تسعهم فليذكر ما قاله حاتم الأصم : إنما بيني وبين اللوك يوم واحد فأما أمس فلا يحجود للهته وإني وإياهم في غدا لملي وجل وإنا هو اليوم وما عسى أن يكون في اليوم ، وما قاله أبو السرياء : إذ قال أهل الأموال يا كلون ونا كل وحريون وضرب ولبسون ونلبس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وتنتظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل من أحاط عليه بظلم ظلام ومعصية عاص فينبغي أن يعطى ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لأن من صدر منه ما يكره قص ذلك من رتبته في القلب لاحتالة والعصية يبنى أن تكرهه فانه إما أن يغفل عنها أو يرضى بها أو يكرهه ولا يغفله مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن جناية كل أحد على حق الله كجنايته على حقه . فان قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف يجب . قلنا ليس كذلك فان الحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فان من لا يكره معصية الله لا يجب الله وإنما لا يجب الله من لا يعرفه ولا يعرفه والرفقة واجبة والمحبة لله واجبة وإذا أحبه كره ما كرهه وأحب ما أحبه وسألت تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا . فان قلت قد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين . فأقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل كما حكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجاً إلى مكة فلما دخلها قال اتوني برجل من الصحابة قبل أيامي المؤمنين قد تفرغوا فقال من التابعين فأتى بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع ثيابه بحافية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس يلزاه وقال كيف أنت يا هشام ؟ فغضب هشام غضباً شديداً حتى همّ بقتله قبل له أنت في حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك فقال له يطاوس ما ألقى حملك على ما صنعت قال وما ألقى صنعت فأزداد غضباً وغيظاً قال خلعت ثيابك بحافية بساطي ولم تقبل بدى ولم تسلم على بإمرة المؤمنين ولم تكني وجلست يلزاني بغير إذني وقلت كيف أنت يا هشام قال أما ما فعلت

(١) حديث حماد بن سلفة مرفوعاً إن العالم إذا أراد بطله وجه الله هابه كل شيء . وإذا أراد أن يكثر به السكونز هاب من كل شيء . هذا معضل وروى أبو الشيخ بن حبان في كتاب الثواب من حديث واثلة بن الأسقع من خاف الله خوف الله منه كل شيء مومن لم يغف الله خوفه الله من كل شيء . وللقبلى في الضعفاء نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما منكر .

وسطه وهو قائم ثم يخرج الخريطة بيساره من فكه اليسار ويحل رأس الخريطة باليمين ويخرج للداس باليسار ثم يضع الداس على الأرض ويأخذ باليمنى ويقيها في وسط الخريطة ثم ينزع عنه اليسار فإن كان على الوضوء يشل قدميه جديزخ الخف من تراب الطريق والعرق وإذا قدم على السجادة يطوى السجادة من جانب اليسار ويمسح قدميه بما انطوى ثم يستقبل القبلة ويصلي ركعتين ثم يسلم ويحفظ القدم أن يطأ بها موضع السجود من السجادة وهذه الرسوم الظاهرة التي استحسناها بعض الصوفية لا تنكر على من يتقيد بها لأنه من استحسان الشيوخ وينتبه الظاهرة في ذلك تحيد للرشد في كل شيء بهيمة مخصوصة ليكون أبداً مفتقداً

من خلع نعل بحاشية بساطك فاني أحسبها بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يافني ولا ينضب علي وأما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: لا يجزى لرجل أن يقبل يده إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة وأما قولك لم تسلم علي يامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب وأما قولك لم تسكني فان الله تعالى مهيأه وأولياده فقال داود بإيعي ياعيسى وكفى أعداءه فقال - تبث بدا أني لهب - وأما قولك جلست بأرائي فاني سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظمي فقال سمعت أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول إن في جهنم حبات كالقلال وعقارب كالبعال تلغ كل أمير لا يبدل في رعيته ثم قام وهرب وعن سفيان الثوري رضي الله عنه قال أدخلت علي أبي جعفر النصور بنى فقال لي ارفع إلينا حاجتك قلت له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا قال فطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك قلت إنما أزلت هذه الزلة بسيف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعا فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم فطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك قلت حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لحازنكم أن تغتف ؟ قال بضعة عشر درهما وأرى ههنا أموالا لا تطيق الجمال حملها وخرج فكذلك كانوا يدخلون علي السلاطين إذا أئروا وكانوا يفررون بأرواحهم للاتقام فله من ظلمهم ودخل ابن أبي شبة علي عبد الملك بن مروان فقال له تكلم فقال له إن الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومراراتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه فبكي عبد الملك وقال لأجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ماعشت ولما استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عامر أتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عنه أبو ذر وكان له صديقا فباته فقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه » (١) ودخل مالك بن دينار علي أمير البصرة فقال أبها الأمير قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول ما أحق من سلطان وما أجهل بمن عصاني ومن أعز من اعترني أبها الراعي السوء دفعت إليك غنا سبانا صحاحا فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركها عظاما تتفقع فقال له والي البصرة أندرى ما ألقى بمرثك علينا وبجبننا عنك قال لا قال قلة الطمع فينا وترك الاساك لما في أيدينا . وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فخرج ووضع صدره علي مقدمة الرجل فقال له عمر هذا صوت رحمة فكيف إذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان إلى الناس فقال ما أكثر الناس فقال عمر خضباؤك يا أمير المؤمنين فقال له سليمان ابتلاك الله بهم . وحكي أن سليمان بن عبد الملك قدم للدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبي حازم فدعاء فلادخل عليه قاله سليمان يا أبا حازم ما لنا نكره اللوث فقال لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الحراب فقال يا أبا حازم كيف القدوم علي الله قال يا أمير المؤمنين أما الحسن فكأنما بقدم علي أهله وأما السيوف فكأنما بقدم علي مولا فبكي سليمان وقال ليت شعري مالي عند الله قال أبو حازم اعرض نفسك علي كتاب الله تعالى حيث قال - إن الأبرار لن ينفك وإن الفجار لن يجمع - قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من الحسين ثم قال سليمان يا أبا حازم أي عباد الله أكرم ؟ قال أهل البر والتقوى قال فأى الأعمال أفضل ؟ قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى الكلام أسمع ؟ قال قول الحق عند من تخاف وترجو

(١) حديث أبي ذر إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عز وجل منه لم أتق له علي أصل .

لحركاته غير قادم علي
حركة غير قصد وعزيمة
وأدب ومن أخل من
الفقراء بشئ من ذلك
لا ينكر عليه ما لم يخل
بواجب أو مندوب لأن
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما تفيدوا
بكثير من رسوم
للتصوفة وكون الشبان
يطالبون الوارد عليهم
بهذه الرسوم من غير
نظرهم إلى النية في
الأشياء غلط فلعل
التقير يدخل الرباط
غير مشعر أكلمه وقد
كان في السفر لم يشعر
الأحكام فينبه أن
لا يتعاطى ذلك لنظر
الحلق حيث لم يخل
بمندوب إليه شرعا
وكون الآخر يشعر
الأحكام فينبس ذلك
علي حد الوسط وشد
الوسط من السنة كما
ذكرنا من شد أصحاب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أو ساطهم
في سفرهم بين المدينة
ومكة فتشعر الأحكام

قال فأى للؤمنين أكيس ؟ قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها قال فأى للؤمنين أخسر ؟ قال رجل خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان ما تقول فيما نحن فيه ؟ قال أولئك في الدنيا لا يدافعون نصيحة نبيها إلى قول أمير المؤمنين إن آباءكم قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شئتم بما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بشما قلت قال أبو حازم إن الله قد أخذ الشاق على العلماء ليبينه للناس ولا يكتمونه قال وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد ؟ قال أن تأخذ من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك ؟ فقال من يطلب الجنة ويغاف من النار فقال سليمان ادع إلى فقال أبو حازم : اللهم إن كان سليمان وليك فيسره خبري الدنيا والآخرة وإن كان عدوك غلظ بناسيته إلى ما تعجب وترضى فقال سليمان أوصني فقال أوصيك وأوصي عظم ربك وزمه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك . وقال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم عظمي فقال اضطلع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر إلى ما تعجب أن يكون فيك تلك الساعة غلظه الآن وما تركه أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن فقل تلك الساعة قرية . ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال تكلم بالأعرابي فقال أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاتحته وإن تكرهته فإن وراءه ما تعجب إن قبلته فقال بالأعرابي إنا لنجدو بسمة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا تأمن غشه فكيف بمن تأمن غشه وزجو نصحه قال الأعرابي يا أمير المؤمنين إنه قد تسكفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دينهم بدينهم ورضوا بسخط ربهم خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله تعالى عليه فاهم لم يألو في الأمانة فضيحا وفي الأمة خسفا وعسفا وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دينهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبا من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان يا أعرابي أما إنك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك قال أجل يا أمير المؤمنين ولكن لك لأعليك . وحكى أن أبا بكره دخل على معاوية فقال اتق الله معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لآزداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة إلا قربا وعلى أترك طالب لآخوته وقد نصب لك علما لآنجوزه فما أسرع ما تبلى العلم وما أوسعك ما يلحق بك الطالب وإنما وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائر ون باقى إن خيرا غير وإن شرا شر فكذا كان دخول أهل العلم على السلاطين أغنى علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلوهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحبل طرق السعة فما يوافق أغراضهم وإن تسكدوا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن تصدم الإصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غروران يتر بهما الحق : أحدهما أن يظهر أن قصدي في الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على أنفسهم بذلك وإنما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في طلب الإصلاح أنلو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه في العلم ووقع موقع القبول وظهر به أثر الإصلاح فينبغي أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا اللهم كن وجب عليه أن يسأل مريضنا ضائعا فقام بمعالجته غيره فانه يعظم به فرحه فان كان يصادف في قلبه ترجيحا للسكامة على كلام غيره فهو مغرور . الثاني أن يزعم أني أقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامه وهذا أيضا مظنة التروار ومياعة ما تشم ذكره وإذا ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم في الأحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل . مسئلة : إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فان كان له مالك معين فلا عمل أخذه وإن لم يكن

في معناه من الخفصة والارفاق به في الشيء فمن كان مشدود الوسط مشعرا يدخل الرباط كذلك ومن لم يكن في السفر مشدود الوسط أو كان راكبا لم يشد وسطه فمن الصدق أن يدخل كذلك ولا يعتمد شد الوسط وتتمير الأكام لنظر الحلق فانه تكلف ونظر إلى خلق ومبني التصوف على الصدق وسقوط نظر الحلق وما ينسكب على للتصوف فأنهم إذا دخلوا الرباط لا يتدنون بالسلام ويقولون للسكر هذا خلاف للتدوب ولا ينبغي للسكر أن ينادى إلى الانكار دون أن يعلم مقاصدكم فيما اعتدوه وتركهم السلام بحمل وجوها : أحدها أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وقد روى عبد الله بن عمر قال سمع رجلا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو

بل كان حكمه أنه يحرم التصديق به على السالكين كما سبق ذلك أن تأخذه وتولى التفرقة ولا تصح
 بأخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعند هذا ينظر في الأولى فنقول : الأولى أن تأخذه إن أمنت
 ثلاث غوائل . الغائلة الأولى : أن يظن السلطان بسبب أخذه أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما كنت
 تعد يدك إليه ولا تدخله في ضيائه فان كان كذلك فلا تأخذه فان ذلك محذور ولا يبي الحرف في
 مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجراءة على كسب الحرام . الغائلة الثانية : أن ينظر إليك غيرك
 من العلماء والجهال فيعتقدون أنه حلال فيعتقدون بك في الأخذ ويستدلون به على جوازهم ثم لا يفرقون
 فهذا أعظم من الأول فان جماعة يستدلون بأخذ الشافعي رضي الله عنه على جواز الأخذ ويستدلون
 عن تفرقه وأخذه على نية التفرقة فالتعدي والتشبه به يبنى أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز فانه
 يكون فله سبب ضلال خلق كثير . وقد حكى وهب بن منبه أن رجلاً أتته إلى ملك بمشهد من
 الناس ليكرهه على أكل لحم الخنزير فلم يأكل فقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل فقبل
 له في ذلك فقال إن الناس قد اعتقدوا أني طوبيت بأكل لحم الخنزير فإذا خرجت سالماً وقد أكلت
 فلا يسلون ماذا أكلت فيضلون . ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف أخى الحاجب وكان
 عاملاً وكان في غداة باردة في مجلس بارز فقال لسلامه هلم ذلك الطليسان وأتته على أبي عبد الرحمن
 أي طاوس وكان قد قصد على كرسى فألقى عليه فلم يزل يحركه كتيبه حتى أتى الطليسان عنه
 فضرب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنياً عن أن تعقبه لو أخذت الطليسان وتصدت به قال نعم
 لولا أن يقول من بعدى إنه أخذه طاوس ولا يصنع به ما أصنع به إذن لقتلت . الغائلة الثالثة : أن
 يتحرك قلبك إلى جبهه شخصه إليك وإيثاره لك بما أتته إليك فان كان كذلك فلا تغبل فان
 ذلك هو السهم القاتل والهاء الدفين أعنى ما يعيب الظلمة إليك فان من أحببته لابد أن تحرم عليه
 وتداهن فيه قالت عائشة رضي الله عنها : جبلت النفوس على حب من أحسن إليهما وقال عليه السلام
 « اللهم لا تجعل لقاجر عندي يداً فيجبه قلبي » ^(١) بين صلى الله عليه وسلم أن القلب لا يكاد يمتنع
 من ذلك . وروى أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف درهم فأخرجها كلها فأثاء
 محمد بن واسع فقال ما صنعت بما أعطاك هذا الخلق ؟ قال سئل أصحابي فقالوا أخرجه كله فقال
 أنشدك الله أفليك أشد حبا له الآن أم قبل أن أرسل إليك ؟ قال لا بل الآن قال إنما كنت أخاف
 هذا وقد صدق فانه إذا أحبه أحب بقاءه وكرهه عزله ونكته وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة
 ماله وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود رضي الله عنهما من رضى
 بأمر وإن غاب عنه كمن شهده قال تعالى - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا - قيل لا ترضوا بأعمالهم
 فان كنت في القوة بحيث لاتزداد حالهم بذلك فلا بأس بالأخذ . وقد حكى عن بعض عباد البصرة
 أنه كان يأخذ أموالاً ويغرقها قتيلاً له ألا تخاف أن نجهم فقال لو أخذ رجل يدي وأدخلني الجنة ثم
 عصى ربه ما أبجبه قاي لأن الذي سخره للأخذ يدي هو الذي أبضه لأجله فسكراله على تسخيره
 إليهم وهذا بين أن أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك للمال بينه من وجه حلال محذور ومذموم
 لأنه لا ينفعك عن هذه التوائل . مسألة : إن قال قائل إذا جاز أخذه ماله وتفرقه فهل يجوز أن يسرق
 ماله أو تخفي وديته وتسرق على الناس فنقول ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين

(١) حديث اللهم لا تجعل لقاجر عندي يداً فيجبه قلبي ابن مردويه في التفسير من رواية كثير بن
 عطية عن رجل لم يسم ورواه أبو منصور الدبلي في مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى
 الذين في كتاب تشييع العمر والأيام من طريق أهل البيت مرسلًا وأسانيده كلها ضعيفة .

يول فسلم عليه فلم يرد
 عليه حتى كاد الرجل
 أن يتوارى فضرب
 يده على الحائط ومسح
 بها وجهه ثم ضرب
 ضربة أخرى فمسح بها
 ذراعيه ثم دعى الرجل
 السلام وقال إنه لم يعنى
 أن أورد عليك السلام
 إلا أني لما كنت على طهره
 وروى « أنه لم يرد عليه
 حتى توسأ » ثم اعتذر
 إليه وقال إن كرهت
 أن أذكر الله تعالى إلا
 على طهره وقد يكون جمع
 من الفقهاء مصطحين
 في السفر وقد يشق
 لأحدهم حدث فلو سلم
 للتوضؤ وأمسك
 المحدث ظهر حاله فيترك
 السلام حتى يتوسأ من
 يتوسأ ويضل قدمه
 من يضل ستر الحال
 على من أحدث حتى
 يكون سلامهم على
 الطهارة اقتداء برسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 وقد يصحون بعض
 التيسير أيضاً على غير
 طهارة فيستدلوا بواب

وهو على عزم أن يرد عليه وليس هذا كما لو بثه إليك فان الماقل لا يظن به أنه يصدق بمال يعلم مالكة فيدل تسليمه على أنه لا يعرف مالكة فان كان بمن يشكك عليه مثله فلا يجوز أن يجبل منه المال ما لم يحرف ذلك ، ثم كيف يسرق ويحتل أن يكون ملكه قد حصل له بشراء في ذمته فان اليد ذلالة على الملك فهذا لا سبيل إليه بل لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندى واحتل أن تكون له بشراء في الذمة أو غيره وجب الرد عليه فاذا لا يجوز سرقة مالهم ولا من أودع عنده ولا يجوز إنكار ودينتهم ويجب الحد على سارق مالهم إلا إذا ادعى السارق أنه ليس ملكا لهم فند ذلك يسقط الحد بالدعوى . مسألة : العائمة معهم حرام لأن أكثر مالهم حرام فما يؤخذ عوضا فهو حرام فان أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلم إليهم فان علم أنهم يصون الله به كييع الدياج منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام كييع النيب من الحمار وإنما الخلاف في الصحة وإن أمكن ذلك وأمكن أن يلبسها نسائه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يصح في عينه من الأموال وفي معناه بيع الفرس منهم لاسيما في وقت ركوبهم إلى قتال المسلمين أو جباية أموالهم فان ذلك إغارة لهم بخبره وهي محظورة فأما بيع الدراهم والدينارين منهم وما يجري مجراها مما لا يصح في عينه بل يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من إغاتهم على الظلم لأنهم يستنيون على ظلمهم بالأموال والدواب وسائر الأسباب وهذه السكراة جارية في الإهداء إليهم وفي العمل لهم من غير أجره حتى في تسليمهم وتعليم أولادهم الكتابة والترسل والحساب وأما تعليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة فان ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله ولو اتسب وكيلاهم يشتري لهم في الأسواق من غير جعل أو أجره فهو مكروه من حيث الإغارة وإن اشترى لهم ما يعلم أنهم يقصدون به الصبة كالغلام والدياج للفرش والابس والفرس للركوب إلى الظلم والقتل فذلك حرام فهو ما ظهر قصد الصبة بالمبايع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلائلها عليه حصلت السكراة . مسألة : الأسواق التي ينوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فان سكناها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يجرم كسبه وكان عاصيا بسكناه ولئلا يناس أن يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا أخرى فالأولى الشراء منها فان ذلك إغارة لسكناها وتكثير لسكراء حوائثهم وكذلك معاملة السوق التي لاخراج لهم عليها أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى تحرزوا من معاملة الفلاحين وأصحاب الأراضي التي لهم عليها الخراج فانهم ربما يصرفون ما يأخذون إلى الخراج فيحصل به الإغارة وهذا غلو في الدين وخرج على المسلمين فان الخراج قد عم الأراضى ولا غنى بالناس عن ارتفاع الأرض ولا معنى للمنع منه ولوجاز هذا الحرم على المالك زراعة الأرض حتى لا يظلم خراجها وذلك مما يطول ويتداهى إلى حسم باب العاش . مسألة : معاملة تضايتهم وعملهم وخدمهم حرام كما ملتهم بل أشد أما القضاة فلائهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويثرون الخلق بزهرهم فانهم على زى العلماء ويختلطون بهم ويأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التشبه والاعتداء بلسوى الجاه والحشمة فهم بسبب اقتداء الخلق إليهم وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من النصب الصريح ولا يقع في أيديهم مال مصلحة وميراث وجزية ولا وجه حلال حتى تضعف التشبه باختلاط الحلال بالمهم قال طاوس لا أشهد عندهم وإن تحققت لأن أخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة إنما فسدت الرعية بفساد اللوك وفساد اللوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد اللوك خوفا من إنكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال هذه الأمة تحت يدي الله

السلام أيضا بالطهارة لأن السلام اسم من أسماء الله تعالى وهذا من أحسن ما يذكر من الوجوه في ذلك ومنها أنه إذا قدم يماقه الإخوان وقد يكون معه من آثار السفر والطريق ما يكره فيستمد بالوضوء والنظافة ثم يسلم ويمسحهم ومنها أن جمع الرابطة أرباب مراقبة وأحوال فلو هجم عليهم بالسلام قد يزعج منه مراقب ويتشوش محافظ والسلام يتقدمه استئناس بدخوله واشتتاله بفضل القدم والوضوء وصلاته ككتبتين فيتأهب الجميع له كما يتأهب لهم بعد مسابقة الاستئناس وقال الله تعالى - حتى تستأنسوا - واستئناس كل قوم على ما يليق بمالهم ومنها أنه لم يدخل على غيريته ولا هو بغيره منهم بل هم إخوانه

إلا بجون ولا يتشبه بالفاسق إلا فاسق ثم الفاسق قد ينسب فيتشبه بأهل الصلاح فأما الصالح فليس له أن يتشبه بأهل الفساد لأن ذلك تكثير لسوئهم وإنما نزل قوله تعالى - إن الذين يوفونكم بالصلح - ظالمى أنفسهم - في قوم من السليين كانوا يكثر جمعاً للشركين بالمخالطة وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال ما بال الأخبار قال إنهم لا يعضون لعضي فكانوا يؤاكلونهم ويشربونهم وهذا يبين أن بعض الظلة والتشبه عليهم واجب . وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ «إن الله لمن علماء بني إسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معاشهم»^(١) . مسألة : الواضع التي بناها الظلة كالقناطر والرباطات والساجد والسقايات يبنى أن يختلط فيها وينظر أما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما أمكن وإن وجد معدلاً تأكد الورع وإنما جوزنا العبور وإن وجد معدلاً لأنه إذا لم يعرف تلك الأعيان مالها كان حكمها أن ترصد للخيرات وهذا خير فأما إذا عرف أن الأجر والحجر قد تنزل من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه أصلاً إلا للضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه وأما المسجد فإن بني في أرض منصوبة أو بحشب مغسوب من مسجد آخر أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلاً ولا الجمعة بل لو وقف الإمام فيه فليصل هو خلف الإمام وليقف خارج المسجد فإن الصلاة في الأرض المنصوبة تسقط القرض وتتعد في حق الاقتداء فذلك جوزنا له فتدنى الاقتداء بمن صلى في الأرض المنصوبة وإن عصى صاحبه بالوقوف في التمسك وإن كان من مال لا يعرف مالها فالورع المدول إلى مسجد آخر إن وجد فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لأنه يحتمل أن يكون من الملك الذي بناء ولو لم يكن له مال معين فهو لمصالح السليين ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا يعد لمن صلى فيه مع الساع السجد أعني في الورع قيل لأحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج إلى الصلاة في جماعة ونحن بالسكر فقال حجتى أن الحسن وإبراهيم التيمي خافا أن يقتلها الحجاج وأنا أخاف أن أقتل أيضاً وأما الخلق والتجسس فلا يمنع من الدخول لأنه غير متنع به في الصلاة وإنما هو زينة والأولى أنه لا ينظر إليه وأما البوارى التي فرسوها فإن كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها وإلا فبعد أن أرصدت لمصلحة عامة جاز اقتراضها ولكن الورع المدول عنها فإنها محل شبهة . وأما السقاية لحكمها ما ذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول إليها إلا إذا كان يخاف فوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصالح طريق مكة . وأما الرباطات والمدارس فإن كانت رقية الأرض منصوبة أو الأجر متقولا من موضع معين يمكن الرد إلى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وإن التمس المالك قد أرصد لجهة من الخير والورع اجتنبه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله وهذه الأئمة إن أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشد إذ ليس لهم صرف الأموال الضائعة إلى الصالح ولأن الحرام أغلب على أموالهم إذ ليس لهم أخذ مال الصالح وإنما يجوز ذلك للوالة وأرباب الأمر . مسألة : الأرض المنصوبة إذا جعلت شارعا لم يجوز أن يتخطى فيه أئمة وإن لم يكن له مالك معين جاز والورع المدول إن أمكن فإن كان الشارع مباحا وفوقه سباط حاز الدور وجاز الجلوس تحت السباط على وجه لا يحتاج فيه إلى

(١) حديث ابن مسعود لعن الله علماء بني إسرائيل إذ دخلوا الظالمين في معاشهم أبو داود والترمذى وابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو إسرائيل في المعاشية بينهم عداؤهم فلم ينتهوا فالحسوم في مجالسهم وواكلهم وشاربهم فغضب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم أنظر الترمذى وقال حسن غريب

الله عليه وسلم كان يخلع اليسرى قبل اليمنى ويلبس اليمنى قبل اليسرى . وبسط السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه وكون أحدم لا يقعد على سجادة الآخر مشروع ومسنون وقد ورد في حديث طويل «لا يؤم الرجل الرجل في سلطانه ولا في أهله ولا يجلس على تكبرته إلا بإذنه» وإذا سلم على الاخوان يماثلهم ويمامونه فقد روى جابر بن عبد الله قال «لما قدم جعفر من أرض الحبشة عاتقه النبي صلى الله عليه وسلم» وإن قبلهم فلا بأس بذلك روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر قبل بين عينيه وقال ما أنا بفتح خير أسر منى يقدم جعفر» ويصافح إخوانه فقد قال عليه السلام «قبلة السلم أخاه للصالح» وروى أنس

السقف كأي شيء في الشارع لشغل فإذا انتفع بالسقف في دفع حر الشمس أو الظر أو غيره فهو حرام لأن السقف لا يراد إلا لذلك وهكذا حكم من يدخل مسجداً أو أرضاً مباحة سقف أو حوط بنصب فانه بمجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف إلا إذا كان له قائمة في الحيطان والسقف لحراً أو برد أو تتر عن بصر أو غيره فذلك حرام لأنه انتفاع بالحرام إذ لم يحرم الجلوس على التصب لما فيه من المصلحة بل للانتفاع والأرض تتراد للاستقرار عليها والسقف للاستقلال به فلا فرق بينهما .

(الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر سبب الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى)

مسألة : سئل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ويجمع طعاماً أو قنطاراً ويشتري به طعاماً من الذي يحل له أن يأكل منه وهل يخص بالصوفية أم لا . قلنا أما الصوفية فلا شبهة في حقهم إذا أكلوه وأما غيرهم فيحل لهم إذا أكلوا من طعام الخادم ولكن لا يغلو عن شبهة أما الحل فلا من ما يعطى خادم الصوفية إنما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو للمطعم لا للصوفية فهو كالرجل العليل يعطى بسبب عياله لأنه متكفل بهم وما يأخذ من ماله لا للمال وله أن يطعم غير العيال إذ يعد أن يقال لم يخرج عن ملك المطعم ولا يسلط الخادم على التمراده والتصرف فيه لأن ذلك معبر إلى أن العاطاة لا تسكن وهو ضعيف ثم لاحتار إليه في الصدقات والهدايا ويعد أن يقال زال ذلك إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الخاتمة إذ لا خلاف أن له أن يطعم منته من يقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم أو واحد منهم لا يجب صرف نصيبه إلى وراثته ولا يمكن أن يقال إنه يقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق لأن إزالة ذلك إلى الجهة لا توجب تسليط الآحاد على التصرف فإن الداخلين فيه لا ينصرفون بل يدخل فيه من يولد إلى يوم القيامة وإنما يصرف فيه الولاية والخادم لا يجوز له أن يتصحب نائباً عن الجهة فلا وجه لإلزامه بقوله هو ملكه وإنما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوف والروعة فإن منتهى عنه منعه عن أن يظهر نفسه في مرض التكلم بهم حتى يقطع وقفه كأي قطع عن مات عياله . مسألة : سئل عن مال أوصى به للصوفية فمن الذي يجوز أن يصرف إليه قلنا التصوف أمر باطن لا يطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بأمور ظاهرة يقول عليها أهل العرف في إطلاق اسم الصوفي والضابط الكلي أن كل من هو بصفة إذا نزل في خاتمة الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكراً عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل أن يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والقرى والصوفية وأن لا يكون مشتتاً بحرفة وأن يكون محالاً لهم بطريق الساكنة في الخاتمة ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها يتجبر بالبعض فالنقص يمنع هذا الاستحقاق لأن الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر نفسه وإن كان على زعمه لا يستحق ما أوصى به للصوفية ولنا نصبر فيه الصغار . وأما الحرفة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع في حاله أوداره والأجير الذي يخدم بأجرة كل هؤلاء لا يستحقون ما أوصى به للصوفية ولا يتجبر هذا بالزى والمخالطة فأما الوراثة والحياطة وما يقرب منها مما يليق بالصوفية تعاطيها فإذا تعاطاها فلا يحوط ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك يتجبر بمساكنة أيام مع بقية الصفات وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع وأما الوعظ والتدريس فلا ينافي لاسم التصوف إذا وجدت بقية الحصول من الزى والسكينة والقرى إلا بتناقض أن يقال صوفي مقرر وصوفي واعظ وصوفي عالم أو مدرس ويتناقض أن يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل وأما الفقر فإن زال بنى مفرد ينسب الرجل إلى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه أخذ صفة الصوفية وإن كان له مال ولا ينفذ دخله

(الباب السابع في مسائل متفرقة)

ابن مالك قال : قيل
يا رسول الله الرجل يلقى
صديقه وأخاه ينحله
قال لا يقل يلتزمه وبقوله
قال لا يقل يصفحه قال
نعم ويستحب للفقراء
التيبين في الرباط أن
يتلقوا الفقراء بالترحيب
روى عنكم قال : قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم جئت :
مرحبا بالراكب
للهاجر مرتين وإن
قاموا إليه فلا بأس
وهو مسنون . روى
عنه عليه السلام أنه
قام لجفر يوم قدمه
ويستحب للخادم أن
يقدم له الطعام . روى
لقيط بن سبرة قال
« وفدنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فلم يصادفه في منزله
وصادفنا عائشة رضي
الله عنها فأمرت لنا
بالحريرة فصنعت لنا
وأنتنا بفتح فيه تمر
والقناع الطبق فأكلنا
ثم جاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال

مخرجه لم يطل حقه وكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وإن لم يكن له خرج وهذه أمور
لادليل لها إلا العادات وأما الخاططة ومساكنهم فلها أثر ولكن من لا يخاططهم وهو في داره أو في مسجد
على زهم ومتعلق بأخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان ترك الخاططة يجبرها ملازمة الزى فإن لم يكن
على زهم ووجد فيه بقية الصفات فلا يستحق إلا إذا كان مساكنا لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم
بالتبعية فالخاططة والذى ينوب كل واحد منهما عن الآخر والفقير الذى ليس على زهم هذا حكمه
فإن كان خارجا لم يمد صوفيا وإن كان ساكنا معهم ووجدت بقية الصفات لم يمد أن ينسحب بالتبعية
عليه حكمهم . وأما البس الرقة من يدشيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعده لا يضره
مع وجود التراتل للذكورة وأما التأهل للتردد بين الرباط والسكن فلا يخرج بذلك عن جملتهم .
مسألة : ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به لأن معنى الوقف
العصر إلى مصالحهم فقليل الصوفى أن يأكل معهم برضاهم على ما لديهم مرة أو مرتين فإن أمر الأطمعة
مبنية على التسامح حتى جاز الاغترابها في الفناءم للشركة وللقوال أن يأكل معهم في دعوتهم من ذلك
الوقت وكان ذلك من مصالح معاشهم وما أوصى به للصوفية لا يجوز أن يصرف إلى قوال الصوفية
غلاف الوقف وكذلك من أحضره من الصالح والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استئالة
قلوبهم بحلهم الأكل برضاهم فإن الواقف لا يقف لإعتقاده فيه ما جرت به عادات الصوفية فيزول
على النورف ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفيا أن يسكن معهم على الدوام وبأكل
وإن رضوا به إذ ليس لهم تقييد شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم . وأما الفقير إذا كان على زهم
وأخلاقهم فله التزول عليهم وكونه قريبا للإناني كونه صوفيا والجهل ليس بشرط في التصوف عند من
يعرف التصوف ولا يلتفت إلى خرافات بعض الحقى بقولهم إن العلم حجاب فإن الجهل هو الحجاب وقد
ذكرنا تأويل هذه الكلمة في كتاب العلم وأن الحجاب هو العلم للمومود وذكرنا المومود
والدموم وشرحهما . وأما الفقير إذا لم يكن على زهم وأخلاقهم فله منعه من التزول عليهم فإن رضوا
ببزوله فيحل له الأكل معهم بطريق التبعية فكان عدم الزى نجمة المساكنة ولكن برضا أهل
الزى وهذه أمور تشهد لها العادات وفيها أمور متعاقبة لاغنى أطرافها في التنى والاثبات ومتشابهة
أوساطها فمن احترز في مواضع الاشتباه قد استبرأ لدينه كانهنا عليه في أبواب الشبهات . مسألة :
سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع أن كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يغلو عن غرض وقد
حرمت إحداها دون الأخرى . قلنا بل بالمال لا ينهه قط إلا لترض ولكن الفرض إما أجل
كالثواب وإما عاجل والعاجل إما مال وإما فضل وإعانة على مقصود معين وإما تقرب إلى قلب الهدى إليه
بطلب محبة إما للمحبة في عينها وإما للتوصل بالحبة إلى غرض وراءها فالأقسام الحاصلة من هذه خمسة
الأول : ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك إما أن يكون لسكون الصروف إليه محتاجا أو عالما أو منتسبا
بنسب ديني أو صالحا في نفسه متديبا فإعلم الأخذ أنه يعطاه لحاجته لا يحل له أخذه إن لم يكن محتاجا
وما علم أنه يعطاه لشرفه لئلا يحل له إن علم أنه مكافئ في دعوى التنب وما يعطى لعله فلا يحل له أن
يأخذه إلا أن يكون في العلم كايقتضيه العلم فإن كان خيل إليه كالا في العلم حتى يشبه بذلك على القرب
ولم يكن كاملا لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له أن يأخذه إن كان فاسقا في الباطن فسقا
لوعده المعطى ما أعطاه وقلنا يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة إليه وإنما ستر
الله الجليل هو الذى يحب الخلق إلى الحق وكان الثورعون يوكلون في الشراء من لا يعرف أنه وكلامهم
حتى لا يتساعوا في البيع خيفة من أن يكون ذلك أكلا بالدين فإن ذلك محظور والتقى حتى لا يكامل

أصنعت عينا قلنا نعم
يرسل الله ويستحب
للقدام أن يقدم للفقراء
شيئا لحق القدوم .
ورد أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما
قدم المدينة نحر جرورا
وكرهتهم لقدم القدام
بعد الصر وجهه من
السنة منع النبي صلى
الله عليه وسلم عن
طروقي الليل والصوفية
بعد الصر يستمدون
لاستقبال الليل
بالطهارات والانكباب
على الأدكار والاستغفار
روى جابر بن عبد الله
قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « إذا قدم
أحدكم من سفر فلا
يترقب أهله ليلا »
وروى كعب بن مالك
أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان
لا يقدم من السفر إلا
نهارا في الضحى
فيستحبون القدوم في
أول النهار فإن فات
من أول النهار فقد
ينفق تمويق من

والنسب والقر فينبغي أن يحتجب الأخذ بالدين ما أمكن . القسم الثاني : ما يقصد به في العاجل عرض معين كالفقر يهدى إلى القنى طمعا في خاتمة هذه هبة بشرط الثواب لا يحنى حكمها وإنما تحمل عند الوفاء بالثواب الطموع فيه وعند وجود شروط العقود . الثالث : أن يكون المراد إغاثة بفعل معين كالاحتياج إلى السلطان يهدى إلى وكيل السلطان وخاصة ومن له مكانة عنده فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فلينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فإن كان حراما كالسمي في تجيز إدرار حرام أو ظلم إنسان أو غيره حرم الأخذ وإن كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه أو شهادة متينة فيحرم عليه ما يأخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وإن كان مباحا لأوابيا ولا حراما وكان فيه تب محبت لو عرف لجاز الاستئجار عليه لما يأخذه حلال مهما وفي بالقرض وهو جار مجرى الجمالة كقوله أوصل هذه القصة إلى يد فلان أو يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج إلى تب وعمل متقوم أو قال اقترح على فلان أن يميني في غرض كذا أو ينم علي بكذا واقترح في تجيز غرضه إلى كلام طويل فذلك جبل كما يأخذه الوكيل بالخصومة بين يدي القاضي فليس بمحرام إذا كان لا يسمي في حرام وإن كان مقصوده يحصل بكلمة لا تب فيه ولكن تلك الكلمة من ذى الجاء أو تلك القطة من ذى الجاء نفي كقوله للواب لا تغلق دونه باب السلطان أو كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لأنه عوض من الجاء ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على التهي عنه كما سيأتي في هدايا اللوكلو إذا كان لا يجوز العوض عن إسقاط الشفعة والرد بالحب ودخول الأغصان في هواه الملك وجملة من الأغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاء ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلة واحدة بئنه باعلى دواء ينفرده بعرفته كواحد ينفرده بالعلم ثبت بقلع البواسير أو غيره فلا يذكره إلا بعوض فإن عمله بالتلفظ به غير متقوم كعبة من مسم فلا يجوز أخذ العوض عليه ولا على غيره إذ ليس ينتقل عنه إلى غيره وإنما يحصل لغيره مثل غيره وبقي هو عالما به ودون هذا الحادق في الصناعة كالصيفل مثلا الذي يزيل اعوجاج السيف أو الرأفة بدقة واحدة لحسن معرفته بموضع الخلل ولحذقه باصاته بقدر يزيد بدقة واحدة مال كثير في قيمة السيف والرأفة فهذا لأارى بأسا بأخذ الأجرة عليه لأن مثل هذه الصناعات يتب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل .

الرابع : ما يقصد به المحبة وجلبها من قبل للهدى إليه لا لقرض معين ولكن طلبا للاستئناس وتأكيدا للصحة وتوددا إلى القلوب فذلك مقصود للعقلاء ومنسوب إليه في الشرع قال صلى الله عليه وسلم «تهادوا تحابوا» (١) وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان في الغالب أيضا محبة غيره لعين المحبة بل لهائنة في محبة ولكن إذا لم تتعين تلك الفائدة ولم يمتثل في نفسه غرض معين يمتثل في الحال أو المال سمي ذلك هدية وحل أخذها . الخامس : أن يطلب التقرب إلى قلبه وتحصيل محبة لاجته ولا لأنسبه من حيث إنه أنس فقط بل لينصل بمجاهة إلى أغراض له ينحصر جنسها وإن لم ينحصر عينها وكان لولاجاهه وحشمته لكان لا يهدى إليه فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب فالأمر فيه أخف وأخذه مكروه فإن فيه مشابة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها فإن كان جاهه بولاية تولاه من قضاء أو عمل أو لا بمقدرة أوجابا بمال وغيره من الأعمال السلطانية حتى ولاية الأوفه مثلا وكان لولائك الولاية أكان لا يهدى إليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية إذا قصد بها في الحال طاب التقرب واكتساب المحبة ولكن لأمر ينحصر في جنة إذا يمكن التوصل إليه بالولايات لا يحنى وآية أنه لا يحنى المحبة أنه لو لى في الحال غيره لسم للال إلى ذلك الغير فهذا مما اتفقوا على أن الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما والحق

(١) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وضعفه ابن عدى .

فيه متصارفاً فإنه دأب بين الهدية المحضة وبين الرشوة البذولة في مقابلة جاء محض في غرض معين وإذا تعارضت التشابه القياسية وعضدت الأخبار والآثار أحدهما تعين البيل إليه وقد دلت الأخبار على تشديد الأمر في ذلك قال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البري » لتعظ به العامة (١) ، ويستحل ابن مسعود رضي الله عنه عن السحت فقال : يقضي الرجل الحاجة قهدها بالهدية ولعله أراد قضاء الحاجة بكلمة لا تصب فيها أو تبرع بها لأمي قصد أجرة فلا يجوز أن يأخذ بعده شيئاً في معرض العوض . شفع مسروق شفاعته فأهدى إليه للشفع له جارية فغضب وردّها وقال لو علمت ما في قلبك لما تسكمت في حاجتك ولا أتكم فيها بقي منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت ، وأخذ عمر رضي الله عنه ربح مال القراض الذي أخذه ولده من بيت المال وقال إنما أعطيتنا لمساكنكم إذا علم أنهما أعطيا لأجل جاء الولاية . وأهدت امرأة أبي عبيدة بن الجراح إلى خاتون ملكة الروم خلوة فكافأته بمجوهر فأخذه عمر رضي الله عنه فباعه وأعطاهما ثمن خلوتها ورد باقيه إلى بيت مال المسلمين . وقال جابر وأبو هريرة رضي الله عنهما هدايا للولك غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة » (٢) أي كان يتقرب إليه لنيوته لالولايته ونحن إنما نعطى للولاية وأعظم من ذلك كله ما روى أبو حميد الساعدي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث والياً على صدقات الأزدي فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا لي هدية فقال عليه السلام ألا جلست في بيت أهلك وبين أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً ثم قال مالي أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لك وهذا لي هدية ألا جلست في بيت أمه لبيد لي والذي نفسي بيده لا يأخذ منكم أحد شيئاً بغير حقه إلا أتى الله بحمل فلا يأتي أحدكم يوم القيامة بغير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تير ثم رفع يديه حتى رأيت بين يديه ، ثم قال اللهم هل بلغت (٣) » وإذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أمه وأبيه فما كان يعطى بعد المزول وهو في بيت أمه يجوز له أن يأخذه في ولايته وما يعلم أنه إنما يعطاه لولايته فحرام أخذه وما أشكل عليه في هدايا أصدقائه أنهم هل كانوا يسلطونه لو كان معزولاً فهو شبهة فليجتنبه .

(ثم كتاب الحلال والحرام بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والله أعلم)

(كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع العادات الثاني)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غفر صفوة عباده باطائف التخصص طولا وإمتانا . وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا . وزرع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقاء وأخذانا . وفي الآخرة رفقاء وخلانا والصلاة على محمد الصلطي وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً .

(١) حديث يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البري » ليعظ به العامة لم أقف له على أصل (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية البخاري من حديث عائشة (٣) حديث أبي حميد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث والياً إلى صدقات الأزدي فلما جاء قال هذا مالكم وهذا هدية لي الحديث متفق عليه .

(كتاب آداب الصحبة)

روى أبو رفاعة قال « أنبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب قبلت يارسل الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري مادته قال فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على وترك خطبته ثم أتى بكبرى قوائمه من حديد قصده رسول الله ثم أتى يملأ بماء الله ثم أتى خطبته وأتم آخرها فأحسن أخلاق الفقراء لفرق بالمسلمين وأخبال للكره من للموع وللمر وقد يدخل قعر بعض الربط ويخل بئى من مراسم للتصوفة فيبهر ويخرج وهذا خطأ كبير قد يكون خلق من الصالحين والأولياء لا يعرفون هذا الترمس الظاهر وفسدون الرابطة صالحة فإذا استقبلوا بالكره يخشى أن تتشوش بواطنهم من الأذى

أما بعد : فإن التحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القربات . وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجارى العادات . ولها شروط بها يلتحق للتصاحب بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق برعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان ، فيالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله تعالى وبالله فظة عليها تال الدرجات العلى ، ونحن نبين مقاصدها الكتاب في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في فضيلة الألفة والأخوة في الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها . الباب الثاني : في حقوق الصبة وأدائها وحقيقتها ولوازمها . الباب الثالث : في حق السلم والرحم والجوار واللك وكيفية المعاشرة مع من قد بل بهذه الأسباب .

(الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها)

(فضيلة الألفة والأخوة)

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق والترفق نعمة سوء الخلق ، فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يشمر البغض والتحاسد والتدابير ومهما كان الثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا يخفى في الدين فضيلة وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال - وإنك لعل خلق عظيم - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أكرم ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق (١) » وقال أسامة بن شريك قلنا يا رسول الله « ما خير ما أعطى الإنسان ؟ قال خلق حسن (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم بحسن الأخلاق (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أنقل ما يوضع في میزان خلق حسن (٤) » وقال عليه السلام « ما حسن الله خلق امرئ خلقه فقطعه النار (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « يا باهررة عليك بحسن الخلق قال أبوهريرة رضى الله عنه وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتمنعو عن ظلك وتمضى من حرمك (٦) » ولا يخفى أن نعمة الخلق الحسن الألفة وانه قطع الوحشة ومهما طاب الثمر طابت الثمرة ، وكيف وقد ورد في التاء على نفس الألفة ساء إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وحب الله . ومن الآيات والأخبار والآثار ما في كفاية ومقنع . قال الله تعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة - لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - وقال - فأصبحت بنعمته إخوانا - أي بالألفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - إلى - لعلكم تهتدون - وقال عليه السلام « إن أفركم مني مجلسا أحسنكم أخلاقا للوطنون أكنافا الدين بالقون وبؤلهون (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم

(الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة)

(١) حديث أول ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق الترمذى والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد وقد تقدم (٢) حديث أسامة بن شريك يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان قال خلق حسن ابن ماجه بإسناد صحيح (٣) حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق أحمد والبيهقى والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أنقل ما يوضع في میزان خلق حسن أبو داود والترمذى من حديث أبي الدرداء وقال حسن صحيح (٥) حديث ما حسن الله خلق امرئ خلقه وخلقته قطعه النار ابن عدى والطبرانى في مكارم الأخلاق وفي الأوسط والبيهقى في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة قال ابن عدى في إسناده بعض التكررة (٦) حديث يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال وما حسن الخلق قال تصل من قطعك وتمنعو عن ظلك وتمضى من حرمك البیهقی في الشعب من رواية الحسن عن أبي هريرة وبإسناد منه (٧) حديث إن أفركم مني مجلسا أحسنكم أخلاقا للوطنون أكنافا الدين بالقون وبؤلهون الطبرانى في مكارم الأخلاق من حديث جابر بسند ضيف ،

ويدخل على النكر عليه ضرر في دينه ودينه فليحذر ذلك وينظر إلى أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وما كان يتمتع مع الخلق من الداراة والرفق وقد صح « أن أعرابيا دخل للسجد وبال فأمر النبي عليه السلام حتى أتى بذنوب فصب على ذلك ولم ينهر الأعرابي بل رفق بمعرفة الواجب بالرفق واللين والفظافة والتلطيف والتسلط على السليبين بالقول والقلم من النفوس الحبيطة وهو ضد حال التصوفة ومن دخل الرباط ممن لا يصلح للمقام به رأسا يصرف من للوضع على ألفت وجه بعد أن يقدم له طعام ويحسن له الكلام فهذا الذي يليق بكان الرباط وما يتمتعه الصقراء من تميز القادم فنخلق حسن ومعاملة صالحة وردت

« المؤمن إلف مألوف ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم في إنشاء على الأخوة في الدين « من أراد الله به خيرا رزقه خيلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين إذا التقيا مثل الدين تفصل إحداها الأخرى وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا ^(٣) » وقال عليه السلام في الترغيب في الأخوة في الله « من أتى أخا في الله رفته الله درجة في الجنة لا ينالها شيء من عمله ^(٤) » وقال أبو إدريس الخولاني لما ذى أحببك في الله فقال له أجبر ثم أجبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطافة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يغزغ الناس وهم لا يغزغون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قيل من هؤلاء يا رسول الله ؟ فقال هم للتحابون في الله تعالى ^(٥) » ورواه أبو هريرة رضى الله عنه وقال فيه « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله منهم لنا قدامهم التحابون في الله والتجالسون في الله والتزاورون في الله ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما عذاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه ^(٧) » ويقال إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاماً من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وإنه يلتحق به

(١) حديث المؤمن إلف مألوف ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف أحمد والطبراني من حديث سهل ابن سعد والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه (٢) حديث من أراد الله به خيرا رزقه خيلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه غريب بهذا اللفظ والمعروف أن ذلك في الأمير ورواه أبو داود من حديث عائشة إذا أراد الله بالأمر خيرا جعله وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه الحديث ضعه ابن عدى ولأبي عبد الرحمن السلمي في آداب الصعبة من حديث علي من سعادة المرء أن يكون لإخوانه صالحين (٣) حديث مثل الأخوين إذا التقيا مثل الدين تفصل إحداها الأخرى الحديث السلمي في آداب الصعبة وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب وهومن قول سلمان الفارسي في الأول من الحزبيات (٤) حديث من أتى أخا في الله عز وجل رفته الله درجة في الجنة لا ينالها شيء من عمله ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس ما أحدث عبد أخا في الله عز وجل إلا أحدث الله عز وجل له درجة في الجنة وإسناده ضعيف (٥) حديث قال أبو إدريس الخولاني لما ذى أحببك في الله فقال أجبر ثم أجبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطافة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة الحديث أحمد والحاكم في حديث طويل إن أبا إدريس قال قلت والله إنى لأحببك في الله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن التحابين يحلل الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذي من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بلطف التحابون في جلاله لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء قال حديث حسن صحيح ولأحمد من حديث أبي مالك الأشعري إن الله عبدا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله الحديث وفيه نحو ما في الله وتضافوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فتجعل وجوههم نوراً وإياهم نوراً يغزغ الناس يوم القيامة لا يغزغون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفيه شهرين حوشب يخاف فيه (٦) حديث أبي هريرة إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء الحديث النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات (٧) حديث ما عذاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح الإسناد.

بالحسنه روى عمر رضى الله عنه قال : « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلام له حبشي يغمز ظهره فقلت يا رسول الله ما عذابك فقال إن الناقة اتسمت بي وقد عجن الرضا بذلك من يغمز في وقت تعب وقدمه من السفر فأما من يتخذ ذلك عادة ويحب التغميز ويستجلب به النوم ويساكنه حتى لا يغوته فلا يلبق بحال الفقراء وإن كان في الصرع جائزا وكان بعض الفقراء إذا استرسل في الغمز واستلذه واستدعاه يحتمل فيرى ذلك الاحتلام عقوبة استرساله في التغميز ولأرباب العزائم أمور لا يسمهم فيها الركون إلى الرخص . ومن آداب الفقير إذا استقر وقد سد قدمه أن لا يشد بالكلام دون أن يستل ويستحب أن يمكث

كما تتحقق القدرة بالأيون والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة . قال عز وجل - ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتهم من محلمهم من شيء - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول حقت محبة للذين يترأون من أجل وحقت محبة للذين يتحابون من أجل وحقت محبة للذين يتبادلون من أجل وحقت محبة للذين يتناصرون من أجل » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعت امرأة ذات حسب وجمال قتال إلى أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم له مالها ماتتفق عليه » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ما زار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طيب وطاب بمشاك وطابت لك الجنة » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إن رجلا زار أخاه في الله فأرصد الله له ملكا قال أين تريد قال أريد أن أزور أخى فلما قال فقال حاجة لك عنده قال لا قال فترابا بينك وبينه قال لا قال فبئس ما لك عندك قال لا قال فم قال أحبه في الله قال فان الله أرسلني إليك بخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « أوثق عرى الإيمان المحبة في الله واليقين في الله » (٦) فلهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يرضيهم في الله كما يكون له أصدقاء وإخوان محبهم في الله . وروى أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء أما زهدك في الدنيا فقد نجت الراحة وأما إعطائك إلى فقد تمزقت في ولكن هل عادت في عدوا أو هل واليت في وليا . وقال **عليه السلام** « اللهم لا تجعل لجاجر على منة قرقزه مني حجة » (٧) وروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام « لو أنك عديت بعبادة أهل السموات والأرض وحب في الله ليس وبنض في الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئا » وقال عيسى عليه السلام : تحبوا إلى الله يغض أهل لعاصي وتغربوا إلى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قولوا ياروح الله فني يجالس قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله . وروى في الأخبار السالفة أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارعد لنفسك إخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو

(١) حديث إن الله يقول حقت محبة للذين يترأون من أجل وحقت محبة للذين يتحابون من أجل الحديث أحمد من حديث عمرو بن عيسى وحديث عبادة بن الصامت ورواه الحاكم وصححه (٢) حديث إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي مسلم (٣) حديث أبي هريرة سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث ما زار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طيب وطابت لك الجنة ابن عدي من حديث أنس دون قوله شوقا إليه ورغبة في لقائه ولترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة من عاد مريضا أو زار أخا في الله ناداه مناد من السماء طيب وطاب بمشاك وتبوات من الجنة منزلا قال الترمذي غريب (٥) حديث إن رجلا زار أخاه في الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٦) حديث أوثق عرى الإيمان الحب في الله واليقين في الله أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه والحرثاني في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث اللهم لا تجعل لجاجر على منة الحديث تقدم في الكتاب الذي قبله .

ثلاثة أيام لا يصدر زيارة أو مشهدا أو ضريحك مما هو مقصوده من المدينة حتى يذهب عنه وعشاء السفر ويعود باطنه إلى حيث قد يكون بالسفر وعوارضه تغير باطنه وتكدر حتى تجتمع في الثلاثة الأيام همه وينصلح باطنه ويستمد لقاء الشيخ والزيارات بتقوية الباطن فان باطنه إذا كان منورا يستوفى حظه من الخير من كل شيخ وأخ يزوره . وقد كنت أسمع شيخنا يوصي الأصحاب ويقول لا تسلكوا أهل هذا الطريق إلا في أسنى أوقاتهم وهذا فيه فائدة كبيرة فان نور الكلام على قدر نور القلب ونور السمع على قدر نور القلب فإذا دخل على شيخ أو أخ وزاره ينبغي أن يستأذنه إذا أراد الانصراف قد روى عبد الله بن

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال : يا داود مالي أراك منبذا وحيدا قال إلهي قلت الخلق من أجلك فقال يا داود كن يقظا ناوارتد لنفسك أخذانا وكل خدن لا يواظبك على مسرعي فلا تصاحبه فإنه لك عدو يقبى قلبك وياعذك مني . وفي أخبار داود عليه السلام أنه قال يارب كيف لي أن يحبني الناس كلهم وأسلم فيما بيني وبينك قال خالقي الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بيني وبينك وفي بعضها خالقي أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالقي أهل الآخرة بأخلاق الآخرة . وقال النبي ﷺ : « إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم للشامون بالحقية الفروق بين الإخوان ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من التلج يقول اللهم كما ألفت بين التلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين ^(٢) » وقال أيضا « ما أحدث عبدا في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل الجنة كاضئ الشمس على أهل الدنيا يقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيضيء حسنهم لأهل الجنة كاضئ الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله ^(٤) » . الآثار : قال رضي الله عنه عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار - قالنا من شافين ولا صدق حميم - وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والله لو صمت النهار لأفطره وقت الليل لأنامه وأنقمت مالي غلغا غلغا في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما تغني ذلك شيئا . وقال ابن السكك عندهم والله إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطعك فأجعل ذلك قرابة لي إليك . وقال الحسن على ضمه يا ابن آدم لا يتركك قول من يقول للره مع من أحب فانك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه ما تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بأى عمل عملته بأى شهوة تركتها بأى حظ كطعت بأى رحم قاطع وصلتها بأى زلة لأخيك غفرتها بأى قريب باعدته في الله بأى بعيد قاربته في الله . ويرى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام هل عملت لي عملا قط فقال إلهي إني صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت فقال إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور فأى عمل عملت لي ؟ قال موسى إلهي دلت على عمل هلك قال يا موسى هل وابت لي وليا قط وهل عادت في عدوا قط فلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله . وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو أن رجلا قام بين الركن واللقام بعد الله سبعين سنة لعبه الله يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن رضي الله عنه مصارمة الفاسق قربان إلى الله وقال رجل ل محمد بن واسع إني لأحبك في الله فقال أحبك الذي أحببتني له ثم حول وجهه وقال اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض ودخل رجل

(١) حديث إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون الحديث الطبراني في الأسط والصغير من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من التلج يقول اللهم كما ألفت بين التلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظيمة من حديث معاذ بن جبل والرياض بن سارية بسند ضعيف (٣) حديث ما أحدث عبد أخا في الله تعالى إلا أحدث الله له درجة في الجنة ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس وقد تقدم (٤) حديث المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة الحديث المحكم الترمذي في النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقوم من حتى يستأذنه وإن نوى أن يقيم أياما وفي وقته سعة لنفسه إلى البطالة وترك العمل لتسوف يطلب خدمة يقوم بها وإن كان دائم العمل لربه فكفي بالعبادة شغلا لأن الخدمة لأهل العبادة تقوم مقام العبادة ولا يخرج من الرباط إلا باذن للقدم فيه ولا يعمل شيئا دون أن يأخذ رأييه فيه فهذه جملة أعمال يستمد بها الصوفية وأرباب الربط والله تعالى بفضله يزدهم توفيقا وتأييدا .

[الباب التاسع عشر في حال الصوفي للتسبب]
اختلف أحوال الصوفية في الوقوف مع الأسباب والأعراض عن الأسباب فمنهم من كان على الفتوح لا يركن

على داود الطائي فقال له ما حاجتك ؟ فقال زيارتك فقال أما أنت فقد عملت خيرا حين ررت ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي من أنت قترار أمن الزهاد أنت لا والله أمن العباد أنت لا والله أمن الصالحين أنت لا والله ثم أجبل بوج نفسه ويقول كنت في الشبهة فاسقا ففا شخت صرت مرانيا والله للمرائي شر من الفاسق وقال عمر رضي الله عنه إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتركه به قلما يصيب ذلك وقال مجاهد التعابون في الله إذا اتقوا فكسروا بعضهم إلى بعض تتحات عنهم الخطايا كما ينحات ورق الشجر في الشتاء إذا يسى وقال الفضيل نظر الرجل إلى وجه أخيه على اللوعة والرحمة عبادة .
(بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا)

اعلم أن الحب في الله والبغض في الله غامض ويتكشف الغطاء عنه بما ذكره وهو أن الصلحة تتقدم إلى ما يقع بالاتفاق كالصلحة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع في الكتب أو في المدرسة أو في السوق أو على باب السلطان أو في الأسفار وإلى ما ينشأ اختيارا وبغض وهو الذي نريد بيانه إذ الأخوة في الدين واقعة في هذا القسم لامحالة إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية ولا ترغيب إلا فيها والصلحة عبارة عن المحالة والمخالطة والمجاورة وهذه الأمور لا يقصد الإنسانها غيره إلا إذا أحبه فان غير المحبوب يحبب ويواعد ولا قصد مخالطته والذي يجب فاما أن يحب لذاته لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود وذلك للتصود إما أن يكون مقصودا على الدنيا وحفظها وإما أن يكون متعلقا بالآخرة وإما أن يكون متعلقا بالله تعالى فهذه أربعة أقسام . القسم الأول : وهو حبك الإنسان لذاته ذلك ممكن وهو أن يكون في ذاته محبوا عندك على معنى أنك تلتذ برؤيته وسرته ومشاهدته أخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذية في حق من أدرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يقع للناسبة واللزامة والواقعة بين الطباع ثم ذلك للتحسن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة أعنى حسن الخلقة وإما أن يكون هي الصورة الباطنة أعنى كمال العقل وحسن الأخلاق ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لامحالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل السليم وكل مستحسن فستلذ به ومحبوب بل في اتلاف القلوب أمر أغمض من هذا فانه قد تستحكم الودة بين شخصين من غير ملاحاة في صورة ولا حسن في خلق وخلق ولكن للناسبة باطنة توجب الألفة والواقعة فان شبه الشيء يجذب إليه بالطبع والأشياء الباطنة خفية ولها أسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك حيث قال « الأرواح جنود مجنده فإتعارف منها اتلف وما تناكر منها اختلف ^(١) » فالتاكر نتيجة التباين والاتلاف نتيجة التناصب الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الألفاظ « الأرواح جنود مجنده تلتقي فتشام في الهواء ^(٢) » وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال إن الله تعالى خلق الأرواح فخلق بعضها قلما وأطافها حول العرش فأبى رويحي من فلقين تمارقا هناك فالتقيتا واصلتا في الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم « إن أرواح المؤمنين يلتقيان على مسيرة يوم ومراى أحدهما صاحبه قط ^(٣) » وروى « أن امرأة بمكة كانت تصنعك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت الكعبة

(١) حديث الأرواح جنود مجنده فإتعارف منها اتلف وما تناكر منها اختلف مسلم من حديث أبي هريرة والبخارى تعليقا من حديث عائشة (٢) حديث الأرواح تلتقي فتشام في الهواء جند مجنده تلتقي فتشام الحديث .
(٣) حديث إن أرواح المؤمنين يلتقيان على مسيرة يوم ومراى أحدهما صاحبه قط أحمد من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ تلتقي وقال أحدهم وفيه ابن لمعة عن دراج .

إلى معلوم ولا يقسب بكسب ولا سؤال ومنهم من كان يكسب ومنهم من كان يسأل في وقت فاقته ولم في كل ذلك أدب واحد براعونه ولا يتعدونه وإذا كان الفقير يسوس حسه بالعلم يأتيه الفهم من الله تعالى في القدي يدخل فيه من سبب أو ترك سبب فلا ينبغي للفقير أن يسأل مهما أمكن فقد حث النبي عليه السلام على ترك السؤال بالترغيب والترهيب فأما الترغيب فأروى ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يضمن لي واحدا أسكنه الله » بالجنة قال ثوبان قلت أنا قال لا تسأل الناس شيئا فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا يناوله ويأخذها . وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال

على المدينة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأضجكتها فقالت أين زلت فذكرت لها صاحبها قالت صدق الله ورسوله (١) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الأرواح جنود مجندة» الحديث والحق في هذا أن الشاهدة والتجربة تشهد للاتلاف عند التناصب والتناصب في الطباع والأخلاق باطنا وظاهرا أمر مفهوم . وأما الأسباب التي أوجبت تلك التناصبة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذين النعم أن يقول إذا كان طالع على تدبيس طالع غيره أو تليثه فهذا نظر للواقعة والودة فقتضى التناصب والتواد وإذا كان على مقابلته أو ترييه اقتضى التباغض والعداوة فهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله في خلق السموات والأرض لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال في أصل التناصب فلا معنى لغرض فيما لا يكشف سره للبشر لما أوتينا من العلم إلا قليلا ويكفي في التصديق بذلك التجربة والشاهدة فقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم «لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد نجاه حتى يجلس إليه ولو أن منافقا دخل إلى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه (٢)» وهذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به . وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فحبب من ذلك قال اخفا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذاهما أعرجان فقال من ههنا اخفا ولذلك قال بعض الحكماء : كل إنسان يأنس إلى شكله كأن كل طير يطير مع جنسه ، وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفترقا ، وهذا معنى خفي تفتن له الشعراء حتى قال قائلهم :

وقائل حكيف تفارقتما قلت قولا فيه إنصاف

لميك من شكلي تفارقتما والناس أشكال وآلاف

فقد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته لا لقائده تال منه في حال أو مآل بل مجرد المجانسة والنسابة في الطباع الباطنة والأخلاق الحمية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال إذا لم يكن للتصود قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مسئلة في عيها وإن قدر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى الفواكه والأنوار والأزهار والتفاح للشرب بالحجرة وإلى الماء الجاري والحضرة من غرض سوى عيها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس وينصور ذلك بمن لا يؤمن بالله إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموما كحب الصورة الجميلة قضاء الشهوة حيث لا يعمل فضاؤها وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بمحذ ولا ذم إذا لم يحذ أو محمود وإما مذموم وإما مباح لا يمحذ ولا يذم . القسم الثاني : أن يحبه لئال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب غيره والوسيلة إلى الم محبوب محبوب وما يحب لئيره كان ذلك التير هو الم محبوب بالحقيقة ولكن الطريق إلى الم محبوب محبوب ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيها إلا لطلب ولا يلبس ولكنهما وسيلة إلى الم محبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث

رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن يأخذ أحدكم حبلًا فيحتطب على ظهره فیا نكل ويتصدق خيره من أن یأتی رجلا فیسأله أعطاه أو منعه فان الید الیایا خیر من الید الیغلی» . أخبرنا الشیخ الصالح أبو زرعة طاهر بن أبی الفضل الحافظ القدسی قال أخبرنی والدی قال أنا أبو محمد الصیرفی بغداد قال أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد قالنا عبد الله بن محمد بن عبد المزی قال لنا علی ابن الجعد قال لنا شیعة عن أبی حمزة قال سمعت هلال بن حسین قال : أتیت للمدينة فزلت دار أبی سعید فضنی وإیاء المجلس فحدث أنه أصبح ذات یوم ولیس عندهم طعام فأصبح وقد عصب علی بطنه حجرا من الجوع فقالت لی امرأتی انت رسول الله صلى الله

(١) حدیث إن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدینة أخرى فزلت للکبة علی المدینة فدخلت علی عائشة فذكرت حدیث الأرواح جنود مجندة الحسن بن سفیان فی مسنده بالقصة بسند حسن وحدیث عائشة عند البخاری تعلیقا مختصرا دونها كما تقدم (٢) حدیث لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس وفیه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى یجلس إلیه الحدیث البیهقی فی شعب الإیمان موقوفا علی ابن مسعود وذكره صاحب الفردوس من حدیث معاذ بن جبل ولم یخرجه ولله فی السند .

إنه وسيلة إلى المقصود إذ يتوصل به إلى نيل جناه أو مال أو علم كما يحب الرجل سلطانا لا يتفاهه بماله أو جاهه وعجب خواصه لتحسين حاله عنده وتجهيز أمره في قلبه فالتوصل إليه إن كان مقصور القائمة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب في الله وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس بقصد به إلا الله الدنيا كحب التلذذ لأستاده فهو أيضا خارج عن الحب لله فإنه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فحبوبه العلم فإذا كان لا يقصد العلم للتعرف إلى الله بل لينال به الجاه والبال والتبول عند الخلق فحبوبه الجاه والقبول والعلم وسيلة إليه والأستاذ وسيلة إلى العلم فليس في شيء من ذلك حب لله إذ يتصور كل ذلك بمن لا يؤمن بالله تعالى أصلا ثم ينقسم هذا أيضا إلى مذموم ومباح فإن كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال الدنيا وظلم الرعايا بولاية القضاء أو غيره كان الحب مذموما وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من التوصل إلى الله فانها نابعة له غير قائمة بنفسها . القسم الثالث : أن يحبه لأفادته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا إلى حظوظه في الدنيا بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة فهذا أيضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتألف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السماء ، إذ قال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء ولا يتم التعليم إلا بتعلم فهو إذن آلة في تحصيل هذا الكمال فإن أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرمته الذي هو سبب تربيته إلى رتبة التعظيم في ملكوت السماء فهو يحب في الله بل الذي يتصدق بأمواله في جمع الضيفان ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة القريبة تقربا إلى الله فأحب طبائحا لحسن منته في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه في الله بل يزيد على هذا وتقول إذا أحب من يخدمه نفسه في غسل ثيابه وكسب بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم أو للعمل ومقصوده من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ لعبادة فهو يحب في الله بل يزيد عليه وتقول إذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه وسكنه وجميع أغراضه التي يخصصها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل التقرب إلى الله فهو يحب في الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفائهم جماعة من أولى الثروة وكان الواسي واللواسي جميعا من المتحابين في الله بل يزيد عليه وتقول من نكح امرأة سالحة ليتحصن بها عن غيوس الشيطان ويصون بها دينه أو يولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله ولذلك وردت الأخبار بوفور الأجر والثواب على الاتفاق على العيال حتى القيمة يضمها الرجل في أمراته ^(١) بل تقول كل من اشترب بحب الله وحبه رضا وحبه لقاءه في الدار الآخرة فإذا أحب غيره كان محبا في الله لأنه لا يتصور أن يحب شيئا إلا لما شئت لما هو محبوب عنده وهو رضا الله عز وجل بل أزيد على هذا وأقول إذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد اللينان جميعا حتى صلب لأن يتوصل به إلى الله وإلى الدنيا فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين في الله كمن يحب أستاذه الذي يمد له الدين ويكفيه معات الدنيا بالوفاة في المال فأحبه من حيث إن في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة فهو وسيلة إليهما فهو يحب في الله وليس من شرط حب الله أن لا يحب في العاجل

(١) حديث الأجر في الإتيان على العيال حتى القيمة يضمها الرجل في أمراته تقدم .

عليه وسلم فقد أتاه فلان فأعطاه وأتاه فلان فأعطاه فأفادته وقالت النفس شيئا فنحبت لأطلب لأفادته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غطيبي ويقول «من يستغني بالله ومن يستغني بالله ومن سألنا شيئا فوجدناه أعطينا» وواسينا من استغنى عنه واستغنى فهو أحب إلينا من سألنا » قال فرجعت ومأسأله فرزقني الله تعالى حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالا منه وأما من حيث التهريب والتعذر فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تزال للشقة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم » وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس للسكين الذي رزقه

حظاً ألبتة إذ الدعاء الذي أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم - ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - وقال عيسى عليه السلام في دعائه : اللهم لاتشمت بي عدوي ولا تسوئني صديقي ولا تجعل مصيقي لديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي دفع ثمانية الأعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل ولا تجعل الدنيا أصلاً من همي بل قال لا تجعلها أكبر همي وقال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة » (١) وقال « اللهم غافني من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة » (٢) وعلى الجملة فإذا لم يكن حب السعادة في الآخرة منافقاً لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والسكينة والكرامة في الدنيا كيف يكون منافقاً لحب الله والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين إحداهما أقرب من الأخرى فكيف يتصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غداً ولا يحبها اليوم وإنما يحبها غداً لأن التدبير حالاً راحته فالحالة الراحنة لا بد أن تكون مطلوبة أيضاً إلا أن الحظوظ الساجدة منقسمة إلى ما يصاد حظوظ الآخرة وينتج منها وهي التي احتزرت عنها الأنبياء والأولياء وأمروا بالاحتراز عنها وإلى ما يصاد وهي التي لم يتمتعوا بها كالتكسح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك فما يصاد حظوظ الآخرة فحق العاقل أن يكرهه ولا يجهل أعني أن يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره تناول من طعام لذيذ للملك من اللوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده أو حزرت رقبته لا بمعنى أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهي بطبعه ولا يستلذ لو أكله فإن ذلك محال ولكن على معنى أنه زجره عقله عن الإقدام عليه وتحصل فيه كراهة الضرر التعلق به والتقصود من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويسله أو يطيعه لأنه يتعلم منه ويغنيه وأحدهما حظ عاجل والآخر أجل لكان في زمة المتعابين في الله ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلاً أو تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقد حبه هو تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله وليس بمستنكر أن يشتد حبك لإنسان بلجة أغراض ترتبط لك به فإن امتنع بعضها نقص حبك وإن زاد زاد الحب فليس حبك للذهب حبك للفضة إذا تساوى مقدارهما لأن الذهب يوصل إلى أغراض هي أكثر مما توصل إليه الفضة فاذن يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستجلب اجتباع الأغراض الدنيوية والأخروية فهو داخل في جملة الحب لله، وحده هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب في الله فذلك وإن دق فهو عزيز قال الجرجري تعامل الناس في القرن الأول بالدين حتى رق الدين وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء وفي الثالث بالمرودة حتى ذهبت المرودة ولم يبق إلا الرهبة والرهبة : القسم الرابع : أن يحب لله وفي الله لا لئلا يمنة علماً أو محلاً أو يتوصل به إلى أمر وراء ذاته وهذا أعلى الدرجات وهو أدقها وأعظمها وهذا القسم أيضاً يمكن فأن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من الم محبوب إلى كل من يتعلق بالمحبيب ويناسبه ولومن بعد فن أحب إنساناً حباً شديداً أحب عبداً ذلك الإنسان وأحب محبوبه وأحب من يغذمه وأحب من يثق عليه محبوبه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه حتى قال بقية بن الوليد إن للؤمن إذا أحب للؤمن أحب قلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في أحوال العشاق ويدل عليه أشتار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب وتغنيته تذكرة من جهته ومحب منزلته ومحلته وجيرانه حتى قال جعنوان بن عامر

(١) حديث اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة الترمذي من حديث ابن عباس في الحديث الطويل في دعائه صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الليل وقد تقدم (٢) حديث اللهم غافني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة ، أحمد من حديث جبرين أبي أرطاة نحوه بسند جيد .

الأكلة والأكثان
والجمرة والتمرتان
ولكن للكين الذي
لا يسأل الناس ولا
يفطن بمكانه فيعطى
هذه هو حال الفقير
الصادق والتصوف
الحق لا يسأل الناس
شيئاً ومنهم من يلزم
الأدب حتى يؤدبه إلى
حال يستحي من
الله تعالى أن يسأله
شيئاً من أمر الدنيا
حتى إذا همت النفس
بالسؤال رده الحمية
وربى الإقدام على
السؤال جراءة فيعطيه
الله تعالى عند ذلك
من غير سؤال كآكل
عن إبراهيم الخليل
عليه السلام : أنه جاءه
جبريل وهو في الهواء
قبل أن يصل إلى النار
فقال هل لك من حاجة
فقال أما إليك فلا
فقال له فقل ربك
فقال حسبي من سؤالي
عليه بحالي وقد يرضف
عن مثل هذا فيسأل
الله عبودية ولا يرى

أمر على السيار ذيَّار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الهيار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الهيارا

فلذن للشاهدة والتجربة تدل على أن الحب يتمدى من ذات المحبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسبابه
ويناسبه ولومن يمد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فأصل المحبة لا يكتفي فيه ويكون اتساع الحب في
تمديه من المحبوب إلى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق بأسبابه بحسب إفراط المحبة وقوتها وكذلك حب
الله سبحانه وتعالى إذا قوى وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستتار فيتعدى إلى
كل موجود موله فإن كل موجود موه أثراً من آثار قدرته ومن أحب إنساناً أحب صفته وخطه وجميع
أفعاله وكذلك كان **عليه السلام** إذا حمل إليه با كورة من القوا كه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنه قريب
المهد بريناً ^(١) وحب الله تعالى تارة يكون لصديق الرجا في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة
لمسائل من أيديهِ وصنوف نعمته وتارة قد اتته لأمر آخر وهو أدق ضرور المحبة وأعلاها وسبب تحقيقها
في كتاب المحبة من ربيع للتجليات إن شاء الله تعالى وكيفما اتفق حب الله فإذا قوى تمدى إلى كل متعلق به
ضرباً من التعلق حتى يتمدى إلى ما هو في نفسه مؤلم بكرهه ولكن فرط الحب يضعف الإحساس بالألم والفرح
بفعل المحبوب قصد إياه بالإلزام بغير إدراك الألم وذلك كالفرح بغير يقين المحبوب أو فرقة فيها نوع معاناة
فإن قوتها يهتير فرحاً بغير إدراك الألم وقد انتهت محبة الله بقوم إلى أن قالوا لا نفارق بين الإله والنعمه
فإن السلك من القول لا فرح إلا بما في غير ضامته قال بعضهم لا يريد أن ناله منفرداته بحسبه الله وقال سمنون :
وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

وسبب تحقيق ذلك في كتاب المحبة وللقصود أن حب الله إذا قوى أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة
الله في علم أو عمل وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب بآداب الشرع
ومامن مؤمن محب للآخره وهب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد والآخر جاهل
فاسق إلا وجدني تسميلاً إلى العالم العابد ثم ضعف ذلك الليل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته وبحسب
ضعف حبه لله وقوته وهذا الليل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر
في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الليل هو حب في الله وفيه من غير حظ فانه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضى
عند الله تعالى ولأنه محب لله تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى لإلانه إذا ضعف لم يظهر أثره ولا يظهر به
ثواب ولا أجر فإذا قوى حمل على اللوالة والصرة والذب بالنفس واللال واللسان وتتفاوت الناس فيه
بحسب تفاوتهم في حب الله عز وجل ولو كان الحب مقصوراً على حظ ينال من المحبوب في الحال
أولئك لما تصور حب للوق من العناء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل ومن الأنبياء للفرضين
صلوات الله عليهم وسلامه وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بنضبه عند طعن
أعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند انتاء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حبه لأنهم خواص عباد الله
ومن أحب ملكاً أو شخصاً جيلاً أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه إلا أنه يتجنح الحب بالمقابلة
محفوظ النفس وقد نطلب بحيث لا يلقى للنفس حظ إلا بما هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من قال :

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد

(١) حديث كان إذا حمل إليه با كورة من القوا كه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنها قريب
عهد برها الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ، وأبو داود في للراسل واليهيقي في الدعوات
من حديث أبي هريرة دون قوله وأكرمها الخ وقال إنه غير محفوظ وحديث أبي هريرة في البا كورة
عند بقية أصحاب السنن دون مسح عينيها وما يمدد وقال الترمذي حسن صحيح .

سؤال الملقين فيسوق
الله تعالى إليه القسم
من غير سؤال مخلوق.
بلقنا عن بعض
الصالحين أنه سكتان
يقول : إذا وجد الفقير
نفسه مطالبة بشيء
لا تغلوا تلك الطالبه
إما أن تكون لوزق
يريد الله أن يسوقه
إليه فتهب النفس
له قد تتطلع قوس
بعض الصقراء إلى
ما سوف يحدث وكأنها
تخبر بما يكون وإما
أن يكون ذلك عقوبة
لذنب وجد منه فإذا
وجد الفقير ذلك
وألحت النفس بالمطالبة
فليتم وليسبح الوضوء
ويصل ركعتين ويقول :
يلرب إن كانت هذه
الطالبه عقوبة ذنب
فأستغفرك وأتوب
إليك وإن كانت
لوزق قدرته في فصل
وصوله إلى فإن الله
تعالى يسوقه إليه إن
كان ذوقه ولا تغلب
الطالبه عن باطنه

وقول من قال • وما لجرح إذا أرمأكم ألم • وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الخطوط دون بسن
 كن تسمع نفسه بأن يشاطر محبوبه في نصف ماله أو في ثلثه أو في عشره فبقادر الأهل والموازين الحية
 إذ لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحسوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب
 سواء فلا يملك لنفسه شيئا مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا فلم
 ابته التي هي قوة عينه وبذل جميع ماله ، قال ابن عمر رضي الله عنهما • بينا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عبادة قد خلها على صدره فجعل يركلها عليه السلام فأقرأه
 عن الله السلام وقال له يا رسول الله مالي أرى أبا بكر عليه عبادة قد خلها على صدره فجعل يركلها
 على قبل الفتح قال فأقرأه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عني في قترك هذا أم
 سأخط ؟ قال فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من
 الله ويقول أراض أنت عني في قترك هذا أم سأخط قال فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال أهي ربي
 أسخط أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض ^(١) . فحصل من هذا أن كل من أحب علما أو عبدا
 أو أحب شخصا راغبا في علم أو في عبادة أو في خير فاعلم أنه في الله وفيه وله فيه من الأجر والثواب
 بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله أيضا ولكن زبدة بيان .

(بيان البغض في الله)

اعلم أن كل من يحب في الله لابد أن يبغض في الله فانك إن أحببت إنسانا لأنه مطيع لله ومحبوب
 عند الله فان عصاه فلا بد أن تبغضه لأنه عاص لله ومقوت عند الله ومن أحب بسبب الضرورة يبغض
 نفسه وهذا من تلازمان لا يفصل أحدهما عن الآخر وهو مطرد في الحب والبغض في العادات ولكن كل
 واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب وإنما يترشح عند الطلبة ويترشح بظهور أفعال المحبين
 والبغضين في القارية والباعدة وفي الخاطئة والواقعة فإذا ظهر في الفعل سمى موالاة ومعادة ولذلك قال
 الله تعالى : هل واليتي ولما وهل عادت في عدوا كما عشتاه ، وهذا واضح في حق من لم يظهر لك إلا
 طاعته فقدر على أن تحبه أو لم يظهر لك إلا فسقه وجوره وأخلاقه السيئة فقدر على أن تبغضه وإنما الشكل
 إذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تحوّل كيف أجمع بين البغض والمحبة وما متناقضان وكذلك تتناقض
 محبتكما من اللواقعة والمحالفة والمالاة والمعاداة فأقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كالإتناقض
 في الخطوط البشرية فإنه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك تحبه من
 وجه وتبغضه من وجه فمن له زوجة حسنة فاجرة أو ولد ذكي خديم ولكنه فاسق فإنه يحبه من وجه
 ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بار والآخر بليد
 عاق والآخر بليد بار أو ذكي عاق فإنه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم
 فكذلك ينبغي أن تكون حالك بالاضافة إلى من غلب عليه التمجور ومن غلبت عليه الطاعة ومن
 اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بأن تغطي كل صفة عظيما من البغض والحب والإعراض
 والاقبال والصحة والقطعية وسائر الأفعال الصادرة منه . فان قلت فكل مسلم إسلامه طاعة منه
 فكيف أبغضه مع الإسلام . فأقول تحبه لإسلامه وتبغضه لمصيته وتكون معه على حالة لو قستما بحال
 كافر أو فاجر أدركت خثرة بينهما وتلك التفرقة حب الإسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله

(١) حدث ابن عمر رضي الله عنهما عن أبي بكر وعليه عبادة قد خلها على صدره فجعل يركلها عليه السلام فأقرأه من ربه السلام الحديث ابن جبان والعقيلي في الضعفاء قال الذهبي في البران هو كذب .

فهذه العقبة أن يزل
 حوائجه بالحق فاما
 أن يزل الله وألصق
 أو يذهب ذلك عن
 قلبه فله سبحانه
 وتعالى أبواب من
 طريق الحكمة وأبواب
 من طريق القدرة
 فان فتح بابا من طريق
 الحكمة ولا يفتح
 بابا من طريق القدرة
 وبأية الله يخرق
 الجماعة كما كان يأتي
 مريم عليها السلام - كما
 دخل عليها زكريا
 المهراب وجد عندها
 رزقا قال يا مريم أنى لك
 هذا قالت هو من عند
 الله - حكى من بعض
 الفقهاء قال جسد ذات
 يوم وكان حالي أن
 لأسأل فدخلت بمنى
 المهاد فنادى مجازا
 مترضا لعل الله تعالى
 ينتج لي على يد بعض
 عباده عيلا فلم يقدر
 فست جامعا فأتى آت
 في منامى قتالي انذهب
 للموضع كذا وعين
 الوضع ثم خرقة زرقة

والطاعة له كالجنابة على حقه والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الاعتراض والاسترسال وبين الاقبال والاعراض وبين التودد إليه والتوحيش عنه ولا تتألم في إكرامه بمبالفتك في إكرام من يوافقك على جميع أغراضك ولا تتألم في إهائته بمبالفتك في إهانة من خالفك في جميع أغراضك ثم ذلك التوسط نارة يكون مبهلة إلى طرف الإهانة عند غلبة الجنابة وتارة إلى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة فيكذا ينبغي أن يكون فيمن يطيع الله تعالى ويصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه أخرى . فان قلت فبماذا يمكن إظهار البغض فأقول أما في القول فيكف اللسان عن مكالته ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتفليط في القول أخرى وأما في الفعل فبقطع السعي في إهائته مرة وبالسعي في إيسائه وإفساد مآربه أخرى وبمن هذا أشد من بعض وهي بحسب درجات النسق واللصبة الصادرة منه . أما ما يجري مجرى الحقوة التي يعلم أنه متقدم عليها ولا يصير عليها فالأولى فيه السر والإغماض . أما ما أمر عليه من صغيرة أو كبيرة فان كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة ومحبة وأخوة فله حكم آخر وشيأت وفيه خلاف بين العلماء . وأما إذا لم تأكد أخوة ومحبة فلا بد من إظهار أثر البغض إماماً في الاعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه وإما في الاستخفاف وتقليط القول عليه وهذا أشد من الاعراض وهو بحسب غلظ اللصبة وخفتها وكذلك في الفعل أيضاً ربتان إحداها تطلع للموثة والرفق والنصرة عنه وهو أقل الدرجات والأخرى السعي في إفساد أغراضه عليه كفضل الأعداء للبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق للصية أما ما لا يؤثر فيه فلا ، مثاله رجل عصى الله شرب الخمر وقد خطب امرأة أو تيسر له نكاحها لكان مضبوطاً بها بالمال والجمال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثر فيمنه من شرب الخمر ولا في بيت وعرض عليه فإذا قدرت على إهائته لبيته غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه أما الإغماض فلوتركتها إظهاراً للفتناب عليه في نفسه فلا بأس وليس يجب تركها إذ ربما يكون لك نية في أن تتلفظ بإعائته وإظهار الشفقة عليه ليعتد مودتك وقبل نصحتك فهذا حسن وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الأحسن إن كانت معصيته بالجنابة على حقه أو حق من يتلقى بك وفقه زل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة إلى قوله تعالى - ألا تحبون أن يغرقكم لكم - إذ تكلموا مسلح بن أمية في وفاة الإفاك^(١) خلف أبو بكر أن يقطع عنه رقبته وقد كان يواسيه بالمال فزلت الآية ليعظم معصية مسلح وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها إلا أن الصديق رضي الله عنه كان كالجني عليه في نفسه بتلك الموافقة والعضو عن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين وإنما يحسن الإحسان إلى من ظلمك فأما من ظلم غريك وعصى الله به فلا يحسن الإحسان إليه لأن في الإحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم وحق المظلوم أولى بالمرعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم أحب إلى الله من ضحية قلب الظالم فأما إذا كنت أنت المظلوم فالأحسن في حقك المعفو والصفح . وطرق السلف قد اختلفت في إظهار البغض مع أهل اللصاحي وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والبدعة وكل من عصى الله بمعصية متعمدة منه إلى غيره فأما من عصى الله في نفسه ففهم من نظر بين الرحمة إلى الصاة كلهم . ومنهم من شدد الانكار واختار الهجرة فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكابر في أدنى كفر حتى هجر يحيى بن معين لقوله إنه لا أسأل أحداً شيئاً ولو حمل السلطان إلى شيئاً لأخذته ، وهجر الحارث

(١) حديث كلام مسلح في الإفاك وهجر أبي بكر له حتى زلت ولا يأتل أولوا الفضل منكم الآية متفق عليه من حديث عائشة .

فيها قطيعة أخرجهما في مصالحك فمن تجرد عن المخلوقين وتجرد بالله فقد تجرد بنى قادر لا يجزئه شيء . ففتح عليه من أبواب الحكمة والقدره كيف شاء وأولى من سأل نفسه بآلها الصبر الجليل فان الصادق نجيه عنه . وحكي شيخنا رحمه الله تعالى أن ولده جاء إليه ذات يوم وقاله أريد جبة قال قتل له ما فعلت بالجبة فذكر شهوة يشتريها بالجبة ثم قال من إذ ذلك اذهب واستعرض الجبة قال قلت نعم استعرضها من قسك فهي أولى من أقرض . وقد نظم بعضهم هذا للشي قال :

إن شئت أن تستعرض المال متفقا على شهوات النفس في زمن العسر قبل قسك الاقارب من كثر صبرها

الحاسي في تصديقه في الرد على العنزلة وقال إنك لا بد نورد أولا شبههم ونعمل الناس على التفكير فيها ثم ترد عليهم ، وهجر أبو ثور في تأويله قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته ^(١) » وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطراب الخلق وعجزهم وأنهم مسحرون لما قدروا له أورت هذا تساهلا في للمادة والبعض وله وجه ولكن قد تنسب به اللداعة فأكثر البواعث على الانغصاف عن اللطائف والمرعاة الغلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على النبي الأحق بأنه ينظر بين الرحمة وعزم ذلك أن ينظر إليه بين الرحمة إن جن على خاص حقه ويقول إنه قد سخره والقدر لا ينفص منه الحذر وكيف لا يسهل وقد كتب عليه فقل هذا قد تصح له نية في الإغصاف عن الجناية على حق الله وإن كان ينشأ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهذا مدهان مغرور بمكيدة من مكاييد الشيطان فليتبسله . فان قلت فأقول الدرجات في إظهار البعض المجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حق بمعنى العبد بتركه . فأقول لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف ولا يجاب فانا نعم أن الدين شربوا الحمر وتماطوا التواحي في زمان رسول الله ﷺ والصحابة ما كانوا يهجون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم : إلى من يفلظ القول عليه ويظهر البغض له ، وإلى من مرضه عن ولا يشره له ، وإلى من ينظر إليه بين الرحمة ولا يؤثر للقاطعة والتباعد فهذه دقايق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الأحوال في هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة فكون في رتبة الفضائل ولاتنتهي إلى التحريم واليجاب فإن المداخل تحت التكليف أصل للفرقة ثمالي وأصل الحب وذلك قد لا يبعدى من المبوب إلى غيره وإنما التمدى إفراط الحب واستبلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى وتحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق أصلا .

(بيان مراتب الدين يفضون في الله وكيفية معاملتهم)

فان قلت إظهار البعض والمداوة بالعلم إن لم يكن واجبا فلا شك أنه مندوب إليه والصلاة والساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا أم لا . فاعلم أن المخالف لأمر الله سبحانه لا يخلو إما أن يكون مخالفا في عقده أو في عمله والمخالف في العقيدة إما بدعوى أو كافر والبدع إما دأب إلى بدعته أو ساكت والساكت إما بسجته أو باختياره فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة الأول : الكفر فالكفر إن كان محاربا فهو يستحق القتل والارفاق وليس يدهن إهانة وأما الذي فاته لا يجوز إيذاؤه إلا بالاعراض عنه والتحقير له بالاضطرار إلى أضييق الطرق وترك للفاعة بالسلام فإذا قال السلام عليك قلت وعليك والأولى الكسفة عن مخالطة ومعاملته ومواكلته وأما الانبساط معه والاسترسال إليه كما يستمر إلى الاصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد يقتضى ما يقوى منها إلى حد التحريم قال الله تعالى - لا نجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم - الآية ، وقال ﷺ « والسلام للترك لا ترا آتى نارها » وقال عز وجل - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء - الآية . الثاني البدع الذي بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذي لأنه لا يضر بحرية ويسامح بقدر ذمة وإن كان ممن لا يكفر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لعمالة ولكن الأمر في الانكار عليه أشد منه

(١) حديث إن الله خلق آدم على صورته مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث المؤمنين والشرك

عليك وإرفاقا إلى
زمن اليسر
فان قلت كنت التقى
وإن أبت
فكل منوع بعدها
واسع المنع
فاذا استنفذ الفقير
المجدد من نفسه
وأشرف على الضعف
وتحققت الضرورة
وسأل مولاه ولم يغير
له شيء . ووقته يضيق
عن الكسب من شغل
بحاله فتد ذلك يفرغ
باب السبب ويسأل
قد كان الصالحون
يفعلون ذلك عند
فائقهم . نقل عن أبي
سيد الخراز أنه كان
يعد يده عند الفاقة
ويقول : ثم شيء لله .
ونقل عن أبي جعفر
الحداد وكان أستاذا
للجنيد أنه كان يخرج
بين العشائين ويسأل
من باب أو باين
ويكون ذلك معلومه
على قدر الحاجة بعد
يوم أو يومين . ونقل
عن إبراهيم بن آدم

(١) حديث إن الله خلق آدم على صورته مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث المؤمنين والشرك لا ترا آتى نارها أبو داود والترمذي من حديث جرير أنا برى من كل مسلم يتم بين أظهر الشرير قالوا يا رسول الله ولم ؟ قال لا ترا آتى نارها ورواه النسائي مرسل وقال البخاري الصحيح أنه مرسل .

على الكافر لأن شر الكافر غير متدد فإن المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذا لابتدع نفسه الإسلام واعتقاد الحق . أما البدع الذي يدعو إلى البدعة وزعم أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لنوابة الخلق فشره متدد فالاستجاب في إظهار بضه ومعاداته والاقطاع عنهم تخفيع والتشجيع عليه يدعته وتخفيف الناس عنه أشد وإن سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه وإن علت أن الأعراض عنه والسكوت عن جوابه يقيح في نفسه بدعته ويؤثر في زجره فترك الجواب أولى لأن جواب السلام وإن كان واجبا فيسقط بأدنى غرض فيمصلحة حتى يسقط بكون الإنسان في المحام أو في قضاء حاجته وغرض الرجاء من هذه الأغراض وإن كان في ملا ترك الجواب أولى تخفيرا للناس عنه وتحييما لبدعته في أعينهم وكذلك الأولى كلف الاحسان إليه والاهانة له لاسيا فيا يظهر للخلق قال عليه السلام « من اتهم صاحب بدعة ملا الله قلبه أمنا وإيمانا ومن أهان صاحب بدعة أمته اتهم يوم الفرع الأكبر ومن ألان له وأكرمه أولقيه بشر قد استخف بما أزل الله على محمد ﷺ » . الثالث : للبدع المعاصي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاعتداء به فأمره أهون فالأولى أن لا يبالغ بالتعليق والاهانة بل يتلطف به في النصح فإن قلوب العوام سرية القلب فإن لم ينفع النصح وكان في الأعراض عنه تقيح لبدعته في عينه فأكد الاستجاب في الأعراض وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجود طبعه وروسوخ عقده في قلبه فالأعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها . وأما المعاصي فضله وعمله لا يعقده فلا يخلو إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والنصب وشهادة الزور والنية والضرب بين الناس والشيء بالجمعة وأمثالها أو كان مما لا يقتصر عليه ويؤذى غيره وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد كصاحب المأخوذ الذي يجمع بين الرجال والنساء وبهي أسباب الشر والفساد لأهل الفساد أولا يدعو غيره إلى فضله كالذي يشر بوزن وهذا الذي لا يدعو غيره إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو بصغيرة وكل واحد فلما أن يكون مصرا عليه أو غير مصرا فهذه التفتتات يحصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبضها أشد من بعض ولا نسلك بالكل مسلكا واحدا . القسم الأول : وهو أشدها ما يضر به الناس كالظلم والنصب وشهادة الزور والنية والنجبة فهؤلاء الأولى الأعراض عنهم وترك مخالطتهم والابتعاد عن معاملتهم لأن للنية شديدة فما يرجع إلى إيذاء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم في السماء وإلى من يظلم في الأموال وإلى من يظلم في الأعراض وبعضها أشد من بعض فالاستجاب في إهانتهم والأعراض عنهم مؤكدها ومهما كان يتوقع من الاهانة زجرا لهم أولتهم كان الأمر فيه أكد وأشد . الثاني : صاحب المأخوذ الذي بهي أسباب الفساد ويسهل طرقه على الخلق فهذا لا يؤذى الخلق في دنياه ولكن يخلط بفسده دينهم وإن كان على وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه فإن للنية بين العبد وبين الله تعالى إلى الضو أقرب ولكن من حيث إنه تمتد على الجملة إلى غيره فهو شديد وهذا أيضا يقتضي الاهانة والأعراض والقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعا من الزجر له أولته . الثالث : الذي يفسد في نفسه بغير بحر أو ترك واجب أو مقارفة محظور بخصه فالأمر فيه أخف ولكنه في وقت مباشرته أن صودف بحب منته بما يتبع به منه ولو بالضرب والاستخفاف فإن التهي عن السكر واجب وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصرا عليه فإن تحقق أن نصحه بمنته عن المود إليه وجب النصح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصح والزجر بالتلطف أو بالتعليق إن كان

(١) حديث من اتهم صاحب بدعة ملا الله قلبه أمنا وإيمانا ، الحديث أبو نعيم في الحلية والمروى في ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

أنه كان مستكفرا بجامع البصرة مدة وكان يخطر في كل ثلاث ليال ليلة وإليها إظهاره يطلب من الأبواب وتقل عن سفبان التورى أنه كان يسافر من الحجاز إلى مناء اليمن ويسأل في الطريق وقال كنت أذكر لهم حديثا في الضيافة فيقدم إلى الطعام فأناول حاجتي وآرك ما يقي . وقد ورد من جامع ولم يسأل فأت دخل النار ومن عنده علم وله مع الله حال لا يبال بثل هذا بل يسأل بالعلم وبالحكم عن السؤال بالعلم . وحكى بعض مشايخنا عن شخص كان مصرا على المعاصي ثم اتقه وتاب وحسنت توبته وصار له حال مع الله تعالى قال : عزمت أن أحج مع القافلة ونويت أن لأسأل أحدا شيئا وأكتفى بسم الله بحالي قال فبقيت أجمعا في

هو الأنفع فأما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر وأن النصيح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل ضد هذا يقال الأعمال بالنيات إذ في الرفق والنظر بين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والإعراض نوع من الزجر والسنتقى فيه القلب لما يراه أميل إلى هواه ومقتضى طبعه فالأولى ضد إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر ومحبب التذاد بظاهر الملو والادلال بالصالح وقد يكون رفقته عن مدهانة واستقالة قلبه للوصول به إلى غرض أو لحوقه من تأثير وحشته وغرته في جاه أو ما يظن قريب أو بعيد وكل ذلك مردد على إشارات الشيطان وبيد عن أعمال أهل الآخرة فكل راغب في أعمال الدين يجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال والقلب هو القلق فيه وقد يصيب الحق في اجتنبه وقد يخطئ وقد يخدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم المرور ظان أنه عامل لله وسالك طريق الآخرة وسبأني يان هذه الدقائق في كتاب المرور من ربيع الهللكات ، ويدل على تخفيف الأمر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روى أن شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات وهو يقول قتال واحد من الصحابة لئنه الله ما أكثر ما يشرب قتال صلى الله عليه وسلم لا تسكن عونا للشيطان على أخيك (١) أو لفظا هذا معناه وكأن هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتخليط .

(يان الصفات للشروطة فيمن تختار محبته)

اعلم أنه لا يصلح للصحة كل انسان قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » (٢) ولا بد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في محبته وتشترب تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحة إذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول إلى القصد فلاضافة إلى القصد تظهر الشرط ويطلب من الصحة فوائد دينية ودنيوية أما الدنيوية فكالاستمتاع بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا . وأما الدينية فيجتمع فيها أيضا أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها الاستفادة للال لا اكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب القوت ومنها الاستعانة في الهمات فيكون عدة في الصائب وقوة في الأحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة ضد قال بعض السلف استكثروا من الإخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلتلك تدخل في خفاة أخيك وروى في غريب التفسير في قوله تعالى - ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله - قال يشفعهم في إخوانهم فدخلهم الجنة معهم ويقال إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه ولذلك بحث جماعة من السلف على الصبح والوقت والمظلة وكرهوا العزلة والافتراق فيهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطا لا تحصل إلا بها ونحن نفصلها أما على الجملة فينبغي أن يكون فيمن تؤثر محبته خمس خصال أن يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريس على الدنيا . أما العقل فهو رأس المال وهو الأمل فلا خير في محبة الأحمق فالي الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وإن طالت قال علي رضي الله عنه : فلا تصحب أحما الجاهل وإياك وإياه فكتم من جاهل أردى حليبا حين آخاه يقاس السرر بالمرء إذا ما المرء ماخاه وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

الطريق فتشع الله على الماء والزاد في وقت الحاجة ثم وقف الأمر ولم يفتح الله على شيء فجئت وعطشت حتى لم يبق لي طاقة فضعت عن الشيء وبقيت أنا خير عن القافة فيلا قليلا حتى مررت القافة فقلت في نفسي هذا الآن متى إلقاء النفس إلى التهلكة وقد منع الله من ذلك وهذه مسألة الاضطراب أسأل فلما هممت بالسؤال انبعت من باطن إنكار لهذه الحال وقات عزيمتي عقدتها مع الله فلا أفضها وهان على الموت دون نقص عزمي قصصت شجرة وقصصت في ظلها وطرح رأسي استطرأ للسوت وذهبت القافة فينا أنا كذلك إذ جاءني شاب متقلد بسيف وحركتني فقتت وفي يده إداوة فيها ماء فقال لي اشرب فشربت ثم قدم لي طعاما وقال

(١) حديث إن شارب خمر ضرب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لا تسكن عونا للشيطان على أخيك البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث المرء على دين خليله الحديث أو داود والترمذي وحسنه والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح إن شاء الله .

كيف والأحقى قد يضر بك وهو يريد تفكك وإعانتك من حب لا يدري ولذلك قال الشاعر :

إني لأمن من عدو عاقل وأخاف خلا يتره جنون

فالعدل فن واحد وطريقه أدري فأرصد والجنون فتون

كل فأكلت ثم قال لي

أريد القافة قلت من

لي بالقافة وقد عبرت

فقال لي قم وأخذ

يسدى ومشى معي

خطوات ثم قال لي

اجلس فالقافة إليك

نحبي جلست ساعة

فاذا أنا بالقافة ورائي

متوجهة إلى، هذا شأن

من يامل مولا

بالصدق وذبح

الشيخ أبو طالب السكي

رحمه الله أن بعض

الصوفية أول قول

رسول الله صلى الله عليه

وسلم «أحل ما أكل

الؤمن من كسبه»

بأنه للسألة عند القافة

وأنكر الشيخ

أبو طالب هذا التأويل

من هذا الصوفي وذكر

أن جعفر الحلي كان

يحكي هذا التأويل عن

شيخ من شيوخ

الصوفية ووقع لي والله

أعلم أن الشيخ الصوفي

لم يرد بكسب البعد

ما أنصكر الشيخ

أبو طالب منه وإنما

ولذلك قبل مقاطعة الأحقق قربان إلى الله . وقال الثوري : النظر إلى وجه الأحقق خطيئة مكتوبة ولنفي بالعدل الذي يفهم الأمور على ما هي عليه إما بنفسه وإما إذا فهم . وأما حسن الخاق فلا بد منه إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليه ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن طاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لمعجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فلا خير في محبته . وأما القاسق الصر على الفسق فلا فائدة في محبته لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة . ومن لا يخاف الله لا يؤمن فائتله ولا يوتق بصدقاته بل يتغير بتغير الأغراض وقال تعالى - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه - وقال تعالى - فلا يصدرك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه - وقال تعالى - فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وقال - واتبع سبيلا من أناب إلى - وفي مفهوم ذلك زجر عن القاسق . وأما للتدب في محبته خطر سراية البدعة وتهدى شؤمها إليه فالتدب مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر محبة وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب الدين في الصديق فيما رواه سعيد بن السبي قال : عليك يا أخوان الصدق تمس في أكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء . وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجتلك ما يملكك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولأمين إلا من خشي الله فلا تصحب العاجز فتعلم من جوره ولا تطامع على شرك واستتر في أمرك الذين يخشون الله تعالى . وأما حسن الخلق فقد جمعه عقلمة البطاردي في وصيته لانه حين حضرته الوفاة قال : يا بني إذا عرضت لك إلى محبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك وإن محبة زناك وإن تصد بك مؤنة مانك ، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة سدها ، اصحب من إذا سأله أعطاك وإن سكت ابتدأك وإن نزلت بك نازلة واساك اصحب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولت أمرا أمرك وإن تازعنا أتركك فكانه جمع بهذا جميع حقوق الصفة وشرط أن يكون قائما بجميعها . قال ابن أكرم قال المؤمن فأن هذا قيل له أنتدري لم أوصاك بذلك قال لا قال لأنه أراد أن لا يصحب أحدا . وقال بعض الأدباء لا تصحب من الناس إلا من يكتم شرك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويؤترك بالرغائب ويستر حسناتك ويغطى سيئتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك ، وقال على رضي الله عنه :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفك

ومن إذا ربه زمان صدعك شئت فيه شمله ليجمعك

وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تعلم منه شيئا من أمر دينك فينفك أو رجل تعلمه شيئا في أمر دينة فيقبل منك والثالث فاهرب منه ، وقال بعضهم : الناس أربعة فواحد حلو كله فلا يشبع منه وآخر مر كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حوصة تغذ من هذا قبل أن يأخذ منك وآخر فيه ملوحة تغذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : لا تصحب حصة الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ، والأحقق فانك لست منه على شيء يريد أن ينفك فيضرك ، والبخيل فانه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ، والجبان فانه يسلك ويفر عند الشدة ، والفاسق فانه يبيعك بأكلة أو أقل منها قليل وما أقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها . وقال الجليلي لأن يصحبني فاسق حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبني قاري

سبي الحلق ، وقال ابن أبي الحواري قال لي أستاذي أبو سليمان يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين رجلا
ترفق به في أمر دينك أو رجلا يزيد معه وتتفجع به في أمر آخرتك والاشتغال بشير هذين حق كبير .
وقال سهل بن عبد الله : اجتنب صحبة ثلاثة من أسناف الناس الجبارة العاقبين والقراء الداهين
والتصوفة الجاهلين . وأعلم أن هذه السمكات أكثرها غير محبب بجميع أعراض الصحة والمحب
ما ذكرناه من ملاحظة القاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها فليس يشترط لصحبة في مقاصد الدنيا
مشروطا لصحبة في الآخرة والأخوة كما قاله جسر . الإخوان ثلاثة : أخ لأخرك وأخ لدنياك وأخ
لأنفس به . وقصا تجتمع هذه القاصد في واحد بل تتفرق على جمع فتفرق الشروط فيهم لاجتماع ، وقد
قال للأخوة الثلاثة : أحدهم مثله مثل القذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه
في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الهداء لا يحتاج إليه قط ولكن البعد قديمتي به وهو الذي لأنفس
فيه ولا يخفى ، وقد قيل مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات فثما ماله ظل وليس له ثمر وهو مثل
الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فإن وقع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ماله ثمر وليس له
ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ماله ثمر وظل جميعا ومنها ماله ليس له واحد منهما
كأم غيلان تنزق الثياب ولا طعم فيها ولا شراب ومثله من الحيوانات الفائرة والضرب كما قاله تعالى - يدعو
لن ضره أقرب من نعمة لبس للولي وليس العشر - وقال الشاعر :

الناس شق إذا ما أنت ذقتهم لا يستوتون كالابتنوى الشجر

هذا له ثمر حلو مذاقه وذلك ليس له طعم ولا ثمر

فاذا لم يجد رفيقا يؤاخيه ويستفيد به أحد هذه القاصد فالوحدة أولى به . قال أبو ذر رضي الله عنه
الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة وروى مرفوعا . وأما الديانة وعدم
الفسق فقد قال الله تعالى - واتبع سبيل من أناب إلى - ولأن شاهد الفسق والفاسق فهو أمر
الصحة على القلب وتبطل نعمة القلب عنها . قال سعيد بن المسيب : لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم
الصالحة بل هؤلاء لاسلامه في مخالطتهم وإنما السلامة في الانقطاع عنهم . قال الله تعالى - وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما - أي سلامة والألف بدل من الهاء ومعناه إنا سلمنا من إنكم وأنتم سلمتم من
شرنا ، فهذا ما أردنا أن نذكره من معاني الأخوة وشروطها وقوائدها ، فلنرجع في ذكر حقوقها
ولو أزمها وطرق القيام بحقوقها ، وأما الحريص على الدنيا فضجته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه
والانتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه ، فجالسة الحريص على الدنيا تحرك
الحريص ومجالسة الزاهد تهذب في الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين
في الآخرة . قال عبيد السلام : أحبوا الطاعات بمجالسة من يستحي منه . وقال أحمد بن حنبل
رحمه الله ما أوقعت في بلية إلا صحبة من لأشتمته . وقال لقمان : يا بني جالس العلماء وزاحمهم يركبك
فإن القلوب تلتصق بالحكمة كما تصبى الأرض للينة بوابل القطر .

(الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصحة)

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكإتفاض النكاح حقوقا يجب
الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح فكذلك عقد الأخوة . فلا تحك
عليك حق في اللد والفسوق والاسان والقلب بالعمو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف فترك
التكليف والتكليف وذلك بجميعه ثمانية حقوق :

(الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصحة)

أراد بكسب اليد رضا
إلى الله تعالى عند
الحاجة فهو من أهل
مأبأ كله إذا أجاب الله
سؤاله وساق إلى عرقه
وقال الله تعالى حكاية
عن موسى عليه السلام
- رب إني لما أنزلت
إلي من خير فقير -
قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما قال
ذلك وإن خضرة البقل
ترامى في بطنه من
الجزال . وقال محمد الباقر
رحمه الله قالما وأنه
يحتاج إلى شق نمرة
وروى عن مطرف
أنه قال : أما والله لو كان
عند نبي الله شيء
ما أتبع المرأة ولكن
حمله على ذلك الجهد
وذكر الشيخ أبو
عبد الرحمن السلمي
عن الصرابادي أنه
قال في قوله - إني لما
أنزلت إلى من خير فقير -
لم يسأل السكيم الحقيق

وإنما كان سؤاله من
الحق ولم يسأل غدا
النفس إنما أراد

(الحق الأول في المال)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل الأخوين مثل الدين تفصل إحداهما الأخرى» (١) وإنما شبههما بالدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الإخوان إنما يتم أخوتهما إذا تراكبا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي السامعة في السراء والضراء والشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستتار . والواساة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب أدناها أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فإذا سحقت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيتها ابتداء ولم تجو به إلى السؤال فإن أحوسته إلى السؤال فهو غاية التصغير في حق الأخوة . الثانية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بشاركتك إيالك في مالك وتزوله منزلك حتى تسمح بشارطته في المال . قال الحسن : كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه . الثالثة : وهي العليا أن تؤثر على نفسك وتخدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات التحابين ومن تمارهنه الرتبة الإثبات بالنفس أيضا كما روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : «من رضى عن أخيه رضى الله عنه» وقامهم وفيهم أبو الحسين النوري فبادر إلى السيف ليكون هو أول مقتول قبله في ذلك فقال أجبت أن أوتر إخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاتهم جميعهم في حكاية طويلة فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينقد بعد في الباطن وإنما الجارى بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين ، فقد قال ميمون بن مهران : من رضى من الإخوان بترك الفضائل فليؤاخ أهل التبور . وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوى الدين ، روى أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألعين فأعرضته وقال آثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعى الأخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة يبنى أن لا تعامله في الدنيا . قال أبو حازم : إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دينك وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة . وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى للمؤمنين في قوله - وأمرهم شورى بينهم وبما رزقناهم ينفقون - أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نمل لأنه أضافه إلى نفسه وجاء فتح للوصول إلى منزل لأخ له وكان غالبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاه فقال إن صدقت فأنت حرة لوجه أنفسسروا بما فعل ، وجاء رجل إلى أبي هريرة رضي الله عنه وقال إني أريد أن أواخيك في الله فقال أئدري ما حق الاخاء قال عرفني قال أن لا تكون أحق بدنارك ودرهمك مني قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل هل يدخل أمدك يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذن قال لا قال فسلم باخاؤا ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا يا أبا سعيد أصليت قال نعم قالوا فإن أهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق يبنى أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم قاله كالتعجب منه وجاء رجل إلى إبراهيم بن آدم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال إني أريد أن أرافقك فقال له إبراهيم على أن أكون أملك لشبك منك قال لا قال أهمني صدقك . قال فكان إبراهيم بن آدم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخافه وكان لا يصحب إلا من يوافق ، وصحبه رجل شراك فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض المنازل قصعة من ترديد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شراب وجعلها في القصعة وردها إلى صاحب الهدية فلجاء رفيقه قال أين الشراك قال ذلك التريد الذي أكلته إيش كان قال كنت تعطيه شرابا كين أو ثلاثة قال امصع بسمك لك

(١) حديث مثل الأخوين مثل الدين الحديث تقدم في الباب قبله .

سكون القلب . وقال أبو سعيد الحاراز الحلقى مترددون بين ما لهم وبين ما ليس لهم من نظر إلى ماله تسكلم بلسان الفقر ومن شاهد ما إليه تسكلم بلسان الحياء والفقر لا يرى حال الكليم عليه السلام لما شاهد خواص ما خاطبه به الحق كيف قال : أرى أنظر إليك . ولما نظر إلى نفسه كيف أظهر الفقر وقال : إني لما أنزلت إلى من خير قبر . وقال ابن عطاء نظر من العبودية إلى الربوبية غشع وخضع وتسكلم بلسان الافتقار بما ورد على سره من الأنوار افتقار العبد إلى مولاه في جميع أحواله لا افتقار سؤال وطلب . وقال الحسين : قسبر لما خصصت من علم البين أن ترفيق إلى عين البين وحقوقه والله أعلم بقوله لما أنزلت

وأعطى مرة حمارا كان رفيقه بشير إذنه رجلا رأى رجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكلمه ذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال أخى فلان أوحج منى إليه فبعت به إليه فبعت ذلك الإنسان إلى آخر فلم يزل يمشيه واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة . وروى أن مسروقا ادان ديناً قتيلاً وكان على أخيه خيشة دين قال فذهب مسروق فقتل دين خيشة وهو لا يعلم وذهب خيشة فقتل دين مسروق وهو لا يعلم ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما (١) فآثره بما آثره به وكأنه قبله ثم آثره به وذلك مساواة البداية إتيار والإتيار أفضل من المساواة وقال أبو سلمان الداراني لو أن الدنيا كلها لي لجلتها في فم أخ من إخواني لاستقلتها لله وقال أيضاً إني لأقنع القنعة أخاً من إخواني فأجد طمها في حلق . ولما كان الإتيان على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال على رضي الله عنه لشعرون درهما أعطيتها أخى في الله أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين وقال أيضاً لأن أصنع صاعاً من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلى من أن أعتق رقبة . واقتداء الكل في الإتيار برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتني منها سواكين أحدها معوج والآخر مستقيم فدفع للمستقيم إلى صاحبه فقال له يارسول الله كنت وأخى أحق بالمستقيم مني فقال « ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من التهار لإسئل عن محبته هل أقام فيها حق الله أم أسأله » (٢) فأشار بهذا إلى أن الإتيار هو القيام بحق الله في الصلوة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر ينقل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ حتى اغتسل ثم جلس حذيفة لينقل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال بأني أفت وأخى يارسول الله لا فضل فأبى عليه السلام إلا أن يستر بالثوب حتى اغتسل (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ما اصطحب اثنين قط إلا كان أحدهما إلى الله أرققهما بصاحبه » (٤) وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزلاً للحسن وكان غالباً فأخرج محمد بن واسع سقة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يمضي صاحب البيت فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقاً فدخل الحسن وقال يا موبك هكذا كنا لا يحتمم بعضنا بعضاً حتى ظهرت أنسوا أصحابك وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال الله تعالى - أو صدقكم - وقال - وأما لكم مفاتيح - إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويغوض التصرف كما يريد وكان أخوه يتخرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والاصدقاء .

(الحق الثاني في الإغاثة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة)

(١) حديث لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما رواه البخاري من حديث أنس (٢) حديث أنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتني منها سواكين أحدها معوج والآخر مستقيم فدفع للمستقيم إلى صاحبه الحديث لم أفت له على أصل (٣) حديث ستر حذيفة للنبي صلى الله عليه وسلم ثوب حتى اغتسل ثم ستره صلى الله عليه وسلم لحذيفة حتى اغتسل لم أجده أيضاً (٤) حديث ما اصطحب اثنين قط إلا كان أحدهما إلى الله أرققهما بصاحبه تقدم في الباب قبله بالفظ أشدهما حباً لصاحبه .

إلى من خير فقير . أن الانزال مشعر يمد رتبته عن حقيقة القرب فيكون الانزال عين الفقر فما نتج بالمثل وأراد قرب التزلزول من صح قرة فقيرة في أمر آخرته كقفره في أمر دنياه ورجوعه إليه في الدارين وإياه يسأل حوائج التزليل وتنسوى عنده الحاجتان فله مع غير الله شغل في الدارين . [الباب العشرون في ذكر من يأكل من الفتوح]

إذا كل شغل الصوفي بالله وكل زهده لكان تقواه بحكم الوقت عليه يترك السبب وينكشف له صريح التوحيد وحملة الكفالة من الله الكريم فيزول عن باطنه الاهتمام بالأقسام ويكون مقدمة هذا أن يفتح الله له باباً من التعريف بطريق للقبالة على كل فعل يصدر منه حتى لو جزي

وهذه أيضا لدرجات كما لله واساها مال فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة وقال بعضهم إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فله أن يكون قد نسي فإن لم يقضها فكبر عليه وأقرأ هذه الآية - والذين يبعثهم الله - وأقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاء بهدية فقال ماهذا قال لما أسديته إلى فقال خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعنه في اللوق قال جعفر بن محمد إنى لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائى مخافة أن أؤرهم فيستنفوا عني هذا في الأعداء فكيف في الأصدقاء وكان في السالف من يفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم ويؤمنهم من ماله فكانوا لا يفتقدون من أبيهم إلا عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه وبهذا تظهر الشفقة والأخوة فإذا لم تشر الشفقة حتى يشقى على أخيه كما يشقى على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم تفرك عداوته وقال صلى الله عليه وسلم «ألا وإن لله أوائى في أرضه وهي القلوب فأحب الأوائى إلى الله تعالى أصفاه وأصلها وأرقها أصفاه من الذنوب وأصلها في الدين وأرقها على الإخوان» (١) وبالجملة فينبى أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك وأن تكون متفقا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك وتنبه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قلت بها ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بها بل تتقدم منه بقبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره ولا ينبى أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالأكرام والزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد كان الحسن يقول إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالله الدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة وقال الحسن من شيع أخاه في الله بث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة وفي الأثر ما زار رجل أخا الله شوقا إلى لقاءه لإخاءه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة (٢) وقال عطاء غفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فودوهم أو مشاهيل فأعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم وروى «أن ابن عمر كان يلتفت عينا ومجالا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال أحببت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال : إذا أحببت أحدا فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أغنته (٣) وفي رواية وعن اسم جده وعشيرته . وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل فيقول أعرف وجهه ولا أعرف اسمه تلك معرفة النوكي . وقيل لابن عباس من أحب الناس إليك قال جليسى وقال ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثا من غير حاجة له إلى فسلت ما مكافأته من الدنيا وقال سعيد ابن العاص لجليسى على ثلاث إذا دنا رحبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وقد قال تعالى - رحما بينهم - إشارة إلى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة أن لا يفرغ بطعام لذيذ

(١) حديث إن لله أوائى في أرضه وهي القلوب فأحب الأوائى إلى الله أصفاه وأصلها الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني إلا أنه قال أليها وأرقها وإسناده جيد (٢) حديث ما زار رجل أخا في الله الحديث تقدم في الباب قبله (٣) حديث ابن عمر إذا أحببت أحدا فأسأله عن اسمه واسم أبيه ومنزله وعشيرته الحديث الخراطى في مكارم الأخلاق والبيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه الترمذي من حديث يزيد بن ثعلبة وقال غريب ولا يعرف ليزيد بن ثعلبة سماع من النبي صلى الله عليه وسلم .

عليه يسير من ذنب بحسب حاله أو الذنب مطلقا مما هو منسب عنه في الشرع يجد غيب ذلك في وقت أو يومه كان يقول بعضهم : إنى لأعرف ذنبي في سوء لأعرف ذنبي في سوء خلق غلامى وقيل إن بعض الصوفية فرض القارخه فصار آراء تألم وقال :

لو كنت من مازن لم تستبح ليلي
بنو القبيطة من ذهل
ابن شيثانا
إشارة منه إلى أن الداخل عليه مقابلة له على شيء استوجب به ذلك فلا يزال به القسايات متضمنة للتعريفات الإلهية حتى يتحصن بصدق المحاسبة وصفاء الرقابة عن تصديق حقوق العبودية ومخالفة حكم الوقت ويتجرده له حكم فعل الله وتحمي عنده أفعال غير الله فيرى المظلي والناصح هو الله سبحانه ذوقا وحالا

أو بحضور في مسرة دونه بل يقتصر لفرقه ويستوحش بانفراده عن أخيه .

(الحق الثالث)

(في اللسان بالكوت مرة وبالناطق أخرى) : أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبة وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يشكك به ولا يجاريه ولا ينافيه وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله وإذا رأى في طريق أو حاجة لم ينافعه بذلك غرضه من مصدره ومورده ولا يسلطه عنه فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه وليسكت عن أسرارته التي بها إليه ولا يبينها إلى غيره ألبتة ولا إلى أخس أصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وأن يسكت عن القدر في أحبابه وأهله وولده وأن يسكت عن حكاية قدر غيره فيه فإن الذي سبك من بلبك وقال أنس « كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بشيء يكرهه »^(١) والتأذي يحصل أولا من اللبغ ثم من القائل نعم لا يبغي أن يخفي ما يسب من التاء عليه فإن السرور به أولا يحصل من اللبغ للحدس ثم من القائل وإخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا إلا إذا وجب عليه النطق في أمر معروف أو نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالى بكرهاته فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة في الظاهر . أما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي أهله فهو من النية وذلك حرام في حق كل مسلم وبزجره عنه أمران : أحدهما أن تطالع أحوال تسلك فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهو على شك مزاره من أنيكت وقد رآه عاجز عن قهر نفسه في تلك الحصة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلي به ولا تستقله بحصة واحدة مذمومة فأرى الرجال الهدب وكل مالا تصادفه من تسك في حق الله فلا تنتظر من أخيك في حق شك فليس حثك عليه بأكثر من حق الله عليك . والأمر الثاني أنك تعلم أنك لو طلبت منزعا عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلا من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساو إذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والنتهى فالؤمن الكريم أبدا يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبت من قلبه التوقير والود والاحترام . وأما للناقي اللئيم فإنه أبدا يلاحظ المساوي والعيوب قال ابن المبارك المؤمن يطلب المآذير والناقي يطلب المثرات وقال الفضيل الفتوة الخوف عن زلات الأخوان وقدك قال عليه السلام « استعبدوا بالله من جاز السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره »^(٢) وما من شخص إلا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقيحه أيضا روى « أن رجلا أتني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذه قال عليه السلام : أنت بالأمس تنى علي واليوم تنفم فقال والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرماني بالأمس فقلت أحسن ماعلت فيه وأعطيني اليوم فقلت أتبيع ماعلت فيه فقال عليه السلام : إن من البيان لسحرا »^(٣) وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر وقدك قال في خبر آخر

(١) حديث أنس كان لا يواجه أحدا بشيء يكرهه أبو داود والترمذي في الثمائل والنسائي في اليوم والليلة بسند ضعيف (٢) حديث استعبدوا بالله من جاز السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره البخاري في التاريخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والنفائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح : تمودوا بالله من جاز السوء في دار اللقائم (٣) حديث أنس رجلا أتني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذه الحديث وفيه فقال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک من حديث أبي بكره إلا أنه ذكر للحدس والقدم في مجلس واحد لا يؤمّن ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا.

لأعلا وإيمانا ثم يتدراكه الحق تعالى بالمعونة وبوقفه على صريح التوحيد ونجريد فعل الله تعالى كما حكى عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق فخرج إلى بعض الصحاري فرأى قبرة عبياء عرجاء ضيقة فوقف متعجبا منها متفكرًا فيها تأكل مع محزها عن الطيران ولكي والرؤية فينا هو كذلك إذ انشقت الأرض وخرجت سكرجان في إحداها صمم نقي وفي الأخرى ماء صاف فأكلت من السمسم وشربت من الماء ثم انشقت الأرض وغابت السكرجان قال فلما رأيت ذلك سقط عن قلبي الاهتمام بالرزق فإذا أوقف الحق عبده في هذا اللقائم يزول عن باطنه الاهتمام بالأنفاس ويرى المدخول في التسبب والتكسب بالسؤال وغيره رتبة

«البذاء والبيان شعبان من الففاق»^(١) وفي الحديث الآخر «إن الله يكره لكم البيان كل البيان» وكذلك قال الشافعي رحمه الله ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يصبه ولا أحد يصي الله ولا يطيعه فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جمل مثل هذا عدلا في حق الله فبأن تراء عدلا في حق نفسك ومقتضى أخوتك أولى. وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه أيضا وحده أن لا تعمل فيه على وجه فاسد ما أمكن أن تحصله على وجه حسن، فأما ما انكشف يقين ومشاهدة فلا يمكنك أن لا تصبه وعليك أن تحصل ما تشاهد على سبيل ونسيان إن أمكن وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى قرضا وهو الذي يستند إلى علامة فإن ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه وإلى ما منتهوه سواء اعتقاد فيه حتى صدر منه فعله وجهان فيحكمك سواء الاعتقاد فيه على أن تنزهه على الوجه الأرذال من غير علامة تخص به وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن إذا قال صلى الله عليه وسلم «إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعمرته وأن يظن به ظن سوء»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»^(٣) وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس، وقد قال عليه السلام «لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تخاطموا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا»^(٤) والتجسس في تطالع الأخبار والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيعة أهل الدين ويكتفيك تنبيه على كمال الرتبة في ستر التبيح وإظهار الجليل أن الله تعالى وصف به في الدعاء قبل يأمن أظهر الجليل وستر التبيح والرضى عند الله من تخلق بأخلاقه فإنه ستر العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العيب فكيف لا تتجاوز أنت عن من هو مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك، وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم أناسكم تأمنا وقد كشف الربح ثوبه عنه قولوا نشرته وتطيله قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال أحدهم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها. وإعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يجب لأخيه ما يجب لنفسه وأقل درجات الأخوة أن يحامل أخاه بما يجب أن يحمله به ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوي والعيوب ولو ظهر له منه شيء ما ينتظره اشتد عليه غيظه وفضبه لما أبده إذا كان ينتظر منه ما لا يضره له ولا يهزم عليه لأجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال - ويل للعطفين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوم أو وزنوم يهملون - وكل من يلمس من الأنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ومنشأ التعمير في ستر النورة أو السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد فإن الحقد الحسود بعلأ باطنه بالحب ولكن يحبه في باطنه وبغبه ولا يديه مها

(١) حديث البذاء والبيان شعبان من الففاق الترمذي وقال حسن وإلحاقه وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٢) حديث إن الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن سوء إلحاقه في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله وعرضه ورجاله تحت إلا أن أبطل النيسابوري قال ليس هذا عندي من كلام النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو عندي من كلام ابن عباس ولأن ما به نحوه من حديث ابن عمر ولمسلم من حديث أبي هريرة كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه (٣) حديث إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تخاطموا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، متفق عليه من حديث أبي هريرة وهو بعض الحديث الذي قبله.

المرام ويسر مسلوب
الاختيار غير متطلع
إلى الأغيار ناظرا إلى
فضل الله تعالى منتظرا
لأمر الله فتساق إليه
الأنعام وينتج عليه
باب الانعام ويكون
بدوام ملاحظته فضل
الله وترصده ما يحدث
من أمر الله تعالى
مكتشفا له تجليات من
الله تعالى بطريق
الأفصال والتجلى
بطريق الأفصال رتبة
من القرب ومنه يترقى
إلى التجلى بطريق
الصفات ومن ذلك
يترقى إلى تجلى الذات
والإشارة في هذه
التجليات إلى رتب في
التيقن ومقامات في
التوحيد شيء فوق
شيء وشيء أعلى من
شيء فالتجلى بطريق
الأفصال يحدث صفو
الرضا والتسليم والتجلى
بطريق الصفات
يكسب الهية والأنس
والتجلى بالذات يكسب
الفناء والبقاء وقد

لم يجد له مجالا وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء وترشح الباطن بغيبته الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فلا انقطاع أولى قال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقد إلا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فأعماه ضيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله . وقد روى عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه قال كنت باليمن ولي جاري يهودي يخبرني عن التوراة فقدم على اليهودي من سفر قتل إن الله قد بث فينا نيبا فدعانا إلى الاسلام فأسلمنا وقد أزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به إنا نجد نسته ونست أمته في التوراة إنه لا عمل لأمري أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه السلم ، ومن ذلك أن يستعن إفشاء سره الذي استودعه وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه فإن أخاه نازل منزله ومها كخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن هذه حقيقة الأخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرايا وخارجا عن أعمال السرا إلى أعمال العلانية فإن معرفة أخيه بصدقه كمرفته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام « من سر عورة أخيه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة ^(١) » وفي خبر آخر « فكأنما أحيا مودة ^(٢) » وقال عليه السلام « إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة ^(٣) » وقال « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس مجالس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله ^(٤) » وقال ^(٥) « إنما يتجالس التجالسان بالأمانة ولا يعمل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره ^(٦) » قيل لبعض الأدباء كيف حفظك لسر قال أنا قبره وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار وقيل إن قلب الأحق في فيه ولسان العاقل في قلبه أي لا يستطيع الأحق إخفاء ما في نفسه فيديه من حيث لا يدري به فمن هذا يجب مقاطعة الحق والتوقي عن مجتنب بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السرا قال أجمع الخبر وأحاف المستخير . وقال آخر أسرته وأسرأتي أسرته وعبرته ابن العنتر فقال :
ومستودعي سرا تبوات كتمه فأودعته صدري فصار له قبرا

وقال آخر وأراد الزيادة عليه :

وما السر في صدري كذا وغيره لأنني أرى القبور ينتظر النشر
ولكنني أنساه حتى كئاني بما كان منه لم أحط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بيني وبينه عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

(١) حديث من سر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال يوم القيامة ولم يقل في الدنيا ولمسلم من حديث أبي هريرة من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ولقيس بن خزيمة من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٢) حديث فكأنما أحيا مودة من قبرها أبو داود والنسائي والحاكم من حديث عقبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مودة زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الاسناد (٣) حديث إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذي من حديث جابر وقال حسن (٤) حديث المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس الحديث أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه (٥) حديث إنما يتجالس للتجالس بالأمانة لا يعمل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بامانة ضعيف ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية أبي بكر بن حزم مرسل والحاكم وصححه من حديث ابن عباس إنكم تتجالسون بينكم بالأمانة .

يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله فناء يمتن به فناء الارادة والهوى والارادة ألقف أقسام الهوى وهذا الفناء هو الفناء الظاهر فأما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمان نور الشهود يكون في تجل اللغات وهو أكل أقسام اليقين في الدنيا فأما تجل حكم اللغات فلا يكون إلا في الآخرة وهو للقام الذي حظي به رسول الله صلى الله عليه وسلم لبقة العراج ومنع عنه موسى بلن تراني فليعلم أن قولنا في التجلي إشارة إلى رب الحظ من اليقين ورؤية البصيرة فإذا وصل الصدى إلى مبادئ أقسام التجلي وهو مطالعة القلل الإلهي مجردا عن فعل سواء يكون تناوله الأقسام من الفتح . روى عن رسول الله صلى الله

وأخى بعضهم سرا له إلى أخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيت وكان أبو سعيد الثوري يقول إذا أردت أن تواخي رجلا فأغضبته ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك قال خيرا وكنتم سركا فاصبه وقيل لأبي يزيد من نصب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله وقال ذو النون لا خير في محبة من لا يحب أن يراك إلا معصوما ومن أخى السر عند الغضب فهو اللئيم لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتا على اختلاف هذه الأحوال وذلك قبل:

ورى الكريم إذا نعزم وصله يخفى التبيح ويظهر الاحسانا

ورى اللئيم إذا تقضى وصله يخفى الجبيل ويظهر البهتانا

وقال عباس لابنه عبد الله إني أرى هذا الرجل يعني عمر رضي الله عنه يقدمك على الأخياع فاحفظ عني خسا لا تمنين له سرا ولا تفتن بينه وبين أحدنا ولا تجربن عليه كذبا ولا تصين له أمرا ولا تطلعن منك على خيانة فقال النبي كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف ومن ذلك السكوت عن الماراة وللداغية كل ما يتكلم به أخوك قال ابن عباس لا تمار منها فيؤذيك ولا تحلي فيفليك وقد قال صلى الله عليه وسلم «من ترك المراء وهو مبطل يئله بيت في رضى الجنة ومن ترك المراء وهو محق يئله بيت في أعلى الجنة» (١) هذا مع أن تركه سبلا واجب وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل وإنما الأجبر على قدر التصب وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان الماراة والمناصفة فاتها عين التدارب والتقاطع فان التقاطع يقع أولا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان وقال عليه السلام «لا تداربوا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا» (٢) للسلم أخو للسلم لا يظلمه ولا يجرمه ولا يغذله بحسب الرء من ألقى أن يعتر أخاه السلم (٣) وأعد الاحتقار للماراة فان من رد على غيره كلامه فقد نسب إلى الجهل والحق أو إلى الغفلة والسوء عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقاق وإغفار للصدور وإعاش وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فنضب وقال: ذروا المراء، قلعة خيرة وذروا المراء فان ثمة قليل وإنه يبيع المداوة بين الإخوان» (٤) وقال بعض السلف من لاسى الإخوان وما راحم قلت مروءته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن إنك وبمارة الرجال فانك لن تقدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم وقال بعض السلف أجهز الناس من قصر في طلب الإخوان وأجهز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة الماراة توجب التضييع والقطعة وتورث المداوة وقد قال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل وعلى الجملة فلا باع على الماراة إلا إظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار الردود عليه بإظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والابذاء والشتم بالحق والجهل ولا معنى للمداوة إلا هذا فكيف تضامنه الأخوة وللمناصفة فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك المراء وهو مبطل يئله بيت في رضى الجنة الحديث تقدم في العلم (٢) حديث لا تداربوا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا للسلم أخو للسلم الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بعضه قبل هذا بسبعة أحاديث (٣) حديث أبي أمامة خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فنضب وقال ذروا المراء قلعة خيرة فان ثمة قليل فانه يبيع المداوة بين الإخوان الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة وأبي الدرداء ورواه في نسخة وأبو منصور ما يصدقونه قلعة خيرة ومن هنا إلى آخر الحديث رواه أبو منصور والبيهقي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة فقط وإسناده ضعيف .

عليه وسلم أنه قال ومن وجه إليه نحو من هذا الرزق من غير مسئلة ولا إشراف فليأخذه وليوسع به في رزقه فان كان عند غنى فليدفعه إلى من هو أحوج منه وفي هذا دلالة ظاهرة على أن العبد يجوز أن يأخذ زيادة على حاجته بنية صرفه إلى غيره وكيف لا يأخذ وهو يرى فضل الله تعالى ثم إذا أخذ فهم من يخرججه إلى المحتاج ومنهم من يقف في الإخراج أيضا حتى يرد عليه من الله علم خاص ليكون أخذه بالحق وإخراجه بالحق أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر قال أنا والسي الحافظ أبو القسطل المقدسي قال أنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد الجبالي قال أنا محمد بن عبد الرحمن ابن سعيد قال أنا أبو طاهر أحمد بن محمد

أنه قال لأعمار أخاك ولا تعازحه ولا تلمه موعدا فتخله ^(١) وقد قال عليه السلام «إنكم لاتسمون الناس بأموالكم ولكن ليسمعهم منك بسط وجه وحسن خلق ^(٢)» ولإدارة مضادة لحسن الخلق وقد اتى السلف والخلف عن الازالة والخص على المساعدة إلى حد لم يروا السؤال أصلا وقالوا إذا قلت لأخيك قم فقال إلى أين فلا تصحبه بل قالوا يبنى أن يقوم ولا يسأل وقال أبو سليمان الداراني كان لي أخ بالعراق فكنيت أخته في الثواب فأقول أعطني من مالك شيئا فكان يلقي إلي كيسا فأخذ منه ما أريد فجئت ذات يوم فقلت أحتاج إلى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة إياه من فمي وقال آخر إذا طلبت من أخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الإخاء . واعلم أن قوام الأخوة بالمواقة في الكلام والعمل والشفقة قال أبو عثمان الحيري مواقة الإخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال .

(الحق الرابع على اللسان بالتطرق)

فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن الكرامة تقتضي أيضا التطرق بالحباب بل هو أخص بالأخوة لأن من تنع بالسكوت محب أهل القبور وإنما تراد الإخوان لبستفاد منهم لا ليتخلص عن أذام والسكوت معناه كلف الأذى فعليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقد في أحواله التي يحب أن يتفقد فيها كالتسؤل عن عارض إن عرض وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة أحواله التي يكرهها يبنى أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها وجملة أحواله التي يسرها يبنى أن يظهر بلسانه مشاركتها في السرور بها فبني الأخوة للسماحة في السراء والضراء وقد قال عليه السلام «إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره ^(٣)» وإنما أمر بالإخبار لأن ذلك يوجب زيادة حباب عن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لإحالة فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لإحالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتعاطب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علمه الطريق قال «تهادوا تحابوا ^(٤)» ومن ذلك أن تدعوه بأحب اسمائه إليه في غيبته وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لكود أخيك أن تسلم عليه إذا قيته أولا وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب اسمائه إليه ومن ذلك أن تنفي عليه بما تعرف من عاهات أحواله عند من يؤثر هو التناء عند ذلك من أعظم الأسباب في جلب الهمية وكذلك التناء على أولاده وأهله وصنته وقسطه حتى على غفله وخلقه وهيبته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وإفراط ولكن تحسين ما قبيل التحسين لا بد منه وآ كمن ذلك أن تبغته ثناء من أتى عليه مع إظهار الفرح فإن إخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حقه بل على نيته وإن لم يتم ذلك قال على رضي الله عنه من لم يحمدا على من حسن التبة لم يحمده على حسن الصنية وأعظم من ذلك تأثيرا في جلب الهمية القبح عنه في غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لمرضه بكلام صريح أو تعرض لحق الأخوة التضمير في الحماية والنصرة وتبكيك للتضئ وتقليظ القول عليه

(١) حديث ابن عباس لأعمار أخاك ولا تعازحه ولا تلمه موعدا فتخله الترمذي وقال غريب لا نرفه إلا من هذا الوجه يعني من حديث ليث بن أبي سليم وضعه الجمهور (٢) حديث إنكم لاتسمون الناس بأموالكم ولكن ليسمعهم منك بسط الوجه وحسن الخلق أبو يونس للوصل والطبراني في معارج الأخلاق وابن عدي في الكامل وضعه والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم من حديث للقدام بن معدى كرب (٤) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم غير مرة .

ابن عمر وقال أنابونى
ابن عبد الأعلى قال
حدثنا ابن وهب قال
تثا عمرو بن الحرث
عن ابن شهاب عن
السائب بن يزيد عن
حويطب بن عبد العزى
عن عبد الله السمدى
عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال
كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يسطى المطاء فأقول
له أعطه يارسول الله
من هو أقصر منى فقال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم «خذه
فصومه أو تصدق به
وما جاءك من هذا
للإل وأنت غير
مكشوف ولا سائل
نقله وما لا فلا تتبعه
تسك» قال سالم بن
أجل ذلك كان ابن
عمر لا يسأل أحدا شيئا
ولا يرد شيئا أعطه
درج رسول الله صلى
الله عليه وسلم الأصحاب
بأوامره إلى رؤية
صلاته تعالى والخروج

والسكوت عن ذلك موغر للصبر ومنفر للقلب وتقصير في حق الأخوة وإنما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخوين باليدين فتسل إحدهما الأخرى لينصرا أحدهما الآخر وينوب عنه^(١) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «السلام أخو السلم لا يظلمه ولا يغذله ولا يثله»^(٢) وهذا من الانسلاخ والخذلان فإن إجماله لتزريق عنده كإجماله لتزريق لجه فأخس بأخ يراك والكلاب تفرسك وتغزق لحومك وهو ما كنت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتغزق الأعراض أشد على النفوس من تغزيق اللحوم ولذلك شبه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال - أيعب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا - ولذلك الذي يمثل في المنام ما تظلمه الروح من اللوح المحفوظ بالأشقة المحسوسة يمثل التوبة بأكل لحوم الميتة حتى إن من يرى أنه يأكل لحم ميتة فإنه يمتاب الناس لأن ذلك للثقل في مثيله برأى للشاركة وللناسية بين الشيء وبين مثاله للشيء الذي يجري من المثال يجري الروح لا في ظاهر الصور فاذن حماية الأخوة بدفع فم الأعداء وتحت للتصديق واجب في عقد الأخوة وقد قال مجاهد لا تذكر أخاك في غيبته إلا كما تحب أن يذكرك في غيبتك فاذن لك فيه ميعاران أحدهما أن تذكر أن الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان أخوك حاضرا ما الذي كنت تحب أن يوله أخوك فيك فينبغي أن تعامل للعرض لمرسه به والثاني أن تذكر أنه حاضر من وراء جدار يسمع قواك ويظن أنك لا تعرف حضوره لما كان يتحرك في قلبك من النصرة له يسمع منه وهرأى فينبغي أن يكون في منفيه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر أحمى شبيب إلا صورته جالسا قلت فيه ما يحب أن يسمعه لو حضر وقال آخر ما ذكر أحمى إلا صورته تسمى صورته قلت فيه مثل ما أحب أن يقال في وهذا من صدق الاسلام وهو أن لا يرى لأخيه إلا ما يراه نفسه وقد نظر أبو البراء إلى ثورين يمرثان في فدان فوقف أحدهما بحك جسمه فوق الآخر فبكى وقال هكذا الإخوان في الله يملآن الله فإذا وقف أحدهما واقفه الآخر وبالواقعة يتم الاخلاص ومن لم يكن محاسنا في إخوانه فهو منافق والاخلاص استواء القريب والسيادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والحلوة والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك محاذفة في اللومة وهو دخل في الدين ووليعة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فلا تقطع والمزلة أولى به من الواخاة والصاحبة فإن حق الصبة ثقيل لا يطيقه إلا بحق فلا جرم أجره جزيل لا يناله إلا موفق ولذلك قال عليه السلام «أياهم أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا»^(٣) فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصبة والاسلام جزاء الجوار فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين الشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصبة فإن الصبة تقتضي حقوقا كثيرة في أحوال متغيرة مترددة على الدوام والجوار لا يقتضي إلا حقوقا قورية في أوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال فإن كنت غنيا بالعلم فليكن مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فإن علمه وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فليكن النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائده تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبه على عيوبه وتنبه القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع

(٢) حديث تشبيه الأخوين باليدين تقدم في الباب قبله (٢) حديث السلم أخو السلام تقدم في أثناء حديث قبله بسبعة أحاديث (٣) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا الترمذي وابن ماجه واللفظ له من حديث أبي هريرة بالشر الأول فقط وقال الترمذي مؤمنا قال وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما وقال ابن ماجه مؤمنا قال الدارقطني والحديث ثابت ورواه القاضي في مسند الشهاب بلفظ الصنف .

من تدبير النفس إلى حسن تدبير الله تعالى . سئل سهل بن عبد الله التستري عن علم الحال قال هو ترك التدبير ولو كان هذا في واحد لكان من أوتاد الأرض . وروى زيد ابن خالد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله قائما هو شيء من رزق الله تعالى ساقه الله إليه » وهذا البعد الواقف مع الله تعالى في قبول ما ساق الحق آمن ما يهشى عليه إنما يغشى على من برد لأن من رد لا يأمن من دخول النفس عليه أن يرى بين الزهد في أخذه إسقاط نظر الحلق تحققا بالصدق والاخلاص وفي إخراجها إلى التبر إثبات حقيقته فلا يزال في كلا الحالين زاهدا

عليه أحد لما كان على الملا فهو توبخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة إذ قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن مرآة المؤمن »^(١) أي يرى منه مالا يرى من نفسه فيستفيد للرب بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو اتقرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعي رضي الله عنه من وعظ أخاه سرا قد نصحه وزانه ومن وعظه علانية قد فضحه وشانه وقبل لمسر أعجب من مخبرك بميوك فقال إن نصحتي فيا يبى وبينه ضم وإن قرعني بيني للآ فلا وقد صدق فإن التصح على اللا فضيحة والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه في ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله محتوما إلى اللاشككة الذين يحفون به إلى الجنة فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب محتوما ليقرأه وأما أهل اللت قنادون على رموس الأشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائعهم فيزدادون بذلك خزيا وانقضاها ونمود بالله من الحزى يوم العرض الأكبر بالفرق بين التوبخ والتوبيخ والصيحة بالاسرار والاعلان كما أن الفرق بين الداراة والداهنة بالعرض الباعث على الاغضاء فان أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك بالاغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شيوائك وسلامة جاهك فأنت مدهان وقال الذنون لاصحب مع الله إلا بالمواقة ولا مع الحلق إلا بالمصاحبة ولا مع النفس إلا بالخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة . فان قلت فإذا كان في النصح ذكر العيوب فيه إغشاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الأخوة فأعلم أن الإغشاش إنما يحصل بذكر عيب بعله أخوك من نفسه فأما تنبيهه على مالا يله فهو عين الشفقة وهو سائلة القلوب أعنى قلوب القلاء وأما الحق فلا يثبت إليهم فان من ينهك على فعل مذموم تعاطيته أوصفه مذمومة انصفت بها تركي نفسك عنها كان كمن ينهك على حبة أو غريب تحت ذيلك وقد دهمت بإهلاكك فان كنت تكره ذلك لما أشد حملك والصفات السمية عقارب حيات وهي في الآخرة مهلكات فاتها تلغ القلوب والأرواح وألها أشد ما يلدغ الظواهر والأجساد وهي مخلوقة من نار الله القدوة ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من إخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه ولذلك قال عمر لسان وقد قدم عليه ما لدى بلسك عنى مما تكره فاستغنى فألج عليه فقال بلغنى أن لك حلتين تلبس إحداها بالهتار والأخرى بالليل وبلغنى أنك تجمع بين إدامين على مائدة واحدة فقال عمر رضي الله عنه أما هذان قد كفتيها فهل بلسك غيرها فقال لا وكتب حذيفة الرعشى إلى يوسف بن أسباط بلغنى أنك بت دينك بعينين وقت على صاحب إن قلت بكم هذا فقال بسدس قلت له لا شمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن رأسك قناع الناقلين واتبه عن ردة اللوى واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا ما آمن أن يكون بآيات الله من السهزئين وقد وصف الله تعالى السكاذبين ينضمهم للناصبين إذ قال - ولكن لا تحبون الناصبين - وهذا في عيب هو غافل عنه فأما ما علمت أنه يله من نفسه فأعلم هو مهور عليه من طبعه فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه وإن كان يظهره فلا بد من التلطف في النصح بالعرض مرة وبالصرح أخرى إلى حد لا يؤدي إلى الإغشاش فان علمت أن النصح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الاصرار عليه فالكوت عنه أولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه أو دنياه أما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتيا والعلو والصفيح والتعاطي عنه والعرض لذلك ليس من النصح في شيء ، ثم إن كان بحيث يؤدي استمراره عليه إلى القطيعة فالكتاب في السرخير من القطيعة والتعرض به خير من التصريح والسكابة خير من الشافهة والاحتال خير من الكل إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه واحتالك تقصيره للاستعانة به

(١) حديث المؤمن مرآة المؤمن أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد حسن .

براه الغير بين الرغبة لقلعة العلم بحاله وفي هذا المقام يتحقق الزهد في الزهد ومن أهل الفتوح من يعلم دخول الفتوح عليه ومنهم من لا يعلم دخول الفتوح عليه فهم من لا يتناول من الفتوح إلا إذا تقدمه علم بتعريف من الله إياه ومنهم من يأخذ غير منطلع إلى تقدم العلم حيث تجرد له الفعل ومن لا ينظر تقدم العلم فوق من ينظر تقدم العلم لتعلم صحته مع الله وانسلاخه من إرادته وعلم حاله في ترك الاختيار ومنهم من يدخل الفتوح عليه لا يتقدم العلم ولا رؤية تجرد الفعل من الله ولكن يرق شربا من الهبة بطريق رؤية النعمة وقد يشكك شرب هذا بتغير مهور النعمة وهذا حال

والاسترقاق منه قال أبو بكر السكتاني سمعت رجلاً وكان على قاي تميلاً فوهبت له يوماً شيئاً على أن يزول ماؤي إلى ظم زل فأخذت يده يوماً إلى البيت وقلت له ضع رجلك على خدي فأني قتلت لا بد ففعل فزال ذلك من قاي ، وقال أبو علي الرباطي سمعت عبدالله الرازي وكان يدخل البادية فقال على أن تكون أنت الأمير أو أنا قتلت بل أنت فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فأخذ عصاه ووضع فيها الزباد وحملها على ظهره ، فإذا قلت له أعطني قال أئست قلت أنت الأمير فليك الطاعة فأخذنا للطريلة فوقف على رأسي إلى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني للطر فكننت أقول مع نفسي ليخي مت ولم أزل أنت الأمير .

(الحق الخامس النفوس عن الزلازل والهفوات)

وهفوة الصديق لا تخلو إيمان تكون في دينه بارتكاب معصية أو في حقه بتقصيره في الأخوة أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فليك التلطف في نصحه بما يقوم أودع ويجمع شمله ويبعد إلى الصلاح والورع حاله فإن لم تقدر وبقي مصرّاً فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في إدامة حق مودته أو مقاطعة فذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى الاعتطاع وهل إذا اختلف أخوك عما كان عليه فأبضه من حيث أحببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه فقال أبو الدرداء إذا تغير أخوك وسأل عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يوج مرة ويستقيم أخرى ، وقال إبراهيم التيمي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غداً ، وقال أيضاً لا تعدنوا الناس بركة العالم فإن الزلزلة تهزكم كما وفي الخبر « انقوا زلة العالم ولا تعططموه وانتظروا فيته » وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان أخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال ما فعل أخى قال ذلك أخو الشيطان قال ما قال إنه فارف الكيثار حتى وقع في الحفر قال إذا أردت الخروج فأذن فكتب عند خروجه إليه بسم الله الرحمن الرحيم - حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فاب ورجع . وحكى أن أخوين ابني أحدهما يهوى فأظهر عليه أخاه وقال إني قد اعتلت فإن شئت أن لا تعقد علي صحبتي له فافعل فقال ما كنت لأحل عقد أخواتك لأجل خطيئتكم أبداً ثم عقد أخوه بينه وبين الله أن لا يأكل ولا يشرب حتى يمضي الله أخاه من هواء فتوى أربعين يوماً في كلها يسأله عن هواء فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو يتحلل من التهم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يلف هزاً وضراً . وكذلك حكى عن أخوين من السلف اختلف أحدهما عن الاستقامة فقبل لأخيه ألا تقطعه وتهجره فقال أحوج ما كان إلى في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن أخذ يده وأنظف له في العاتية وأدعوه بالود إلى ما كان عليه . وروى في الاسرائيليات أن أخوين عابدين كانا في جبل فزل أحدهما ليشتري من الصر لحماً بدرهم فرأى بنيًا عند اللحام فرمقه وعشقه واجتذبهما إلى خلوة وواقما ثم أقام عندهما ثلاثاً واستحيا أن يرجع إلى أخيه حيّاه من جبايته قال فاقطعه أخوه واهتم بشأنه فزّل إلى المدينة فلم يزّل يسأل عنه حتى دلّ عليه فدخل إليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلزمه وأسكر الآخر أنه يعرفه قط لفرط استحبايه منه فقال قباي أخى قد علمت شأنك

(١) حديث انقوا زلة العالم ولا تعططموه وانتظروا فيته النبوى في الهجوم وابن عدى في الكامل من حديث عمرو بن عوف الزنى وضعفاء .

ضيف بالإضافة إلى الحالين الأولين لأنه علة في الهبة ووليحة في الصدق عند الصديقين وقد ينتظر صاحب القنوج العلم في الإخراج أيضاً كما ينتظر في الأخذ لأن النفس تظهر في الإخراج كما تظهر في الأخذ وأتم من هذا من يكون في إخراجها عتاراً وفي أخذه عتاراً بعد تحقته بصحة التصرف فإن انتظار العلم إنما كان لموضع اتهام النفس وهو يقية هوى موجود فاذا زال الاتهام بوجود صريح العلم يأخذ غير محتاج إلى علم متجدد ويخرج كذلك وهذه حال من تحقق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه « فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً فبسمعي وبصري وروى بنطق الحديث فلما صرح تصرفه وهذا أعز في الأحوال

وفسنتك وما كنت قط أحب إلى ولا أعر من ساعتك هذه فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه قام فأنصرف معه فهذه طريقة قوم وهي اللطف وأتفه من طريقة أبي ذر رضى الله عنه وطريقته أحسن وأسلم . فإن قلت ولم قلت هذا اللطف وأتفه ومقارفة الصبة لأيجوز مؤاخاته ابتداء فتجب مقاطعة انتهائهم لأن الحكم إذا ثبت بمقالة القياس أن يزول بزوال ما علة عقد الأخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة الصبة . فأقول أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق والاستئالة والتلطيف للفقى إلى الرجوع والثوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصبة ومهما قوطع وقاطع طمسهن من الصبة أصر واستمر وأما كونه أتفه فلما فيه من حيث إن الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انقضت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء بأن لا يهمل أيام حاجته وقره وقره الدين أشد من قهر المال وقد أصابته جائحة وألمت به آفة اختار بسببها في دينه فينبغي أن يراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليان على الخلاص من تلك الوضائقي ألمت به فلا أخوة عدة للنايات وحوادث الزمان وهذا من أعدائنا وأبوالعاجل إذا ذهب نيتنا وهو ينظر إلى خوفه ومدامته فيرجع على قرب ويستحي من الأصرار بل الكسلان يصحب الحرص في العمل فيحرص حياء منه . قال جعفر بن سليمان مهما تفرقت في العمل نظرت إلى محمد بن وسيع وإقباله على الطاعة فيرجع إلى نشاطي في العبادة فارتقى الكسل وحملت عليه أسبوعا وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لحة كلحة النسب والقرب لا يجوز أن يهجر بالمصيبة وكذلك قال الله تعالى لتبين صلى الله عليه وسلم في عشرته سفان عسوك قتل أبي برى عاتلون . ولم يقل إني برى منكم مراعاة لحق القرابة ولحة النسب إلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا فقال إنما أبغض عمه وإلا فهو أخى وأخوة الدين أؤكد من أخوة القرابة ولذلك قيل للحكيم إنما أحب إليك أخوك أو صديقك فقال إنما أحب أخى إذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من ألع من ظلمه أمك وكذلك قيل القرابة تحتاج إلى مودة واللوة لا تحتاج إلى قرابة وقال جعفر الصادق رضى الله عنه مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم مائة من قطعها قطعها الله فإذا انقضت الأخوة إذا سبق انفادها واجب وهذا جوابا عن ابتداء اللؤاظة مع الفاسق فإنه لم يتقدم له حق فإن قصمت له قرابة فلا جرم لا يبنين أن يقاطع بل يجمل والدليل عليه أن ترك اللؤاظة والصبة ابتداء ليس مذموما ولا مكروها بل قال قائلون الاغتراف أولى فأما قطع الأخوة عن دوامها فمنى عنه ومذموم في نفسه ونسبته إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح والطلاق أبغض إلى الله تعالى من ترك النكاح قال صلى الله عليه وسلم « شرار عباد الله للشاةون بالنيمة الفرقون بين الأحبة »^(١) وقال بعض السلف في ستر زلات الإخوان وشر الشيطان أن يلقى على أخيك مثل هذا حتى تهجره وتقطعوه فإذا اتقيتم من عجة عدوك وهذا لأن التفريق بين الأجياب من محاب الشيطان كما أن مقارفة الصبان من محابه فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه فلا يبنين أن يضاف إليه الثاني وإلى هذا أشار عليه السلام في الذي شتم الرجل الذي أتى فاحشة إذ قال له وزبه وقال « لا تسكونوا عونا للشيطان على أخيك »^(٢) فهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة الصفاق محدورة ومقارفة الأجياب والاخوان أيضا محدورة وليس من سلم عن معارضة غيره كالمسلم في السلم وفي الابتداء قد سلم فرأينا أن الهاجرة والتباعد هو الأولى وفي الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الأخوة أولى هذا كله في زفته في دينه أما زفته في حقه بما يوجب إغماشه فلا خلاف في أن الأولى المنو والاحتياط بل كل ما يحتل تنزيهه على وجه حسن ويتصور تهديد

من الكبريت الأحمر وكان شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى رحمه الله يحكى عن الشيخ حماد الهباس أنه كان يقول أنا لا أكل إلا من طعام الفضل فكان يرى الشخص في المنام أن يحمل إليه شيئا وقد كان يبين له أني في المنام أن أحمل إلى حماد كذا وكذا وقيل إنه بقي زمانا يرى هو في واقته أو منامه إنك أحلت على فلان بكذا وكذا، وحكى عنه أنه كان يقول كل جسم تربى بطعام الفضل لا يسقط عليه البلاء ويبنى بطعام الفضل ما شهده محبة الحال من فتوح الحق ومن كانت هذه حاله فهو غنى بالله . قال الواسطي الاقتدار إلى الله أعلى درجة للريدين والاستثناء بالله أعلى درجة الصديقين وقال أبو سعيد الخراز

- (١) حديث شرار عباد الله للشاةون بالنيمة الفرقون بين الأحبة أحمد بن محمد بن زيد بسند متين
- (٢) حديث لا تسكونوا عونا للشيطان على أخيك . البخاري من حديث أبي هريرة وتقدم في الباب قبله .

عذره فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة فقد قيل ينبغي أن تستبسط لثلة أخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما أقصاك يستدر إليك أخوك سبعين عذرا فلا يقبله فأنت العيب لأخوك فان ظهر عيب لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تغضب إن قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان فلا تنكح حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك واحترز أن تكون شيطانا إن لم تقبل قال الأحنف حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثا ظلم الغضب وعظم المعاملة وعظم المفوة وقال آخر ما شئت أصدق قط لأنه إن شئتني كرمي فأتا أحق من غفرها له أو لثمت فلا أجعل عرضي له غرضا ثم تمل وقال :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم القيم تكرما
وقد قيل : خذ من خيلك ماصفا ودع القى فيه الصكر
فالمصر أقصر من معا تبة الخليل على السير

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره قال عليه السلام « من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فليقلعه من قلبه » وقال عليه السلام « المؤمن سريع الغضب سريع الرضا » فلم يصفه بأنه لا يغضب وكذلك قال الله تعالى - والكافرين الغيظ - ولم يقل والفائدين الغيظ وهذا لأن العادة لا تنتهي إلى أن يخرج الإنسان فلا يتألم بل تنهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل وكما أن التألم بالجرح يقتضي طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب ولا يمكن قلمه ولكن يمكن منبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي التشنج والانتقام والكافاة وترك العمل بمقتضاه يمكن وقد قال الشاعر :

ولست بمسبوق أخا لائمه على شتم أي الرجال للذهب

قال أبو سليمان النخعي لأحد بني الحواري إذا واخيت أحدا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تأمن من أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول قال لغيرته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضر الأخ خير من معاتبته والمعاتبه خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقعة وينبغي أن لا يبلغ في الوقعة عند الوقعة قال تعالى - عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديهم منهم مودة - وقال عليه السلام « أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما » وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حيك كلفا ولا بنضك تلقا وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك .

(الحق السادس)

(الدعاء للاخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به فدعوه كما تدعوا نفسك)

(١) حديث من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل صاحب مكس ابن ماجه وأبو داود في الراسل من حديث جودان واختلف في صحته وجهله أبو حاتم وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف (٢) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضا لم أجده هكذا ولترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد الخدري إلا أن في آدم خلقوا على طبقات شتى الحديث وفيه ومنهم سريع الغضب سريع النسي فذلك بتلك (٣) حديث أحب حبيك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال غريب قلت رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوي تردد في رصفه .

العارف تديره في
في تدير الحق والواقف
مع الفتوح واقف مع
الله ناظر إلى الله
وأحسن ما حكى في هذا
أن بعضهم رأى
النوري يمد يده
ويسأل الناس قال
فاستعظمت ذلك منه
واستجبته له فأتيت
الجديد وأخبرته
فقال لي لا يظلم هذا
عليك فان النوري لم
يسأل الناس إلا لمطمع
سؤلهم في الآخرة
فيؤجرون من حيث
لا يشعرون وقول الجديد
لبيطهم كنول بعضهم
اليد العليا يد الآخذ
لأنه يعطى الثواب قال
ثم قال الجديد هات
للوزن فوزن مائة درهم
ثم قبض قبضة فألقاها
على المائة ثم قال أحملها
إليه فقلت في نفسي إنما
يزن ليعرف مقدارها
فكيف خلط المجهول
بالموزون وهو رجل
حكيم واستحييت أن
أسأله فنهبت بالصره

ولا تفرق بين نفسك وبينه فإن دعاءك لمدعاء لنفسك على التحقيق فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الثيب قال الملك ولك مثل ذلك » (١) وفي لفظ آخر « يقول الله تعالى بك أبدأ يا عبدى » وفي الحديث « يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه » (٢) وفي الحديث « دعوة الرجل لأخيه في ظهر الثيب لا ترد » (٣) وكان أبو الدرداء يقول إنى لأدعو لسبعين من إخوانى فى سجدوى أسميهم بأسمائهم وكان محمد بن يوسف الأصمغاني يقول وابن مثل الأخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك ويتصمون بما خلفت وهو منفرد بمزنتك مهم بما قدمت وماصرت إليه بدعوك في ظلة الليل وأنت تحت أطباق الترى وكان الأخ الصالح يقتدى باللائكة إذ جاء في الخبر « إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقال اللئكة ما قدم » يفرحون له بما قدم ويسألون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت أخيه فحرق عليه واستغفر له كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل الميت في قبره مثل الطريق يتلقى بكل شيء ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب » (٤) وإنه يدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الميالي وقال بعض السلف الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه مندبل من نور فيقول هذه هدية لك من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيخرج بذلك كما يفرح الحي بالهدية .

(الحق السابغ الوفاء والإخلاص)

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فإن الحب إنما يراد للأخيرة فإن انقطع قبل الموت جبط العمل وضاع السعى ولذلك قال عليه السلام « في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ورجلان تحايا في الله اجتماعا على ذلك وتفرقا عليه » (٥) وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة ولذلك روى أنه عليه السلام « أكرم عبوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين » (٦) فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه وللمتقين به ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه فإن فرحه بتفقه من يتعلق به أكثر إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به حتى السكب الذي على باب داره ينبغي أن يميز في القلب عن سائر السكباب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شعث به الشيطان فإنه لا يعبد متعاونين على بر كما يعبد متواخين في الله ومتحايين

- (١) حديث إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الثيب قال الملك ولك مثل ذلك مسلم من حديث أبي الدرداء
- (٢) حديث الدعاء للأخ بظهر الثيب وفيه يقول الله بك أبدأ عبدى لم أجده هذا اللفظ (٣) حديث يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه لم أجده بهذا اللفظ ولأبي داود والترمذي وضعه من حديث عبد الله بن عمرو وإن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب (٤) حديث دعوة الأخ لأخيه في الثيب لا ترد الدارقطني في الملل من حديث أبي الدرداء وهو عند مسلم إلا أنه قال مستجابة مكان لا ترد (٥) حديث إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت اللئكة ما قدم البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٦) حديث مثل الميت في قبره مثل الطريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة ولده أو والد الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة قال الذهبي في اللبزان إنه خبر منكر جدا (٧) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث تقدم غير مرة (٨) حديث إكرامه صلى الله عليه وسلم لمجوز دخلت عليه وقوله إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له لغة .

إلى النورى قال هات
اللبزان فوز من مائة درهم
وقال ردّها وقل له أنا
لا أفعل منك شيئا
وأخذ مازاد على المائة
قال فزاد تسجي فأتته
على ذلك فقال الجني
رجل حكيم يريد أن
يأخذ الجبل بطرفه
وزن للمائة نفسه طلبا
لثواب وطرح عليها
قبضة بلا وزن فله
أخذت ما كان في
ورددت ما جعله نفسه
قال فرددتا على الجني
فيكى وقال أخذناه
ورد مالنا . ومن
لطائف ما سمعت من
أصحاب شيخنا أنه قال
ذات يوم لأصحابه نحن
محتاجون إلى شيء ومن
للمعلم فارجعوا إلى
خفواتكم ولسألوا الله
تعالى وما يفتح الله
تعالى لكم التوى به
فصلواتهم جاءه من بينهم
فخص يعرف بإسميل
البطائحي ومعه كاغد
عليه ثلاثون دائرة
وقال هذا الذى فتح

فيه فانه يجهده نفسه لاقصاد ما بينهما قال الله تعالى - وقل لعبادى يقولوا التى هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم - وقال خبراً عن يوسف - من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى - ويقال ما تواسى اثنان في الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما وكان يترى يقول إذا قصر العبد في طاعة الله عليه الله من يؤنه وذلك لأن الاخوان مسلاة للهوم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك الله الأشياء بحالسة الاخوان والانتساب إلى كفاية والوادة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون للعرض زول بزوال ذلك العرض ومن ثمرات الثوادة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسد وكل هذا هو لأخيه قاله ترجع قائمته وبه وصف الله تعالى المهبين في الله تعالى فقال - ولا يجردون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم - ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارضع شأنه واتسمت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الأحوال لئوم قال الشاعر :

إن السكرام إذا ما يسروا ذكروا من كان يأفهم في التزل الحشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لاتصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك وإن استغثت عنه لم يطعم فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك وقد بعض الحكماء إذا ولي أخوك ولاية خبت على نصف مودته لك فهو كثير . وحكى الربيع أن الشافعي رحمه الله أتى رجلاً يقداد ثم إن أخاه ولي السيين فخير له عما كان عليه فكتب إليه الشافعي بهذه الأبيات :

انذهب فودك من فؤادي طالق أبدا وليس طلاق ذات البين

فان اروعيت فانها تطليقة ويدوم ودك لي على ثنتين

وإن امتعت شفعها بثأله فتكون تطليقتين في حيزين

وإذا التلات أتك منى بنة لم تكن عك ولاية السيين

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة فقد كان الشافعي رضي الله عنه أخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقبض بصر غيره فاعتزل محمد فصاده الشافعي رحمه الله تعالى فقال :

مرض الجبيب فصدته فمرضت من حذرى عليه

وأتى الجبيب يصدنى فبرئت من نظرى إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حالته إليه بعد وفاته فقيل للشافعي في علته التي مات فيها رضى الله عنه إلى من تجلس بذلك يأبأ عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليوم . إليه قال الشافعي سبحان الله أيشك في هذا أبو يعقوب البويطي فانكسر لها محمد وماله أصحابه إلى البويطي مع أن محمداً كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع فنصح الشافعي له وللسفين وترك الداهية ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى فلما توفي انقلب محمد ابن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهبه أبيه ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله وأثر البويطي الزهد والحق ولم يعبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الأم الذي ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان وبعرف به وإنما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره والقصد أن الوفاء بالهبة من تمامها الصحيح قال الأحنف الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت ممرضة للأفات فاحرسها بالكظم حتى تستدر إلى من ظلك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولامن أخيك التقصير ومن آثار الصدق والاخلاص وتعمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من لفارقة تدور الطبع عن أسبابها كاقيل :

وجدت مصيئات الزمان جميعها سوى فرقة الأحباب هيئة الخطب .

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت أقواما فارقتم منذ ثلاثين سنة ما يجيل إلى أن حسرتهم ذهب من قلبي ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لاسيا من يظهر أولا أنه حب لصديقه كيلا يتم ثم بلغ الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الجيل في الضرب ومن لم يحز منه لم تدم مودته أصلا قال واحد الحكمي قد جئت خاطبا لمودتك قال إن جلست مبرها ثلاثا ضلت قال وما هي قال لا تسمع علي بلاغة ولا تغالني في أمر ولا توثق عشوة ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي رحمه الله إذا أطاع صديقك عدوك قد اشترك في عداوتك .
(الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف)

وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرقه عن أن يجعله شيئا من أعبائه فلا يستمد منه من جاء ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد محبته إلا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا ببقائه واستعانة به على دينه وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤته قال بعضهم من اقضى من إخوانه مالا يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقضى منهم مثل ما يقتضونه فقد أتهمهم ومن لم يقتض فهو للتفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا ومن جعل نفسه في قدره تب وأتهمهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتعام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فبا لا يستحي من نفسه وقال الجنيدي ماتواخي اثنان في الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلا لمة في أحدهما وقال على عليه السلام شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار وقال الفضيل إنما خاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيكلفه فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها للؤمن أخو للؤمن لا ينته ولا يحتمسه وقال الجنيدي صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلا حارثا الهامسي وطبقته وحسنا للسوسي وطبقته وسريا السقطي وطبقته وابن الكربي وطبقته فها تواخي اثنان من الله واحببتم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لمة في أحدهما وقيل لبعضهم من نصحب قاله من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما يقول أهل إخواني على من يشكف لي وأحفظ منه وأخفهم على قلبي من أكون معه كأ أكون وحدي وقال بعض الصوفية لآثار من الناس إلا من لا يزيد عنده ير ولا تنقص عنده يلهم يكون ذلك لك وعليك وإن كنت عنه سواء وإنما قال هذا لأن به يتخلص عن التكلف والتحفظ وإلا فالطبع يحمله على أن يحفظ منه إذا علم أن ذلك بنفسه عنده وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال آخر لاصحاب إلا من شوب عنك إذا أذنبت ويستدر إليك إذا أسأت ويجعل عنك مؤنة نفسك وبكيفك مؤنة نفسه وقائل هذا قد سبق طريق الأخوة على الناس وليس الأمر كذلك بل ينبغي أن يواخي كل متدين عاقل ويمزم على أن يقوم بهذه الشرائط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى تكثر إخوانه إذ به يكون مواخيا في الله والإكانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيدي قد عز الإخوان في هذا الزمان أين أغلى في الله فأعرض الجنيدي حتى أعاده ثلاثا فلما أكثر قال له الجنيدي إن أردت أخا يكيفك مؤنتك وتحمل أذاك فهذا لعمرى قابل وإن أردت أخا في الله تحمل أنت مؤنته وتسير على أذاه فندى جماعة أعرهم لك فسكت الرجل . واعلم أن الناس ثلاثة رجل تنتفع بصحته ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تستر به ولكن

كذا وكذا وهو القدر الذي عينه الشيخ عبد القادر ضابطه الشيخ بعد ذلك على توفقه وقال ظننت بالفقراء أن إشاراتهم تكون على غير صفة وعلم فالبعد إذا صح مع الله تعالى وأتقى هواه متعلبا رضا الله تعالى يرفع الله عن باطنه هموم الدنيا ويجعل القنى في قلبه ويفتح عليه أبواب الرفق وكل العلوم للسلطة على بعض الفقراء لكون قلوبهم ما استكملت العمل بالله والاهتمام برعاية حقائق العبودية ضل قدر ما خلعت من لطم بالله ابتليت بهم الدنيا ولو امتلأت من ثم اتهم عذبت بهموم الدنيا وفتحت وارتقت .
روى أن عوف بن عبد الله السعدي كان له ثلثانة وستون صديقا وكان يكون عدد كل واحد يوما وآخر كان له ثلاثون

لا تنتفع به ورجل لا تشدر أيضا على أن تنفعه وتضرر به وهو الأحق أو السوء الخلق فهذا الثالث يبنى أن تجنبه فأما الثاني فلا تجنبه لأنك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه ويثابك على القيام به وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن أطعني فما أكثر إخوانك أي إن واسيتهم واحتملت منهم ولم تعدم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف فاني كنت معهم على قسي ومن كانت هذه شيعة كثير إخوانه . ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يترش في نوافل العبادات . كان طائفة من الصوفية يصلحون على شرط المساواة بين أربع معان إن أكل أحدهم التمار كله لم يقل له صاحبه صم وإن شام الأظفر كله لم يقل له أظفر وإن نام الليل كله لم يقل له قم وإن صلى الليل كله لم يقل له لم وتندوى حالته عنده بلا مزيد ولا نقصان لأن ذلك إن تفاوت حرك الطبع إلى الرياء والتخلف لا محالة وقد قيل من سقطت كفته دامت آفته ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض الصحابة إن الله لمن التكفين وقال صلى الله عليه وسلم « أنا والآتية من أمي برآء من التكلف » (١) وقال بعضهم إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنه به (٢) إذا أكل عنده ودخل الحلاء وصلى ونام فذكر ذلك لبعض الساجد فقال بقيت خمسة وهو أن يحضر مع الأهل في بيت أخيه ويغاممها لأن البيت يتخذ للاستخفاف في هذه الأمور المحس وإذا فالساجد أروح قلوب للتعبدين فإذا فعل هذه الخمس قد تم الإخاء وارتفعت الحشمة وبنا كد الانبساط وقول الرب في تسليمهم يشير إلى ذلك إذ يقول أحدهم لصاحبه مرحبا وأهلا وسهلا أي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والسكران ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا ولك عندنا سهولة في ذلك كله أي لا يشد علينا شيء مما تريد ولا يمت التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه وعين الظن بهم ويسوء الظن بنفسه فإذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم وقال أبو معاوية الأسود إخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذلك ؟ قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلي على نفسه فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه وسلم « الرء على دين خليله ولاخير في صجة من لا يرى لك مثل ماترى له » (٣) فهذه أقل الدرجات وهو النظر بين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ ولذلك قال سفيان إذا قيل لك بإشر الناس فضبت فانت شر الناس أي يبنى أن تكون معتقدا ذلك في نفسك أبدا وسيأتي وجه ذلك في كتاب الكبير والسبب وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل لآخوان آيات :

تذلل لمن إن تذلل له يرى ذاك للفضل لا لله

وجانب صداقة من لا يزال على الأصداق يرى الفضل له

وقال آخر : كم صديق عرفته بصديق صار أحظى من الصديق العتيق

ورفوق رأيت به في طريق صار عندي هو الصديق الحقيقي

ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه وهذا في عموم السالكين مذموم قال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم » (٤) ومن تمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور

(١) حديث أنا وأمي برآء من التكلف الدارقطني في الأفراد من حديث الزبير بن العوام ألا إني برى من التكلف وصالحوا أمي وإسناده ضعيف (٢) حديث إذا صنع الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنه به الحديث لم أجده له أصلا (٣) حديث الرء على دين خليله ولاخير في صجة من لا يرى لك مثل ماترى له تضم الشطر الأول منه في الباب قبله وأما الشطر الثاني فرواه ابن عدي في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . مسلم

صديقا يكون عند كل واحد وبما وآخر كان له سبعة إخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد فكان إخوانهم معلومهم والعلوم إذا أقامه الخلق للنظر إلى الله الكامل توحيد يكون نعمة هنيئة . جاء رجل إلى الشيخ أبي السعود رحمه الله وكان من أرباب الأحوال السنية والواقفين في الأشياء مع فضل الله تعالى متمكنا من حاله تاركا لاختياره ولله سبق كثيرا من التقديمين في تحقيق ترك الاختيار رأينا منه وشاهدنا أحوالا صحيحة عن قوة وتمكين فقال له الرجل أريد أن أعين لك شيئا كل يوم من الحزب أحمله إليك ولكني قلت الصوفية يقولون العلوم شؤم قال الشيخ نحن ما نقول العلوم شؤم فإن الخلق يسئ لنا وفله نرى فكل ما يقسم لنا

إخوانه في كل ما يقصده ويقبل إشاراتهم فقد قال تعالى - وشاورهم في الأمر - وينبغي أن لا يخفى عنهم شيئا من أسرارهم كالروى أن يعقوب بن أبي معروف قال جاء أسود بن - إلى أبي عمير معروف وكان مواخيا له فقال إن جبر بن الحرث يحب مؤاخاتك وهو يستحي أن يشافئك بذلك وقد أرسلني إليك بسألك أن تقدمه فيا بينك وبينه أخوة بمقتضاها يستد بها إلا أنه يشترط فيها شروطا لا يجب أن يشتر بها ذلك ولا يكون بينك وبينه مزورة ولا ملاقة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف أما أنا لو آخيت أحدا لم أحب مفارقه لئلا ولا تاهرا ولزرت في كل وقت وأتمرت على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله أحاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله ﷺ عليا فشاركه في العلم (١) وقاسمه في البدن (٢) وأنسكه أفضل بناته وأحبهن إليه وخسه بذلك لمؤاخاته (٣) وأنا أشهدك أني قد عقدت له أخوة بيني وبينه وعقدت إخاء في الله لرسائلك ولما أتته على أن لا يزورني إن كره ذلك ولكني أذوره متى أحببت ومروءة أن يلتقي في مواضع تلقى بها ومروءة أن لا يخفى على شيئا من شأنه وأن يطلعني على جميع أحواله فأخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضي وسر به فهذا جامع حقوق الصبة وقد أجمعنا مرة وفضلنا أخرى ولا يتم ذلك إلا بأن تكون على هكك للأخوان ولا تكون لنفسك عليهم وأن تنزل هكك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك . أما البصر فبأن تنظر إليهم نظرة مودة يعرفونها منك وتنظر إلى محاسنهم وتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك وكلامهم منك روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يبطي كل من جلس إليه نصيا من وجهه وما استصاف أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وجمعه وحديثه ولطيف مسأله وتوجهه للجالس إليه (٤)

من حديث أبي هريرة وتقدم في أثناء حديث لاتدبروا في هذا الباب (١) حديث آخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وشاركه في العلم النساء في الخصائص من سننه الكبرى من حديث علي قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين عبد المطلب الحديث وفيه فأبكم يابني على أن يكون أخى وصاحي ووارثي فم يقم إليه أحد قصمت إليه وفيه حتى إذا كان في الثالثة ضرب يده على يدي وله وللحاكم من حديث ابن عباس أن عليا كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إنني لأخوه وولي ووارث علمه الحديث وكل ما ورد في أخوته تضعيف لا يصح منه شيء وللترمذي من حديث ابن عمر وأنت أنسى في الدنيا والآخرة وللحاكم من حديث ابن عباس أنا مدينة العلم وعلي بابها وقال صحيح الإسناد وقال ابن حبان لا أصل له وقال ابن طاهر إنه موضوع وللترمذي من حديث علي أنا دار الحكمة وعلي بابها وقال غريب (٢) حديث مقاسمه عليا للبدن مسلم في حديث جابر الطويل ثم أعطى عليا فخر ماعبر وأشركه في هديه (٣) حديث أنه أنسكه عليا أفضل بناته وأحبهن إليه هذا معلوم مشهور في الصحيحين من حديث علي لما أردت أن أبقي فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا الحديث وللحاكم من حديث أم أيمن زوج صلي الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليا الحديث وقال صحيح الإسناد وفي الصحيحين من حديث عائشة عن فاطمة بإفاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين الحديث (٤) حديث كان يبطي كل من جلس إليه نصيه من وجهه الحديث الترمذي في التمهال من حديث علي في أثناء حديث فيه يبطي كل جلساته نصيه لا يحسب جلسيه أن أحدا أكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو يعيسور من القول ثم قال مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة وفيه يضحك مما يضحكون ويشتجب مما يتعجبون منه وللترمذي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب

نزه مبارك ولا نراه
شوما. أخبرنا أبو زرعة
إجازة قال أنا أبو بكر
ابن أحمد بن خلف
الشيرازي إجازة قال أنا
أبو عبد الرحمن السلمي
قال سمعت أبا بكر بن
شاذان قال سمعت أبا
بكر الكنانى قال كنت
أنا وعمرو وللكي وعياش
ابن للهدى فسطحب
ثلاثين سنة فصل
الفدلة على طهر البصر
وكنا قعودا بمكة على
التجريد مالنا على
الأرض ما يساوى فلما
وربما كان يصحبنا
الجوع يوما ويومين
وثلاثة وأربع وخمسة
ولا نسأل أحدا فان
ظهر لنا شيء وعرفنا
وجهه من غير سؤال
ولا تمرى قبلناه
وأكلناه وإلا طوينا
فاذا اشتد بنا الأمر
وخفنا على أنفسنا
التقصان في القراض
قصدا بأسيدي الخراز
فيتخذنا ألوانا من
الطعام ولا قصد غيره

وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضحكفى وجوداً محاببه وتبشيراً بما يحدثونه به وكان يضحك أصحابه عنده التيسر اقتداء منهم بفعله وتوقيراً له عليه السلام .
وأما السمع فبأن تسمع كلامه ملتذاً بهماعه ومصدقاً به ومظهراً لاستبشاره به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ولا منازعة ومداخلة واعتراض فإن أرهقك عارض اعتذرت إليهم ونحرس صمك عن سماع ما يكرهون . وأما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فإن القول فيه بطول ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم ولا يخطبهم إلا بما يفقهون . وأما اليدين فإن لا يقبضن معان معاوتهم في كل ما يتعاطى باليد . وأما الرجلان فإن يمشى بهما وراهم مشى الأتباع لأمشي للتبوين ولا يتقدمهم إلا بقدر ما يقدمونه ولا يجرب منهم إلا بقدر ما يجربونه ويقوم لهم إذا أقبلوا ولا يقعد إلا بقدمهم ويقعد متواضعا حيث يقعد ومهتماً الاتحاد خف محلهم من هذه الخلق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها من حقوق الصفة وفي منها نوع من الأجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به إلا سلك نفسه لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومهاسن القلوب استغنى عن تكلف اظهار ما فيها ومن كان نظره إلى محبة الخلق فثارة يروج وتارة يستهم ومن كان نظره إلى الخالق لزم الاستقامة ظاهراً وباطناً وزين باطنه بالحلم ولولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لبياده فانها أعلى أنواع الخدمة فهذا لا وصول إليها إلا بالإحسان الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القام الصائم وزيادة .
[خاتمة لهذا الباب] نذكر فيها جملة من آداب العشرة والمجالسة مع أصناف الخلق ملتقط من كلام بعض الحكماء . إن أوردت حسن العشرة فإلى صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقير من غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع أمورك في أوسطها فلا طرف في قصد الأمور ذم ولا تنظر في عطيتك ولا تسكر الالتفات ولا تنف على الجماعات وإذا جلست فلا تستوفز وعظمت تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمتك وتخليل أسنانك وإدخال أصبعك في أنفك وكثرة بصافك وتنخمك وطرده الباب من وجهك وكثرة التخطي والتشاوب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيره أو ليكن مجلسك هادياً وحديثك منظوماً مرتباً واضحاً إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مغرط ولا تسأله بإدائه واسكت عن الضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولده ولا جارتك ولا شمره ولا تصنيفك وسانر ما يحسك ولا تصنع صنع المرأة في التزين ولا تبتذل تبدل البد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحداً على الظلم ولا تعلم أهلك وولدك فضلاً عن غيرهم مقدار مالك فانهم إن رأوه قليلاً هنت عندهم وإن كان كثيراً لم تبلغ قطر ضامهم وخوفهم من غير عنف ولن لهم من غير عنف ولا تهزل أمتك ولا عبيدك فيسقطوا رارك وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك ونجبت محبتك وتفكر في حجتك ولا تسكر الإشارة بيدك ولا تسكر الالتفات إلى من وراك ولا تبحث على ركبتك وإذا هدأ غيظك تشكك وإن قريك سلطان فككن منه على مثل حد السنان فإن استرسل إليك فلا تأمن إغلبه عليك وارفق به رفقاً بالحي وكلمه بما يشفيه مالم يكن معصية ولا يعملك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت ذلك مستحقاً عنده فإن سقطت الداخل بين الملك وبين أهله سقطت لا تعنى وزلة لا تغالب وإياك وصديق العافية فانه أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك وإذا دخلت مجلساً فالأدب فيه البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع وأن تعجب بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فإن جلست فأدبه غض البصر ونصرة الظلوم وإغاثة للظروف وعون الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياد لوضع البصاق ولا تبصق في جهة القبلة ولا عن

ولا تبسط إلا إليه لما
تفرق من غفوة
وورعه . وقيل لأبي
زيد ما نراك تشتغل
بكسب فنأين معاشك
فقال مولاي يرق
السكب والخزير تراه
لا يرق أبا زيد .
قال السلي سمعت أبا
عبد الله الرازي يقول
سمعت مظفر القرميضي
يقول الفقير الذي
لا يكون له إلى الله
حاجة . وقيل لبعضهم
ما الفقر قال وقوف
الحاجة على القلب
وعوها من كل أحد
سوى الرب . وقال
بعضهم أخذ الفقير
الصدقة ممن يسطه
لا يمن تصل إليه على
يده ومن قبل من
الوسائط فهو للترسم
بالفقر مع زيادة همة .
أبنا نأشيت خايناء الدين
أبو النجيب السهروردي
قال أنا عصام الدين أبو
حفص عمر بن أحمد
ابن مسعود الصفا قال
أنا أبو بكر أحمد بن

بينك ولكن عن يشارك ونحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فإن قبلك فأدبه ترك القيسة ومجانبة الكذب وصيانة السروقة الخواص وتهذيب الألفاظ والأعراب في الخطاب ولذا كرهنا خلق الملوك وقلة الدعاية وكثرة الحذر منهم وإن ظهرت لك الودعة وإن لا تتجسأ بعصرتهم ولا تتخلل بعد الأكل عنده وعلى الملك أن يحتمل كل شيء إلا إفساء السرو والقدح في الملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فإن فعلت فأدبه بترك الخوض في حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء الألفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم وإياك أن تنازع ليبياً أو غير ليبي فإن الليبي بمقد عليك والسفيه بغيره عليك لأن الزاح يخرق الحمية ويسقط ماء الوجه ويسقط الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجريء السفيه ويسقط للزلة عند الحكم ويفتنه التفتون وهو يبيت القلب وياعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث القلة وبه تنظم السرائر وتغوث الخواطر وبه تتكرر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون الزاح إلا من مسخف أو بطر ومن بلى في مجلس بزاح أولقط فليذكر الله عند قيامه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك لا غفر له ما كان في مجلسه ذلك » (١) .

(الباب الثالث في حق السلم والرحم والجوارح والملك وكيفية العاشرة مع من بدلى بهذه الأسباب)

اعلم أن الإنسان إما أن يكون وحده أو مع غيره وإذا تغمر عيش الإنسان إلا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بدم من تعلم آداب المخالطة وكل مخالطة في مخالطة أدب والأدب على قدر حقه وقوة على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة والرابطة إما القرابة وهي أخصها أو أخوة الاسلام وهي أعمها وينطوي في معنى الأخوة الصداقة والصحة وإما الجوارح وإما صحبة السفر والكتب والدرس وإما الصداقة أو الأخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم أكد وللحرم حق ولكن حق الوالدين أكد وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربهم من الدار وبعدة ويظهر التفاوت عند النسبة حتى إن البليدي في بلاد القرية يجري مجرى القريب في الوطن لا خصامه بحق الجوارح في البلد وكذلك حق للمسلمين كدبت كد العرفه وللعرفه درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسمع بل أكد منه والعرفه بعد وقوعها تأكد بالاختلاط وكذلك الصحة تتفاوت درجاتها كحق الصحة في الدرس والكتب أكد من حق صحة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت قوتها إذا قويت صارت أخوة فإن ازدادت صارت حبة فإن ازدادت صارت خلة والتحليل أقرب من الحبيب فالهبة ماتمك من حبة القلب والحلة ماتخلل سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليل وتتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم الشاهد والتجربة فإما ما يكون الخلة فوق الأخوة فمعناه أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة وأتموه من قوله صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذاً خليلاً لا تخذت أباً بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله » (٢) « إذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهراً وباطناً ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله وقد منته الخلة عن الاشتراك فيمع أنه أخذ علياً رضي الله عنه أخاً فقال « على مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة » (٣) «

(١) حديث من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه .

(الباب الثالث في حقوق السلم والرحم والجوارح)

(٢) حديث لو كنت متخذاً خليلاً لا تخذت أباً بكر خليلاً الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري

(٣) حديث على مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص .

خلف الشيرازي قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أحمد ابن حنبل بن جعفر يقول سمعت أن أبا سليمان الداراني كان يقول آخر أقدم الزاهدين أول أقدم التوكلين . روى أن بعض العارفين زهد فبلغ من زهده أن فارق الناس وخرج من الأمصار وقال لا أسأل أحداً عني حتى يأتيني رزقي فأخذ يسبح فأقام في سفح جبل سبعاً لم يأت به شيء حتى كاد أن يلق فقال يا رب إن أحييتني فأنمي برزقي الذي قسمت لي وإلا فامضني إليك فألمه الله تعالى في قلبه وعزني وجلالي لأرزقك حتى تدخل الأمصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة وأقام بين ظهراني الناس فجاء هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب فأوجس في نفسه من ذلك

مسد بلى عن النبوة كما عدل بأبي بكر عن الحقة فشارك أبو بكر علياً رضي الله عنهما في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الحقة وأهلهما لما لوكان للشركة في الحقة مجال فإنه تبه عليه بقوله لا أخذت بأبي بكر خليلاً وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليفه وقد روى أنه صمد النبروما مستبشراً فرحاً فقال «إن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى» (١) «فأذن ليس قبل المرفة رابطة ولا بعد الحقة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصلحة والأخوة ويدخل فيها ماوراءها من المحبة والحقة وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كاسبق بحسب غاوت المحبة والأخوة حتى يتسنى أقصاها إلى أن يوجب الآثار بالنفس والنال كما أثر أبو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما أثره طلحة بيده إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلى الله عليه وسلم ونحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك أعنى ملك المؤمنين فإن ملك التكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب التكاح .

﴿ حقوق للسلم ﴾

(١) هي أن تسلم عليه إذا لقيته وتحييه إذا دعاك وتسلمته إذا عطس وتعوذه إذا مرض وتشهد جنازته إذا مات (تبرقسه إذا أتمم عليك وتصح له إذا استصحك وتخفظه بظهر القيب إذا غاب عنك وتحب له ما يحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك) (٢) ورد جميع ذلك في أخبار وآثار وقد روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «أربع من حق للسلم عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لذنبهم وأن تدعو لدمهم وأن تحب تأثيمهم» (٣) وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى - رحما بينهم - قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيا قسمت له من الخير وثبته عليه واتقنا به وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال اللهم اهدمه وتب عليه واغفر له عثرته . ومنها أن يحب للؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال التهان بن بشر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مثل للؤمنين في توادم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضومته تداعى سائر الجلى والسر» (٤) وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «للوؤمن للؤمن كاللبنان يشد بعضه بعضا» (٥) ومنها أن لا يؤذى أحدا من المسلمين بفعل ولا قول قال عليه السلام «للسلم من سلم للسلمون من لسانه ويده» (٦)

(١) حديث إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله فأنا حبيب الله وأنا خليل الله .

(الأخبار الواردة في حقوق السلم على السلم)

(٢) هو أن يسلم عليه إذا لقيه فقد ذكر عشر خصال الشبان من حديث أبي هريرة حق السلم على السلم خمس رد السلام وعبادة الرضى وإتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس وفي رواية سلم حق السلم على السلم ست إذا قبته سلم عليه وزاد وإذا استصحك فاصح له ولقمتذى وإن ماجه من حديث على السلم على السلم ست قد كرمها وعجب لها ما يحب لنفسه وقال وتصح له إذا غاب وأشهدوا أحمد من حديث معاذ وأن يحب للناس ما يحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وفي الصحيحين من حديث البراء أمراً رسول الله عليه السلام بسبع فذكر منها وإبرار القسم ونصر الظالم (٣) حديث أنس أربع من حقوق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لذنبهم وأن تدعو لدمهم وأن تحب تأثيمهم ذكره صاحب القردوس ولم أجد له إسناداً (٤) حديث التهان بن بشر مثل اللؤمنين في توادم وتراحمهم كمثل الجسد الحديث متفق عليه (٥) حديث أبي موسى اللؤمن للؤمن كاللبنان يشد بعضه بعضا متفق عليه (٦) حديث السلم من سلم للسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو .

فسمع هاتفا أردت أن تبطل حكمه زهدا في الدنيا أما علمت أن يرقق العباد بأيدي العباد أحب إليه من أن يرققهم بأيدي القدرة فالواقف مع الفتح استوى عنده أيدي الآدميين وأيدي للآلئكة واستوى عنده القدرة والحكمة وطلب القفار والتوصل إلى قطع الأسباب من الارتهان برؤية الأسباب وإذا صح التوحيد تلاشت الأسباب في عين الانسان . أخبرنا شيخنا قال أنا أبو حفص عمر قال أنا أحمد ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا محمد بن أحمد بن حمدان العسكري قال سمعت أحمد بن عموذ ابن اليسرى يقول سمعت محمداً الإسكافي يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول من استفتح باب العاش

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل «فإن لم تقدر فذبح الناس من الشرفاء صدقة تصدقت بها على نفسك» (١) وقال أيضا «أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «أتدرون من السلم قالوا الله ورسوله أعلم قال السلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من أمته المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه» (٣) وقال رجل يارسول الله ما الإسلام قال «أن يسلم قلبك ويسلم المسلمون من لسانك ويدك» وقال مجاهد يسلم على أهل النار الحرب فيحشكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده فينادى يا فلان هل يؤدبك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذى للمؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى للمسلمين» (٤) وقال أبو هريرة رضي الله عنه «يارسول الله علمني شيئا أتضع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «من زحرج عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة» (٦) وقال رسول الله «لا يعجل المسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه» وقال «لا يعجل المسلم أن يروع مسلما» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يكره أذى المؤمنين» (٨) وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذيه وجاهل فلا تجاهله . ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فإن الله لا يحب كل مختال فخور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد» (٩) ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتل قال الله تعالى لشيء من الله عليه وسلم - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - وعن ابن أبي أوفى «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يجتمع مع الأرملة والسكين فيقضى حاجته» (١٠)

(١) حديث فإن لم تقدر فذبح الناس من الشرفاء صدقة تصدقت بها على نفسك متفق عليه من حديث أبي ذر (٢) حديث أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث أتدرون من السلم قالوا الله ورسوله أعلم قال السلم من سلم للمسلمون من لسانه ويده الطبراني والحاكم ومصححه من حديث فضالة بن عبيد الأناخري بالموافاة من أمته الناس على أموالهم وأنفسهم والسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب رواه ابن ماجه مقتصرًا على المؤمن والمهاجر والحاكم من حديث أنس وقال على شرط مسلم والمهاجر من هجر السوء ولأحمد بإسناد صحيح من حديث عمر بن عتبة قال رجل يارسول الله ما الإسلام قال أن تسلم قلبك وتسلم المسلمون من لسانك ويدك (٤) حديث لقد رأيت رجلا في الجنة يتقلب في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى للمسلمين مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة يارسول الله علمني شيئا أتضع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين مسلم من حديث أبي هريرة قال قلت يا نبي الله فذكره (٦) حديث من زحرج عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب له بها حسنة أوجب له بها الجنة أحمد بن محمد بن حنبل في الحديث (٧) حديث لا يعجل المسلم أن ينظر إلى أخيه بنظر يؤذيه بنظر المؤذي في الزهد من رواية حمزة بن عبد المطلب بسند ضعيف وفي البر الوصلة لمن زيارات الحسين المروزي حمزة بن عبد الله بن أبي حمزة وهو الصواب (٨) حديث إن الله تعالى يكره أذى المؤمنين ابن المبارك في الزهد من رواية عكرمة بن خالد مرسلًا بإسناد جيد (٩) حديث إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن جهم ورواه رجال الصحيح (١٠) حديث ابن أبي أوفى كان لا يأنف ولا يتكبر أن يجتمع مع الأرملة والسكين فيقضى حاجته النسائي بإسناد صحيح والحاكم وقال على شرط الشيخين .

بشر مفاتيح الأقدار
وكل إلى المخلوقين .
قال بعض اللطاعين
كنت ذا صنعة جبيلة
فأريد مني تركها لحاك
في صدرى من أين
هناش فتهتف بي
هاتف لا أراه تنقطع
إلى وتنهق في رزمك
على أن أخدمك وليا
من أوليائي أو أسخر
لك منافع من أعدائي
فما صبح حال السوفى
واقطعت أطعاصه
وسكنت عن كل تشوف
وتطلع خدمته الدنيا
وصلحت له الدنيا خادمة
وما رضىها عن خدمة
فصاحب الفتوح يرى
حركة النفس بالتشوف
جناية وذنب . روى
أن أحمد بن حنبل
خرج ذات يوم إلى
شارع باب الشام
فاشترى دقيقا ولم يكن
في ذلك للوضع من
يعمله فوافى أبوب
الحمال فحمله ودفع إليه
أحمد أجرته فلما دخل
الدار بدد إذنه له اتفق

ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض . قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة ثقات » (١) وقال الحليل بن أحمد من ثم لك نعم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك . ومنها أن لا يزيد على الهجر لمن يرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه . قال أبو أيوب الأنصاري قال صلى الله عليه وسلم « لا يعلل المسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتفتان فيعرض هذا ويعرض هذا وخبرهما الذي يبدأ بالسلام » (٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أقال مسلماً عشرته أقاله الله يوم القيامة » (٣) قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بفوك عن إخوانك رفت ذكرك في الدارين . قالت عائشة رضي الله عنها « ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم » (٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما عافا رجل عن مظنة إلا زاده الله بها عزاً . وقال صلى الله عليه وسلم « ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلاً بقفو إلا عزا وما من أحد تواضع لله إلا رضعه الله » (٥) ومنها أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الأهل وغير الأهل . روى علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع للمروء في أهله وفي غير أهله فان أصبت أهله فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله » (٦) وعنه بإسناده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع المروء إلى كل بر وفاجر » (٧) قال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحد يده فيخرج يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركة جليسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أنقلب عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يبرغ من كلامه » (٨) ومنها أن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه بل يستأذن ثلاثاً فإن لم يؤذن له انصرف . قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الاستئذان ثلاث فأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون » (٩) ومنها أن يخالف الجميع بخلق حسن وبما لهم بحسب طريقتهم فانه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم والأمر بالفقه والهي بالبيان آذى وتأذى . ومنها أن

(١) حديث لا يدخل الجنة ثقات متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث أبي أيوب لا يعلل المسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الحديث متفق عليه (٣) حديث من أقال مسلماً عشرته أقاله الله يوم القيامة أبو داود والحاكم وقد تقدم (٤) حديث عائشة ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تصاب حرمة الله فينتقم ثم متفق عليه بالفظ إلا أن تنتهك (٥) حديث ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلاً بقفو الإعزا وما تواضع أحد لله إلا رضعه الله مسلم من حديث أبي هريرة (٦) حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده اصنع المروء إلى أهله فان لم تصب أهله فأنت من أهله ذكره الدارقطني في العلل وهو ضعيف ورواه القضاة في مسند الشهاب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مراسلاً بسند ضعيف (٧) حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس واصطناع المروء إلى كل بر وفاجر الطبراني في الأوسط والخطابي في تاريخ الطالبيين وعنه أبو نعيم في الحلية دون قوله واصطناع إلى آخره وقال الطبراني التعجب . (٨) حديث أبي هريرة كان لا يأخذ أحد يده فيخرج يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها الحديث الطبراني في الأوسط بإسناد حسن ولأبي داود والترمذي وابن ماجه نحوه من حديث أسد بسند ضعيف (٩) حديث أبي هريرة الاستئذان ثلاث فأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون الدارقطني في الأفراد بسند ضعيف وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الاستئذان ثلاث فان أدن لك وإلا فارجع .

أن أهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فرأى أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لانه صالح ادفع إلى أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما قال أحمد ضمهما ثم صبر قليلاً ثم قال خذها فألقه بهما فلحقه فأخذها فرجع صالح متعجباً فقال له أحمد عجبت من رده وأخذته قال نعم قال هذا رجل صالح فرأى الخبز فاستشرفت نفسه إليه فلما أعطيتاه مع الاستشراف رده ثم أيس فرددناه إليه بعد الإياس فقبل . هذا حال أرباب الصدق إن سألوها سألوا وبعلم وإن أمسكوا عن السؤال أمسكوا بحال وإن قبلوا قبلوا بعلم فن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والسكب بشرط العلم فأما السائل

يوفر المشايخ ورحم الصبيان . قال جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يوفر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » (١) قال عليه السلام « من إجلال الله إكرام ذى الشبهة للسلم » (٢) ومن تمام توقير المشايخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن ، وقال جابر « قدم وقد جهنت على النبي صلى الله عليه وسلم قدام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم ما فأتى الكبير » (٣) وفي الخبر « ما وفر شاب شيئا لآقبيض الله في سنة من يوقره » (٤) وهذه بشارة بدوام الحياة فليتبها لها فلا يوفق لتوقير المشايخ إلا من قضى الله له بطول العمر ، وقال عليه السلام « لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا ولطفا قبطا وتقيضا القمام قبيضا وتقبض الكرام غيضا ويحترق الصغير على الكبير والقيم على الكرم » (٥) والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله عليه السلام (٦) . « كان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيلتقه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفضون إليه فيرفعونهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يعملوا بهم » (٧) فرمما تفاخر الصبيان بذلك فيقول بعضهم لبعض سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك أنت وراهم ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يعملوك وراهم . وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوله بالبركة ويسميه فيأخذه فيضه في حجره فرمما بال الصبي فيصيح به بمن من يراه فيقول : لا تزرموا الصبي بوله فبدعه حتى يقضى بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور أهله فيه للآبروا أنه تأذى بوله فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده » (٨) ومنها أن يكون

(١) حديث جابر ليس منا من لم يوفر كبيرنا ورحم صغيرنا الطبراني في الأوسط بسند ضعيف وهو عند أبي داود والبخاري في الأدب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن (٢) حديث من إجلال الله إكرام ذى الشبهة للسلم أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن (٣) حديث جابر قدم وقد جهنت على النبي صلى الله عليه وسلم قدام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم ما فأتى الكبير الحاكم وصححه (٤) حديث ما وفر شاب شيئا لآقبيض الله في سنة من يوقره الترمذي من حديث أنس بلفظ ما أكرم ومن يكرمه وقال حديث غريب وفي بعض النسخ حسن وفيه أبو الرجال وهو ضعيف (٥) حديث لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا ولطفا قبطا وتقيضا الحارثي في كتاب الأختلاق من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن مسعود وإسنادها ضعيف (٦) حديث التلطف بالصبيان البزار من حديث أنس كان من أفكته الناس مع صبي وقد تقدم في التكلم وفي الصحيحين يا أبا حمير ما فعل النضر وغير ذلك (٧) حديث كان يقدم من السفر فيلتقه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفضون إليه الحديث مسلم من حديث عبد الله بن جعفر كان إذا قدم من سفر تلقى بنا قال فيأتي وبالحسن وقال ففعل أحدنا بين يديه والآخر خلفه وفي رواية تلقى بصبيان أهل بيته وأنه قدمهم سفر فسبقني إليه فعملني بين يديه ثم جئ . بأحداني فاطمة فأردفه خلفه وفي الصحيحين أن عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير أنه ذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس قال نعم فعملنا وتركتك لفظ مسلم وقال البخاري إن ابن الزبير قال لابن جعفر فأفأعلم (٨) حديث كان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوله بالبركة ويسميه فيأخذه ويضه في حجره فرمما بال الصبي فيصيح به بمن من رآه الحديث مسلم من حديث عائشة كان يؤتى بالصبيان فيرك عليهم ويحسبهم فأتى بصبي فبال عليه فدعا بما فأنميه بوله ولم يسله وأصله متفق عليه وفي رواية لأحمد فبدعولهم وفيه صوابا عليه السلام ولقد رقتني بال ابن الزبير على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه أخذا عنيما الحديث وفيه الحجاج بن أرمطة ضعيف ولأحمد بن منيع من حديث حسن بن علي عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلاعب صبيًا إذ بال قامت لتأخذه وتضربه فقال دعيه اتوني بكوز

مستكرا فوق الحاجة لافي وقت الضرورة فليس من الصوفية بشيء . سمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل فقال لمن عندنا من أقل لك عش السائل فقال قد عشته فظفر عمر فإذا تحت إبطه حلة مملوءة خبزًا فقال عمر أفتك عيال فقال لا قال عمر لست بسائل ولكك تاجر ثم تدر حلاته بين يدي أهل الصدقة وضربه بالبركة وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال إن الله تعالى في خلقه مشروبات فهو عقوبات قهر فن علامة الفقر إذا كان مشوبه أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على قهره ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة أن يسوء خلقه ويصعب ربه ويكثر الشكاية ويشغل قضاءه فقال الصوفية حسن الأدب

مع كافة الحق مستبشرا طلق الوجه رفقا . قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال على الذين ألحقوا بهل السهل القريب » (١) « وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب السهل الطلق الوجه » (٢) « وقال بعضهم : يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة . فقال « إن من موجبات الغفرة بذل السلام وحسن الكلام » (٣) « وقال عبد الله بن عمر إن البر شيء من وجهه طلق وكلامه لين وقال عليه السلام « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكرة طيبة » (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لثلاثة برى ظهورها من بطونها وبطنوها من ظهورها : قال أعرابي لمن هي يا رسول الله ؟ قال « لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام » (٥) « وقال الماذن بن جيل قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الحياة وحفظ الجار ورحمة الأيتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح » (٦) « وقال أنس رضي الله عنه « عرضت لنبي الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت : لي معك حاجة وكان معه ناس من أصحابه فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك فجلست لجلس إليها حتى قضت حاجتها » (٧) « وقال وهب بن منبه إن رجلا من بني إسرائيل صام سبعين سنة فخطر في كل سبعة أيام فسال الله تعالى أنه يرهبه كيف ينوي الشيطان الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجد ما يخلصه من خطيئته وذنبه بنى وبين يدي لسان خيرا إلى من هذا الأمر الذي طلبته فأرسل الله إليه ملكا فقال له إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك إن كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إلى مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فخطر فاذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذباب فقال أي رب من ينجو من هذا قال الورع الأمين . ومنها أن لا يندم مسلما بوعدا لا وفى به قال عليه السلام « العدة عطية » (٨) « وقال « المدد بن » (٩) « وقال « ثلاث في التناق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتهم خان » (١٠) « وقال « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى » (١١) « وذكر ذلك

من ماء الحديث وإسناده صحيح (١) حديث أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال الأمين السهل القريب الترمذي من حديث ابن مسعود عليه السلام وذكرها الحراني من رواية محمد بن أبي معيقب عن أبيه قال الترمذي حسن غريب (٢) حديث أبي هريرة إن الله يحب السهل الطلق البهيقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه من رواية موري العجلي مرسل (٣) حديث إن من موجبات الغفرة بذل السلام وحسن الكلام إن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والحراني في معارج الأئمة والأخلاق واللفظ والبهيقي في شعب الإيمان من حديث هانيء بن يزيد بإسناد جيد (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وتقديم الزكاة (٥) حديث إن في الجنة عرقا يرى ظهورها من بطونها وبطنوها من ظهورها الحديث الترمذي من حديث علي وقال حديث غريب . قلت وهو ضعيف (٦) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث الحراني في معارج الأئمة والأخلاق والبهيقي في كتاب الزهد وأبو نعيم الحلية ولم يقل البهيقي وخفض الجناح وإسناده ضعيف (٧) حديث أنس عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي معك حاجة فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك الحديث رواه مسلم (٨) حديث العدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف (٩) حديث المدد بن الطبراني في معجمه الأوسط والأصغر من حديث علي وابن مسعود بسند فيه جهالة ورواه أبو داود في الراسيل (١٠) حديث ثلاث في التناق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتهم خان متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه (١١) حديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى البخاري من حديث أبي هريرة

في السؤال والقنوح
والصدق مع الله على
كل حال كيف تطلب
[الباب الحادي
والعشرون في شرح
حال التجرد والتأهل
من الصوفية وصحة
مقاصدهم]

الصوفي يتزوج له كما
يتجرد له فلتجرده
مقصد وأوان وتأهله
مقصد وأوان والصدق
يعلم وأوان التجرد
والتأهل لأن الطبع
الجوهر للصوفي ملجم
بلجام العلم بهما يصلح
له التجرد لا يستجبه
الطبع إلى التزوج ولا
يقدم على التزوج إلا إذا
انصلحت النفس
واستحقت إدخال الرفق
عليها وذلك إذا صار
منقاد مطوعة بحجة
إلى ما يراد منها بتأهله
الطفل الذي يتأهده بما
يروقه ويجمع عما يضروه
فإذا صارت النفس
محمكة مطوعة قد
قادت إلى أمر الله
وتصلت عن مشاحة

ومن هذا أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يؤتى إليه قال صلى الله عليه وسلم
 « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الاتفاق من الاختار والانصاف من نفسه
 وبذل السلام ^(١) » وقال عليه السلام « من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته
 وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وليؤت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه ^(٢) » وقال
 صلى الله عليه وسلم « يا أيها الفرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً وأحب للناس ما عيب نفسك
 تكن مسلماً ^(٣) » قال الحسن : أوصى الله تعالى إلى آدم صلى الله عليه وسلم بأربع خصال وقال فيها :
 جماع الأمر لك ولولئك واحدة في واحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق
 فأما التي لي فعبدي ولا تشرك بي شيئاً وأما التي لك ففعلك أجريك بما أقدر ما تكون إليه وأما التي
 بيني وبينك ففعلك الهدى وعلى الإجابة وأما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب أن يصحبوك
 به وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال أي رب أي عبادك أعدك قال من أنصف من نفسه .
 ومنها أن يزيد في توفير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم روى أن عائشة
 رضي الله عنها كانت في سفر فزلت منزلاً فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة ناولوا هذا للسكين
 قرصاً ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه إلى الطعام فقيل لها تعطين السكين وتدين هذا الذي
 فقالت إن الله تعالى أنزل الناس منازل لا بد لنا من أن نزلهم تلك المنازل هذا السكين رضى بقرص
 وقبيح بنا أن نعطى هذا الذي على هذه الهيئة قرصاً وروى أنه صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوت
 فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكاناً فقدم على
 الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فألقاه إليه وقال له اجلس على هذا فأخذه جرير ووضعه
 على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم قال وروى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لأجلس على
 ثوبك أكرمك الله كما أكرمتني فظفر النبي صلى الله عليه وسلم بينا وشمالاً ثم قال « إذا أتاكم كرم
 قوم فأكرموا ^(٤) » وكذلك كل من له عليه حق فليكرمه ، روى « أن ظر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم التي أُرْسِمت جاءت إليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بأبي ثم أجلسها على الرداء
 ثم قال لها اشعني تشعني وسلي تعطلي فقالت قومي فقال أما حق وحق بيني هاتم ففعلك قيام الناس من كل
 ناحية وقالوا وحققنا يا رسول الله ثم وصلها بعد وأخدمها ووهب لها سهماً بهجن ^(٥) » فبيع ذلك
 من عثمان بن عفان رضى الله عنه بمائة ألف درهم « ولربما آتاه من يأتيه وهو على وسادة
 وأصله متفق عليه ولفظ مسلم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم وهذا ليس في البخاري ^(١) حديث
 لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الاتفاق من الاختار والانصاف من نفسه
 وبذل السلام الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمار بن ياسر ووقف البخاري عليه
^(٢) حديث من سره أن يزحزح عن النار فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
 نحوه والخرائطى في مكارم الأخلاق بلفظه ^(٣) حديث يا أيها الفرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن
 مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف
 والمعروف أنه قاله لأبي هريرة وقد تقدم ^(٤) حديث إذا أتاكم كرم قوم فأكرموا وفي أوله قصة
 في قدوم جرير بن عبد الله الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاستاد وتقدم في الزكاة مختصراً
^(٥) حديث إن ظر رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أُرْسِمت جاءت إليه فبسط لها رداءه الحديث
 أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي الطفيل مختصراً في بسط رداءه لها دون ما بعده .

القلب فيصلح بينهما
 بالعدل وينظر في أمرها
 بالقسط ومن صبر من
 الصوفية على المزوبة
 هذا الصبر إلى حين
 بلوغ الكتاب أجله
 ينتخب له الزوجة استخاباً
 وبهوى الله له أعوانا
 وأسباباً ويسم برفيق
 يدخل عليه ورزق
 يساق إليه وهو استعجل
 للريد واستغفره الطبع
 وخامره الجهل شوران
 دخان الشهوة الطفنة
 لشعاع العلم وأنحط من
 أوج المزيمة الذي هو
 قضية حاله وموجب
 إرادته وشريطة صدق
 طلبه إلى حضيض
 الرخصة التي هي رحمة
 من الله تعالى لعامة خلقه
 يحكم عليه بالنقصان
 ويشهد له بالحرمان
 ومثل هذا الاستعجال
 هو حضيض الرجال
 قال سهل بن عبد الله
 التستري إذا كان للديد
 مال يتوقع به زيادة
 فدخل عليه الابتلاء
 فرجوعه في الابتلاء

جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فيزعمها ويضعها تحت الذي يجلس إليه فان أذى عزم عليه حق بفعل (١) . ومنها أن يصاح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحاققة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين (٣) » وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضي الله عنه قال « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله بأي أنت وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يارب خذني مظلم من هذا قال الله تعالى رد على أخيك مظلمته قال يارب لم يبق لي من حسناتي شيء قال الله تعالى للطلاب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء قال يارب فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تعالى أي المظلم أرفع بصرك فانظر في الجنان فقال يارب أرى مدائن من فضة وقصور من ذهب مكللة بالؤلؤ لأى نبي هذا أولأى صديق أولأى شهيد قال الله تعالى هذا لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال أنت علمك قال بماذا يارب قال بفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة (٤) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا (٥) » وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه قال صلى الله عليه وسلم « كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها (٦) » . ومنها أن تستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم « من ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة (٧) » وقال « لا يستر عبدا إلا ستره الله يوم القيامة (٨) »

(١) حديث نزعته صلى الله عليه وسلم وسادته ووضعها تحت الذي يجلس إليه أحمد من حديث ابن عمر أنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فالتقى إليه وسادة من آدم حشوها ليف الحديث وإسناده صحيح والطبراني من حديث ثمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة فأتاه إلى الحديث وسنده ضعيف قال صاحب البرز أن هذا خبر ساقط (٢) حديث ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الحاققة أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي هريرة (٣) حديث أفضل الصدقة إصلاح ذات البين الطبراني في الكبير والخراطي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفرقي ضعفه الجمهور (٤) حديث أنس بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بأي وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمي جثيا بين يدي الله عز وجل قال أحدهما يارب خذني مظلم من هذا الحديث الخراطي في مكارم الأخلاق والحاكم وقال صحيح الاسناد وكذا أبو يعلى الوصلى خرج به بطول وضعفه البخاري وابن حبان (٥) حديث ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نبي خيرا متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (٦) حديث كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب الحديث الخراطي في مكارم الأخلاق من حديث النواس ابن حسان وفيه إقطاع وضعف ولم يخوه من حديث أم كلثوم بنت عقبة (٧) حديث من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة مسلم من حديث أبي هريرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٨) حديث لا يستر عبدا إلا ستره الله يوم القيامة مسلم من حديث أبي هريرة أيضا .

إلى حال دون ذلك نقصان وحدث وصحت بعض الفقهاء وقد قيل لهم لا تزوج فقالوا لا تصلح إلا للرجال وأنا ما بلغت مبلغ الرجال فكيف أتزوج فالصادقون لهم أوان بلوغ عنده يتزوجون وقد تمارضت الأخبار وتماثلت الآثار في فضيلة التجريد والتزويج وتنوع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك لتنوع الأحوال فمنهم من فضيلته في التجريد ومنهم من فضيلته في التأهل وكل هذا المتعارض في حق من نازع حقه برد وسلام لكل تقواه وقهره هو وإلا ففي غير هذا الرجل الذي يخاف عليه الفتنة يجب النكاح في حال التوقان للفرط ويكون الخلاف بين الأئمة في غير الثالث فالصوفي إذا صار متأهلا يتعين على الإخوان معاوته

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة » (١) وقال عليه السلام لما أخبره « لو سترته بثوبك كان خيرا لك » (٢) فإن على المسلم أن يستر عورة نفسه حتى يسلمه وأجب عليه حتى يسلم غيره قال أبو بكر رضي الله عنه لو وجدت شاة لأحببت أن يستره الله ولو وجدت سارية لأحببت أن يستره الله وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسر بالمدنية ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس أرايتهم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا إنما أنت إمام فقال على رضي الله عنه ليس ذلك لك إذا قام عليك الحد إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود ثم تركهم ماشاء الله أن يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل مقاتلهم الأولي فقال على رضي الله عنه مثل مقاتل الأولي وهذا يشير إلى أن عمر رضي الله عنه كان مترددا في أن الوالي هل له أن يفضي بطنه في حدود الله فذلك راجعهم في معرض التقدير لافي معرض الإخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفا بإخباره ومال رأي على إلى أنه ليس له ذلك وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر التواضعات فإن أخذها الزنا وقد نيط بأربعة من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالرود في المسكنة وهذا قاطع لا يفتق وإن علمه القاضي تحقيرا لم يكن له أن يكشف عنه فانظر إلى الحكمة في حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات ثم انظر إلى كيف ستر الله كيف أسبله على النساء من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فترجو أن لا نحرّم هذا السكر يوم تبلى السرائر في الحديث « إن الله إذا ستر على عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى » (٣) وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة في المدينة فيبنا نحن نغشى إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمّه فلما دنونا منه إذا باب مطلق على قوم لهم أصوات ولنطق فأخذ عمر يريدي وقال أتدري بيت من هذا ؟ قلت لا فقال هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف صوم الآن شرب فلما ترى ؟ قلت : أرى أنه قد أتينا ما هنا ما هنا فقال الله تعالى - ولا نجسوا - فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية « إنك إن تبعت عورات الناس أفستهم أوكدت تضدهم » (٤) وقد صلى الله عليه وسلم « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يبيع الله عورته ومن يبيع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته » (٥) وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لو رأيت أحدا على حد من حدود الله تعالى

(١) حديث أبي سعيد الخدري لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة الطبراني في الأوسط والعنبر والحرثاني في مكارم الأخلاق واللفظ له بسند ضعيف (٢) حديث لوستره بثوبك كان خيرا لك أبو داود والنسائي من حديث نعيم بن هزال والحاكم من حديث هزال نفسه وقال صحيح الاسناد ونعيم يختلف في صحته (٣) حديث إن الله إذا ستر على عبده عورة في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفه في الآخرة الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث على من أذنب ذنبا في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه قاله أكرم من أن يرجع في شيء قد عفا عنه ومن أذنب ذنبا في الدنيا فزوجه الله عليه فأعدل من أن يضي الضربة على عبده لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وسلم من حديث أبي هريرة لا ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة (٤) حديث إنك إن ابست عورات الناس أفستهم أوكدت تضدهم قاله لمعاوية أبو داود بإسناد صحيح من حديث معاوية (٥) حديث يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تضاربوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم الحديث أبو داود من حديث أبي بركة بإسناد جيد والترمذي نحوه من حديث ابن عمرو وحسنه

بالإيثار ومساعدته في الاستكثار إذا روى ضئيف الحال قاصرا عن رتبة الرجال كما وصفنا من صبر من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب أجله أخبرنا أبو زرعة عن والده أبي الفضل القدسي الحافظ قال أنا أبو محمد عبيد الله بن محمد الخطيب قال أنا أبو الحسين محمد بن عبيد الله ابن أخي ميسم قال أنا أبو القاسم عبيد الله ابن محمد بن عبد المرز قال حدثنا محمد ابن هرون قال أنا أبو المقيرة قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثنا عبد الرحمن ابن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه في نفسه في يومه فأعطى التأهل حظين والمزب حظا واحدا فدعينا وكنت أدعى قبل عمار بن ياسر

ما أخذته ولا دعوت له أحدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبدالله بن مسعود رضي الله عنه إذ جاء رجل بأخبر فقال هذا نثنان فقال لعبد الله بن مسعود استكبهوا لاستكبهوا فوجد نثنان فحبسه حتى ذهب سكره ثم جاء بسوط فسكر ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك وأعط كل عضو حقه فجلده وعليه قيامة أو سوط فلما فرغ قال للذي جاء به ما أنت منه قال همه قال عبد الله ما أدبت فأحسن الأدب واستر الحرمة إنه يبنى للامام إذا انتهى إليه أحد أن يقيه وإن الله عفو يحب العفو ثم قرأ - وليعفو وليصنعوا - ثم قال «إني لأذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ آتى بسارق قطعه فكأنما أسف وجهه فقالوا يارسول الله كأنك كرهت قطعه فقال وما يعني لانسكونوا عونا للشياطين على أخيك فقالوا ألا عفوت عنه فقال إنه يبنى للامام إذا انتهى إليه أحد أن يقيه إن الله عفو يحب العفو ثم قرأ - وليعفو وليصنعوا لا تخونوا أن ينفر الله لكم والله غفور رحيم (١) » وفي رواية فكأنما سقى في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لشدة تنفيره وروى أن عمر رضي الله عنه كان يس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتخى فصور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على مصبته فقال وأنت يا أمير المؤمنين فلا تجبل فإن كنت قد عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاثا قال الله تعالى - ولا تجسوا - وقد تجسست وقال الله تعالى - وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها - وقد تسورت على وقد قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الآية وقد دخلت بيتي غير إذن ولا سلام فقال عمر رضي الله عنه هل عندك من خير إن عفوت عنك قال نعم والله يا أمير المؤمنين لئن عفوت عنى لأعود إلى مثلها أبدا فغاضته وخرج وتركه وقال لرجل لعبد الله بن عمر يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة قال سمعته يقول «إني لله ليدني منه المؤمن فيضع عليه كفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم يارب حتى إذا قرره بذنوبه فرأى في نفسه أنه قد هلك قال يا عبيدي إني بأسترها عليك في الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم يعطى كتاب حسنة وأما الكافرون ولنا نقول فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين (٢) » وقد قال صلى الله عليه وسلم «كل أمي معافي إلا المجاهرين (٣) » وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل لوجه سوء سرائرهم يخبره وقال صلى الله عليه وسلم «من استمع خبر قوم وهم له كارهون صب في أذنه الآنك يوم القيامة (٤) » ومنها أن يتق مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم عن الغيبة فانهم إذا عصوا الله بذكروا وكان هو السب فيه كان شريكا قال الله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - وقال صلى الله عليه وسلم «كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه ؟ فقال نعم يسب أبوي غيره فيسبون أبويه (٥) » وقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه

(١) حديث ابن مسعود إني لأذكر أول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم آتى بسارق قطعه فكأنما أسف وجه رسول الله ﷺ الحديث ورواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجه في مكارم الأخلاق فكأنما سقى في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد الحديث (٢) حديث ابن عمر إن الله عز وجل ليدني المؤمن فيضع عليه كفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا الحديث متفق عليه (٣) حديث كل أمي معافي إلا المجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث من استمع من قوم وهم له كارهون صب في أذنه الآنك يوم القيامة البخاري من حديث ابن عباس مرفوعا وموقوفا عليه وعلى أبي هريرة أيضا (٥) حديث كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه الحديث متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو نحوه .

فأعطاني حظين وأعطاه حظا واحدا فخطب حتى عرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ومن حضره فبقيت معه سلسلة من ذهب فبذل رسول الله صلى الله عليه وسلم رضاها بطرف عصاه وتسقط وهو يقول كيف أنتم يوم يكثر لكم من هذا فلم يجبه أحد فقال حمار وودنا يارسول الله لو قد أكثرنا من هذا فالتجرد عن الأزواج والأولاد أهون على الوقت الفقير وأجمع لهمة وأقل لبشه وصلاح للفقير في ابتداء أمره قطع العلاقات ومحو المواقف والتفقل في الأسفار وركوب الأخطار والتجرد عن الأسباب والخروج عن كل ما يكون حجابا والزواج انقطاع من الزمة إلى الرخص ورجوع من التروح إلى النص وتباعد

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نساؤه فرأى به رجل فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا فلان هذه زوجتي صفة فقال يا رسول الله من كنت أظن فيه فاني لم أكن أظن فيك فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ^(١) » وزاد في رواية « إلى خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا وكنا رجلين فقال علي رسلكما إنها صفة ^(٢) » الحديث وكانت قد زارته في العترة الأواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء به الظن ومر بمرجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فلهاء بالردة فقال يا أمير المؤمنين : إنها امرأتى فقال هلا حيث لا يراك أحد من الناس ؟ . ومنها أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ويسمى في قضاء حاجته بما يقدر عليه قال صلى الله عليه وسلم « إني أوتى وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأنتم عندي فاشفعوا لتؤجروا ويقضى الله على يدي نبيه ما أحب ^(٣) » وقال معاوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشفعوا لي تؤجروا إني أريد الأمر وأؤخره كي تشفعوا لي فتؤجروا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن صدقة أفضل من صدقة اللسان فيل وكيف ذلك ؟ قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجربها النفقة إلى آخر ويدفع بها للكروه عن آخر ^(٥) » وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن زوج بريرة كان عبدا يقال له ميث كآنى أنظر إليه خلقها وهو يبيكي ودموعه تسيل على لحنيه فقال صلى الله عليه وسلم لعلباس ألا تعجب من شدة حب ميث لبريرة وشدة بنفها له فقال النبي صلى الله عليه وسلم لوراجبته فاته أبووذلك قالت يا رسول الله أتأمرني فأفعل فقال لا إنما أنا شافع ^(٦) » ومنها أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل السلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم « من بدأ بالسلاام قبل السلام فلا يجيبوه حتى يبدأ بالسلاام ^(٧) » وقال بعضهم « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أسأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع قل السلام عليكم وادخل ^(٨) » وروى جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته ^(٩) » وقال أنس رضي الله عنه « خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمان حجج فقال لي بأنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على

(١) حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نساؤه فرأى به رجل فدعاه فقال يا فلان هذه زوجتي فلانة الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم رواه مسلم (٢) حديث إلى خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا وكنا رجلين فقال علي رسلكما إنها صفة متفق عليه من حديث صفة (٣) حديث إلى أوتى وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأنتم عندي فاشفعوا لتؤجروا الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى نحوه (٤) حديث ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان الحديث الحراطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث حمزة بن جندب بسند ضعيف (٥) حديث عكرمة عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبدا يقال له ميث كآنى أنظر إليه خلقها يبيكي الحديث رواه البخاري . (٦) حديث من بدأ بالسلاام قبل السلام فلا يجيبوه الحديث الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في اليوم واليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيه لين (٧) حديث دخلت على رسول الله ﷺ ولم أسلم ولم أسأذن فقال ﷺ ارجع قل السلام عليكم أ أدخل أبو داود والترمذي وحسنه من حديث كلب بن الحنبل وهو صاحب القصة (٨) حديث جابر إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته الحراطي في مكارم الأخلاق وفيه ضعف .

[١] هذا الحديث ساقط عند العراقي وهو من رواية أبي داود والنسائي وابن عساكر من طريق همام بن منبه عن معاوية كآلى الشارح اه .

بالأولاد والأزواج
ودوران حول مظان
الاعوجاج والتفات إلى
الدنيا بعد الزهادة
وانعطاف على الموى
بمقتضى الطبيعة
والمادة . قال أبو سليمان
الهدائى ثلاث من
طلبهن قد رسكن
إلى الدنيا من طلب
معاشا أو تزوج امرأة
أو كتب الحديث .
وقال ما رأيت أحدا
من أصحابنا تزوج
ثبت على مرتبته .
أخبرنا الشيخ طاهر
قال أناوالدى أبو الفضل
قال أنا محمد بن
إسميل القرى قال
أنا أحمد بن الحسن
قال أنا حاجب الطوسي
قال حدثنا عبد الرحيم
قال حدثنا الفزارى
عن سليمان التيمي
عن أبي عثمان الهدي
عن أسامة بن زيد
رضي الله عنهما قال
: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ما تركت
بصدى فتنة أضرب على

من لقيته من أمي تكثر حسناتك وإذا دخلت منزلك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك ^(١) » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا التقي المؤمنان فتصالحا قبست بينهما سبعون مغفرة تسع وستون لأحسنهما بشرا » وقال تعالى - وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها - وقال عليه السلام « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله ؟ قال أفشوا السلام بينكم ^(٢) » وقال أيضا « إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه ^(٤) » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم واحد أجرا عنهم ^(٥) » وقال قتادة كانت نحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي نحية أهل الجنة وكان أبو سلمة الخولاني يمر على قوم فلا يسلم عليهم ويقول ما ينبغي إلا أني أخشى أن لا يردوا فتعلمهم الملائكة والصالحة أيضا سنة مع السلام » وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال عليه السلام عشر حسنات فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله قال عشر حسنات فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وركناته فقال ثلاثون ^(٦) » وكأنت أنس رضى الله عنه يمر على الصبيان فيسلم عليهم ^(٧) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك . وروى عبد الحميد بن بهرام « أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأومأ بيده بالسلام وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية ^(٨) » فقال عليه السلام « لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتهم أحدكم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه ^(٩) » وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثماني حجج فقال لي يا أنس أسبغ الوضوء بزد في عمرك وسلم على من لقيته من أمي تكثر حسناتك وإذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك أخرته على مكارم الأخلاق واللفظ له والبهقي في الشعب وإسناده ضيف ولترمذي وصححه إذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك (٢) حديث والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة ولم يسنده ولله في السند (٤) حديث الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه لم أقف له على أصل (٥) حديث يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم أحد أجرا عنهم ومالك في الوطأ عن زيد بن أسلم مرسله ولأبي داود من حديث علي بن عيسى عن الجساسة إذا مروا أن يسلم أحدكم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدكم وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة يسلم الراكب على الماشي الحديث وسيأتي في بقية الباب (٦) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال صلى الله عليه وسلم عشر حسنات الحديث أبو داود والترمذي من حديث عمران بن حصين قال الترمذي حسن غريب وقال البيهقي في الشعب إسناده حسن (٧) حديث أنس كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ورفقه منقذ عليه (٨) حديث عبد الحميد بن بهرام أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأومأ بيده بالتسليم وأشار عبد الحميد بيده الترمذي من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أمهم بنت يزيد وقال حسن وابن ماجه من رواية ابن أبي حسين عن شهر ورواه أبو داود وقال أحمد لا بأس به (٩) حديث لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

الرجال من النساء » وروى رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال « ابتلينا بالضراء فصرنا وابتلينا بالسرء فلم نصبر وإن أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسوون بالذهب ولبس ريط الشام وعصب اللبن وأنعن الغنى وكلفن الفقير ما لا يجد » وقال بعض الحكماء معالجة العزوبة خير من معالجة النساء . وسئل سهل بن عبد الله عن النساء فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار . وقيل في تفسير قوله تعالى - خلق الإنسان - ضعيفا - لأنه لا يصبر عن النساء وقيل في قوله تعالى - ربنا ولا نجعلنا مالا طائفا لآله - العفة فان قدر الفقير على مقاومة النفس ورزق العلم الوافر بحسن المعاملة في معالجة

« لئلا يحلوا أهل الذمة ولا تبدهم بالسلام فإذا تلبسوا في الطريق فاضطروهم إلى أضيق الطرق »
 قالت عائشة رضي الله عنها « إن ردها من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم قالت عائشة رضي الله عنها قتلت بل عليكم السلام والذمة فقال عليه السلام يا عائشة إن الله يحب الرقيق في كل شيء قالت عائشة ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت عليكم ^(١) » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على السائق والمائى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير ^(٢) » وقال عليه السلام « لا تشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود بالاشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالكف ^(٣) » قال أبو عيسى إسناده ضعيف وقال عليه السلام « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة ^(٤) » وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « إذا اتى اللؤمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسهما جيرا ^(٥) » وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إذا اتى اللسان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة لبادئ تسعون وللصافح عشرة ^(٦) » وقال الحسن الصائفة يزيد في الود وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمام تحياتكم بينكم الصائفة ^(٧) » وقال عليه السلام « قبله السلم أخاه الصائفة ^(٨) » ولا بأس بقبلة يد المظلم الذين تبرأ به وتوفيرا له وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده ^(٩) وروى أن أعرابيا قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك قال فأذن له فعلم ^(١٠) ولقي أبو حنيفة

النفس وصبر عن
 فقد حاز الفضل
 واستعمل العقل
 واهتدى إلى الأمر
 السهل قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 « خيركم يدي اللاتين
 رجل خفيف الحاذق
 يا رسول الله وما خفيف
 الحاذق قال الذي لا أهل
 له ولا ولد » وقال بعض
 الفقهاء ما قيل له تزوج
 أنا إلى أن أطلق نفسي
 أخرجني إلى الزوج
 وقبل لبشر بن الحرث
 إن الناس يشككون
 فيك فقال ما يقولون
 قيل يقولون إنه تارك
 للسنن يعني التكاثر فقال
 قولوا لهم أنا مشغول
 بالفرض عن السنن
 وكان يقول لو كنت
 أعمل دجاجة خفت
 أن أكون جلادا على
 الجسر والصوفي مبتلى
 بالنفس ومطالبها وهو
 في شغل شاغل عن
 نفسه فإذا انضاف إلى
 مطالبات نفسه
 مطالبات زوجته

(١) حديث عائشة إن رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك الحديث متفق عليه (٢) حديث يسلم الراكب على السائق والمائى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل مسلم والصغير على الكبير (٣) حديث لا تشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود بالاشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالكف الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال إسناده ضعيف (٤) حديث إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة أبو داود والترمذى وحسنه من حديث أبي هريرة (٥) حديث إذا اتى اللؤمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مسألة لأخيه وفيه الحسن بن كثير بن يحيى بن أبي كثير مجبول (٦) حديث عمر بن الخطاب إذا اتى اللسان وسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة الحديث البزار في مسنده والحراطين في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وفي إسناده نظر (٧) حديث أبي هريرة تمام تحياتكم بينكم الصائفة الحراطين في مكارم الأخلاق وهو عند الترمذى من حديث أبي أمامة وضعفه (٨) حديث قبله السلم أخاه الصائفة الحراطين وابن عدى من حديث أنس وقال غير محفوظ (٩) حديث ابن عمر قبلنا يدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو داود بسند حسن (١٠) حديث كعب بن مالك لما نزلت توبى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده أبو بكر بن القرى في كتاب الرخصة في تغيب اليد بسند ضعيف (١١) حديث أن أعرابيا قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك فأذن له فعلم الحاكم من حديث بريرة إلا أنه قال رجل بك موضع يدك وقال صحيح الإسناد.

عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصاحه وقبل يده وتجا يكبان وعن البراء بن عازب رضي الله عنه «أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده إليه فصاحه فقال يا رسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المسلمين إذا التفتوا فصاحوا تحات ذنوبهما (١) » وعن النبي ﷺ قال «إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملا خير منهم وأطيب ، أو قال وأفضل (٢) » والاعتناء عند السلام منهي عنه قال أنس رضي الله عنه «قلنا يا رسول الله أئني بضنا لبعض ؟ قال لا قال فقبل بعضنا بعضا ؟ قال لا قال فصاح بعضنا بعضا ؟ قال نعم (٣) » والالتزام والتقبل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر (٤) وقال أبوذر رضي الله عنه ما لقيته صلى الله عليه وسلم إلا صافى وطيبى يوما فلم أكن في البيت لها أخبرت جثث وهو على سريره فالتفتي فكانت أجود وأجود (٥) » والأخذ بالركاب في توقيف الملاء ورد به الأثر فضل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت (٦) » وأخذ عمر بن زرر زيد حتى رفعه وقال هكذا فاضلوا زيد وأصحاب زيد . والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام قال أنس ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يملكون من كراهيته لذلك (٧) » وروى أنه عليه السلام قال مرة «إذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم (٨) » وقال عليه السلام «من سره أن يئمل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار (٩) » وقال عليه السلام «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتنبهوا (١٠) » وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النبي وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا أحد أخاه فأوسع له فليأته فانما هي كرامة أكرمه بها أخوه

(١) حديث البراء بن عازب أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ومد يده إليه فصاحه الحديث رواه الحارثي بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصرا ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفرقا قال الترمذي حسن غريب عن حديث أبي إسحاق عن البراء (٢) حديث إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملا خير منهم وأطيب الحارثي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعا وضعف البيهقي المرفوع ورواه موقوفا عليه بسند صحيح (٣) حديث أنس قلنا يا رسول الله أئني بضنا لبعض قال لا الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقي (٤) حديث الالتزام والتقبل عند القدوم من السفر الترمذي من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه فاعتقه وقبلة وقال حسن غريب (٥) حديث أبي ذر مالم يلقه صلى الله عليه وسلم إلا صافى الحديث أبو داود وفيه رجل من غزاة لم يسم وصاحه البيهقي في الشعب عبد الله (٦) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت تقدم في العلم (٧) حديث أنس ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يملكون من كراهيته لذلك الترمذي وقال حسن صحيح (٨) حديث إذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة وقال كما يجوم الأعاجم وفيه أبو العديس مجهول (٩) حديث من سره أن يئمل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار أبو داود والترمذي من حديث معاوية وقال حسن (١٠) حديث لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتنبهوا متفق عليه من حديث ابن عمر .

يضفع طلبه وتسل
إرادته وتقر عزته
والنفس إذا أعطت
طمعت وإذا أفتت
فتت فيستعين الشاب
الطالب على حسم مواد
خاطر التسكح بأدامة
الصوم فإن الصوم أثر
ظاهرا في قبح النفس
وفهرا وقد ورد أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم مر بجماعة
من الشبان وهم برفضون
الحجارة فقال «يا معشر
التياب من استطاع
منكم الباعة فليتزوج
ومن لم يستطع فليصم
فان الصوم له وجاء »
أصل الوجاء رض
الحصيتين كانت العرب
تجأ الفعل من التهم
لتذهب غلوائه
ويسمن ومنه الحديث
ضحى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بكبشين
أملحين موجودين وقد
قبل هي النفس إن لم
تشفها شغلتك فاذا
أدام الشاب للريد
العمل وأذاب نفسه في

فإن لم يوسع له فليُنظر إلى أوسع مكان يجده فيجلس فيه ^(١) » وروى أنه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب ^(٢) فيكره السلام على من يقضى حاجته ويكره أن يقول ابتداء عليك السلام فإنه قاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام « إن عليك السلام تحية للوفى قالها ثلاثاً » ثم قال : إذا لقي أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ^(٣) » ويستحب للدخول إذا سلم ولم يجد مجلساً أن لا ينصرف بل يقعد وراء الصف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها وأما الثاني فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم عن الثغر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الثاني فاستجاب فاستجاب الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا ^(٥) . وسئل أم هانئ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذه قبيل له أم هانئ » قال عليه السلام مرحباً بأم هانئ ^(٦) » . ومنها أن يصون عرض أخيه للسلم وتقسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره فإن ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الاسلام . روى أبو الدرداء « أن رجلاً نادى من رجل عند رسول الله ﷺ فرد عنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من رد عن عرض أخيه كان له حجاب من النار ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « من امرئ مسلم رد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ^(٨) » وعن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « من ذكر عنده أخوه السلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره أدركه الله بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده أخوه السلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة ^(٩) »

(١) حديث إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا رجل أخاه فأوسع بيني له فليجلس فإنه كرامة من الله عز وجل الحديث البخارى في معجم الصحابة من حديث ابن شعبة ورجاله ثقات وابن شعبة هذا ذكره أبو موسى اللدنى في ذيله في الصحابة وقد رواه الطبرانى في الكبير من رواية مصعب بن شيبة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أخضر منه وشيبة بن جبير والله منصور لبست له حجة (٢) حديث أن رجلاً سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب مسلم من حديث ابن عمر بالفظ فلم يرد له (٣) حديث قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال إن عليك السلام تحية آليت الحديث أبو داود والترمذى والنسائى في اليوم والليالي من حديث ابن جري الهجيمى وهو صاحب القصة قال الترمذى حسن صحيح (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها الحديث متفق عليه من حديث أبي واقد اللقى (٥) حديث مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث البراء بن عازب (٦) حديث سلت أم هانئ عليه فقال مرحباً بأم هانئ مسلم من حديث أم هانئ (٧) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه كان له حجاب من النار الترمذى وحسنه (٨) حديث مامن امرئ مسلم رد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه والحرانطى في مكارم الأخلاق وهو عند الطبرانى بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء وفيهما شهر بن حوشب (٩) حديث أنس من ذكر عنده أخوه السلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة الحديث ابن أبى الدنيا .

العبادة تحفل عليه خواطر النفس وأيضاً شغله بالعبادة يشر له حلاوة العامة ومحبة الاكثار منه ويمنح عليه باب السهولة والمعيش في العمل فيغار على حاله ووقته أن يتكدر بهم الزوجة . ومن حسن أدب المريد في عزوبته أن لا يمكن خواطر النساء من باطنه وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة يفر إلى الله تعالى بحسن الانابة فينداركة الله تعالى حيثئذ بقوة العزيمة ويؤيده بمراعاة النفس بل ينعكس على نفسه نور قلبه ثواباً لحسن إجابته فتسكن النفس عن الطالبة ثم يمرض على نفسه ما يدخل عليه بالنسكاح من الدخول في اللداخل للذمومة السودية إلى الدل والموان وأخذ الشيء من غير وجهه وما يتوقع من القواطع

وقال عليه السلام « من حمى عن عرض أخيه السلم في الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار » (١) وقال جابر وأبو طلحة سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن امرئ مسلم بنصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمة إلا نصرة الله في موطن يحب فيه نصرة وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمة إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرة » (٢) . ومنها تشعبت العاطس قال عليه الصلاة والسلام في العاطس يقول « الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمك الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم » (٣) . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فإذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فإذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم » (٤) . وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاتسا ولم يشمت آخر فساله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنتسكت » (٥) وقال عليه السلام « يشمت العاطس السلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام » (٦) . وروى أنه شمت عاتسا ثلاثا فطس أخرى فقال إنك مزكوم » (٧) وقال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس غض صوته واستتر بثوبه أو يده » (٨) . وروى خر وجهه وقال أبو موسى الأشعري « كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول : يهديكم الله » (٩) . وروى عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أبيه « أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا ويمد ما يرضى الحمد لله على كل حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب الكلمات فقال أنا يا رسول الله فأردت بهن إلا خيرا فقال لقد رأيتنا في عشر ملكا كلهم يتندرونها أبهم يكتبها » (١٠)

في الصمت مقتصر على ما ذكر منه وإسناده ضيف (١) حديث من حمى عرض أخيه السلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضيف (٢) حديث جابر وأبي طلحة مامن امرئ بنصر مسلما في موضع ينتهك فيه حرمة عرضه ويستحل حرمة أبوداود مع تقديم وتأخير واختلاف في إسناده (٣) حديث يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم البخاري وأبو داود من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري على كل حال (٤) حديث ابن مسعود إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين الحديث النسائي في اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضا أبو داود والترمذي من حديث سالم بن عبدالله واختلاف في إسناده (٥) حديث شمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاتسا ولم يشمت آخر فساله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنتسكت متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث شمتوا السلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام أبوداود من حديث أبي هريرة شمت أخاك ثلاثا الحديث وإسناده جيد (٧) حديث أنه شمت عاتسا فطس أخرى فقال إنك مزكوم مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (٨) حديث أبي هريرة كان إذا عطس غض صوته واستتر بثوبه أو يده أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية لأبي نعيم في اليوم والليلة خر وجهه وفاه (٩) حديث أبي موسى كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح (١٠) حديث عبدالله بن عامر بن ربيعة أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث أبو داود من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه وإسناده جيد

بسبب النفات الحاطر إلى ضبط المرأة وحراستها والكف التي لا تحصر . وقد سئل عبد الله بن عمر عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال ، وقد قيل كثرة العيال أحد الفقرين وقلة العيال أحد اليسارين . وكان إبراهيم بن آدم يقول : من تعود أخذ النساء لا يفلح ولا شك أن للمرأة تدعو إلى الرفاهية والذعة وتمنع عن كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار وغسلط على الباطن خوف الفقر ومحنة الادخار وكل هذا بعيد عن التجرد وقد ورد « إذا كان بعد المائتين أبيضت العزوبة لأمتي » فإن توالى على الفقير خواطر التكاح وزاحمت باطنه سببا في الصلاة والأذكار والتسلاوة فليستن بالله أولا ثم

وقال صلى الله عليه وسلم « من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشك خاصرته »^(١) وقال عليه السلام « العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فإذا تثاؤب أحدكم فليضع يده في فيه فإذا قالهاها فإن الشيطان يضحك من جوفه »^(٢) وقال إبراهيم النخعي إذا عطس في قضاء الحاجة فلا بأس . بأن يذكر الله وقال الحسن يحمد الله في نفسه ، وقال كعب قال موسى عليه السلام يارب أقرب أنت فأنا جيك أم بعيد فأنا ديك فقال أنا جيليس من ذكرني فقال فانا نكون على حال تهلك أن نذكرك عليها كالجنابة والغائط فقال اذكرني على كل حال . ومنها أنه إذا بلى بذي شر فبئس أن تهمله ويتبعه قال بعضهم خالسي المؤمنين خالصة وخالقي الفاجر عاقبة فان الفاجر برضى بالخلق الحسن في الظاهر . وقال أبو الدرداء إن الناس في وجوه أقوال وإن قولنا لتعلمن وهذا معنى الداراة وهي مع من يخاف شربه قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن السنة - قال ابن عباس في معنى قوله - ويدرمون بالحسنة السيئة - أي اللعش والأذى بالسلام وللداراة وقال في قوله تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض - قال بالريفة والرغبة والحياء والداراة وقالت عائشة رضى الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشرة هو فلما دخل آلله القول حتى ظننت أن له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت ثم ألت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه »^(٣) وفي الخبر « ماوى الرجل به عرضه فهو له صدقة »^(٤) وفي الأثر : خالطوا الناس بأعمالكم وزايلوهم بالقلوب . وقال محمد بن الحنفية رضى الله عنه : ليس بحكم من لم يباشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا . ومنها أن يجتنب مخالطة الأغنياء وبخلت المساكين وحسن إلى الأيتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم أحيني مسكينا وأمتي مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين »^(٥) وقال كعب الأخبار كان سليمان عليه السلام في ملكه إذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس إليه وقال مسكين جالس مسكينا . وقيل ما كان من كلمة قال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له يمسكين وقال كعب الأخبار كعب ما فى القرآن من يا أيها الذين آمنوا فهو في التوراة يا أيها المساكين وقال عبادة ابن الصامت إن للشار سبعة أبواب ثلاثة للأغنياء وثلاثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل يلقى أن نبيا من الأنبياء قال : يارب كيف لى أن أعلم رضاك عنى فقال انظر كيف رضا للمساكين عنك ، وقال عليه الصلاة والسلام « إياكم ومجالسة اللوى ، قيل ومن اللوى يا رسول الله ؟ قال الأغنياء »^(٦) وقال موسى الهى أين أبيك قال عند المنكسرة قلوبهم ، وقال صلى الله عليه وسلم

المشاخ والإخوان
ويشرح الحال لهم
وبسألهم مسألة الله له
في حسن الاختيار
ويطوف على الأحياء
والأموات وللصالحين
والشاهد ويستعظم
الأمر ولا يدخل فيه
بغلة الاكثرث فانه
باب فتنة كبيرة وخطر
عظيم وقد قال الله تعالى
- إن من أزواجكم
وأولادكم عدوا لكم
فاحذروهم - ويكثر
الضراعة إلى الله تعالى
ويكثر البكاء بين يديه
في الخلوات ويكرر
الاستخارة وإن رزق
القوة والصبر حتى
يستبين له من فضل الله
الحسنة في ذلك فهو
الكمال والتمام فقد
يكشف الله تعالى
للمصدق ذلك منا أو
إطلافا في منامه أو
يقظته أو على لسان
من ينطق إلى دينه وحاله
أنه إذا أشار لا يشير
إلا على بصيرة وإذا حكم
لا يحكم إلا بحق فهد

(١) حديث من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشك خاصرته الطبراني في الأوسط وفي الدعاء من حديث علي بسند ضعيف (٢) حديث العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله العطاس من الله فرواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وقال البخاري إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب الحديث (٣) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشرة الحديث متفق عليه (٤) حديث ماوى الرء به عرضه فهو له صدقة أبو بلى وابن عدى من حديث جابر وضعفه (٥) حديث اللهم أحيني مسكينا وأمتي مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد الترمذي من حديث عائشة وقال غريب (٦) حديث إياكم ومجالسة اللوى قيل وما اللوى قال الأغنياء الترمذي وضعفه والحاكم وصححه إسناده من حديث عائشة وإياكم ومجالسة الأغنياء .

«لا تقبلن فاجرا، نعمة فانك لا تدري إلى ما يصير بعد الوثاقان من ورائه طالبا حثيثا»^(١) وأما القيم فقال صلى الله عليه وسلم «من ضم يثما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة أئمة»^(٢) وقال عليه السلام «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وهويشير بأصبعه»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «من وضع يده على رأس يقيم ترحما كانت له بكل شجرة تمر عليها يده حنة»^(٤) وقال عليه السلام «خير بيت من المسلمين بيت فيه يقيم بحسن إليه وشريعت من المسلمين بيت فيه يقيم بساء إليه»^(٥) . ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد في إدخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم «للمؤمن عجب المؤمنين كما يحب لنفسه»^(٦) وقال عليه السلام «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئا فليطه عنه»^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم «من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله عمره»^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم «من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة»^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم «من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين»^(١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «من فرج عن مؤمن مغموم أو أمان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة»^(١١) وقال صلى الله عليه وسلم «انصر أخاك ظالما أو مظلوما . فقبل كيف ينصر . ظالما قال ينعمه من الظلم»^(١٢) وقال عليه السلام

(١) حديث لا تقبلن فاجرا نعمة الحديث البخارى في التاريخ والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث من ضم يثما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة أئمة الحديث الطبراني من حديث مالك بن عمر ويقع على بن زيد بن جعدان متكلم فيه (٣) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة البخارى من حديث سهل بن سعد ومسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث من وضع يده على رأس يقيم ترحما كانت له بكل شجرة تمر عليها يده حنة أحمد والطبراني بإسناد ضعيف من حديث أبي أمامة دون قوله ترحما ولا بن حبان في الضعفاء من حديث ابن أبي أوفى من مسند يده على رأس يقيم رحمة له الحديث (٥) حديث خير بيت من المسلمين بيت فيه يقيم بحسن إليه وشريعت من المسلمين بيت فيه يقيم بساء إليه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وفيه ضعف (٦) حديث المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه تقدم بلفظ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولم أره بهذا اللفظ (٧) حديث إن أحدكم مرآة أخيه الحديث رواه أبو داود والترمذى وقد تقدم (٨) حديث من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره البخارى في التاريخ والطبراني والحراطى كلاهما في مكالم الأَخلاق من حديث أنس بسند ضعيف مرسل (٩) حديث من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين الحاكم وصححه من حديث ابن عباس لأن يعنى أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته وأشار بأصبعه أفضل من أن يشك في مسجدى هذا شهرين والطبراني في الأوسط من مشى في حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكافه عشر سنين وكلاهما ضعيف (١٠) حديث من فرج عن مغموم أو أمان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة الحراطى في مكالم الأَخلاق وابن حبان في الضعفاء وابن عسدى من حديث أنس بلفظ من أغاث مملوكا (١١) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم .

حديث من أقر عين مؤمن لم نجد له تحريجا في نسختنا ووجدنا الشارح نقل عن المراقى أنه رواه ابن المبارك في الزهد والرفق بإسناد ضعيف مرسلا .

ذلك يكون تزوجه مدبرا معاناه . وممنا أن الشيخ عبدالقادر الجليل قال له بعض الصالحين لم تزوجت ؟ فقال ما تزوجت حتى قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج فقال له ذلك الرجل الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالرخس وطريق القوم التزم بالزينة فلا أعلم ما قال الشيخ في جوابي ولكني أقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالرخصة وأمره على لسان الشرع فأما من التجأ إلى الله تعالى واقتر إليه واستخاره فيكاشفه الله بتبينه إياه في مثله وأمره هذا لا يصحكون أمر رخصته هو أمر يتيمة أبواب الزينة لأنه من علم الحال لا من علم الحكم ويدل على صحة ما وقع لي ما نقل عنه أنه قال كنت أريد

«إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن أو أن يبرج عنه عما أوقضى عنه ديناً أو يطعمه من جوع» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من حمى مؤمناً من منافق يفتنه بعث الله إليه ملكاً يوم القيامة يحمى له من نار جهنم» [١] وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضرب لباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الإيمان بالله والنفع لباد الله» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «من لم يهتم للسلمين فليس منهم» (٣) وقال معروف السكري من قال كل يوم : اللهم ارحم أمة محمد كتبته الله من الأبدال وفي رواية أخرى اللهم صلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد كل يوم ثلاث مرات كتبته الله من الأبدال . ويكي على بن الفضل يوماً قيل له ما يكيك ؟ قال أبكى على من ظلمني إذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة . ومنها أن يهود مرضاهم فالمرقة والاسلام كافيان في إثبات هذا الحق ونيل فضله وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات للوضع وعند الاستئذان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول أنا إذا قيل له من ؟ ولا يقول يا غلام ولكن يحمده ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم «تمام عبادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو وتنام تحياتكم الصالحة» وقال عليه السلام «من عاد مريضاً فقد في مخارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل» (٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قد عند قرت فيه» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا عاد للسم أخاه أوزاره قال الله تعالى طيب وطاب ممثلك وتبوات منزلاً في الجنة» (٦) وقال عليه السلام «إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لمؤاده فإن هو إذا جاءوه محمد الله وأثنى عليه رضا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على أن توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أن أبدل له الخاخير من لحمه ودماء خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته» (٧) وقال رسول الله صلى الله عليه

الزوجة مدمنة من الزمان ولا أجترى على التزوج خوفاً من تكدير الوقت فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساقى الله لى أربع زوجات ما فيهن إلا من تتفق على إرادة ورغبة فهذه ثمرة الصبر الجليل الكامل فإذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله بأنبياء الفرج والمرج - ومن يتق الله يعمل له عزجنا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا تزوج الفقير بعد الاستقصاء والإكثار من الضراعة والدعاء . ورد عليه واردمن الله تعالى ياذن فيه فهو العافية والنهاية وإن عجز عن الصبر إلى ورود الأذن واستغفد جهسه في الدعاء والضراعة فقد يكون ذلك حظاً من الله تعالى ويصان عليه لحسن نيته وصديق مقصده وحسن رجائه واعتياده على ربه وقد

(١) حديث إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمن الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٢) حديث خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضرب لباد الله الحديث ذكره صاحب القردوس من حديث على ولم يسنده ولله في مسنده (٣) حديث من لم يهتم للسلمين فليس منهم الحاكم من حديث حذيفة والطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وكلاهما ضعيف (٤) حديث من عاد مريضاً فقد في مخارف الجنة الحديث أصحاب السنن والحاكم من حديث على من آتى أخاه السلم عائداً مشى في خرافة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن كان مساء الحديث لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذي ولمسلم من حديث ثوبان من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة (٥) حديث إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قد عند قرت فيه الحاكم والبيهقي من حديث جابر وقال انتمس فيها قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك في الوطأ بلاغا بلفظ قرت فيه ورواه الواقدي بلفظ استقر فيها والطبراني في الصغير من حديث أنس فإذا قد عند غمرته الرحمة وله في الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمر بن حزم استنفع فيها (٦) حديث إذا عاد للسم أخاه أوزاره قال الله تعالى طيب وطاب ممثلك وتبوات منزلاً في الجنة الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة إلا أنه قال ناداه مناد قال الترمذي غريب قلت فيه عيسى بن سنان القسطلي ضعفه الجمهور (٧) حديث إذا مرض العبد بعث الله تعالى

[١] حديث من حمى مؤمناً قال الشارح لم يذكره العراقي ورواه ابن البارك وأحمد وأبو داود وابن أبي الدنيا في ذم النية والطبراني عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه .

عليه وسلم « من رد الله به خيرا يسب عنه »^(١) وقال عثمان رضى الله عنه مرضت فمادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد قلما مرارا »^(٢) ودخل علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهو مريض فقال له « قل اللهم إني أسألك تسجيل عاقبتك أو صبرا على بيتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك فانك ستعطي إحداهن »^(٣) ويستحب للمريض أن يقول أعود بركة الله وقدرته من شر ما تجد وأحافظ . وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه إذا شك أحدكم ببله فليأكل امرأته شيئا من صدقاتها ويشتري به عبدا ويهربه بماء السماء فيجتمع له الحفي والري والشفاء والبارك . وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال يقول لا إله إلا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحانه الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبيرا إن كبرياؤنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إن أنت أمرتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدني من النار كما باعدت أوليائك الذين سبقت لهم منك الحسنى »^(٤) وروى أنه قال عليه السلام « عبادة المريض بعد ثلاث فواق ناقة »^(٥) وقال طاوس أفضل العبادة أخفها وقال ابن عباس رضى الله عنهما عبادة المريض مرة سنة لما ازدادت فافقة ، وقال بعضهم عبادة المريض بعد ثلاث ، وقال عليه السلام « أغبوا في العبادة وأربوا فيها »^(٦) وحجة أدب المرض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفرق إلى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء . ومنها أن يشيع جنازته قال صلى الله عليه وسلم « من شيع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان »^(٧) وفي الخبر « القيراط مثل أحد »^(٨) ولما روى أبو هريرة هذا الحديث وصححه ابن عمر ملكين فقال انظرا ما يقول لعمري أنه الحديث مالك في اللوطا مسلما من حديث عطاء بن يسار ورواه ابن عبد البر في التمهيد من روايته عن أبي سعيد الخدري وفيه عباد بن كثير التميمي ضعيف الحديث والبيهقي من حديث أبي هريرة قال الله تعالى إذا ابتليت عبدي المؤمن فلترشكي إلى عواده أطلقت من إيساري ثم أبدله لما خيرا من لعمري ما خيرا من دمه ثم سألف العمل وإسناده جيد (١) حديث من رد الله به خيرا يسب منه البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث عثمان مرضت فمادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد الحديث ابن السني في اليوم والليلة والطبراني والبيهقي في الأدعية من حديث عثمان بن عفان بإسناد حسن . (٣) حديث دخل علي بن أبي طالب وهو مريض فقال قل اللهم إني أسألك تسجيل عاقبتك الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل وهو يشكى ولم يسم عليه وروى البيهقي في الدعوات من حديث عائشة أن جبريل علمها للنبي صلى الله عليه وسلم وقال إن الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات (٤) حديث أبي هريرة : ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار ابن أبي الدنيا في الدعاء وفي المرض والشفقات (٥) حديث عبادة المريض فواق ناقة ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة (٦) حديث أغبوا في العبادة وأربوا ابن أبي الدنيا وفيه أبو يعلى من حديث جابر وزاد إلا أن يكون مغلوبا وإسناده ضعيف (٧) حديث من تبع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان الشيخان من حديث أبي هريرة (٨) حديث القيراط مثل جبل أحد مسلم من حديث ثوبان وأبي هريرة وأصله متفق عليه .

قال لقد فرطنا إلى الآن في ترويض كثيرة والقصد من التشيع قضاء حق المسلمين والاعتبار وكان مكحول المسمى إذا رأى جنازة قال اغدوا فإننا نحن موعظة بلغة وغفلة سرية يذهب الأول والآخر لا عقل له ، وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهوسكي ويقول واقلنا نرى عيني حتى أعلم إلى ما صرت ولا والله لأعلم ما كنت حيا . وقال الأعمش كنا نهند الجنازة فلاندرى لمن نغزى لحزن القوم كلهم ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترحمون على ميت فقال لوترحمون أشكم لكن أولي إنهم من أهوال ثلاث وجه ملك الموت قدرأى ومهارة الموت قد ذاق وخوف الحاجة قد آمن ، وقال صلى الله عليه وسلم « يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنتان ويقيم واحدة تبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويقيم عمله ^(١) » ومنها أن يزور قبورهم والقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال ^(٢) « ما رأيت منظرًا إلا والتبرأ أنقطع منه ^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى القابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فسكى وبكى فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قرأته بنت وهب استأذنت ربى في زيارتها فأذن لي واستأذنته في أن أستغفر لها فأبى حتى فأنذركنى ما يدرك الولد من الرقة ^(٤) » وكان عمر رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحية ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن القبور أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه ما به أسير وإن لم ينج منه فابعد ما شد ^(٥) » وقال مجاهد أول ما يبكيكم ابن آدم فخرته تقول أنا بيت اليهوديت الوحيدة بيت القرية وبيت الظلة فهذا ما أعددت لك لما أعددت لى ؟ قال أبو ذر الأنخري يوم قذى يوم أوصيه في قبرى ، وكان أبو الدرداء بعد إلى القبور فقبله في ذلك قال جلس إلى قوم يذكرون نبي معادى وإن قتلت عنهم لم يتأبوا وقال حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم يفكر لنفسه ولم يعم لم قد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم « ما من ليلة إلا وينادى مناد بأهل القبور من تقبضون قالوا تقبض أهل الساجد لأنهم يصومون ولا نسوم ويصلون ولا نصلى ويذكرون الله ولا نذكره ^(٦) » وقال سفيان من أكثر ذكر القبر وجدده روحه من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجدده حفرة من حفرات النار وكان الريح بين خيمه قد حفر في داره قبرًا فكان إذا وجد في قلبه قسوة دخل فيه فاستطجع فيه ومكث ساعة ثم قال - رب ارجعوني لعلى أعمل صالحًا فيما تركت - ثم يقول يا ربيع قد أراجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى القبرة فلما نظر إلى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمة كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في قدامهم أما تراهم صرعى قد خلت بهم اللات وأصاب الهوام من أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدًا أنتم عن صار إلى هذه القبور وقد آمن عذاب الله . وآداب العزى خفض الجناح وإظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسيم . وآداب تشييع الجنازة لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة البيت والتفكير في اللوث والاستعداد له

(١) حديث يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنتان ويقيم واحدة مسلم من حديث أنس (٢) حديث ما رأيت منظرًا منظرًا إلا والتبرأ أنقطع منه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الاستاذ رقل الترمذى حسن غريب (٣) حديث عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى القابر فجلس إلى قبر الحديث في زيارته قبر أمه مسلم من حديث أبي هريرة مختصراً وأحمد من حديث بريدة وفيه قيام عمر ففداء بالآب والأم يقول يا رسول مالك الحديث (٤) حديث عثمان بن عفان إن القبر أول منازل الآخرة الحديث الترمذى وحسنه ابن ماجه والحاكم وصححه إسناده (٥) حديث ما من ليلة إلا وينادى مناد بأهل القبور من تقبضون فيقولون تقبض أهل الساجد الحديث لم أجده أصلاً .

الراسخين في السلم
أحوال في دخولهم في
التفكير تخص بهم
وذلك أنهم بعد طول
المجاهدات والراقبات
والرياضات تطلعت
نفسهم وتقبل قلوبهم
والقلوب إقبال وإدبار
يقول بعضهم : إن
القلوب إقبالاً وإدباراً
فاذا أدبرت روح
بالأفاق وإذا أقبلت
ردت إلى الشياق فتبقى
قلوبهم دائماً الإقبال
إلا اليسير ولا يدوم
إقبالها إلا لطائف
النفوس وكفها عن
النار عتورتك التشيع
في القلوب فاذا اطمانت
النفوس واستقرت
عن طينتها وغورها
وشراسبتها توفرت عليها
حقوقها وربما يصير
من حقوقها حظوظها
لأن في أداء الحق
إتقانا وفي أخذ الحظ
انصافاً وهذا من دقيق
علم الصوفية قائم
يشمون بالنسكاح
الباح إصلاً إلى النفس
حظوظها لأنها مازالت

وأن يمشي أمام الجنازة بقرنها والاسراع بالجنازة سنة ^(١) فهذه جملة آداب تنبيه على آداب العائشة مع عموم الخلق ، والجملة الجامعة فيه أن لا تستعصر منهم أحدا حيا كان أو ميتا فتهلك لأنك لا تدري له خیر منك فانه وإن كان فاسقا فقله عتمة لك بمثل حاله وجمته له بالصالح ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فإن الدنيا صغيرة عند الله صغيرة ما فيها ومهما عظم أهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا تبدل لهم دينك لتتال من دنياهم فتصرف في أميهم ثم تحرم دنياهم فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العدواة فيطول الأمر عليك في العادة وينهب دينك وديناك فيهم وينهب دينهم فيك إلا إذا رأيت منكرا في الدين فصادى أمهاتهم القبيحة وتنظر إليهم بين الرحمة لهم تعرضهم لمت الله وعقوبته بصيانتهم لحبهم جهنم يصلونها فمالك تحمد عليهم ولاتسكن إليهم في مودتهم لك وثناهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة إلا واحدا وربما لا تجده ولا تشك إليهم أحوالهم فيكلك الله إليهم ولا تطعم أن يكونوا لك في التيب والسر كما في العلانية فذلك طمع كاذب وآتى تغلف به ولا تطعم فيها في أيديهم فتستعمل الذل ولاتال الفرض ولا تمل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء وإذا سألت أحدا منهم حاجة قضاهم فهو أنع مستغاد وإن لم يخض فلا تعانیه فيصبر عدوا تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه غايل القول فلا يسمع منك وبإديك وليكن وعظك عرضا واسترسالا من غير نصب على الشخص ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستند بالله أن يكلك إليهم وإذا بلغك عنهم غيبة أو رأيت منهم شرا أو أصابك منهم ما يبرؤك فكل أمرهم إلى الله واستند بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمسكافة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موسى ، واعتقد أنك لو استعقبت ذلك لجعل الله لك موصيا في قلوبهم فقه الحب واللبس إلى القلوب وكن فيهم جميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر محبة أكثر الناس فهم لا يقبلون عثرة ولا يفرزون زلة ولا يسترزون عورة ويحاسبون على الغير والعظيم ويعسدون على القليل والكبير يتعسفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والسيان ولا يفتنون بفرون الاخوان على الاخوان بالقيمة والبيان فضيحة أكثرهم خسران وقطعهم رجحان إن رضوا فظاهرهم للثق وإن سخطوا فباطنهم الحق لا يؤمنون في حزمهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون ورايك بالعدون ويتربصون بصديقهم من الحسد رب اللون يحسبون عليك العثرات في محبتهم لواجبهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تعمل على مودة من لم تخبره حق الخبره بأن تصعبه مدة في دار أو موضع واحد تجر به في عزله وولايته وغناه وقره أو تسافر معه أو تامله في الديار والبرهم أو تقع في شدة فتحتاج إليه فإن رضىته في هذه الأحوال فاتخذته أبلك إن كان كبيرا أو أبناك إن كان صغيرا أو أخاك إن كان مثلك ، فهذه جملة آداب العائشة مع أصناف الخلق .

(حقوق الجوار)

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراه ما تقتضيه أخوة الإسلام فيستحق الجوار السلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم « الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ، فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذوالرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم

(١) حديث الاسراع بالجنازة متفق عليه من حديث أن هرة اسرعوا بالجنازة الحديث .

تخالف هو اهاحق سار
داؤهادواها وصارت
الشموات البساعة
واللذات والشرعة
لاتضرها ولا تفرعها
عزائمها بل كالأوصاف
النفوس الزكية إلى
حظوظها ازداد القلب
انفراحا وانفسا
ويصير بين القلب
والنفس موافقة بسطف
أحدهما على الآخر
وزداد كل واحد منهما
عما يدخل على الآخر
من الحظ كلما أخذ
القلب حظه من الله
خلع على النفس خلع
الطمأنينة فيكون
مزيد السكينة للقلب
مزيد الطمأنينة للنفس
وينشد :
إن الساء إذا اكتست
كست ترى
حالا يدبها التمام
الرام
وكما أخذت النفس
حظها تروح القلب
تروح الجار الشفق
براحة الجار . سمعت
بعض الفقهاء يقول :
النفس تقول للقلب كن

وأما الذي له حنان فأخبار السلم له حق الجوار وحق الاسلام ، وأما الذي له حق واحد فأخبار الشرك (١) فانظر كيف أثبت للشرك حقاً ، بجرم الجوار ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً » (٢) وقال النبي ﷺ « مازال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (٤) وقال صلى الله عليه عليه وسلم « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « أول خصمين يوم القيامة جاران » (٦) وقال عليه الصلاة والسلام « إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيت » (٧) وروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له : إنني جارا يؤذني ويشتمني ويشقي عليّ قل له اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه ، وقيل لرسول الله ﷺ « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار » (٨) . وجاء رجل إليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك في الطريق قال ففعل الناس يحرمون به ويقولون ذلك فقال آذاه جاره قال ففعلوا يقولون لئنه الله فجاءه جاره فقال له برد متاعك فوافقه لا أعود (٩) وروى الزهري « وأن رجل أتى النبي عليه السلام فبشكو جاره فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي على باب المسجد ألا أربعين داراً جار (١٠) » قال الزهري أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأوماً إلى أربع جهات وقال عليه السلام « الجبن والشؤم في المرأة والسكن والفرس فيمن للراة خفة مهرها وسه نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وسه نكاحها وسوء خلقها وعن السكن سمته وحنن جوار أهلها وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهلها وعن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صغوبته وسوء خلقه » (١١) .

(١) حديث الجيران ثلاثة جاره له حق وجاره له حقان وجاره ثلاثة حقوق الحديث الحسن بن سفيان والزار في مسندهما وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر وابن عدى من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف (٢) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً تقدم (٣) حديث مازال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه متفق عليه من حديث عائشة وابن عمر (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديث أبي شريح (٥) حديث لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه البخاري من حديث أبي شريح أيضاً (٦) حديث أول خصمين يوم القيامة جاران أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف (٧) حديث إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذنته لم أجده أصلاً (٨) حديث إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال هي في النار ، أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد (٨) حديث جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال اسبر ثم قاله في الثالثة أوالرابعة الطرح متاعك على الطريق الحديث أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم (١٠) حديث الزهري ألا إن أربعين داراً جار أبو داود في الراسيل ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة وقال أرهون ذراعاً وكلاهما ضعيف (١١) حديث العجين والشؤم في المرأة والسكن والقرس فيمن المرأة خفة مهرها الحديث مسلم من حديث ابن عمر الشؤم في الدار والمرأة والقرس وفي رواية له إن بك من الشؤم شيء حقاؤه من حديث سهل بن سعد إن كان في القرس والمرأة والسكن وللترمذي من حديث حكيم بن معاوية لشؤم وقد يكون العجن في الدار والمرأة والقرس ورواه ابن ماجه فساء محمد بن معاوية للطبراني من حديث أساء بنت عميس قالت يا رسول الله ما سوء الدار قال عجن ساحتها وخبت جيرانها .

معى فى الطعام أكن
مبك فى الصلاة وهذا
من الأحوال العزیزة
لتصلح إلامالم رانى
وكم من معك بهلك
بوجهه هذا فى نفسه
ومثل هذا العبد یرداد
بالسكاح ولا یفص
والعبد إذا كل علیه
یأخذ من الأشياء ولا
تأخذ الأشياء منه وقد
كان الجذید یقول :
أنا أحتاج إلی الزوجة
كما أحتاج إلی الطعام
وسمع بعض العلماء
بعض الناس یطعن فى
الصوفیة فقال باهذا
ما الذى یفصهم عنك
فقال یا كلون كثیرا
فقال وأنت ایضا لو جئت
كما یجوعون أكلت
كما یا كلون ثم قال :
ویرجون كثیرا قال
وأنت ایضا لو حفظت
فربك كما یحفظون
ترجون كما یرجون
قال وأی شیء ایضا
قال یسمعون القول قال
وأنت ایضا لو نظرت
كما ی نظرون سمعت كما

واعلم أنه ليس حق الجوار كحق الأذى قطع بل احتمال الأذى فإن الجار أبشأ قد كُف أذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكتفي احتمال الأذى بل لابد من الرفق وإسداء الخير والبروف إذ يقال إن الجار الفقير يتعاقب بجاره التي يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لمننني معروفه وسد بابه دوني وبلغ ابن القفيع أن جارا له يبيع داره في دين ركه وكان يجلس في ظل داره فقال ما كنت إذا بحجرة ظل داره إن باعها معدما قدفع إليه من الدار وقال لا تبعها ، وشكا بعضهم كثرة القار في داره فقبله لو اقترنت هرا فقال أخشى أن يسمع القار صوت الحرف فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم مالا أحب لنفسي ، وجملة حق الجار أن يسدها بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويسوده في الرض ويمزجه في السمية ويقوم معه في المزاء ويهتبه في الفرح ويظهر الشكر في السرور معه ويصنع عن زلاته ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ولا يضايقه في وضع الجنع على جداره ولا في مصب الماء في مزابه ولا في مطرح التراب في فثاته ولا يضيق طريقه إلى الدار ولا يبعثه النظر فيما عمله إلى داره ويستمر ما ينكشف له من عوراته وينتبه من صرعته إذا نابتة نائلة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما وينص بصره عن حرمة ولا يديم النظر إلى خادمته ويتلطف بولده في كلامه ويرشده إلى ما يحبه من أمر دينه ودنياه ، هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أغنته وإن استصرك نصرته وإن استغفرك أغفرت له وإن افتقر عدت عليه وإن مرض عده وإن مات تبع جنازته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزته ولا تستعمل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بأذنه ولا تؤذنه وإذا اشتريت فأكفه فأفده له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولداك ليظن بها ولده ولا تؤذنه بفنار قدرك إلا أن تتصرف له منها ، ثم قال أتدرون ما حق الجار ؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله » هكذا رواه عمرو بن عبيد عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال مجاهد « كنت عند عبد الله بن عمر وعظماؤه يسلمون على قال يا غلام إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمزل يوصينا بالجوار حتى خشينا أنه سيورثه » وقال هشام : كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودي والتصراني من أميكتك ، وقال أبو ذر رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال « إذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها » وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله إن لي جارين أحدهما مقبل علي يابه والآخر ناء

قبل فما سوء الدابة ؟ قال منها ظهرها وسوء خلقها ، قبل فما سوء المرأة ؟ قال عقم رحمها وسوء خلقها وكلامها ضعيف ورويتها في كتاب الحبل للديلمي من رواية سالم بن عبد الله مرسل إذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤم وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجها قبل زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهي مشؤمة وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع فيها الأذان والاقامة فهي مشؤمة وإسناده ضعيف ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر في (١) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أغنته وإن استغفرك أغفرت له وأمرضك أقرضته الحديث الحارثي في كتابه الأخلاق وابن عدي في الكامل وهو ضعيف (٢) حديث مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلامه يسلمون على قال يا غلام إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي الحديث أبو داود والترمذي وقال حسن غريب (٣) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم إذا طبخت فأكثر الرق ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها مسلم .

يسمعون . وكان سلمان ابن عيسى يقول كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول خير هذه الأمة أكثرها نساء وقد ذكر في أخبار الأنبياء أن عابدات بيت للعبادة حتى فاق أهل زمانه فذكر لني ذلك الزمان قال نعم الرجل لولاه تبارك لني ممن السنة فني ذلك إلى العابد فأهمه فقال ما تنصني عبادتي وأنا تارك السنة فجاء إلى النبي عليه السلام فأله فقال نعم إنك تارك الزوج فقال ما تنصني لأنني أحرمه وما مننني منه إلا أني فقير لشيء لي وأنا عابد على الناس بطمعي هذا مرة فأكره أن تزوج

بابه عن وربما كان الذي عندي لا يسميها فأبها أعظم حقا قال القيل عليك يابه (١) ورأى الصديق ولله عبد الرحمن وهو بناسي جارا له فقال لاتناس جارك فان هذا يتيق والناس يلعبون . وقال الحسن بن عيسى النيسابوري : سألت عبد الله بن المبارك قتل الرجل الجاور بأثني فيسكو غلامي أنه أتى إليه أمرا والقلام يشكره فأكره أن أضربه ولله برى وأكره أن أدعه فيجد على جاري فكيف أصنع ؟ قال إن غلامك لعله أن يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب فأحفظه عليه فإذا شكاه جارك فأدبه على ذلك الحدث فتكون قد أرضيت جارك وأدبته على ذلك الحدث وهذا تلتطف في الجمع بين الحثين . وقالت عائشة رضي الله عنها خلال للكرم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أياه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن أحب : صدق الحديث وصدق الناس وإعطاء السائل ولكفاة الصانع وصلة الرحم وحفظ الأمانة والتدعيم للجوار والتنميص للمصاحب وقرى الضيف ورأسين الحياء . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا معشر المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن من سعادة المرء المسلم للسكن الواسع والجوار الصالح والركب الهنيء » (٣) وقال عبد الله قال رجل يارسول الله « كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت وإذا سمعهم يقولون قد أسأت قد أسأت » (٤) وقال جابر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كان له جار في حائط أو شريك فلا يهمل حتى يرضه عليه » (٥) وقال أبو هريرة رضي الله عنه « قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى » (٦) وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يمتحن أحدكم جاره أن يضع خشبه في جداره » وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول مالي أراكم عنها معرضين والله لأرميها بين أكتافكم وقد ذهب بمنى السماء إلى وجوب ذلك وقال صلى الله عليه وسلم « من أراد الله بخيرا عساه قبل وما عساه قال يعبه إلى جيرانه » (٧) .

(١) حديث عائشة قتل يارسول الله إن لي جارين الحديث رواه البخاري (٢) حديث أبي هريرة بناساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة رواه البخاري (٣) حديث إن من سعادة المرء المسلم للسكن الواسع والجوار الصالح والركب الهنيء أحمد من حديث نافع بن عبد الحارث وسعد بن أبي وقاص وحديث نافع أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد (٤) حديث عبد الله قال رجل يارسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت أخذوا الطبراني وعبد الله هو ابن مسعود وإسناده جيد (٥) حديث جابر من كان له جار في حائط أو شريك فلا يهمل حتى يرضه عليه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجوار وقال صحيح الإسناد وهو عند الحرثاني في مكارم الأخلاق بلفظ للصف ولابن ماجه من حديث ابن عباس من كانت له أرض فأرديعها فليرضها على جاره ورجاله رجال الصالح (٦) حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى الحرثاني في مكارم الأخلاق هكذا وهو متفق عليه بلفظ لا يمتحن أحدكم جاره أن يرض خشبه في حائطه رواه ابن ماجه بإسناد ضيف واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة (٧) حديث من أراد الله بخيرا عساه أحمد من حديث أبي عتبة الحلواني ورواه الحرثاني في مكارم الأخلاق والبيهقي في الزهد من حديث عمرو بن الحنفى زاد الحرثاني قبل وما عساه قال يعبه إلى جيرانه وقال البيهقي بفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضه عن حوله وإسناده جيد .

بإمرأة أعزلها أو أرهقها بهذا قال له النبي عليه الصلاة والسلام وما يمتك لإلهذا قال نعم قال أنا أزوجك ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته وكان عبد الله بن مسعود يقول لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام أحببت أن أتزوج ولا أتقى الله عزبا وما ذكر الله تعالى في القرآن من الأنبياء إلا التالطين . وقيل إن يحيى بن زكريا عليهما السلام تزوج لأجل السنة ولم يكن يفرها وقيل إن عيسى عليه السلام سينكح إذا نزل إلى الأرض وبوله له . وقيل إن ركة من متأهل خير من سبعين ركة من عزب أخبرنا الشيخ طاهر بن أبي الفضل قال أنا أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن المهدي القومى القزويني قال أنا أبو طلحة القاسم

(حقوق الأقارب والرحم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا الرحمن وهذه الرحم شققن لها اسماء من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من سره أن يسأله في أثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه ^(٢) » وفي رواية أخرى « من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليطلق الله ويصل رحمه » وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي الناس أفضل ؟ قال أنعام الله وأوصلهم لرحمه وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ^(٣) » وقال أبوذر رضي الله عنه « أوصاني خليلي عليه السلام بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمسكاف ^(٥) ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها ^(٦) » وقال عليه السلام « إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى إن أهل البيت لبيكونون لجارا قنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم ^(٧) » وقال زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فليلك بيني مدج قال عليه السلام « إن الله قد منحنى من بيني مدج بصلتهم الرحم ^(٨) » وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قدمت على أمي فقلت يا رسول الله إن أمي قدمت على وهي مشركة أفأصلها ؟ قال نعم ^(٩) » وفي رواية أنا أعطيتها قال نعم صلها وقال عليه السلام « الصدقة على السالكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ^(١٠) » ولما أراد أبو طلحة أن يتصدق بحائط كان له يسجبه عملا بقوله تعالى - لن تتألفوا البرحق تنفقوا مما تحبون - ^(١١) قال يا رسول الله هو في سبيل الله وللغفراء والسالكين فقال عليه السلام « وجب أجرك على الله فاقسمه في أقاربك » وقال عليه السلام « أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح ^(١٢) »

- (١) حديث يقول الله أنا الرحمن وهذه الرحم الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث من سره أن يسأله في أثره ويوسع عليه في رزقه فليطلق الله ويصل رحمه متفق عليه من حديث أنس دون قوله فليطلق الله وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث علي بن إسحاق جلد (٣) حديث أي الناس أفضل قال أنعام الله وأوصلهم لرحمه أحمد والطبراني من حديث درة بنت أبي لهب بإسناد حسن (٤) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا ، أحمد وابن حبان وصححه (٥) حديث إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمسكاف ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها الطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو وهو عند البخاري دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث عائشة (٦) حديث أعجل الطاعات ثوابا صلة الرحم الحديث ابن حبان من حديث أبي بكره والحراطين في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند ضيف (٧) حديث زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فليلك بيني مدج قال إن الله منحنى من بيني مدج بصلتهم الرحم الحراطين في مكارم الأخلاق وزاد وطعنهم في لبات الإبل وهو مرسل صحيح الإسناد (٨) حديث أسماء بنت أبي بكر قدمت على أمي فقلت يا رسول الله قدمت على أمي وهي مشركة أفأصلها قال نعم صلها متفق عليه (٩) حديث الصدقة على السالكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبي (١٠) حديث لما أراد أبو طلحة أن يتصدق بحائط له كان يسجبه عملا بقوله تعالى - لن تتألفوا البرحق تنفقوا مما تحبون - الحديث أخرجه البخاري وقد تقدم (١١) حديث أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح أحمد والطبراني من حديث أبي أيوب وفيه الحجاج

ابن أبي البدر الخطيب قال ثنا أبو الحسن علي ابن إبراهيم بن سلمة القطان قال ثنا أبو عبد الله بن محمد يزيد بن ماجه قال ثنا أحمد بن الأزهر قال حدثنا آدم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النكاح سفق فمن لم يعمل بسنني فليس مني فزوجوا إناي منكم بكم الأثم ومن كان ذا طول فليتكع ومن لم يجد ضلته بالصيام فإن الصوم له وجاء » ومما ينبغي للتأهل أن يحذر من الإفراط في المخالطة والمشاركة الزوجية إلى حد ينقطع عن أوراده وسياسة أوقاته فإن الإفراط في ذلك يقوى النفس وجنودها ويفترهاض الهمة . وللتأهل بسبب الزوجة فنتان فنة لصوم حاله وقتها

وهو في معنى قوله «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتمطى من حرمك وتصنع عمن ظلك»^(١) وروى أن حمير بن عيسى عنه كتب إلى عماله مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوزوا وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزام على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم .

(حقوق الوالدين والولد)

لا يخفى أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الأرحام وأمسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم « لن يجزى ولد والده حتى يحد مملوكا فيشتريه فيعتقه »^(٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم « برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله »^(٣) وقد قال ﷺ « من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ومن أسى قتل ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلم وإن ظلم ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار وإن أسى مثل ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلم وإن ظلم وإن ظلم »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الجنة يوجد ربها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ربها عاق ولا قاطع رحم »^(٥) وقال ﷺ « برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك »^(٦) وروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى إنه من برّ والديه وعفى كذبته بارا ومن برى وعفى والديه كتبته عاقا ، وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يحم له فأوحى الله إليه أن تعامل أن تقوم لأبيك وعزى وجلالى لا أخرجت من سلبك نيبا وقال صلى الله عليه وسلم « ما على أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجرهما من غير أن ينقص من أجرهما شيء »^(٧) وقال مالك بن ربيعة بيننا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن أرملة ورواه البيهقي من حديث أم كلثوم بنت عقبة (١) حديث أفضل الفضائل أن تصل من قطعك الحديث أحمد من حديث معاذ بن أنس بسند ضعيف للطبراني نحوه من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٢) حديث لن يجزى ولد والده حتى يحد مملوكا فيشتريه فيعتقه مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد لم أجده هكذا وروى أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط من حديث أنس أن رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أشهى الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والديك أحد ، قال أمي قال قابل الله في بها فإذا فلت ذلك فأنت حاج ومعتبر ومجاهد وإسناده حسن (٤) حديث من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة الحديث البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس ولا يصح (٥) حديث إن الجنة يوجد ربها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ربها عاق ولا قاطع رحم الطبراني في الصغير من حديث أبي هريرة دون ذكر القاطع وهي في الأوسط من حديث جابر إلا أنه قال من مسيرة ألف عام وإسنادهما ضعيف (٦) حديث برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك للنسائي من حديث طارق الهاربي وأحمد والحاكم من حديث أبي رمة ولأبي داود نحوه من حديث كليب بن منقعة عن جده وله ولترمذي والحاكم وصححه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : من أبر قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال رجل من أحق الناس بحسن الصحبة قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك فقط مسلم (٧) حديث ما على أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند ضعيف دون قوله إذا كانا مسلمين .

لخصوص حاله فتنه
محموم حاله الاغرافي
الاهتمام بأسباب
الليونة . كان الحسن
يقول : والله ما أصبح
اليوم رجلا يطيع
امراته فبا نهوى إلا
أكبه الله على وجهه في
النار . وفي الخبر « يأتي
على الناس زمان يكون
هلاك الرجل على يد
زوجته وأبويه وولده
يعرونها بالقرى ويكفونه
ما لا يطيق فيدخل في
للداخل التي يذهب فيها
دينه في ذلك » . وروى
أن قوما دخلوا على
يوس عليه السلام
فأضافهم وكان يدخل
ويخرج إلى منزله
فتؤذبه امرأته
وتستطيل عليه وهو
ما كنت فجيوا من
ذلك وهابوه أن يسألوه
فقال لا تعجبوا من هذا
فإني سألت الله فقلت
يارب ما كنت معافي
بقي الآخرة فنجته لي في
الله نيا قال إن عفونتك
بنت فلان تزوج بها

إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من يرأبى شيء أبرها به بدو لهما ؟ قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإغذا عهدهما وإكرام صديقيهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ^(١) . وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل وده أبيه بعد أن يولى الأب ^(٢) » . وقال صلى الله عليه وسلم « ير الوالدة على الولد منصفان ^(٣) » . وقال صلى الله عليه وسلم « دعوة الوالدة أسرع إجابة قيل يا رسول الله لم ذاك قال هي أرحم من الأب ودعوة الأرحم لا تسقط ^(٤) » . وسأله رجل قال : يا رسول الله من أبر ؟ قال ير والدك فقال ليس لي والدان فقال ير ولدك كأن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق ^(٥) » . وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله والدا أمان ولده على بره ^(٦) » . أي لم يعمل على الحقوق بسوء عمله . وقال صلى الله عليه وسلم « ساووا بين أولادكم في العطية » . وقد قيل ولذلك رعيتك تشبه سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك وأثر بك . وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « الغلام يبق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين عزل فراهه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ يده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بأقمن فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة ^(٧) » . وقال صلى الله عليه وسلم « من حق الوالد على الولد أن يعمن أدبه ويعمن اسمه ^(٨) » . وقال عليه الصلاة والسلام « كل غلام رهين أو رهينة ببقية تدرج عنه يوم السابع ويخلق رأسه ^(٩) » . وقال قتادة إذا ذبحت الضيقة أخذت صوفة منها فاستقبل بها وأدجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل عنه مثل الحيط ثم يسل رأسه ويخلق بعد وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت

(١) حديث مالك بن ربيعة يتناخن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه رجل من بني سلمة فقال هل بقي على من يرأبى شيء الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد (٢) حديث إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل وده أبيه مسلم من حديث ابن عمر (٣) حديث ير الوالدة على الولد منصفان غريب بهذا اللفظ وقد تقدم قبل هذا بثلاثة أحاديث من حديث بهز بن حكيم وحديث أبي هريرة وهو معنى هذا الحديث (٤) حديث الوالدة أسرع إجابة الحديث ما قبله على أصل (٥) حديث قال رجل يا رسول الله من أبر ؟ قال ير والدك فقال ليس لي والدان فقال ولدك فكا أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق أبو عمر التوفاني في كتاب معاشره الأهلين من حديث عثمان بن عفان دون قوله فكا أن لوالديك الخ وهذه القطعة رواها الطبراني من حديث ابن عمر قال الدار قطني في العلل إن الأصح وقعه على ابن عمر (٦) حديث رحم الله والدا أمان ولده على بره أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث على بن أبي طالب وابن عمر بسند ضعيف ورواه التوفاني من رواية الشعبي مرسل (٧) حديث أنس الغلام يبق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ سبع سنين عزل فراهه فإذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة والصوم فإذا بلغ ستة عشر زوجه أبوه ثم أخذ يده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الضحايا والعقبة إلا أنه قال وأدبوه لسبع وزوجوه لسبع عشرة ولم يذكر الصوم في إسناده من لم يسم (٨) حديث من حق الولد على الوالد أن يعمن أدبه ويعمن اسمه الباقى في الشعب من حديث ابن عباس وحديث عائشة وضمفهما (٩) حديث كل غلام رهين أو رهينة ببقية تدرج عنه يوم السابع ويخلق رأسه أصحاب السنن من حديث حمزة قال الترمذى حسن صحيح .

فزوجت بها أو ناصبا
على ما ترون فإذا أفرط
الفقر في الداراة ربما
تعدى حد الاعتدال
في جوده للعيشة متطلبا
رضا الزوجة فهذا فتنه
عموم حاله . وقتة
خصوص حاله الإفراط
في الجالسة والمخالطة
فتنطلق النفس عن
قيد الاعتدال
وتسرق الغرض بطول
الاسترسال فيستولى
على القلب بسبب
ذلك السهو والتفقه
ويستجلس مقام اللهفة
فيقل الوارد لفة
الأوراد ويتكدر الحال
لأعمال شروط
الأعمال والطف من
هذين الفتنين فتنه
أخرى تختص بأهل
القرب والحضور وذلك
أن للنفس امتزاجا
وبرابطة الامتزاج
تتمدد وتشد
وتطرى . طبيعيا
الجامدة وتلتهم نارها
الحامدة فدواء هذه
الفتنة أن يكون للتأهل

أفنده ويستحب الرفق بالولد . رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه الصلاة والسلام « إن من لا يرحم لا يرحم » (١) وقالت عائشة رضي الله عنها « قال لي رسول الله ﷺ يوما اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أقة فغضب بيدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال : قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية » (٢) وتمت الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره فزل غفله وقرأ قوله تعالى - {إنما أموالكم وأولادكم فتنة} - (٣) وقال عبد الله بن شداد « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنك قد حدثت أمر فقال : إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أجهله حتى يقضى حاجته » (٤) وفي ذلك فوائد إحداهما القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لأمة . وقال ﷺ « ربح الولد من ربح الجنة » (٥) وقال يزيد بن معاوية أرسلني إلى الأحنف بن قيس فها واصل إليه قال : يا أبا بحر ما تقول في الولد ؟ قال يا أمير المؤمنين بحار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لم أرض ذليلة وصما ظليقة وبهم نصول على كل جيلة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم يمتنعوك ودم وجبوك جهنم ولا تسكن عليهم تملأ قبلا فيملأوا حيايتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية له أنت يا أحنف لقد دخلت على وأنا ملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضي عن يزيد وبث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقامه لما هاتى الشطر فنهض في الأخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقوقهما تعرف بما ذكرناه في حق الأخوة فإن هذه الرابطة آكد من الأخوة بل يزيد هنا أمران : أحدهما أننا أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات وإن لم تجب في الحرام المحض حتى إذا كانا يتنصان باعترادك عنهما بالطعام فضلك أن تأكل معهما لأن ترك الشبهة ورغ ورضا الوالدين حتم وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة إلا باذنها وللبادرة إلى الحج التي هو فرض الإسلام قل لأنه على التأخير والخروج لطلب العلم قل إلا إذا سكنت تطلب علم القرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك ذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الإسلام فضليه المعجزة ولا يتقيد بحق

(١) حديث رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال من لا يرحم لا يرحم البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث عائشة قال لي رسول الله ﷺ يوما اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أقة فغضب بيدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية لم أجده هكذا ولأحمد من حديث عائشة أن أسامة عثر بعتة الباب فدمى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسحه ويقول لو كان أسامة جارية لحلبنا ولكسوتها حتى أغفقا وإسناده صحيح (٣) حديث عثر الحسن وهو على منبره ﷺ فزل غفله وقرأ قوله تعالى - {إنما أموالكم وأولادكم فتنة} - أمحباب السنن من حديث يريدة في الحسن والحسين معا عشيان ويسران قال الترمذي حسن غريب (٤) حديث عبد الله بن شداد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاء الحسن فركب عنقه النسائي من رواية عبد الله بن شداد عن أبيه وقال فيه الحسن أو الحسين على الشك ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث ربح الولد من ربح الجنة الطبراني في الصغير والأوسط وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه منديل بن علي شريف .

حسد المجالسة عينان - بلطنان ينظر بهما إلى مولاهم وعينان ظاهران يستعملهما في طريق هواه . وقد قالت رابعة في معنى هذا نظما : إنى جلستك في القواد محدنى وأبحت جسمي من أرواد جلوسى طالجس منى الجلبس مؤانس . وجيب قلبي في القواد أنيس .

والطف من هذا فتنة أخرى جنبناها للتأهل وهو أن يصير للروح استرواح إلى لطف الجمال ويكون ذلك الاسترواح موقوفا على الروح ويصير ذلك وليجة في حب المروح الخصوص بالتعلق بالحضرة الالهية فتلبه الروح وينسب باب الزيد من الفتوح وهذه البلادة في الروح من الصور بها التلحذر ومن هذا القبيل دخلت الفتنة على طامحة

الوالدين قال أبو سعيد الخدري «هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال عليه السلام هل باليمن أبواك قال نعم قال هل أذنائك قال لا فقال عليه السلام فارجع إلى أبويك فاستأذنها فإن فعلا فجاهدوا وإلا فبرحها ما استطعت فإن ذلك خير مما تلقى الله به بعد التوحيد^(١)». وجاء آخر إليه صلى الله عليه وسلم ليستشير في النزول فقال لك والدة قال نعم قال فأتز مها فان الجنة عند رجلها^(٢)». وجاء آخر يطلب البسة على الهجرة وقال ماجشك حتى أبكت والدي فقال ارجع إليها فأضعكهما كما أبكتهما^(٣)» وقال عليه السلام «حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده^(٤)» وقال عليه السلام «إذا استصعب على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه^(٥)» (حقوق المملوك)

اعلم أن ملك النكاح قدس بقدر حقوقه في آداب النكاح فأما ملك اليمن فهو أيضا يقتضى حقوقا في العشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال «اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكفومهم من العمل ما يطيعون لما أحبتهم فأسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملككم إياهم ولو شاء لملككم إياكم^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق^(٧)» وقال عليه السلام «لا يدخل الجنة خب ولا منكبر ولا خان ولا سيء الملكة^(٨)» وقال

(١) حديث أبي سعيد الخدري هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم باليمن أبواك قال نعم الحديث أحمد وابن حبان دون قوله ما استطعت الخ (٢) حديث جاء آخر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستشير في النزول فقال لك والدة فقال نعم قال فأتز مها فان الجنة تحت قدمها النساء وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جاهمة أن جاهمة أتت النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح الإسناد (٣) حديث جاء آخر فقال ماجشك حتى أبكت والدي فقال ارجع إليها فأضعكهما كما أبكتهما أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الإسناد (٤) حديث حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود في الترغيب من رواية سعيد بن عمرو بن العاص مرسلًا ووصله صاحب مسند الفردوس فقال عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده سعيد ابن العاص وإسناده ضعيف (٥) حديث إذا استصعب على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث الحسين بن علي بن أبي طالب بسند ضعيف نحوه (٦) حديث كان من آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون الحديث الخ وهو مرفوع في عدة أحاديث فروى أبو داود من حديث علي كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وفي الصحيحين من حديث أنس كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ولهما من حديث أبي ذر أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكفومهم ما ينههم فإن كفتموهم فأعينوهم لفظ رواية مسلم وفي رواية لأبي داود من لا يمكن مملوكك فاطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لا يلبسك منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى وإسناده صحيح (٧) حديث للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق مسلم من حديث أبي هريرة (٨) حديث لا يدخل الجنة خب ولا منكبر ولا خان ولا سيء الملكة أحمد مجموعا والترمذي مفرقا وابن ماجه مقتصرًا على سيء الملكة من حديث أبي بكر وليس

قالوا بالمشاهدة وإذا كان في باب الحلال ولبحة في الحب يتولد منها بلاذة الروح في القيام بوغاثف حب الحضرة الإلهية فاما تلك فيمن يدعى ذلك في باب غير مشروع يفره سكون النفس فيظن أنه لو كان من قبيل المولى ما صحت النفس والنفس لا تسكن في ذلك دائما بل تسلب من الروح ذلك الوصف وتأخذ إليها على آني استبحنت مما يتلى به للفتونون بالمشاهدة فوجدت الهوى من ذلك من صورة الفسق عنده رغبة شراب الشهوة إذ لو ذهب علة الشراب ما بقيت الرغبة فليحذر ذلك جسدا ولا يسمع ممن يدعى فيه حالا وصحة فانه ككذاب مدع ولهذا للمنى قال الأطباء الجماع يسكن هيجان العشق وإن كان من غير

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نفروا عن الحانم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اغص عنه في كل يوم سبعين مرة (١)» وكان عمر رضي الله عنه يذهب إلى العوالي في كل يوم سبت فإذا وجد عبدا في عمل لا يطيعه وضع عنه من . وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلا طي دابته وغلامه يسمى خلفه فقال له يا عبد الله احمله خلفك فأما هو أخوك روحه مثل روحك فعلمه ثم قال لا يزال اليد بزاد من الله يبدأ ماشي خلفه . وقالت جارية لأبي الدرداء إني سمعتك منذ سنة فما عمل فيك شيئا فقال لم فست ذلك قالت أردت الراحة منك فقال ادعني عنى فأنت حر فلو جبه الله وقال الزهري متى قلت للملوك أخرجك الله فهو حر . وقيل للأحنف بن قيس ممن تلمعت الحلم ؟ قال من قيس بن عاصم ، قيل يا بلع من حله ؟ قال بينا هو جالس في داره إذ أتته خادمة بغفود عليه شواء فنسقط السفود من بها على ابنه فصره فأت قد هشت الجارية فقال ليس يكن روح هذه الجارية إلا المتي قال لها أنت حر لا بأس عليك وكان عون بن عبد الله إذا عصاه غلامه قال ما شريك بولاك مولاك يصي مولاه وأنت تصي مولاك فأغضبه يوما فقال إنما تريد أن أضربك انهب فأنت حر وكان عند سيمون بن مهران ضيف فاستجبل على جاريته بالعشاء فجات بسرعة ومعها قصبة مملوءة فشرت وأرأتها على رأس سيدها سيمون فقال يا جارية أحرقتي قالت بامم الحبر ومؤدب الناس أرجع إلى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت قال - والكاظمين الفيت - قال قد كظمت غيظي قالت سوا العافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت زد فإن الله تعالى يقول - والله يحب المحسنين - قال أنت حر فلو جبه الله تعالى . وقال ابن السكدر «إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل اليد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فلم يشفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح اليد فالتفت إليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسسك يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسألك بوجه الله فشفه فلما رأى أسسك يده قال فانه حر فلو جبه الله يا رسول الله فقال لو لم تفعل أصفحت وجهك النار (٢)» وقال **عليه السلام** «اليد إذا نصح لسيد أحسن عبادة الله فله أجره مرتين (٣)» ولما اعتق أبو رافع بكى وقال كان لي أجران فذهب أحدهما وقال صلى الله عليه وسلم «عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد ملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيد مو عفيف متنفذ وعيال وأول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة لا يسطي حق الله وقدره فخور (٤)» وعن أبي

للمتوق فيعلم أن
مستند الشهوة
ويكذب من يدعي
فيه سلا وهذه فنن
للتأهل وقتة العزب
ومرور النساء مخاطر
وتصورهن في متخيل
ومن أعطى الطهارة
في باطنه لا يدين باطنه
بغواطر الشهوة وإذا
منع الحاسرات يحرم
بحسن الانابة والباذ
بالمر بجوم سامر
السكر كنف الحاطر
وخرج من القلب إلى
الصدر وقد ذلك
يحذر حساس الضو
بالحاطر فيصير ذلك
عملا خفيا وما أفتج
مثل هذا بالصادق
للتطلع إلى الحضور
والبقظة فيكون ذلك
فايحة الحال وقديبل
مرور القاحشة بقلب
الصارفين كغسل
الفاعلين لها وإقاعلم.
[الباب الثاني
والصرون في القول
في السلام قولاً وإثاراً]
قال الله تعالى - ففسر

عند أحد منهم متكبر وزاد أحمد والترمذي البخيل واللان وهو ضعيف وحسن الترمذي أحد طريقه
(١) حديث ابن عمر جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نفوع الحقام
فصمت ثم قال أعف عنه كل يوم سبعين مرة أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح غريب
(٢) حديث ابن السكندر أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد
يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح العبد الحديث ابن
البارك في الزهد مرسل وفي رواية لمسلم في حديث أبي مسعود الآتي ذكره فجعل يقول أعوذ بالله قال
فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه وفي رواية له قلت هو حر لوجه الله فقال أما إنك لو لم
تصل للفحشك النار أو لمستك النار (٣) حديث إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره
مرتين مثق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث عرض لي أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول
ثلاثة يدخلون النار فأول ثلاثة يدخلون الجنة الشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربهم نصحه لسيده

مسعود الأنصاري قال «بينا أنا أضرب علاماً لي إذ سمعت صوتاً من خلفي أعلم بأنهم مسعود مرتين فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت السوط من يدي فقال : والله أنه أنذر عليك منك على هذا ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم «إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلوفاً فإنه أطيب لنفسه ^(٢) » ورواه معاذ . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فليناولوه لقمته ^(٣) » وفي رواية «إذا كنى أحدكم بملوك سنة طعامه فكفاه حره ومؤته وقرّبه إليه فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فليناولوه أو ليأخذ أكلة فليروغها وأشار بيده وليضعها في يده وليقل كل هذه . ودخل على سلمان رجل وهو يسجد فقال يا أبا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم في شغل فسكرهنا أن نجتمع عليه عمليين وقال صلى الله عليه وسلم «من كانت عنده جارية فصاتها وأحسن إليها ثم تزوجها فذلك له أجران ^(٤) » وقد قال صلى الله عليه وسلم «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ^(٥) » فجعلته حق للملوك أن يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر إليه بين الكبر والازدراء وأن يغفو عن زلة ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته أو يجنبه في معاصيه وجنابته حتى يحق الله تعالى وتقصيره في طاعته مع أن قدرة الله عليه فوق قدرته وروى فضالة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ثلاثة لا يسلّم عليهم رجل فارق الجماعة ورجل عصي إمامه فأت عاصياً فلا يزال عنهما وامرأة ظابعتها زوجها وقد كافها مؤنة الدنيا اقتربت بعده فلا يزال عنها وثلاثة لا يسأل عنهم رجل بنازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء وإزاره المز ورجل في شك من الله وقنوط من رحمة الله ^(٦) » ثم كتاب آداب الصلوة والمعاشرة مع أضاف الخلق.

(كتاب آداب العزلة)

(وهو الكتاب السادس من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بأن صرف مهمهم إلى مؤانسة وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح أسرارهم بتجارتها وملاطفتها وحق في قلوبهم النظر إلى منافع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بمنزلة كل من طويبت الحجب عن مجاري فكرته فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بذلك عن الأنس بالإنس وإن كان من أخص خاصته الحديث الترمذي وقال حسن وابن حبان من حديث أبي هريرة .

(١) حديث أبي مسعود الأنصاري بينا أنا أضرب غلاماً لي سمعت صوتاً من خلفي أعلم بأنهم مسعود مرتين الحديث ورواه مسلم (٢) حديث معاذ إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلوفاً فإنه أطيب لنفسه الطبراني في الأوسط والحرائطي في مكالم الأخلاق بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة وليأكل معه فإن أتى فليناولوه وفي رواية إذا كنى أحدكم بملوك سنة طعامه الحديث متفق عليه مع اختلاف لفظ وهو في مكالم الأخلاق للحرائطي باللفظين الذين ذكرهما الصنف غير أنه لم يذكر علاجاً وهذه اللفظة عند البخاري (٤) حديث من كانت عنده جارية فصاتها وأحسن إليها ثم أعنتها وتزوجها فذلك له أجران متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم (٦) حديث فضالة بن عبيد ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً الحديث الطبراني والحاكم وصححه .

(كتاب العزلة)

(الباب الأول في قول للذاهب والحجج فيها)

عباد الدين يستمرون القول فيقيمون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب - قبل أحسنه أي أهده وأرشده وقال عز وجل - وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول نرى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق - هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الإيمان محكوم لصاحبه بالهداية واللب وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين تفيض العين بالدمع لأنه تارة يثير حزناً والحزن حار وتارة يثير شوقاً والشوق حار وتارة يثير غماً والدمع حار فإذا آثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء يرد اليقين أبكى وأدمع لأن الحرارة والبرودة إذا اصطدما عصر إماماً فإذا ألم السماع بالقلب تارة غشّ لئلا يظهر

والصلاة على سيدنا محمد سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحبه سادة الحق وأئمة .

[أما بعد] فإن للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل إحداها على الأخرى مع أن كل واحد منهما لا يتفق عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إليها وميل أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصلابة من فضيلة المخالطة والوثاقة بكاد يناقض ما مال إليه أكثرهم من اختيار الاستيعاش والحلوة فكشف القطاء عن الحق في ذلك مهم ويحصل ذلك برسم بابين . الباب الأول : في قل للذاهب والحجج فيها . الباب الثاني : في كشف القطاء عن الحق بحصر القوائد والتوائل .

(الباب الأول في قل للذاهب والأقوال وذكر حجج القرنيين في ذلك)

أما للذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وإبراهيم بن آدم وداود الطائي وفضيل بن عياض وسليمان الحواري ويوسف بن أسباط وحذيفة للرعي وشمر الحافى وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان والتألف والتحبب إلى المؤمنين والاستئانة بهم في الدين تمالونا على البر والتقوى ومال إلى هذا سعيد بن المسيب والشعي وإن أنى ليل وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك ابن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل وجماعة ، ولما توارى عن العلماء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على البيل إلى أحد الرأيين وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة ليل فلتنقل الآن مطافات تلك الكلمات لتبين الذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نوره عند الترض لتوائل والقوائد فتقول قد روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وباللهم واعظا وقيل اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا . وقال أبو الريح الزاهد لداود الطائي عظمي قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد وقال الحسن رحمه الله كلمات أحفظهن من التوراة تقع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فلم ترك الشبوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروءته صبر قليلا فتسع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لم ين بكار ما أصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وأنا شاب أصبر على أكثر من هذا كنت أجالس الناس ولا أكلمهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شعب من الصويرة فسكت معنا سبعا لانسبح لكلاما قلناه يا هذا قد جمعنا الله وإياك مندسبع ولا تترك مخالطة ولا سكتنا فأنشأ يقول :

قليل المهم لا وله يموت ولا أمر يحاذر يخوت

فضي وطر الصبا وأفاد علما فضايته التردد والسكوت

وقال إبراهيم النخعي لرجل ثقته ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويسود الرضى ويسلى الإخوان حقوقهم ترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا ينبغي للمرء أن يغرب كل عذر له وقيل لمعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله تعالى وقال الفضيل إني لأجد للرجل عندي يدا إذا لقيني أن لا يسلم علي وإذا مرضت أن لا يودني وقال أبو سليمان الداراني بينا الربيع بن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه جبر صك جبهته فشبهه فيصع يمسح السهم ويقول لقد عظم الربيع مقام ودخل داره فجالس به ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته . وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لهما يوثهما بالعقيق فلم يكونا يأتیان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن أسباط سمعت سفيان الثوري يقول : واقد الذي لا إله إلا هو لقد حدثت العزلة

أثره في الجسد ويقتصر منه الجسد قال الله تعالى - تقتصر منه جلود الذين يغشون ربهم - وتارة يعظم وقصه ويتصوب أثره إلى فوق نحو السماع كالتصبر للشد والحادث فتندفع منه العين بالدمع وتارة يتصوب أثره إلى الروح فتخرج منه الروح موجا يكاد تضيق عنه نطق القلب فيكون من ذلك الصباح والاضطراب وهذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال وقد يحكمها بدلائل هوى النفس أرباب المجال . روى أن عمر رضي الله عنه كان ربما مر بآية في ورده فتخفه العبدة ويسقط ويلطم البيت اليوم واليومين حتى يباد ويحسب مرضا فالساج يستجلب الرحمة من الله الكريم . روى زيد بن أسلم قال

وقال بشر بن عبد الله أول من معرفة الناس قاتك لا تدري ما يكون يوم القيامة فإن تسكن ضحية كان من معرفك قليلا ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له ألك حاجة ؟ قال نعم قال وما هي ؟ قال أن لا تراني ولا أراك ولا تعرفني وقال الرجل لسهل أريد أن أحبك فقال إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر قال الله قال فليصحبه الآن وقيل للفضيل إن عليا ابنك يقول لوددت أني في مكان أرى الناس ولا يرونني فيكي الفضيل وقال يابوع علي أفلا أتبعك قال لأأراهم ولا يرونني وقال الفضيل أيضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفة وقال ابن عباس رضى الله عنهما أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى فيه أقاويل للسائلين إلى العزلة .

(ذكر حجج السائلين إلى المخالطة ووجه ضمتها)

احتج هؤلاء بقوله تعالى - ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا - الآية - وقوله تعالى - فأنت بين يديهم - أمين على الناس بالسبب للوثق وهذا ضعيف لأن الراد به تفرق الآراء واختلف المذهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة والراد بالألفة نزع القوائل من الصدور وهي الأسباب الشيرة لافتن الحركة للخصومات والعزلة لاتفاق ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » (١) وهذا أيضا ضعيف لأنه إشارة إلى منعة سوء الخلق التي تمتع بسببه للألفة ولا يدخل تحت الحسن الخلق الذي إن خالط ألف وألف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلب السلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « من فارق الجماعة شرا فخلع ربة الاسلام من عنته » وقال « من فارق الجماعة فمات فليته جاهلية » (٢) وقوله صلى الله عليه وسلم « من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربة الاسلام من عنته » (٣) وهذا ضعيف لأن الراد به الجماعة التي اتفقت آراهم على امام بعد البيعة فخرج عليهم بنى وذلك مخالفة بالرأى وخروج عليهم وذلك محذور لاضطرار الخلق إلى امام مطاع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك بالإبالية من الأكثر فالمخالفة فيها تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة . واحتجوا بنبيه صلى الله عليه وسلم عن المهاجر فوق ثلاث إذ قال « من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار » (٤) وقال عليه السلام « لا يعمل لاسرى » مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة » (٥) وقال « من هجر أخاه سنة فهو كفافك دمه » (٦) قالوا والعزلة هجرة بالكيفية وهذا ضعيف لأن الراد به التضييق على الناس والقجاج فيه يقطع الكلام والسلام والمخالطة للتأدب فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب مع أن المهاجر فوق ثلاث جائز في موضعين : أحدهما أن يرى فيه إصلاحا للمهجور في الزيادة . والثاني أن يرى لنفسه سلامة فيه والتي وإن كان عاما فهو محمول على ما وراء الوضمين المتخصصين بدليل ما روى عن عائشة رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم هجرها ذات الحجة

(١) حديث للؤمن من ألف مألوف الحديث تقدم في الباب الأول من آداب الصبغة (٢) حديث من ترك الجماعة فمات فليته جاهلية مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام (٣) حديث من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربة الاسلام الطبراني والخطابي في المنزلة من حديث ابن عباس بسند جيد (٤) حديث من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار أبو داود من حديث أنس بن مالك بسند صحيح (٥) حديث لا يعمل لاسرى أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجنة متفق عليه من حديث أنس بن مالك وقوله السابق بالصلح زاد فيه الطبراني والتي يبدأ بالصلح يسبق إلى الجنة (٦) حديث من هجر أخاه سنة فهو كفافك دمه أبو داود من حديث أبي خراش السلمي واسمه حذرد بن أبي حذرد وإسناده صحيح .

قرأ إلى بن كعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرقوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اغتصموا الصلابة عند الرقة فإنها رحمة من الله تعالى » وروى أم كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اقتصر جلد العبد من خشية الله تحمت عنه الذنوب كما تحمت عن الشجرة اليابسة ورقها » وورد أيضا « إذا اقتصر الجلد من خشية الله حرمه الله تعالى على النار » وهذه جملة لا تنكر ولا اختلاف فيها إنما الاختلاف في استماع الأشعار بالألحان وقد كثرت الأقوال في ذلك وتباينت الأحوال فمن منكر بلخصه بالفسق ومن مولع به يشهد بأنه واضح الحق ويتجاذبان في طرفي الإفراط والتفريط .

قال لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر الصلح وقد كان الجندوسرى

والهرم وبعض صفر^(١)» وروى عن عمر «أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآتى منهن شهرا وصعد إلى غرفة له وهي خزائنه فلبث تسعا وعشرين يوما فلما نزل قيل له إنك كنت فيها تسعا وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعا وعشرين^(٢)» وروى عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا يعمل مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لا تؤمن بوائبه^(٣)» فهذا صريح في التضييق وعلى هذا يؤول قول الحسن رحمه الله حيث قال : هجران الأحمق قرينة إلى الله فإن ذلك بدوم إلى الموت إذ الحاققة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم: سعد بن أبي وقاص كان مهاجرا لعمار بن ياسر حتى مات وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى ماتا وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة . واحتجوا بما روى «أن رجلا أتى الجبل ليتبذ فيه غي» به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في بعض مواطن الاسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عاما^(٤)» والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الاسلام بدليل ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال «غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نقرنا بشيء فيه عينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولني أفضل ذلك حتى أذكره لرسول الله ﷺ فقال صلى الله عليه وسلم : لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاته في أهله ستين عاما ألا تحبون أن يفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فانه من قاتل في سبيل الله فوق ناقة أدخله الله الجنة^(٥)» واحتجوا بما روى معاذ بن جبل أنه ﷺ قال «إن الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاردة وإياكم والشعاب وعليكم بالعامية والجماعة والمساجد^(٦)» وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسيأتي بيان ذلك وأن ذلك ينهي عنه بالإضرورة .

(ذكر حجج السائلين إلى تفضيل العزلة)

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام - واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوني - الآية ثم قال تعالى - فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله هبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا - إشارة إلى أن ذلك يركك العزلة وهذا ضيف لأن مخالطة الكفار لا فائدة فيها إلا لدعوتهم إلى الدين وعند البأس من إجابتهم فلا وجه إلا هجرهم وإنما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم هجر عائشة ذا الحجة والهرم وبعض صفر . قلت : إنما هجر زينب هذه اللة كما رواه أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه فهو عنده صالح (٢) حديث عمر أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآتى منهن شهرا الحديث متفق عليه (٣) حديث عائشة لا يعمل مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون ممن لا يأمن بوائبه ابن عسدي وقال غريب للثني والاستناد وحديث عائشة عند أبي داود دون الاستثناء بأسناد صحيح (٤) حديث أن رجلا أتى الجبل ليتبذ فيه غي» به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل الحديث البيهقي من حديث عيسى بن سلامة قال ابن عبد البر يقولون إن حديث مرسل وكذا ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٥) حديث أبي هريرة غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نقرنا بشيء فيه عينة طيبة الماء غزيرة فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب الحديث الترمذي وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم إلا أن الترمذي قال سبعة عا (٦) حديث معاذ بن جبل الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصية أحمد والطبراني ورواه ثقات إلا أن فيه انقطاعا .

النفطى وذو النون يسعون فقال كعب أنكر السباع وقد أجازوه وصحبه من هو خير مني فقد كان جسر الطيار يسمع وإنما للسكر الهو واللب في السباع وهذا قول صحيح . أخبرنا الشيخ طاهر بن أبي الفضل عن أبيه الحافظ القدسي قال أنا أبو القاسم الحسين بن محمد بن الحسن الخوافي قال أنا أبو محمد عبد الله ابن يوسف قال ثنا أبو بكر بن وثاب وقال عمرو بن الحرث قال ثنا الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها «أن أبا بكر دخل عليها وعندها جارية تفتيان وتضربان بدفين ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى بثوب فاتهما أبو بكر فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما يابا بكر فاتها أيام عيده»

لما روى أنه قيل « يا رسول الله الوضوء من جر غمر أحب إليك أو من هذه الطاهر التي يظهر منها الناس فقال بل من هذه الطاهر الخامس لبركة أيدي المسلمين » (١) وروى « أنه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم يشرب منها فإذا القمر المنع في حياض الأدم وقد منعه الناس بأيديهم وهم يشاولون منه ويشربون فاستسقى منه وقال اسقوني فقال العباس إن هذا التبدد شراب قد منعت وخيض بالأيدي أفلا أتيتك بمراب أنظف من هذا من جر غمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس الخمس بركة أيدي المسلمين فشرب منه » (٢) فإذا كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام - وإن لم تؤمنوا لي فاعزّلوا - وأنه عزّل إلى العزلة عند اليأس منهم وقال تعالى في أصحاب الكهف - وإذا اعتزلتكم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشركم ربكم من رحمة - أمرهم بالعزلة « وقد اعزّل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والمهجرة إلى أرض الحبشة » (٣) ثم تلاحقوا به إلى المدينة بعد أن أهل الله كلمته وهذا أيضا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم لأنه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل للمسلمين ولا من توقع إسلامهم من الكفار وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بضامهم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار وإنما النظر في العزلة من المسلمين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لبعده في عام الجهمي لما قال « يا رسول الله ما النجاة ؟ قال ليسك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك » (٤) وروى أنه قيل له صلى الله عليه وسلم « أي الناس أفضل ؟ قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى قيل ثم من ؟ قال رجل معتزل في شعب من الشعب يعبد ربه ويدع الناس من شره » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد التقي التقي الخفي » (٦) وفي الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر فأما قوله لعبد الله بن عامر

(١) حديث قيل له صلى الله عليه وسلم الوضوء من جر غمر أحب إليك أو من هذه الطاهر التي يظهر منها الناس فقال بل من هذه الطاهر الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٢) حديث لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم يشرب منها فإذا القمر المنع في حياض الأدم قدمته الناس بأيديهم الحديث وفيه فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس رواه الأزرقي في تاريخ مكة من حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية طاوس مرسل نحوه (٣) حديث اعتزاله صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والمهجرة إلى الحبشة الحديث رواه موسى بن عقيب في الغازي ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب مرسل رواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام مرسل أيضا ووصله من رواية أبي سلمة الحضرمي عن ابن عباس إلا أن ابن سعد ذكر أن الشريكين حصروا بني هاشم في الشعب وذكر موسى بن عقيب أن أبا طالب جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومغازي موسى بن عقيب أصح للغازي وذكر موسى بن عقيب أيضا أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج إلى أرض الحبشة ولأبي داود من حديث أبي موسى أمره أن ياتى صلى الله عليه وسلم أن يخلو إلى أرض النجاشي قال البيهقي وإسناده صحيح ولأحمد من حديث ابن مسعود بسند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي وروى ابن اسحق بإسناد جيد ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث أم سلمة إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا بيلاده الحديث (٤) حديث سأل عقيب بن عامر يا رسول الله ما النجاة ؟ فقال ليسك بيتك الحديث الترمذي من حديث عقيب وقال حسن (٥) حديث أي الناس أفضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري (٦) حديث إن الله يحب العبد التقي التقي الخفي مسلم

وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت رسولا الله صلى الله عليه وسلم يستترى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلمسون في السجد حتى أكون أنا أسام » قد ذكر الشيخ أبو طالب للسك رحمة الله ما يدل على تجوزها ونقل عن كثير من السلف صحابي وتابعي وغيرهم وقول الشيخ أبي طالب للسك يستبرأ لوقور علمه وكمال حاله وعلمه بأحوال السلف وسكان ورعه وتقواه ونحوه الأصواب والأولى وقال في البيع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام ومن سمعه بمقلوه على صفة مباح من جارية أو زوجة كان شبهة لدخول البهوى فيومن سمعه قلب يشاهد سمعني تدل على الدليل ويشهد طرق الجليل فهو مباح وهذا

فلا يمكن تنزيهه إلا على ما عرفة صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله وأن لزوم البيت كان ألحق به وأسلم له من المخالطة فإنه يأمر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج إلى الجهاد وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الذي يخالط الناس ويصبر على أذىهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذىهم » (١) وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام « رجل معتزل بعد ربه ويدع الناس من شره » فهذا إشارة إلى شرب بطبعه تأذي الناس بمخالطته وقوله « إن الله يحب التقي الخفي » إشارة إلى إثار الخمول وتوقي الشهرة ، وذلك لا يتعلق بالعزلة فكيف من راهب معتزل تعرفه كافة الناس وكهس غائط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة ، واحتجوا بما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى يا رسول الله فأشار يده نحو الغرب وقال رجل أخذ بنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ألا أنبئكم بخير الناس بعده وأشار يده نحو الحجاز وقال رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس » (٢) فإذا ظهر أن هذه الأدلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقاسية بعضها ببعض ليتبين الحق فيها .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضائلها)

اعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة التسكح والعزوبة ، وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ماضئهم من آفات التسكح وفوائده فكذلك القول فيها نحن فيه فلنذكر أولا فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوائده دينية ودنيوية والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم وإلى تخلف من ارتكاب الناهي التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة كالزنا والفتنة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء . وأما الدنيوية فتقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكين المحترف في خلوته إلى ما يخلف من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطعمها في الناس وطعم الناس فيه وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذي بسوء خلق الجليس في مرأته أو سوء ظنه أو توبيخته أو محاسناته والتأذي بقله وتشويه خلقته وإلى هذا ترجع مجاميع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد :

(الفائدة الأولى)

التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناعة الله تعالى عن مناجاة الحق والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة وملكوته السموات والأرض فإن ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة إلى الله ، ولهذا قال بعض الحكماء لا يتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله

من حديث سعد بن أبي وقاص (١) حديث الذي يخالط الناس ولا يصبر على أذىهم الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذي الصحابي قال شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطريق واحد (٢) حديث ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى قال فأشار يده نحو الغرب وقال رجل أخذ بنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه الحديث الطبراني من حديث أم مبشر إلا أنه قال نحو الشرق بدل الغرب وفيه ابن اسحق رواه بالنعنة وللترمذي والنسائي نحوه مختصرا من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائلها)

قول الشيخ أبي طالب السكي وهو الصحيح فإذا لا يطلق القول بمنعه ونحرجه والانسكار على من يسمح كفضل القراء للزهادين الباطنين في الانسكار ولا يفسح فيه على الإطلاق كفضل بعض الشبهين به المهملين شروطه وآدابهم للقيمين على الإصرار وتوصل الأمر فيه تفصيلا ونوضح للمهمة فيه نحرجه وتعليلا فأما الدق والشبهة وإن كان فيها في مذهب الشافعي فحة فالأولى تركها والأخذ بالأحوط والخروج من الخلاف وأما غير ذلك فإن كان من القصاص في ذكر اللجنة والنار والتشويق إلى دلر القرار ووصفهم لللك الجبار وذكر العبادات والتغريب في الحيزات فلا سبيل إلى الانسكار ومن ذلك القيل قصائد الغزاة

تعالى وللمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله القاء كرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ، ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم مخالطة عن الفكر والذكر فالزلة أولى بهم ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره يقتل في جبل حراء وينزل إليه حتى قوى فيه نور النبوة (١) فكان الخلق لا يحبونه عن الله فكان يدينه مع الخلق وقبله مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خله ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن استغراق همه بالله فقال «لو كنت متخذًا خليلًا لأتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله» (٢) ولئن بسع الجمع بين مخالطة الناس مظاهرها والاقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يتراكل ضيق نفسه فيقطع في ذلك ولا يبعد أن تنهى درجة بعض الأولياء إليه ، فقد قل عن الجليل أنه قال أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أنني أكلمهم بهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يلقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي الشهرين بحب الخلق من مخالطة الناس يدينه وهو لا يدري ما يقول ولا ما يقال له لفرط عشقه لحيوه بل الذي دهاه لم يشوش عليه أمرا من أمور دينه فقد يستغرقه لهم بحيث يخاطب الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه وأمرا الآخرة أعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالزلة ، ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي أرادوا بالخلة واختيار الزلة فقال يستدعون بذلك دوام الفكرة وتثبيت العلوم في قلوبهم ليجروا حياة طيبة وينفقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان ما أصبرك على الوحدة فقال ما أنا وحدي أنا جليس الله تعالى إذا شئت أن يتاحي قرأت كتابه وإذا شئت أن أتاجبه صليت وقيل لبعض الحكماء إلى أي شيء أنفى بكم الزهد والخلة فقال إلى الأنس بالله وقال سفيان بن عيينة قيلت إبراهيم ابن آدم رحمه الله في بلاد الشام قتلت له إبراهيم تركت خراسان فقال متهنأت بالعيش إلا ههنا أفر بدين من شاعق إلى شاعق فمن يراني يقول موسوس أو حمر أو ملاح وقيل لغزوان الرقاشي هبك لأضحك فإيتمك من محالة إخوانك قال إلى أصيب راحة قلبي في محالة من عنده حاجتي وقيل للحسن بابا سعيد ههنا رجل لم تره قط جالسا إلا وحده خلف سارية فقال الحسن إذا رأيتموه فأخبروني به فظفروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرنا بكه وأشاروا إليه فمضى إليه الحسن وقال له يا عبدا لله أراك قد حبيت إليك العزلة فما يتمك من محالة الناس فقال أمر شغلني عن الناس قال فما يتمك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه فقال أمر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن وما ذلك الشغل يرحمك الله فقال إلى أصبح وأمسى بين نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن أنت يا عبدا لله أفتعدي من الحسن فأكرم ما أنت عليه وقيل بينا أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حبان فقال له أويس ما جاء بك قال جئت لأنس بك فقال أويس ما كنت أرى أن أجدا يسرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو بربي وإذا رأيت الصبح أدركتي استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئني من يشغلني عن ربي وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة قبله وكيف ذلك قال يتاحي الله في الدنيا ويحاوره في الآخرة وقال ذو النون المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بعبادة ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة الخلق في

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم في أول أمره يقتل في جبل حراء وينزل إليه متفق عليه من حديث عائشة نحوه فكان يخلو بنار حراء يتحدث فيه الحديث (٢) حديث لو كنت متخذًا خليلًا لأتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

والحجاج في وصف الغزو والحج مما يثير كامن الغرم من العزى وساكن الشوق من الحاج وأما ما كان من ذكر القدود والحدود ووصف النساء فلا يليق بأهل الديانات الاجتماعية مثل ذلك وأما ما كان من ذكر الحجر والوصل والقطيعة والصد مما يقرب حمله على أمور الحق سبحانه وتعالى من تلون أحوال الريدن ودخول الآفات على الطالبين فمن مع ذلك وحدث عنده ندم على ما فات أو تعبد عنده عزم لما هو آت فكيف يكون معاه وقد قيل إن بعض الواجدن يفتات بالسماع ويتقوى به على الطي والوصال ويشير عنده من الشوق ما يذهب عنه لخب الجوع فإذا استمع العبد إلى بيت من الشعر وقبله حاضريه كأن يسمع الحادي

فقد دل علمه وعي قلبه وضيق عمره . وقال ابن البارك ما أحسن حال من انقطع إلى الله تعالى وبرى عن بعض الصالحين أنه قال بينا أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا ببادخارج من بعض تلك الجبال فلما نظرت إلى تنحى إلى أصل شجرة وتستر بها قفلت سبحان الله تبخل على بالنظر إليك قال يا هذا إني أمت في هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك تعبي ونفسي فيه عمرى فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظي من أي شيء في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب وألغى الوحدة والاشتراد فلما نظرت إليك خفت أن أقع في الأمر الأول فإليك عني فاني أعوذ من شرك رب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماه من طول السكت في الدنيا ثم حول وجهه عن نفسي يديه وقال إليك عني يا دنيا لغيري قزبي وأهلك فغري ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ما ألمي قلوبهم عن ذكر الجنان وعن المحور الحسان وجمعهم في ذكره فلا شيء ألد عندهم من مناجاته ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس فإذا في الخلوة أنس يذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي مثل ذلك قيل :

وإني لأستعشى وماي غشوة لعل خيالا منك يلقى خياليا
وأخرج من بين الجفوس لعلني أحدث عنك النفس بالرخياليا

ولذلك قال بعض الحكماء إنما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته عن النضلة فيكثر حينئذ لملاقة الناس ويتردد الوحشة عن نفسه بالسكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على العسكرة ويستخرج العلم والحكمة . وقد قيل الاستشاق بالناس من علامات الافلاس فإذا هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فإن غاية العبادات ومثمرة العاملات أن يموت الانسان بحبا لله عارفا بالله ولاعبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بالبدوام الفكر وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة .

(القائمة الثانية)

التخلص بالمرلة عن الماصي التي يتعرض لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة القية والنجمة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا . أما القية فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربح للهالكات وجوها عرفت أنها تخرج عنها مع المخالطة عظيم لا ينبو منها إلا الصديقون فإن عادة الناس كافة التضعف بأعراض الناس والتفكك بها والتنقل بملأوتها وهي طمعهم ولذتهم وإليها يستروحون ومن وحشيتهم في الخلوة فإن خالطهم وواقفهم أمت وتعرضت لسخط الله تعالى وإن سكت كنت شريكا وللمسمع أحد القتاين وإن أنكرت أبشرك وتركوا ذلك الكتاب واعتابوك فلازدادوا غيبة إلى غيبة وربما زادوا على القية واتهوا إلى الاستخفاف والشم . وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتي بيانه في آخر هذا الربع ومن خالط الناس فلاخلعون مشاهدة المنكرات فإن سكت عني الله به وإن أنكرت تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يجرم طلب الخلاص منها إلى معاصي أكبر مما نهى عنه ابتداء وفي المرلة خلاص من هذا فإن الأمر في إهماله شديد والقيام به شاق . وقد قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبا وقال لأبيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يشرككم من دلو إذا اعتدبتهم - وإنكم تضعونها في غير موضعها وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا رأى الناس المنكر فلم يبروه .

أتوب إليك يا رحمن إنني
أضأت وقد تضاعفت
الذنوب

فأما من هو إلى لحي
زيارتها دني لا أتوب
فطالب قلبه لما يجد
من قوة عزمه على
الثبات في أمر الحق
إلى اللات يكون في
سماعه هذا ذاكرا لله
تعالى . قال بعض
أصحابنا سكنا نعرف
موايد أصحابنا في
ثلاثة أشياء عند
المسائل وعند الضرب
وعند السجود . وقال
الجيد تنزل الرحمة
على هذه الطائفة في
ثلاثة مواضع عند
الأكل لأنهم يأكلون
عن فاقة عند اللذة لكره
لأنهم يشجرون في
مقامات الصديقين
وأحوال النبيين وعند
السجود لأنهم يسمعون
بوجد ويشهدون حقا
وسئل روم عن وجد
الصوفية عند السجود
فقال يشبهون للمعان
التي تعذب عن غيرهم

أوشك أن يمسم الله بقاب^(١) « وقد قل صلى الله عليه وسلم » إن الله ليسأل البعد حتى يقول له مامعك إذا رأيت للشكر في الدنيا أن تشكره فإذا لقن الله البعد حبه قال يارب رجوتك وخفت الناس^(٢) وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر وفي العملة خلاص وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إثارة للخصومات وتحريك لقواثل الصدور كاقبل :
وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البينة للتمسح

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالباً فإنه بكدار مائل يريد الإنسان أن يقيم فيوشك أن يسقط عليه فإذا سقط عليه يقول بالتي تركتها ما لاني لم وجد أعواناً أسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لانهج الأعوان فدعهم وأنج نفسك . وأما الزيادة فهو الداء الغضالي الذي يصير على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فياوقوا فيه وهلك كما هلكوا وأقل ما يلزم فيه التفاف أنك إن خالطت متعاديهم ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بفضا إليهما جميعاً وإن جاملتهما كنت من شرار الناس . وقال **عبد الله بن مسعود** « نجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه^(٣) » وقال عليه السلام « إن من شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه^(٤) » وأقل ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق والبالغة فيه ولا تخلو ذلك عن كذب إما في الأصل وإما في الزيادة وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال بولك كيف أنت وكيف أمك وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه وهذا نفاق محض قال سرى لودخل على أنس في فسوت لحبق يدي لحدوله غشيت أن أكتب في جريدة الناققين وكان الفضيل جالساً وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أخوه فقال له ما جاء بك قال هو والله بالموافاة أشبه هل تريد إلا أن تزني لي وأزني لك وتكذب لي وأكذب لك إما أن تقوم عني أو أقوم عنك . وقال بعض الطغاة ما أحب الله عبداً إلا أحب أن لا يشرب به ودخل طاوس على الخليفة هشام قال كيف أنت يا هشام غضب عليه وقال لم لم تخاطبني بأمر المؤمنين فقال لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك غشيت أن أكون كاذباً فمن أمكنه أن يعمّر هذا الاحتراز فليخاطب الناس وإلا فليرض اسمه في جريدة الناققين قصد كان السلف يتلافون ويحترزون في قولهم كيف أصبحت وكيف أمست وكيف أنت وكيف حالك وفي الجواب عنه فكان سؤالهم عن أحوال الدين لأن أحوال الدنيا قال حاتم الأصم لحامد اللغاف كيف أنت في قسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه وقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وكان إذا قيل لميى صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت قال أصبحت لأملك تقديم ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أؤذر وأصبحت مرتبة بعمل الخير وكفى يدغبري ولا تغبري أقصر منى وكان الريح بن خنيم إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت من ضغامة ذنوب نسوت أرزاقنا وننتظر آجالنا وكان أبو الدرداء إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت بخير إن نجوت من النار وكان سفيان الثوري إذا قيل له كيف أصبحت يقول أصبحت أشكر ذا إلى ذا وأثم ذا إلى ذا وأفر من ذا إلى ذا وقيل لأويس القرني كيف

(١) حديث أبي بكر إنكم ترمون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتديتم - وإنكم لتشعونها في غير موضعها الحديث أصحاب السنن قال الترمذي حسن صحيح (٢) حديث إن الله يسأل البعد حتى يقول مامعك إذا رأيت للشكر في الدنيا أن تشكره الحديث ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد (٣) حديث نجدون من شرار الناس ذا الوجهين متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إن من شر الناس ذا الوجهين مسلم من حديث أبي هريرة وهو الذي قبله .

فيشير إليهم إلى إلى فيتممون بذلك من الفرح ويقع الحجاب للوقت فيعود ذلك الفرح بكاء فمنهم من يحرق ثيابه ومنهم من يبيس ومنهم من يصبح أخيراً بأوزرة إجازة عن ابن خلف إجازة عن السلي قال سمعت أبا سهل محمد بن سليمان يقول للسمع بين استأروا ونجل فالاستأر يورث التلب والتجلى يورث الريد فالاستأر يتوله منه حركات الريد وهو محل الضعف والعجز والتجلى يتوله منه السكوت للواصلين وهو محل الاستقامة والتحكين وكذلك محل الحضرة ليس فيه إلا الدبول تحت موارد الحياة قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلي سمعت جدي يقول للسمع ينبغي أن يستمع بقلب وقس مئة ومن كان قلبه ميتاً وقسمه لاجل

أصبحت قال كيف يصبح رجل إذا أمسى لا يرى أنه يصبح وإذا أصبح لا يرى أنه يمسي . وقيل لما لك ابن دينار كيف أصبحت قال أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد . وقيل لبعض الحكماء كيف أصبحت قال أصبحت لأرضي حياتي لماتى ولا ترضي لربى . وقيل لحكيم كيف أصبحت قال أصبحت آكل رزق ربى وأطعم عدوه إلياس . وقيل لعماد بن واسع كيف أصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة . وقيل لحامد اللخاف كيف أصبحت قال أصبحت أنتهى غافية يوم إلى القبل قبل له ألت في غافية في كل الأيام فقال الغافية يوم لأعصى الله تعالى فيه . وقيل لرجل هو موجود بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلامؤنس وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة . وقيل لحسان بن أبي سنان ما حالك قال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب . وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمائة درهم ديناهو ميعل فدخل ابن سيرين منزله فأخرج له ألف درهم فضعها إليه وقال خمائة اقض بها دينك وخمائة عدا بها على نفسك وعيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله أسأل أحدا عن حاله أبدا وإنما فذل ذلك لأنه خشي أن يكون سؤاله من غير اهتمام بأمره فيكون بذلك مرابيا مناقا فقد كان سؤالهم عن أمور الدين وأحوال القلب في معاملة الله وإن سألو عن أمور الدنيا فمن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم إنى لأعرف أقواما كانوا لا يتلافون ولو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم ينته وأرى الآن أقواما يتلافون وينشأون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط أحدهم لحية من مال صاحبه لمته فهل هذا إلا مجرد الرياء والفاق وآية ذلك أنك ترى هذا يقول كيف أنت ويقول الآخر كيف أنت فالسائل لا ينتظر الجواب وللشول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لعرقهم بأن ذلك عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن صفات وأحقاد والألسنة تنطق بالسؤال . قال الحسن إنما كانوا يقولون السلام عليكم إذا سلمت والله القلوب وأما الآن فكيف أصبحت عاكف الله كيف أنت أصلحك الله فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة لاكرامة فإن شادوا غضبوا علينا وإن شاؤوا لا وإنما قال ذلك لأن البداية بقوله كيف أصبحت بدعة وقال رجل لأبي بكر بن عياش كيف أصبحت لما أجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقال إنما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون حمواس بالشام من اللوث القديع كان الرجل يلقاه أخوه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف أصبحت والقصد أن الالتقاء في غالب العادات ليس يخلو عن أنواع من التصنع والرياء والتفاني وكل ذلك مذموم بعضه محظور وبعضه مكروه وفي الزلة الغلاص من ذلك فإن من لقي الخلق ولم يخالفهم بأخلاقهم مقتوه واستقلوه واعتابوه وتشعروا لإيذاته فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودينه في الانتقام منهم . وأما مسارقة الطبع مما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم فهو داء دفين قفا بقبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الإنسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لأدرك بينهما نفرة في النفرة عن الفساد واستقاله إذ يصير الفساد بكرة للشاهدة هنا على الطبع فيسقط وقعه واستعظامه له وإنما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فإذا صار مستصفا بطول المشاهدة أوشك أن تتحل القوة الوازع وبذن الطبع لليل إليه أو لما دونه ومهما طالت مشاهدته للكبار من غير استحقاق الصفات من نفسه ولذلك يزدري الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم في أن يستصغر ما عنده وتؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما أتبع له من التعم وكذلك النظر إلى الطمعين والعصاة هذا تأثيره في الطبع فمن بقصر نظره على ملاحظة أحوال الصالحين والتأنيب في العبادة والتزهد عن الدنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار وإلى عبادته بعين الاستحقار ومادام يرى نفسه

له السماع وقيل في قوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء الصوت الحسن وقال عليه السلام «فه أشدنا بالرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قبة إلى قبته» قل عن الجنيب قال : رأيت إلياس في النوم قلت له هل تظفر من أصحابتنا بشئ أو تتال منهم شيئا فقال إنه يسر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيئا إلا في وقتين قلت أى وقت قال وقت السماع وعند النظر فأنى أسترقي منهم فيه وأدخل عليهم به قال فخصيت رؤاى لبعض الشايخ فقال لو رأيته قلت له يا أحق من سمع منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر أترج أنت عليه شيئا أو تظفر بشئ منه قلت صدقت . وروى عائشة رضى الله عنها قالت «كانت عندي

مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستقاما للاقتداء ومن نظر إلى الأحوال الدالية على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم للعاصي استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة في الخير بصادقها في قلبه وبذلك هو المهلك ويكنى في تيسير الطبع مجرد صانع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الحقيقة يعرف سر قوله ﷺ « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة (١) » وإعنا الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستكشاف عما هو ملابس له من التصور والتصير ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة وللفهم من نفوس هذا الكلام عند القطن كالفهم من عكسه وهو أن عند ذكر القاسقين تنزل اللعنة لأن كثرة ذكرهم تهون على الطبع أمر للعاصي واللعة هي البعد ومبدأ البعد من الله هو للعاصي والإعراض عن الله بالإقبال على المخطوط العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه للشروع ومبدأ للعاصي سقوط ثقلها وتغاضيها عن القلب ومبدأ سقوط الثقل وقوع الأنس بها بكثرة السماع وإذا كان هذا حال ذكر الصالحين والقاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « مثل الجليس السوء كمثل الكبر لم يحرقك شره علق بك من ربحه (٢) » فكما أن الربح يعلق باليوب ولا يشعر به فكذلك يسمل الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال مثل الجليس الصالح مثل صاحب السلك إن لم يهب لك منه تجد ربحه ولهذا أقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لثنتين : أحدهما أنها غيبة والثانية وهي أعظمهما أن حكايتها تهون على السامعين أمر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامهم الإقدام عليها فيكون ذلك سببا لتبوين تلك اللصبة فانهما وقع فيها فاستكثر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون إلى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يضم عليه عالم ولا يتعاطى موقف معتبر لثق عليه الإقدام فكيف من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويبتال على حب الرياسة وتزينها ويهون على نفسه قبجها ويزعم أن الصحابة رضی الله عنهم لم ينزهوا أنفسهم عن حب الرياسة وربما يستشهد عليه بقتال على ومعاوية ويخمن في نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرياسة ولو أزمها من العاصي والطبع اللثيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات بل إلى تدبير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتزليل على مقتضى الشهوة ليعتل به وهو من دقائق مكاييد الشيطان ولذلك وصف الله الراغبين للشيطان فيها بقوله - الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - وضرب ﷺ لذلك مثلا وقال « مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل إلا بشر ما يسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال له ياراعى اجر لي شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم (٣) » وكل من ينقل هفوات الآفة فهذا مثاله أيضا وما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما أقطر في نهار رمضان استبدوا ذلك منه استبعادا يكاد ينفى إلى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون

(١) حدث عند ذكر الصالحين نزول الرحمة ليس له أصل في الحديث الرفوع وإنما هو قول سفيان ابن عيينة كذا رواه ابن الجوزي في مقدمة صفوة الصفوة (٢) حدث مثل الجليس السوء كمثل الكبر الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حدث مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يعمل منها إلا شر ما يسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال ياراعى اجر لي شاة من غنمك الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بسند ضيف .

جارية تسمى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على حلقها ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما يصححك يا رسول الله ؟ فحدثه حديث الجارية فقال لا أبرح حتى أسمع مسمع رسول الله فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت وذكره وذكر الشيخ أبو طالب للشيخ كان لعطاء جاريتان تلحنان وكان إخوانه يجتمعون إليهما وقال أدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمي التاجين أعدهن للصوفية وهذا القول نقله من قول الشيخ أن طالب فقال وعندي اجتناب ذلك هو الصواب وهو لا يسل إلا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوقار بشرط قوله تعالى :

من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا يتفرغ عنها طبعهم كفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة يقتضى تركها الكفر عند قوم وحز الرقة عند قوم وترك الصوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر والناسهل فيها مما يكثر فيسقط عنها بالمشاهدة عن القلب وذلك لو ليس الفقيه نوباً من حرر أو خافاً من ذهب أو شرب من إناه فضة استبدته النفس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يشكك إلا بما هو اختيار للناس ولا يستبعد منه ذلك والنية أشد من الزنا فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير ولكن كثرة جماع النية ومشاهدة للتنايين أسقط وقتها عن القلوب وهون على النفس أمرها فتظن لهذا الدقائق وفر من الناس فراراً من الأسد لأنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة وهون عليك الصعبة ويضعف رغبتك في الطاعة فإن وجدت جليسا يذكر لك الله رؤيته وسيرته فالزمه ولا تخاره واغتنمه ولا تستخفه فإنها غنمة العاقل وصالة للؤمن وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من الجليس السوء ومهما فهمت هذه للعاني ولاحظت طبعك والتفت إلى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد عنه بالزلة أو التقرب إليه بالخلة وإياك أن تحكم مطلقاً على الزلة أو على الخلة بأن إحداها أولى إذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا أوهم خلف من القول محض ولا حق في الفصل إلا التفصيل .

(القائدة الثالثة)

(الخلاص من الفتن والمحسومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها)
وقفاً تغلوا البلاد عن تحصيات وقتن وخسومات فالعزل عنهم في سلامة منها قال عبدالله بن عمرو ابن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال « إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قلت فأتأمرني فقال لازم بيتك وامكك عليك لسانك وخذ ما تصرف ودع ما تكثر عليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة (١) » وروى أبو سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شافع إلى شافع (٢) » وروى عبدالله بن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « سيأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شافع إلى شافع ومن جهر إلى جهر كالمكب الذي يروغ قبله ومضى ذلك يارسل الله قال إذا لم تنل للعبشة إلا بما صامى الله تعالى فإذا كان ذلك الزمان حلت الزوبة قالوا وكيف ذلك يارسل الله وقد أمرتنا بالتزويج قال إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان ضل يدي زوجته وولده فإن لم يكن ضل يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يارسل الله قال يبرونه بضيق اليد فيشكف ما لا يطبق حتى يورده ذلك موارد المصلحة (٣) » وهذا الحديث وإن كان في الزوبة فالزوبة مفهومة منه إذ لا يستغنى التأهل عن العبشة والمخاطبة ثم لا ينال للعبشة إلا بمصيبة الله تعالى ولست

- يعلم خاتمة الأعين وما تخفي الصدور وما هذا القول من الشيخ أبي طالب للسك إلا مستتر عجب والتزهد عن مثل ذلك هو الصحيح . وفي الحديث في مدح داود عليه السلام أنه كان حسن الصوت بالياحة على نفسه وبثلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والطير لمسمع صوته وكان يعمل من مجله آلاف من الجنائز . وقال عليه السلام في مدح أبي موسى الأشعري « لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود » . وروى عنه عليه السلام أنه قال « إن من الشر الحسكة » « ودخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرءون القرآن وقوم يمشون الشر قال يارسل الله قرآن وشر قال من

- (١) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم الحديث أبو داود والنسائي في اليوم والآلة بإسناد حسن (٢) حديث أبي سعيد الخدري يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن رواء البخاري . (٣) حديث ابن مسعود سيأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شافع إلى شافع تقدم في النكاح .

أقول هذا أو أن ذلك الزمان فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر ولأجله قال حفيان والله لقد حلت الزلزلة . وقال ابن مسعود رضى الله عنه « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه قلت فم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وأدخل دارك قال قلت يا رسول الله أرأيت إن دخل عليّ داري قال فادخل بيتك قلت فإن دخل عليّ بيتي قال فادخل مسجدك وامنع هكذا وقبض على السكع وقال ربّي الله حقّ وث (١) » وقال سعد لما دعي إلى الخروج أيام معاوية لا إلا أن تعطوني سيفاً له عتيان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فأقتله وبأؤمن فأكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على حجة يشاء فيبناهم كذلك يسرون إذا هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا . وقال بعضهم ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا وأنشأ آخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبينت الطريق فصاروا فاعترل سعد وجماعة معه فارقوا الفتن ولم يخاطبوا إلا بعدد والفتن . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه لما بلغه أن الحسين رضى الله عنه توجه إلى العراق تبعه فلقته على مسيرة ثلاثة أيام فقال له أين تريد فقال العراق فإذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم ويعتيم فقال لا تنظر إلى كتبهم ولأنهم فأنى فقال إنى أحدثك حديثاً إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم والله لا يلبث أحد منكم أبداً وماصرهما عنكم الدنيا وإنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يلبث أحد منكم أبداً وماصرهما عنكم إلا للذي هو خير لكم فأنى أن يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قبل أو أسير (٢) وكان في الصحابة عشرة آلاف فآخف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلاً وجلس طاموس في بيته فقبله في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الأنمة والماني عروة قصره بالعقيق وثرمه قبل لهزمت القصر وترك مسجد رسول الله ﷺ فقال رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاهية والقاحشة في فجاجكم عالية وفيها هلاك أعما أثم فيه عافية فإذا من الحذر من الخصومات ومشارقات الفتن إحدى فوائد العزلة .

(القائمة الرابعة الخلاص من شر الناس)

فاتهم يؤذونك مرة بالفتية ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالافتراحت والأطباع الكاذبة التي يصير الوفاء بها وتارة بالجمحة أو الكذب فرمى يرون منك من الأعمال أو الأقوال ما لا يبلغ عقولهم كنهه فيتخفون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر فإذا اعتزلتهم استغيت من التحفظ عن جميع ذلك ، ولذلك قال بعض الحكماء لغيره أعفك بيتين خير من عشرة آلاف درهم قال ما هما قال :

اخض الصوت إن نطقت بليل والتفت بالتيار قبل اللقال

ليس للقول رجسة حين يبدو بقبيح يكون أو بجمال

ولاشك أن من اختلط بالناس وشاركهم في أعمالهم لا ينفك من حاسد وعدو يسوء الظن به ويتوهم أنه يستعمل عاداته ونصب السكينة عليه وتدنيس غائلته وراه فالناس بهما اشتد حرصهم على أمرهم يحسون كل

(١) حديث ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه الحديث أبو داود مختصراً والخطابي في العزلة يتأهم وفي إسناده عند الخطابي انقطاع ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج إلى معرفته (٢) حديث ابن عمر أنه لما بلغه أن الحسين توجه إلى العراق لفته على مسيرة ثلاثة أيام الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة الطبراني مختصراً على المرفوع رواه في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل على مسيرة ثلاثة أيام وكذا رواه البزار بنحوه وإسنادهما حسن .

هذامة ومن هذامة
وأشد النافذة عند
رسول الله صلى الله عليه
وسلم آياته التي فيها :
ولا خير في حلم إذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوه
أن يكذرا
ولا خير في أمر إذا لم
يكن له
حكيم إذا ما ورد الأمر
أصدرا
فقاله رسول الله صلى
الله عليه وسلم
« أحسن يا أبا بلي
لا بغض الله فاك »
فضاض أكثر من مائة
سنة وكان أحسن الناس
ثمرا وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يضع لسان متبرا في
السجد فيقوم على اللبر
فأعما بهجو الدين كانوا
يهجون رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويقول
التي صلى الله عليه
وسلم « إن روح القدس
مع حسان مادام ينافع
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم » ورأى
بعض الصالحين أبا

صيحة عليهم هم المدود واحذرهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها قال النبي:

إذساء فعل الرءساء ظنونه وصدق ما يتداه من توه

وطاى عيبه بقول عداته فأصبح في ليل من الشك مظلم

وقد قبل معاشره الأشرار تورث سوء الظن بالبرار وأنواع الشر الذي يلقاه الإنسان من معارفه وعن
يختلط به كثيرة ولنا نطول بتفصيلها فبقا ذكرناه إشارة إلى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها
وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار العزلة فقال أبو المرداء أخبر تله يروي مرفوعا وقال الشاعر:

من حمد الناس ولم يلهم ثم بلام ذم من بحمد

وصار بالوحدة مستأنسا يوحته الأثر بالأسد

وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من القرن السوء . وقبله عبد الله بن الزبير ألا تأتي المدينة قال
ما بقي فيها إلا حامد نعمة أوفرح بنعمة . وقال ابن الهالك كتب صاحب لنا أما بعد فإن الناس كانوا دواء
يتداوى به فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الأسد وكان بعض الأعراب يلزم شجرا ويقول
هو نديم فيه ثلاث خصال إن مع من لم يمت طي وإن تغفل في وجهه احتمل مني وإن عربت عليه
لم يذهب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندماء ، وكان بعضهم قد لازم الدقائر والقبار فقبل له في ذلك
فقال لم أراهم من وحدة ولا أوعظ من قبر ولا جليسا أمتع من دقير . وقال الحسن رضي الله عنه أردت
الحج فسمع ثابت البناني بذلك وكان أيضا من أولياء الله فقال بلغي أنك تريد الحج فأجبت أن أحبك
فقال له الحسن وبحكم دعنا تتماثر بستر الله علينا إني أخاف أن تصطبغ فيرى بعضنا من بعض ما تهاقت
عليه وهذه إشارة إلى قاعدة أخرى في العزلة وهو بقاء السراطة والدين والروء والأخلاق والفقرو سائر
الموراث وقد مدح الشهبانة التسترين فقال - بحسبهم الجاهل أنبياء من التصف - وقال الشاعر:

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عار أن يزول التجمل

ولا يخفى الإنسان في دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله عن عورات الأولى في الدين والدنيا سترها ولا يتيق
السلامة مع انكشافها . وقال أبو المرداء كان الناس ورقة لاشوك فيه فالتاس اليوم شوك لا ورق فيه
وإذا كان هذا حكم زمانه وهو في أواخر القرن الأول فلا ينبغي أن يشك في أن الأخير شر . وقال
سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد وفاته أقل من معرفة الناس
فإن التخلص منهم شديد ولا أحسب أني رأيت ما أكره إلا بمن عرفت . وقال بعضهم جئت إلى مالك
ابن دينار وهو قاعد وحده وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت أطرده فقال دعه يا هذا هذا
لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجاليس السوء . وقيل لبعضهم ما حملك على أن تعزل الناس قال خشيت أن
أسأب ديني ولا أشعر وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرن السوء . وقال أبو المرداء اتقوا
الله واحذروا الناس فانهم ماركوا ظهر بغير إلا أدبروه ولا ظهر جواد إلا أعفوه ولا قلب مؤمن إلا خربوه ،
وقال بعضهم أقل العارف فانه أسلم لدينك وقلبك وأخف لسقوط الحقوق عنك لأنه كلما كثرت
العارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع . وقال بعضهم أنكر من تعرف ولا تعرف إلى من لا تعرف .

(الفائدة الخامسة)

أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فأما اقتطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد
فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال الرء بإصلاح نفسه أولى ومن أهون الحقوق وأبسر ما حضور
الجنائز وعبادة الربيض وحضور الولائم والاملاكات وفيها تضيق الأوقات وتعرض للأفات ثم قد
توق عن بعضها المواقق وتستقبل فيها للماذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون له قلت بحق .

الباس الحضر قال
قلت له ما تقول في
الساج الذي يخلط فيه
أصباغا يقال هو الصفا
الزلال لا يثبت عليه
إلا أقدام العلماء . وهل
عن محمد الدينوري
قال رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
النار قلت يا رسول
الله هل تتحرك من
هذا الساج شيئا ؟
قال ما أنكره ولكن
قل لهم ينتحون
قبله بقرأة القرآن
ويختمون بعده
بالقرآن قلت يا رسول
الله إنهم يؤذون
وينبسطون فقال
احتملهم يا أيها نبي
أصحابك فكان محمد
ينتخر ويقول كنان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم . وأما وجه
الانكار فيه فهو أن
يرى جماعة من الربيدين
دخلوا في مبادئ الإرادة
وقوسهم ما غرنت على
صدق المجاهدة حتى
حدث عنهم علم بظهور

فلان وقصرت في حقنا ويصر ذلك سبب عداوة قد قيل من لم يعد مريضا في وقت الميادة اشبهى
موتة خيفة من تخيله إذا صح على قصيره ومن عمم الناس كلهم بالحرمات رضوا عنه كلهم ولو خصص
استوحشوا وتسميهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه التجرد له طول الليل والهار فكيف من له مهم
يشغله في دين أو دنيا . قال عمرو بن العاص كثرة الأصدقاء كثرة الترماء . وقال ابن الرومي :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثر من الصحاب
فإن الداء أحكم ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

صفات النفس وأحوال
القلب حتى تضبط
حركاتهم بقانون
العلم ويعلمون ما لهم
وعليهم مشتغلين به
حكى أن ذا النون لما
دخل بغداد دخل عليه
جماعة ومعهم قوال
فاستأذنه أن يقول
شيئا فأذن له فأنتد
القول :

صغير هو لك عذبي
فكيف به إذا احتسكا
وأنت جمعت من قلبي
هوى قد كان مشتركا
ما ترني لمكتسب
إذا ضحك الحنن بكى

فقطب قلبه وقام وتوآجد
وسقط على جبهته والدم
يغطر من جبهته ولا يقع
على الأرض ثم قام
واحد منهم فنظر إليه
ذو النون فقال انت
الذي يراك حين تحوم
جلس الرجل وكان
جلوسه لموضع صدقه
وعله أنه غير كامل
الحال غير صالح لقيام
متوآجدا فيقوم أحدم
من غير تدبر وعلم في

وقال الشافعي رحمه الله أصل كل عداوة اصطناع المروء إلى اللئام وأما انقطاع طمعك عنهم فهو
أيضا فائدة حزيلة فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبث بقوة الحرص طمعه
ولا يرى إلا الحية في أكثر الأحوال فيتأذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد وإذا لم يشاهد لم يشته
ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم - وقال صلى الله
عليه وسلم « انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة
الله عليكم ^(١) » وقال عون بن عبد الله كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مضموما كنت أرى
نوبا أحسن من ثوبي ودابة أفره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحمت . وحكى أن الزني رحمه الله
خرج من باب جامع القسطنطين وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكة فبهراه ماري من حسن حاله وحسن
هيئته فخلا قوله تعالى - وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أصبرون - ثم قال بلى أصبر وأرضى وكان قفيرا
مقلا فالذي هو في بيته لا يتنلى يمثل هذه الفتنة فإن من شاهد زينة الدنيا فلئان يقوى دينه ويقيه
يصبر فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر وهو أمر من الصبر أو تنبث رغبته فيحتاج في طلب
الدنيا فلهك هلاكاً مؤكدا أما في الدنيا فبالطمع الذي يغيب في أكثر الأوقات فليس كل من يطلب الدنيا
تيسر له وأما في الآخرة فيشاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه ولذلك قال ابن الأعرابي :

إذا كان باب الدل من جانب الفنى سموت إلى العلياء من جانب الفقر

أشار إلى أن الطمع يوجب في الحال ذلا .

(الفائدة السادسة)

الخلاص من مشاهدة القلاء والحق ومقاساة حقه وأخلاقهم فإن رؤية التقييل هي العمى الأصفر قبل
للأعمش ثم عشت عينك قال من النظر إلى القلاء . وعكس أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال في الخبر « إن
من سلب الله كرمته عوضه الله عنهما ما هو خير منهما ^(٢) » لما الذي عوضك فقال في معرض اللطاية
عوض الله عنهما أنه كفا في رؤية القلاء وأنت منهم . وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت إلى تقييل
مرة ففنى علي وقال جاليتوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر إلى القلاء . وقال الشافعي رحمه الله
ما جالست تقييلا إلا وجدت الجاني الذي يليه من بدني كأنه أنفل على من الجانب الآخر . وهذه القوائد
ماسوى الأولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها أيضا تتعلق بالدين فإن الإنسان مهما تأذى
برؤية تقييل لم يأس أن يفتابها وأن يستكر ما هو موضع الله فإذا تأذى من غيره بغيره أو سوء ظن أو عاصدة
أو نجيعة أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأة وكل ذلك يجر إلى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليغهم .

(١) حديث انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا
نعمة الله عليكم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث من سلب الله كرمته عوضه الله عنهما ما هو
خير منهما الطبراني بإسناد ضعيف من حديث جرير من سلب الله كرمته عوضه الله عنهما الجنة ولولا أحمد
نحوه من حديث أبي أمامة بسند حسن والبخاري من حديث أنس يقول الله تبارك وتعالى إذا ابتليت
عبدى بحبيته ثم صبر عوضته منها الجنة يريد عيبه .

(آفات العزلة)

اعلم أن من القاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخاطلة فكل ما يستفاد من المخاطلة يقوّم بالعزلة وفوائده من آفات العزلة فانظر إلى فوائد المخاطلة والدواعي إليها ما هي وهي التعليم والتعلم والتفهم والتأديب والتأديب والاستئناس والابتناس ونيل الثواب وإنائته في القيام بالحقوق واعتقاد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها فلتفصل ذلك كلها من فوائد المخاطلة وهي سبع :

(الفائدة الأولى : التعليم والتعلم)

وقد ذكرنا فضاءهما في كتاب العلم وهما أعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك إلا بالمخاطلة إلا أن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا والحاجة إلى التعلم لما هو فرض عليه عام بالعزلة وإن تعلم القرض وكان لا يتأتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعزل وإن كان يقدر على التفرغ في علوم الشريعة والمثل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الحسرة ولهذا قال النخعي وغيره نخفه ثم اعزل ومن اعزل قبل التعلم فهو في الأثر مضرب أوقاته نوم أوفكر في هوس وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها ولا ينفك في أعماله بالبدن والقلب عن أنوع من القصور يحجب سعيه ويحطل عمله بحيث لا يدري ولا ينفك اعتقاده في الشؤصفاته عن أوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو أصل الدين فلا يخفى في عزلة العوام والجهال أغنى من لا يحسن العبادات في الخلو ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فتال النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطّف يعالجه فالمرضى الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف لاهجته مرضه فلا تليق العزلة إلا بالعلم وأما التعليم فبِهِ ثواب عظيم مهما سمحت نية العلم والتعلم ومهما كان قصد إقامة الجاهل والاستكثار بالأصحاب والأتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان أن يعزل إن أراد سلامته فإنه لا يرى مستفيدا يظلب فائدة لديه بل لا طالب إلا الكلام مزخرف يستعمل به العوام في معرض الوعظ أو الجدل معقد يتوصل به إلى إطفاء الأقران ويثرب به إلى السلطان ويستعمل في معرض النافعة والباهات وأقرب علم مرغوب فيه الذهب ولا يظلب غالبا إلا للكنوز إلى التقدم على الأمثال وتولى الولايات واجتلاب الأموال فهو لاء كلهم يقتضى الدين والحزم الاعتزال عنهم فإن صودف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله فأكثر الكبار الاعتزال عنه وكتبان العلم منه وهذا لا يصادف في بلدة كبيرة أكثر من واحد أو اثنين إن صودف ولا ينبغي أن يفترا الإنسان بقول سفيان ثعلفان العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله فإن الفقهاء يعلمون لغير الله ثم يرجعون إلى الله وانظر إلى أواخر أعمارنا أكثرين منهم واعتزهم أنهم ماتوا وهم هلكت على طلب الدنيا ومتكالبون عليها أو راغبون عنها وزاهدون فيها وليس الخبر كالعلمانية . واعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابة فإن فيها التخويف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله فلم يؤثر في الحال أثر في الآمال ، وأما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى للمعاملات وقصص الخصومات الذهب منه والخلاف لا يرد الرغبت فيه للدنيا إلى الله بل لا يزال المتأدي في حرصه إلى آخر عمره ولعل ما أودعناه هذا الكتاب إن تعلمه للتعليم رغبة في الدنيا فيجوز أن يرخص فيه إذ يرجى أن ينجز به في آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي أن نخادع الإنسان نفسه فان القصر العالم

قيامه وذلك إذا سمع إلقاء موزونا بسمع يؤدي ماسمه إلى طبع موزون فيتحرك بالطبع للوزون للصوت للوزون والايقاع للوزون وبسبب حجاب نفسه بالنسب بابساط الطبع على وجه القلب ويستغفر النشاط التبعث من الطبع فيقوم برقص موزونا موزوجا يصنع وهو محرم عند أهل الحق وعجب ذلك طية للقلب وما رأى وجه القلب وطيبته في تعالي ولعمري هو طية القلب ولكن قلب ملون بلون النفس مبال إلى الهوى موافق للردى لا يهتدى إلى حسن اليق في الحركات ولا يعرف شروط صحة الارادات ولثل هذا الرافض قبل الرقص نفس لأنه رقص مصدره الطبع غير مقترن بنية صالحة لاسباب إذا انضاف

ينقصه - أسعد حالا من الجاهل للفرور أو لاجل الجهل للنبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجلاء وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العالم الخلاء^(١) كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولذلك حكى عن جبر أنه دفن سبعة عشر قطرا من كتب الأحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول إني أشتى أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتيت أن لا أحدث لحدث وكذلك قال حدثنا باب من أبواب الدنيا وإذا قال الرجل حدثنا فأنما يقول أو سمعوا لي . وقالت رابعة العدوية لصفيان الثوري ، نعم الرجل أنت لو لا رغبتك في الدنيا قال وفيهاذا رغبت ! قالت : في الحديث ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج أو طلب الحديث أو اشتغل بالسفر قدركن إلى الدنيا فهذه آفات قد نبها عليها في كتاب العلم والحزم والاحتراز بالمرأة وترك الاستكثار من الأصحاب ما أمكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب إن كان عاقلا في مثل هذا الزمان أن يتركه فلقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال مع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال إخوان الملاينة أعداء السر إذا قولك تملقوك وإذا غبت عنهم سلقوك من أتاك منهم كان عليك رعبا وإذا خرج كان عليك خطيا أهل حقا ونجمة وغل وخديعة فلا تكثر باجتماعهم عليك فأغرضهم العلم بل الجلاء واللال وأن يتخذوك سلا إلى أوطارهم وأغراضهم وحماراف حاجتهم إن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ثم يدون ترددهم إليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديهم ويغرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتصير قريهم وخادهم وولهم وتنهض لهم فيها وقد كنت فيها وتكون لهم تابعا خيسا ببدان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعزال العامة مروءة تامعة فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألقاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنه ثقيلة بمن يتردد إليهم فكانه يهدي تحفه إليهم ويرى حقه واجبا عليهم وربما لا يختلف إليهم يتكفل برزق له على الإدرار ثم إن للدرس السكين قديمج عن القيام بذلك من ماله فلا يزال مترددا إلى أبواب السلاطين ويقاسي القتل والشائد مقاساة الذليل للهيئ حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه وعنته ويستذه إلى أن يسلم إليه ما يقدرة نعمة مستأنفة من عنده عليه ثم يبق في مقاساة القسمة على أصحابه إن سوى بينهم مقتنه الميزون ونسبوه إلى الحق وقلة التميز والقصور عن درك مصارقات الفضل والقيام بمقادير الخنوق بالعدل وإن قاوت بينهم سلقه السفها بألسنة حداد وثاروا عليه ثوران الأسود والأساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مطالعها يأخذ ويغفره عليهم في العقب والعجب انه مع هذا البلاء كله يعنى نفسه بالأباطيل ويدلها بجبل القرور ويقول لها لا تفرى عن صنعك فأنا أنت بما تخطينه مريدة وجه الله تعالى ومذبة شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشرة علم دين الله وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله وأموال السلاطين لا مال لها وهي مرصدة للمصالح وأى مصاحبة أكبر من تكبير أهل العلم فهم يظهرون الدين وتقوى أهله ولولم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأذى تأمل أن فساد الزمان لأسببه إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام فتاحظهم أعين الجهال ويستجرون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم وانفشاء آثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية إلا فساد اللوك وما فسدت اللوك إلا فساد العلماء فعوذ بالله من القرور والمعنى فانه الداء الذي ليس له دواء .

إلى ذلك شوب حركاته
بصرى التفاف بالتودد
والقرب إلى بعض
الحاضرين من غير
نية بل بدلالة نشاط
النفس من اللعانة
وتهيل اليد والقدم
وغير ذلك من الحركات
التي لا يستمدحها من
التصوفة إلا من ليس
له من التصوف إلا
مجرد زى وصورة أو
يكون القوال أمرد
تنجذب النفوس إلى
النظر إليه وتستلذ ذلك
وتضمر خواطر السوء
أو يكون لفناء إشراف
على الجمع وتراسل
البواطن للملوءة من
الهوى بصفارة الحركات
والرقص وإظهار
التواجد فيكون ذلك
عين القسق المجمع على
تخرجه فأهل اللواخير
حينئذ أرحى حالهم
يكون هذا ضميره
وحركاته لأنهم يرون
فسقهم وهذا لإبراء
وبريهادة لمن لا يعلم
ذلك أقرى أحدا من

(١) حديث آفة العلم الخلاء المروف مارواه مطين في مسنده من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف آفة العلم النسيان وآفة الجلال الخلاء .

(العامة الثانية التع والاشاع)

أما الاشاع بالناس فبالكسب والعامة وذلك لا يتأتى إلا بالخالطة والحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيجهد في جهاد من الخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب فإن كان معه مال لو اكتسبه فأنما لأقمة العزلة أفضل له إذا اندت طرق الكسب في الأكثر لإلصاق العاصي إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالخالطة وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولأمن الأقبال بكنه الحمة على الله تعالى والتجرد بها لذكر الله أعنى من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لأعن أوهام وخيالات فاسدة . وأما التع فهو أن يضع الناس إما بماله أو يدينه فيقوم بحاجتهم على سبيل الحسنة في النهوض قضاء سوانح السليين ثواب وذلك لا يتأتى إلا بالخالطة ومن قدر عليها مع القيام بعود الشرع فهي أفضل من العزلة إن كان لا يشتغل في عزله إلا بتوافل الصلوات والأعمال البدنية وإن كان ممن اغتخ له طريق العمل بالنسب بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة .

(القائدة الثالثة التأديب والتأديب)

ونعني به الارتياض بمقاساة الناس في تحمل أذاهم كسرا لنفس وقهر للشهوات وهي من القوائد التي تستغاد بالخالطة وهي أفضل من العزلة في حق من لم تهذب أخلاقه ولم تدفع حدود الشرع شهواته ولهذا اتدب خدام الصوفية في الرابطات فيخالطون الناس بمخدتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسرا لرغوة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية للتصرفين بهمهم إلى الله سبحانه وكان هذا هو البدأ في الأغصان الحالية والآن قد خالطته الأديار الفاسدة ومال ذلك عن القانون كمالا سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالحسنة التكثير بالاستتعا والتذرع إلى جمع المال والاستظهار بكثرة الأتياع فإن كانت التنية هذه فالعزلة خير من ذلك ولو إلى القبر وإن كانت التيقرياسة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج إلى الرياضة وذلك مما يحتاج إليه في بداية الإرادة فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أن الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها أن تتخذ مركبا يقع به الراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكسرها جمعت به في الطريق فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها إلا الخلاص في الحال من عضها ورفسها وريحها وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البسطة التنية وإنما تراد الدابة لقائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من أزم الشهوات في الحال يحصل بالتوهم واللوث ولا ينبغي أن يتع به كالراهب الذي قيل له يراهب فقال ما أراهب إنما أنا كلب عقوق حبست نفسي حتى لأعقر الناس وهذا حسن بالإضافة إلى من يعقر الناس ولكن لا ينبغي أن يقتصر عليه فإن من قتل نفسه أيضا لم يعقر الناس بل ينبغي أن يتشوف إلى القاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واعتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من الخالطة فالأفضل لثل هذا الشخص الخالطة أولا والعزلة أخرا . وأما التأديب فأنما نعني به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم إلا بمخالطهم وحاله حال العلم وحكمه حكمه ويتطرق إليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق إلى نشر العلم إلا أن محال طلب الدنيا من المريدن الطالبين للارتياض أبعد منها من طلب العلم ولذلك يرى فهم قلة وفي طلب العلم كثرة فينبغي أن يقبس ما تيسر له من الخلو بما تيسر له من الخالطة وتهذيب القوم وإعاقل أحدهما بالآخر وأثر الأفضل وذلك يدرك بدق

أهل الدابات يرضى بهذا ولا ينكره فمن هذا الوجه توجه الفكر الانكار وكان حقيقا بالاعتذار فكمن من حركات موجبة للمقت وكن من نهضات تذهب رونق الوقت فيكون إنكار التسكر على المرید الطالب بتمتع عن مثل هذه الحركات ويجزئه من مثل هذه الخلس وهذا إنكار صحيح وقد يرفض بعض الصادقين بإيقاع وورن من غير إظهار وجد وحال ووجه نية في ذلك أنه ربما يوافق بعض الفقهاء في الحركة فيتحرك بحركة موزونة غير مدع بها حال ووجدا يجعل حركته في طرف الباطل لأنها وإن لم تكن محرمة في حكم الشرع ولكنها غير محالة بحكم الحال لما فيها من اللوم وتصير حركاته ورفسه من قبل الباحث التي تجري عليه من الضحك

الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنى ولا إثبات .

(القاعدة الرابعة : الاستئناس والإناس)

وهو غرض من يحضر الولايم والدعوات ومواضع العاشرة والأنس وهذا يرجع إلى حفظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته أو على وجه مباح وقد يستحب ذلك الأمر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين كالأنس بالمشايخ لللازمين لسمعت التقوى وقد يتحقق بحظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتيسير دواعي النشاط في العبادة فإن القلوب إذا أكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة أنس يروح القلب فهي أولى إذ الرقى في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يعجل حتى يحلوا (١) » وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها اللازمة داعية للفترة وهذا على بقوله عليه السلام « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » والإيضاح فيه برفق دأب للتبصرين ولذلك قال ابن عباس لولا عفاة الوسواس لم أجالس الناس ، وقال مرة لم دخلت بلدا لا أنيس بها وهل يغسد الناس إلا الناس فلا يستغنى للعزلة إذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثة في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في طلب من لا يغسد عليه في ساعته تلك سائر ساعته فقد قال صلى الله عليه وسلم « الرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (٢) » وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاعتناء إلى الرشد ففي ذلك متنفس ومتروح للنفس وفيه مجال رحب لسلك مشغول باصلاح نفسه فانه لا تلتطم شكواه ولو عمر أعمارا طوية . والراعي عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من الاستئناس في بعض أوقات التهار ربما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص فليقتد أحوال القلب وأحوال الجاليس أولا ثم ليجالس .

(القاعدة الخامسة : في نيل الثواب وإنائته)

أما النيل فيحضور الجنائز وعبادة الرضى وحضور العيدين ، وأما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة في سائر الصلوات أيضا لا رخصة في تركه إلا لحوف ضرر ظاهر يقام ما يوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق إلا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم . وأما إنائته فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس أو ليعزومه في المنائب أو يهنوه على النعم فاتهم يتلون بذلك ثوابا وكذلك إذا كان من العلماء وأذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالحقين سببا فيه فينبغي أن يزن ثواب هذه المخلطات بآثارها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجع العزلة وقد ترجع المخلطة . فقدحكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك إجابة الدعوات وعبادة الرضى وحضور الجنائز بل كانوا أحلاس يونهم لا يخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور وبعضهم فارق الأمصار وأحاز إلى قلا الجبال فرغ للعبادة وفرار من الشواغل .

(القاعدة السادسة)

من المخلطة التواضع فانه من أفضل القامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روى في الاسرارليات أن حكما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصدقا في الحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة فأوحى الله إلى نبيه قل لفلان إنك قد ملأت الأرض غافة وإنى لا أقبل من غافك شيئا قال فخلخلى وانفرد في سرب تحت الأرض وقال الآن قد بلغت رضا ربى (١) حديث إن الله لا يعجل حتى يحلوا تقدم (٢) حديث الرء على دين خليله تقدم في آداب الصعبة .

والدعابة وملاعبة الأهل والولد ويدخل ذلك في باب الترويح للقلب ورعاطار ذلك عبادة بحسن النية إذا نوى به استنجام النفس كاقبل عن أبي الدرداء أنه قال إنك لا تستجم نفس جي من الباطل ليكون ذلك عوناً لى على الحق ولوضع الترويح كرهت الصلاة في أوقات ليستريح عمال الله وترتقى النفوس ببعض مآكرها من ترك العمل وتستطيب أوطان المل والأدى برحكة المختلف وترتيب خلقه للتنوع بتنوع أصول خلقته وقد سبق شرحه في غير هذا الباب لاتفى قواه بالصبر على الحق الصرف فيصكون التفتح في أمثال ما ذكرناه من الباح الذى ينزع إلى هو ما باطلا يستعان به على الحق فإن الباح وإن لم يكن باطلا في حقيقة

فأوحى الله إلى نبيه قل له إنك لن تبلغ رضى حق تغالط الناس وتصر على أذامهم فخرج فدخل الأسواق وغالط الناس وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومضى في الأسواق معهم فأوحى الله تعالى إلى نبيه الآن قد بلغ رضى فكف من معزل في بيته وبعثه الكبر وامانه عن الحافل أنت لا يوقر أولاً بقدم أوبرى الترفع عن مخالطهم أرفع لهمه وأبقى لطاوة ذكره بين الناس وقد سئل خيفة من أن تظهر مقابحه لوخالط فلا يتقديه الزهد والاشتغال بالعبادة فيشغل البيت سقرا على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر أو فكر وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين إليهم واجتماعهم على بهم وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يفيض إليه المخالطة وزيارة الناس بغض إليه زيارتهم له كما حكيناه عن التفضيل حيث قال وهل جنتي إلا لأتزين لك وتزين لي . وعن حاتم الأصم أنه قال للأمير الذي زاره حاجي أن لا أراك ولا ترائي فمن ليس مشغولاً مع نفسه بذكر الله فاعتزله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس . لأن قلبه متجرد للآلآت إلى نظره إليه بين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه : أحدها أن التواضع والمخالطة لا تنقسم من منصب من هو متكبر بطله أودينه إذ كان على رضى الله عنه بعمل القرب والصح في ثوبه ويده ويقول :

لا ينقص الكامل من كاله . ماجر من تقع إلى عياله

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبي وابن مسعود رضى الله عنهم يعملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم . وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول وهو والى المدينة والحطب على رأسه طرقتوا الأميركم « وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الثياب فيحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله فيقول صاحب الثياب أحق بحمله ^(١) » وكان الحسن بن علي رضى الله عنه إذا سئل عن رجلين وبين أيديهم كسر فيقولون : هلم إلى الغداء يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ويركب ويقول - إن الله لا يحب المتكبرين - الوجه الثاني أن الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لأنه لو عرف الله حق العرفة علم أن الخلق لا يفتنون عنه من الله شيئا وأن ضرره ونفعه بيد الله ولا نافع ولا ضار سواه وأن من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تتلذذها رضا الله أولى بالطالب ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الأعلى والله ما أقول لك إلا نصحا إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل فانظر ماذا يصلحك فافعله ولذلك قيل :

من راقب الناس مات غما وفاز بالآفة الجسور

ونظر سهل إلى رجل من أصحابه فقال له : عمل كذا وكذا شيء أمره به فقال يا أستاذ لا أقدر عليه لأعمل الناس فالتفت إلى أصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفيين : عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا إلا خالفه وإن أحدا لا يقدر على أن يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي بأى حال يرويه . وقال الشافعي رحمه الله ليس من أحد إلا ولا يحب ومبغض فإذا كان هكذا فكأن مع أهل طاعة الله . وقال الحسن يا أيها سعيد إن قوما يعصرون مجلسك ليس بينهم إلا تتبع سقطات كلامك وتعتيتك بالسؤال فتبهم وقال للقاتل هون على نفسك فاني حدثت نفسي إسكني الجبان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لأنني قد

(١) حديث كان يشتري الثياب ويحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله فيقول صاحب التاع أحق بحمله أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حمله السراويل الذي اشتراه .

الشرع لأن حد الباح ما استوى طرفاه واعتدل جانباه ولكنه باطل بالنسبة إلى الأحوال ورأيت في بعض كلام سهل بن عبد الله يقول في وصفه للصادق الصادق يكون جبهه مزيدا لعلمه وباطله مزيدا لحقه ودنياه مزيدا لآخرته ولهذا التقي حبيب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ليسكون ذلك حظ نفسه الشريفة للوهوب لها حظوظها للوفر عليها حقوقها لموضع طهارتها ووقدسها فيكون ما هو نصيب الباطل الصرف في حق الفير من اللباحات القولية برخصة الشرع الرودة بصرعة الحال في حقه صلى الله عليه وسلم متبا بصفة العبادات وقد ورد في فضيلة النكاح ما يدل على أنه عبادات من ذلك

علت أن خاتمتهم ورازقهم ومحرمهم لم يسلم منهم . وقال موسى صلى الله عليه وسلم : يارب اجبس عني السنة الناس فقال ياموسى هذا شئ لم أصطفه لنفسى فكيف أفعله بك وأوصى الله سبحانه وتعالى إلى عزير إن لم تطب نفساً بأقربك عليك فى أفواه الناس ففى أفواههم فيه فهو فى عناء حاضر فى الدنيا - فاذن من حبس نفسه فى البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه فهو فى عناء حاضر فى الدنيا - ولذاب الآخرة أكبر لو كانوا يملكون - فاذن لا تستحب العزلة إلا لمستغرق الأولات بربه ذكرها وتفكرها وعبادة وعلمها بحيث لو خالطه الناس لفنعت أولاته وكثرت آفاته ولتشوش عليه عباداته فهذه غوائل خفية فى اختيار العزلة ينبغي أن تتقن فانها مهلكات فى صور منجيات .

(القائدة السابعة التجارب)

فانها تستند من المخالطة للخلق ومجارى أحوالهم والعقل التريزى ليس كافياً فيهم مصالح الدين والدنيا وإنما تنيدها التجربة والممارسة ولا خير فى عزلة من لم تحكك التجارب فالسبب إذا اعتزل بقى غمراً جاهلاً بل ينبغي أن يشتغل بالعلم ويحصل له فى مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكتبه ذلك ويحصل بقية التجارب بسامع الأحوال ولا يحتاج إلى المخالطة ومن أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفاته بطلته وذلك لا يقدر عليه فى الخلوة فإن كل جرب فى الخلاه يسر وكل غضوب أو حقد أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات فى أنفسها يجب إبطالها وقهرها ولا يبقى تسكينها بالتأبد عما يحركها لئلا القلب للشجون بهذه الحباثت مثال دمل ممتلئ بالصديد واللدة وقد لا يحس صاحبها بأنه مملئ يتحرك أو يسه غيره فإن لم يكن له يد نفسه أو عين تبصر صورته ولم يكن معه من يهركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل فى نفسه واعتد تقدمه ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجام لا جبرته الصديد وفار فوران الشئ المحتق إذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب للشجون بالحدود والجل والحسد والضبط وسائر الأخلاق القديمة إنما تنعرج منه حياته إذا حركه وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون تزكية القلوب يجربون أنفسهم فمن كان يستشعر فى نفسه كبراً حتى فى إماتته حتى كان بعضهم يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس أو حزمة حطب على رأسه ويتردد فى الأسواق ليحرب نفسه بذلك فأن غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يفتن لها ، ولذلك حكى عن بعضهم أنه قال أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أنى كنت أصلها فى الصف الأول ولكن تغلفت يوماً بصد فواجبت موضعاً فى الصف الأول فوقفت فى الصف الثانى فوجدت نفسى تستشعر خبثاً من نظر الناس إلى وقد سقيت إلى الصف الأول فقلت أن جميع صلواتى التى كنت أصلها كانت مشوبة بالرياء محزوجة ببلغة نظر الناس إلى ورؤيتهم إياى فى زمرة السابقين إلى الخير فالحال لها قائدة ظاهرة عظيمة فى استخراج الحباث وإظهارها وذلك قيل السفر يسفر عن الأخلاق فانه نوع من المخالطة الدائمة وستأتى غوائل هذه أمانى ودقائقها فى ربع للمساكنات فإن بالجل بها يعبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك ما فضل العلم على العمل إذ يستحيل أن يتكلم العلم بالصلاة ولا يراد إلا الصلاة أفضل من الصلاة فانا ظلم أن ما يراد لتبره فأن ذلك الغير أشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى » (١) فعنى تفضيل العلم يرجع إلى ثلاث أوجه : أحدها ما ذكرناه والثانى عموم التفضيل لتمدده والعمل لا تمدد فائدته والثالث أن يراد به العلم بالله وصفاته وأفعاله فذلك أفضل من كل عمل بل مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق لتبنيته

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى خدم فى العلم .

من طريق القياس
استنباطه على الصالح
الدينية والدينية على
ما أطلب فى شرحه
الفقه فى مسألة
التخلل لوفاء العبادات
فاذا يخرج هذا
الرائى بهذه البية
التبرى من دعوى
الحال فى ذلك من
إنكار للشرك فيكون
رقعه لاهية ولا له
وربما كان بحسن
النية فى التزويج يصير
عبادة سباً إن أضمر
فى نفسه فرحاً بربه
ونظر إلى شمول رحمته
وعطفه ولكن لا يلبق
الرقص بالشيوع
ومن يقتدى به لما فيه
من مشابهة للهو
واللهو لا يلبق بمنصهم
وبين حال التمكن
مثل ذلك وأما وجه
منع الإنكار فى السماع
فهو أن الإنكار للسمع
على الإطلاق من غير
تفصيل لا يخلو من
أحد أمور ثلاثة إما

بعد الانصراف إليه لمعرفة وعيته فالعمل وعلم العمل مراد أن لهذا العلم وهذا العلم غاية الريدن
والعمل كالمطرط له وإليه الإشارة بقوله تعالى - إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - فالكلم
الطيب هو هذا العلم والعمل كالحال الرابع له إلى مقصده فيكون الرفوع أفضل من الراجع وهذا
كلام مقترض لا يليق بهذا الكلام . فلنرجع إلى القصود فنقول : إذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها
تحققت أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل ثوبا وإثباتا خطأ بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله وإلى
الخليط وحاله وإلى الباعث على مخالطته وإلى الفاتت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس
الفاتت بالحاصل فتد ذلك بتبين الحق وتفتح الأفضل وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب
إذ قال يابونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكان بين
التضييق والتيسير فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالأحوال وبملاحظة الفوائد
والآفات يتبين الأفضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وإنما هو إخبار بكل
واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم
والصوفي في ظاهر العلم يرجع إلى هذا وهو أن الصوفي لا يتشكك إلا عن حاله فلا يجرم مختلف أجوبتهم
في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر إلى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك
كما لا يختلف فيه فإن الحق واحد أبدا والقاصر عن الحق كثير لا يصح ولذلك مثل الصوفي عن
الفقر فما من واحد إلا وأجاب بجواب غير جواب الآخر وكل ذلك حق بالإضافة إلى حاله وليس بحق
في نفسه إذ الحق لا يكون إلا واحدا ولذلك قال أبو عبد الله الجلاء ، وقد مثل عن الفقر فقال ضرب
بكميك الحائط وقل رب الله فهو الفقير . وقال الجليل الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر وقال آخر هو أن لا يكون لك فان
عورض سكت وقال سهل بن عبد الله الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر وقال آخر هو أن لا يكون لك فان
كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك وقال إبراهيم الخواص هو ترك الشكوى وإظهار أثر
البؤى والقصود أنه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قد يتفق منها اثنا وذلك كله
حق من وجه فانه خير كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم ثبت أحدهما
لصاحبه قدما في التصوف أو ينش عليه بل كل واحد منهم يدعى أنه الواصل إلى الحق والواقف عليه
لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفتون إلى
غيرهم ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ومثال النظر هو لا مراءيت
من نظرك قوم في أدلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف قدما . وحكي عن آخر أنه
نصف قدم وآخر يرد عليه وأنه في الشتاء سبعة أقدام . وحكي عن آخر أنه خمسة أقدام وآخر يرد
عليه فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم فإن كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذي رآه يلد
نفسه فصدق في قوله وأخطأ في تخطئه مثالبه إذ ظن أن العالم كله يلد أوهوم مثل يلد كما أن الصوفي
لا يحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف غلة طول الظل وقصره وعلة اختلافه
بالبلا فخير بأحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها
يقصر فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة . فان قلت فمن أثر العزلة ورأها أفضل له
وأسلم لها آدابها في العزلة فنقول إنما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصلابة
وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغي أن يعزّل أن ينوي بعزله كقصده نفسه عن الناس أولا ثم طلب
السلامة من شر الأشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالث ثم التبرّد
بكنة الهمة لخدمة الله رابعا فهذه آداب ينبغي أن يوليها على العلم والعمل والذكر والتفكير

جاهل بالسنن والآثار
وإما مقتر بما أتبع
له من أمثال الأخبار
وإما جامد الطبع
لاذوق له فيصير على
الإنكار وكل واحد
من هؤلاء الثلاثة
يقابل بما سوف يقبل ،
أما الجاهل بالسنن
والآثار فيعرف بما
أسلفناه من حديث
عائشة رضي الله عنها
وبالأخبار والآثار
الواردة في ذلك وفي
حركة بعض التحريكين
تعرف رخصة رسول
الله صلى الله عليه وسلم
لمحبشة في الرقص
ونظر عائشة رضي الله
عنها إليهم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم
هذا إذا سلت الحركة
من الكراه التي
ذكرناها وقد روى
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لعلي
رضي الله عنه وأنت
معي وأنا منك فضيل
وقال لجعفر أنشبت

ليجنى ثمرة العزلة ولينج الناس عن أن يكثرُوا غشيانَه وزيارته فيشوش أكثر وقته وليكف عن السؤال عن أخبارهم وعن الإصغاء إلى أراجيف البله وما الناس مشغولون به فان كل ذلك يفرس في القلب حتى يذهب في أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب فوقع الأخبار في السمع كوقوع البذر في الأرض فلا بد أن ينبت وتفرغ عروقه وأغصانه ويتداعى بعضها إلى بعض وأحد مهمات المنزل قطع الوسواس الصارفة عن ذكر الله والأخبار ينابيع الوسواس وأصولها وليقع اليأس من المعيشة وإلا اضطره التوسع إلى الناس وأحتاج إلى مخالطتهم وليكن صبورا على مايلقا من أذى الجيران وليسد سمعه عن الإصغاء إلى مايقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة فإن كل ذلك يؤثر في القلب ولومدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد أن يكون واقفا عن سيرة إلى طريق الآخرة فان السير إما بالمواظبة على ورد وذكر كمرح حضور قلب وإما بالفكر في جلال الله وصفاته وأفعاله وملكوته سمواته وأرضه وإما بالتأمل في دقائق الأعمال ومفاهيم القلوب وطلب طرق التحسن منها وكل ذلك يستدعى الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يجده ذكره في دوام الفكر من حيث لا ينتظر وليكن له أهل صالحة أو جلس صالح لتسريح نفسه إليه في اليوم ساعة من كد اللواظبة فقيه عون على بقية الساعات ولا يمه له الصبر في العزلة إلا يقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهم كمن فيه ولا يقطع طعمه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على أنه لا يسي ويحيى على أنه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخى الأجل وليكن كثير الحمد لله كمال الموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة ولينتحق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطبق وحشة الوحدة بعد الموت وأن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت أنسه إذ لا يهدم الموت محل الأنس والعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وأنه فرحا بفضل الله عليه ورحمته كما قال الله تعالى في الشهداء - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله - وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد منهما أدركه الموت مقبلا غير مدبر فالجهاد من جاهد نفسه وهواه ^(١) كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال بعض الصحابة رضى الله عنهم رجسا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يضنون جهاد النفس .

ثم كتاب العزلة ويتلوه كتاب آداب السفر والحمد لله وحده .

﴿ كتاب آداب السفر ﴾

وهو الكتاب السابع من ربيع العادات من كتب إحياء العلوم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى فتح بصر أوليائه بالحكم والعبر واستخلص همهم لمشاهدة عجائب مننه في الحضر والسفر فأصبحوا راضين بجارى القدر مزهين فلوهم عن التفت إلى متزهات البصر إلا على سبيل الاعتبار بما يسع في مسarach النظر ومحارى الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر واليدو والحضر . والصلاة على محمد خير البشر وعلى آله وصحبه للتقنين لأثاره في الأخلاق والسير وسلم كثيرا .

(١) حديث الجهاد من جاهد نفسه وهواه الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصحبه دون قوله وهواه وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصعبة .

(كتاب آداب السفر)

خلقى وخلقى لحبل وقال
لريد أنت أخوانى مولانا
لحبل وكان حبل
جعفر قصة ابنه حمزة
لما اختصم فيها على
وجعفر وزيد . وأما
الشكر المقرور بما
أنبح له من أعمال
الأخبار يقال تحريك
إلى الله بالعبادة لشغل
جوارحك بها ولولانية
قلبك ما كان لعل
جوارحك قدر فاعلم
الأعمال باليات ولكل
امرى مانوى والنية
لنظرك إلى ربك خوفا
أو رجاء فالسابع من
الشعر بيتا يأخذ منه
معنى يذكره ربه إما
فرحا أو حزنا أو انكسارا
أو افتقارا كيف يقلب
قلبه في أنواع ذلك
ذاكرا لربه ولو سمع
صوت طائر غابله ذلك
الصوت وتذكر في قدرة
الله تعالى وتوحيته
حنجرة الطائر وتسخير
حلقه ومنشأ الصوت
وتأديته إلى الأسماع

[أما بعد] فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن السفر والوطن إلى الصحارى والقفلات وسفر بغير القلب عن أسفل السالطين إلى ملكوت السموات وأشرف السفيرين السفر الباطن فإن الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقب الولادة الجامد على ما تلقاه بالتقليد من الآباء والأجداد لا يزداد درجة التصور وقائع عربية القص ومبدل بتتبع ضياء - جنة عرشها السموات والأرض - ظلمة السجن وضيق الحبس ولقد صدق القائل :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كقص القادرين على التمام

إلا أن هذا السفر لما كان مقترحه في خطب خطير لم يستثن فيه عن دليل وخفي فاتفق غموض السبيل وقصد الحفي والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندرس سالكه فاقطع فيه الرفاق وخلع عن الطامعين متزهات الأغنى والمسلوك والآفاق وإليه دعا الله سبحانه بقوله - سربهم آياتاً في الآفاق وفي أنفسهم - وبقوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسهم ألا تبصرون - وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكسار بقوله تعالى - وإنكم لترون عليهم مصبين وبالحيل فلا تغفلون - وبقوله سبحانه - وكأن من آية في السموات والأرض يرون عليها وهم عنها معرضون - فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيرة متزهة في جنة عرشها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستغر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق فيه التاهل والوارد ولا يضر فيه التزامه والتوارد بل يزيد بكثرة للسافرين غناؤه وتضاعف ثمراته وفوائده فتنازع دأته غير ممنوعة وغمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للسافر قرة في سفره ووقفة في حركته فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يسيروا ما بأنفسهم وإذا زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله ما بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا الديدان والتطواف في متزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة معتباً بها تجارة الدنيا أو ذخيرة للأخرة فإن كان مطلبه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكى سبيل الأخرة وكان له في سفره شروط وآداب إن أحملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان وإن واطب عليها لم يغل سفره عن فوائد تلحقه بهال الأخرة ونعم تذكر آدابه وشروطه في بابين إنشاءه الله تعالى . الباب الأول :

في الآداب من أول التهبؤ إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان . الباب الثاني :

فبا لا بد للسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات .

(الباب الأول في الآداب من أول التهبؤ إلى آخر الرجوع وفيه فصلان : الفصل الأول في فوائد السفر وفصله ونيته)

اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات كذكرناه في كتاب الصبغة والعزلة والقوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب فإن للسافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه وإما أن يكون له مقصد ومطلب والهروب عنه إما أمر له نكابة في الأمور الدنيوية كالطاعون والوباء إذا ظهر يده أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء مضر وهو إما عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأفية في بلدة فيهرب منها وإما أمر له نكابة في الدين كمن اجتلى في بلدة بجاه ومال واتساع أسباب تصده عن التجرد فله فيؤثر الغربة والمحو ويحجب السعة والجاه أو كمن يدعى إلى بدعة قهراً أو إلى ولاية عمل لا تحمل مباشرته فيطلب القرار منه وأما المطلوب فهو إما دنيوي كالمال والجاه أو ديني والدين إما علم وإما عمل والعلم إما علم من العلوم الدينية وإما علم بأخلاق

(الباب الأول في الآداب من أول التهبؤ إلى آخر الرجوع)

كان في جميع ذلك
الفسر مسجعا مقدسا
فإذا سمع صوت آدمي
وحضره مثل ذلك
العكر امتلا باطنه
ذكرا وفكرا كيف
ينحصر ذلك . حتى
بعض الصالحين قال
كنت مبتكفا في جامع
جدة على البحر فرأيت
يوما طائفة يقولون في
جانب منه شيئا
فأنكرت ذلك فقلت
وقلت في بيت من بيوت
الله تعالى يقولون
الشعر فرأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
في المنام تلك الليلة وهو
جالس في تلك الناحية
وإلى جنبه أبو بكر
وإذا أبو بكر يقول
شيئا من القول والنبي
صلى الله عليه وسلم
يسمع إليه ويضع يده
على صدره كالواجب
بذلك فقلت في نفسي
ما كان ينبغي لي أن
أنكر حتى أولئك
الذين كانوا يسمعون
وهذا رسول الله

نفسه وصفاته على سبيل التجربة وإعالم بآيات الأرض ومجائبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الأرض والعمل إما عبادة وإما زيارة والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة أيضا من القربات وقد قصد بها مكان كسكة المدينة وبيت القدس وانتور فإن الرباط بها قرينة وقد قصد بها الأولياء والعلماء وهم إما موتى فزار قبورهم وإما أحياء فيترك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي أقسام الأسفار وبخرج من هذه القسمة أقسام . القسم الأول : السفر في طلب العلم وهو إما واجب وإما قائل وذلك بحسب كون العلم واجبا أو ضللا وذلك العلم لإعالم بأمر دينه أو بأخلاقه في نفسه أو بآيات الله في أرضه وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع »^(١) وفي خبر آخر « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة »^(٢) وكان سعيد بن السيب يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد . وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بانهم عن عبد الله بن أنيس الأنصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مضوا^(٣) وكل مذكور في العلم حصله من زمان الصحابة إلى زماننا هذا لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضا منهم فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتحصين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على أسرار باطنه ونبات صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وإنما السفر هو الذي يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الحب في السموات والأرض وإنما مسمى السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه الذي زكى عنده بعض اليهود هل محبة في السفر الذي يستدل به على مكارم أخلاقه فقال لا فقال ما أراك تعرفه . وكان بشر يقول يا معشر القراء سيجوا تطيوا فإن الماء إذا ساح طاب وإذا طاب مقامه في موضع تقبر . وبالجملة فإن النفس في الوطن مع واثقة الأسباب لا تظهر نبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعتها من المألوفات للمهودة فإذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتنعت بمشاق الغربة انكشفت غوايتها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بملاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد الخلطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق . وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد لتستبصر فيها قطع متجاورات وفيها الحبال والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات وما من شيء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد وأما الجاحدون والنافلون والصوترون بلام السراب من زهرة الدنيا قائم لا يصررون ولا يسمعون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون - يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وما أريد بالسمع السمع الظاهر فالذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات ويشارك الإنسان فيه

(١) حديث من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب (٢) حديث من سلك طريقا يلتمس فيه علما الحديث رواه مسلم وتقدم في العلم (٣) حديث رجل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مسيرة شهر في حديث بلغه عن عبد الله ابن أنيس الخطيب في كتاب الرحلة باستاد حسن ولم يسم الصحابي وقال البخاري في صحيحه رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد ورواه أحمد إلا أنه قال إلى الشام وإسناده حسن وأحمد أن أبا أيوب ركب إلى عقبة بن عامر إلى مصر في حديث وهو أن عقبة بن عامر

على الله عليه وسلم يسمع وأبو بكر إلى جنبه يقول طائف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول هذا حق بحق أو حق من حق بل إذا كان ذلك الصوت من أمرد يغشى بالنظر إليه الفتنة أو من امرأة خير حرم وإن وجد من الذمكار والأنكار ما ذكرنا يجرم معاه لحوف الفتنة لا لجرم الصوت ولكن بجل صانع الصوت حرم الفتنة ولكل حرام حرم يستحب عليه حكم للنوع لوجه الصلحة كاتقية للشباب الصائم حيث جلت حرم حرام الوقاع والخلوة بالأجنبية وغير ذلك فقل هذا قد تختص الصلحة للنوع من السماع إذا علم حال السامع وما يؤيده إليه معاه فيجمل للنوع حرم الحرام هكذا وقد ينكر الطبع جامد

سائر الحيوانات فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذي هو نطق وراه انطق للقال بشبه قول القائل حكاية لكلام الوجد والحائط قال الجدار للوجد لم تشقني فقال سل من يدقني ولم يتركني ورأى الحجر الذي ورأى ومامن ذرة في السموات والأرض إلا ولها أنواع شهادات لله تعالى بالوحدة هي توحيدها وأنواع شهادات لسانها بالقدس هي تسبيحها - ولكن لا يغفون تسبيحها - لأنهم لم يسافروا من مضيق مع الظاهر إلى فضاء مع الباطن ومن رككاً لسان للقال إلى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصاً بهم منطلق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصاً بسمع كلام الله تعالى الذي يجب تهديسه عن مشابهة الحروف والأصوات ومن يسافر ليستغري هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالحطوط الإلهية على صفحات الجادات لم يطل سفره بالبدن بل يستتر في موضع وغرغ قلبه لتفتح بضع ثقات التسيحات من آحاد الذرات ثمالة وتتردد في الغلوات وله غنية في ملكوت السموات فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات وهي إلى أبصار ذوي البصائر مسافرات في الشهور والسنات مرات على يد دابة في الحركة على توالي الأوقات فمن الغرائب أن يدب في الطواف بأحد الساجد من أمرت الكعبة أن تطوف به ومن الغرائب أن يطوف في أكناف الأرض من تطوف به أقطار السماء ثم دام للسافر مفتقراً إلى أن يصير عالم لللك والشهادة بالبرسر الظاهر فهو بعد في للزلز الأول من منازل السائر إلى الله والسافرين إلى خسرته وكأنه متكف على باب الوطن لم يفض به للسير إلى متسع القضاء ولا سبب لطول اللقام في هذا للزلز إلا الجبن والقصور ولذلك قال بعض أرباب القلوب إن الناس ليقولون اقتحوا أعينكم حتى تبصروا وأنا أقول غمضوا أعينكم حتى تبصروا وكل واحد من التولين حتى إلى أن الأول أخبر عن للزلز الأول القريب من الوطن والثاني أخبر عما بعده من للنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطؤها إلا مخاطرة نفسه والمجاوز إليها بما يتيه فيها - نين ور بما أخذ التوفيق يده فيرشده إلى سواء السبيل والمالكون في التيه هم الأكثرون من ركاب هذه الطريق ولكن السامعون بنور التوفيق فازوا بالنعم ولللك للقيم وهم الذين سقطت لهم من أفعالهم الحسنى واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فاته قبل بالإضافة إلى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب نزل فلما عدتم الذي يهلك أكثر من الذي يملك ولا يجدى لطلب لللك العاجز الجبان لمظيم الحضر وسلول الذهب:

وإذا كانت النفوس كباراً ثبتت في مرادها الأجسام

وما أودع الله المز واللك في الدين والدنيا إلا في حيز الخطر وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل :

ترى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع التثيم

فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله في الأرض . فخرج إلى الفرض الذي كنا قصده ولتين القسم الثاني : وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لمحب أو جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة في كتاب أسرار المحب ويدخل في جملة زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرجال لهذا الفرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام ولا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى (١) « لأن ذلك في الساجد فاتها مثاقلة بعد هذه الساجد وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء

أنى سلة بن محمد وهو أمير مصر في حديث آخر وكلاماً منقطع (١) حديث لانتشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث تقدم في المحب .

الطبع عديم الذوق
فيقال له : العيين لا يعلم
لذة الوقوع والسكوف
ليس له بالجمال البارع
استمتاع وغير للصاب
لا يتسكك بالاسترجاع
فإذا ابتكره من محب
ترى باطنه بالشوق
والهبة ويرى انجاس
روحه الطيارة في
مضيق قصص النفس
الأمانة يمر بروحه
نسيم أنس الأوطان
وتلوح له طوالع جنود
العرفان وهو بوجود
النفس في دار القربة
يتجرع كأس المبحران
يقن تحت أعباء الجهادة
ولا تعمل عنه سوانح
المشاهدة وكلما قطع
منازل النفس بكثرة
الأعمال لا يقرب من
صكبة الوصول
ولا يكتشف له للبلبل
من الحجاب فيتروح
بنفس الصعداء ويرتاح
باللأعش شدة البرحاء
ويقول محاطاً للنفس
والشيطان وهما اللانسان
أيا جبي لعنان باقه خليا

وأصل الفضل وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله . وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة السماء وبركة النظر إليهم فإن النظر إلى وجوه السماء والصلحاء عبادة وفيه أيضاً حركة للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلية السفلية من أنفاسهم وأغاثهم كيف مجرد زيارة الإخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصبة وفي التوراة : سر أربعة آميال زر أخاً في الله . وأما البقاع فلا يمتري زيارتها سوى الساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط بها فالحديث ظاهر في أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى الساجد الثلاثة وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج ، وبيت المقدس أيضاً له فضل كبير خرج ابن عمر من المدينة قاصداً بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم راجعاً من القدس إلى المدينة وقد سأل سليمان عليه السلام ربه عز وجل أن من قصد هذا السجد لا يصبه إلا الصلاة فيه أن لا تصرف نظرك عنه مادام مقبياً فيه حتى يخرج منه أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاها الله ذلك . القسم الثالث : أن يكون السفر للهرب من سبب مشوش قلدين وذلك أيضاً حسن فالقارعاً لا يطلق من سنن الأنبياء والمرسلين . ومحاجب الحرب من الولاية والجاه وكثرة العلائق والأسباب فإن كل ذلك يشوش فراغ القلب والمدين لا يثبت إلا بقلب فارغ عن غير الله فإن لم يثبت فراغه بقدر فراغه تصور أن يشغل بالدين ولا تصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن تصور تخفيفها وتقبلها وقد نجح المحفون وهلك المتلون والمحفون الذي لم يعلق النجاة بالفراغ الطاق عن جميع الأوزار والأعباء بل قبل المحف بفضله وشمله بسعة رحمة والمحف هو الذي ليست الدنيا كبرهه وذلك لا يثبت في الوطن لمن السع جاعه وكثرت علاقته فلا يثبت مقصوده إلا بالقرية والحول وقطع العلائق التي لا بد منها حتى يروى نفسه مدة مديدة ثم يبعث الله بجموته فيمن عليه بما يقوى به يقينه ويطمئن به قلبه فيستوى عنده الحضر والسفر ويتفارب عنده وجود الأسباب والعلائق وعدمها فلا يصد شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك يملح وجوده جداً بل الغالب على التغلب الضعف والقصور عن الاتباع للخلق والمخالق وإعياي سدد جهنم القوة الأنبياء والأولياء والوصول إليها بالكسب شديد وإن كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضاً ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كتفاوت القوة الظاهرة في الأعضاء فرب رجل قوى ذي مرة شوى شديد الأعصاب يحكم البنية يستقل بحمل ما وزنه ألف رطل مثلاً فلو أراد الضعيف المريض أن يناله رتبته بعمارة الجمل والتدريج فيه قليلاً قليلاً لم يقدر عليه ولكن المارسة والجهد يزيد في قوته زائداً وإن كان ذلك لا يلبثه درجته فلا يبنى أن يترك الجهد عند الأس من الرتبة العليا فإن ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف رضى الله عنهم مغادرة الوطن خيفة من الفتن وقال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحامل فكيف على الشهيدين هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلما عرف في موضع تحول إلى غيره وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد علق قلته يده ووضع جرابه على ظهره قلت إلى أين يا أبا عبد الله قال بلغني عن قرية فيها رخص أريد أن أقوم بها فقلت له وتفضل هذا قال نعم إذا بئسك أن قرية فيها رخص فأقوم بها فانه أسلم لديك وأقل لعمرك وهذا هرب من غلاء السعر وكان سرى السقطي يقول للصوفية إذا خرج الشتاء قد خرج أثار وأورقت الأشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم بلد أكثر من أربعين يوماً وكان من التوكلين ويرى الإقامة اعتماداً على الأسباب قاذوا في التوكل وسبأ في أسرار الاعتناء على الأسباب في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى . القسم الرابع : السفر هرباً عما يقدح في البدن كالطاعون أو في المال كغلاء السعر

نسب الصباح إلى

نسيها

فإن الصبا ربح إذا

ماضت

على قلب محزون تجلت

هموما

أجد بردها أوتفت

من حرارة

على كبد لم يبق إلا

صحبها

ألا إن أدوائى بلبلى

قدية

وأقتل داء العاشقين

قدجها

وللشكر يقول هل

المبة إلا امتثال الأمر

وهل يعرف غير هذا

وهل هناك إلا الخوف

من الله ويشكر المبة

الخاصة التي تختص

بالعلماء المراسخين

والأبدال للقرين ولما

تقرر في فهمه القاصر

أن المبة تستدعي

مثلاً وخيلاً وأجاساً

وأفتكلاً أنكر حجة

القوم ولمسلم أن القوم

بلغوا في رتب الإيمان

إلى أم من المحسوس

وجادوا من فرط

أو ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب القرار في بعض الواضع وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من القوائد واستجابه ولكن يستثنى من الطاعون فلا ينبغي أن يفر منه لورود النبي فيه قال أسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الوباء أوسعهم جرحاً عنده به بعض الأمم ولعلكم » ثم بقي بمدينة الأرض فلبس ثلثة ولبس الأخرى فمن مع به في أرض فلا يمدن عليه ومن وقع بأرض هو بها فلا يخرج منه القرار منه (١) وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « إن فناء أمتي بالطعن والطاعون قتل هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كسدة البعير نأخذهم في مراقبهم للسلم لئلا يتبعه شيطان عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف (٢) » وعن مكحول عن أم أيمن قالت « أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بالاعتزال بالفتشيتا وإن عذبت أو حرت وأطع والديك وإن أمرك أن تخرج من كل شيء هو لك فخرج منه ولا تترك الصلاة محمدًا فإن من ترك الصلاة محمدًا قد برئت ذمة الله منه وإياك والجر فاتها مفتاح كل شر وإياك وللصبة فاتها تسخط الله ولا تخرج من الزحف وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم فابست فيهم ألقه من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم بالله (٣) » فهذا الأحاديث تدل على أن القرار من الطاعون منهى عنه وكذلك القدوم عليه وسيأتي شرح ذلك في كتاب التوكل فهذه أصناف الأسفار وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى ملوم وإلى محمود وإلى مباح والمدموم ينقسم إلى حرام كالقبول العبد وسفر العاق وإلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم إلى واجب كالخروج وطلب العلم الذي هو فرض على كل مسلم وإلى مندوب إليه كزيارة النساء وزيارة مشاهد ومن هذه الأسباب تبين النية في السفر فإن معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والالتباس لإجابة الداعية ولكن نية الآخرة في جميع أسفاره وذلك ظاهر في الواجب وللندوب ومحال في المكروه والمختار . وأما الباع فرجه إلى النية فهما كان قصده بطلب للمصلحة المتخفة عن السؤال ورعاية ستر الرواة على الأهل والعيال والتصدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا الباع بهذه النية من أعمال الآخرة ولو خرج إلى الحج وباعته الرأى والسمة خرج عن كونه من أعمال الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات (٤) » لقوله صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنيات عام في الواجبات والندوبات والباحات دون المخطورات فإن النية لا تؤثر في إخراجها عن حكمها من المخطورات وقد قال بعض السلف : إن الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطى كل واحد على قدر نية فمن كانت نية الدنيا أعطى منها وقص من آخرته أضاعه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والفرغة غفله ومن كانت نية الآخرة أعطى من البصيرة والحكمة والعظيمة وقص له من التذكرة والعبرة بقدر نية وجمع له همه ودعت له للملائكة واستغفرت له . وأما التنظر في أن السفر هو الأفضل أو الإقامة فذلك بذاهي النظر في أن الأفضل هو العزلة أو الخلطة وقد ذكرنا منهاجها في كتاب العزلة فليتهم هذا منه فإن السفر نوع بخالطة مع زيادة حب ومشقة بفرق العلم وتمشيق القلب في حق الأكثرين والأفضل في هذا ما هو الأعون على الدين ونهاية ثمرته الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى

المنكشف والعيان بالأرواح والنفوس . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه ذكر غلاماً كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله قال من خلق الأرض قالت الله قال من خلق الجبال قالت الله قال من خلق النجم قالت الله فقال إني أسمع الله شأنا ويرى نفسه من الجبل فقطع » فالجبال الأزلَى الإلهي منكشف للأرواح غير مكيف للعقل ولا مفسر لفهم لأن العقل موكل بالعلم الشهادة لا يهتدي من الله سبحانه إلا إلى مجرد الوجود ولا يتطرق إلى حرم الشهود التجلي في طي القلوب المنكشف للأرواح بلارباب وهذه رتبة من مطالعة الجبال رتبة خاصة وأعم منها من رتب المحبة الخفية

وتحصيل الأنس يذكر الله تعالى والأنس يحصل بدوام الذكر والعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعنى على التعريف في الابتداء والاقامة هي العينة على العمل بالعلم في الانتهاء وأما السباحة في الأرض على الهواء فمن الشوشات للقلب إلا في حق الأقوياء فإن للسافر وماله لعل قلبي إلا ما قوى الله فلا يزال السافر مشغول القلب بتارة بالحولف على نفسه وماله وتارة بفارقة ما آله واعتاده وإقامته وإن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستتراف إلى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع ثم الشغل بالحطو والترحال مشوش بلجميع الأحوال ، فلا ينبغي أن يسافر الريد إلا في طاب علم أو مشاهدة شيخ يقتدي به في سيرته وتستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته فإن اشتغل بنفسه واستبصر وانتقح له طريق الفكر أو العمل فالسكون أولى به إلا أن أكثر مصوفة هذه الأعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا يطالين غير محترفين ولا متفولين قد أقبلوا البطالة واستقلوا العمل واستوعروا طريق السكسب واستلناوا جانب السؤال والكسبة واستطابوا الرابطات البنية لهم في البلاد واستسخرروا الحدم للتصيين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وأديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمة وانتشار الصيت واقتناس الأموال بطريق السؤال تماثلا بكثرة الأتباع فلم يكن لهم في الخاتحاتها حكم نافذ ولاناديب للريدين نافع ولا حرج عليهم قاهر فلبسوا الرقعات واتخذوا في الخاتحاتها منزعات وربما تلقفوا ألفاظا مزخرفة من أهل الطامات فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بأنفسهم خيرا ويعسبون أنهم يحسنون صنعا ويتفقدون أن كل سوداء تمره ويؤمنون أن الشاركة في الظاهر توجب السامعة في الخفايا وهيئات لما أغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهو لاء بضاد الله فإن الله تعالى يفيض الشاب القارغ ولم يحصاهم على السباحة إلا للسياح والفراخ إلا من سافر لحج أو عمرة في غير رياء ولا سمعة أوسافر لمشاهدة شيخ يقتدي به في علمه وسيرته وقد خلعت البلاد عنه الآن والأمور الدينية كلها قد فسدت وضعت إلا التصوف فإنه قد اعتنق بالكلية وبطل لأن العلوم لم تدرس بعد والعالم وإن كان عالم سوء قائما فساده في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقاق ما سوى الله وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فالتأمل وفي أسفار هؤلاء نظر لفقهائهم من حيث إنه إتيان النفس بلا فائدة وقد يقال إن ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة فإن حظوظهم التفرج عن كرب البطالة ومشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ لو كانت خسية نفوس التبركين لهذه الحظوظ أيضا خسية ولا بأس بإتيان حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويود إليه فهو للتأذى والتلذذ والفتوى تختصي تشيت العوام في الباحات التي لا تقع فيها ولا ضرر فالسائحون في غير مهم في الدين والدنيا بل لهم في التفرج في البلاد كالبهايم المترددة في الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وإنما عصيانهم في التلبس والسؤال على اسم التصوف والأكل من الأوقاف التي وقفت على الصوفية لأن الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات آخر وراء الصلاح ومن أقل من أن أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين وأكل الحرام من السكائر فلا يتفق معه العدالة والصلاح ولتصور صوفي فائق لتصور صوفي كافر وقبى يهودى وكان أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل محصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذى يحصل به العدالة ، وكذلك من نظر إلى طواهرهم ولم يعرف بواطنهم .

دون العامة مطالعة جمال الكمال من الكبرياء والجلال والاستقلال بالنسج والنوال والصفات النقية إلى ما ظهر منها في الآباد ولازم الذات في الآزال فللكمال جمال لا يدرك بالحواس ولا يستبسط بالقياس وفي مطالعة ذلك الجمال أخذنا طائفة من المهين خصوا بتجلى الصفات ولهم بحسب ذلك ذوق وشوق ووجد وسماع والأولون منحو اقسطا ومن تجلى الذات فكان وجدهم على قدر الوجود وسماعهم على حده والشهود . وحكى بعض الشايع قال رأينا جماعة ممن يمشى على الماء والمهوى . يسمعون السماع ويعبدون به ويهللون عند . وقال بعضهم كنا على الساحل فسمع بعض إخواننا لجل يتقلب على الماء بحر . ويحيى حتى رجع إلى مكانه .

وأعطى من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى حرماً عليهم الأخذ وكان ما أكلوه سحناً وأعطى به إذا كان للعطى بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم فأخذ المال باظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كأخذه باظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ، ومن زعم أنه علوى وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا لجه أهل البيت ولو علم أنه كاذب لم يعطه شيئا فأخذه على ذلك حرام وكذلك الصوفى ولهذا احتز المتألمون عن الأكل بالدين فإن البالغ في الاحتياط لديه لا ينفك في باطنه عن عورات لو انكشف للرأغب في مواساته لفترت رغبته عن الواساة فلا جرم كانوا لا يشترطون شيئا بأنفسهم مخافة أن يساعوا لأجل دينهم فيكونوا قد أكلوا بالدين وكانوا يوكون من يشترى لهم ويشترطون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشترى ثم إنما يحل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الأخذ بحيث لو علم للعطى من باطنه ما يعطى الله تعالى لم يقتض ذلك خدورا في رأيه فيه والله اعلم للصف يعلم من نفسه أن ذلك محتج أو عزز وللرور الجاهل بنفسه أخرى بأن يكون جاهلا بأمر دينه فإن أقرب الأشياء إلى قلبه قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة فرم لاهالة أن لا يأكل إلا من كسبه بأمن من هذه القائلة أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشف له عورات باطنه لم يمتنع ذلك عن مواساته فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرح له وليقل إنك إن كنت تعطى لما تنتفع في من الدين فلست مستحقا لذلك ولو كشف الله تعالى سري لم تزد بين التوفير بل اعتقدت أني شر الحلق أومن شرارهم فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ فانه ربما رضى منه هذه الحصة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه ولكن ههنا مكية للنفس بينة وعادة فليتنظن لها وهو بأنه قد يقول ذلك مظها أنه منتهى بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقاقهم لها ونظرهم إليها بين للفت والازدراء فتكون سورة الكلام صورة القبح والازدراء وباطنه وروحه هو عين اللذ والاطراء ، فكمن من ذام نفسه وهو لها ماحد بين ذمه فذم النفس في الخلوة مع النفس هو الممود وأما اللهم في اللأ فهو عين الرياء إلا إذا أورده إيرادا يحصل للستمع يقينا بأنه مقرف للذنوب ومعترف بها وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الأحوال ويمكن تليسه بقرائن الأحوال والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم أن عبادته لله عز وجل أو عبادته لنفسه محال فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك فهذا هو القول في أقسام السفر ونية للسافر وفضيلته .

(الفصل الثاني في آداب للسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهي أحد عشر أدبا)

وقل أن بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا يحس بها .
وقل أن بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فأخذ شمة فجعلها في عينه قال الناقل قربت من عينه أنظر فرأيت نارا أو نوراً يخرج من عينه بردار الشمة ، وحكى عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض في الهواء أذرعاً ويروي فيه . وقال الشيخ أبو طالب الكي رحمه الله في كتابه إن أنكرنا السماع مجولا مطلقا غير مقيد بمفصل يكون إنكارا على سبعين صديقا وإن كنا نعلم أن الانكار أقرب إلى قلوب القراء والتبديد إلا أنا لا نعلم ذلك لأننا نعلم ما يملكون ومما عن السلف من الأصحاب والتابعين ما لا يسمعون وهذا قول الشيخ عن

الأول أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ويرد الودائع إن كانت عنده ولا يأخذ زاده إلا بالحلال الطيب وليأخذ قدر ما يوسع به على رفاقه . قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طبيب زاده في سفره ولا يد في السفر من طب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق في السفر فإنه يخرج ضياء الباطن ومن صالح لصجة السفر صلح لصجة الحضر وقد يصلح في الحضر من يصلح في السفر ولذلك قيل إذا أتى على الرجل مملوء في الحضر ورقاؤه في السفر فلا تشكو في صلاحه والسفر من أسباب الضجر ومن أحسن خلقه في الضجر فهو الحسن الحلق ولا تضد مساعدة الأمور على وفق الترض فلما يظهر سوء الحلق . وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر : السائم والريض والمسافر . ونعم حسن خلق المسافر الإحسان إلى السكاري ومعاونة الرقة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا بالاعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله ونعم ذلك مع الرفاء بمزاج ومطاية في بعض الأوقات من غير غش ولا مصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه . الثاني : أن يختار رفيقا .

ولا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليسكن رفيقه بمن يعبه على الدين بذكره إذا نسي وبينه وبأسعده إذا ذكره إن التمس على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن أن يسافر الرجل وحده (١) وقال الثلاثة نفر (٢) وقال أيضاً إذا كنتم ثلاثة في السفر فأمرؤا أحداكم وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هذا أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وليؤمروا أحسنهم أخلاقاً وأرقهم بالأنعام وأسرعهم إلى الأثار وطلب الواقعة وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الأثر تغتاف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام إلا في الوحدة ولا فساد إلا في الكثرة وإنما تنظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد لو كان فهما آلهة إلا الله لفسدتا ومهما كان للذرواحدا انتظم أمر التدبير وإذا كثر اللدبرون فسدت الأمور في الحضر والسفر إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد وأمير خاص كرب الدار وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالإنعام فلهذا وجب التأمر ليجتمع شتات الآراء ثم على الأمير أن لا ينظر إلا لأصلحة القوم وأن يجعل نفسه وقاية لهم كما فعل عن عبد الله الروزى أنه صبه أبو بكر بن أبي رباح قال على أن تكون أنت الأمير أو أنا فقال بل أنت فلم يزل يحمل التراد لنفسه ولأبي بكر بن أبي رباح فأنطرت الباء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه العرف فكان قال له عبد الله لا تضعم يقول ألم نقل إن الأمانة مسلمة لي فلا تتعكم على ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو بكر وددت أني مت ولم أقل له أنت الأمير ، فهكذا ينبغي أن يكون الأمير وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير الأصحاب أربعة (٤) » ونخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لا بد أن يكون لهائدة والذي يتفحص فيه أن السافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان التردد في الحاجة واحداً فيتردد في السفر بل رفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب فقد أنس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنتان لكان الحافظ للرجل واحداً فلا يخلو أيضاً عن الخطر وعن ضيق الصدر فإذا كان مادون الأربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة فلا يتقدم بينهم الترافيق لأن الخافس زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تصرف المهمة إليه فلا تتم الرقابة معه ثم في كثرة الرضاء فائدة للأمن من المخاوف ولكن الأربعة خير للرقابة الخاصة للرفقة العامة وكمن رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستغناء عنه . الثالث : أن يودع رقاء الحضر والأهل والأصدقاء وليبع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة حرسها الله فلما أردت أن أفارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال لقمان إن الله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه وإن استودع الله دينك وأمانتك وخواتم حملك (٥) » وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث الترمذي عن أن يسافر الرجل وحده أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح وهو عند البخاري بإسناد لو يعلم الناس مافي الوحدة ماضار راكب بليل وحده (٢) حديث الثلاثة نفر رويته من حديث علي في وصيته الشهيرة وهو حديث موضوع والمعروف الثلاثة ركب رواه أبو داود و الترمذي وحسنه النسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٣) حديث إذا كنتم ثلاثة فأمرؤا أحداكم الطريق من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٤) حديث كانوا يفعلون ذلك ويقولون هو أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم البزار والحاكم عن عمر أنه قال إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمرؤا أحداكم ذا أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث خير الأصحاب أربعة أبو داود والترمذي والحاكم من حديث ابن عباس قال الترمذي حسن عريب وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث ابن عمر قال لقمان إن الله إذا

على الوافر بالسبح والآثار مع اجتهاده ونحره الصواب ولكن نبسط لأهل الإنكار لسان الاعتذار ونوضح لهم الفرق بين صانع يؤثر وبين صانع يشكر ومع الشبلي مثلاً يقول :

أسألك عن سلس فحل من غير يكون له علم بها أين تنزل

فزعق الشبلي وقال لا والله مافي الدارين عنه غير . وقيل الوجد سر صفات الباطن كما أن الطاعة سر صفات الظاهر صفات الباطن الأحوال والأخلاق . وقال أبو نصر السراج أهل السباع على ثلاث طبقات قوم يرجعون في صناعهم إلى مخاطبات الحق لهم فيها يسمعون وقوم يرجعون فيها يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم ومقامهم وأوقاتهم فهم

أنه قال « إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فان الله تعالى جعل له في دعائهم البركة (١) » وعن
 عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ودع رجلا قال « زدك
 الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك إلى الخير حيث توجهت » (٢) فهذا دعاء التميمي للودع وقال موسى بن
 وردان أنبأنا هريرة رضى الله عنه أودعه لسفر أردته فقال ألا أعلمك ما أنبأني أخى شيئا عليه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع قلت بلى قال قل « أستودعك الله الذى لا تضيع ودائمه » (٣) وعن
 أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إني أريد سفرا فأوصنى فقال
 له فى حفظ الله وفى كنفه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت » (٤)
 شك فيه الراوى . ويبنى إذا استودع الله تعالى ما يحفظه أن يستودع الجميع ولا يخص فقد روى أن
 عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطائهم إذا جاهد رجل معه ابن له فقال له عمر : ما رأيت أحدا أشبه
 بأحد من هذا بك قال له الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين بأمره إني أردت أن أخرج إلى سفروا معه
 حامل به فقالت فخرج وتدعى على هذا الحالة قلت أستودع الله ما فى بطنك غربت ثم قدمت فإذا هى
 قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار على قبرها قلت للقوم ماهذه النار فقالوا هذه النار من قبر فلانة نراها
 كل ليلة فقلت والله إنها كانت لصوامه قوامة فأخذت المولى حتى اتينا إلى القبر فخرنا فإذا سراج وإذا هذا
 البلام يدب قبلى إن هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمولجدها فقال عمر رضى الله عنه : لهُو
 أشبه بك من التراب بالقراب . الرابع : أن يصى قبل سفره صلاة الاستخارة كما وصفناها فى كتاب
 الصلاة ووقت الخروج يصى لأجل السفر فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا أتى النبي
 صلى الله عليه وسلم فقال « إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتى فالى أى الثلاثة أذهب إلى ابنى أم أخى أم
 أبى قال النبي ﷺ ما استخلف عبد فى أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصلين فى بيته
 إذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فىهن بآخرة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إني أخرب بين إليك
 فأخلقى بينى فى أهلى ومالى فهى خليفته فى أهله وماله وحزروه وحزروه حتى يرجع إلى أهله » (٥)
 الخامس : إذا حصل على باب الدار فليقل باسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك
 أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على فإذا مضى قال اللهم بك انتشرت
 وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت تقى وأنت رجاى فأكفى ما أحمى ومالا أهتم
 به وما أنت أعلم بهمنى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زدنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى
 للخير أينما توجهت ، وليدع بهذا الدعاء فى كل منزل يرحل عنه فإذا ركب الدابة فليقل باسم الله وبالله

مرتبون بالمسلم
 ومطالبون بالصدق
 فبا يشيرون لله من
 ذلك ونوم هم الفقراء
 المبردون القبرن قطعوا
 العلائق ولم تسلو
 قلوبهم بحجة الدنيا
 والجمع وللنفس فهم
 يسمون لطيفات قلوبهم
 ويليق بهم الجاع
 فهم أقرب الناس إلى
 السلامة وأسلمهم من
 الفتنة وكل قلب ملوث
 بحب الدنيا فسماحه
 سماع طبع وتكلف
 وسئل بعضهم عن
 التكلف فى الجاع فقال
 هو على ضربين :
 تكلف فى اللتمتع
 لطلب جاه أو منفعة
 دنيوية وذلك تلبس
 وخيانة وتكلف فيه
 لطلب الحقيقة كمن
 يطلب الوجد بالتواجد
 وهو بمنزلة التياكى
 اللذوب إليه وقول
 القائل إن هذه الهيئة
 من الاجتماع بدعة
 يقال له إنما البدعة
 المهدورة المنوع منها

استودع شيئا حفظه وأنى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك النسائي فى اليوم واليلة ورواه
 أبو داود مختصرا وإسناده جيد (١) حديث زيد بن أرقم إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه
 فان الله جعل له فى دعائهم البركة الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضيف (٢) حديث عمرو بن
 شعيب عن أبيه عن جده كان إذا ودع رجلا قال زدك الله التقوى الخرائطى فى مكارم الأخلاق
 والمهاشمى فى الدعاء وفيه ابن لهية (٣) حديث أبى هريرة أستودعك الله الذى لا تضيع ودائمه
 ابن ماجه والنسائي فى اليوم واليلة بإسناد حسن (٤) حديث أنس بن مالك فى حفظ الله وفى كنفه زدك
 الله التقوى الحديث تقدم فى الحج فى الباب الثانى (٥) حديث أنس أن رجلا قال إني نذرت سفرا
 وقد كتبت وصيتى فالى أى الثلاثة أذهب إلى أبى أم أخى أم امرأتى فقال ما استخاف عبد فى أهله
 من خائفة أحب إلى الله من أربع ركعات الحديث الخرائطى فى مكارم الأخلاق وفيه من لا يعرف .

والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يَشَأْ لم يكن سبحانه الذي سخرنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون فإذا استوت الدابة تحته فليقل - الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت السمتان على الأمور - السادس : أن يرحل عن المنزل بكرة . روى جابر : أن النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وقال « اللهم بارك لأمتي في بكورها » (١) ويستحب أن يبتدئ بالخروج يوم الخميس ، فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال قلنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس (٢) . وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم السبت » وكان ﷺ إذا بحث سرية بشها أول النهار (٣) . وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها » (٤) وقال عبد الله بن عباس : إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبه من نهارا ولا تطلبه ليلا واطلبه بكرة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم بارك لأمتي في بكورها » (٥) . ولا ينبغي أن يسافر بمطويع القبر من يوم الجمعة فيكون غاميا يترك الجمعة واليوم منسوب إليها فكان أوله من أسباب وجوبها والتشجيع للوداع مستحب وهو سنة قال صلى الله عليه وسلم « لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكتفه على رحله غدة أو روضة أحب إلي من الدنيا وما فيها » (٦) . السابع : أن لا يزل حتى يعمى النهار فهي السنة ويكون أكثر سيرة بالليل قال ﷺ « عليكم بالليلة فإن الأرض تطوى بالليل لا تطوى بالنهار » (٧) ومهما أشرف على المنزل فليقلل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خيرا هذا المنزل وخيرا أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه أصرف عن شرارهم فإذا زل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم يقلل اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فأذا جن عليه الليل فليقل يا أرض رب ربك الله أعوذ بالله من شرك ومن شر ما بك ومن شر ما يدركك عليك أعوذ بالله من شر كل أمعد وأسود حقيق وعقرب ومن شر ساكني البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو المسيح العلم ومهما علا شرفا من الأرض في وقت السير فينبغي أن يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبعا ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحانه لللك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعرزة والجبروت . الثامن : أن يحتاط بالنهار فلا يمشي

(١) حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس يريد تبوك وقال اللهم بارك لأمتي في بكورها رواه الحراني ، وفي السنن الأربعة من حديث صخر العامري اللهم بارك لأمتي في بكورها قال الترمذي حديث حسن (٢) حديث كعب بن مالك قلنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس والسبت الزوار مقتصر على يوم خميسها والخرائط مقتصر على يوم السبت وكلاهما ضعيف (٣) حديث كان إذا بحث سرية بشها أول النهار الأربعة من حديث صخر العامري وحسنه الترمذي (٤) حديث أبي هريرة اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها ابن ماجه والحراني في مكارم الأخلاق واللفظ له وقال ابن ماجه يوم الخميس وكلا الإسنادين ضعيف (٥) حديث ابن عباس إذا كانت لك إلى رجل حاجة فاطلبه إليه نهارا الحديث الزوار والطبراني في الكبير والحراني في مكارم الأخلاق واللفظ له وإسناده ضعيف (٦) حديث لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكتفه على رحله غدة أو روضة أحب إلي من الدنيا وما فيها ابن ماجه بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس (٧) حديث عليكم بالليلة الحديث شتم في الباب الثاني من الحج .

بدعة تزاحم سنة مأثوراتها وما لم يكن هكذا فلا بأس به وهذا كالقيام للداخلين يمكن فكان في عادة العرب ترك ذلك حتى ثلثان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل ولا يقام له وفي البلاد التي فيها هذا القيام لهم عادة إذا اعتمد ذلك لتطبيب القلوب والداراة فلا بأس به لأن تركه يوحش القلوب ويوغر الصدور فيكون ذلك من قبيل العثرة وحسن الصفة ويكون بدعة لا بأس بها لأنها لم تزاحم سنة مأثورة .

[الباب الثالث والشرون في القول في الساجردا وإنكارا] قد ذكرنا وجه صحة الساج وما يليق منه بأهل الصدق وحيث كثرت الفتنة بطريقه وزالت الصحة فيه وتهدى للحرص عليه أقوام قلت أعمالهم

منفردا خارج القافلة لأمر بما ينال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه وسلم إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقترش ذراعيه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعيه نصبا وجعل رأسه في كفه^(١) والغرض من ذلك أن لا يستقل في النوم فخطع الشمس وهو نائم لا يدري فيكون ما يغوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره ، والتسحب بالليل أن يتأهب الرقعة في الحراسة فإذا نام واحد حرص آخر^(٢) فهذه السنة ومهما قصد عدو أو سبغ في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله وسورة الإخلاص والعوذتين وليلق باسم الله ماشاء الله لاقوه إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لايأتى بالخير إلا الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى جمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ - كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز - تحصنت بالله العظيم واستعنت بالله القيوم الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكفنا بركتك الذي لا يرام اللهم احرسنا بقدرتك علينا فلا تهلك وأنت تفتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإيمانك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين . التاسع : أن يرفق بالدابة إن كان راكباً فلا يحملها مالا تطيق ولا يضربها في وجهها فانه منتهى عنه ولا ينام عليها فانه يتقل باليوم وتأذي به الدابة كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي^(٣) » ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية وروحها بذلك^(٤) نفوسة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكثر بشرط أن لا ينزل ويوفي الأجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لافي ميزان حسنات السكاري ومن آذى بهيمة بضرب أو حمل مالا تطيق طوبى به يوم القيامة إذ في كل كب حراء أجر . قال أبو الهرداء رضى الله عنه لبعير له عند الموت : أيها البعير لا تخافنى إلى ربك فاني لم أركك فوق طائفتك وفي النزول ساعة صدقتان : إحداها تزويج الدابة والثانية إدخال السرور على قلب السكاري وفيه فائدة أخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب وينبغي أن يقرر مع السكاري ما يعمل عليه شيئا وشيئا وعرضه عليه ويستأجر الدابة بقدر صحيح كالأشور بينهما نزاع يؤذى القلب ويعمل على الزيادة في السلام فإلفظ العبد من قول لإلاديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة السلام والهجاء مع السكاري فلا ينبغي أن يعمل فوق الشروط شيئا وإن خف بأن القليل يجر الكثير ومن حالم حول الحمى يوشك أن يقع فيه . قال رجل لابن المبارك وهو على دابة أحملني هذه الرقعة إلى فلان فقال حتى أستأذن السكاري فاني لم أشارك على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء إن هذا مما يبتسأع فيه ولكن سلك طريق الورع . العاشر : ينبغي أن يستحب سنة أشياء قالت عائشة رضى الله عنها إن كان رسول الله ﷺ إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : للرأء والمسكحة والفراس والسواك والشط^(٥) وفي رواية أخرى عنها ستة أشياء : للرأء والقارورة والفراس والسواك والمسكحة والشط وقالت أم سعد الأنصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشارك في السفر للرأء والمسكحة^(٦) وقال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفسدت أحوالهم وأصحتروا الاجتماع للسمع ولهمجة يتخذ للاجتماع طعاما تطلب النفوس الاجتماع لذلك لارغبة للصلوب في السماع كما كان من سير الصادقين فيسير السماع معلولا تركن إليه النفوس طلبا للشهوات واستحلاء لمواطن اللهو والغفلات وبقطع ذلك على المرید طلب المزيد ويكون بطريقه تضییع الأوقات وقلة الحظ من العبادات وتكون الرغبة في الاجتماع طلبا لتناول الشهوة واسترواحا لأولى الطرب واللهو والفسرة ولا يغنى أن هذا الاجتماع مردود عند أهل الصدق . وكان يقال لا يصح السماع إلا لعارف مكين ولا يباح لمريد مبتدئ .

- (١) حديث كان إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقترش ذراعيه الحديث تقدم في الحج (٢) حديث تأهب الرقعة في الحراسة تقدم في الحج في الباب الثاني (٣) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي تقدم في الباب الثالث من الحج (٤) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية تقدم فيه (٥) حديث عائشة كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء للرأء والمسكحة والفراس والسواك والشط وفي رواية أخرى عنها ستة أشياء : للرأء والقارورة والفراس والسواك والمسكحة والشط وقالت أم سعد الأنصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشارك في السفر للرأء والمسكحة رواء الحراطين وإسناده ضعيف

وعليكم بالأخذ عند مضجكم فإنه محاذر في البصر وبنت الشعر^(١) وروى أنه كان يتكحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية أنه اكتحل لليمن ثلاثا ولليسرى ننتين^(٢) وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية إذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وإغماره هذا لما رآوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب للتصolver ولزخ الماء من الآبار وكان الأولون يكتنون بالتييم وينشون أنفسهم عن قتل الماء ولا يالون بالوضوء من القدران ومن الماء كلها ما لم يثقبوا نجاستها حتى توضع على رضى الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالأرض والحبال عن الحبل فيغشون الثياب للتصولة عليها فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة وإنما البدعة للضرورة ما يصاد السن الثانية وأما ما يبين على الاحتياط في الدين لمستحسن وقد ذكرنا أحكام للباقة في الطهارات في كتاب الطهارة وأن التجرد لأسر الدين لا يبنى أن يؤثر طريق الرخصة بل محتاط في الطهارة ما لم يمتنع ذلك عن عمل أفضل منه . وقيل كان الحواص من التوكلين وكان لا يغارقه أرضه أشياء . في السفر والحضر الركوة والحبل والآرة بخيوطها والقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا . الحادي عشر : في آداب الرجوع من السفر « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قتل من غزو أوحش أو حمرة أو غيره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيونا تابونا عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده^(٣) » وإذا أشرف على مدينته فليقل الله لهم لئلا يهاجروا ورزقا حسنا ثم ليرسل إلى أهله من يشترهم بقدمه كيلا يقدم عليهم بئنة فيرى ما يكرهه ولا يبنى لأن يطرهم ليل^(٤) فقد ورد النبي عنه ، وكان عليه السلام إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت^(٥) وإذا دخل قال « توبوا لربنا أوبأ لا يئادر علينا حوبا^(٦) » وينبئ أن يجعل لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطعم أو غيره على قدر مكانه فهو سنة قد روي أنه إن لم يجد شيئا فليضع في غلته حجرا^(٧) وكان هذا سائلة في الاستحباب على هذه المسكرة لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به . فنيا كد الاستحباب في تأكيد فرحهم وإظهار الفات القاب في السفر إلى ذكرهم بما يستحب في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة . وأما الآداب الباطنة ففي الفصل الأول بيان جملة منها وجملة أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا إلى نقصان فليقف وليصرف ولا يبنى أن يجاوز هم منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة أن يرى شيوخها ويجهد أن يستفيد من كل واحد منهم أدبا أو كلمة لينفع بها لايحكي ذلك ويظهر أنه لقي المشايخ ولا يقيم ليلة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الإقامة إلا الفقراء الصادقين وإن كان قصد زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو حدة الضيافة

(١) . حديث صحيح عليكم بالأخذ عند مضجكم فإنه محاذر في البصر وبنت الشعر الجرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضيف وهو عند الترمذي وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابن عباس وصححه ابن عبد البر وقال الخطابي صحيح الإسناد (٢) حديث كان يتكحل لليمنى ثلاثا ولليسرى ننتين الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر بسندين (٣) حديث كان إذا قتل من حج أو غزو أو غيره يكبر الحادي عشر تقدم في الحج (٤) حديث النبي عن طرق الأهل ليلا تقدم (٥) حديث كان إذا قدم من سفر دخل المسجد أولا وصلى ركعتين تقدم (٦) حديث كان إذا دخل قال توبوا لربنا أوبأ لا يئادر حوبا (٧) ابن السني في اليوم والليالي والحاكم من حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث اطرا إلى أهله عند القدوم ولو بجعر الباردنفي من حديث عائشة بإسناد ضعيف .

فيه بقية البطالة .
وقيل إن الجنيذ ترك
السلع قليل له كنت
تسمع فقال مع من
قل له تسمع لنفسك
فقال مع لأنهم كانوا
لا يسمعون إلا من
أهل مع أهل فلما قد
الاصحوان ترك فلما
اختراروا السلع حيث
اختراروه إلا جروط
وقيود وآداب يذكرون
به الآخرة ويرغبون
في الجنة ويحذرون
من النار ويزداد
به ظلمهم وتحسن به
أحوالهم ويتفق لهم
ذلك الخفا في بعض
الأحايين لأن يعملوه
دأبا ودينا حتى
يركوا لأجله الأوراد .
وقد قل عن الشافعي
رضي الله عنه أنه قال
في كتاب القضاء القضاء
لهو مكروه يشبه
الباطل وقال من
استكثر منه فهو
سفيه ترد شهادته .
واحق أصحاب الشافعي
أن للرأ غير المحرم

إلا إذا شق على أخيه مفارقتها وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقم عنده أكثر من يوم وليلة ولا يشغل نفسه بالخدمة فإن ذلك يقطع ركعة سفره وكما دخل بلدا لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ فزيارة منزله فإن كان في بيته فلا يندق عليه بابه ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج فإذا خرج تقدم إليه بأدب فسلم عليه ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله فإن سأله أجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة عالم يستأذن أولا وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأضيائها ولا ذكر أسدقائه فيها وليذكر مشايخها وقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدوا في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ومع من يقدر على إزالتها ويلزم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره. وإذا كلف إنسان فليترك الذكر وليجبه مادام يعمده ثم يرجع إلى ما كان عليه فإن تبرمت نفسه بالسفر أو بالأقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا يفتني له أن يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في قصص مما كان عليه في الحضر فليعلم أن سفره معلول وليرجع إذ لو كان لحق لظفر أمره . قال رجل لأبي عثمان للرب خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن أن يذل نفسه وأشار به إلى أن من ليس له في السفر زيادة دين فقد أذل نفسه وإلا فغز الدين لا ينال إلا بذلة التربة فليكن سفر للريد من وطن هو أو مراده وطبعه حتى يعز في هذه التربة ولا يذل فإن من أتبع هواه في سفره ذل لا محالة إما عاجلا وإما آجلا .

(الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات)

اعلم أن السافر محتاج في أول سفره إلى أن يزود لدينه وآخرته أما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج إليه من نفقة فإن خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره في قافلة أو بين قري متصلة وإن ركب البادية وحده أومع قوم لأطعام معهم وللشراب فإن كان بمن يصر على الجوع أسبوعا أو عشرين مثلا أو يقدر على أن يكتفي بالخشيش فله ذلك وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالخشيش فغروجه من غير زاد معصية فانه ألقي نفسه يديه إلى الهلكة ولهذا سرياني في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التبعاد عن الأسباب بالسكينة ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب المال والحبل ونزع الماء من البئر ولو جبان صبر حتى يسخر الله له مسلكا أو شخصا آخر حتى يصب الماء في فيه فإن كان حفظ المال والحبل لا يتدح في التوكل وهو آلة الوصول إلى الشرب فحمل عين اللعوم والشروب حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يتدح فيه وستأتي حقيقة التوكل في موضعها فانه يلتبس إلا على المحققين من علماء الدين وأما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج إليه في طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلا بد وأن يزود منه إذ السفر تارة تخفف عنه أمور فيحتاج إلى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجعم والقطر وتارة يشدد عليه أمور كان مستثنا عنها في الحضر كالعالم بالقبلة وأوقات الصلوات فانه في البلد يكتفي بغيره من محارب للساجد وأذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج إلى أن يعرف بنفسه فإذا ما يفتقر إلى تعلمه ينقسم إلى قسمين :

(القسم الأول العلم برخص السفر)

والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح الحفنين والتيمم وفي صلاة القرض رخصتين القصر والجعم وفي النفل رخصتين أداؤه على الراحة وأداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه سبع

(الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه)

لا يجوز الاستماع إليها سواء كانت حرة أو مملوكة أو مكشوفة الوجه أو من وراء حجاب . وتدل عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان يحككه بالقطعة بالضميق ويقول وضه الزيادة لينخلوا به عن القرآن وقال لأبأس بالقراءة بالألحان ونحسين الصوت بها بأي وجه كان . وعند مالك رضي الله عنه إذا اشترى جارية فوجدها منقبة فله أن يردّها بهذا العيب وهو مذهب سائر أهل المدينة وهكذا مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وسباع القضاء ومن أباحه إلا نفر قليل من الفقهاء ومن أباحه من الفقهاء أيضا لم ير إعسلاته في الساجد والبقاع الشريفة . وقيل في ضمير قوله تعالى - ومن الناس

رخص . الرخصة الأولى : السح على الحفين قال صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن ^(١) فكل من لبس الحف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافرا أو يوما ولية إن كان مقبلا ولكن بخمسة شروط : الأول أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل النجى وأدخلها في الحف ثم غسل اليسرى فأدخلها في الحف لم يجز له السح عند الشافعي رحمه الله حتى يفرغ النجى ويعد لبسه . الثاني : أن يكون الحف قويا يمكن النسي فيه ويجوز السح على الحف وإن لم يكن متلا إذا العادة جارية بالتردد فيه للنازل لأن فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية فإنه لا يجوز السح عليه وكذا الجرموق الضعيف . الثالث : أن لا يكون في موضع فرض النسل خرق فإن تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز السح عليه وللشافعي قول تقديم إنه يجوز ما دام يستسك على الرجل وهو مذهب مالك رضي الله عنه ولا بأس به لمسيس الحاجة إليه وتقدر الحرز في السفر في كل وقت والداس للنسوج يجوز السح عليه ما كان ساترا لا يبدو بشرة القدم من خلاله وكذا للشعوق الذي يرد على محل الشق جرح لأن الحاجة تمس إلى جميع ذلك فلا يعتبر لأن يكون ساترا إلى ما فوق الكعبين كيفما كان فأما إذا ستر بعض ظاهر القدم وستر الباقي بالغطاء لم يجز السح عليه . الرابع : أن لا يزع الحف بعد السح عليه فنزع الأول له استئناف الوضوء فإن اقتصر على غسل القدمين جاز . الخامس : أن يمسح على الوضوء المأذون لهل فرض النسل لاهي الداعي وأقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الحف وإذا مسح بثلاث أصابع أجزاء والأولى أن يخرج من شبة الخلاف وأكثره أن يمسح أعلاه وأسفله دفعة واحدة من غير تكرار ^(٢) كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه أن يبل اليدين ويضع رموس أصابع اليمنى من يده على رموس أصابع اليسرى من رجله ويمسحه بأن يمر أصابعه إلى جهة نفسه ويضع رموس أصابع يده اليسرى على عقبه من أسفل الحف ويمر بها إلى رأس القدم . ومهما مسح مقبلا ثم سافر أو مسافرا ثم أقام غلب حكم الإقامة فليقتصر على يوم ولية وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد السح على الحف فلو لبس الحف في الحضر ومسح في الحضر ثم خرج وأحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال إلى الزوال من اليوم الرابع فإذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يسل إلا بعد غسل الرجلين فبسل رجله ويبدل لبس الحف ويراعى وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث ولو أحدث بعد لبس الحف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام لأن العادة قد تقتضي اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فأما إذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة التيممين ويستحب لكل من يبدل لبس الحف في حضر أو سفر أن ينكس الحف وينفض ما فيه حذرا من حياء أو غرب أو شوكة فقد روى عن أبي أمامة أنه قال دعا رسول الله ﷺ بنخيه قلبس أحدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حبة فقال صلى الله عليه وسلم كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما ^(٣) .

(١) حديث صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن الترمذي وصححه وابن ماجه والنسائي في الكبرى وابن خزيمة وابن حبان (٢) حديث مسحه صلى الله عليه وسلم على الحف وأسفله أبو داود والترمذي وضعه وابن ماجه من حديث الثوري وهكذا ضفه البخاري وأبو زرعة (٣) حديث أبي أمامة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما رواه الطبراني وفيه من لا يرف .

من يشتري لهو الحديث - قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه والفناء والاستماع إليه . وقيل في قوله تعالى وأنتم سامعون - أي مفتون رواه عكرمة عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وهو الفناء بلفظ حبر يقول أهل اليمن محمد فلان إذا غنى وقوله تعالى واستغفر من استغتم منهم بصوتك - قال مجاهد الفناء والزامير . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان إبليس أول من ناع وأول من تقى » وروى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إيمانيت عن صوتين فاجبرين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة » وقد روى عن عثمان رضي الله عنه أنه

الرخصة الثانية : التيمم بالتراب بدلا عن الماء عند العذر وإنما يتعدى الماء بأن يكون بعيدا عن التزل بعدا لومضى إليه لم يلحقه غوث القافلة إن صاح أو استغاث وهو البعد الذي لا يستأهل أهل التزل في ترددهم قضاء الحاجة التردد إليه وكذا إن نزل على الماء عدو أو سبع فيجوز التيمم وإن كان الماء قريبا وكذا إن احتاج إليه لمطرش أحد رفاقه فلا يجوز الوضوء ويلزمه بذله إما بشئ أو بغيره من ولو كان يحتاج إليه لطبخ مرققة أو لحم أو لبن كتبت بجمعه به لم يحز له التيمم بل عليه أن يجتري بالفتيت اليابس ويترك تناول الرقة ومهما وهب له الماء وجب قبوله وإن وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من اللذة وإن بيع بشئ لثلل لزمه الشراء وإن بيع بشئ لم يلزمه فإذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جاز الوصول إليه بالطلب وذلك بالتردد حوالى المنزل وتفتيش الرجل وطلب البقايا من الأواني والطاهر فإن نسي الماء في رحله أوىنى بقاء بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره في الطلب وإن علم أنه سجد الماء في آخر الوقت فالأولى أن يصلى بالتيمم في أول الوقت فإن العذر لا يوثق به وأول الوقت رضوان الله . تيمم ابن عمر رضى عنهما ققبل له أتيتهم وجدردان للدينة تنظر إليك ١ فقال أوأبى إلى أن أدخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلاة لا تبطل صلاته ولم يلزمه الوضوء وإذا وجد قبل الشروع في الصلاة لزمه الوضوء . ومهما طلب فلم يجد فليقصد صيدا طيبا عليه تراب يشور منه غبار وليضرب عليه كفه بعد ضم أصابعها ضربة فيدسح بها وجهه ويضرب ضربة أخرى بعد نزع الحاتم ويخرج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرقبه فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع يديه ضرب ضربة أخرى وكيفية التلطف فيه ما ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيد ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يتنفل ماشاء بذلك التيمم وإن أراد الجمع بين فرضتين فعليه أن يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلى فرضتين إلا يتيمعن ولا ينبغي أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلاة ولو وجد من الماء ما يكفي لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما . الرخصة الثالثة في الصلاة المفروضة القصر وله أن يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والمساء على ركعتين ولكن بشرط ثلاثة : الأول : أن يؤديها في أوقاتها فلا صارت قضاء فالأظهر لزوم الإتمام . الثاني : أن ينوي القصر فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام ولو شك في أنه نوى القصر أو الإتمام لزمه الإتمام . الثالث : أن لا يقتدى بغيره ولا بمسافر منته فان فعل لزمه الإتمام بل إن شك في أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام وإن يفتن بعده أنه مسافر لأن شعار المسافر لا تحفى فليكن متحققا عند التية وإن شك في أن إمامه هل نوى القصر أم لا بعد أن عرف أنه مسافر لم يضره ذلك لأن التيات لا يطلع عليها وهذا كله إذا كان في سفر طويل مباح وحده السفر من جهة البداية والنهاية فيه إشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط التصديق بقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذى لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط أن يجاوز خراب البلدة وبساتينها التى يخرج أهل البادية إليها للتنزه وأما القرية فالمسافر منها ينبغي أن يجاوز البساتين المحيطة دون التى ليست بمحاطة ولو رجع المسافر إلى البلد لأخذ شئ نسبتم برخصه إن كان ذلك وطنه ما لم يجاوز عمران وإن لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص إذا صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه . وأما نهاية السفر فأحد أمور ثلاثة : الأول : الوصول إلى عمران من البلد الذى عزم على الإقامة به . الثاني : العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعدا إما في بلد أو في صحراء . الثالث : صورة الإقامة وإن

قال ما غنيت ولا تخنيت ولا ممست ذكرى يعنى منذ يايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال القضاء ينبت التفافى في القلب وروى أن ابن عمر رضى الله عنه مر عليه قوم وهم يحرمون وفيهم رجل يتشى فقال ألا لا سمع الله لكم ألا لا سمع الله لكم وروى أن إنسانا سأل القاسم بن محمد عن القضاء فقال أنهاك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو ؟ قال انظر يا ابن أختى إذا ميز الله الحق والباطل في أيهما يجعل القضاء . وقال الفضيل بن عياض القضاء رقية الزنا وعن الضحاك القضاء مفسدة للقلب مسخطة للرب وقال بعضهم : إياكم والقضاء فإنه يزيد الشهوة ويهدم للرونة وإنه لينوب عن الحجر

لميزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وإن لميزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازه ولكنه يتعوق عليه ويتأخر فله أن يترخص وإن طالت اللدة على أقبس القولين لأنه مترجع قبله ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع ارتجاع القاب ولا فرق بين أن يكون هذا الشغل قتالا أو غيره ولا بين أن تطول اللدة أو تقصر ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاءه ثلاثة أيام أو لغيره إذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد (١) وظاهر الأمر أنه لو تعادى القتال لتعاضد ترخصه إذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى القصر ، وأما معنى التطويل فهو أن يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة ثلاثة أقدام ومعنى البياح أن لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالهما ولا تكون نظرة هاربة من زوجها ولا أن يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق أو قتل إنسان أو طلب إدرار حرام من سلطان ظالم أو سعي بالقساوين السليين . وبالجمله فلا يسافر الإنسان إلا في غرض والغرض هو المحرك فإن كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبغي لسفره فغرضه معصية ولا يجوز فيه الترخص وأما القسق في السفر بهرب الحر وغيره فلا ينعى الرخصة بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثن أحدهما مباح والآخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث له المحظور لكان البياح مستقلا بتحريكه ولكن لأحالة يسافر لأجله فله الترخص وللصوفة الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف المختار أن لهم الترخص . الرخصة الرابعة : الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين المغرب والعشاء في وقتيهما : فذلك أيضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازها في السفر القصير قولان ، ثم إن قدم العصر إلى الظهر فليجمع الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليتم وعند الفراغ يقيم للعصر ويمجد التيمم أولا إن كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة فإن قدم العصر لم يجز وإن نوى الجمع عند التحرم صلاة العصر جاز عند الزنى وله وجه في القياس إذ لا مستند لإيجاب تقديم التيمم بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وإنما الرخصة في العصر فكفى التيمم فيها وأما الظهر فجاء على القانون ثم إذا فرغ من الصلاتين فينبغي أن يجمع بين سنن الصلاتين أما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر يصلها بعد الفراغ من العصر إما رايكأ أو مقبها لأنه لو صلى رابعة الظهر قبل العصر لا تقطعت الواوالة وهي واجبة على وجهه ولو أراد أن يتم الأربع السنونة قبل الظهر والأربع السنونة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضة فيصلي سنة الظهر أولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر الركعتان الثانية جاز الغرض ولا ينبغي أن يحمل التوافل في السفر فما يفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الربح لاسيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الراحة كي لا يتعوق عن الرقة بسببها وإن أخر الظهر إلى العصر فيجزي على هذا الترتيب ولا يبالى بوقوع رابعة الظهر

(١) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد أبو داود من حديث عمران بن حصين في قصة القتيح فأقام بمكة ثمانية عشر ليلة لا يصلي إلا ركعتين والبخاري من حديث ابن عباس أقام بمكة تسعة عشر يوما بقصر الصلاة ولأبي داود سبعة عشر بتقديم السنين وفي رواية له خمسة عشر .

ويغفل ما يغفل السكر وهذا الذي ذكره هذا القائل صحيح لأن الطبع للوزن يفتق بالفتاء والأوزان ويستحسن صاحب الطبع عند السماع ما لم يكن يستحسن من القرعة بالأصابع والتصفيق والرقص وتصدرته أهال تدل على سخافة العقل . وروى عن الحسن أنه قال : ليس العرف من سنة السليين . والذي نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع الشمر لا يدل على إباحة النماء فإن الشعر كلام منظوم وغيره كلام منشور فصنه حسن وقبيحه فيبح وإنما يصير غناء بالألحان وإن أنصف المصنف ونفكر في اجتناع أهل الزمان وقعود المنفى بدفه والشجب بشبابته وتصور في نفسه هل وقع مثل

بعد المص في الوقت الكروه لأن ما له سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والمساء والوتر
 وإذا قدم أو أخر بعد القراغ من القرض يشتغل بجميع الرواتب ويحتم الجميع بالوتر وإن خطر له ذكر
 الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع العسر جمعا فهو نية الجمع لأنه إنما يخلو عن هذه النية إما
 بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت المص وذلك حرام والعزم عليه حرام وإن لم يتذكر الظهر حتى خرج
 وقته إما لنوم أو لشغل فله أن يؤدى الظهر مع العسر ولا يكون عاصيا لأن السفر كما يشتغل عن فعل الصلاة
 فقد يشتغل عن ذكرها ويحتمل أن يقال إن الظهر إنما تقع أداءه إذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها ولكن
 الأظهر أن وقت الظهر والمص صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا
 طهرت قبل الترويب ولذلك يتقدم أن لا تشترط للواو لا ترتيب بين الظهر والمص عند تأخير الظهر أما
 إذا قدم المص على الظهر لم يجز لأن ما بعد القراغ من الظهر هو الذي جعل وقتا للمص إذ يبعد أن يشتغل بالمص
 من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره وعذر للطرح يجوز لا جميع كعذر السفر وترك الجمعة أيضا من رخص
 السفر وهي متعلقة أيضا بفرائض الصلوات ولو نوى الإقامة ببدان على المص فأدرك وقت المص في الحضر
 فله أداء المص وما مضى إنما كان مجزئا بشرط أن يبقى العذر إلى خروج وقت المص . الرخصة
 الخامسة : التفلد كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته أينما توجهت بدمائه ^(١)
 وأوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على التفلد الركب في الركوع والسجود إلا الإيماء
 وينبغي أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ولا يلزمه الاعتناء إلى حد يتعرض به لخطر بسبب الدابة فإن
 كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فانه قادر عليه . وأما استقبال القبلة فلا يجب لافي ابتداء الصلاة
 ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلاته إما مستقبلا للقبلة أو متوجها
 في صوب الطريق لتكون له جهة يثبت فيها فلو حرف ذابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته إلا إذا
 حرفها إلى القبلة ولو حرفها تأميا وقصر الزمان لم تبطل صلاته وإن طال فقه خلاف وإن جمحت به
 الدابة فأعترف لم تبطل صلاته لأن ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو إذا جماع غير منسوب
 إليه بخلاف ما لو حرف تأميا فانه يسجد لله ولو الإيماء . الرخصة السادسة : التفلد كما في السفر
 ويومئ بالركوع والسجود ولا يبعد للشهد لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الركب لكن
 ينبغي أن يتحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة لأن الاعتراف في لحظة لا عسر عليه فيه بخلاف الركب فإن
 في تحريف الدابة وإن كان النمان يده نوع عسر وربما تسكر الصلاة فيطول عليه ذلك ولا ينبغي
 أن يعشى في نجاسة رطبة محمدا فان فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو طئت دابة الركب نجاسة وليس
 عليه أن يشوش الشيء على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو الطريق عنها غالبا وكل هارب
 من عدو أو سيل أو سبع فله أن يصلي الفريضة راكبا أو ماشيا كما ذكرناه في التفلد . الرخصة السابعة :
 القطر وهو في الصوم فله ما سفر أن يطر إلا إذا أصبح مقبلا ثم سافر فله أن يترك ذلك اليوم وإن أصبح
 مسافرا صام . ثم أقام فله الأتمام وإن أقام مفطرا فليس عليه الإمساك بقية النهار وإن أصبح
 مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بله أن يطر إذا أراد الصوم أفضل من القطر والقصر أفضل من الأتمام
 للخروج عن شبهة الخلاف ولأنه ليس في عهدة القضاء بخلاف للفطر فانه في عهدة القضاء وربما يتعذر
 عليه ذلك بما في فيق في ذمته إلا إذا كان الصوم يضربه فلا فطر أفضل . فهذه سبع رخص تتعلق
 ثلاثها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر والسهل ثلاثها بما يتعلقان منها بالسفر طويلا كان أو قصيرا

هذا الجلوس والهيئة
 بحضرة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 وهل استحضروا قولا
 وقصدوا مجتمعين
 لاستعانة لاشك بأنه
 ينكر ذلك من حال
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه
 ولو كان في ذلك فضيلة
 تطلب ما أهموها فن
 بشر بأنه فضيلة تطلب
 ويجمع لها لمعظم
 بنوق معرفة أحوال
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه
 والتابعين واستروح إلى
 استحسان بعض
 للتأخيرين ذلك وكثيرا
 ما ينط الناس في هذا
 ولها احتج عليهم
 بالسلف للناشرين
 يخرجون بالتأخيرين
 وكان السلف أقرب إلى
 عهد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وهديم
 أشبه بهدي رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وكثير
 من الفقهاء يتسنع
 عند قراء القرآن

(١) حديث كان يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر على الراحلة متفق عليه
 من حديث ابن عمر .

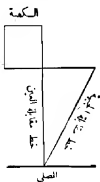
وهما مقطوعة والجمعة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتييم وأما صلاة النافلة ما شيا وراءها كبقية خلاف والأصح جوازها في القصير والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والأظهر اختصاصها بالطويل وأما صلاة الفرض راكبا وماشيا لخوف فلا تتعلق بالسفر وكذا أكل اللبنة وكذا أداء الصلاة في الحال بالتييم عند فقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها . فان قلت فالعلم بهذه الرخصة هل يجب على السافر تعلمه قبل السفر أم يستحب له ذلك . فأقول أنه إن كان عازما على ترك السجدة والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك لأن الترخص ليس بواجب عليه ، وأما علم رخصة التيم فيلزمه لأن فقد الماء ليس إليه إلا أن يسافر على ما مضى . نهر يوتق بقاء مائه أو يكون معه في الطريق عالم بقدر على استغاثته عند الحاجة فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة أما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه علم فيلزمه التيم لا لهالة . فان قلت : التيم يحتاج إليه لصلاة لم يدخل بدوقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بدلم يجب ووجبا لا يجب . فأقول : من بينه وبين السجدة مسافة لا تقطع إلا في سنة فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم التماسك لهالة إذا كان يظن أنه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لأن الأصل الحياة واستمرارها وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقفا ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل إليه إلا بتقدم ذلك الشرط على وقت الوجوب فوجب تقديم تعلم الشرط لهالة كعلم التماسك قبل وقت الحج وقبل مباشرة فلا يدخل إذن للسافر أن ينسى السفر ما لم يتعلم هذا التقدم من علم التيم وإن كان عازما على سائر الرخص فليعلم أن تعلم أيضا التقدم الذي ذكرناه من علم التيم وسائر الرخص فانه إذا لم يعلم القدر الجائز لرخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه . فإن قلت إنه إن لم يتعلم كيفية التنفل راكبا وماشيا ماذا يفرضه وقابته إن صلى أن تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة فكيف يكون عليها واجبا . فأقول من الواجب أن لا يصل النفل على نص الفساد فالتنفل مع الحدث والتجاسة وإلى غير القبلة ومن غير إتمام شروط الصلاة وأركانها حرام فعليه أن يتعلم ما يحترزه عن النافلة القاسدة حذرا عن الوقوع في المحذور فهذا بيان علم ما خفف عن المسافر في سفره .

(القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر)

وهو علم القبلة والأوقات وذلك أيضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يخفيه عن طلب القبلة ومؤذن راعى الوقت فيخفيه عن طلب علم الوقت والسافر قد تشبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم بأدلة القبلة والوايت أما أدلة القبلة فهي ثلاثة أقسام : أرضية كالاستدلال بالجبال والقرى والأنهار وهواية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها ومباه ودبورها وحماوة وهي النجوم فأما الأرضية وهواية فتختلف باختلاف البلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم أنه على عين المستقبل أو شماله أو يورائه أو قدامه فليعلم ذلك وليتجهبه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليعلم ذلك ولما قدر على استقصاء ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر وأما النواوية فأدلتها تنقسم إلى نهارية وإلى ليلية أما النهارية فالشمس فلا بد أن يراعى قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه أي بين الحاجبين أو على العين اليمنى أو اليسرى أو قبل إلى الجبين ميلا أكثر من ذلك فإن الشمس لاتعدو في البلاد الشمالية هذه اللواقع فإذا حفظ ذلك فهمما عرف الزوال بدليله الذي سذكروه عرف القبلة به وكذلك يراعى مواقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة وهذا أيضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه وأما القبلة وقت للغرب فانها تدرك بموضع الغروب وذلك بأن يحفظ أن الشمس تغرب عن بين المستقبل أو هي مائلة إلى وجهه أو قضاء وبالشفق أيضا تعرف القبلة للعشاء الأخيرة وبمشرق الشمس تعرف القبلة .

بأشياء من غير غلبة قال عبد الله بن عروة ابن الزبير قلت لجدي أحماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما وصفهم الله تعالى تتمع أعينهم وتشم جلودهم قال قلت إن ناسا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خروا أحدهم منشأ عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وروى أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرَّ برجل من أهل العراق يتساقط قال ما هذا ؟ قالوا إنه إذا قرئ عليه القرآن سمع ذكر الله تعالى سقط فقال ابن عمر رضي الله عنهما إنا لنخشى الله وما نسقط إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما هكذا كان يصنع

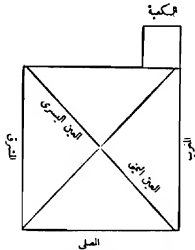
الصلاة الصبح فكأن الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشاء والصيف فان الشارق والغارب كثيرة وإن كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك أيضا ولكن قد يصلى الغرب والمشاء بعد غيوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدل على القبلة به فليعلم أن راعى موضع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدى فانه كوكب كاثبات لا تظهر حركته عن موضعه وذلك إما أن يكون على قفا المستقبل أو على منكبيه الأيمن من ظهره أو منكبه الأيسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمين وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فيتعلم ذلك وما عرفه في بلده فليعمل عليه في الطريق كله إلا إذ طال السفر فان السافة إذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع الشارق والغارب إلا أن ينتهي في أثناء سفره إلى بلاد فينبغي أن يسأل أهل البصرة أو رافقه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فهما تعلم هذه الأدلة فله أن يعمل عليها فان بان له أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبغي أن يقضى وإن اعرف عن حقيقة محاذة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد أورد الفقهاء خلافا في أن للطلوب جهة الكعبة أو غيرها وأشكل معنى ذلك على قوم إذ قالوا إن قلنا إن الطلوب العين فحق يتصور هذا مع بعد الديار وإن قلنا إن الطلوب الجهة فالواقف في السجد إن استقبل جهة الكعبة وهو خارج يدينه عن موازنة الكعبة لاختلاف في أنه لا تصح صلاته وقد طولوا في تأويل معنى الخلاف في الجهة واليمين ولا بد أولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة فمعنى مقابلة العين أن يقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عينيه إلى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته والخط الخارج من موقف للصلى بقدر أنه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين :



وأما مقابلة الجهة فيجوز فيها أن يتصل طرف الخط الخارجى من بين العينين إلى الكعبة من غير أن يتساوى الزاويتان عن جهتي الخط بل لا يتساوى الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة إلى سائر القطع من عينها أو شمالها كانت إحدى الزاويتين أصغر فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كالحط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لالينها وحد تلك الجهة ما بين خطين يؤمهما الواقف مستقبلا لجهة خارجين من العينين فليتنق طرفاهما في داخل الرأس

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرون إذا قرئ القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد واحد منهم على ظهر بيت بإسقاط رجله ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان رضى بنفسه فهو صادق وليس هذا القول منهم إنكارا على الإطلاق إذ يتفق ذلك لبعض الصادقين ولكن التصنع النوم في حق الأكثرين فقد يكون ذلك من البعض تصنعا ورياء ويكون من البعض قصور علم وعلمة جهل بمزاج بهوى لم يأخذهم يسر من الوجد فينبغي زيادات يجعل أن ذلك يصير بدنه وقد لا يجعل أن ذلك من النفس ولكن النفس تسترق السمع استراقا خفيا تفرج الوجد عن الحد الذي

بين العينين على زاوية قائمة فاقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين الخطين تزايد بطول الخطين وبالمقدار عن الكعبة وهذه صورته :



يبني أن يقف عليه
وهذا بيان الصدق .
قل أن موسى عليه
السلام وعظ قومه
فتق رجل منهم قميصه
فقبل لموسى عليه
السلام قل لصاحب
القميص لا يشق قميصه
ويصرح قلبه . وأما
إذا انضاف إلى الساجد
أن يسمع من أمره
قد توجهت الفتنة
ونعين على أهل البائات

انكار ذلك . قال بقية
ابن الوليد كانوا
يكرهون النظر إلى
السلام الأمر الجليل .
وقال عطاء كل نظرة
يهواها القلب فلا خير
فيها وقال بعض التابعين
ما أنا أخوف على الشاب
النائب من السبع
الضاري خوفي عليه
من الغلام الأمر بقدر
إليه . وقال بعض
التابعين أيضا الوظيفة
على ثلاثة أصناف صنف
ينظرون وصنف
يسألون وصنف
يعملون ذلك العمل

فإذا فهم معنى العين والجهة فأقول الذي يصح عندنا أن الطلوع العين إن كانت الكعبة
كما يمكن رؤيتها وإن كان يحتاج إلى الاستدلال عليها لتعدد رؤيتها فيكون استقبال الجهة . فأما طلب
العين عند الشاهدة فجمع عليه وأما الاكتفاء بالجهة عند تدبر اللابئة فيدل على الكتاب والسنة
وفضل الصحابة رضي الله عنهم والقياس . أما الكتاب فقوله تعالى - وحينا كنتم قولوا وجوهكم شطره -
أي نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولى وجهه شطرها . وأما السنة فما روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل المدينة « ما بين الشرق والشرق قبله (١) » وللغرب يقع على عين أهل
للمدينة وللشرق على يسارهم فجاء رسول الله ﷺ جميع ما يقع بينهما قبله ومساحة الكعبة لاتفق ما بين
الشرق والغرب وإنما يبنى بذلك جهتها . وروى هذا اللفظ أيضا عن عمر وابنه رضي الله عنهما .
وأما فضل الصحابة رضي الله عنهم فما روى: أن أهل مسجد بقاء كانوا في صلاة الصبح بالمدينة مستقبليين
لبيت المقدس مستدبرين الكعبة لأن المدينة بينهما . فقول لهم الآن قد حوَّلت القبلة إلى الكعبة
فاستداروا في أثناء الصلاة من غير طلب دلالة (٢) ولم ينكر عليهم ومضى مسجدهم ذا القبليتين ومقابلة
العين من المدينة إلى مكة لا تعرف إلا بأداة هندسية بطول النظر فيها فكيف أدركوا ذلك على البديهة
في أثناء الصلاة وفي ظلمة الليل . ويدل أيضا من فعلهم أنهم بنوا للساجد حوالى مكة وفي سائر بلاد
الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحارب . ومقابلة العين لا تدرك إلا بدقيق النظر
المهندسى . وأما القياس فهو أن الحاجة تمس إلى الاستقبال وبناء الساجد في جميع أقطار الأرض
ولا يمكن مقابلة العين إلا بطول هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها

(١) حديث ما بين للشرق والغرب قبله الزمذنى وصححه والنسائى وقال منكر وابن ماجه من حديث
أبي هريرة (٢) حديث إن أهل قبا كانوا في صلاة الصبح مستقبليين لبیت المقدس فقبل لهم ألا إن
القبلة قد حوَّلت إلى الكعبة فاستداروا الحديث مسلم من حديث أنس وافقوا عليه . من حديث ابن
عمر مع اختلاف .

فكيف ينبغي أمر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة . وأما دليل صحة الصورة التي صورناها وهو حصر جهات العالم في أربع جهات قوله عليه السلام في آداب قضاء الحاجة « لا تستقبلوها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا » (١) وقال هذا بالمدينة والشرق على يسار السجدة بها والغرب على يمينه قس على جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك أربع جهات ولم يخطر ببال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض في ست أو سبع أو عشر وكيف كان فلما حكم الباقي بل الجهات ثبتت في الاعتقادات بناء على خلقه الانسان وليس له إلا أربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالاضافة إلى الانسان في ظاهر النظر أربعاً والشرع لا يبيح إلا على مثل هذه الاعتقادات فظهر أن المطلوب الجهة وذلك يسهل أمر الاجتهاد فيها وتعلم بأدلة القبلية فاما مقابلة العين فاتها تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار درجات طولها وهو يسدها عن أول عمارة في الشرق ثم يعرف ذلك أيضاً في موقف الصلوة يقابل أحدها بالآخر ويحتاج فيه إلى آلات وأسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعاً فاذن القدر الذي لا بد من تعلمه من أدلة القبلة موقع للشرق والغرب في الزوال وموقع الشمس وقت المصفر فهذا يسقط الوجوب . فان قلت فلو خرج للسافر من غير قلم ذلك هل يصح . فأقول إن كان طريقه على قرى متصلة فيها محارب أو كان معه في الطريق يصير بأدلة القبلة موثوق بهدائه وبصيرته ويقدر على تقليده فلا يصح وإن لم يكن معه شيء من ذلك عصى لأنه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الأدلة واستقيم عليه الأمر ينجم مظهر أو ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فليحذر أن يسقى في الوقت على حسب حاله ثم عليه التماس سواء أصاب أم أخطأ والأصحى ليس له إلا التقليد فيقلد من يوثق بدينه وبصيرته إن كان مقلده مجتهداً في القبلة وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتداد قول كل عدل غيره بذلك في حضر أو سفرو ليس للأصم ولا للجاهل أن يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف أدلة القبلة حيث يحتاج إلى الاستدلال كالبصير العامي أن يقيم ببلدة ليس فيها آية عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة إلى حيث يجد من يبله دينه وكذا إن لم يكن في البلد إلا آية فاسق فليحذر الهجرة أيضاً إذ لا يجوز له اعتداد قسوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في الرواية وإن كان معروفاً بالفتنة مستور الحال في العدالة والنسب فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لأن للسافر في البلاد لا يقدّر أن يبحث عن عدالة الفتيان فان رآه لا بسا للحرر أو ما يخاب عليه الأبرصم أو راكباً لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حرام أو يأخذ منه إداراً أو صلة من غير أن يعلم أن الذي يأخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق قدح في العدالة فمتنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة . وأما معرفة أوقات الصلوات الخمس فلا بد منها . فوقت الظهر يدخل بالزوال وان كل شخص لا بد أن يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب الغرب ثم لا يزال ينقص إلى وقت الزوال ثم يأخذ في الزيادة في جهة الشرق ولا يزال يزيد إلى الغروب فليقيم السافر في موضع أو لينصب غوداً مستنجحاً وليعلم على رأس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بسعد وقت الظهر . وطريقه في معرفة ذلك أنه ينظر في البلدة وقت أفان للوذن الضمد ظل قائمه فان كان مثلاً ثلاثة أقدام بقدمه فهما صار كذلك في السفر وأخذ في الزيادة على فان زاد على ستة أقدام ونصفاً بقدمه دخل وقت العصر إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم إن كان سفره من أول الصيف وإن كان أول الشتاء فينقص كل يوم وأحسن ما يعرف به ظل الزوال واليزان فليستصعبه السافر وليتأمل اختلاف

قد تمسح على طائفة الصوفية اجتناب مثل هذه الجماعات واتخاذ مواضع التيمم فان التصوف صدق كله وجدكته . يقول بعضهم التصوف كله جد فلا تخاطبوه بشيء من الهزل فهذه الآثار دلت على احتساب السماع وأخذ الحذر منه والباب الأول بما فيه دل على جواز شروطه وتنزيهه عن الكرامة التي ذكرناها وقد فصلنا القول وفرقنا بين القوائد والفتاة وغير ذلك . وكان جماعتهم الصالحين لا يسمعون ومع ذلك لا يبتعدون على من يسمع بنية حسنة وراعى الأدب فيه . [الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترصاوا استثناء] اعلم أن الوجد يشعر بسابقة قد دفن لم يفقد لم يجد وإنما كان فقد لزاحمة وجود البعد بوجود صفاته وبقيائه فلو تحمض عبداً

(١) حديث لا تستقبلوها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا متفق عليه من حديث أبي أيوب.

الظل به في كل وقت وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر
موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن يصير بين عينيه مثلاً إن
كانت كذلك في البلد . وأما وقت الغرب فيدخل بالغروب ولكن قد تحجب الجبال الغرب عنه
فيبنى أن ينظر إلى جانب الشرق لهما ظهر سواد في الأفق مرتفع من الأرض قدر رمح قد دخل
وقت الغرب . وأما المشاء فيعرف بغيوبة الشفق وهو الحمرة فإن كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه
بظهور الكواكب الصفراء وكثرها فإن ذلك يكون بعد غيوبة الحمرة . وأما الصبح فيدعى الأول
مستظيلاً كذب السحان فلا يحكم به إلى أن ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يمر إدراكه بالعين
لظهوره فهذا أول الوقت قال **ابن القيم** « ليس الصبح هكذا وجمع بين كفيه وإنما الصبح هكذا ووضع
إحدى سبائحه على الأخرى وفتحهما (١) » وأشار به إلى أنه معترض وقد يستدل عليه بالنازل وذلك
تغريب لا تحقيق فيه بل الاعتقاد على مشاهدة انتشار البياض عرضاً لأن قوماً ظنوا أن الصبح يطلع
قبل الشمس بأربع منازل وهذا خطأ لأن ذلك هو القجر الكاذب والذي ذكره المحققون أنه ينقسم
على الشمس بمنزتين وهذا تغريب ولكن لا اعتدال عليه فإن بعض النازل تطلع معترضة منحرفة فيفسر
زمان طلوعها وبضها متعبه فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافاً بطول ذكره ثم
تصلح النازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبدء فاما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزتين
أصلاً على الجملة فإذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتحقق أنه الصبح الكاذب
وإذا بقي قريب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالغرب
يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب وهو مبدأ ظهور البياض وانتشاره قبل الساع عرض
فمن وقت الشك يبنى أن يترك الصائم السجود ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصل صلاة الصبح حتى
تنقضي مدة الشك فإذا تحقق صلى ولو أراد مزيد أن يقدر على التحقيق وقام معينا بشرب فيه متسحراً
ويقوم عليه ويصل الصبح متصلاً لم يقدر على ذلك فليس معرفة ذلك في قوة البشر أصلاً بل لا بد من
مهلة للتوقف والشك والاعتقاد لإلحاق العيان ولا اعتداد في العيان إلا على أن يصير الضوء منتشرًا في الأرض
حتى تبدو مبادئ الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت وبدل عليه
ما روى أبو عيسى الترمذي في جامعه بإسناده عن طلق بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
« كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع الصعد وكلوا واشربوا حتى يمرض لكم الأحمر (٢) » وهذا صريح
في رعاة الحمرة قال أبو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وأبي ذرٍّ ومرة بن جندب وهو حديث
حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما كلوا واشربوا ما دام
الضوء ساطعاً قال صاحب التريين أي مستظلياً فإذا لا يبنى أن يحول إلا على ظهور الصفرة وكأنها
مبادئ الحمرة وإنما يحتاج السافر إلى معرفة الأوقات لأنه قديماً في الصلاة قبل الرحيل حتى لا يبق عليه
الزوال أو قبل التوم حتى يستريح فإن وطن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يقين فسمع نفسه بفوات
الزوال

(١) حديث ليس الصبح هكذا وجمع كنهه إنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبائحه على الأخرى
وفتحهما وأشار به إلى أنه معترض ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح مختصر دون
الإشارة بالكف والسبائين ولأحمد من حديث طلق بن علي : ليس القجر للسطيل في الأنف لكنه
المرض الأحمر وإسناده حسن (٢) حديث طلق بن علي كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع للصعد
وكلوا واشربوا حتى يمرض لكم الأحمر قال الصنف رواء أبو عيسى الترمذي في جامعه وقال حسن
غريب وهو كذا كر ورواه أبو داود أيضاً .

لتخص حراً ومن
تخص حراً أفلت من
شرك الوجد فشرك
الوجد يحطد البقايا
ووجود البقايا لتختلف
شيء من العطايا . قال
الحصري رحمه الله
ما أدون حال من محتاج
إلى مزعج يزجه
فالوجد بالساع في حق
الحق كالوجد بالساع
في حق البطل من حيث
النظر إلى انزعاجه
وآثاره الباطن به وظهور
آثره على الظاهر وتغييره
للبعد من حال إلى
حال وإنما يختلف الحال
بين الحق والبطل أن
البطل يجد لوجود
هوى النفس والحق
يجد لوجود إرادة
القلب ولهذا قيل
الساع لا يحدث في
القلب شيئاً وإنما
يحرك ما في القلب فمن
متعلق بباطنه بغير الله
يحركه الساع فيجد
بالهوى ومن متعلق
باطنه بحجة الله يجد
بالإرادة إرادة القلب

فضيلة أول الوقت وينجم كلفة الزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استنى عن تعلم علم الأوقات فان للشكل أوائل الأوقات لا أوساطها .

(كتاب آداب السماع والوجد)

(وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أحرق قلوب أوليائه بنار محبته . واسترق همهم وأرواحهم بالشوق إلى لقاءه ومشاهدته . ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرة . حتى أصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى . وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهاء حيرى . فلم يروا في الكونين شيئاً سواه . ولم يذروا في الدارين إلا إياه . إن حنيت لأبصارهم صورة عبرت إلى الصور بصائرهم . وإن فرغت أسماعهم نعمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم . وإن ورد عليهم صوت مزجج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مبهج أو مشوق أو مهيج لم يكن انزعاجهم إلا إليه . ولا طربهم إلا به . ولا فقههم إلا عليه . ولا حزنهم إلا فيه . ولا شوقهم إلا إلى مآلده . ولا انبعاثهم إلا له . ولا ترددهم إلا حواله . فنه سماعهم . وإليه استماعهم . قد أقبل عن غيره أبصارهم وأسماعهم . أولئك الذين اصطفاهم الله لولايته . واستخلصهم من بين أصفياه وخاصته . والصلاة على محمد البعوث برسالاته وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته . وسلم كثيرا .

[أما بعد] فان القلوب والسرائر . خزائن الأسرار ومعدن الجواهر . وقد طويت فيها جواهرها كطويت النار في الحديد والحجر . وأخفيت كما خفي لاء تحت التراب والدر . ولا سبيل إلى استئارة خفاياها إلا بقواعد السماع . ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهليز الأسماع . فالنعمات للوزونة للستة نخرج مافيا . وتظهر محاسنها أو مساوئها . فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما بهو به . كما لا يبرش الإثاء إلا بما فيه . فالسماع للقلب محك صادق . وميزان ناطق . فلا يصل نفس السماع إليه . إلا وقد تحرك فيما هو القالب عليه وإذا كانت القلوب بالاطباع مطبوعة للأسماع حتى أبدت بوارداتها مكانها . وكشفت بها عن مساوئها وأظهرت محاسنها . وجب شرح القول في السماع والوجد ويان مافيهما من الفوائد والآفات . وما يستحب فيها من الآداب والمهيات . وما يتطرق إليهما من خلاف العلماء في أنهما من المخطورات أو الباحات . ونحن نوضح ذلك في بابين . الباب الأول : في إباحة السماع . الباب الثاني : في آداب السماع وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والرقع وعزيق الثياب .

(الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه)

(بيان أقوال العلماء والتصوفة في تحليله وعمره)

اعلم أن السماع هو أول الأمر ويشير السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويشير الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة يقسمى الاضطراب وإما موزونة تقسمى التصديق والرقص فليد أعينكم السماع وهو الأول ونقل فيه الأقوال العبرة عن المذهب فيه ثم نذكر الدليل على إباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسكه القائلون بتحريمه ، فأما هل للمذهب قد حكى القاضي أبو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء اتفاقاً يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه وقال الشافعي رحمه الله

(كتاب السماع والوجد)

(الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحته)

فالبطل محبوب
محباب النفس والحق
محبوب محباب القلب
ومحباب النفس محباب
أرضى ظفاني ومحباب
القلب محباب محاموي
نوراني ومن لم يفقد
بحوام التحق بالشهود
ولا يشترأ بذيل الوجود
فلا يسمع ولا يجد
ومن هذه الطائفة قال
بضم الوجد نارد
كلما لا ينفذ في قول
ومر محمد الدينوري
رحمه الله بنوم فيه
قوله ظا رأوه
أسكوا قال أرجوا
في ما كنتم فيه فوافقه
لوجمت ملاهي الدنيا
في أدنى ما شغلهم ولا
شغلهم ما في قال الوجد
صرخ الروح المبلى
بالنفس تارة في حق
البطل وبالقلب تارة
في حق الحق فتارة
الوجد الروح الروحاني
في حق الحق والمبطل
ويكون الوجد تارة
من فهم المعاني يظهر
وتارة من مجرد التلغات

في كتاب آداب القضاء إن الفناء لمؤمكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي أبو الطيب استناعه من المرأة التي ليست بحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافعي رضي الله عنه صاحب الجارية إذا جمع الناس لساعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكي عن الشافعي أنه كان يكره الطعنة بالقتيب ويقول وضته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعي رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللب البارد أكثرهما يكره اللب جسي من اللامي ولا أحب اللب بالشرط وخ وأكره كل ما يلصق به الناس لأن اللب ليس من صفة أهل الدين ولا للروءة . وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الفناء وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا لإبراهيم ابن سعد وحده . وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فإنه كان يكره ذلك ويجعل مباح الفناء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة : سفیان الثوري ومحمد وإبراهيم والشعبي وغيرهم . فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري وهل أبو طالب النكي إباحة السماع عن جماعة فقال مع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وللقيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وناسي وإحسان وقال لم يرل الحجازيون عندنا بئكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام للمدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يرل أهل المدينة مواطنين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعون الناس التاجين قد أعدهن للصوفة قال وكان لعطاء جاريان بلحان فكان إخوانه يستمعون إليهما قال وقيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيدي وسري السقطي وذو النون يستمعون قال وكيف أنكسر السماع وقد أجازوه وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكسر للهو والسبب في السماع وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال قد كنا ثلاثة أشياء فإلأراها ولأراها ترداد لإلألة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الصيانة وحسن الإخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب هذا محكيًا بينه عن الحرث المحاسبي وفيه ما يدل على تجوز السماع مع زهده وتقاونه وجه في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يهيب دعوة إلا أن يكون فيه مباح وحكي غير واحد أنه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد فنظرناهم فحضر مباح فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما جدتي أحمد ابن بنت منيع فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباها كان يسمع قول ابن الحبازة فقال ابن مجاهد لابن داود دعني أنت من أهلك وقال لابن بنت منيع دعني أنت من جدك أي شيء تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أو حرام فقال ابن داود لا قال لأن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده قال لا قال لأن أنشد وطوله وقصره منه المدود ومد منه التصور أحرم عليه قال أنا لم أقول شيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين قال وكان أبو الحسن العمدة لابن الأسود من الأولياء يسمع ويؤله عند السماع وصف فيه كتابا ورد فيه على منكبيه وكذلك جماعة منهم صفوا في الرد على منكبيه . وحكي عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الحضر عليه السلام قفلت له ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدم العلماء . وحكي عن محمد بن النضر بن أبي داود قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم قفلت يارسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يستحقون قبله بالقرآن ويحذرون بعده بالقرآن . وحكي عن طاهر بن بلال

والألحان لما كان من
قيل للثاني تشارك
النفس الروح في السماع
في حق البطل ويشارك
القلب في حق الحق وما
كان من قيل مجرد
النفات تتجرد الروح
للسماع ولكن في حق
البطل تسترق النفس
السمع وفي حق الحق
يسترق القلب السمع
ووجه استلزام الروح
النفات أن العالم
الروحاني يجمع الحسن
والجمال ووجود
التناسب في الأرواح
مستحسن قولنا وقيل
وجود التناسب في
الهيكل والصور
ميراث الروحانية فبني
سمع الروح النفات
اللبينة والألحان
للتناسية فآثره لوجود
الجنسية ثم يتبدد ذلك
بالشرع بمصالح عالم
الحكمة ورعاية الحدود
للمعبد عين للصحة
عاجلا وآجلا . ووجه
آخر إنما يستلزم الروح
النفات لأن النفات بها

المحمداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فأناكرت ذلك بقلي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشمر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي ﷺ يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجب بذلك قلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أناكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أشك فيه وقال الجليل نزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند للذاكرة لأنهم لا يتجاوزون إلا في مقامات الصديقين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجود وبشهودن حقا وعن ابن جريج أنه كان يرخس في السماع فقبل له أن يؤتي يوم القيامة في جملة خستائك أو سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبهه بالقول وقال الله تعالى - لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم - هذا ما نقل من الأقاويل ومن طلب الحق في التقليد فهما استقصى فمارضت عنده هذه الأقاويل فيبقى متنجرا أو مائلا إلى بعض الأقاويل بالتشبه وكل ذلك تصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدراك الخطر والإباحة كما سنده -

(بيان الدليل على إباحة السماع)

اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله تعالى ساقب عليه وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الضرر بحسرة في النفس أو القياس على النصوص وأغنى بالنص ما أظهره صلى الله عليه وسلم بقوله أو فله وبالقياس المعنى المفهوم من أقاظه وأضاله فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بضره وبقي فضلا لأخرج فيه كسائر اللباعات ولا بد لي من تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن أدلة السائلين إلى التحريم ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلما كالكافيا في إثبات هذا الترض لكن نستفتح ونقول قد دل النص والقياس جميعا على إباحتها . أما القياس فهو أن الفناء اجتمعت فيه معاني ينبغي أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فإن فيه جماع صوت طبيب موزون مفهوم لأن محرك القلب فالوصف الأعم أنه صوت طبيب ثم الطبيب ينقسم إلى اللوزون وغيره وللوزون ينقسم إلى الفهوم كالأشعار وإلى غير الفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات أما جماع الصوت الطبيب من حيث إنه طبيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بأدراك ما هو مخصوص به وللإنسان عقل وحس حواس ولكل حاسة إدراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلزم تلذذ النظر في البصريات الجلية كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن والجلمة سائر الألوان الجلية وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الأتبان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالسومة والحلاوة والخوض وهي في مقابلة الحرارة الشديدة وليس لحدة اللين والنعومة واللاسقة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة والامقلنة المد والبرقة وهي في مقابلة الجول والبلاد فكذلك الأصوات للدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والزماير ومستكرهة كصوت الخمر وغيرها فأظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها . وأما النص فيدل على إباحة جماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به إذ قال - يزد في الخلق ما يشاء - فقبل هو الصوت الحسن وفي الحديث « ما بهت الله نبيا إلا حسن الصوت » وقال صلى الله عليه وسلم « لله أشد أدنا للرجل

نطق النفس مع الروح بالإيمان الحق إشارة ورمزا بين المتعاقبين وبين النفوس والأرواح متعلق أصل بزعم ذلك إلى أنوثة النفس وذكرورة الروح والليل والتعاقب بين الذكر والأنثى بالطبيعة واقع قال الله تعالى - وجعل منها زوجها ليسكن إليها - وفي قوله سبحانه منها إشعار بتلازم وتلاصق موجب للائلاف والتعاقب والنهاية يستلها الروح لأنها متفاعلة بين المتعاقبين وكما أن في عالم الحكمة كونه حواء من آدم في عالم القدرة كونه النفس من الروح الروحاني فهذا التألف من هذا الأصل وذلك أن النفس روح حيواني تنجس بالقرب من الروح الروحاني وتنجسها بأن امتازت من أرواح جنس الحيوان جرف

(١) حديث ما بهت الله نبيا إلا حسن الصوت الترمذي في الشمائل عن قتادة وزاد قوله وكان نبيكم

الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لذيقته ^(١) وفي الحديث في مرض الداء عليه السلام « أنه كان حسن الصوت في النباحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الناس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يعمل في مجلسه أربعين جنازة وما يقرب منها في الأوقات ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم في مدح أبي موسى الأشعري « لقد أعطى زمزما من مزامير آل داود ^(٣) » وقول الله تعالى - إن أنكر الأصوات لصوت الخبر - يدل بفهمه على مدح الصوت الحسن ولو جاز أن يقال إنما أيسح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزمه أن يحرم سماع صوت التذليل لأنه ليس من القرآن وإذا جاز سماع صوت يغفل لاعتنى له فلم لا يجوز سماع صوت فهم منه الحكمة والمغاني الصحيحة وإن من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث إنه طيب حسن : الفرجة الثانية النظر في الصوت الطيب الموزون قال الوزن وراء الحسن فكيف من صوت حسن يخرج عن الوزن وكمن من صوت موزون غير مستطاب والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة فاتها إما أن تخرج من جمل كصوت الزايمر والأوتار وضرب القضيب والطلل وغيره وإما أن تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت النادل والتماري وذات السبع من الطيور فهي مع طيبها موزونة متسابة للطالع والقاصد فذلك يستدعي سماعها والأصل في الأصوات نفاخ الحيوانات وإما وضعت الزايمر على أصوات الخناجر وهو تشبيه للصنعة بالحلقة وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الحلقة التي استأثر الله تعالى باختراعها فنه تعلم الصنعة وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك بطول فبما هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذهاب إلى تحريم صوت التذليل وسائر الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان فينبغي أن يقاس على صوت التذليل الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختبار الآدمي كالذي يخرج من حلقه أو من القضييب والطلل والدف وغيره ولا يستثنى من هذه إلا للالهي والأوتار والزايمر التي ورد الشرع بالتحريم منها ^(٤) لا لقلتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلد به الإنسان ولكن حرمت المحور وانقضت ضراوة الناس بها بالبالغة في القطام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان لحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والزايمر فقط وكان تحريمها من حسن الوجه حسن الصوت ورونياء متصلا في التيلانيات من رواية قتادة عن أنس والصواب الأول قاله الدارقطني ورواه ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن أبي طالب وطريقه كلها ضعيفة

(١) حديث أنه أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قيته تقدم في كتاب تلاوة القرآن (٢) حديث كان داود حسن الصوت في النباحة على نفسه وفي تلاوة الزبور الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث لقد أوتي زمزما من مزامير آل داود قاله في مدح أبي موسى تقدم في تلاوة القرآن (٤) حديث للتح من اللالهي والأوتار والزايمر البخاري من حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري ليسكون في أمي أنوام يستحلون الحز والحرير والمعارف صورته عند البخاري صورة التليق ولذلك ضعفه ابن حزم ووصله أبو داود والاماعيلي . والمعارف اللالهي قاله الجوهري ولأحد من حديث أبي أمامة إن الله أمرني أن أعق الزايمر والسكبرات يعني البرابطة والمعارف وله من حديث قيس بن سعد بن عباد إن ربي حرم على الحز والكوبة والفنين وله في حديث لأبي أمامة باستحلالهم المحور وضربهم بالدفوف وكلها ضعيفة ولأبي الشيخ من حديث مكحول مرسل الاستماع إلى للالهي مصيبة الحديث ولأبي داود من حديث ابن عمر مع زمزما فوضع أصبعه على أذنيه قال أبو داود وهو منكبر .

القرب من الروح
الروحاني نصارت قسا
فلا تترك النفس من
الروح الروحاني في عالم
القدرة كنسكون
حواء من آدم في عالم
الحكمة فهذا التالف
والعاشق ونسبة
الأثونة والذكور تمن
هنا ظهر وبهذا
الطريق استطاعت
الروح النفاذ لأهلها
مراسلات بين
للتاشقين ومكاملة
بينها وقد قال القائل :
تكم منا في الوجود
عيوتا
فنحن سكوت والهوى
يسكن
فإذا استلذ الروح النعمة
وجدت النفس الملوعة
بالهوى وتحركت بما
فيها لحدوث العارض
ووجد القلب للعلو
بالإرادة وتحرك بما فيه
لوجود العارض في
الروح :
شربنا وأهرقنا على
الأرض جرة
وللأرض من كأس
السكرام نصيب

قبل الانتباه كاحترمت الخلوة بالأجنبية لأنها مقدمة الجماع وحرم النظر إلى المتخذ لاتصاله بالسواطين
وحرم قليل الحر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر وما من حرام إلا وله حرم بطيف به وحكم
الحرمة ينسحب على حرمة ليسكون حى للحرام ووقاية له وحظا ما ناهى حوله كما قال صلى الله عليه وسلم
« إن لكل ملك حى وإن حى الله محارمه »^(١) فهى محرمة تبها لتحريم الحر ثلاث علل :
إحداها أنها تدعو إلى شرب الخمر فإن اللذة الحاصلة بها إنما تم بالحر وتلث هذه العلة حرم قليل
الخمر . الثانية أنها فى حق قرب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الأُنس بالشرب فهى سبب الله ذكر
والذكر سبب انبعث الشوق وانبعث الشوق إذا قوى فهو سبب الإقدام ولهذا العلة « نهى عن
الانتباه فى الزفت والختم والنقير »^(٢) وهى الأوانى التى كانت مخصوصة بها فعنى هذا أن مشاهدة
صورها تذكرها وهذه العلة تغارق الأولى إذ ليس فيها اعتبار لذة فى الذكر إذ لا تلة فى رؤية القينة
وأوانى الشرب لكن من حيث التذكر بها فإن كان السماع يذكر الشرب تذكر الشوق إلى الخمر
عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهى عن السماع لحصول هذه العلة فيه . الثالثة الاجتناع
عليها لما أن صار من عادة أهل القسق فيمنع من التشبه بهم لأن من تشبه قوم فهو منهم وبهذه
العلة نقول بترك السنة مهما صارت شمارة لأهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم
ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة الخشنيين ولولا ما فيه
من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو وبهذه العلة نقول لاجتماع جماعة وزنوا مجلسا وحضروا
آلات الشرب وأقداحه وسبوا فيها السكبيج ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيم فيأخذون من
الساقى وضربون ويحى بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وإن كان للثروب
مباحا فى نفسه لأن فى هذا تشبها بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشرعى
الرأس قروعا فى بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيها وراء التبر لاعتقاد
أهل الصلاح ذلك فهم فيهذه العلة حرم للزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب
والربط وغيرها وماعدا ذلك فليس فى معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطباخين وكالطبل
والقضب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يستاده أهل الشرب لأن كل ذلك
لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن فى معناها بقى على
أصل الاباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن
متناسب مستطاب حرام أيضا وبهذا يتبين أنه ليست العلة فى تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس
تحليل الطيات كلها إلا ما فى تحليه فساد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده
والطيبات من الرزق - فهذه الأصوات لا تحرم من حيث إنها أصوات موزونة وإنما تحرم بعارض
آخر كما سيأتى فى المواضع المحرمة . المبرجة الثالثة : الوزون والمقوم وهو الشعر وذلك لا يخرج
إلا من حجرة الانسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه مازاد إلا كونه مفهوما والسلام المقوم غير حرام
والصوت الطيب للوزون غير حرام فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع ثم ينظر فيها بفهم منه
فإن كان فيه أمر محظور حرم شره ونظمه وحرم النطق به سواء كان بألحان أو لم يكن والحق فيه
ما قاله الشافعى رحمه الله إذ قال الشعر كلام تحفته حسن وبيته قبيح فيسبح ومهما جاز إنشاد الشعر بشير
صوت وألحان جاز إنشاده مع الألحان فإن أفراد اللباحت إذا احتضمت كان ذلك المجموع مباحا

ففى البطل أرض
لباء قلبه وقلب الحق
أرض لباء روحه
فالبالغ مبلغ الرجال
والتجوهر التجرد من
أعراض الأحوال خلغ
نعلنى النفس والقلب
بالوادی للقدس
وفى مقعد صدق عند
ملك مقننر استقر
وعرس وأحرق بنور
العيان أجرام الألحان
ولم تصغ روحه إلى
منافاة عاشقه لشغفه
بمطالعة آثار محبوه
فالهاشم الشناق لا يسمعه
كشفت ظلامه العناق
ومن هذا حاله لا يحركه
السباع رأسا وإذا
كانت الألحان لاتلحق
هذا الروح مع لطافة
مناجاتها وخفى لطف
مناغاتها كيف يلاحظه
السباع بطريق فهم
العالى وهو أكتف
ومن يضعف عن حمل
لطيف الاشارات كيف
يتحمل ثقل أعباء
العبارات وأقرب من
هذا عبارة تقرب إلى

(١) حديث إن لكل ملك حى وإن حى الله محارمه تقدم فى كتاب الحلال والحرام .

(٢) حديث النهى عن الانتباه فى الختم والزفت والنقير متفق عليه من حديث ابن عباس .

ومهما انضم مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظورا لا تضمنه الأحاد ولا محظور ههنا وكيف يشكر إنشاء الشعر وقد أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) وقال عليه السلام « إن من الشعر لحكمة » ^(٢) وأنشدت عائشة رضي الله عنها :

ذهب الدين ياش في أكافهم وبقيت خلف كجلد الأجر

وروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما وكان بها وباء قتلت يا أبت كيف تجدك وبإبلال كيف تجدك ؟ فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح في أهله ولولت أدنى من شركائه

وكان بلال إذا أقلمت عنه الحمى رفع فقرته ويقول :

ألا ليت شعري هل أيتن ليلة بواد وحول إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة رضي الله عنها فأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » ^(٣) وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللين مع القوم في بناء السجد وهو يقول :

هذا الجمال لأحamal خير هذا أبر ربنا وأطهر

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والهاجرة ^(٤)

(١) حديث إنشاء الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة أن عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر في السجد فلطم إليه فقال قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك الحديث ، ولمسلم من حديث عائشة إنشاء حسان :

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء القصيدة

وإنشاء حسان أيضا :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت محزوم ووالدك العبد

والبخاري إنشاء ابن رواحة :

وفينا رسول الله يسألو كتابه إذا انشقى معروف من الفجر ساطع الآيات

(٢) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب وتقدم في العلم

(٣) حديث عائشة في الصحيحين لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال

الحديث وفيه إنشاء أبي بكر :

كل امرئ مصبح في أهله ولولت أدنى من شركائه

وإنشاء بلال : ألا ليت شعري هل أيتن ليلة بواد وحول إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قلت : هو في الصحيحين كأذكر الصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخاري فقط ليس عند

مسلم (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم ينقل اللين مع القوم في بناء السجد وهو يقول :

هذا الجمال لأحamal خير هذا أبر ربنا وأطهر

وقال صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والهاجرة

الأنهام : الوجود ورد من الحق سبحانه وتعالى ومن يريد الله لا يتنجس بما من عنده ومن صار في محل القرب متحققا لا يلقيه ولا يحركه ما ورد من عند الله فالوارد من عند الله مشعر يمد والقريب واجد فيا يصنع بالوارد والوجد ناز والقلب الواجد ربه نور والنور أنطف من النار والكثير غدير مسيطر على اللطيف فإمام الرجل البالغ مستترا على جادة استقامته غدير منحرف عن وجه معهوده بسوازع وجوده لا يدركه الوجد بالسماع فإن دخل عليه فتور أو عاقه فتور بدحول الابتلاء عليه من الذي الحسن يتألف الحن من تمارق صور الابتلاء أي يدخل عليه وجود يدركه الواجد لمود العبد عند ابتلاء إلى حجاب

وهذه في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضع لسان منبراً في السجدة يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافع ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد حسان روح القدس ما نافع أوفاً فخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) ولما أنشدته التائبة شعره قاله صلى الله عليه وسلم « لا يفضن الله فاك »^(٢) وقالت عائشة رضي الله عنها « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاهدون عنده الأشعار وهو يتبسم » وعن حمرون الشريد عن أبيه قال « أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال إن كاد في شعره ليسلم^(٣) » وعن أنس رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمد يده في السفر وإن أنجشة كان يمدو بالنساء والبراء بن مالك كان يمدو بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير^(٤) » ولم يزل الخداه وراء الجبال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره بل ربما كانوا يثمنون ذلك تارة لتحريك الجبال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى قال للصف والبيتان في الصحيحين . قلت البيت الأول انفرد به البخاري في قصة الهجرة من رواية عروة مرسلاً وفيه البيت الثاني أيضاً إلا أنه قال الأجر بدل العيش تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم له قال ابن شهاب ولم يلقنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت والبيت الثاني في الصحيحين من حديث أنس يرتجزون رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار وللهاجرة

وليس البيت الثاني موزوناً وفي الصحيحين أيضاً أنه قال في حفر الخندق بلفظ : فبارك في الأنصار والهاجرة . وفي رواية لأغفر وفي رواية لمسلم فأكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فأغفر للهاجرين والأنصار (١) حديث كان يضع لسان منبراً في السجدة يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافع الحديث البخاري طليقاً وأبو داود والترمذي والحاكم متصلان من حديث عائشة قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الإسناد وفي الصحيحين أنها قالت إنه كان ينافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أنه قال للتائبة قلما أنشدتموها لا يفضن الله فاك البقوى في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب بإسناد ضعيف من حديث التائبة واسمها قيس بن عبد الله قال أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم :
 بلقنا الهباء مجدنا وجدودنا وإننا لرجو فوق ذلك مظهراً
 الأيات وزواه البراز بلفظ : علونا البعاد عفة وتشكرما . الأيات وفيه فقال أحسنت يا أبا ليلى لا يفضن الله فاك وللحاكم من حديث خزيم بن أوس سمعت العباس يقول يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك فقال قل لا يفضن الله فاك فقال العباس :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخفض الوري الأيات
 (٣) حديث عائشة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاهدون الأشعار وهو يتبسم الترمذي من حديث جابر بن صرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة (٤) حديث الشريد أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه الحديث رواه مسلم (٥) حديث أنس كان يمد يده في السفر وإن أنجشة كان يمدو بالنساء وكان البراء بن مالك يمدو بالرجال الحديث أبو داود الطيالسي واتفق الشيخان منه على قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك

القلب لمن هو مع الحق
 إذا زل وقع على القلب
 ومن هو مع القلب إذا
 زل وقع على النفس
 سمعت بعض مشايخنا
 يحكي عن بعضهم أنه
 وجد من السماع قبيل
 له ابن حالك من هذا
 فقال دخل على داخل
 أوردني هذا الورد .

قال بعض أصحاب سهل
 صحبت سهلاً سنين
 ما رأيت تفر عنه
 شيء كان يسمعه من
 الذكر والقرآن فما
 كان في آخر عمره قرئ
 عنده - قال يوم لا يؤخذ
 منكم فدية - فارتعد
 وكاد يسقط فستأته عن
 ذلك قال نعم لحقني
 ضعف وجمع مرثاة لك
 يومئذ الحق للرحمن -
 فاضطرب فسأله ابن سالم
 وكان صاحبه قال قد
 ضعف قبيل له إن
 كان هذا من الضعف
 فما القوة قال القوة
 أن السكامل لا يرد
 عليه وارد إلا

بأصوات طيبة وألحان موزونة . الدرجة الرابعة : النظر فيه من حيث إنه يحرك القلب ويهيج لما هو الغالب عليه فأقول قد تعالى سر في مناسبة بالفتات الوزونة للأرواح حتى إنها تؤثر فيها تأثيرا عجيبا فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما ينشك ويضطرب ومنها ما يخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ولا ينبغي أن يظن أن ذلك لهم معاني الشعر بل هذا جار في الأوتار حتى قيل من لم يحركه الريح وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد الزواج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لهم المعنى وتأثيره مشاهد في السبي في سبده فانه يسكنه الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يكره إلى الاصغاء إليه والجلوس بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخفصه الأحوال الثقيلة ويستتصر لقوة نشاطه في سماعه للساعات الطويلة وينبت فيه من النشاط ما يكره ويولده قتلها إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال إذا سمعت منادى الحداء تمد أعناقها وتضئ إلى الحادى ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تنزع عنها أحمالها وعاملها وربما تلف أنفسها من شدة السير وتقل الجمل وهي لا تشعر به لنشاطها قد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري للعراف بالرقى رضى الله عنه قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خباءه فرأيت في الحياء عبدا أسود مقيدا بقيد ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو نازل ذابل كأنه ينزع روحه فقال لي الادم أنت ضيف ولك حق فتشفع في إلى مولاي فانه بكرم لضيفه فلا بد شفاعتك في هذا القدر فسامع محل القيد عني قال فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل ما لم أشفع في هذا البعد قال إن هذا البعد قد أقررت وأهلك جميع مالي قلت ماذا فعل قال إن له سوتا طيبا وإن كنت أعيبني من ظهور هذه الجبال فخلها أحمالا فقالا وكان يحمد بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طيب ندفته فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد . ولكن أنت ضيفي فلكرامتك قد وهبت لك قال فأجبت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره أن يجهد على جمل يستقي الماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع جباله ووقت أتا على وجهي لما أظن أني سمعت قطصوتا أطيبت منه فاذن تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجبال والطيور بل على جميع الهائم فان جميعها تتأثر بالفتات للوزونة ولذلك كانت الطيور تنقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يحز أن يحكم فيه مطلقا بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق الفتات لحكمه حكم مافي القلب قال أبو سليمان السماع لا يجعل في القلب مالميس فيه ولكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات للسمعة الوزونة متناغمات ومواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع . الأول : غناء الحبيب فاتهم أولا يدورون في البلاد بالطليل والشاهين والثناء وذلك مباح لأنها أشعار نظمت في وصف الكعبة والقيام والحطيم وزمزم وسائر للشاعر ووصف البادية وغيرها وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتغال نيرائه إن كان ثم شوق حاصل . أو استتارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلًا وإذا كان الحنج قربة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز لواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويترنم بالسمع ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والشاهرو وصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على تقم الشعر فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب فإذا أضف إلى صوت طيب وتتمت موزونة زاد وقته فإن أضف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير وكل ذلك جائز ما لم

يقتله بقوة حاله فلا يفسده الوارد . ومن هذا القبيل قول أبي بكر رضى الله عنه هكذا كما حتى قست القلوب لما رأى الباكي يسكي عند قراءة القرآن وقوله قست أي تعصبت وأدمنت سماع القرآن وأثقت أنواره لما استغربه حتى تغير والواجد كالمتغرب ولهذا قال بعضهم حالي قبل الصلاة ككالي في الصلاة إشارة منه إلى استمرار حال الشهود وهكذا في السماع كقبيل السماع . وقد قال الجنيذ لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أنهم من فضل الوجد . وبلغنا عن الشيخ حماد رحمه الله أنه كان يقول البكاء من بقية الوجود وكل هذا يقرب البس من البس في الشيء لمن عرف الإشارة فيه وفهم وهو عزيز القهم عزيز الوجود . واعلم أن

يدخل فيه المزامير والأوتار التي هي من شعار الأشرار ، ثم إن قصده تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي أمة الطغرى عن نفسه ولم يأذن له أبواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه إلى الحج بالسباع وبكل كلام يشوق إلى الخروج فإن التشويق إلى الحرام حرام وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالباً لم يحز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق . . الثاني : ما يستأجره القزاة لتحريض الناس على القزو وذلك أيضا مباح كما للعاج ولكن ينبغي أن تخالف أفعالهم وطرق أفعالهم أفعال الحجاج وطرق أفعالهم لأن استئجار داعية القزو بالتشجيع وتحريك القبط والغضب فيه على الكفار ومحسن الشجاعة واستحقاق النفس والمال بالإضافة إليه بالأشعار للشجاعة مثل قول للتني :
فان لا تحت تحت السيوف مكرما تحت وتغاس اقلد غير مكرم

وقوله أيضا :

بري الجبناء أن الجبين حزم وتلك خديسة الطبع الشيم
وأمثال ذلك وطرق الأوزان الشجاعة تخالف الطرق الشجاعة وهذا أيضا مباح في وقت يباح فيه القزو ومندوب إليه في وقت يستحب فيه القزو ولكن في حق من يجوز له الخروج إلى القزو . الثالث : الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء والقرض منها التشجيع للنفس ولا تضار وتحريك النشاط فيهم للقتال وفيه التحمس بالشجاعة والتجدة وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع على النفس وذلك مباح في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين وأهل الذمة وكل قتال محظور لأن تحريك الدواعي إلى المظهور محظور وذلك منقول عن حسان الصعابة رضي الله عنهم كلى وخالفه رضي الله عنهما وغيرها ولذلك قول ينبغي أن يمنع من الضرب بالشاهدين في معسكر القزاة فإن صوته مرقق محزون يحمل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق إلى الأهل والوطن ويورث القنور في القتال وكذا سائر الأصوات والألحان الرقيقة للقلب فالألحان الرقيقة المحزنة تبين الألحان المحركة للشجاعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتغيير الآراء عن القتال الواجب فهو عاص ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو ذلك مطيع . الرابع : أصوات النباحة وتبليها وتأثيرها في تهيج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن فسان : محمود ومذموم فأما للمذموم فكالحزن على مفات قال الله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم - والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه تسخط قضاء الله تعالى وتأسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموما تحريكه بالنباحة مذموما فلذلك ورد النهي الصريح عن النباحة (١) وأما الحزن المحمود فهو حزن الإنسان على قصيره في أمر دينه ، وبكائه على خطايه ، والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يثبت على التشهير للتدارك ولذلك كانت نباحة داود عليه السلام محمودة إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان عليه السلام يبكي ويبكي وعجز حق كانت الجناز ترفع من مجالس نباحته وكان يغسل ذلك بالفاظه وألحانه وذلك محمود لأن القضي إلى الممجد محمود وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على النثر بألحانه الأشعار المحزنة الرقيقة للقلب ولا أن يبكي ويبكي ليتوصل به إلى تبكية غيره وإثارة حزنه . الخامس : السباع في أوقات السرور تأكيدا للسرور وتهيجا له وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحا كالغناء في أيام العيد

(١) حديث النبي عن النباحة متفق عليه من حديث أم عطية أخذ علينا النبي صلى الله عليه وسلم في البيعة أن لا تنوح .

لبا كين عند السباع
مواجيد مختلفة فمنهم
من يبكي خوفا ومنهم
من يبكي شوقا ومنهم
من يبكي فرحا كالأهل
القائل :

طغى السرور على حق إني
من عظم ما قد سرى أبكاني
قال الشيخ أبو بكر
الكناني رحمه الله
صواع العوام على
متابعة الطبع وصواع
للريدين رغبة ورهبة
وصواع الأولياء رؤية
الآلاء والنعائم وصواع
القافرين على الشاهدة
وصواع أهل الحقيقة على
الكشف والبيان
ولكل واحد من
هؤلاء مصدر ومقام .
وقال أيضا للوارد ترد
قصافد شكلا أو
مواقفنا يوارى دصادف
شكلا مازجه وأي
وارد صادف مواقف
ساكنه وهله كلها
مواجيد أهل السباع
وما ذكرناه حال من

وفي العرس وفي وقت قدوم القاتل وفي وقت الوليمة والمقبرة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظ القرآن العزير وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به ووجه جوازه أن من الألمان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه وبذلك على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فهذا إظهار السرور بقدومه صلى الله عليه وسلم وهو سرور محمود فإظهاره بالشعر والثناء والرقص والحركات أيضا محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم جعلوا في سرور أصابعهم (٢) كما سيأتي في أحكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من أسباب السرور وبذلك على هذه الماروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلبون في السجد حتى أكون أنا الذي أسأله » (٣) « فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على إظهار طوله مدة وقوفها. وروى البخاري ومسلم أيضا في صحيحهما حديث عقيل بن الأحرى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها « أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريان في أيام من تدفنان وتضرعان والنبي صلى الله عليه وسلم متنشئ بثوبه فأنشدهما أبو بكر رضي الله عنه فكشفت النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فأتها أيلم عيده » وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلبون في السجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أسأله يا بني أرفدة » (٤) « يعني من الأمن ومن حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب بنحوه وفيه تبيان وتضرعان » (٥) وفي حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرى والحبشة يلبون بحراهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترن بثوبه أو بردائه لكي أنظر إلى لبعهم فتهقوم من أجل حتى أكون أنا الذي أنصرف » (٦) :

(١) حديث إنشاد النساء عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

البقي في دلائل النبوة من حديث عائشة مضافا وليس فيه ذكر للدف والألحان (٢) حديث حبل جماعة من الصحابة في سرور أصابعهم أبو داود من حديث علي بن مسكين في الباب الثاني (٣) حديث عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترن بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلبون في السجد الحديث هو كما ذكره للسنن أيضا في الصحيحين لكن قوله إنه فيها من رواية عقيل عن الأحرى ليس كما ذكره هو عند البخاري كما ذكره وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عنه (٤) حديث عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن بثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلبون في السجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أسأله يا بني أرفدة تقدم قبله بحديث دون زجر عمر لهم إلى آخره فرواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أسأله يا بني أرفدة بل قال دعهم يا عمر زاد النسائي فأما ما ينو أرفدة ولها من حديث عائشة دونك ما ينو أرفدة وقد ذكره الصنف بعد هذا (٥) حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه تبيان وتضرعان رواه مسلم وهو عند البخاري من رواية الأوزاعي عن ابن شهاب (٦) حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرى والحبشة يلبون بحراهم الحديث رواه مسلم أيضا .

ارفع عن السجدة وهذا الاختلاف منزل على اختلاف أقسام البكاء التي ذكرناها من الحوف والنشوق والفرح وأعلامها بكاء الفرح بمثابة قادم يقدم على أهله بعد طول غيبته فسد رؤية الأهل يكن من قوة الفرح وكثرة وفي البكاء رتبة أخرى أعز من هذه يمز ذكرها ويكره نشرها لقصور الفهم عن إدراكها فربما يقابل ذكرها بالانكسار وغنى بالانكسار ولكن يعرفها من وجدتها قدما ووصلا وفهمها نظرا كثيرا ومثولا وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح وحدوث ذلك في بعض مواطن حق اليقين ومن حق اليقين في الدنيا للمات بسيرة فيوجد البكاء في بعض مواطن

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت ألب بالنبات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان يأتيني صواحب لي فكان يتنعم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير ليجيئني إلى قلعين منى ^(١) وفي رواية أن النبي ﷺ قال ما هذا قال باني قال فما هذا الذي أرى في وسطهم قالت فرس قال ما هذا الذي أعليه قالت جناح قال فرس له جناح قالت أوما سمعت أنه كان لسليان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصور ومن الحرف والرقع من غير تكبيل صورته بدليل ما روى في بعض الروايات أن القرس كان له جناحان من رقع وقالت عائشة رضي الله عنها «دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بفناء بساتنا فاضطجع على القرائس وخول وجهه فدخل أبو بكر رضي الله عنه فاتهرنى وقال مزار الشيطان عند رسول الله ﷺ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : دعهما فلما غفل غمزتهما فغزبتا ^(٢) » وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال تشهين تطيرين قلت نعم فأقامني وراءه وخدني على خدته ويقول دونكم يا بني أرفنة حتى إذا مللت قال حبيك قلت نعم قال فاذهي . وفي صحيح مسلم فوضعت رأسى على منكبيه فجلست أنظر إلى نعليهما حتى كنت أنا التي انصرفت فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في أن النساء والعب ليس بحرام وفيها دلالة على أنواع الرخص . الأول : اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب . والثاني فعل ذلك في المسجد . والثالث قوله صلى الله عليه وسلم «دونكم يا بني أرفنة» وهذا أمر باللعب والناس فكيف يقدر كونه حراما . والرابع منه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن الانكار والتشهير وتعليق بأنه يوم عيادى هو وقت سرور وهذا من أسباب السرور . والخامس : وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وصاحبه لمواقفة عائشة رضي الله عنها وفيه دليل على أن حسن الخلق في تطيب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقص في الامتناع والتعنت منه . والسادس : قوله صلى الله عليه وسلم إن شئتم أن تنظروا في ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفا من غضب أو وحشة فإن الالتصاق إذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فلما ابتداء السؤال فلاحاجة فيه . والسابع : الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع أنه شبه ذلك بمزار الشيطان وفيه بيان أن الزمان المحرم غير ذلك . والثامن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع صمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالأوتار في موضع ما جاوز الجلوس ثم لقرع صوت الأوتار صمعه فبذلك هذا على أن صوت النساء غير محرم تحريم صوت للزامير بل إنما محرم عند خوف الفتنة فهذه القاييس والنصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزوج في أوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فإنه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والوليمة والعيقة والختان ويوم القدوم من السفر

(١) حديث عائشة كنت ألب بالنبات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وهو في الصحيحين كما ذكر للصف لكن مختصرا إلى قولها فليمن منى . وأما الرواية للطولة التي ذكرها النصف بقوله وفي رواية فليست من الصحيحين إنما رواها أبو داود بإسناد صحيح (٢) حديث عائشة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بفناء بساتنا الحديث هو في الصحيحين كما ذكر للصف والرواية التي عزاها لمسلم انترد بها مسلم كما ذكر .

أوجود تغار وتبان
بين المحدث والقديم
فيكون البكاء رشعا
هو من وصف
الجدان لوهم سطوة
عظمة الرحمن ويقرب
من ذلك مثلا في
الشاهد قطر الصمام
بتلاقي مختلف الأجرام
وهذا وإن عز مشعر
يقية قدح في صرف
الفناء ، ثم قد يتحقق
البدن الفناء متجردا
عن الآثار منفسا
في الأنوار ثم يرتقي
منه إلى مقام البقاء
ويرد إليه الوجود
مطهرا فعود إليه
أقسام البكاء خوفا
وشوقا وفرحا وجدانا
بمشكلة صورها
ومباينة حقائقها بفرق
لطيف يدركه أربابه
وعند ذلك يمد عليه
من السج أيضا قسم
وذلك القسم مقدوره
مقهور معه بأخذه
إذا أراد ورده
إذا أراد ويصكون
هذا السج من

وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعا ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضا مظنة السباع . السادس : سماع العشاق تحريكا للشوق وتيسيرا للعشق وتلبية للنفس فان كان في مشاهدة المشوق فالغرض تأكيده لذته وإن كان مع التفارقة فالغرض تيسير الشوق والشوق وإن كان أما قلبه نوع قلة إذا انضاف إليه رجاء الوصال فان الرجاء لابد وبالبأس مؤلم وقوة قلة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب لشيء . للرجو في هذا السباع تيسير العشق وتحريك الشوق وتحصيل قلة الرجاء القدر في الوصال مع الاطباب في وصف حسن الميوس وهذا حلل إن كان للشقاق إليه بمن يباح وصاله كمن يشق زوجته أو سريته فيصنئ إلى غنائها لتضايف قلة في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر والسباع الأذن وبفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب فترادف أسباب القلة فهذه أنواع تمنع من جملة باحات الدنيا ومناجها وما الحياة إلا لهو ولعب وهذا منعو كذلك إن غضبت منه جارية أو حبل بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يحرك بالسباع شوقه وأن يستبخر به قلة رجاء الوصال فان باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال والقائه وأما من يمثل في نفسه صورة نسي أو امرأة لا يحل له النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ما تمثل في نفسه فهذا حرام لأنه يحرك الفكر في الأضال المخطورة ومهيج للداعية إلى مالا يباح الوصول إليه وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إظهار شيء من ذلك وذلك ممنوع في حقهم لما فيهم من الداء الدفين للأمر يرجع إلى نفس السباع ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دنان جمد إلى دماغ الإنسان يزيله الجاع وبهيج السباع . السابع : سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سيجانه ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعته أوفيه فالسباع في حقهم مسيح لشوقه ومؤكد لعشقه وحب ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالا من الكشافات ولللاطقات لا يحيط بالوصف بها برفقها من ذاتها ويتركها من كل حصة عن ذوقها وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدما مأخوذ من الوجود والصادقة أي صادف من نفسه أحوال ما يكن يحادفها قبل السباع ثم تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتيقن من الكسدرات كاتفي النار الجواهر المروضة عليها من الحب ثم يبقع الصفاء الحاصل بمشاهدات ومكشافات وهي غاية مطلب الهيبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها فالنفس إليها من جملة الكربات لا من جملة المعاصي والباحات وحصول هذه الأحوال للقلب بالسباع سببه سر الله تعالى في مناسية النعمات الوزونة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثيرها بها شوقا وفرحا وحرزا وانبساطا وانبساطا وتقابضا ومعرفة السبب في تأثر الأرواح بالأحوال من دقائق علوم الكشافات والبيد الجامد القاسي القلب المحروم عن لقاء السباع يتعجب من التذاذب والسمع ووجه واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهجة من لغة الوزينج وتعجب العيين من لغة الباشمرة وتعجب العصى من لغة الرياسة واتساع شباب الجاه وتعجب الجاهل من لغة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب حرمه ولكل ذلك سبب واحد وهو أن القلة نوع إدراك والادراك يستدعي مدركا ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكتمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لغة الطعوم من قد التوق وكيف يدرك لغة الأخان من قد التمع ولغة العقولات من قد العقل وكذلك ذوق السباع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب فمن قددها عدم لاهالة لذته ولعلك تقول كيف يتصور العشق في حق الله تعالى حتى يكون السباع محركا له . فاعلم أن من عرف الله أحبه لآهالة ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته والمحبة إذا تأكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة ولذلك قالت العرب إن محمدا قد عشق ربه لما رآه يتخل

للتمكن بنفس الملمات واستنارت وباينت طبعها واحتسنت طمأنيتها وأكسبها الروح معنى منه فيكون سامعه نوع تمنع للنفس كتمتها بمباحات اللذات والشهوات لأن يأخذ السباع منه أو يزيد به أو يظهر عليه منه أثر فتكون النفس في ذلك بمثابة الطفل في حجر الوالد يفرحه في بعض الأوقات ويعمى مأربه ومن هذا القبيل ما مثل أن أبا محمد الرائي كان يشغل أصحابه بالسباع وينزل عنهم ناحية صلى قد تطرق هذه النعمات مثل هذا الصلي فتدلى إليها النفس متمعة بذلك فترداد مورد الروح من الأنس صفاء عند ذلك بعد النفس عن الروح في تمتعها فاتها مع طمأنيتها بوصف من الأجنبية بوصف وجيلها وفي بعدها نوفر

للعادة في جبل حراء . واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال إن كان يتناسب الخلقه وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحرص الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب ولقد الجمال قد يستأثر بأشياء فقال إن فلانا حسن وجميل ولا تراد صورته وإنما ينبغي به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كأن يحب الصورة الظاهرة وقد تنأى كد هذه الحبة فتسمى عشقا وكم من الصلاة في حب أرباب اللذاهب كالشافعي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم حتى يذلوا أموالهم وأرواحهم في نصرتهم وموالاهم ويزيدوا على كل عاشق في القلو والبالغة ومن السج أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته أم جميل هو أم قبيح وهو الآن ميت ولكن لجلال صورته الباطنة وسيرته للرضية والخيرات الخاصة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من الحاصل ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه بل على التحديق من لاخير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسن من حسنة وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بكل حسن وجمال في العالم أدرك بالقول والأبصار والسمع وسائر الحواس من مبتدا العالم إلى منقرضه ومن ذروة التبرأ إلى منتهى الترى فهو ذرة من خزائن قدرته ولحمة من أنوار حضرة فليت شعري كيف لا يغفل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأثر كد عند العارفين بأوصافه فيعشق يجاوز حدا يكون إطلاق اسم المشق عليه ظلمًا في حقه لقصوره عن الأنباء عن فرط محبته فحببان من استحجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الأبصار بإشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نوره لأحرقت سبحات وجهه بأبصار اللاحظين لجلال حضرة ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهت العقول ودعشت القلوب وتخاذلت القوى وتافرت الأعضاء ولوركت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادئ أنوار تجليه ذكا فأتى تطبيق كنه نور الشمس بأبصار الخفافيش وسبأ تحقيق هذه الإشارة في كتاب الحبة ويتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجهل بل للتحقق بالمرعة لا يعرف غير الله تعالى إذ ليس في الوجود تحقيقا إلا الله وأفعاله ومن عرف الأنفال من حيث إنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره فمن عرف الشافعي مثلاً رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه لا من حيث إنه رياض وجلد وحر وورق وكلام منظم ولغة عربية قلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي إلى غيره ولا جاوزت محبته إلى غيره فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وقوله وبديع أفعاله فمن عرفها من حيث هو صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع كإبري من حسن التصنيف فضل الصنف وجمالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواء ومن حد هذا المشق أنه لا يقبل الشرك وكل ما سوى هذا المشق فهو قابل للشرك إذ كل محبوب سواء يتصوره نظير إماني الوجود وإما في الامكان فأما هذا الجمال فلا يتصوره ثان لا في الامكان ولا في الوجود فكان اسم المشق على حب غيره مجازا محضا لاحقيقة ، ثم الناقص القريب في قصاته من الهيمنة قد لا يدرك من لحظة المشق إلا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام وقضاء شهوة الوقاع فثل هذا الحار يبنى أن لا يستعمل له لحظة المشق والشوق والوصال والأنس بل يجب هذه الألفاظ واللغوي كأن يحب الهيمنة الزجس والرحمان وتخصم بالقت والحشيش وأوراق القصبان فان الألفاظ إنما يجوز إطلاقها في حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه والأوهام تختلف باختلاف الأنعام فليتبه لهذه الدفينة في أمثال هذه الألفاظ بل لا يعد أن ينشأ من مجرد السباع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب قد روى أبوهريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أقسام الروح من الفروع ويكون طريق الألحان صمه في الصلاة غير جميل بينه وبين حقيقة الناجاة وفيهم تزييل الكلمات وتصل الأقسام إلى الملماعير مزاحة ولا مزاحة وذلك كله لسهة شرح الصدر بالإيمان والله الحسن الثان ولهذا قيل السباع لقوم كالذواء ولقوم كالنساء ولقوم كالمروحة ومن عود أقسام البكاء ماروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي « اقر أفعال أقر أعليك » عليك أنزل فقال أحب أن أسمع من غيري فالتفت سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى - فكيف إذا جشا من كل أمه يسجد وجشا بك على هؤلاء شهيدا - فاذا عيناه تهللن . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الحجر واستلمه ثم وضع

«أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله عز وجل دل من خلق الأرض قالت الله عز وجل قال من خلق الجبال قالت الله عز وجل قال من خلق القيم قالت الله عز وجل قال إنني لأسمع قه غانا ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع (١) » وهكذا كأنه سمع مادل على جلال الله تعالى وتعالى قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى نفسه من الوجود وما أنزلت السكب إلا ليطربوا بذكر الله تعالى قال بعضهم رأيت مكتوبا في الإنجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمنا لكم فلم ترقصوا أي شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تفتشوا فيها هذا ما أردنا أن نذكره من أقسام السماع وبواطنه ومقتضياته وقد ظهر على القطع إباحته في بعض الواضع والتدبير إليه في بعض الواضع . فان قلت فهل له حالة يحرم فيها . فأقول إنه يحرم بخمسة عوارض عارض في السمع وعارض في آلة الإسماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس السمع أو في مواظبته وعارض في كون الشخص من عوام الخلق لأن أركان السماع هي السمع والسمع والسمع وآلة الإسماع العارض الأول أن يكون للسمع امرأة لا يحل النظر إليها وتخفى الفتنة من سماعها وفي معناها الصبي الأمرد الذي تخفى فتنته وهذا حرام لمخافته من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل الفناء بل لو كانت المرأة بحيث يفتن بصوتها في المحاورة من غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومحادتها وإسماع صوتها في القرآن أيضا وكذلك الصبي الذي تخاف فتنته . فان قلت فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسا للباب أو لا يحرم إلى حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف الفتنة . فأقول هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلا أحدها أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة على الجملة قضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور . والثاني أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الجسم بل يتبع فيه الحال وصوت المرأة دأمر بين هذين الأصلين فان قسنا على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قرب ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيئتها ولتدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة للماسة كتحرريك السماع بل هو أشد وصوت المرأة في غير الفناء ليس بمودة فلم تزل النساء في زمن الصحابة رضي الله عنهم يكلمن الرجال في السلام والافتناء والسؤال والمشاورة وغير ذلك ولكن لفناء مزيد أثر في تحريك الشهوة قياسا هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بسر الأصوات فينبغي أن يتبع مثار الفتنة ويقتصر التحريم عليه هذا هو الأقيس عندي ويتأيد بحديث الجاريتين القنيتين في بيت عائشة رضي الله عنها إذ يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتهما ولم يحرز منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحرز فاذن يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال فانا نقول للشيخ أن يقبل زوجته وهو صائم وليس للشباب ذلك لأن القبلة تدعو إلى الوقاع في الصوم وهو محظور والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص . العارض الثاني في الآلة بأن تكون من شعار أهل الشر أو البهشين وهي الزامير والأوتار ومطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة وماعدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالفون كان فيه الجلال والكمال والشاهدين والضرب بالضرب وسائر الآلات . العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شيء من الحنا والفحش والمجس أو ما هو كذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم أو على الصحابة رضي الله عنهم كما رتبته الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بالألحان

(١) حديث أبي هريرة إن غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء فقالت الأرض الحديث وفيه ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع رواه ابن حبان .

عقبه عليه طويلا
يكنى وقال يا عمرهنا
تسكب الصبرات
وللتمكن تعود إليه
أقسام البكاء وفي ذلك
فضيلة سأله النبي صلى
الله عليه وسلم فقال
« اللهم ارزقني عينين
هطاليتين » ويكون
البكاء في الله فيكون لله
ويكون بالله هو الأتم
لموده إليه بوجود
مستأنف موهوب له
من الكريم اللان في
مقام البكاء .

[الباب الخامس
والشرون في القول في
السماع تأديا واعتناء]
ويضمن هذا الباب
آداب السماع وحكم
التخريق وإشارات
الشايع في ذلك وما في
ذلك من السأثور
والهذود . مبني
التصوف على الصدق
في سائر الأحوال وهو
جد كله لا ينبغي
لسادق أن يتسمد
الحضور في جمع يكون
فيه سماع إلا بعد أن

وغير الخان وللمسمع شريك للقالل وكذلك ما فيه وصف امرأة بينها فانه لا يجوز وصف المرأة بين
 بنى الرجال ، وأما ههنا الكفار وأهل البدع فذلك جائز ، فقد كان حسان بن ثابت رضى الله عنه
 يتافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهاجى الكفار وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك (١) فأما النسيب
 وهو التشبيه بوصف الحدود والأصناف وحسن القصد والقامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر ،
 والصحيح أنه لا يحرم نظره وإنشاده بلحن وغير لحن وعلى السمع أن لا يتره على امرأة معينة فإن
 تره فليتره على من يخله من زوجته وجارته فإن تره على أجنبية فهو العاصى بالتزويل وإجاعة
 الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبى أن يحتجب البائع رأسا فإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه
 عليه سواء كان اللفظ مناسباً له أو لم يكن إلا ما من لفظ لا يمكن تزييله على من بطريق الاستشارة
 فالذى يخلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصغ مثل ظلة السكر وبضارة الحد نور الإيمان
 ويذكر الوصال لقاء الله تعالى ويذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى فيزمر للردودين ويذكر الرقيب
 للشوش لروح الوصال عواقب الدنيا وآفاتنا للشوشة لمولم الألى بالله تعالى ولا يحتاج في تزويل ذلك
 عليه إلى استنباط وتذكر ومهمة بل تسبق للعانى التالية على القلب إلى فهمه مع القسط كما روى عن
 بعض الشيوخ أنه مر في السوق فسمع واحدا يقول الحبار عشرة حبة فظله الوجد فسل عن ذلك
 فقال إذا كان الحبار عشرة حبة فما قيمة الأشرار واجتاز بهم في السوق فسمع قال لا يقول يستبرى
 قلبه الوجد قيل له على ماذا كان وجدك فقال سمعته كأنه يقول اسمع ترى حتى إن الجمي قد غلب
 عليه الوجد على الآيات المنظومة بلغة العرب فإن بعض حروفها يوازن الحروف الجمعة فيفهم منها
 معان أخر أئند بهم : ومازلنى في الليل بالإخيلة • فوجد عليه رجل أجمى فسل عن سبب
 وجده فقال إنه يقول ما زارني وهو كما يقول فإن لفظ زار يدل في الجمية على المشرف على الهلاك
 فوم أنه يقول كلنا مشرفون على الهلاك فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة والمترق في حب
 الله تعالى وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد الشاعر ولتته
 فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الآخرة لجدير بأن يشوش عليه عقله وتضرع عليه
 أعضاؤه فاذن ليس في تثير أعيان الألفاظ كبير فائدة بل الذى غلب عليه عشق مخلوق فينبى أن يحترز
 من الباع بأى لفظ كان والذى غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ولا تمنه عن فهم المعانى
 اللطيفة المتعلقة بمجارى همة الشريعة . العارض الرابع في السمع : وهو أن تكون الشهوة غالبة
 عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها فالبيع حرام عليه سواء غلب
 على قلبه حب شخص معين أو لم يخلب فانه كيفما كان فلا يسمع وصف الصديق والحد والقراق والوصال
 إلا ويحرك ذلك شهوته ويتره على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة
 وتعتمد بواعث الشر وذلك هو الصرة لحزب الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل
 الإق قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان
 وغلب عليها فحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجها فكيف يجوز تكثير أسلحتها
 وتتمجيد سيوفها وأستنها والباع مشحذ لأسلحة جند الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج
 مثل هذا عن مجمع الباع فانه يستغربه . العارض الخامس أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم
 (١) حديث أمره صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بهجاء للتركيين متفق عليه من حديث البراء
 أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجم أوهاجم وجبريل معك .

يخلص النية له تعالى
 ويتوجه به مزيدا في
 إرادته وطلبه ومجده
 من ميل النفس لشيء
 من هواها ثم يقدم
 الاستشارة للحنون
 ويسأل الله تعالى إذا
 عزم البركة فيه وإذا
 حضر يلزم الصدق
 والوقار بسكون
 الأطراف قال أبو بكر
 السكاني رحمه الله
 للسمع يجب أن يكون
 في سماعة غير مستروح
 إليه يهيج منه الباع
 وجدا أو شوقا أو غلبة
 أو واردا والوارد عليه
 يغني عن كل حركة
 وسكون ويتق الصادق
 استدعاء الوجد
 ويحتجب الحركة فيه
 منها أمكن سباب محضرة
 الشيوخ . حكى أن
 شابا كان يصحب الجليل
 رحمه الله وكلا مع
 شيئا زعق وتغير فقال له
 يوما إن ظهر منك شيء
 بعد هذا فلا تصحبني
 فكان بعد ذلك يصبط
 نفسه وربما كان من

يتلب عليه حب الله تعالى فيكون السياح له محبوبا ولا غلبت عليه شهوة فيكون في حقه محظورا ولكنه أيسر في حقه كسائر أنواع اللذات الباحة إلا أنه إذا أخذ ديدنه وهجره وقصر عليه أكثر أوقاته فهذا هو السفيه الذي ترشدهاته فإن الواظبة على اللهو جناية وكان الصغيرة بالاصرار وللداومة تصير كبيرة فكذلك بعض اللباحات بالداومة يصير صغيرة وهو كالواظبة على متابعة الرنوح والحبشة والنظر إلى لبهم على الدوام فانه ممنوع وإن لم يكن أمه ممنوعا إذ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القليل اللعب بالشرطي فانه مباح ولكن الواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ومهما كان الفرض القرب والتلذذ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب إذ راحة القلب معالجة في بعض الأوقات لتبث دواعيه فتشتغل في سائر الأوقات بالجد في الدنيا كالسكب والتجارة أو في الدين كالصلاة والقراءة واستمسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الحال على الحد ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوته فما أقيح ذلك فهو دالحسن قبحا بسبب السكره فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الحظر مباح والاستكثار منه حرام فهذا للباح كسائر اللباحات . فان قلت قد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح في بعض الأحوال دون بعض فلم أطلقت القول أولا بالاباحة إذ إطلاق القول في الفصل بلا أو بنم خلف وخطأ . فاعلم أن هذا غلط لأن الإطلاق إنما يتبع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر فأما ما ينشأ من الأحوال العارضة للتصلة به من خارج فلا يمنع الإطلاق ألا ترى أننا إذا سئلنا عن العسل أهو حلال أم لا قلنا إنه حلال على الإطلاق مع أنه حرام على المهرور الذي يستخر به وإذا سئلنا عن الخمر قلنا إنها حرام مع أنها حلال لمن غش بلغم أن يشربها معها لم يجذرها ولكن هي من حيث إنها حرام حرام وإنما أقيحت لعارض الحاجة والعسل من حيث إنه عمل حلال وإنما حرم لعارض الضرر وما يكون لعارض فلا يلتفت إليه فان البيع حلال ومحرر بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من الموارض والسياح من جملة اللباحات من حيث إنه مباح صوت طيب موزون مفهوم وإنما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته فإذا انكشف الغطاء عن دليل الاباحة فلا ينال بمن يخالف بصدور الدليل وأما الشافعي رضي الله عنه فليس بتحريم قضاء من مذهبه أصلا وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذ صناعة لا يجوز شهادته وذلك لأنه من اللهو السكره الذي يشبه الباطل ومن أخذه صنعة كان منسوباً إلى السفاهة وسقوط الرودة وإن لم يكن محرماً بين التحريم فإن كان لا ينسب نفسه إلى النساء ولا يؤتى لذلك ولا يأتي لأجله وإنما يعرف بأنه قد بطرف في الحال فيترنمها لم يسقط هذا مروه تهولم يطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغتسلان في بيت عائشة رضي الله عنها وقال يونس ابن عبد الأعلى سألت الشافعي رحمه الله عن إباحة أهل المدينة للسياح فقال الشافعي لأعلم أحدا من علماء الحجاز كره السياح إلا ما كان منه في الأوصاف فأما الحداء وذكر الأطلال والرابع وتحسين الصوت بالأن الأشعار فباح وحيث قال إنه لم يكرهه يشبه الباطل بقوله لم يكرهه بل اللهو ولكن اللهو من حيث إنه لم يوجب محرماً قلب الحبشة ورفضهم لم يوجب ذلك بل ينظر إليه ولا يكرهه بل اللهو والفقير لا يؤخذ الله تعالى به إن عني به أنه فعل ما لا فائدة فيه فإن الإنسان لو وظف نفسه أن يضع يده على رأسه في اليوم مائة مرة فهذا عيب لا فائدة له ولا يحرم قال الله تعالى - لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم - فإذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصمم والمثاقفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤخذ به فكيف يؤخذ بالشعر والرقص . وأما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه بل لو قال هو باطل صريحاً لما دل على التحريم وإنما يدل على خلوه عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة فيه يقول الرجل لامرأته مثلاً بعت نفسي منك وقولها اشتريت عقد باطل مهما كان قصد القلب والطاية وليس

كل شجرة منه تحظر قطرة عرقها كان يوماً من الأيام زعق زعقة فخرج روحه فليس من الصدق إظهار الوجد من غير وجد نازل أو انطاء الحال من غير حل حاصل وذلك عين النفاق . قبل كان التمر الهادي رحمه الله كثير القول بالباح فحوت في ذلك قال نعم هو خير من أن تصد وتنتاب فقال له أبو عمرو ابن مجيد وغيره من إخوانه هيات يا أبا القاسم زلة في السياح شر من كذا كلما سنة تنتاب الناس وذلك أن زلة السياح إشارة إلى الله تعالى وترويح الحال بصريح الحال وفي ذلك ذنوب متعددة منها أنه يكذب على الله تعالى أنه وهب شيئاً وما وهب له والكذب على الله من أقيح الزلات . ومنها أن يرض بعض الحاضرين فيجسب به الظن

بحرام إلا إذا قصد به التحليك المحقق الذي منع الشرع منه . وأما قوله مكروه فيزيل على بعض اللواضع التي ذكرتها لك أو يزيل على التنزيه فانه نص على إباحة لب الشرع وذكر آتى أكره كل لب وتعليه يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوى الدين وللروء فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضا بل قد ترد الشهادة بالأكل في السوق وما خرج للروء بل الحياكة مباحة وليس من منافع ذوى الروء . وقد رد شهادة المحترف بالحرفة الحسبية فتعليه يدل على أنه أراد بالكره التنزيه وهذا هو الظن أيضا بغير ممن كبار الأئمة وإن أرادوا التحريم لآذا كرهناه حجة عليهم .

(بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها)

احتجوا بقوله تعالى - ومن اكس من يشترى لهو الحديث - قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي رضى الله عنهم إن لهو الحديث هو الماء وروت عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال « إن الله تعالى حرم القينة ويعنها وتليها » (١) فتقول أما القينة فالمراد بها الجارية التي تنس للرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا أن غناء الأجنبية للفاسق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام وهم لا يصدون بالفتنة إلا ما هو محظور فأما غناء الجارية للمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لتبر مالها سماعها عند عدم الفتنة بدليل ما روى في الصحيحين من غناء الجاريتين في بيت عائشة رضى الله عنها وأما شراء لهو الحديث بالدين استبداله ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى وهو المراد في الآية ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حراما . حكى عن بعض التابعين أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر بقته ورأى أنه حرام لما فيه من الاضلال فالاضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم . واحتجوا بقوله تعالى - أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم حامدون - قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الغناء بلمعة حبيب يعنى السمد فتقول ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لأن الآية تشتمل عليه فان قيل إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لاسلامهم فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى - والشعراء يقيمهم القاوون - وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه . واحتجوا بما روى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « كان إبليس أول من ناع وأول من تقى » (٢) فتدريج بين النباح والغناء . قلنا لا جرم كما استثنى منه نباحة داود عليه السلام ونباحة اللذين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغناوهن عند قدومه عليه السلام بقولهن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

واحتجوا بما روى أبو أمامة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما رفع أحد صوته بشناء إلا بهت الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمكك » (٣) قلنا هو منزل على بعض أنواع الغناء الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق

(١) حديث عائشة إن الله حرم القينة ويعنها وتليها الطبراني في الأوسط باسناد ضعيف قال البيهقي ليس بخفوف (٢) حديث جابر كان إبليس أول من ناع وأول من تقى لم أجده أصلا من حديث جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرجه ولده في مسنده (٣) حديث أبي أمامة ما رفع أحد عقبرته بشناء إلا بهت الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمكك ابن أبي الدنيا في دم اللامى والطبراني في الكبير وهو ضعيف .

والاغترار بخيانة قال عليه السلام « من غشنا ظلمنا » ومنها أنه إذا كان مبطلا ويرى بين الصلاح فسوف يظهر منه بعد ذلك ما يصد عقيدة للتقدم فيه فيفسد عقيدته في غيره ممن يظن به الخير من أمثاله فيكون سببا إلى فساد العقيدة في أهل الصلاح ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن مع فساد عقيدته فيقطع عنه مدد الصالحين وينشعب من هذا آفات كثيرة يضر عليها من يبحث عنها ومن أنه عروج الحاضرين إلى مواقفته في قيامه وقعوده فيكون متكلفا مكلفا فتناس يباطله ويكون في الجمع من يرى بنور القراسة أنه مبطل ويهمل على نفسه الموافقة للجمع مداريا ويكثر شرح الذنوب في ذلك فليتبلى الله ربه ولا يتحرك إلا إذا

المخالفين فأما ما يحرك الشوق إلى الله أو السرور بالعيد أو حدوث الولد أو قدوم الغائب فهذا كله بضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبيشة والأخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجوز في موضع واحد لنفي في الإباحة ولنع في ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتزويل أما الفعل فلا تأويل له إذ ما حرم فعله إنما يحل بمرض الإكراه فقط وما أيسح فعله يحرم بمرض كثيرة حتى الثبات والقصود . واحتجوا بما روى عتبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته لأمراهه ^(١) » قلنا قوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم القائمة وقد يعلم ذلك على أن التلهي بالنظر إلى الحبيشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام بل يلحق بالمصور غير المحصور قياسا كقوله صلى الله عليه وسلم « لا يجل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث فإنه يلحق به رابع وخامس ^(٢) » فكذلك ملاعبة امرأته لافائسته إلا التلذذ وفي هذا دليل على أن التفرج في البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع اللذات مما يلهو به الرجل لا يحرم عليه شيء منها وإن جاز وصفه بأنه باطل . واحتجوا بقول عثمان رضي الله عنه : ما تبت ولا نعت ولا مست ذكرى يعنى مذ بايت بهار سول الله صلى الله عليه وسلم قلنا فليكن التمتي ومس الذكر بالمتي حراما إن كان هذا دليل تحريم الفناء فمن أين ثبت أن عثمان رضي الله عنه كان لا يترك إلا الحرام . واحتجوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه الفناء يثبت في القلب التفاق وزاد بعضهم كما يثبت للآل البقل ^(٣) ورفع بعضهم إلى سول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح قالوا ومن على ابن عمر رضي الله عنهما قوم محرمون وفيهم رجل يتنفي فقال ألا أنسمع الله لكم ألا لأنسمع الله لكم وعن نافع أنه قال كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع أسمع ذلك حتى قلت لا فأخرج أصبعه وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع ^(٤) وقال الفضيل بن عياض رحمه الله الفناء رقية الزنا وقال بعضهم الفناء رائد من رواد الفجور وقال يزيد بن الوليد إياكم والفناء فإنه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم الرومة وإنه لينوب عن الحر وينعل ما يفعله السكر فإن كنتم لا بد فاعلمين فجنبوه النساء فإن الفناء داعية الزنا فتقول قول ابن مسعود رضي الله عنه يثبت التفاق أراد به في حق التمتي فإنه في حقه يثبت التفاق إذ غرضه كله أن يمرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ولا يزال يتناقض ويتوعد إلى الناس ليرغبوا في غناؤه وذلك أيضا لا يوجب تحريما فإن ليس الثياب الجميلة وركوب الخيل للهمجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع وغير ذلك يثبت في القلب التفاق والرياء ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور التفاق في القلب المعاصي فقط بل الباحات التي هي مواقع نظر الخلق أكثر تأثيرا ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تحتها قطع ذنبه لأنه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مطيته فهذا التفاق من الباحات وأما قول ابن عمر رضي الله عنهما ألا لأنسمع الله لكم فلا يدل على التحريم من

(١) حديث عتبة بن عامر كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته زوجته أصحاب السنن الأربعة وفيه اضطراب (٢) حديث لا يجل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث ابن مسعود الفناء يثبت التفاق في القلب كما يثبت للآل البقل قال الصنف والرفوع غير صحيح لأن في إسناده من لم يسم رواه أبو داود وهو في رواية ابن العبد ليس في رواية الأوّل ورواه البيهقي مرفوعا وموقوفا (٤) حديث نافع كنت وابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعه في أذنيه الحديث ورفع أبو داود وقال هذا حديث منكرو.

صارت حركته حركة الرتمش الذي لا يجد سبيلا إلى الامساك وكالعاطس الذي لا يقدر أن يرد الملعون فتكون حركته بمثابة النفس الذي يدعو إليه داعية الطبع قهرا . قال السري: شرط الواجد في زعفته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيه بوجع وقد يقع هذا لبعض الواجدين نادرا وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من التيقن ولكن زعفته تخرج كالتنفس بنوع إرادة مزوجة بالاضطرار فهذا الضبط من رعاية الحركات ورد الرغبات وهو في تمزيق الثياب أكد فإن ذلك يكون إتلاف للسال وإتلاف الحال وهكذا رمى الحرقه إلى الحادى لا ينبغي أن يفعل إلا إذا حضرته نية يجتنب فيها التكلف والرأفة

حيث إنه غناء بل كانوا همذين ولا يليق بهم الرفث وظهور له من محاييلهم أن سماعهم لم يكن لوجع وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرد اللغو فأنكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالاضافة إلى الحلم وحال الإحرام وحكايات الأحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال وأما وضه أصببه في أذنيه فيمارضه أنه لم يأمر ناهيا بذلك ولا أنكر عليه سماعه وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن ينزهه عنه في الحال وقلبه عن صوت ربما يحرك اللغو ويمنعه عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يمنع ابن عمر لا يدل أيضا على التحريم بل يدل على أن الأولى تركه ونحن نرى أن الأولى تركه في أكثر الأحوال بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر في القلب فقد خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كانت عليه أعلام شملت قلبه (١) أقرى أن ذلك يدل على تحريم الأعلام على الثوب فله صلى الله عليه وسلم كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة فكشفه العلم عن الصلاة بل الحاجة إلى استتارة الأحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق وإن كان كالا بالإضافة إلى غيره . ولذلك قال الحصري ماذا أعمل بسماع ينقطع إدامات من يسمع منه إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم فالأنبياء عليهم السلام على الدوام في لغة السمع والشهود فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة . وأما قول الفضيل هورية الزنا وكذلك ماعداه من الأفاويل القرية منه فهو منزل على سماع القساق والمثنتين من الشبان ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما القياس فضاية ما يذكر فيه أن يقاس على الأوتار وقد سبق الفرق أو قال هو لم يوجب وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لم يوجب . قال عمر رضي الله عنه لزوجته إنما أنت لمة في زاوية البيت وجميع اللوعة مع النساء لم يوجب إلا الحرمة التي هي سبب وجود الولد وكذلك الزح الذي لا يفتش فيه حلال قل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة كما سيأتي تفصيله في كتاب آفات اللسان إن شاء الله (٢) وأي لم يوجب على لم يوجب الحبشة والزواج في لبهم وقد ثبت بالنسب إباحته على أن أقول اللغو مروح للقلب وعقفت عنه أعبله الفكر والقلوب إذا أكرهت حمت وترويعها إبانة لها على الجدل فالواجب على النفقة مثلا فينبغي أن يتعطل يوم الجمعة لأن عطلة يوم تمت على النشاط في سائر الأيام والواجب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات فينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات فالعطلة مأمونة على العمل واللغو معين على الجدل ولا يصير على الجدل المحض والحق للراي لا تقوس الأنبياء عليهم السلام فاللغو دواء القلب من داء الإغواء والملاذبة فينبغي أن يكون مباحا ولكن لا يبغي أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فإذا اللغو على هذه النية يصير قرينة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكه بل ليس له إلا البتة والاستراحة المحضة فينبغي أن يستحب له ذلك ليتوصل به إلى القصد الذي ذكرناه فم هذا يدل على تصان عن ذروة السكاه فان السكاه هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الأبرار سيئات القاريين ومن أحاط بعلاج القلوب ووجوه التلطف بها لياقتها إلى الحق علم قطعا أن ترويعها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لاغنى عنه .

(الباب الثاني في آثار السماع وآدابه)

(١) حديث خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كان عليه أعلام شملت قلبه تقدم في الصلاة (٢) حديث مزاحه صلى الله عليه وسلم يأتي في آفات اللسان كما قاله المصنف .

(الباب الثاني في آداب السماع وآدابه)

ولذا حفت النية فلا بأس بقاء الحرفة إلى الحادي قد روى عن كعب بن زهير أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وأشهد أعيانا التواؤما :

بانت سعاد قلبي اليوم متبول

حق انتهى إلى قوله فيها :

إن الرسول ليف يستضاء به

مهند من سيف الله مسلول

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

أنت فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن

محمد رسول الله أنا كعب بن زهير فرمى

رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه بردة

كانت عليه فلما كان زمن معاوية بعث إلى

كعب بن زهير بعنا بردة رسول الله صلى

الله عليه وسلم بعشرة آلاف فوجه إليه

اعلم أن أول درجة السباع فهم السموع وتزليه على معنى يقع للسمع ثم يشر الفهم الوجد ويشر الوجد
الحركة بالجوارح فليطرق في هذه القامات الثلاثة . القام الأول : في الفهم وهو يختلف باختلاف
أحوال السمع ، والسمع أربعة أحوال : إحداهما أن يكون سماع بمجرد الطبع أى لاحظته في السماع
إلا استلزام الأمان والثبات وهذا مباح وهو أحسن . رتب السماع إذ الإبل شريكه فيه وكذا
سائر البهائم بل لا يستدعى هذا الدوق إلا الحياة فلكل حيوان نوع تلهذ بالأصوات الطيبة . الحالة
الثانية أن يسمع بهم ولكن ينزل على صورة مخلوق إما معينا وإما غير معين وهو جماع الشباب
وأرباب الشهوات ويكون تزليهم للسمع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم وهذه الحالة أحسن
من أن تسلك فيها إلا بيان حسنها والنهي عنها . الحالة الثالثة أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه
في معاملته لله تعالى وتقلب أحواله في التحسين مرة والتعذر أخرى وهذا جماع الريدين لاسيا
للبتدين فإن للريد لا محالة مراداهو مقصده ومقصده معرفة الله سبحانه وقفاؤه والوصول إليه
بطريق الشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هومنا برعايتها
وحالات تنفيذه في معاملاته فإذا جمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر أو قرب
أو بعد أو تلهف على فالتألم أو متطش إلى منتظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس
أو وقار أو وعد أو تضييع عهد أو خوف فراق أو فرح بوصول أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب
أو هول العبرات أو ترديد الحشرات أو طول الفراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يشتمل على وضعه
الأشعار فلا بد أن يوافق بعضها حال الريد في طلبه فيجري ذلك مجرى القدر الذي يورى زنادقته
فتشتمل به نيرانه ويوقى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسببه أحوال مخافة لعادته ويكون
له مجال رحب في تنزيل الألفاظ على أحواله وليس على السمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل
لكل كلام وجوه ولكل ذى فهم في اقتباس المعنى منه حظوظ وتضرب لهذه التنزيلات والفهوم
أمثلة كي لا يظن الجاهل أن السمع لأيات فيها ذكر القم والحد والصنع إنما يعهم منها ظواهرها
ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعاني من الآيات ففي حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك
قد حكى أن بعضهم سمع قائلا يقول :

قال الرسول غدا تزور رقتك تنقل ما تقول

فاستغفره اللحن والقول وتواجد وجل يكرر ذلك ويحفل مكان التاء نونا فيقول : قال الرسول غدا
تزرور . حتى غشى عليه من شدة القرص واللغة والسرور فلما أفاق سئل عن وجدهم كان ؟ فقال
ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة ^(١) » .
وحكى الرقي عن ابن الأراج أنه قال : كنت أنا وابن الوطى مارين على دجلة بين البصرة والأبلة
فاذا بقصر حسن له منظره وعليه رجلين يديه جارية تقي وتقول :

كل يوم تسفلون غير هذا بك أحسن

فاذا شاب حسن تحت النظرة وريده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال بإجارية بالله وبجارية مولاك
إلا أعدت على هذا البيت فأعادت فكانت الشاب يقول هذا والله تلوتني مع الحق في حالي فتهرق
شبهة ومات . قال : قلنا قد استبقنا فرض فوقنا فقال صاحب القصر للجارية أنت حررة لوجه الله تعالى

(١) حديث إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل جمعة الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة
وفيه عبد الحميد بن حبيب بن أبي العنبرين مختلف فيه وقال الترمذي لا نعرفه إلا من هذا الوجه
قال وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعي شيئا من هذا .

ما كنت لأؤثر بثوب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحدا فها
مات كعبت معاوية
إلى أولاده بشرين
ألفا وأخذ البردة وهي
البردة الباقية عند
الامام الناصر لدين الله
اليوم عادت بركتها على
أيامه الزاهرة . وللتصوفة
آداب يعاهدونها
ورعايتها حسن الألب
في الصفة والمناجزة
وكثير من السلف لم
يكونوا يشهدون ذلك
ولكن كل شيء
استحسنوه وتواطوا
عليه ولا ينكره الشرع
لاوجه لانكار فيه
فمن ذلك أن أحدم إننا
نحرك في السماع
فوقمت منه خرقة
أو نازله وجد ورمي
عمامته إلى الحادي
فالتحسين عديم
مواظفة الحاضرين له
في كشف الرأس إذا
كان ذلك من مقدم
وشيع وإن كان ذلك
من الشبان في حضرة

قال ثم إن أهل البصرة خرجوا فاضلوا عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر أشهدكم أن كل شيء لي في سبيل الله وكل جوارى أحرار وهذا القصر للسبيل قال ثم رمى بثيابه وانزى يلزار وارتمى بأخر ومضى إلى وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم وهم يسعون فلم يسمع له بصد خبر والقصد أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة عجزه عن الثبوت على حسن الأدب في المأتمنة وتأسفه على تغلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع صممه ما يوافق حاله صممه من الله تعالى كأنه غاطبه ويقول له :

كل يوم تتلون غير هذا بك أحسن

ومن كان صممه من الله تعالى وطى الله وفيه فينبغي أن يكون قد أحكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وإلا خطر له من السماع في حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به في سماع اللريد للشدى خطر إلا إذا لم ينزل ما يسمع إلا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى . ومثال الخطأ فيه هذا البيت بينه فلو صممه في نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل فيضيف التلون إلى الله تعالى فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير مجزوع بتحقيق وقد يكون عن جهل ساقط إليه نوع من التحقيق وهو أن يرى تغلب أحوال قلبه بل تغلب أحوال شاعر العالم من الله وهو حق فانه تارة يسقط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يظلمه وتارة يقبضه وتارة يظلمه وتارة يثبت على طائفة ويقويه عليها وتارة يسقط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه أحوال مختلفة في أوقات متقاربة قصد يقال له في العادة إنه ذو بداد وإنه متلون ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبوبه إلى التلون في قوله ورده وتحريره وإبعاده وهذا هو المعنى فصاع هذا كذلك في حق الله تعالى ككفر محض بل ينبغي أن يعلم أن سبحانه وتعالى يلوّن ولا يتلون ويضرب ولا يتنبر بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للريد باعتقاد تقليدي إيماني وحصل لما عرف البصير يفتن كفتي حقيقي وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو للغير من غير تغيير ولا يتصور ذلك إلا في حق الله تعالى بل كل مفير سواء فلا يغيره مالم يتنبر ومن أرباب الوجد من يظن عليه حال مثل السكر للدهش فيطلق لسانه بالتألم مع الله تعالى ويستنكر إقهاره للقلوب ونسبته لأحوال الشرخطة على تفاوت فانه للمستصفي قلوب الصديقين والبعد قلوب الجاحدين وللروردين فلا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدموا لأمد الأنبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة ساقطة ولكنه قال - ولقد سبقت كلنا لبيادنا للرسولين - وقال عز وجل - ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - وقال تعالى - إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون - فان خطر يبالك أنهم اختلفت السابقونهم في رتبة العبودية مشتركون نودبت من سرادات الجلال لأجواز حد الأدب - فانه لا يشل عما يفعل وهم يستلون - ولم يرد تأدب اللسان والظاهر مما يفتد عليه الأكثرون فأما تأدب السر عن إضمار الاستبعاد بهذا الاختلاف الظاهر في التثريب والإبعاد والإشفاق والإسعاد مع بقاء السعادة والشفاعة أبد الآباد فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الحضرة عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام إنه الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدم العلماء لأنه محرك لأسرار القلوب ومكناها ومشوش لما تشوش السكر للدهش الذي يكاد يحل عفة الأدب عن السر إلا بمن عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف عصمته ولذلك قال بعضهم لينا نجتنا من هذا السماع وأسرار أس في هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة فان غابة ذلك معصية وغاية الخطأ عنها كفر .

الشيوع فليس على
الشيوع مواقة
الشبان في ذلك
وينسب حكم الشيوع
على بقية الحاضرين في
ترك المواقة للشبان
فاذا صكوا عن السماع
يرد الواجد إلى خرقته
وبواقفه الحاضرون
برفع العمامة يرد هائل
الرموس في الحال
المواقة والحركة إذا
رديت إلى الحادى هي
للحادى إذا قصد
إعطائه إياها وإن لم
يقصد إعطائها للحادى
تقبلها للحادى لأن
الحركة هو منه صدر
للو جبارى الحركة .
وقال بعضهم للجمع
والحادى واحد منهم
لأن الحركة قول
الحادى مع بركة الجمع
في إحداث الوجد
وإحداث الوجد
لا يتقاصر عن قول
القائد فيكون الحادى
واحدا منهما في ذلك .
روى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال

واعلم أن القهم قد يختلف بأحوال المستمع فغلب الوجد على مستمعين ليبت واحد وأحدهما مصيب في القهم والآخر غلطى. أو كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لا يتناقض كما حكى عن عتبة الغلام أنه سمع رجلا يقول :

سبحان جبار السما إن المحب لى هنا

قال مبدقت وصحه رجل آخر قال كذبت قال بعض ذوى البصائر أصابا جميعا وهو الحق فالصديق كلام محب غير ممكن من الراد بل مصدود متعب بالصّد والمجهر ، والتكذيب كلام مستأنس بالمحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به أو كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر بخاطر الصّد في السّالّ وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فاختلاف هذه الأحوال يختلف القهم . وحكى عن أبى القاسم بن مروان ، وكان قد صحب أباسعبد الحراز رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة فغضر دعوة وفيها إنسان يقول :

واقف فى لقاء عطشا ن ولكن ليس يلقى

قام القوم ويواجهوا ظما سكنوا سألهم عن معنى مواقع لهم من معنى البيت فأشاروا إلى التمشط إلى الأحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور أسبابها فلم يقتض ذلك فقالوا له لماذا غنك فيه قال أن يكون في وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذه إشارة إلى إتيان حقيقة وراء الأحوال والكرامات والأحوال سوابقها والكرامات تسبق في مبادئها والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها ولا فرق بين الذى الذى فهمه وبين ما ذكره إلا في تفاوت رتبة التمشط إليه فان المحروم عن الأحوال الشريفة أولا يتمشط إليها فان ممكن منها تمشط إلى ما وراءها فليس بين الضمين اختلاف في القهم بل الاختلاف بين المرتبتين . وكان الشبل رحمه الله كثيرا ما يتوكل على هذا البيت :

ودادكم هجرس وحكم قلى ووصلكم صرم وسلكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل وأظهرها أن بفهم هذا في الحلق بل في الدنيا بأسرها بل في كل ما سوى الله تعالى فان الدنيا مكررة خداعة قاتلة لأربابها بمعاديقهم في الباطن ومظاهرة صورة الود . لما امتلأت منها دار حيرة إلا امتلأت عبرة (١) وكأورد في الخبر وكأ قال الصلي في وصف الدنيا :

تنج عن الدنيا فلا تخطبها ولا تخطب من تنالك

فليس يفرجسوها بخوفها ومكرورها إما تأملت راجع

لقد قال فيها الواسفون فأكثرنا وعدى لها وصف لعمري صالح

سلاف قصارها زعاف ومركب شهر إذا استدلته فهو جامع

وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبايح

والعنى الثانى : أن ينزله على نفسه في حق الله تعالى فانه إذا تفكر فقرعته جهل إذا قدروا الله حق قدره وطاعته رياء إذ لا يتق الله حق تغاته وجه معلول إذ لا يبع شهوة من شهواته في حبه ومن أراد الله به خيرا بصره بصوب تصه فبى مصادق هذا البيت في نفسه وإن كان على الترتيب بالإضافة إلى القائلين ولقد نك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (٢) وقال عليه الصلاة والسلام « إني لأستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة » (٣) وإما كان استغفاره عن أحوال

(١) حديث ما امتلأت دار منها حيرة إلا امتلأت عبرة ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أن كثير مرسل (٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك رواه مسلم وقد تقدم (٣) حديث إني لأستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة تقدم في الباب الثانى من الأذكار .

يوم بدر « من وصف بكان كذا فله كذا ومن قتل فله كذا ومن أسرفه كذا ففسارح الشبان وأقام الشيوخ والوجود عند الرأيات فطافح الله للسلدين طلب الشبان أن يحبل ذلك لهم قال الشيوخ كنا ظهرا لكم وردنا فلا تذهبوا بالفتام دوننا فأنزل الله تعالى - يستلونك عن الأنغال قل الأخال فـ والرسول - قسم النبي صلى الله عليه وسلم بينهم بالسوية . وقيل إذا كان القول من القوم يحبل كواحد منهم وإذا لم يكن من القوم لما كان له قيمة يؤثر به وما كان من خرق الفقراء يقسم بينهم . وقيل إذا كان القول أجيرا فليس له منها شيء وإن كان متبرعا يؤثر بذلك وكل هذا إذا لم يكن هناك شيخ يحكم فأما إذا كان هناك شيخ يهاب

هي درجات بعد بالإضافة إلى ما بعدها وإن كانت قربا بالإضافة إلى ما قبلها فلا قرب إلا ويبقى وراءه قرب لاتباقه لإسبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه والوصول إلى أقصى درجات القرب محال والحق الثالث أن ينظر في مبادئ أحواله فيرتضيها ثم ينظر في عواقبها فيزدها بالإطلاعه على خفايا القرور فيها فيرى ذلك من الله تعالى فيستمتع البيت في حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه وما من بيت إلا ويمكن نزله على معان وذلك بقدر غزارة علم السمع ودهاء قلبه . الحالة الرابعة : سماع من جاوز الأحوال وال مقامات فزب عن فهم ماسوى الله تعالى حق عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها وكان كالدهوش الفاض في بحر عين الشهود الذى يشاهى حاله حال النسوة اللاتي قطنن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط إحساسهن وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بأنه قد فنى عن نفسه ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أفى فكأنه فنى عن كل شئ . إلا عن الواحد للشهود وفنى أيضا عن الشهود فإن القلب أيضا إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد قد غفل عن الشهود فالسهر بالمرئ لا التفات له في حال استغراقه إلى رؤيته ولا إلى عينه التي بهار رؤيته ولا إلى قلبه الذي به لذته فالسكران لا خبر له من سكره وللتلذذ لا خبر له من التذاه وإثما خبره من التلذذ به قطع ومثاله العلم بالشيء فإنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهوور دعليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء . ومثل هذه الحالة قد تفرأ في حق المخلوق وتفرأ أيضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذى لا يثبت ولا يدوم وإن دام لم تطفئه القوة البشرية فربما اضطرب تحت أعينها اضطرابا تهلك به نفسه كما روى عن أبي الحسن النورى أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت :

مازلت أنزل من ودللك منزلا تحبر الألباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل السيوف فصار يمدونها ويبيع البيت إلى القدادة والدم يخرج من رجليه حتى ورمست قدماء وساقاه وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد فهي أعلى الدرجات لأن البيع على الأحوال نازل عن درجات السكال وهي بمنزلة صفات البشرية وهو نوع تصور وإنما السكال أن يفنى بالسكية عن نفسه وأحواله أعنى أنه ينسأها فلا يبقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدي والسكاكين فيسمع فناءه وباقه وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال وأخذ بصفا التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شئ أصلا بل خدت بالسكية بشرته وفنى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ولست أعنى فناءه فناء جسده بل فناء قلبه ولست أعنى بالقلب اللحم والدم بل سر لطيفه إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذى هو من أمرائه عز وجل عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فإذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر ومثاله الرأء المجلوة إذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضرها وكذلك الرجاجة فانها تحكى لون قرارها ولونها لون الحاضرها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها بقول الصور ولونها هويته الاستعداد لقبول الألوان وصرب عن هذه الحقيقة أعنى سر القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه قول الشاعر :

رق الزجاج ورقن الحجر فقتشأها فقتشأ كل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وهذا مقام من مقامات علوم الكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاعتماد ، وقال أنا الحق

وبمثل أمره فالشيخ يحكم في ذلك بما يرى قد تغلف الأحوال في ذلك وللشيخ اجتهد فيعمل ما يرى فلا اعتراض لأحد عليه وإن فداها بسن المحبين أو بعض الحاضرين فرضى القوال والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد منهم إلى خرقته فلا بأس بذلك وإذا أصر واحد على الإثارة بما خرج منه لثية له في ذلك يؤثر بخرقه الحادى وأما تعزيق الحرفة المبروحة التي مزفها واجد صادق على علبة سلبت اختياره كغلبة النفس فمن يعتمد إمساكه فيهم في تفرقتها وتزويقها التبرك بالحرفة لأن الوجد أثر من آثار فضل الحق وتعزيق الحرفة أثر من آثار هوجد فصار تفرقة متأثرة بأثر ربانى من معها أن تهدى بالنفوس

وحوله يدندن كلام التصارى في دعوى اتحاد الالهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلف فيه عباراتهم وهو غلط محض يضل غلط من يحكم على الرأى بصورة الحجة إذ ظهريها لئون الحجة من مقابلها وإذا كان هذا غير لائق بعم العامة فليرجع إلى الفرض قد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم السموات . لقام الثانى : بعد فهم والتزيل الوجد . ولناس كلام طويل في حقيقة الوجد اعنى الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السباع للأرواح فلنقتل من أنوالهم أقطاظم لكشف عن الحقيقة فيه أما الصوفية فقد قال ذو النون المصرى رحمه الله في السباع إنه وارد حق جاء بزعم القلوب إلى الحق فمن أسنى إليه بحق تحققي ومن أسنى إليه بنفس تزندق فكأنه جبر عن الوجد بازعاج القلوب إلى الحق وهو الذى يجده عند ورود واردة السباع إذسى السباع واردة حق . وقال أبو الحسين الفراج مخبرا عما وجدته في السباع الوجد عبارة عما يوجد عند السباع وقال جلال بن السباع في مبادئ البهاء فأوجدنى وجود الحق عند المطاء فسقانى بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء وأخرجنى إلى رياض التزّه والقضاء . وقال الشبلى رحمه الله : السباع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الإشارة حل له استماع العبرة وإلا قد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السباع غذاء الأرواح لأهل اللوعة لأنه وصف يندى عن سائر الأعمال ويدرك برقة الطبع لركته وبصفاء السر لصفائه ولطهه عند أهله وقال عمرو بن عثمان السكى لا يقع على كيفة الوجد عبارة لأنه سرائر عند عباده المؤمنين المؤمنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال أبو سعيد بن الأعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور القهم وملاحظة التيب ومحادثة السر وإناس للفقود وهو فؤادك من حيث أنت وقال أيضا الوجد أول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالتيب فلما ذاقوه وسلط على قلوبهم نوره زال عنهم كل شك ورب وقال أيضا الذى يجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والأسباب لأن النفس محبوبة بأسبابها فإذا انقطعت الأسباب وخلص الذكر وصح القلب ورق وصفا ونجست الوعظة فيه وحل من اللذات في محل قريب وخوطب ومع الخطاب بأذن وإعانة وقلب شاهد وسر ظاهر فمشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لأنه قد وجد ما كان معدوما عنده وقال أيضا الوجد ما يكون عند ذكر مزيج أو خوف ملقى أو توبيخ على زلة أو محادثة لطيفة أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استعجاب على حال أو داع إلى واجب أو مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والظن بالظن والسر بالسر واستخراج ماله بما عليك مما سبق لعمى فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر إذا كان هو البندى بالنم والتولى وإليه يرجع الأمر كله فهذا ظاهر علم الوجد أو الوجد الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة . وأما الحكماء فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان فلما ظهرت سررت وطربت إليها فاستمعوا من النفس وتاجوها ودعوا مناجاة الظواهر والظواهر والباطن بالباطن والظن بالظن والسر بالسر واستخراج المازب من الأفكار وحدة الكمال من الأفكار والآراء حتى يثوب ماعزب وينهض ماعجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل رأى ونية فيصوب ولا يخطئ ويأتى ولا يخطئ وقال آخر كما أن الفكر يطرُق العلم إلى المعلوم فالسباع يطرُق القلب إلى العالم الروحاني . وقال بعضهم وقد شغل عن سبب حركة الأطراف بالطبع على وزن الألحان والإيقاعات فقال ذلك عشق عقل والعاشق العقل لا يحتاج إلى أن يناهى مشوقه بالناطق الجرمى بل يناهيه ويناجيه بالتبسم واللفظ والحركة اللطيفة بالخارج والجنين والإشارة وهذه نواطق أجمع لإظهار روحانية وأما العاشق الهيمى فإنه يستعمل النطق الجرمى ليعبر به

وترك على الرءوس
إسكراما واعزازا :
تضوع أرواح نجد
من تياهم
يوم القدوم قرب
المهد بالدار
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستقبل
النبي وتبرك به
ويقول حديث عهد
بربه فخرقة للفرقة
حديث المهد حكى
المروحة أن خرق على
الحاضرين وحكم
ما يتبعها من الخرق
الصالح أن يحكم بها
الشيخ إن خصص
بعض منها بعض الفقراء
فهو ذلك وإن خرقها
خرقة ذلك ولا يقال
هذا فخرقة وسرف
فان الخرق الصغيرة
يستفاد بها في موضعها
عند الحاجات
الكبيرة . وروى
عن أمير المؤمنين على
ابن أبي طالب رضي الله
عنه أنه قال : أهدى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم حلة حرر

عن حمزة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائف . وقال آخر من حزن فليسمع الأحنان فإن النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها وإذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فظهر الحزن بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفاته وقائه من النفس والدنس . والأقوال للقررة في السباع والوجد كثيرة ولا يمكن الاستسكار من إيرادها فلنشغل بتفهم المعنى الذى الوجد عبارة عنه فنقول إنه عبارة عن حالة يشمرها السباع وهو وارد حق جديد عقيب السباع يجده السمتع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين فإما إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض وهذه الأحوال يهيئها السباع ويقومها فإن ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرأ أو يسكن عن النظر والتطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وإن ظهر على الظاهر مسمى وجدا إما ضعيفا وإما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغير بحسب قوة الوجد وقدرته على ضبط جوارحه بقديوى الوجد فى الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد ونسوره عن التحريك وحل عقد التماسك وإلى معنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد إنه مشاهدة الرقب وحضور النهم وملاحظة الغيب ولا يحد أن يكون السباع سببا لكشف ما لم يكن مكتشفا قبله فإن الكشف يحصل بأسباب منها التنبيه والسباع منه ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها فإن إدراكها نوع علم يغيب لإضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورد ومنها صفاء القلب والسباع يؤثر في تصفية القلب والصفاء يسبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السباع فيقوى به على مشاهدة ما كان تغص عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البصر على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار للسلوك كما أن عمل البصر على الانتقال فبواسطة هذه الأسباب يكون سببا للكشف بل القلب إذا سافر بما يشل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه بمر عنه بصوت المانف إذا كان في اليقظة والرؤيا إذا كان في المنام وذلك جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم للعامة وذلك كما روى عن محمد ابن مسروق البغدادي أنه قال خرجت ليلة في أيام جهاني وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت :

بطور سيناء كرم ما مردت به إلا تمجبت ممن يشرب لئلا

فسمعت قائلا يقول :

وفي جهنم ماء ما يجرمه خالق فأبقى له في الجوف أمعاء

قال فكان ذلك سبب توبى واشتغالى بالطم والعادة ، فانظر كيف أثر الضياء في تصفية قلبه حتى عثله حقيقته الحق في صفة جهنم في لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر . وروى عن مسلم العباداني أنه قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسواري فزولوا على الساحل قال فحيات لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم إليه فجاءوا فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بمائل يقول واقفا صوته هذا البيت :

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيبا غير نافع

قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخرّ منشاعليه وبقي القوم فرضت الطعام وماذا قوا وأثمته لقمة ، وكما يسمع صوت المانف عند صفاء القلب فيشاهد أيضا بالبرص مرة الحفر عليه السلام فإنه يمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة تمثل اللاشك لا لآباء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها

فأرسل بها إلى غرخت فيها فقال لي ما كنت لأكره نفسي شيئا أرماء لك نشقة بين النساء خرايا وفي رواية أثبتة قلت ما أصنع بها ألبسها قال ولكن اجعلها خرايا بين الفواطم أراد فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفي هذه الرواية أن الهدية كانت حلة مكشوفة بحرر وهذا وجه في السنة لتزريق الثوب وجعله خرقا . حكى أن الفقهاء والصوفية بنسبوا بوجع اجتماع في دعوة فوكت الحرفة وكان شيخ الفقهاء الشيخ أبو محمد الجويني وشيخ الصوفية الشيخ أبي القاسم القشيري قسمت الحرفة على عاداتهم فالتفت الشيخ أبو محمد إلى بعض الفقهاء وقال سرا هذا سر فإضاعة لعل نسمع أبو القاسم

وإما على مثال يحاكي صورتها بعض الهاكة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين في صورته وأخبر عنه بأنه سد الأفق (١) وهو الراد بقوله تعالى - عليه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى - إلى آخر هذه الآيات وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ختمات القلوب وقد بعير عن ذلك الاطلاع بالفرس وتلك قال **ميتا** « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » (٢) وقد حكى أن رجلاً من الجوس كان يدور على المسلمين ويقول لأماني قول النبي صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن » فكان يذكر له تفسيره فلا يفهمه ذلك حتى انتهى إلى بعض الشايخ من الصوفية فسأله فقال له معناه أن تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه وأسلم وقال الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق . وكحكى عن إبراهيم الخواص قال كنت بغداد في جماعة من الفقراء في الجامع فأقول شاب طيب الرائحة حسن الوجه قتل لأصحابي يقع أنه يهودي فكلمهم كرهوا ذلك فخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال أي شيء قال الشيخ في قاتحشموه فألم عليهم فقالوا له قال إنك يهودي قال فجاءني وأكب على يدي وقبل رأسي وأسلم وقال نجدي كبتنا أن الصديق لا تخفي فراسته قلت أمتحن المسلمين تأملتهم قلت إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرءون كلامه فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ وفرس في علمت أنه صديق قال وصار الشاب من كبار الصوفية وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله عليه السلام « لولا أن الشياطين يعومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » (٣) وإتباعهم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات الذمومة فاتهمرعى الشيطان وجنده ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه وإليه الإشارة بقوله تعالى - لإعبادك منهم المخلصين - وقوله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل ما روى أن ذا النون الصري رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه أن يقول لهم شيئاً فأذن لهم في ذلك فأنشأ يقول :

صغير هواك عذبي فكيف به إذا احتسك وأنت جئت في قلبي
هوى قد كان مشتركاً أما ترني لمحتسب إذا ضحك الحلي بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر فقال ذا النون الذي يراك حين تقوم تجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذي النون على قلبه أنه متكلف متواجد ففرغه أن الذي يرام حين يقوم هو الحسم في قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقا لما جلس ، فإذا رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات . واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقته وإلى ما لا يمكن العبارة عنه أصلاً ولعلك تسبند حالة أو علماً لا تلم حقيقة ولا يمكن التعبير عنه عن حقيقته فلا تستبعد ذلك فانك تجد في أحوالك القرية لذلك شواهد . أما العاقل فكيف يقرض عليه مثلثان متشابهان في الصورة ويدرك التقييد بلوقه أن بينهما فرقا في الحكم وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وإن كان من أفصح الناس فيدرك بلوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وإدراك الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق ولا يشك في أن لوقه في قلبه سبباً وله عند الله تعالى حقيقة ولا يمكنه الاخبار عنه لا لتصور في لسانه بل لدقة المعنى في نفسه عن أن تتاله العبارة وهذا مما قد تظن أنه

- (١) حديث رأى جبريل عليه السلام مرتين في صورته فأخبر أنه سد الأفق متفق عليه من حديث عائشة
- (٢) حديث اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حديث غريب (٣) حديث لولا أن الشياطين يعومون على بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم في الصوم .

القشيري ولم يقل شيئاً
حق فرغت القصة ثم
استدعى الخادم وقال
انظر في الجمع من معه
سجادة خرق اتنى بها
جفاه - بسجادة ثم
أحضر رجلاً من أهل
الحبرة فقال هذه
السجادة بك تشتري
في الزاد قال بدتار قال
ولو كانت قطعة واحدة
كم تساوى قال نصف
دينار ثم التفت إلى
الشيخ أبي محمد وقال
هذا لا يسمى اضافة
للال والحرفة للزقة
تضم على جميع
الحاضرين من كان
الجنس إذا كان حسن
الظن بالقوم معتقداً
للتبرك بالحرفة .
روى طارق بن
شهاب أن أهل البصرة
غزوا نهاوند وأمدم
أهل الكوفة وعلى
أهل الكوفة عمار بن
ياسر فظهروا وأراد
أهل البصرة أن
لا يقسموا لأهل

الواظبون على النظر في الشكوك . وأما الحال فكأن من إنسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصيح فيه قبيحا أو بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر إنسان في شيء فيؤثر في نفسه أثرا فينبئ ذلك السبب ويبقى الأثر في نفسه وهو يحس به وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا ثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور أو حزنا فينبئ التفكير فيه وحس بالأثر عقيقه وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفسحة عن التصود بل ذوق الشعر الوزون والفرق بينه وبين غير الوزون يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدر كها صاحب الدوق بحيث لا يشك فيها أعني التفرقة بين الوزون والتزخف فلا يمكن التعبير عنها بما يتضح مقصوده به لمن لا ذوق له وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعاني الشهورة من الحوف والحزن والسرور إنما تحصل في السباع عن غنا مفهوم ، وأما الأوتار وسائر الأعضاء التي ليست مفهومة فاتها تؤثر في النفس تأثيرا عجميا ولا يمكن التعبير عن محاسن تلك الآثار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوقه لا يعرف صاحبه الشائق إليه فهو محجب والذي اضطرب قلبه بجماع الأوتار أو الشاهين وما أشبهه ليس يدري إلى ماذا يشائق ويحب في نفسه حالة كأنها تتقاضى أمرا ليس يدري ماهو حتى يقع ذلك العوام ومن لا يفتل على قلبه لأحب آدمي ولا حب الله تعالى وهذا ليس هو وأن كل شوق لله ركان : أحدها صفة الشائق وهو نوع مناسبة مع الشائق إليه . والثاني معرفة الشائق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه فإن وجدت النسبة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة الشائق إليه كان الأمر ظاهرا وإن لم يوجد العلم بالمشائق ووجدت الصفة للشوق وحرك قلبك الصفة واشتعلت نارها أو شذ ذلك دهشة وحيرة لا يحالقولون نأنا آدمي وحده بحيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الواقع ثم راقق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بآثار الشهوة ولكن لا يدري أنه يشائق إلى الواقع لأنه ليس يدري صورة الواقع ولا يعرف صورة النساء فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع العالم الأعلى والقدوات التي وعد بها في مدرة للنهي والفراديس العلى إلا أنه لم يتخيل من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء كاللذي سمع لفظ الواقع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في للراءة يعرف بالمقايسة فالسباع يحرك منه الشوق والجهل للفرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذي إليه حنينه واشتياقه بالطبع فيقتاضاه قلبه أمرا ليس يدري ماهو فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالحشيق الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا وأمثاله من الأحوال التي لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن التصف بها أن يعبر عنها قد ظهر انقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره . واعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلف ويسمى التواجد وهذا التواجد للتكلف منه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع الافلاس منها ومنه ماهو محمود وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فإن للكسب مدخلا في جلب الأحوال الشريفة ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البسك في قراءة القرآن أن يتباكى وينحازن ^(١) فإن هذه الأحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق أو آخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في أن يصير للتكلف في الآخرة طبعاً وكل من يتعلم القرآن أو لا يحفظه تكلفاً ويرقوه تكلفاً مع تمام التأمل وإحضار الدهن ثم يصير ذلك دينا لسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فبقراً تمام السورة وتوب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها في حال غفاته وكذلك الكاتب يكتب في الانبداء بمجدد بدنه

السكوة من التنبية شيئا قتال رجل من بني نعيم لعمار أبيها الأجدع تريد أن تشاركنا في غنانا فكذب إلى عمر بذلك فكذب عمر رضى الله عنه أن التنبية لمن شهد الواقعة وذهب بضمهم إلى أن المجرع من الحرق يضم على الجمع وما كان من ذلك صحيحا يعطى للقول . واستدل بما روى عن أبي قتادة قال لما وضعت الحرب أوزارها يوم حنين وفرغنا من أوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل قتيلا فله سلبه » وهذا له وجه في الحرق الصحيحة فأما المجرعة فحكمها اسهام الحاضرين والقسم لهم ولو دخل على الجمع وقت القسم من لم يكن حاضرا قسم له . روى أبو موسى الأشعري رضى الله

(١) حديث البكاء عند قراءة القرآن فإن لم تبكوا قتيلا كوا ، تقدم في تلاوة القرآن في الباب الثاني .

تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتب له طعما فيكتب أوراقا كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر فجميع ما تختمله النفس والجوارح من الصفات لاسيلا إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتوسع أولا ثم يصير بالعادة طعما وهو الراد بقول بعضهم : العادة طبيعة خامسة . فكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس منها عند قهدها بل ينبغي أن يتكلف اجتلابها بالساع وغيره فلقد شوهد في العادات من انتهى أن يشق شخصا ولم يكن يشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر إليه ويفرض على نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق الممودة فيه حتى غشفه ورسخ ذلك في قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره فاشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا قهدها الإنسان فينبغي أن يتكلف اجتلابها بمجالة للوصوفين بها ومشاهدة أحوالهم وتحسين صفاتهم في النفس وبالجوارح معهم في السماع والدعاء والتضرع إلى الله تعالى في أن يرقة تلك الحالة بأن يبسر له أسبابها . ومن أسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحسنين والشعائير والحاشدين فمن جالس شخصا سرت إليه صفاته من حيث لا يدري وبدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم ارزقني حبك » حب من أحببك وحب من يقربني إلى حبك ^(١) » قد فرغ عليه السلام إلى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكشفات وإلى أحوال وانقسامه إلى ما يمكن الانصاح عنه وإلى ما لا يمكن وانقسامه إلى التكلف وإلى الطبوع . فان قلت : فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقا من لطف الله تعالى ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لسكان القرآن أولى به من الغناء فنقول : الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن أيضا وإنما الذي لا يهيج بسماع القرآن حب الحق وعشق الخلق وبدل على ذلك قوله تعالى - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - وقوله تعالى - مثاني نقشتم من جلود الذين يغشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمأنينة والاشمرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال الله تعالى - إنما للؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - وقال تعالى - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خالقا متصدعا من خشية الله - فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال وإن لم يكن من قبيل المكشفات ولكن قد يصير سببا للمكشفات والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم ^(٢) » وقال النبي موسى الأشعري « لقد أوتيت مزارا من مزامير آل داود عليه السلام ^(٣) » . وأما الحركات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة بقوله صلى الله عليه وسلم « شيتني هود وأخوانها ^(٤) » خبر عن الوجد فان الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد . وروى أن ابن مسعود رضى الله عنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء فلما انتهى إلى قوله تعالى - فكيف إذا جثا من كل أمة بشهيد

(١) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من أحببك الحديث تقدم في الدعوات (٢) حديث زينوا القرآن بأصواتكم تقدم في تلاوة القرآن (٣) حديث لقد أوتيت مزارا من مزامير آل داود قوله لأن موسى تقدم فيه (٤) حديث شيتني هود وأخوانها الترمذي من حديث أبي حنيفة وله ولحقا من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذي حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري

تعالى عنه قال لما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خير ثلاث فأسهم لنا ولم يسهم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا وبكره لاقوم حضور غير الجنس عديم في السماع كثره لا ذوق له من ذلك فيسكنر ما لا ينكر أو صاحب دنيا يحوج إلى السدادة والتكلف أو متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين بشواجده أخبرنا أبو زرعة طاهر عن والده أبي الفضل الحافظ القدسي قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الله الطافري برخص قال أخبرنا أبو علي الفضل بن منصور بن نصر الكاغدي السمرقندي بإجازة قال حدثنا الميثم بن كليب قال أخبرنا أبو بكر عمار بن اسحق قال ثابته بن عامر عن شعبة عن

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حبیبك وكانت عيناه تذرفان بالمسوح (١) وفي رواية آتاه عليه السلام قرأ هذه الآية أفرى عنده - إن لدينا أنكلا وجعيا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما - فسق (٢) وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قرأ - إن تعذبهم فاعذبهم عذابك - فبكى (٣) وكان عليه السلام إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر (٤) والاستبشار وجد وقد أتى الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن قال تعالى - وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق - وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدرة أزيز كآزيز للرجل (٥) وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فذكر : فمنهم من صغى ومنهم من بكى ومنهم من غشى عليه ومنهم من مات في غشيته وروى أن زرارة بن أوفى وكان من التابعين كان يوم الناس بالرفة قرأ - فإذا قرأ في الناقور - فصغى ومات في صحابه رحمه الله وصغى عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ - إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع - فصاح صيحة وخر مشفيا عليه فعمل إلى يته فلم يزل مرضا في يته شهرا وأبو جرير من التابعين قرأ عليه صالح للرى فضيق ومات وصغى الشافعي رحمه الله قارئا يقرأ - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون - غشى عليه وصغى على ابن الفضل قارئا يقرأ - يوم يقوم الناس لرب العالمين - فسقط مشفيا عليه قال الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية قد كان الشبلى في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف إمامه قرأ الإمام - ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك - فزغق الشبلى زغقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واهجر وجهه وارعدت فرائصه وكان يقوم بمثل هذا مخاطب الأجباب يردد ذلك مرارا . وقال الجنيذ دخلت على السرى السقطي فرأيت بين يديه رجلا قد غشى عليه فقال لي هذا رجل قد جمع آية من القرآن فغشى عليه فقلت اقرأوا عليه تلك الآية بينا قرئت فأدق فقال من أين قلت هذا قلت رأيت يعقوب عليه السلام كان غمما من أجل مخلوق فسمخوق أبصر ولو كان غمما من أجل الخلق ما أبصر بمخلوق فاستحسن ذلك وشير إلى ما قاله الجنيذ قول الشاعر:

وكأس شربت على لذة وأخرى تداوت منها بها

وقال بعض الصوفية كنت أقرأ آية هذه الآية - كل نفس ذائقة الموت - فجلت أرددها فإذا هانف يهتف بي كم تردد هذه الآية فقد قلت أربعة من الجن ما رفخوا رؤسهم إلى السماء منذ خلقوا . وقال أبو طي التازلي للشبلى : ربما تطرق معنى آية من كتاب الله تعالى فتجذبني إلى الإعراض عن الدنيا ثم أرحع إلى أحوالي وإلى الناس فلا أبقى على ذلك قال ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك به إليه فذلك عطفك منه عليك ولطف منه بك وإذا ردك إلى نفسك فبوشقة منه عليك فإنه لا يصلح لك إلا التبري من الحول والقوة في التوجه إليه . وصغى رجل من أهل التصوف قارئا يقرأ - يا أيها النفس

(١) حديث إن ابن مسعود قرأ عليه فلما انتهى إلى قوله - فكيف إذا جئنا من كل أممة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حبیبك الحديث متفق عليه من حديثه (٢) أنه قرأ - إن لدينا أنكلا وجعيا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما - فصغى . ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب من طريقه من حديث أبي حرب بن أبي الأسود مرسلا (٣) حديث أنه قرأ - إن تعذبهم فاعذبهم عذابك - فبكى . مسلم من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث كان إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر تقدم في تلاوة القرآن دون قوله . واستبشر (٥) حديث أنه كان يصلي ولصدرة أزيز كآزيز للرجل أبو داود والنسائي والترمذي في الشكائل من حديث عبد الله ابن الشخير وقد تقدم .

عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله إن قراء أمثك يدخول الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمائة عام فشرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل فيكم من يشهدنا فقال بدوي نعم يا رسول الله فقال هات فأشأ الأعرابي :

قد لست حية الموى كبدى

فلا طيب لها ولا راق إلا الحبيب الذي شغفت به

فندره فبق وترى

فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فصار غرقا أوى كل واحد منهم إلى مكانه قال معاوية بن أبي سفيان ما أحسن

لطمشة أرجى إلى ربك راضية مرضية - فاستعادها من القارىء - وقال كم أقول لها أرجى وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه - وصبح بكرين ماذا قارئا يقرأ - وأنذرهم يوم الآفة - الآية فاضطرب ثم صاح أرحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشى عليه وكان إبراهيم ابن آدم رحمه الله إذا سمع أحدا يقرأ - إذا السماء انشفت - اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل في القرافة فقرأ به رجل على الشاطئ يقرأ - واستأزوا اليوم أيها المجرمون - فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات . وذكر أن سلمان الفارسي أبصر شابا يقرأ فاتى على آية فاتشمر جلده فأحبه سلمان وقده فسأل عنه فقيل له إنه مريض فأتاه بموده فإذا هو في اللوت فقال يا عبد الله : أرايت تلك القشمية التي كانت في فاتها أنثى في أحسن صورة فأخبرتني أن الله قد غفر لي بها كل ذنب . وبالحجة لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلا - مثله كمثل الذي ينقى بما لا يسمع إلا دعاء وتداء صم بك عمى فهم لا يسمعون - بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعا قال جعفر الحلي دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال للجنيد متى يستوى عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ إذا دخل البهارستان وقيد بقيدين فقال الجنيد ليس هذا من شأنك ثم أقبل على الرجل وقال إذا تحقق أنه مخلوق فسبق الرجل شهقة ومات . فان قلت فإن كان سماع القرآن مفيدا للوجد لشاغلهم يجتمعون على سماع الغناء من التوالين دون القارئين فكان ينبغي أن يكون اجتباهم وتواجدهم في خلق القراء للاحق للثنين وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتباع في كل دعوة قارىء لا قول فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء للاحق . فاعلم أن الغناء أعيد تسجيلا للوجد من القرآن من سبحة أوجه . الوجه الأول : أن جميع آيات القرآن لاتناسب حال السمع ولا تصلح لذهنه وتزيله على ما هو ملائمه له فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين - وقوله تعالى - والذين يرمون المحصنات - وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان أحكام للبراث والطلاق والحدود وغيرها وإنما المحرك لما في القلب ما يناسبه والآيات إنما يضفي الشعراء إعرابا بها عن أحوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها إلى تكلف نعم من يستولى عليه حالة غالبية قاهرة لم تبق فيه متمسا لتبرها ومعه تيقظ وذكاء ثابت ينفطن به للمعاني البعيدة من الألفاظ قد يخرج وجده على كل مسوع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم - حالة اللوت الهوج إلى الوصية وأن كل إنسان لا بد أن يخاف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك أحد المهيولين لثاني ويهجرهما جميعا فينقلب عليه الحورف والجزع أو يسمع ذكر الله في قوله - يوصيكم الله في أولادكم - فيدهش بعجز الاسم عما قبله وبعده أو يخطر له رحمة الله على عباده وشفته بأن تولى قسمه وأريهم نفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول إذا نظر لأولادنا بدموتنا فلانك بأنه ينظر لنا فيسبح منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارا وسرورا أو يخطر له من قوله تعالى - للذكر مثل حظ الأنثيين - تفضيل الذكر بكونه رجلا على الأنثى وأن الفضل في الآخرة لرجال لانهم نجارة ولا يسبح عن ذكر الله ، وأن من ألهمه غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الإنس لا من الرجال تحقيا فيختون أن يعجبوا أو يوحى في نعيم الآخرة كما أخبرت الأنفوق أموال الدنيا فأما هذا فقد عرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان : أحدهما حالة غالبية مستغرقة قاهرة والآخر تنفطن بليغ وتيقظ بالغ كمثل التثنية بالأمور القرية على المعاني البعيدة وذلك مما يعز فلاجل ذلك يفرغ إلى الغناء الذي هو ألائم مناسبة للأحوال حتى يسارع هيجانها . وروى أن أبا الحسن النوري كان مع جماعة

ليكم يا رسول الله فقال
مما معاوية ليس بكرم
من لم يهتز عند سماع
ذكر الحبيب ثم قسم
رداءه رسول الله صلى
الله عليه وسلم على من
حاضروهم بأرمائه تطلعة
فهذا الحديث أوردناه
مسندا كما سمعناه
ووجدناه وقد تكلم
في صحته أصحاب الحديث
وما وجدنا شيئا نقل
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يشاكل
وجد أهل الزمان
وسماعهم واجتماعهم
وهيئتهم إلا هذا وما
أحسنه من حجة
للعوية وأهل الزمان
في سماعهم وتمزيقهم
الحرق وقسمتها أن
لوصح والله أعلم وبخالف
سرى أنه غير صحيح
ولم أجد فيه ذوق
اجتماع النبي صلى الله
عليه وسلم مع أصحابه
وما كانوا يستمدونه
على ما بلغنا في هذا
الحديث وبأنى القلب
قبوله والله أعلم
بذلك .

في دعوى جرى بينهم مسألة في العلم والحسين ساكت ثم رفع رأسه وأنشدهم :
 رب ورقاء تنوف في الضحى ذات شجو صدحت في قن
 ذكرت إلها ودعها سالحا وبكت حزنا فهاجت حزى
 فبكائى ربما أرقها وبكائها ربما أرقى
 ولقد أنشكو لها أفهمها ولقد تشكو لها غهمى
 غير أنى بالجوى أعرفها وهى أيضا بالجوى تعرفى

قال لما بقى أحدهم من القوم لإقام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذى خاضوا فيه وإن كان العلم جدوا حقا . الوجه الثانى : أن القرآن محفوظ للأكثرين ومتكرر على الأصابع والقلوب وكما جمع أولا بعظم أثره في القلوب وفى السكرة الثانية يصف أثره وفى الثالثة يكاد يسقط أثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان في يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك ولو أبدل بيت آخر لتحده له أثر في قلبه وإن كان معربا عن عين ذلك للمنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالإضافة إلى الأول يحرك النفس وإن كان للمنى واحدا وليس بقدر القارى على أن يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة فإن القرآن محصور لا يمكن القراءة عليه وكله محفوظ متكرر وإلى ما ذكرناه أشار الصديق رضى الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمون القرآن ويكون فقال كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا ولا تظن أن قلب الصديق رضى الله عنه كان أقوى من قلوب الأجلاف من العرب وأنه كان أقوى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرار على قلبه اقتضى للرون عليه وقلة التأثر به لما حصل له من الأسى بكثرة استماعه إذ حال في العادات أن يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيكس ثم يدمى على بكائه عليها عشرين سنة ثم يردها ويسكى ولا يفارق الأول الآخر إلا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لغة ولكل طارئ صدمة ومع كل ما لوف أنس يناقض الصدمة ولذا هم عمر رضى الله عنه أن ينح الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت أن يشاؤون الناس بهذا البيت أى يأنسوا به ومن قدم حاجا فرأى البيت أولا وبكى وزعق وربما غشى عليه إذ وقع عليه بصره وقد بقيم بكته شهرا ولا يحسن من ذلك في نفسه بأثر فإذا التفت قدح على الأبيات القريبة في كل وقت ولا يقدر في كل وقت على آية غريبة . الوجه الثالث : أن لوزن الكلام بدوى الشعر تأثيرا في النفس فليس الصوت لوزون الطيب كالصوت الطيب الذى ليس بموزون وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولوزن الشعر الذى ينشده أولئك فيه أواملا على حدث تلك الطريقة للحن لاضطرب قلب للسمع وبطل وجده ومعاها ونظر طبعه لعدم التامية وإذا تقرأ الطبع اضطرب القلب وتوشق فالوزن إذن مؤثر فذلك طلب الشعر . الوجه الرابع : أن الشعر للوزن يختلف تأثيره في النفس بالألحان التى تسمى الطرق والمستأنات وإنما اختلاف تلك الطرق عند القصور وقصر المدود والوقف أثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أزل قصره ومدد والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه وإذا تقرأ القرآن كما أزل سقط عنه الأثر الذى سببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن يكن مفهوما كما في الأوتار والزمارة والشاهين وسائر الأصوات التى لا تفهم . الوجه الخامس : أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد باقاعات وأصوات أخر موزونة خارج الخلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوى وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ في التأثير وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرأى لأن صورتها عند عامة الخلق

[الباب السادس

والعشرون في خاصة الأربينية السقى بضاهدها الصوفية]
 ليس مطلوب القوم من الأربين شيئا خصوصا لا يطلبونه في غيرها ولكن لما طرقهم عاقلات حكم الأوقات أحبوا تعيد الوقت بالأربين رجاء أن ينسحب حكم الأربين على جميع زمانهم فيكونوا في جميع أوقاتهم كهم في الأربين على أن الأربين خست بالذكر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أخلص لله أربين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقد خص الله تعالى الأربين بالذكر في قصة موسى عليه السلام وأمره بتخصيص الأربين بغزده تبتل قال الله تعالى - وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأجمعنا بها بشر قم

سورة الموم والموم والقرآن جده كله عند كافة الخلق فلا يجوز أن يخرج بالحق المحض ما هو لموعده الصالحة وصوره سورة الموم عند الحاضرين كانوا لا ينظرون إليها من حيث إنها الموم بل ينشئ أن يقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في جال الجنب ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل حال إلا الرابون لأحوالهم فيعدل إلى التناء الذي لا يستحق هذه الرتبة والرعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليقال العرس وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في العرس فقال «أظهروا التكبح ولو بضرب القربال» (١) أو بلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشمر دون القرآن ولذلك دخل رسول الله ﷺ بيت الريح بنت معوذ وعندها جوار ينين فسمع إحداهن تقول وفيما نهد سلم ما في غد على وجه التناء فقال صلى الله عليه وسلم «دعى هذا وقول ما كنت تقولين» (٢) وهذه شهادة نبوية فوجرها عنها ووردها إلى التناء الذي هو المحل لأن هذا جد محض فلا يقرن بصورة الموم فإذا يتعذر بسببه تقوية الأسباب التي بها يصير السماع محرراً للقلب فواجب في الاحترام المدول إلى التناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية المدول عن شهادة النبوة إلى التناء . الوجه السادس : أن الغنى قد ينشأ لا يوافق حال السامع في فكره وبنائه عنه ويستدعى غيره فليس كل كلام موافق لكل حال فلا اجتماعاً في الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لا توافق حاله إذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال ، فآيات الرحمة شفاء الحائض وآيات العذاب شفاء للفرور الآمن وتفصيل ذلك مما يطول فإذا لا يؤمن أن لا يوافق القروء المحال وتكرهه النفس فيترض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلاً إلى دفعه فلا احتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب إذ لا يجد الخلاص عنه إلا بتزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ما أراد الله تعالى . وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده فبغيره خطر الكراهة وأخطر التأويل الخطأ لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله وصيائه عن ذلك ، وهذا ما ينقدح له في علل انصراف الشيوخ إلى سماع التناء عن سماع القرآن . وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك فقال : القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا يطيقه البشرية لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلب خيرة من معناه وهيته لتصدعت ودهشت وتغيرت والألحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة المخلوط لانسبة الحقوق والشعر نسبتة نسبة المخلوط فإذا علقت الألحان والأمورات بما في الآيات من الإشارات والأطائف شاكل بعضها بعضاً كان أقرب إلى المخلوط وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق فمادامت البشرية أمة ونحن بصفتنا ومخلوطنا تنتم بالنفات الشجبة والأموات الطيبة فانبطنا لمشاهدة بقاء هذه المخلوط إلى القضاة الأولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأ وإليه يعود هذا حاصل التصود من كلامه واعتذاره . وقد حكى عن أبي الحسن الدراج انتقال : قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الري كنت أسأل عنه فكل من سأته عنه قال أيش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جبت هذا الطريق كله فلا أزل من أن أراه فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في المهراب وبين يديه رجل ويده مصحف وهو يقرأ فإذا هو شيخ بهي حسن الوجه والحية فسلمت عليه فأقبل على وقال

(١) حديث الأمر بضرب الدف في العرس تقدم في التكاح (٢) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الريح بنت معوذ وعندها جوار ينين الحديث البخاري من حديثها وقد تقدم في التكاح .

سبقت ربه أربعين ليلة - وذلك أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر أن الله تعالى إذا أحلقت عدوهم واستقدم من أيديهم بأنهم يكتبون من عند الله تعالى فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والأحكام فلما فعل الله ذلك وأهلك فرعون ، سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله تعالى أن يسوم ثلاثين يوماً وهو ذو القعدة فلما تمت الثلاثون ليلة أنكر خلفه فقتلوه بسود خرونب قتلت ٤ اللائكة كناتن من فيك راحة للذك فأنقذه بالسوء فأمره الله تعالى أن يسوم عشرة أيام من ذي الحجة وقال ٤ أما علمت أن خوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام

من أين أقبلت قلت من بغداد فقال وما الذي جاء بك قلت قصدتك لسلام عليك فقال لو أن في بعض هذه البلدان قال لك إنسان أتم عندنا حتى نفتري لك داراً أو جارية أو كان يصدقك ذلك عن المجي قلت ما امتحنني الله بشئ من ذلك ولو امتحنني ما كنت أدرى كيف أكون ثم قال لي أحسن أن تخول عينا قلت نعم فقال هات فأنشأت أقول :

رايتك تبني دائماً في قطيعي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
كأن بك والبيت أفضل قولكم ألا ليتنا كنا إذ البيت لا يبني

قال فأطيق للصفح ولم يزل يبيح حتى ابتلت لحيتي وابتل ثوبه حتى رحمت من كثرة بكائه ثم قال يا بني تلوم أهل الري يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة القعدة أقرأ في للصفح لم تخطر من عيني قطرة وقد قامت القيامة على هذين البيتين فإذا القلوب وإن كانت محترقة في حب الله تعالى فإن البيت الغريب يبيع منها حالاً يبيع تلاوة القرآن ، وذلك لوزن الشعر ومساكنه لطباعه ولكونه مشاكلاً للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر ، وأما القرآن فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل في قول البشر لعدم مساكنه لطبعه . وروى أن إسرائيل أستاذ ذئب التورن للصري دخل عليه رجل فرأه وهو يشكت في الأرض بأبسه ويترنم بيت فقال هل تحسن أن ترنم بي ؟ فقال لا قال فانتب بلا قلب إشارة إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الآيات والنعيمات تحريكاً لا يصادف في غيرها فيتكلف طريق التحريك إما بصوت نفسه أو بغيره وقد ذكرنا حكم القام الأول في فهم للسوم وتزيله وحكم القام الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب ، فلذلك الآن أثر الوجد أغنى ما يترشح منه إلى الظاهر من صفة وبكاء وحركة وبمزيق ثوب وغيره فنقول :

(لقام الثالث من السبع)

نذكر فيه آداب السباع ظاهراً وباطناً وما يحمد من آثار الوجد وما يذم ، فأما الآداب فهي خمس جل الأول : مراعاة الزمان والسكان والاخوان . قال الجني : السباع يحتاج إلى ثلاثة أشياء والأفلا تسمع الزمان والسكان والاخوان ومعناه أن الاشتغال بغير وقت حضور طعام أو خضام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لافائنة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب له . وأما للسكان فقد يكون شارباً مطروفاً أو موصفاً كربة الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك . وأما الاخوان فسيب أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السباع متزهة الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستقلاً في المجلس واشتغل القلب به وكذلك إذا حضر متكبر من أهل الدنيا يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته أو متكلف متواجد من أهل التصوف يرأى بالوجد والرقص وبمزيق الثياب فكل ذلك مشوشات ترك السباع عند هذه الشروط أولى ففي هذه الشروط نظر للسمع . الأدب الثاني : هو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله مريدون يضرهم السباع فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر والريد الذي يستضر السباع أهد ثلاثة ألقامه درجة هو الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السباع فاشتغاله بالسباع اشتغال بما لا ينيه فانه ليس من أهل اللهو فليهو ولا من أهل الذوق فينتم بذوق السباع ، فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو تضييع لزمانه . الثاني : هو الذي له ذوق السباع ولكن فيه بقميص المخطوط والاتفات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينسكب بعد انكساراً تؤمت غوايته فرجاً يبيع السباع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصدّه عن الاستكمال . الثالث : أن يكون قد انكسرت شهوته وأمنت غائلته واغتنحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم

بالله وأكله بالليل بل طوى الأربعين من غير أكل فدل على أن خلو للعدة من الطعام أصل كبير في الباب حتى احتاج موسى إلى ذلك مستمداً لمساكنة الله تعالى والصلوم الدينية في قلوب للتفتين إلى الله تعالى ضرب من المساكنة ومن اقتطع إلى الله أربعين يوماً غلصاً متاهلاً فيه بغضة للعدة يفتح الله عليه العلوم الدينية كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك غير أن تعيين الأربعين من القدة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أمر الله تعالى موسى عليه السلام بذلك والتجديد والتقيد بالأربعين لحكمة فيه ولا يطلع أحد على حقيقة ذلك إلا الأنبياء إذا عرفهم الحق ذلك أو من غصه الله تعالى بتعرف ذلك من غير

ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح باب الباع زل السموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كثر أعظم من نفع الباع . قال سهل رحمه الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح الباع مثل هذا ولأن قلبه بدملوث يحب الدنيا وحب المصعدة والثناء ولأن يسمع لأجل التلذذ والاستجابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه ويقطع عليه طريقه فالباع مزلة قسم يجب حفظ الصفاء عنه قال الجنيد : رأيت إياييس في النوم قلت له هل تنظر من أصحابنا شيء قال نعم في وقتين وقت الباع ووقت النظر فإن أدخل عليهم به قال بعض الشيوخ لورأيت أنا قلت له ما أحقك من سمعته إذ سمع ونظر إليه إذا نظر كيف تنظر به قال الجنيد صدقت . الأدب الثالث : أن يكون مصفيا إلى ما يقول القائل حاضر القلب قليل الالتفات إلى الجوانب متحرزا عن النظر إلى وجوه السامعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجود مشتتلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراعاة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره متحفظا عن حركة تشوش على أصحابه قلوبهم بل يكون ساكن للظاهر هادئ الأطراف متحفظا عن التحنن والثاؤب ويجلس مطرقا رأسه كجولس في فكر مستغرق قلبه متأسكا عن التصديق والرقي وسائر الحركات على وجه الصنع والتكلف والراءة ساكنا عن النطق في أثناء القول بكل ماعنه بد فان غلبه الوجود وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه ولا ينبغي أن يستدعيه حياء من أن يقال انقطع وجده على القرب ولأن يتواجد خوفا من أن يقال هو قاسى القلب عديم الصفاء والرفقة . حكى أن شابا كان يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزعم فقال له الجنيد يوما إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبنى فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شجرة منه قطرة ماء ولا يزعم فحكى أنه احتقن يوما لشدة ضبط نفسه ضيق شقة فاشتق قلبه وتلفت نفسه . وروى أن موسى عليه السلام قال لمسوق قلبك ولا تمزق فزق واحد منهم ثوبه أوقصه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل لمسوق قلبك ولا تمزق ثوبك قال أبو القاسم النصراباذي لأبي عمرو بن عبيد أنا أقول إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خيرا لهم من أن يثنابوا فقال أبو عمرو الرياء في الباع وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تفتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك . فان قلت الأفضل هو الذي لا يحركه الباع ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه ، فاعلم أن عدم الظهور ثارة يكون لشدة الوارد من الوجد فهو نقصان وثارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال وثارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الأحوال كلها فلا يتبين للباع مزيد تأثير وهو غاية السكال فان صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دائم فهو الرباط للحق وللإلزام لعين الشهود فهذا لاتغيره طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضى الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصار تطبيق ملازمة الوجد في كل الأحوال فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طارئا علينا حتى نأثر به فاذا قوة الوجد تحرك قوة العقل والتماثل تضبط الظاهر وقد يثلب أحدهما الآخر إما لشدة قوته وإما لشدة ما يقابله ويكون التقصان والكمال بحسب ذلك فلا تطلق أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتم وجدا من الساكن ما يضطربه بلرب ساكن أتم وجدا من المضطرب قد كان الجنيد يتحرك في الباع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقليل له في ذلك فقال - وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر من السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء - إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في السكوت

الأنبياء ويلوح في سر ذلك معنى والله أعلم وذلك أن الله تعالى لما أراد بشكون آدم من تراب قدر التخمير بهذا القدر من العدد كأورد خرطبة آدم يده أربعين صباحا فكان آدم لما كان مستسلحا لصجارة الدارين وأراد الله تعالى منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الجنة كونه من التراب تركيا يناسب عالم الحكمة والشهادة وهذه الدار الدنيا وما كانت عمارة الدنيا تأتي منه وهو غير مخلوق من أجزاء أرضية سفلية بحسب قانون الحكمة فمن التراب كونه وأربعين صباحا خر طيبته ليعبد بالتخمير أربعين صباحا بأربعين حجابا من الحضرة الإلهية كل حجاب هو معنى موقع فيه يصلح به لعمارة الدنيا ويتوق به عن الحضرة الإلهية

والجوارح متأدية في الظاهر ما كنه . وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة : صحبت سهل ابن عبد الله ستين سنة فأرايته تغير عنده . كان يسمه من الذكر أو القرآن فلما كان في آخر عمره قرأ رجلين يديه - فالיום لا يؤخضنكم فدية - الآية فرأيته قد ارتد وكاد يسقط فعاذ إلى حاله سأله عن ذلك فقال نعم يا جيب قد ضغنا وكذلك مع مرة قوله تعالى - لك يومئذ الحق لرحمن - فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه فقال قد ضغنت قبيله فان كان هذا من الضغ فاقوة الحال قال أن لا بر عليه وارد إلا هو يثبته بقوة حاله فلا يتغيره الواردات . وإن كانت قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجوده الوجد استواء الأحوال بملزمة الشهود كالحكم عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال حالي قبل الصلاة وبسبب واحدة لأنه كان مراعبا للقلب خاضر الذكر مع الله تعالى في كل حال فكان ذلك يكون قبل السبع وبسبب أنه لا يكون وجده دائما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر السبع في زيادته كما روى أن عماد الدينوري أشرف على جماعة فيهم قالوا فسكنوا قال ارجسوا إلى ما كنتم فيه فلو سمعت ملاهي الدنيا في أدنى ما شغل همي ولا شغى بضم ما بي . وقال الجليل رحمه الله تعالى لا يضرب قصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أتم من فضل الوجد فان قلت فثقل هذا لم يحضر السبع فاعلم أن من هؤلاء من ترك السبع في كبره وكان لا يحضر إلا نادرا لمساعدة أمع من الإخوان وإدخاله للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون أنه ليس السكاه بالوجد الظاهر فيعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وإن لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته طبعاهم وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم فيكونون معهم بأبدانهم تالين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون من غير جماع مع غير جنسهم بأسباب عارضة تقتضي الجلوس معهم وبضهم تقل عنه ترك السبع ويظن أنه كان سبب تركه استغناءه عن السبع بما ذكرناه وبضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السبع ولا كان من أهل اللهو فتركه لتلا يكون مشغولا بما لا يمينه وبضهم تركه لتقصد الإخوان . قيل لبضهم لم لا تسمع فقال بمن ومع من . الأدب الرابع : أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن رقص أو بناكي فهو مباح إذا لم يقصد به للرأفة لأن التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرقون (١) هذا لفظ عائشة رضي الله عنها في بعض الروايات وقد روى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم جعلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم فتشاحوا في تربيتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلي « أنت مني وأنا منك فاجعل علي ودك لجعفر أشبهت خلقي وخلق فاجعل وراءه جعل علي » وقال زيد أنت خونا ومولانا فجعل زيد وراءه جعل جعفر ثم قال عليه السلام هي لجعفر لأن خالها اخته والحالة والدة (٢) وفي رواية أنه قال لعائشة رضي الله عنها « أعين أن تنظري إلى زفن الحبشة » والزفن والحجل هو الرقص وذلك يكون لفرح أو شوق فحكمه حكم مهجة إن كان فرحه محمودا والرقص يزيد ويؤكد فهو محمود وإن كان مباحا فهو مباح وإن كان مذموما فهو مذموم نعم لا يلبق اعتياد ذلك بمناسب الأكابر وأهل القدوة لأنه (١) حدثت نظرت عائشة إلى رقص الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرقون تقدم في الباب قبله (٢) حديث اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة فقال لعلي أنت مني وأنا منك فجعل وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلق فاجعل وقال زيد أنت أخونا ومولانا فجعل الحديث أبو داود من حديث علي بن إسناد حسن وهو عند البخاري دون فجعل .

ومواطن القرب إذ لولم يتوق هذا الحجاب ما صرت الدنيا قاصلا للبعد عن مقام القرب فيه لصار عالم الحكمة وخلافة الله تعالى في الأرض فالتبتل لطاعة الله تعالى والاقبال عليه والانتزاع عن التوجه إلى أمر الماش بكل يوم يخرج عن حجاب هو معنى فيه مودع وعلى قدر زوال كل حجاب يتجذب ويتخذ منزلا في القرب من الحضرة الإلهية التي هي مجمع العلوم ومصدرها فإذا تمت الأربون زالت الحجب وانصبت إليه العلوم والمعارف انصبأ ثم العلوم والمعارف هي أعيان اقبلت أنوارا باتصال اكسير نور العظمة الإلهية بها فاقبلت أعيان حديث النفس علوما للحامية وتصدت أجرام حديث النفس لقبول أنوار العظمة فنولوا وجود

في ألا أكثر يكون غن لهو ولعب وماله صورة القلب والهو في عين الناس فينبغي أن يجتنبه القندي به
للإصفر في عين الناس فيترك الاقتداء به . وأما عزيق الشياح فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن
الاستيار ولا يمد أن يضل الوجد بحيث يعزق ثوبه وهو لا يدري لقلبة سكر الوجد عليه أو يدري
ولكن يكون كالمنظر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته صورة السكره . إذ يكون له
في الحركة أو التحريك متنفس فيضطر إليه اضطراب للرؤى إلى الأئين ولوكف الصبر عنه لمقدرة عليه
مع أنه ضل اختياري فليس كل ضل حصوله بالارادة بقدر الانسان على تركه فالتنفس ضل يحصل بالارادة
ولو كاف الانسان أن يسلك النفس ساعة لا يضطر من يابطه إلى أن يختار التنفس فكذلك الرقة
وتعزيق الشياح قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السرى حديث الوجد الحاد
الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجعه فيه واستبد أن يتسلى إلى هذا الحد فأصر
عليه ولم يرجع ومعناه أنه في بعض الأحوال قد يتسلى إلى هذا الحد في بعض الأعخاص . فان قلت فانتقل
في تعزيق الصوفية الشياح الجديدة بعد سكون الوجد والفرار من السماع فانهم يعزقونها قطعا صفارا
ويعزقونها على القوم ويسمونها الحرقه . فأعلم أن ذلك مباح إذا قطع قطعا مربة تصلح لترقيق الشياح
والتجارات فان السكراس يعزق حتى يخطأ منه القميص ولا يكون ذلك تشبعا لأنه تعزيق لفرس
وكذلك ترقيق الشياح لا يمكن إلا بالقطع الصفار وذلك مقصود والتفرقة على الجميع ليم ذلك الخير
مقصود مباح ولكل مالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ويصطبها لمائة مسكين ولكن ينبغي أن تكون
القطع بحيث يمكن أن ينتفع بها في الرقاق وإنما منعا في السماع التعزيق للفرد للثوب الذي يهلك بضمه
بحيث لا يبق متغاب فهو تشبيح محض لا يجوز بالاختيار . الأدب الخامس : موافقة القوم في القيام
إذا قام واحد منهم فيوجد صادق من غير رياء وتكلف . أوقام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له
الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من آداب الصحة وكذلك إن جرت عادة طائفة بتحية العامة على
موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقطت عنه ثوبه بالتعزيق فالموافقة في هذه
الأمر من حسن الصحبة والضرورة إذا خالفتهم وحشوا لكل قوم رسم ولا بد من مخالفة الناس بأخلاقهم (١)
كلورد في الخبر لاسيا إذا كانت أخلاقا فيها حسن الشرة والحماة وتطبيب القلب بالمساعدة وقول
القائل إن ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولا عن الصحابة رضى الله عنهم
وإنما المذخور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ولم يقل النبي عن شيء من هذا والقيام عند الدخول
للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة رضى الله عنهم لا يقومون لرؤس الله ﷺ في بعض
الأحوال (٢) كما رواه أنس رضى الله عنه ولكن إذا لم يثبت فيه شيء عام فلا يرى به بأس في البلاد التي جرت
العادة فيها باكرام الداخل بالقيام فإن المقصود منه الاحترام والاكرام وتطبيب القلب به وكذلك سائر
أنواع المساعدات إذا قصد بها تطبيب القلب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها بل الأحسن
المساعدة إلا فيما ورد فيه شيء لا يخلل التأويل ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستعمل
رقصه ولا يشوش عليهم أحوالهم إذا الرقص من غير إظهار التواجد مباح والتواجد هو الذي يلوح للجمع
منه أثر التكلف ومن يقوم عن صدق لانتساقه الطباع قلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب
محكم للصدق والتكلف . مثل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال سمعت قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا

(١) حديث مخالفة الناس بأخلاقهم الحاكم من حديث أبي ذر خاتوا الناس بأخلاقهم الحديث قال
صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث كانوا لا يقومون لرؤس الله صلى الله عليه وسلم في بعض
الأحوال كما رواه أنس تقدم في آداب الصحة .

النفس وحديثها
ما ظهرت العلوم الالهية
لأن حديث النفس
وعاء وجودي لقبول
الأنوار وما للقلب في
ذاته لقبول العلم شيء
وقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم وظهرت
ينابيع الحكمة من
قلبه على لسانه وأشار
إلى القلب باعتبار أن
القلب وجهه إلى النفس
باعتبار توجهه إلى عالم
الشهادة وله وجه إلى
الروح باعتبار توجهه
إلى عالم القلب فيستمد
القلب العلوم للكونة
في النفس ويخرجها
إلى اللسان الذي هو
زجانه فظهور العلوم
من القلب لأنها متأصلة
فيه فللقلب والروح
مراتب من قرب اللهم
سبحانه وتعالى فوق
رب الهام فليمد
بالنطق إلى الله تعالى
واعترال الناس يقطع
مسافات وجوده
ويستبسط من معدن
نفسه جواهر العلوم

أشكالا غير أعدد . فإن قلت لما بال الطباع تفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل وهو مخالف للدين فلا يراه زوج في الدين إلا وينكره . فاعلم أن الجد لا يزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى الحبشة يزفون للرسول وما أنكره لما كان في وقت لا تقى به وهو العبد ومن شخص لا تقى به وهم الحبشة نعم فرة الطباع عنه لأنه يرى غالباً يفرقنا باللهو واللغو واللغو واللغو ولكن للمعاصي من الزنوج والحبشة ومن أشبههم وهو مكروه لدى الناس لأنه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذي النسب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم لمن سأل فقيرا شيئا فأعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سأل ملكاً فأعطاه رغيفا أو رغيفين لكان ذلك منكراً عند الناس كافة ومكتوباً في تواريخ الأخبار من جملة مساويه وبغيره أقباه وأشياعه ومع هذا فلا يجوز أن يقال ما فعله حرام لأنه من حيث إنه أعطى خبزاً للفقير حسن ومن حيث إنه بالإضافة إلى منصبه كالشعب بالإضافة إلى الفقير مستحب فكذلك الرقص وما يجري مجراه من اللباحات ومباحات الدوام سيئات الأبرار وحسنات الأبرار سيئات القرين ولكن هذا من حيث الالتفات إلى التائب وأما إذا نظر إليه في نفسه وجب الحكم بأنه هو في نفسه لا يحرم فيه والله أعلم فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السباع قد يكون حراماً محضاً وقد يكون مباحاً وقد يكون مكروهاً وقد يكون مستحباً أما الحرام فهو لا كثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السباع منهم إلا ما هو القالب على قلوبهم من الصفات القسومة وأما المكروه فهو لمن ينزله على صورة الخلقين ولكنه يتخذ عادة له في أكثر الأوقات على سبيل القهوه وأما المباح فهو لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن وأما المستحب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السباع منه إلا الصفات الحمودة والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله .

(كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

وهو الكتاب التاسع من ربيع العادات الثاني من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تفتح الكتب إلا بحمده . ولا تستمتع النعم إلا بواسطة كرمه ورفده . والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبده . وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده . [أما بعد] فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين . وهو الله الذي بعث الله في النبيين أجمعين . ولو طوى بساطه وأعمل عمله وعمله تمطلت النبوة واضمحلت الديانة ونمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجاهلّة واستقرى الفساد واتسع الحرق وخربت البلاد . وهلك العباد . ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد . وقد كان الذي خفنا أن يكون . فإنا لله وإنا إليه راجعون . إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه . واتمحق بالكلية حقيقته ورحمه . فاستولت على القلوب مدهاة الخلق وانجحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم . وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم . فمن سمى في تلاق هذه الفترة وسد هذه الثغرة بما متكفلاً بهما أو مثلهما لتقبلها مجدداً لهذه السدة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتمشراً في إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بأحياء سنة أفضى الزمان إلى إيمانها . ومستبدداً بقرية تضائل درجات القرب دون ذروتها . وهانحن نعرض عنه في أربعة أبواب . الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته . الباب الثاني : في أركانه وشروطه . الباب الثالث : في مجاريه وبيان

وقد ورد في الخبر
والناس معادن كعادن
الذهب والفضة خيارهم
في الجاهلية خيارهم في
الاسلام إذا قهوا
ففي كل يوم اخلاصه
في العمل لله يكشف
طبقة من الطباق
التراية الجلية للعبدة
عن الله تعالى إلى أن
يكشف باستكمال
الأربعين أربعين طبقة
في كل يوم طبقة من
أطباق حجاب آية
حمة هذا البعد علامة
تأمره بالأربعين ووفاته
بشروط الاخلاص أن
يزهد بعد الأربعين في
الدنيا ويتجافى عن
دار القور وينيب إلى
دار الخلود لأن الزهد
في الدنيا من ضرورة
ظهور الحكمة ومن
لم يزهد في الدنيا
ما ظفر بالحكمة ومن
لم ينظر بالحكمة بعد
الأربعين تبين أنه قد
أخل بالتسروط ولم
يخلص لله تعالى ومن
لم يخلص لله ما عبد

(كتاب الأمر بالمعروف)

الشكرات المألوفة في العادات . الباب الرابع : في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

(الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وفضيلته وللزمة في إيماله وإضافته)

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه الآيات والأخبار والآثار . أما الآيات :
 قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم
 المفلحون - ففي الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى ولتكن أمة وظاهر الأمر الإيجاب وفيها بيان أن
 الفلاح منوط به إذ حصر وقال وأولئك هم المفلحون وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا
 قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين إذ لم يقل كونوا كلكم آمريين بالمعروف بل قال ولتكن منكم
 أمة فإذا مها قام به واحد أو جماعة سقط المخرج عن الآخرين واختص الفلاح بالتأخيرين به المباشرين
 وإن تعاقد عنه الخلق أجمعون هم المخرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى - ليسوا سوا من أهل
 الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
 بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين - فلم يهدم الصالح بمجرد
 الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أمثال إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تعالى - وللؤمنين
 وللؤمات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة - قد نصت
 للؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 خارج عن هؤلاء المؤمنين للثنتين في هذه الآية - وقال تعالى - لمن الذين كفروا من بني إسرائيل على
 لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
 لبئس ما كانوا يفعلون - وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال
 وجل - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر سوهذا يدل على فضيلة الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى - فلما نسا
 ما ذكرنا به أجمعين الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعباد بئس بما كانوا يفعلون - فبين
 أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب أيضا . وقال تعالى - الذين إن مكناهم
 في الأرض آثموا الصلاة وآثروا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - فقرن ذلك بالصلاة
 والزكوة في نصت الصالحين والؤمنين وقال تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم
 والعدوان سوهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب
 الامكان وقال تعالى - لولا ينهم الرابانيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا
 يصنعون - فبين أنهم أمموا بترك النهي وقال تعالى - فلولا كان من القرون من قبلك أولوا بقية ينهون
 عن الفساد في الأرض - الآية فبين أنه أهلك جميعهم بالإقتل لأنهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى
 - يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء فهو لو على أعقابكم أو الودين والأقربين - وذلك هو
 الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين وقال تعالى - لا خير في كثير من مجوام إلا من أمر بصدقة أو معروف
 أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما - وقال تعالى
 - وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما - الآية والإصلاح نهى عن البغي وإعادة إلى الطاعة
 فان لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال - قاتلوا التي تجفئ حتى تنفي إلى أمر الله وذلك هو النهي عن
 المنكر . وأما الأخبار : فمنها ما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها :

(الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف)

الله لأن الله تعالى
 أمرنا بالإخلاص كما
 أمرنا بالعمل فقال
 تعالى - وما أمروا إلا
 ليعبدوا الله مخلصين له
 الدين - أخبرنا الشيخ
 طاهر بن أبي الفضل
 بإجازة قال أنا أبو بكر
 أحمد بن خلف بإجازة
 قال أنا أبو عبد الرحمن
 السلمي قال أنا
 أبو منصور الضبي قال
 ثنا محمد بن أنس
 قال ثنا حفص بن
 عبد الله قال ثنا إبراهيم
 ابن طهمان عن عاصم
 عن زر عن صفوان
 ابن عسال رضي الله
 عنه عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال - إذا
 كان يوم القيامة جُمي
 الإخلاص والشرك
 مجنون بين يدي الرب
 عز وجل ، فيقول
 الرب للإخلاص انطلق
 أنت وأهلك إلى الجنة
 ويقول للشرك انطلق
 أنت وأهلك إلى النار
 وبهذا الاستناد قال
 السلمي صححت على بن

أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم (١) لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من قوم عملوا بالمعاصي وفهم من يقدر أن يشكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعصم الله بعذاب من عنده » وروى عن أبي ثعلبة الخشني « أن سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا اهتديتم (٢) - قال يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن النكر فإذا رأيت شعرا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن بنفسك ودع عنك العوام إن من وراءكم فتنا كقطع الليل للظلم للتمسك فيها بمثل الذي أتم عليه أجر خسين منكم قبل بل منهم يارسل الله قال لا يل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا » وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال إن هذا ليس زمانها إنما اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف تفصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فينفذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس ائمنوا بالله وتؤمنوا بالمعروف وتنبهوا عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم يدعوهم إلى الاستنجاب لهم (٣) » معناه تقطع مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم - وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس إن الله يقول لتأمنن بالمعروف وتنبهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجى ، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجى (٥) » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « إن الله تعالى ليسأل العبد ما منكم إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجة قال رب وثقت بك وقررت من الناس (٦) » وقال ﷺ « إياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بذلك إنما هي مجالسنا تحدث فيها قال فإذا أبيتهم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقا قالوا وما حق الطريق قال غش البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا أمرا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكر الله تعالى (٨) »

(١) حديث أبي بكر أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم - الحديث أصحاب السنن وتقدم في الدرة (٢) حديث أبي ثعلبة أن سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه (٣) حديث لتأمنن بالمعروف وتنبهوا عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم يدعوهم إلى الاستنجاب لهم الزوار من حديث حمز بن الحظاف والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف والترمذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعوه فلا يستجيب لكم قال هذا حديث حسن (٤) حديث يا أيها الناس إن الله سبحانه يقول لتأمنن بالمعروف وتنبهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم أحمد والبيهقي من حديث عائشة تلقظ مروا وأنهم وهو عند ابن ماجه دون عزوه إلى كلام الله تعالى وفي إسناده لين (٥) حديث ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجى - ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس مقتصرا على الشطر الأول من حديث جابر بسند ضعيف وأما الشطر الأخير فرواه على ابن معبد في كتاب الطاعة والعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلا أو معضلا ولا أدري من يحيى ابن عطاء (٦) حديث إن الله تعالى ليسأل العبد ما منكم إذ رأيت المنكر أن تنكره الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٧) حديث إياكم والجلوس على الطرقات الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد (٨) حديث كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا أمرا بمعروف الحديث تقدم في العلم .

سعيد وسأله عن الاخلاص ما هو قال سمعت إبراهيم الشفيق وسأله عن الاخلاص ما هو قال سمعت محمد ابن جعفر الحصاف وسأله عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد ابن يشار عن الاخلاص ما هو قال سألت أبا يعقوب الشروطى عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن محمد بن عثمان عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن محمد بن الحسين عن الاخلاص ما هو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ما هو قال سألت الحسن بن علي المجيب عن الاخلاص ما هو قال سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ما هو قال سألت رب العزة عن الاخلاص

ومن غاب عنها فأحبها فكانه حضرها (١) » ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة أو يفتق جريان ذلك بين يديه فأما الحضور فممنوع بدليل الحديث الأول . وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى » فحكى النبي بين أظهرهم ما شاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حق إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيه فإذا اقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون ردوس للناير يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فإذا رأيت ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم يده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلمه وليس وراء ذلك إسلام (٢) » وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان أهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم أربعة قريشكيون ما يعملون فقام أحدهم فقال إنكم تعملون كذا وكذا فجعل ينههم ويخبرهم بشيخ يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يعرفون عن أمثالهم فيهم فسبوه وقاتلهم فطلبوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم فطلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر قهرا فلم يطيعوه فبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم لطلبوني ثم ذهب ثم قام الثالث قهرا فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لطلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم إني لو نهيتهم لصوبوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لطلبوني ثم ذهب رضي الله عنه كان الرابع أدناهم منزلة وقبله فيكم مثله ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما « قيل يا رسول الله أهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم قيل من يارسل الله قال بها ونهم وسكوتهم على معاصي الله تعالى (٣) » وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا لم يصك طرفه عين قال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يشمر في ساعة قط (٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يرضون الله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر (٥) » وعن عروة عن أبيه قال : قال موسى صلى الله عليه وسلم : يارب أي عبادك أحب إليك قال الذي يتسرع إلى هواي كما يتسرع النسر إلى هواه والذي يكلف بعباد الصالحين كما يكلف الصبي بالهدى والذي يغضب إذا أتيت محارمي كما يغضب النمر لنفسه فان النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قتل الناس أم كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال أبو ذر الضفاري

(١) حديث أبي هريرة من حضر مصيبة فكرها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكانه حضرها رواه ابن عدى وفيه يحيى بن أبي سليمان قال البخاري منكر الحديث (٢) حديث ابن مسعود ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى الحديث روى مسلم نحوه (٣) حديث ابن عباس قيل يا رسول الله أهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل من يارسل الله قال بها ونهم وسكوتهم عن معاصي الله الزار والطبراني بسند ضعيف (٤) حديث جابر أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وضعفه وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار (٥) حديث عائشة عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء لم أقف عليه مرفوعا وروى ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر الصنعاني أوحى الله إلى يوشع بن نون إلى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخبار قال إنهم لم يرضوا لنصيحتنا فكانوا يؤاكلونهم ويشربونهم

وتجذب النفس إلى ذلك وهذا أتم وأكمل وأدل على كمال الاعتماد . وقدرى من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك فما حدثنا شيخنا منيأ الدين أبو النجيب أملاء قال أخبرنا الحافظ أبو القاسم اسمعيل ابن أحمد القرطبي قال أنا جعفر بن الحسكاه للكنى قال أنا أبو عبد الله الصنعاني قال أنا أبو عبد الله البغوي قال أنا إسحق الله يرى قال أنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت « أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه « يا رسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا بكر إن الله تعالى مجاهد في الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يعيشون على الأرض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزيت أهلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ومن هم ؟ قال الأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر والمحبون في الله والبخسون في الله ثم قال والذي نفسي بيده إن البعد منهم ليكون في القرفة فوق القرفات فوق غرف الشهداء لقرفة منها ثلثائة ألف باب من الباقوت والرمذ الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوج بثلاثائة ألف حوراء فاصرات الطرف مع كما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها فتولاه أن ذكر يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر كما نظر إلى واحدة منهن ذكرت له مقاماً أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر ^(١) » وقال أبو حنيفة بن الجراح رضي الله عنه قلت « يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهى عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش ^(٢) » وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل شهداء أمي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهى عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر ^(٣) » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بشي القوم قوم لا يأمرهم بالقسط وبشي القوم قوم لا يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ^(٤) » . أما الآثار : فقد قال أبو الهرداء رضي الله عنه : تأمرن بالمعروف وتنهين عن المنكر أو يسلطن الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستصرون فلا تتصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم . وسئل حذيفة رضي الله عنه عن ميت الأحياء قال الذي لا ينكر للمنكر يده ولا يلمسه ولا يقبله . وقال مالك بن دينار كان جبر من أجابر بن إسرائيل يشي الرجال والنساء منزله يظلمهم ويذكرهم بأنهم الله عز وجل فرأى بسن فيه يوماً وقد غمز بسن النساء فقال مبعلاً يا بني مهلاً وسقط من سريره فاشطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه أن أخبر فلانا الخبر آني لا أخرج من مبلبك صدقاً أبداً أما كان من غضبك لي إلا أن قتلته مبعلاً يا بني مهلاً قال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم

(١) حديث أبي ذر قال أبو بكر يا رسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين قال نعم يا أبا بكر إن الله تعالى مجاهد في الأرض أفضل من الشهداء فذكر الحديث وفيه فقال هم الأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر الحديث بطوله لم أقفله على أصل وهو منكر (٢) حديث أبي عبيدة قتل يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهى عن المنكر فقتله الحديث البزار مقتصراً على هذا دون قوله فان لم يقتله إلى آخره وهذه الزيادة متكررة وفيه أبو الحسن غير مشهور لا يعرف (٣) حديث الحسن البصري مرسل أفضل شهداء أمي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهى عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر لم أره من حديث الحسن وللحاكم في المستدرک وصحح إسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهى فقتله (٤) حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا أيها الناس إن من قوم لا يأمرهم بالمعروف ولا ينهون عن المنكر رواء أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بن عبد الله وأما حديث عمر فأشار إليه أبو منصور الدبلي بقوله وفي الباب ورواه على ابن معبد في كتاب الطاعة وللصبيحة من حديث الحسن مرسل .

بأني حراء فينحت في الليالي ذوات العدد وينزود فذلك ثم يرجع إلى خديجة فيزود ثلثها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ قال اقرأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بقارى فأخذني فغطى حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارى فأخذني فغطى الثانية حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارى فأخذني فغطى الثالثة حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بجوارحه حتى دخل على خديجة فقال زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة مالي وأخبرها الخبر فقال

وبيناهم وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إن هلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال يارب هؤلاء الأشرار فما بالأخيار قال إنهم لم يرضوا لنصي وواكلهم وشاربهم وقال بلال بن سعد : إن العصية إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت ولم تغير أضررت بالعامّة ، وقال كعب الأجلاني لأبي مسلم الحولاني كيف منزلتك من قومك ؟ قال حسنة . ذل كعب إن التوراة تقول غير ذلك . قال وما تقول ؟ قال تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب أبو مسلم ، وكان عباده بن عمر رضى الله عنهما يأتي العمال ثم قعد عنهم قبيلة لوائيتهم فلمهم يمدون في أنفسهم قال أرباب إن تكلمت أن يروا أن الذي في غير الذي في وإن سكنت رهبت أن آثم وهذا يدل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن يعد عن ذلك الوضع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشبه منه ، وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه أول ما تنقلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بالسيف ثم الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم يشكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتطلق به عند فساد الأمور وتسكرها وتشوش الزمان فهو بمن قد قام له في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه قدام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه قد جاء بملأه الغاية في حقّه ، وقيل للفضيل الأتامي ونهى ؟ فقال إن فوما أمروا ونهوا فسكروا وذلك أنهم لم يصبوا على ما أصبوا ، وقيل للثوري الأتامي بالمعروف ونهى عن المنكر قال إذا انشبق البحر فمن يقدر أن يسكركه فقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وأن فرضه لا يسقط مع القدرة لإتيان قائم به فلذلك الآن شروطه وشروط وجوبه .

(الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

اعلم أن الأركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة أركان المحاسب والمحاسب عليه والمحاسب فيه ونفس الاحتساب فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط .

(الركن الأول المحاسب)

وله شروط وهو أن يكون مكلفاً مسلماً قادراً فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين ويدخل فيه الفاسق والرتيق والراة ، فلذلك كروجه اشتراط ما اشتراطناه ووجه اطراح ما اطرحناه . أما الشرط الأول : وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فإن غير المكلف لا يلزمه أمر وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعي إلا العقل حتى إن الصبي الزاهق للبلوغ للميز وإن لم يكن مكلفاً فإنه إنكار المنكر وله أن يريق الحجر ويكسر اللهاى وإذا فعل ذلك نال به ثواباً ولم يكن لأحد منه من حيث إنه ليس بمكلف فإن هذه قرينة وهو من أهلها كالصلاة والإمامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك اقتبناه للبعد وآحاد الرعية نعم في التمتع بالفعل وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل الشرك وإبطال أسبابه وسلب أسلحته فإن للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يضره به فالتع من الفسق كالمتع من الكفر . وأما الشرط الثاني : وهو الإيمان فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدوه له . وأما الشرط الثالث : وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق أن يحاسب ، وربما استدلوا فيه بالسكيد الوارد على من يأمر بما لا يغلط مثل قوله تعالى - أناأمرون الناس بالبر ونهونون أنفسهم -

(الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

قد خشيت على عتلي
فأنت كلاً أجزفوا لله
ما غزيتك الله أبداً
إنك تفضل الرحم
وتصدق الحديث
وتعمل الكل وتكسب
للمعروف وتقرى الضيف
وتعين على نوائب الحق
ثم انطلقت به خديجة
رضي الله عنها حتى أتت
به ورقة بن نوفل
وكان امرأاً تنصر في
الجاهلية وكان يكتب
الكتاب العبراني
فيكتب من الإنجيل
بالعبرانية ماشاء الله أن
يكتب وكان شيخا
كثيراً قد عمى فقالت
له خديجة يا عمّ اسمع
من ابن أخيك فقال
ورقة يا ابن أخي ماذا
ترى فأخبره الخبر
رضول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم
هذا هو الناموس
الذي أزل على موسى
يا ليتني فيها جذعاً ليتني
أكون حيالاً فيخرجك
قومك فقال رسول الله

وقوله تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا نفعلون - وبما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «مرت ليلة أسرى بي يقوم تغرض شفاهم بمقاريض من نار قفلت من أتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأته ونهت عن الشر» ونأته (١) «وبما روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى صلى الله عليه وسلم عظم نفسك فإن انعطفت ففط الناس وإلا فاستحي مني، وربما استدلوأ من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاعتناء وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس صالح في نفسه فكيف يصلح غيره ومضى يستقيم الظل والعود أوعج وكل ما ذكره خيالات وإنما الحق أن الفاسق أن يختب وبهانه هو أن يقول هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كما هان شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلا عن دونهم والأنبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن العزيز دال على نسبة آدم عليه السلام إلى العصية وكذا جماعة من الأنبياء، ولهذا قال سعيد بن جبير: إن لم يأمر بالمعروف ولمنه عن النكسر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء فالحجب مالمالك ذلك من سعيد ابن جبير وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصفات حتى يجوز للابن الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول: وهل لشارب الخمر أن يفرضوا الكفار ويحتسب عليهم بالنعم من الكفر فإن قالوا لا، خرقوا الاجماع إذ جنود المسلمين لم تنزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الأيتام ولم يعنوا من الغزو لاقى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده فإن قالوا نعم فنقول: شارب الخمر هل له للنع من القتل أم لا فإن قالوا لا قلنا لما الفرق بينه وبين لابس الحرير إذ جازله للنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشرب كالشرب بالنسبة إلى لابس الحرير فلا فرق، وإن قالوا نعم وفصلوا الأمر فيه بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه وإنما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع الزاني من الشرب بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلمانا وخدمه من الشرب ويقول يجب على الانتهاء والتهى فمن أين يلزم من العصيان بأحدهما أن أعصى الله تعالى بالثاني وإذا كان التهى واجبا على فمن أين يسقط وتوبه باقداى إذ يستعمل أن يقال يجب التهى عن شرب الخمر عليه مالم يشرب فإذا شرب سقط عنه التهى. فان قيل فيلزم على هذا أن يقول القاتل الواجب على الوضوء والصلاة فأنا أتوضأ وإن لم أصل وأنسحر وإن لم أصم لأن المستحب على السحور والصوم جميعا ولكن يقال أحدهما مرتب على الآخر فكذلك تقويم الغير مرتب على توبه نفسه قليدا بنفسه ثم بمن يقول. والجواب أن التسحر براد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما براد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير وإصلاح القبر لا يبراد لإصلاح النفس ولا إصلاح النفس لإصلاح القبر فالقول برتبه أحدهما على الآخر تحكم، وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤذيا أمر الوضوء وكان عقابا أقل من عقاب من ترك الصلاة والوضوء جميعا فليكن من ترك التهى والانشاء أكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يبراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة. وأما الحسبة فليست شرطا في الانتهاء والانتهاز فلا مشابهة بينهما. فان قيل فيلزم على هذا أن يقال إذا زنى الرجل بإمرأة وهى مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل يختب في أثناء الزنا ويقول أنت مكرهة في الزنا وعذارة في كشف الوجه لغير محرم وهما أنا غير محرم لك فاسترى وجهك فهذا احتساب شنيع يستكره قلب كل عاقل ويستنهمه كل طبع سليم. فالجواب أن الحق قد يكون شديدا وأن الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والتبع (١) حديث مرت ليلة أسرى بي يقوم تغرض شفاهم بمقاريض من نار الحديث تقدم في العلم.

صلى الله عليه وسلم
أو يخرجى ثم قال ورقة
نعم إنه لم يأت أحد قط
بما جئت به إلا عودى
وأودى وإن يدركنى
يومك أفسرك نصرا
مؤزرا وحدث جابر
ابن عبد الله رضى الله
عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وهو يحدث عن فترة
الوحي فقال في حديثه
«فبينما أنا أمشي سمعت
سوتا من السماء فرضت
رأسى فإذا تلك التى
جاءنى بحراء جالس
على كرسى بين السماء
والأرض فجئت منه
ربعا فرجعت قفلت
زملونى زملونى
فدثرونى فأنزله الله
تعالى - يا أيها المدثر
فأنذر - إلى جواررجز
فاهجر - وقد قبل أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذهب مرارا
كى يردى نفسه من
شواهاق الجبال فكلمها
واخذوه جيل لسكى
يلقى نفسه منه تجدى له

الدليل دون غرة الأهام والحالات فاقول قوله في تلك الحالة لا تكتفي وجهك واجب أو مباح أو حرام فان علم إنعواجب فهو والنظر لأن الكشف مصيبة والهي عن المصيبة حق وإن قلتم إنه مباح فإذا لم أن يقول ما هو مباح فامتنع قولكم ليس للفاسق الحسبة وإن قلتم إنه حرام فقول كان هذا واجبا فمن أين حرم بأقدامه على الزنا ومن التبريد أن يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر وأما غرة الطباع عنه واستنكارها له فهو ليسين : أحدهما أنه ترك الأثم واعتزل بما هو مهم وكأن الطباع تنفر عن ترك اللهم إلى ما لا ينبغي فتفر عن ترك الأثم والاعتزال بالمهم كما تنفر عن يتخرج عن تناول طعام منصوب وهو موافق على الربا وكما تنفر عن يتعاون عن التوبة ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور الحش وأعد من التوبة التي هي إخبار عن كائن يصدق فيه الخبر وهذا الاستعداد في النفوس لا يدل على أن ترك التوبة ليس بواجب وأنه لو اغتاب أو أكل لقمن من حرام لم تزد بذلك عقوبته فكذلك ضرره في الآخرة من مصيبته أكثر من ضرره من مصيبة غيره فاشتغاله عن الأقل بالأكثر مستنكر في الطبع من حيث إنه ترك الأكثر لأن حيث يتعلق بالأقل فمن غضب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك القرس تركه لطلب القرس بطلب اللجام فاشتغل بالانكار عليه وتركه الأثم بما دونه فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على أن حسبته من حيث إنها حسبة مستنكرة . الثاني أن الحسبة تارة تكون بالهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يطيع أولا ونحن قول من علم أن قوله لا يطيع في الحسبة لعل الناس يفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ إذا لا فائدة في وعظه فالفاسق يؤثر في إسقاط فائدة كلامه ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فاما إذا كانت الحسبة بالنوع فالمراد منها القهر وعلم القهر أن يكون بالقهر والحسبة جميعا وإذا كان فاسقا فإن قهره بالقهر قد قهر بالحسبة إذ يتوجه عليه أن يقال له فانت لم تقدم عليه فتفر الطباع عن قهره بالقهر مع كونه مقهورا بالحسبة وذلك لإخراج الفعل عن كونه حقا كما أن من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن السلم عن كونه حقا فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يبرف فسقه لأنه لا يطيع وإذا لم يكن عليه ذلك وعلم أنه يفضي إلى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فقول ليس له ذلك أيضا فارجع الكلام إلى أن أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفاسق وصارت العدالة مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في إراقة الخمر وكسر اللامه وغيرها إذا قدر وهذا غاية الانصاف والكشف في السئلة وأما الآيات التي استدلوا بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لامن حيث أمرهم ولكن أمرهم دل على قوة عليهم وعقاب العالم أهمل لأنه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى : لم تقولون مالا تعملون - البراء به الوعد الكاذب وقوله من وجل - وتؤمنون أضحك - إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم لامن حيث إنهم أمروا وغرهم ولكن ذكر أمر القبر استدلالا به على علمهم وتأكيذا للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عطف تشكك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدي عند من يبرف فسقه ثم قوله فاستحي من لا يدل على تحريم وعظ الصغير بل معناه استحي من فلا ترك الأثم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك ولا فاستحي . فان قيل فليجز للكافر الذي أن يحسب على السلم إذا رآه بزي لأن قوله لا تزن حق في نفسه فمحال أن يكون حراما عليه بل ينبغي أن يكون مباحا

جبرائيل عليه السلام فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشوا وإذا طالت عليه فترة الوحي عاد لك ذلك فيبتدى له جبريل فيقول له مثل ذلك فهذه الأخبار للنبوة عن يده أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الأصل في إثبات الشايع الحلو للمريدين والطلابين فانهم إذا أخلصوا لله تعالى في خلواتهم يفتح الله عليهم ما يؤنسهم في خلواتهم تعويضا من الله أيام عما تركوا لأجله ثم خلوة القوم مستمرة وإنما الأربصون واستنكارها له أثر ظاهر في ظهور مبادئ بشائر الحق سبحانه وتعالى وسنوح مواهبه السنية .

[الباب السابع]
واتشرون في ذكر فروع الأربعينية [وقد غلط في طريق الحلو والأربعينية

أو واجبا . قلنا الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تساط عليه فيمنع من حيث إنه تساط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين ميلا . وأما مجرد قوله لاتزن فليس بمحرم عليه من حيث إنه نهى عن الزنا ولكن من حيث إنه إظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه إذلال للمحتكم عليه والفاسق يستحق الإذلال ولكن لا من الكافر الذي هو أولى بالإذلال منه فهذا وجه مناضا إليه من الحسبة وإلا قلنا قول إن الكافر يقابب بسبب قوله لاتزن من حيث إنه نهى بل نقول إنه إذا لم يقبل لاتزن يقابب عليه لإن رأينا خطاب الكافر بروع الدين وفيه نظر استوفياء في التفقيها ولا يليق برفضنا الآن . الشرط الرابع : كونه مأذونا من جهة الإمام والوالي قد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للأحاد من الرعية الحسبة وهذا الاعتراض فاسد فإن الآيات والأخبار التي أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى إذ يجب نهي أبنا رآه وكيفما رآه على العموم فالخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لأصله والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام للصوم وهو الإمام الحق عندهم وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا بل جواهم أن يقال لهم إذا جاءوا إلى القضاء طالبين حقوقهم في دعائهم وأمواهم إن نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهى عن الشكر وطلبكم لحكمكم من جهة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق بعد لم يخرج . فان قيل في الأمر بالمعروف إثبات ساطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي أن لا يثبت لأحاد الرعية إلا بتفويض من الولي وصاحب الأمر . فتقول أما الكافر فمنع لما فيه من السلطة وعز الاحتكام والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم وأما أحوال المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والعرفه وما فيه من عز السلطة والاحتكام لا يجوز إلى تفويض كسر التسليم والتعريف إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدم على الشكر بجهله لا يحتاج إلى إذن والي وفيه عز الإرشاد وعلى العرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك التبي . وشرح القول في هذا أن الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتي أولها التعريف . والثاني الوعظ بالكلام اللطيف . والثالث السب والتعنيف ولست أعني بالسب الفحش بل أن يقول بجاهل بالحق أو بالأخاف الله وما يجري هذا المجرى . والرابع التبع بالهجر بطريق البشارة ككسر اللامى وإراقة الحمر واختطاف الثوب الحرير من لابه واستلاب الثوب المنسوب منه ورده على صاحبه . والخامس التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له حتى يمنع عما هو عليه كالوافظ على الغيبة والتعذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يعمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يجوز إلى استماعة وجمع أعوان من الجانبين ويجز ذلك إلى قتال وسائر الراتب لا يخفى وجه استغنائه عن إذن الإمام إلا الرتبة الخامسة فان فيها نظرا سيأتي أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام . وأما التجهيل والتعصيف والنسبة إلى التسق وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر (١) كالرد في الحديث فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه وكذلك كسر اللامى وإراقة الحمر فإنه تعالى ما يعرف كونه حقا من غير اجتهد فلم يغتفر إلى الإمام وأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد يجز إلى فتنة عامة ففيه نظر سيأتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاية

قوم وحرفوا الكرم
عن مواضع ودخل
عليهم الشيطان
وتخ عندهم بابا
من المرور ودخلوا
الحلوة على غير أصل
مستقيم من تأدية حق
الحلوة بالاحلاس
وصموا أن الشايخ
والصوفية كانت لهم
خلوات وظهرت لهم
وقائع وكوشفوا بخراب
وعجائب قد خلوا الحلوة
لطلب ذلك وهذا عين
الاعتلال وحسن
الضلال وإنما القوم
اختاروا الحلوة
والوحدت لسلامة الدين
وتفقد أحوال النفس
وإخلاص العمل لله
تعالى . قل عن أنى
عمرو الأنعامى أنه قال
لن يصفو قاعا لهم
الأخير إلا بإحكامه
ما يجب عليه من
إصلاح الحال الأول
والنواظن التي ينبغي أن
يعرف منها أمزاد هو
أم متفص فله أن
يطلب مواضع الحلوة

(١) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث
أبي سعيد الخدرى .

قامع باجماعهم على الاستثناء عن التفويض بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالي راضياً به فذلك وإن كان ساعطاً له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج إلى إذنه في الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الأئمة كما روى أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل إنما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان اترك ذلك يا فلان فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما علي قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكراً فلينتهزه يده فإن لم يستطع فليسنه فإن لم يستطع فليقله وذلك أضعف الإيمان » (١) فقد كانوا فهموا من هذه المصومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج إلى إذنتهم وروى أن الهدي لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله فلما أخذ في الطواف فمى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فليبه بردائه ثم هزم وقال له انظر ما صنع من جعلك بهذا البيت أحق بمن أتاه من البعد حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه وقد قال الله تعالى - سواء الماكف فيه والباد - من جعل لك هذا فظفر في وجهه وكان يعرفه لأنهم مواليهم فقال عبد الله بن مرزوق قال نعم فأخذ نصيبه به إلى بغداد ففكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة فجعله في سبيل الدواب ليسوس الدواب وضموأ إليه فرسا عضوضاً سيء الحلق ليقره القرم فلين الله تعالى له القرم قال ثم صبروه إلى بيت وأغلق عليه وأخذ للهدى للفتاح عنده فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل فأودن به للهدى فقال له من أخرجك فقال الذي حبسني فضع للهدى وصاح وقال ما غاف أن أقتلك فرفع عبد الله إليه رأسه يضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة أوموتاً فما زال محبوساً حتى مات للهدى ثم خلوا عنه فرجع إلى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذراً إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان يسل في ذلك حتى نحرها . وروى عن جابر بن عبد الله قال نحره هرون الرشيد بالدون ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر فقال له هرون قد كانت لك جارية تنفي تحسن فيشأ بها قال فجاءت فننت فلم يحمده غناه قال لما ماها أنك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئنا بمودها قال فجاء بالمود فوافق شيخاً يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الحادم فحضر به الأرض فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبه أمير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس يفتاد أبعد من هذا فكيف يكون طلبه أمير المؤمنين فقال له أسمع ما أقول لك ثم دخل على هرون فقال إني مررت على شيخ يلقط النوى فقات له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فأخذه فحضر به الأرض فأكسره فاستشاط هرون وغضب واهمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر ما هذا التضب يا أمير المؤمنين ابش إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرم به في الدجلة فقال لا ولكن نبش إليه ونناظره أولاً فجاء الرسول فقال أجب أمير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر فقبل له هرون قد جاء الشيخ فقال للندماء أي شيء ترون نرفع ماقدامنا من الشكر حتى يدخل هذا الشيخ أو تقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له قوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلمع قداموا إلى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفيه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم أخرج هذا من مكانك وادخل على أمير المؤمنين فقال من هذا عشائي الليلة قال نحن نمشك قال لا حاجة لي في عشائكم فقال هرون للخادم أي شيء تريد منه قال في كه نوى قلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين

(١) حديث إن مروان خطب قبل الصلاة في العيد الحديث وفيه حديث أبي سعيد مرفوعاً من رأى منكراً الحديث رواه مسلم .

لكن لا يراهم شاغل
فيستدعيه ما يريد .
أبناً طاهر بن أبي
الفضل إجازة عن أبي
بكر بن خلف إجازة قال
أبناً أبو عبد الرحمن
قال سمعت أبا عبد الرحمن
يقول من اختار الحلو
على الصعبة فينبى أن
يكون خالياً من جميع
الأفكار إلا ذكر ربه
عز وجل وخالياً من
جميع الرادات إلا مراد
ربه وخالياً من مطالب
النفس من جميع
الأسباب فإن لم يكن
بهذه الصفة فإن خلوته
توقه في فتنة أو بلية .
أخبرنا أبو زرعة إجازة
قال أنا أبو بكر إجازة
قال أنا أبو عبد الرحمن
قال سمعت منصوراً
يقول سمعت محمد بن
حامد يقول جاء رجل
إلى زيارة أبي بكر
الوراق وقال له أوصني
فقال وجدته خير الدنيا
والآخرة في الحلو والقة
ووجدته شرها في
الكثرة والاختلاط

قال دعه لا يطرحه قال فدخل وسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال وأنى شئ صنعت وجعل هرون يستحي أن يقول كبرت عودي فلما أكثر عليه قال إني سمعت أباك وأجدادك يقرءون هذه الآية على النهر - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وأنا رأيت منكم ما فعلتم فقال فغيره فوالله ما قال إلا هذا فلما خرج أعطى الخليفة رجلا بمدة وقال اتبع الشيخ فإن رأيته يقول قلت لأمر المؤمنين وقال لى فلا تطعه شيئاً وإن رأيته لا يكلم أحداً فاعطه البكرة ، فلما خرج من القصر إذا هو بنواة فى الأرض قد غاصت فجعل يحالها ولم يكلم أحداً فقال له بقولك أمير المؤمنين خلفه البكرة فقال قل لأمر المؤمنين ردها من حيث أخذها . ويرى أنه أنبل بعد فراغه من كلامه على النواة التى يعالج قلعها من الأرض وهو يقول :

أرى الدنيا لمن همى في يديه هموماً كلما كثرت لديه
تهين السكرين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغثت عن شئ فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه

وعن سفیان الثوري رحمه الله قال حج المهدي سنة ست وستين ومائة فرأيت برى حمرة العقبة والناس يخطبون بينا وشمالا بالسياط فوقت قتلنا يا حسن الوجه حدثنا أين عن وائل عن قدامة ابن عبد الله السكلاي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم برى الجمرة يوم النحر على جبل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك (١) . وها أنت تحيط الناس بين يديك بينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفیان الثوري فقال يا سفیان لو كان النصور ما احتملك على هذا فقال لو أخبرك النصور بما لقي لقصرتم عما أنت فيه قال فقبله إنه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفیان فاخفى . وقد روى عن الثمأمون أنه بلغه أن رجلاً محمداً بنى فى الناس بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مأموراً من عنده بذلك فأمر بأن يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له إنه بلغني أنك رأيت نفسك أهلاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن تأمر لك وكان الثمأمون جالساً على كرسي ينظر في كتاب أوقصة فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به فقال له المعتب ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ما صنعت فلم يغم للثمأمون مراده فقال ماذا تقول حتى أعاده ثلاثاً فلم يغم فقام إمارفت أو أذنت لى حتى أرفع فنظر للثمأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك لنا أهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم - الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - فقال صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكين غير أنى أعوانك وأولياؤك فيه ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى - وللمؤمنون وللمؤمنات بعضهم أولياء بعض بالمعروف - الآية ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » (٢) وقد مكنت فى الأرض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فإن أئمتنا لشكرت لمن أعانك لحرمتهما وإن استكبرت عنهما ولم تنفد لما أئمتنا منها

(١) حديث قدامة بن عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم برى الجمرة يوم النحر على جبل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه وأما قوله فى أوله إن الثوري قال حج المهدي سنة ست وستين فليس بصحيح فإن الثوري توفي سنة إحدى وستين (٢) حديث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً متفق عليه من حديث أبي موسى وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصلوة .

من دخل الخلو معتلاً
فى دخوله دخل عليه
الشیطان وسـوـل له
أنواع الطغیان وامتلأ
من القـرور والحال مظن
أنه على حسن الحال قد
دخلت الفتنة على قوم
دخلوا الخلو يسیر
شروطها وأقبلوا على
ذكر من الأدکار
واستجموا بتوسم
بالزفة عن الخلو
ومنعوا الشواغل من
الحواس كفعل
الرهائین والبراهمة
والفلاسفة والوحدة فى
جمع النعم لها تأثير فى
صفاء الباطن مطلقاً
كان من ذلك بحسن
سیاسة الشرع وصدق
التابعة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أنتج
تنوير القلب والزهدي
الدنيا وحلاوة الذكر
والعامة لله بالاخلاص
من الصلاة والتلاوة
وغير ذلك وما كان
من ذلك من غير
سیاسة الشرع ومناجاة
رسول الله صلى الله

فإن الذي إليه أمرك ويده عزك وذلك قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا قل الآن ما شئت
فأعجب المؤمن بكلامه وسرأ وقال مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بأمرنا
وعن رأينا فاستمر الرجل على ذلك في سياق هذه الحكايات يان الدليل على الاستفتاء عن الأذن. فإن
قبل أن تثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على الولي والزوجة على الزوج والتلميذ على الأستاذ
والرعية على الولي مطلقا كما ثبت للوالد على الولد والعبد على الولي والزوجة على الزوج والأستاذ على التلميذ
والسلطان على الرعية أو بينهما فرق . فاعلم أن الذي نراه أنه يثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق في
التفصيل ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قدرتنا لحسبة خمس مراتب ولولده الحسبة بالرتبتين
الأولى وهما التعريف ثم الوعظ والنصح بالمعروف والنهي عن المنكر والحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا مباشرة
الضرب وهما الرتبة الثانية والأخريان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي إلى أدنى الوالد وسخطه هذا
فيه نظره هو بأن يكسر مثلا عوده ويريق حمرة وجهه الحبوط عن ثيابه للنسوجة من الحرير ويرد إلى
للإكراه ما يجد في يده من المال الحرام الذي غصبه أو سرقه أو أخذه عن إدار رزق من ضريبة المسلمين
إذا كان صاحبه معينا ويطلب الصور للتفوية على حيطاته وللنفورة في خشبيته ويكسر أواني الذهب
والفضة فإن فعله في هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتأذى به
ويسخط بسببه لأن فعل الولد حتى وسخط الأب منشؤه حبه لباطل والحرام والأظهر في القياس أنه
يثبت للولد ذلك بل يؤمره أن يفعل ذلك ولا يحد أن ينظر في إباحة للسكر وإلى مقدار الأدنى والسخط
فإن كان للسكر قاحشا وسخطا عليه قريبا كإفراقة خر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وإن كان للسكر
قريبا والسخط شديدا كالوكانته آية من بلور أو زجاج على صورة حيوان وفي كسر هاهنا من مال
كثير فهذا مما يشتد فيه الضرب وليس يجزى هذه للصية مجرى الحجر وغيره فهذا كله مجال النظر .
فإن قيل ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق إلى ترك الباطل والأمر بالمعروف في
الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص وأما التي عن التأنيف والإيذاء فقد ورد وهو خاص فيها
لا يتعلق بارتكاب للسكرات فنقول قد ورد في حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستفتاء من العموم
إذ لا خلاف في أن الجلال ليس له أن يقتل أباه في الزنا حدا ولا له أن يباشر إقامة الحد عليه بل لا يباشر
قتل أبيه الكافر بل يقطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه في مقابته . وقد ورد في ذلك أخبار
وثبت بعضها بالإجماع ^(١) فإذا لم يجزله إيذاؤه بقوبة هي حق على جنابة ساجدة فلا يجوز له إيذاؤه بقوبة
هي منع عن جنابة مستقبله متوقفة بل أولى وهذا الترتيب أيضا ينبغي أن يجري في العبد والزوجة مع
السيد والزوج فهما قريبان من الولد في لزوم الحق وإن كان ملك العبد لكن التساوي ولكن في
الخبر أنه ولو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ^(٢) وهذا يدل على تأكيدها على أن
وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس لها مع إلا التعريف والنصح فأما الرتبة الثالثة
فهي نظر من حيث إن الهجوم على أخذ الأموال من خزائنه وردها إلى الملك وعلى تحليل الحبوط من
ثيابه الحرير وكسر آية الخمر في بيته يكاد يقضي إلى خرق هيئته وإسقاط حشمته وذلك محظور ورد
النهي عنه كالورد النهي عن السكوت على المنكر ^(٣) فقد تمارض فيه أيضا مخلدوران والأمرفه موكول

عليه وسلم ينتج صفاء في
النفس يستبان به على
اكتساب علوم الرياضة
مما ينشأ به الفلاسفة
والصوفيون خذلهم الله
تعالى وكلما أكثر
من ذلك بعد عن الله
ولا يزال للقبل على ذلك
يستخوه الشيطان بما
يكسب من العلوم
الباطنية أو بما قد
يتراءى له من صدق
الظاهر وغير ذلك حتى
يركن إليه الركون
الثام ويظن أنه فاز
بالقصود ولا يعلم أن
هذا الفن من الفائدة
غدير ممنوع من
التصاري والبراهمة
وليس هو القصود من
الحلوة بل هو بضمهم
إن الحق يريد منك
الاستقامة وأنت تطلب
السكرامة وقد يفتح
على الصادقين شيء
من خوارق العادات
وصدق القرامسة
ويبين ما سيحدث في
الستقبل وقد لا ينتج
عليهم ذلك ولا يفتح

(١) الأخبار الواردة في أن الجلال ليس له أن يجلد أباه في الزنا ولأن يباشر إقامة الحد عليه ولا يباشر قتل
أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالإجماع . قلت: لم أجده إلا حديث
لا يقاد الوالد بالولد رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي فيه اضطراب (٢) حديث
لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها تقدم في النكاح (٣) حديث النهي عن الانكار

إلى اجتهد منشؤه النظر في تفاحش الشكرومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه وأما التلذذ والأستاذ فالأمر فيما بينهما أخف لأن المحترم هو الأستاذ القليل للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله أن يمايله بموجب علمه الذي تعلمه منه . وروى أنه سئل الحسن عن الولد كيف يعتصب على والده فقال يعظه ما لم يعتصب فان غضب سكت عنه . الشرط الخامس : كونه قادرا ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حصة إلا بقلبه إذ كل من أحب الله يكره معاصيه وشكرها . وقال ابن مسعود رضي الله عنه جاهدوا الكفار بأيديكم فإن لم تستطعوا إلا أن تكفروا في وجوههم فافعلوا . واعلم أنه لا يقف سوط الوجوب على العجز الحسي بل يلحق به ما يخاف عليه مكرها بئله فذلك في معنى العجز وكذلك إذا لم يغف مكرها ولكن علم أن إنكاره لا ينفع فليفت إلى معنيين : أحدهما عدم إفادة الانكار امتناعا والآخر خوف مكره . ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال أحدها أن يجتمع العنيان بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه ويضرب إن تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما نحر في بعض المواضع ثم يلزمه أن لا يحضر مواضع الشك ويقتل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج إلا الحاجة مهيأة أو واجب ولا يلزمه مقارنتك البلد والمهجرة إلا إذا كان يهوى إلى الفساد ويعمل على مساعدة السلاطين في الظلم والشكرات فتلزمه الهجرة إن قدر عليها فإن الإكراه لا يكون علنا في حق من يقدر على الحرب من الإكراه . الحالة الثانية أن يتقن العنيان جميعا بأن يعلم أن الشكر زول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكره فيجب عليه الانكار وهذه هي القدرة المطلقة . الحالة الثالثة أن يعلم أنه لا يفيد إنكاره ولكنه لا يخاف مكرها فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لأظهار شعائر الإسلام وتذكير الناس بأمر الدين . الحالة الرابعة عكس هذه وهو أن يعلم أنه يصاب بمكره ولكن يبطل الشكر بفعله كما يقدر على أن يرى زجاجة الفاسق عجز فيكسرهما ويرقى الحجر أو يضرب المود الذي في يده ضربة مخنطة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا الشكر ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه فهذا ليس بواجب وليس بمحرم بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي أوردناه في فضل كلمة حق عند إمام جائر ولا شك في أن ذلك مظنة الحق . ويدل عليه أيضا ما روى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فأردت أن أنكر عليه وعلت أنني أقتل ولم بمعنى القتل ولكن كان في ملأ من الناس غشيت أن يترقى القزوين للخلق فأقتل من غير إخلاص في الفعل . فان قيل فامعنى قوله تعالى - ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة - قلنا لا خلاف في أن السلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاوم وإن علم أنه يقتل وهذا ربما يظن أنه مخالف لما وجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة طاعة لله تعالى أي من يفعل ذلك فقد أهلك نفسه . وقال البراء بن عازب التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب على ، وقال أبو عبيدة هو أن يذنب ثم لا يعمل بدمه خيرا حتى يهلك وإذا جاز أن يقاوم الكفار حتى يقتل جاز أيضا له ذلك في الحسبة ولكن لو علم أنه لا يملك هجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاوم إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جرائمه واعتقادهم في سائر المسلمين فله اللبالة وحجم الشهادة في سبيل الله فتكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز على السلطان جهرة بحيث يؤدي إلى خرق هيئته الحاكم في الاستدراك من حيث عياض بن غنم الأعمري من كانت عنده نصيحة لدى سلطان فلا يكلمه بها علانية ولما أخذ يده فليخل به فان قبلها قبلها وإلا كان قد أدى الذي عليه والذي له قال صحيح الإسناد ولترمذي وحسنه من حديث أبي بكره من أهان سلطان الله في الأرض أهان الله في الأرض .

في حالم عدم ذلك
وإنما يفتح في حالم
الأعراف عن حد
الاستقامة فما يفتح
من ذلك على الصادقين
بصيرسيا لمزيد إيقاظهم
والداعي لهم إلى صدق
المجاهدة والعامة
والزهد في الدنيا
والتخلق بالأخلاق
الحميدة وما يفتح من
ذلك على من ليس
تحت سياسة الشرع
بصير سبيل لمزيد بده
وغروره وحماقته
واستطاعته على الناس
وازدراءه بالخلق ولا
يزال به حتى يخلص ربة
الاسلام عن عنقه
وينكسر الحدود
والأحكام والحلال
والحرام ويظن أن
التقصود من العبادات
ذكر الله تعالى ويترك
مأبة الرسول صلى الله
عليه وسلم ثم يندرج
من ذلك إلى تلحد
وتزندق نمود باقه من
الفضلال وقد يلوح
لأقوام خيالات

المحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب والقتل إذا كان لحسبته تأثير في رفع الشر أو في كسرها جاء الفاسق أو في حقبة قلوب أهل الدين وأما إن رأى فاسقا متفلبا وعنده سيف ويده قدح وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا بما لا يرى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك فإن المطلوب أن يؤثر في الدين أثرا ويغديه بنفسه فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغي أن يكون حراما وإنما يستحب له الانكار إذا قدر على إبطال الشر أو ظهر لقطعه فافهم ذلك بشرط أن يقتصر للكره عليه فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رقبته فلا يجوز له الحسبة بل يحرم لأنه محذور عن دفع الشر إلا بأن يقضي ذلك إلى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك الشر ولكن كان ذلك سببا لشر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يلحق له الانكار على الظاهر لأن القصد عدم ما كره الشرع مطلقا لا من زيد أو عمرو وذلك بأن يكون مثلامع الإنسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم أنه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر أو شرب أولاده الخمر لإعوازم الشراب الحلال فلا معنى لاراقته ذلك وعلم أن يقال إنه يريق ذلك فيكون هو مبطلا للشر أو ما شرب الخمر فهو اللوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك الشر وقد ذهب إلى هذا ذاهبون وليس بعيدا فإن هذه مسائل قضية لا يمكن فيها الحكم إلا بالنظر ولا يعد أن يفرق بين درجات الشر الغير والشر الذي تنفي إليه الحسبة والتعريض فانه إذا كان يدع مشاة لغيره لبأكلها وعلم أنه لو منعه من ذلك لبيع إنسانا وأكله فلامع لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرفه فعمله على أخذ ماله فذلك له وجه فيه فلهذا قلنا وإقامة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذا المذاق قول: العامي ينبغي له أن لا يحتسب إلا في الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة فأما ما علم كونه معصية بالإضافة إلى ما يظن فيه من الأفعال ويقتصر فيه إلى اجتهاد فالعالمى إن خاض فيه كان ما يفعله أكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالى إذ ربما يتبدل لها من ليس أهلا لها لتصور معرفته أو تصور ديانته فيؤدي ذلك إلى وجوه من الخلل وسيأتي كشف القطاء عن ذلك إن شاء الله تعالى قيل وحيث أطلقم العلم بأثر يصيه مكروه أو أنه لا ينفيد حسبته فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه قلنا: الظن القالب في هذه الأبواب في معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم إذ يرجح العلم اليقيني على الظن ويغرق بين العلم والظن في مواضع أخرى وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا أنه لا ينفيد فإن كان غالب ظنه أنه لا ينفيد ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقف مكروهه فقد اختلفوا في وجوبه والأظهر وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقفة وعموم الأمر بالمعروف والنهي عن الشر يقتضي الوجوب بكل حال ونحن إنما نستقي عنه بطريق التخصيص ما إذا علم أنه لا فائدة فيه إما بالاجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر ليس يراد له بل للأمر فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه فأما إذا لم يكن بأس فينبغي أن لا يسقط الوجوب فإن قيل فالمكروه الذي يتوقع إصابته إن لم يكن متيقنا ولا معلوما بقلب الظن ولكن كان مشكوكا فيه أو كان غالب ظنه أنه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل أن يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب إلا عند اليقين بأنه لا يصيبه مكروه أم يجب في كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه قلنا إن غلب على الظن أنه يصاب لم يجب وإن غلب أنه لا يصاب وجب بمجرد التجوز لا يسقط الوجوب فإن ذلك يمكن في كل حصة وإن شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم العمومات وإنما يسقط بمكروه والسكر وهما الذي يظن أو يعلم حتى يكون متوقفا وهذا هو الأظهر ويحتمل أن يقال إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه

يظنونها ويجهلونها بوقائع الشايخ من غير علم بحقيقة ذلك فمن أراد تحقيق ذلك فليعلم أن العبد إذا أخلص لله وأحسن نيته وقصد في الخلوة أربعين يوما أو أكثر ففهم من ياتر باطنه صفو اليقين وبرفع الحجاب عن قلبه وبصير كما قال قائلهم: رأى قلبى ربى، وقد يصل إلى هذا اللقمان تارة بأحياء الأوقات بالصالحات وكشف الجوارح وبوزن الأوراد من الصلاة والتلاوة والذكر على الأوقات وتارة يبادئه الحق لموضع صدقه وقوة استعداده ببادئه من غير عمل وجد منه وتارة يجهد ذلك بملزمة ذكر واحد من الأذكار لأنه لا يزال يردد ذلك الذكر ويقول ويؤمنون صلاته

والأول أصح نظرا إلى قضية العمومات الموجبة للأمر بالمعروف فإن قيل فالتمتع للمكروه مختلف بالجنس والجرأة فالجانب الضعيف القلب يرى العبد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه ولتهور الشجاع يبعد وقوع السكره به بحكم ما جبل عليه من حسن الأمل حتى إنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل . قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والزواج فإن الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفريط والتهور إفراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وإنما السكال في الاعتدال الذي يبرع به بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل في الزواج بتفريط أو إفراط فإن من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجرأة قد لا يتغفلن لمدارك الشر فيكون سبب جراته جهله وقد لا يتغفلن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون علما بحكم التجربة والممارسة بمدخل الشر ودوافعه ولكن يعمل الشر العبد في تخذيله وتحليل قوته في الأقدام بسبب ضعف قلبه ما يغلبه الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات إلى الطرفين وعلى الجانب أن يشكاف إزالة الجبن بإزالة علته وعلته جهل أو ضعف وزول الجهل بالتجربة وزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تسكفا حتى يصير معادا إذ التبدى في المناظرة والوعظ مثلا قد يجنب عنه طبعه لضعفه فإذا مارس واعتاد فأزاد الضعف فإن صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعف يتبع حاله فيعذر كأيذر الرضى في التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد قو . على رأى لا يجب ركوب البحر لأجل حجة الاسلام على من يناب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الأمر في وجوب الحسبة . فإن قيل فالمكروه التوقع ماحده فإن الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المهتنب عليه في حقه بالتبعية ومانع شخص يؤمر بالمعروف إلا ويتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسمى به إلى سلطان أو يتضح فيه في مجلس يتضرر بقدره فيه فاحذر المكروه الذي يستقط الوجوب به . قلنا هذا أيضا فيه نظر فاعرض صورته منتشرة وبجاريه كثيرة ولكننا نجتهد في ضم نشره وحصر أقسامه فنقول المكروه تقيض اللطوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أمور : أما في النفس فالعلم . وأما في البدن فالصحة والسلامة . وأما في المال فالثروة . وأما في قلوب الناس فقيام الجاه ، فإذا اطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كأن معنى الثروة ملك الدراهم لأن قلوب الناس وسيلة إلى الأغراض كما أن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الأغراض وسبب تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع إليه في ربح للهالكات وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الانسان لنفسه ولأقاربه والمختصين به ويكره في هذه الأربعة أمران أحدهما زوال ما هو حاصل موجود والآخر امتناع ما هو منتظر مفقود أثنى اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر إلا في فوات حاصل وزواله أو تمويق منتظر فإن التضرر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كآفة فوات وإمكانه كآفة فوات حصوله فرجع للمكروه إلى قسمين أحدهما خوف امتناع التضرر وهذا لا ينبغي أن يكون مرخصا في ترك الأمر بالمعروف أصلا ، ولذا ذكر مثاله في الطالب الأربعة . أما العلم مثاله ترك الحسبة على من يختص بأستاذة خوفا من أن يقيح حاله عنده فيمتنع من تعليمه . وأما الصحة فتركه الانسكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لابس حريرا خوفا من أن يتأخر عنه فتمتنع بسببه صحته للتضرر . وأما المال فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواشيه من ماله خيفة من أن يقطع إدارته في المستقبل ويترك مواشاته . وأما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يقيح حاله

الجس بسببها الراتية
فصب وسائر أوقاته
مشغولة بالذكر الواحد
لا يتخللها فتور ولا
يوجد منه قصور ولا
يزال يردد ذلك الذكر
ملتزما به حتى في طريق
الوضوء وساعة الأكل
لا يتر عنه . واختار
جماعة من الشافعي من
الذكر كلمة لا إله إلا الله
وهذه الكلمة لها
خاصية في تنوير الباطن
وجمع لهم إذا دام
عليها صادق مخلص
وهي من مواهب الحق
لهذه الأمة وفيها خاصية
لهذه الأمة فبما حدثنا
شيخنا ضياء الدين
إسلام قال أنا
أبو القاسم الدمشقي
الحافظ قال أنا
عبد الكريم بن
الحسين قال أنا
عبد الوهاب الدمشقي
قال أنا محمد بن خريم
قال ثنا هشام بن
عمار قال ثنا الوليد
ابن مسلم قال أنا
عبد الرحمن بن زيد

عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة لأن هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادة ضررا مجاز وإنما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شيء إلا ما تدعو إليه الحاجة ويكون في فوائده محذور يزيد على محذور السكوت على التكرار إذا كان محتاجا إلى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم أن في تأخر مشقة الضيق به وطول المرض وقد يفضي إلى الموت وأعيى العلم الظن الذي يجوز به ترك استعمال الدواء والدول إلى التيمم فإذا انتهى إلى هذا الحد لم يعد أن يرضخ في ترك الحسبة وأما في العلم فمثل أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد إلا معصيا واحدا ولا قدرته على الرحلة إلى غيره وعلم أن المحتسب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول إليه ليكون العلم مطيعا له أو مستعاضا لقوله ، فإذا الصبر على الجهل بهمات الدين محذور والسكوت على التكرار محذور ولا يبعد أن يرجع أحدهما ويختلف ذلك بتفاضل التكرار وبشدة الحاجة إلى العلم لتعلقه بهمات الدين وأما في المال فممكن يسهز عن الكسب والسؤال وليس هو أقوى النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وانقر في تحصيله إلى طلب إدرار حرام أو موات جوعا فهذا أيضا إذا اشتد الأمر فيه لم يعد أن يرضخ له في السكوت . وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير ولا يبعد سبيل إلى دفع شره إلا بجاء يكتبه من سلطان ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه أذى الشرير فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يعد استثنائها ولكن الأمر فيها منوط بجهاد المحتسب حتى يستفيق فيها قلبه ويزن أحد المحذورين بالأخر ويرجع بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فإن رجع بموجب الدين حتى سكوته مداراة وإن رجع بموجب الهوى حتى سكوته مداهنة وهذا أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويحلم أن الله مطلع على باطنه وصارفه أنه الدين أو الهوى ويستجد كل نفس ما عملت من سوء أو خير محضرا عند الله ولو في قلعة خاطرة أو قلعة ناظر من غير ظلم وجور لما الله بظلم للعبيد . وأما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الأمور الأربعة إلا العلم فإن فوائده غير مخوف إلا بتقصيره وإلا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره وإن قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا أحد أسباب شرف العلم فانه يدمر في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد . وأما الصحة والسلامة ففواتهما بالضرب فكل من علم أنه يضرب ضربا مؤلما يتأذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وإن كان يحتسب له ذلك كما سبق وإذا فهم هذا في الإيذاء بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل أظهر . وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب ويقتضي الاستعجاب إذا بأس بأن يفسد دينه بدنيته ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكثر به كالحبة في المال والقطعة الخفيف ألما في الضرب وحد في الكثرة يشين اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين أن يجتهد في ذلك ويرجع جانب الدين ما أمكن . وأما الجاه فثوابه بأن يضرب ضربا بغير مؤلم أو يسب على ملائمة الناس أو يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد أو يسود وجهه ويظاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم لبدن وهو قاطع في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب أن ينضم إلى ما يعبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا فهذا يرضخ له في السكوت لأن المروءة مأمور بحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دربهات قليلة فهذه درجة . الثانية ما يعبر عنه بالجاه المضمون وغلو الرتبة فإن الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذلك الركوب بالخيول

عن أبيه أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال : رب أنبئني عن هذه الأمة للرحومة قال أمة محمد عليه الصلاة والسلام علماء أخفاء أحببها حلفاء أصفياء حكماهم كأنهم أنبياء يرضون مسي بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخاهم الجنة بلا إله إلا الله يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنهم لم يندلألن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ولم يندل رقابهم قط بالسجود كذلت رقابهم . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال إن هذه الآية مكتوبة في التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للمؤمنين وكنتزاة للمؤمنين أنت عيسى ورسولي ميثمك للتوكل ليس غبط ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق

فلو علم أنه لو احتسب لكلف الشيء في السوق في ثياب لا يمتد هو مثلها أو كلف الشيء راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة اللزاي وليست للواظبة على حفظها عمودة وحفظ لارودة محمود فلا ينبغي أن يسقط وجوب الحسبة يمثل هذا القدر وفي معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له بالسان إما في حضرته بالتجهيل والتجهمي والتسبة إلى الرياء والبهتان وإما في غيبته بأنواع النية فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاهل التي ليس إليها كبر حجة ولو ترك الحسبة بلوم لائم أو بغياب فاسق أو شتمه وتصفه أو سقوط للزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن الحسبة وجوباً أصلاً إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان للشكر هو النية وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن التناوب ولكن أضافه إليه وأدخله معه في النية تحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة العصية وإن علم أنه يترك تلك النية ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لأن غيبته أيضاً مصيبة في حق التناوب ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإثارة وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابل إلا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر في التبرع خطرهما فأما زاي الجاهل والحشمة ودرجات التجهيل وطلب تائه الخلق فكل ذلك لا خطر له . وأما امتناعه لحوق شيء من هذه المكارة في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو فوفقه لأن له أن يسمع في حقوق نفسه وليس له المساهمة في حق غيره فإذا ينبغي أن يمتنع فإنه إن كان ما ينفذ من حقوقهم يغوث على طريق المعصية كالضرب والتبليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يفضي إلى منكر وإن كان يغوث لا بطريق المعصية فهو إيذاء للسلم أيضاً وليس له ذلك إلا برضاؤه فإذا كان يؤدي ذلك إلى أذى قومه فليتركه وذلك كالأقارب أغنياء فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاماً منه بواسطتهم فإذا كان يتعدى الأذى من حسبه إلى أقاربه وجيرانه فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور كأن السكوت على الشكر محذور ثم إن كان لا ينالهم أذى في مال أو نفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاقمها ودرجات الكلام المنذور في نكاته في القلب وقدحه في الرض . فإن قيل فله قصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه إلا بقتال ربما يؤدي إلى قتله فهل يقاتل عليه فإن قاتل يقاتل فهو محال لأنه اهلاك نفس خوفاً من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف أيضاً . قلنا يمتنع عنه ويقاومه إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الرض حسم سبيل المنكر والمصيبة وقتله في الحسبة ليس بمصيبة وقطع طرف نفسه مصيبة وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فإنه جائز لا على معنى أنا نقدي درهما من مال مسلم بروح مسلم فإن ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلمين ومصيبة وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمصيبة وإنما المقصود دفع المعاصي . فإن قيل فلو علمنا أنه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن تقتله في الحال حسم باب المعصية . قلنا ذلك لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بظنهم مصيبة ولكننا إذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفنناه فإن قاتلنا قاتلناه . ولم ينال بما يأتي على روحه فإذا الحسبة لها ثلاثة أحوال : أحدها أن تكون متصرمة فالعقوبة على متصرم منها قد أو تعزى وهو إلى الولاء إلى الآحاد . الثانية أن تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبس الحرير وامتساكه العود والحجر فايطأ هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم تؤد إلى مصيبة الخلق منها أو مثلها وذلك يثبت للأحاد والبيعة الثالثة أن يكون المنكر متوقفاً كالذي يستند بكفلس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه إذ ربما يسوق عنه عائق فلا يثبت للأحاد سلطنة على العازم على التهرب

ولا يجزى بالسبقة البينة
ولكن يغفو ويصفح
ولن أقبضه حتى تقام
به الله للموجة بأن
يقولوا لا إله إلا الله
وضحوا أعينا عيا
وأذا ناصحاً وقلوباً غلفاً
فلا يزال البعد في خلوته
يردم هذه التسكعة على
لنا نسمع مواظدة القلب
حتى تصير التسكعة
متأصلة في القلب
مزينة لحديث النفس
ينوب معاضها في القلب
عن حديث النفس
فإذا استولت التسكعة
وسهل على اللسان
بشتمها القلب فلو
سكت اللسان لم يسكت
القلب ثم تتجوهر في
القلب وتتجوهرها
يستكن نور اليقين
في القلب حتى إذا ذهب
صورة الكلمة من
اللسان والقلب لا يزال
نورها متجوهرها ويتخذ
التذكر مع رؤية
عظمة المذكور سبحانه
وتعالى ويصير الذكر
حيث ذكر الدفات

إلا بطريق الوعظ والنصح نأما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للأحد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علت منه المأثم المستمرة وقد أقدم على السب المؤدى إليها ولم يبق لحصول المعصية إلا ما ليس له فيه إلا الانتظار وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج فاتهم وإن لم يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم بأقامتهم من الموضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف في نفسه معصية وإن كان مقصد العاصي وراؤه كما أن الخلوة بالأجنبية في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونفى بالمظنة ما يترتب على الإنسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكشاف عنها فإذا هو على التحقيق حاسبة على معصية راهنة لاعلى معصية منتظرة .

(الركن الثاني للحسبة مافيه الحسبة)

وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للنحسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتihad فلهذه أربعة شروط فليبحث عنها . الأول : كونه منكرا ونفى به أن يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلتنا عن لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية إذ من رأى صبيّا أو مجنوناً يجرّب الحجر فعليه أن يريق خمره ويمتنع وكذا إن رأى مجنوناً يزني بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمتنع منه وليس ذلك لتناقض صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون إذ معصية لأعاصي بها محال فللفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العمرة في الحرام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنساء الأجنبية كل ذلك من الصنائر ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظرياً في كتاب التوبة . الشرط الثاني : أن يكون موجوداً في الحال وهو احتراز أيضاً عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فإن ذلك ليس إلى الأحاد وقد افترض المنكر واحتراز عما سيجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله أنه غامر على الشرب في بيته فلا حسبة عليه إلا بالوعظ وإن أنكر عزمه عليه لم يجوز وعظه أيضاً فإن فيه إساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق ولتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه . الشرط الثالث : أن يكون المنكر ظاهراً للنحسب بغير تجسس : فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابها لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد أوردناها في كتاب آداب الصبغة وكذلك ما روى أن عمر رضي الله عنه تسلى دار رجل فرآه على حاله مكروهة فأنكر عليه فقال يا أمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه فقال وما هي ؟ فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا . وقد تجسس . وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها . وقد أوردت من السطح . وقال - لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسألوا على أهلها - وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على التبر وسألهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكراً فهل له إقامة الحد فيه ؟ فأشار على رضي الله عنه بأن ذلك منوط ببديلين فلا يكفي فيه واحد وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصبغة فلا نفيدها فإن قلت فما حد الظهور والاستتار . فاعلم أن من أغلق باب داره وستر محيطه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية إلا أن يظهر في الدار ظهوراً يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزمار والأوتار إذا ارتفع بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر المألهي وكذا

وهذا الذكر هو الشاهدة والكاشفة والمبينة أعني ذكر الدات يتجهر نور الذكر وهذا هو للقص الأخص من الخلوة وقد يحصل هذان الخلوة لا يذكر الكلمة بل بتلاوة القرآن إذا أكثر من التلاوة واجتهد في مواظبة القلب مع اللسان حتى تجري التلاوة على اللسان ويقوم معنى الكلام مقام حديث النفس فيدخل على السبب سهولة في التلاوة والصلاة ويتنور الباطن بتلك السهولة في التلاوة والصلاة ويتجهر نور الكلام في القلب ويكون منه أيضاً ذكر الدات ويجمع نور الكلام

إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعون أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة فإذن إنما يدرك مع غلغل الحيطان صوت أوراثة فإذا فاحت روائح الخمر فإن احتدل أن يكون ذلك من الخمر المحترمة فلا يجوز تصدها بالإراقة وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتسايطهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحبس توقد تستر قارورة الخمر في السك وتحت الدليل وكذلك للامهي فإذا رأى فاسق وتحت ذيله شيء لم يجوز أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فإن فسقها لا يدل على أن الذي منه خمر إذ الفاسق محتاج أيضاً إلى الخل وغيره فلا يجوز أن يستدل باخفائه وأنه لو كان حلالاً أخفاه لأن الأغراض في الإخفاء مما تنكر وإن كانت الرائحة فاقحة فهذا محل النظر والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامة تحيد الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور وكذلك العود ربما عرف بشكه إذا كان الثوب السائر لرقيقاً فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالة فهو غير مستور بل هو مكتشف وقد أمرنا بأن نستمر استمر الله ونسكر على من أبدى لنا صفته والإبداء له درجات فخارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللس ولا يمكن أن يخص ذلك بحاسة البصر بل للردا لالم وهذه الحواس أيضاً تحيد العلم فإذن إنما يجوز أن يكسر ماتحت الثوب إذا علم أنه خمر وليس له أن يقول أرني لأعلم مافيه فإن هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الأمارات للرفة فالأمارات للرفة إن حصلت وأورثت للرفة جاز العمل بمقتضاها فما طلب الأمارات للرفة فلا رخصة فيه أصلاً . الشرط الرابع أن يكون كونه منكراً معلوماً بغير اجتihad فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي أن ينسك على الشافعي أكله الضب والضبج ومتروك التسمية ولا للشافعي أن ينسك على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمنسك وتاوله ميراث ذوى الأرحام وجلوسه في دار أخفائه بشقة الجوار إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد ثم لو رأى الشافعي شافعيًا يجرب النبيذ ونسكج بلا ولي ويطأ زوجته فهذا في محل النظر والأظهر أن له الحسبة والانسكار إذ لم ينسب أحد من المصليين إلى أن المجتهد يجوز له أن يصل بموجب اجتihad غيره ولا أن الذي أدعى اجتihadه في التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب ألقبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فإذن مخالفة المقلد متفق على كونه منكراً بين المصليين وهو عاص بالمخالفة إلا أنه يلزم من هذا أمر أخفض منه وهو أنه يجوز للحنفي أن يترض على الشافعي إذا نسكج بغير ولي بأن يقول له المقلد في نفسه حق ولكن لا في حقل فأنت مبطل بالاقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقل وإن كانت صواباً عند الله وكذلك الشافعي محسب على الحنفي إذا شاركه في أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له إما أن تعتقد أن الشافعي أولى بالاتباع ثم تقدم عليه أولاً تعتقد ذلك فلا تقدم عليه لأنه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا إلى أمر آخر من المحسوسات وهو أن يجمع الأصم مثلاً امرأة على قصد الزنا وعلم المنتسب أن هذه امرأته زوجته أبوه إياها في ضرره ولكنه ليس يدرى وهجر عن تعريفه ذلك لصحة أو لكونه غير عارف بل تنهف في الاقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبغي أن يمنعه عنه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث إنه حلال في علم الله قريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلظه وجهله ولا شك في أنه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المجتهد مثلاً من مشقة أو غضب أو غير موقود وجدت الصفة في قلبه وهجر عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فإذا رآه مجامعاً فله النكاح باللسان لأن ذلك زنا إلا أن الزنا غير عالم هو المجتهد عالم بأنه طاقته منه ثلاثاً وكونهما غير عاصين لجهلها بما يوجد الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكراً ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون

في القلب مع مطالعة
عقطة التسليم سبحانه
وتعالى ودون هذه
للهيبة ما يفتح على
البد من العلوم
الالهامية الدينية وإلى
حين بلوغ البد هذا
البلغ من حقيقة الذكر
والثلاثة إذا صفا باطنه
قد ينيب في الله كرم
كال أنه وحلاوة
ذكره حتى يتحقق في
غيته في الله كبرائهم
وقد تتجلى له الحقائق
في لينة الخيال أولاً
كما تنكشف الحقائق
للتام في لينة الخيال
كن رأى في التام أنه
قتل حية فيقول له
المبر تظفر بالبد وفظفره
بالصد هو كشف
كاشفه الحق تعالى به
وهذا الظفر روح
مجرد صاغ ملك الرؤيا
له جسدا لهذا الروح

وقد بينا أنه يمنع منه فإذا كان يمنع بما هو منكر عند أقوال من لم يكن منكرا عند القائل ولا هو خاص بل هو
الجهل فيازم من عكس هذا أن يقال ليس بمنكر عند الله إنما هو منكرا عند القائل لجهله لا يمنع منه
وهذا هو الأظهر والمرد عند الله ، فتحصل من هذا أن الحنفى لا يمتنع على الشافعى في التكاح بلاولى وأن
الشافعى يمتنع على الشافعى فيه لكون المترضى عليه منكرا بائنا الحنفى المحتسب والمحتسب عليه هذه مسائل
قضية دقيقة والاحتالات فيها متعارضة وإنما أختينا فيها بحسب ما ترجع عندنا في الحال ولنا قطع خطأ
ترجيح المخالف فيها إن رأى أنه لا يجزى الاحتساب إلا في معلوم على القطع وقد ذهب إليه ذاهبون وقالوا
لاحبة إلا في مثل الحر والحزير وما قطع بكونه حراما ولكن الأشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر في حق
المجتهد إذ يعد غاية البعد أن يجتهد في التبعة ويترفع بظهور التبعة عنده في جهة بالدلالات الظنية ثم
يستدبرها ولا يمنع منه لأجل ظن غيره لأن الاستدبار هو الصواب ويرى من يرى أنه يجوز لكل مقلدان
يختار من المذهب ما أراد غير معتد بمولده لا يصح ذهاب ذهاب إليه أصلا فهذا مذهب لا يثبت وإن
ثبت فلا يتبدل . فان قلت إذا كان لا يمتنع على الحنفى في التكاح بلاولى لأنه يرى أنه حق فبيني أن
لا يمتنع على المقلد في قوله إن الله لا يرى وقوله وإن الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق
ولا على الخشوع في قوله إن الله تعالى جسم وله صورة وإنما يستقر على العرش بل لا ينبغي أن يمتنع على
العلماني في قوله الأجساد لا تمتع وإنما تمت النفوس لأن هؤلاء أيضا أدى اجتهدهم إلى ما قالوه يوم يظنون
أن ذلك هو الحق . فان قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح
أصا ظاهر وكنت بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى والمقلد ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر
النصوص مسائل خالف فيها الحنفى كسكته التكاح بلاولى ومشقة شفعة الجوار ونظارهما . فاعلم أن
المسائل تنقسم إلى ما يتصور أن يبدل فيه كل مجتهد مصيب وهي أحكام الأفعال في الحال والحكمة وذلك
هو الذى لا يمتنع على المجتهدين فيه إذ لم يسل خطوهم قطعا بل ظنا وإلى ما لا يتصور أن يكون الصيب
فيه إلا واحد كسكة الرؤية والقدرة وقدم الكلام ونفى الصورة والجسم والاستقرار عن الله تعالى
فهذا مما يعلم خطأ المخطئ . فيه قطعا ولا يبقى لحظه الذى هو جهل محض وجه فاذن البدع كلها ينبغي أن
نحسم أبوابها وتتصكر على المتدينين بدعهم وإن اعتقدوا أنها الحق كما يرد على اليهود والنصارى
كفرهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطاها معلوم على القطع بخلاف الخطأ في مظان
الاجتهاد . فان قلت فهما اعترضتا على القدرى في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدرى أيضا
في قولك الشر من الله وكذلك في قولك : إن الله يرى وفي سائر المسائل إذ البدع محق عند نفسه والحق
مبتدع عند البدع وكل يدعى أنه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب . فاعلم أن الأجل
هذا المتعارض قول ينظر إلى البلدة التى فيها أظهرت تلك البدعة فإن كانت البدعة غريبة والناس
كلهم على السنة ظلم الحجة عليه بغير إذن السلطان وإن أقسم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل
السنة وكان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للأحاد الحجة في المذهب إلا نصب السلطان
فاذا رأى السلطان رأى الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر للبدعة عن إظهار البدعة كان له
ذلك وليس لغيره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الأحاد فيتقابل الأمر
فيه وعلى الجملة فالخسبة في البدعة أهم من الحجة في كل التكرارات ولكن ينبغي أن يراعى فيها هذا
التفصيل الذى ذكرناه كيلا يتقابل الأمر فيها ولا ينجر إلى تحريك الفتنة بل لو أذن السلطان مطلقا
في منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق أو أن الله لا يرى أو أنه مستقر على العرش مما سلف وغير ذلك
من البدع لتسلط الأحاد على النعم منه ولم يتقابل الأمر فيه وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان قط .

من خيال الحجة فالروح
الذى هو كشف الظفر
أخبار الحق ولبسة
الحبال الذى هو بمثابة
الجسد مثال انبث
من نفس الرأى
في التمام من استصحاب
القوة الوهمية
والحيالية من البقعة
فيتألف روح كشف
الظفر مع جسد مثال
الحية فاختار إلى التعبير
إذ لو كشف بالحقيقة
التي هي روح الظفر
من غير هذا المثال
الذى هو بمثابة الجسد
ما احتاج إلى التعبير
فكان يرى الظفر
ويصبح الظفر وقد
يتجرده الحبال
باستصحاب الحبال
والوهم من البقعة في
لثام من غير حقيقة
فيكون التام أمثلاث
أحلام لا يعرف ويتجرده

(الركن الثالث : المحتسب عليه)

وشرطه أن يكون بصفة بصير الفعل المنوع منه في حقه منكراً أو أقل ما يكفي في ذلك أن يكون إنساناً ولا يشترط كونه مكلفاً إذ يتينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإركان قبل البلوغ ولا يشترط كونه عتقاً إذ يتينا أن المجنون لو كان زني بمجنونة أو بآفة بهيمة لوجب منعته منه نعم من الأفعال ما لا يكون منكراً في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره ولكننا لسنا نلقت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضاً ما يختلف فيه القيم والسافر والريض والصحيح وغرضنا الإشارة إلى الصفة التي بها يتبين توجه أصل الإنكار عليه لا ما بها يتبين التفصيل . فإن قلت فلاكتف بكونه حيواناً ولا يشترط كونه إنساناً فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعاً لإنسان لكنها منه كانتنج المجنون من الزنا وإتيان البهيمة . فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لا وجه لها إذا الحسبة عبارة عن المنع عن مسكر لحق الله صيانة للمنعوع عن مفارقة المسكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والإنسان إذا أنلف زرع غيره منع منه لحقين : أحدهما حق الله تعالى فإن فعله مصيبة والثاني حق المثلث عليه فهما علتان تفصل إحداها عن الأخرى فلو قطع طرف غيره باده قد وجدت المصيبة وسقط حق المجني عليه فإنه ثبتت الحسبة والمنع بإحدى العلتين والبهيمة إذا أنلفت فقد عدمت المصيبة ولكن بقيت المنع بإحدى العلتين ولكن فيه دققة وهو أن لسنا نقصد إخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم إذ البهيمة أو أكلت ميتة أو شربت من إناؤه خمر أو ماء مشوب بخمر لم تمنعها منه بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والنبات ولكن مال المسلم إذا تعرض لضاياع وقد ناطق بحفظه بشرب قصب وحيد ذلك علينا حفظ المال بل لو وقت جرة لإنسان من علو ونحتها قارورة للغير فندفع الجرة لحفظ القارورة لانهج الجرة من السقوط فانا لا نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لاحتياطة بهيمة المأثية أو الخمر والشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر ونزها له من حيث إنه إنسان عتقتم فهذه لطائف دققة لا يفتطن لها إلا المهققون فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم يجب تأنيب الصبي والمجنون عنه نظراً لوقوع تيرده في منهما من لبس الحرير وغير ذلك وستعرض لما نشير إليه في الباب الثالث . فإن قلت فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه إخراجها وكل من رأى مالاً مسلماً أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه . فإن قلت إن ذلك واجب فهذا تكليف شغلط يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخراً للغير طول عمره وإن قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من نصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير . فتقول : هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه أن تقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقصان في جاهه وجب عليه ذلك فذلك التقدير واجب في حقوق المسلم بل هو أقل درجات الحقوق والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام فإن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام بل لا خلاف في أن مال الإنسان إذا كان يصيب بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعصى بكتان الشهادة في معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لأضرار على الدافع فيه فأما إن كان عليه تعب أو ضرر في مال أو جوارحه لم يلزمه ذلك لأن حقه مرعى في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه أكثر من غيره فلا يلزمه أن يقضى غيره بنفسه نعم الإشارة مستحب وتجنب المصاعب لأجل المسلمين قربة فأما إيجابها فلا فاذن إن كان يتسبب إخراج البهائم عن الزرع يلزمه السمي في ذلك والسكن إذا كان لا يتسبب بتقنية صاحب الزرع من نومه أو بعلامه يلزمه ذلك فأهل تعريضه وتنبهه كاهاله تعريض القاضي بالشهادة وذلك لأروسة فيه ولا يمكن أن يراعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال

لصاحب الحقوة الحبال
للتبعت من ذاته من
غير أن يكون وعاء
لحقيقة فلا ينبغي على
ذلك ولا يلتفت إليه
فليس ذلك واقعة وإنما
هو خيال فأما إذا غاب
الصادق فيه ذكر الله
تعالى حتى يضب عن
المحسوس بحث لو
دخل عليه داخل من
الناس لا يلزم به لبسته
في الفكر فندد ذلك قد
ينبت في الابتداء من
نفسه مثال وخيال
ينفع فيه روح
الكشف فاذا عاين
غيته فلما يأتيه خبره
من باطنه موهبة من
الله تعالى ولما يخبره
له شيعه كما يبر للبر
الناس ويكون ذلك
واقعة لأنه كشف
حقيقة في لبسة مثال
وشرط صحة الواقعة

إن كان لا يصيب من منفعة في مدة اشتغاله بإخراج البهايم إلا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع ينفقه مال كثير فيترجع جانب له لأن الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف ولا سبيل للمصير إلى ذلك فأما إذا كان فوات المال بطريق هو مصيبة كالنصب أو قتل عبد مملوك فكثير فهذا يجب للنعم متوهم أن كان فيه تعب ما لأن التصود حق الشرع والغرض دفع المصيبة وعلى الإنسان أن يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه أن يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهي غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المذخورات التي يغافلها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين تفرقان من عرضنا : إحداهما أن الالتقاط هل هو واجب والالتقاط ضائعة والمقتطع مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا أن يغفل ويقال إن كانت اللقطة في مواضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها أو تركها كالأول كان في مسجد أو رباط يتعين من يدخله وكأهم أمناء فلا يلزمه الالتقاط وإن كانت في مضربة نظر فإن كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج إلى علف وإصطبل فلا يلزمه ذلك لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك وحده بسبب كونه إنسانا محترما وللتعطف أيضا إنسان وله حق في أن لا يتعب لأجل غيره كما لا يتعب غيره لأجله فإن كانت ذهباً أو ثوباً أو شيئا لا ضرر عليه فيه إلا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين قتال بقول التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل إلى إزالته ذلك إلا أن يتبرع طلبا للثواب وقال يقول : إن هذا القدر من التعب مستصغر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين فيزول هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فإنه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبرع فإذا كان مجلس القاضي في جواره ثمة الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعباً في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة وإن كان في الطرف الآخر من البلد وأحوج إلى الحضور في المحاضرة وشدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فإن الضرر الذي يبال السامعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبال به وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزمه احتماله ووسط بينهما الطرفان ويكون أبداً في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات الزمنية التي ليس في مقدور البشر إزالتها إذ لا لغة تفرق بين أجزائها للتقاربة ولكن التفتي بنظر فيها لنفسه وبدفع ما يربيه إلى ما لا يربيه ، فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل .

(الركن الرابع : نفس الاحتساب)

ولدرجات وآداب أفعال الدرجات فأولها التعريف ثم التعريف ثم التوبيخ ثم الوعظ والصبح ثم السب والتعنيف ثم التهديد باليد ثم التهديد بالضرب ثم إتيان الضرب وتخفيفه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود . أما الدرجة الأولى وهي التعرف ونوعه به طلب العرفة بجران الشكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي أن يترك السمع على دار غير ما يسمع صوت الأوتار ولا أن يستفتي ليدرك رائحة الخمر ولأن عيسى ماقى ثوبه ليعرف شكل الزمار ولأن يستغفر من جبرائه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو أخبرهم عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانا يشرب الخمر في داره أو بأن في داره خمر أعدد للشرب فله إذ ذلك أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع الشكر ككسر رأسه بالضرب لمنع مهما احتاج إليه وإن أخبره عدلان أو عدل واحد وبالجملة كل من تبذل روايته لا شهادته في جوار الهجوم على داره بقوله في نظر واحتمال والأولى أن يمنع لأن له حقاً في أن لا يتخطى داره بغير إذنه ولا يسهط حق السلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين فهذا أولى ما يجعل مردداً فيه . وقد قيل إنه كان نقش حاتم إيمان السر لما عابت أحسن من إذاعة ما ظننت .

الإخلاص في الذكر أولاً
ثم الاستغراق في الذكر
ثانياً وعلاصة ذلك
الزهد في الدنيا وما لازمه
التقوى لأن الله جملة
بما يكشف به في وقافته
مورد الحكمة والحكمة
تحكم بالهدى والتقوى
وقد يتعذر للذاكر
الحقائق من غير لبسة
الثال فيكون ذلك
كشفاً وإخباراً من الله
تعالى بإياه ويكون ذلك
تارة بالرؤية وتارة
بالبصيص وقد يسمع من
باطنه وقد يطرُق ذلك
من الهواء لا من باطنه
كالهوائف يعلم بذلك
أمر يريد الله إحداثه
ه أو لغيره فيكون
إخبار الله بإياه بذلك
مزبداً ليقينه أو يرى
في التام حقيقة الشيء .
قل عن بعضهم أنه
آتي شراب في قدح

الدرجة الثانية : التعريف فان الشكر قد يقدم عليه القدم بجهله وإذ اعرف أنه منكر تركه كالسواى يصل ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ولورضى بأن لا يكون مصليا ترك أصل الصلاة فيجب تعريفه بالاطمئ من غير عنف وذلك لأن ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحق والتجهيل إيذاء وقد ارضى الانسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور لاسما بالشرع ولذلك ترى الذى يتقلب عليه التضب كيف ينضب إذ انه على الخطأ والجهل وكيف يجتهد في مجاهدة الحق بعد معرفته خيفة من أن تتكشف عورة جهله والطياع أحرم على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية ، لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السواين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لأنه خلقه لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره إزالته وتحسينه والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم فذلك يعلم تألم الانسان بظهور جهله ويسقط إتهامه في نفسه بله ثم قدته عند ظهور جمال عمله لغيره وإذا كان التعريف كشفاً للمورة مؤذيا للقلب فلا بد وأن يبالغ دفع أذاه بلطف الرفق فنقول له إن الانسان لا يولد عالما ولقد كنا أيضا جاهلين بأمور الصلاة فلما أضاء لعل قريتنا خالية عن أهل العلم أو علمها مفسر في شرح الصلاة وإيضاحها إنما شرط الصلاة الطمأنينة في الركوع والسجود وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء فان إيذاء السلم حرام محذور كما أن تضرر على الشكر محذور وليس من العقلاء من غسل الدم بالدم أو بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على الشكر واستبدل عنه محذور لإيذاء السلم من الاستثناء عنه قد غسل الدم بالبول على التحقيق ، وأما إذا وقعت على خطأ في غير أمر الدين فلا ينبغي أن رده عليه فانه يستفيد منك علما ويصيرك عدواً إلا إذا علمت أنه يضمن العلم وذلك عزيز جدا . الدرجة الثالثة : التوبيخ وعظ والنصح والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الشرع أو على الظلم أو على اغتصاب للسلطين أو ما يجرى أن عرف كونه منكرا كالتى يواطىء على الشرع أو على الظلم أو على اغتصاب للسلطين أو ما يجرى مجراه فينبغي أن يعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك وتحكى له سيرة السلف وعبادة الثقلين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه نظر الرحمة عليه ويرى إقدامه على الصية ممية على نفسه إذ السلون كنفس واحدة ، وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوفاها فانها مهلكة ، وهى أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذله غيره بالجهل فرما يقصد بالتعريف الإذلال وإظهار التمييز بشفرة العلم والإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا للشكر أتجيب في نفسه من الشكر الذى يترضى عليه ، ومثال هذا المحتسب مثال من يغلس غيره من النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل ، وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور لاشيطاني يتدلى بجهله كل إنسان إلا من عرفه الله يعوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين : أحدهما من جهة دالة العلم والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشكر والحق وله محك وميعار ينبغي أن يتحتم المحتسب به نفسه وهو أن يكون امتناع ذلك الانسان عن الشكر نفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفى بغيره فليحتسب فان باعته هو الدين وإن كان اتعاط ذلك العاصي وعظه وأزجاره بجزءه أحب إليه من اتعاطه وعظه غيره فاهو إلا متبع هوى نفسه ومنهول إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبه فليتب الله تعالى وليحتسب أولا على نفسه وعند هذا يقال ما قيل ليعسى عليه السلام

فوضعه من يده وقال قد حدث في العالم حدث ولا أشرب هذا دون أن أعلم ماهو فأنكشفت له أن قوما دخلوا مكة وفلوا فيها وحكى عن أبي سلمان الخواص قال كنت راكبا حمارا إلى يوما وكان يؤذيه القباب فيطأطن رأسه فكنت أضرب رأسه غضبة كانت في يدي فرفع الحمار رأسه إلى وقال اضرب فانك على رأسك تضرب قيل له يا أبا سلمان وقع لك ذلك أو سمعته فقال سمعته يقول كما سمعته. وحكى عن أحمد بن عطاء الروذبارى قال كان لى مذهب في أمر الطهارة فكنت لية من القباى أستجى إلى أن مضى ثلث الليل

يا ابن مريم عظ نفسك فان العظت فعض الناس والإفاستحي مني ، وقبل لداود الطائي رحمه الله : أرايت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقال أخاف عليه السوط قال إنه يقوى عليه قال أخاف عليه السيف قال إنه يقوى عليه قال أخاف عليه الدماء الدفين وهو العجب .

الدرجة الرابعة : السب والتنصيف بالقول والفاظ الحشون وذلك يعدل إليه عند العجز عن التع باللفظ وظهور مبادئ الإصرار والاستبصار بالوعظ والصبح وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام - أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون - ولنا نفي بالسب القبيح بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يد من جملة المعش كقوله يا فاسق يا أحمق يا جاهل يا خائف الله وكقوله يا سوادى يا غي وما يجري هذا الجري فإن كل فاسق فهو أحمق وجاهل ولولا حقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو أحمق والكيس من شهدته رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع شهوة هواها ونفى على الله » (١) وهذه الدرجة أديان : أحدها أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف . والثاني أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزره فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار وهو الأزداء بمجده لأجل معصيته وإن علم أنه لو تكلم ضرب ولوا كفهروا أظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه أن يطب وجهه ويظهر الانكار له . الدرجة الخامسة : التغير باليد وذلك ككسر اللامى وإراقة الحجر وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفنه عن الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار للصوة بالجرح ورحله وإخراجه من المسجد إذا كان جالسا وهو جنب وما يجري مجراه ويصور ذلك في بعض العاصى دون بعض ، فأما ممضى اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصى وجوارحه الباطنة ، وفي هذه الدرجة أديان : أحدها أن لا يباشر بيده التغيير مالم يسجن عن تكليف المحسب عليه ذلك فإذا أمكنه أن يكفنه لئى في الخروج عن الأرض للصوة والمسجد فلا ينبغي أن يدفعه أو يجرحه وإذا قدر عن أن يكفنه إراقة الحجر وكسر اللامى وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فإذا لم يتعاط نفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حرج عليه في فعله . الثاني أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه وهو أن لا يأخذ بلحمته في الأخراج ولا يرجه إذا قدر على جرحه يدفعه فان زيادة الأذى فيه مستغنى عنه وأن لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق اللامى والصليب الذى أظهره النصرانى بل يسلط صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج في استئصال إصلاحه إلى تعبد يساوى تعبد الاستئصال من الحشون ابتداء وفي إراقة الحور يتوق كسر الأواني إن وجد إليه سبيلا فان لم يقدر عليها إلا بأن يرمى ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الحجر إذ صار حائلا بينه وبين الوصول إلى إراقة الحور ولست أحرى بدنه لكننا قصد بدنه بالجرح والضرب لتوصل إلى إراقة الحجر فاذن لا تزد حرمة ملكه في الظرف على حرمة نفسه ولو كان الحرفى قوارىضقة الرءوس ولو اشتغل بإرقائها طال الزمان وأدركه الفساق ومنهوه فله كسرهما فهذا عذر وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنهم من كان يضيق في زمانه وتعطل عليه أشغاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيق بمنه بدنه وغرضه من أشغاله

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس .

ولم يطب قلبي فتضجرت فيكيت وقلت يارب الفوف سمعت موتا ولم أر أحدا يقول يا أبا عبد الله الفوفى العلم وقد يكشف الله تعالى عبده بآيات وكرامات تربة للعبد وتقوية ليقينه وإيمانه قيل كان عند جعفر الخليلي رحمه الله فص له قبة وكان يوما من الأيام ركبنا في السيارة في دجلة فهم أن يعطى السلاح قطعة وحل الحرفة فوقع التعريف الدجلة وكان عنده دعاء للشاة لمجرب وكان يدعو به فوجد الدمى في وسط أوراق كان تصنعها والدعاء هو أن يقول يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتي . وصمت شيئا به زمان حكى له

لأجل ظروف المحروحيث كانت الارقاة متيسرة بلا كسر فكسره ثم الضمان . فان قلت فهنا جاز
الكسر لأجل الزجر وهلا جازا لجر الرجل في الاخراج عن الأرض للتصوية ليكون ذلك أبلغ في الزجر .
فاعلم أن الزجر إنما يكون عن التسبيل والعقوبة تكون على الناسى والدفع على الحاضر الزاهر وليس
إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام النسكر فلما زاد على قدر الاعدام فهو ما عقوبة على جرعة سابقة
أو زجر عن لاحق وذلك إلى الولاة إلى الرعية . ثم الوالى له أن يفعل ذلك إذا رأى المصلحة فيه . وأقول
له أن يأمر بكسر الظروف التي فيها المحور زجرا وقد فعل ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
تأكيذا للزجر^(١) ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والقطام شديدة فاذا رأى الوالى
باجتهاد مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك وإذا كان هذا منوطا بنوع اجتهدا دقيق لم يكن ذلك لأحد
الرعية . فان قلت : فليجزر السلطان زجر الناس عن العاصي باتلاف أموالهم وتخريب دورهم التي فيها
يشربون ويمصون وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى العاصي . فاعلم أن ذلك لو ورد التصريح به لم
يكن خارجا عن سبيل الصالح ولكن لا يتبع الصالح بل يتبع فيها وكسر ظروف المحر قد ثبت عند
شدة الحاجة وتركه بهذا لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم زول بزال العقوبة ويودعها
وإنما جوزنا ذلك للإمام بحكم الاتباع ومننا آحاد الرعية منه لحفاء وجه الاجتهاد فيه بل قد لو أريدت
المحور أو لأفلا يجوز كسر الأوان بعدها وإنما جاز كسرها تبعاً للخمر فاذا خلت عنها فهي اتلاف مال إلا أن
تكون ضاربة بالخر لا تصلح إلا لها فكان القتل للثقل عن الصر الأول كان مقرونا بعينين : أحدهما
شدة الحاجة إلى الزجر والآخر تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لاسبيل
إلى حذفها ومعنى ثالث وهو صدوره عن رأى صاحب الأمر لعله بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضا
مؤثر فلا سبيل إلى الغائه فهذه تصرفات دقيقة تقهية يحتاج المحتسب لاهالة إلى مرقفتها . الدرجة السادسة
التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا أو لأكرن رأسك أو لأضربن رقبتك أو لأمرن بك
وما أشبهه وهذا ينبغي أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تحديه والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده
بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لأتهن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسبين زوجتك وما يجري مجراى بل
ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام وإن قاله من غير عزم فهو كذب ثم إذا تعرض لوعيده بالضرب
والاستخفاف فله العزم عليه إلى حد معلوم يقتضيه الحال وله أن يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن
إذا علم أن ذلك يققه ويردعه وليس ذلك من الكذب المهدور بل بالالف في مثل ذلك متادة وهو معنى
مبالغة الرجل في إصلاحه بين شخصين وتأليفه بين الضربين وذلك مما قد رخص فيه للحاجة وهذا في معناه
فان قصد به إصلاح ذلك الشخص وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس أنه لا يقبح من الله أن يتوعد بما لا يفعل
لأن الخلف في الوعيد كرم وإنما يقبح أن يعد بما لا يفعل وهذا غير مريض عندنا فان الكلام القديم
لا يتطرق إليه الخلف وعدا كان أو وعيدا وإنما يتصور هذا في حق المبادوه كذلك إذ الخلف في الوعيد
ليس بحرام . الدرجة السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك
جائز للأحاد بشرط الضرورة والانتصار على قدر الحاجة في الدفع فاذا اندفع النسكر فينبى أن يكف
والقاضى قد يرهق من ثبت عليه الحق إلى الأداء بالمجلس فان أصر المحبوس وعلم القاضى قدرته

(١) حديث تكسير الظروف التي فيها المحور في زمنه صلى الله عليه وسلم الترمذى من حديث أبى
طلحة أنه قال : يا نبي الله إني اشتريت خمرًا لأيتام في حجرى قال اهرق الخمر واكرس الدنان وقه
بث بن أبى سليم والأصح رواية السدى عن يحيى بن عباد عن أنس أن أبا طلحة كان عندى
قاله الترمذى .

شخص أنه كوغف في
بعض خلواته بوله له
في جيحون كاد يسقط
في الماء من السفينة قال
فزجرته فلم يسقط
وكان هذا الشخص
بنواحي همدان وولمه
بجيحون فلما قدم الولد
أخبر أنه كاد يسقط في
الماء فسمع صوت والده
فلم يسقط . وقال عمر
رضي الله عنه بإسارية
الجيل على النبر بالمدينة
وسارية بها وند فأخذ
سارية نحو الجبل وظهر
بالعدو قليل لسارية
كيف علت ذلك فقال
سمعت صوت عمرو وهو
يقول بإسارية الجبل .
سئل ابن سالم وكان قد
قال للإيمان أربعة
أركان ركبن منه
الإيمان بالقدر وركن
منه الإيمان بالحكمة
وركن منه التبري من

على أداء الحق وكونه معانداً فله أن يلزمه الأداء، بالضرب على التدريج كاجتياز إليه وكذلك المحتسب برعى التدريج فإن احتاج إلى شهر سلاح وكان يفدر على دفع للسكر جسر السلاح والجرح فله أن يتامل ذلك ما لم ترفق كالو قص فاسق مثلاً على امرأة أو كان يضرب بتمزله معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له خلّ عنها أولاً ريتك فإن لم يخلّ عنها فله أن يرعى وينهى أن لا يقصد القتل بل الساق والقضدوما أشبهوا برأى فيه التدريج وكذلك يسلب سيفه ويقول أترك هذا للسكر أولاً ريتك فكل ذلك دفع للمعكر ودفعه واجب بكل يمكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالأميين. وقالت المرأة لا يتعلق بالأميين فلا حصة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للامام لالاحاد . المرحلة الثامنة : أن لا يقدر عليه بنفسه واحتاج فيه إلى أعوان بشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق أيضاً بأعوانه ويؤذى ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى إذن الامام فقال قائلون لا يستقلّ أحاد الرعية بذلك لأنه يؤدي إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد . وقال آخرون لا يحتاج إلى الإذن وهو الأقبح لأنه إذا جاز للأحاد الأمر بالمعروف وأوامل درجاته نجر إلى توان والثواني إلى ثواب وقد ينتهي لاهالة إلى التضارب والتضارب يدعو إلى التناون فلا ينبغي أن يأمى بلوازم الأمر بالمعروف ومنتهى تجنب الجنود في رضا الله ودفع معاصيه ونحن نجوز للأحاد من الغزاة أن يجتمعوا ويقانلوا من أرادوا من فرق الكفار فعد لأهل الكفر فكذلك فع أهل الفساد جائز لأن السافر لا بأس بقتله والسليم إن قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق التاضل عن فسته لا بأس بقتله والمحتسب الحق إن قتل مظلوما فهو شهيد . وعلى الجملة فانها، الأمر إلى هذا من النوادر في الحسبة فلا يغيره قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبفسه وبأعوانه فالمسئلة إذن محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله اللوفق .

(آداب آداب المحتسب)

قد ذكرنا تفاصيل الآداب في أحاديث الدرجات ونذكر الآن جملة ما مصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب: العلم والورع وحسن الخلق . أما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقصر على حد الشرع فيه . والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل يعله بل ربما يعلم أنه مسرف في الحسبة وزائد على الحد للأذن فيه شرها ولكن يحمله عليه عرض من الأغراض وليسكن كلامه وعظه مقبولا فإن الفاسق يهزأ به إذا احتسب ويورث ذلك جراءة عليه . وأما حسن الخلق فليستكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأسبابه العلم والورع لا يكتفيان فيه فإن الضرب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في رقه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقعدة على ضبط الشهوة والاضطراب وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه جثم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه ليرجى يقدم عليه ابتداء لطاب الجامع الاسم فهذه الصفات الثلاث بها تعبر الحسبة من القربات وبها تندفع التكررات وإن قدت لم يدفع للسكر بل ربما كانت الحسبة أيضاً منكرة لجأوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا روق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فم ينهى عنه قتيه فيما يأمر به قتيه فيما ينهى عنه (١) وهذا يدل على أنه لا يشترط

الحول والقوة وركن منه الاسمانه بالله عز وجل في جميع الأشياء قيل له مامنى قولك الايمان بالقعدة فقال هو أن تؤمن ولا تسكر أن يكون له جسد بالشرق قائماً على يمينه ويكون من كرامة الله له أن يعطيه من القوة ما ينقلب من يمينه على يساره فيكون بالمعرب تؤمن بمسوا ذلك وكونه، وحكى لي قدير أنه كان يمشى وأرجف على شخص ينفذ أنه قد مات فكشفته الله بالرجل وهو راكب يمشى في سوق ينداد فأخسبر إخوانه أن الشخص لم يموت وكان كذلك حتى ذكر لي هذا الشخص أنه في تلك الحالة التي كشف بالشخص راكباً قال

(١) حديث لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا روق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه الحديث

أن يكون قهبا مطلقا بل فها يأمر به ونهى عنه وكذا الحلم . ولحسن البصرى رحمه الله تعالى :
إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكُن من أخذ الناس به وإلا هلك . وقد قيل :

لا تلم للزم على فضله وأنت منسوب إلى مثله
من ذم شيئا وأتى مثله فأنما يرمى على عهله

ولنا نرى بهذا أن الأمر بالمعروف يصير محنوما بالحق ولكن يستطاع أثره عن القلوب بظهور فسقه للناس . فقد روى عن أنس رضي الله عنه قال : قلنا يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى تفعل به كله ولا تنهى عن المنكر حتى لا يمتنع بك الله على نفسه بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانتهوا عن المنكر وإن لم تمتنعوا به كله (١) . وأوصى بعض السلف بنبيه فقال إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله وإن وثق بالثواب من الله لم يجد مسأله الأولى ، فإذا من آداب الحسبة توطئ النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف فقال حاكيا عن لقمان - يابن أتم الصلاة وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر واصبر على ما أصابك . -

ومن الآداب تقليل الملاقاة حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلاق حتى تزول عنه الداهية . فقد روى عن بعض الساج أن كان له سنور وكان يأخذ من تصاب في جواره كل يوم شيئا من التمدد لسنوره فرأى على القصاب منكرا فدخل الدار أولا وأخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا أعطيك بعد هذا شيئا لسنورك قال ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع منك وهو كما قلنا لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألستهم بالثناء عليه مطابقة لم تيسر له الحسبة . قال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني : كيف سئلتك بين قومك ؟ قال حسنة قال إن التوراة تقول : إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر صامت منزلة عند قومه فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم . ويعد على وجوب الرفق ما استدل به للأئمة إذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يارجل ارفق فقد بث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق قال تعالى - قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى - فليكن اقتداء المحتسب بالرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم . فقد روى أبو أمامة « أن غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يابن الله آمأذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم قريوه اذن فذا حتى جلس بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم والسلام أحب إليكم ؟ فقال لا ، جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لأسمائهم أحب إليهم ؟ قال لا ، جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبياتهم أحب إليهم لأختك (٢) » وزاد ابن عوف حتى ذكر العمدة للحال وهو يقول في كل واحد ، لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه وقال جميعا في حديثهما أعنى ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال « اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحسن فرجه » فلم يكن شيء أبغض إليهم مني من الزنا وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله : إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل

لما جئته هكذا وللهيقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف (١) حديث أنس قلنا يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى تفعل به كله ولا تنهى عن المنكر حتى لا يمتنع بك الله على نفسه بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانتهوا عن المنكر وإن لم تمتنعوا به كله (٢) حديث أبي أمامة أن شابا قال يا رسول الله آمأذن لي في الزنا فصاح الناس به الحديث رواه أحمد بإسناد جيد

ما أخذ منهم إلا دون حق ثم خلا به وعذله ووجهه فقال سفيان بأبأ على إن لم تكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين . وقال حماد بن سلمة : إن صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخضوه بشدة فقال دعوني أنا أكفيكم فقال يا ابن أخي إن لي إليك حاجة قال وما حاجتك يا عم ؟ قال أحب أن ترفع من إزارك فقال نعم وكرامة فرفع إزاره فقال لأصحابه لو أخذتموه بشدة لقال لا وكرامة وشتمكم . وقال محمد بن زكريا الفلاوي : شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستنثت فاجتمع الناس يضربونه فظفر إليه ابن عائشة فصره فقال الناس تحوا عن ابن أخي ثم قال لي يا ابن أخي فاستحي التلام فبأه إليه فشمه إلى نفسه ثم قال له امض معي فمضى معي حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمائه بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلم بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستجبا منه وبكى وهم بالانصراف فقال التلام قد أمر أن تأتبه فأدخله عليه فقال له أما استحييت نفسك أما استحييت لشرفك أما ترى من ولدك ؟ فائق الله واتزع عما أنت فيه فبكي التلام منكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله تعالى عهدا يسألني عنه يوم القيامة أتى لأعود للمغرب النبذ ولا نصلي . مما كنت فيه أو أنا تأثم فقال ادن مني قبل راحه وقال أحسنت يا بني فكان التلام بعد ذلك يلزمه ويكعب عنه الحديث وكان ذلك يركبه رفته ثم قال : إن الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرا فلعلكم بالرفق في جميع أموركم تتألون به ما تطلبون . وعن النعمان بن شخرف قال : تعلق رجل بامرأة فعرض لها ويده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره . وكان الرجل شديد البدن فيبئ الناس كذا وكذا وللراة تصيح في يده إذ مر بشر بن الحرث فدنا منه وحك كنفه بكف الرجل فوقع الرجل على الأرض ومضى بشر فدنا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا وضعت للراة لحالها فسأله ما حالك ؟ فقال ما أدرى ولكن حاكى شيخ وقال لي إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ما تعمل فضغفت لقوله قدمي وحبته هبة شديدة ولا أدرى من ذلك الرجل ؟ فقالوا له هو بشر بن الحرث فقال واسوأنام كيف ينظر لي ؟ بعد اليوم وحكم الرجل من يومه ومات يوم السابع ، فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة وقد قلنا فيها آثارا وأخبارا في باب النفس في الله والحب في الله من كتاب آداب الصلوة فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الحسبة وآدابها والله الوفاق بكمه والمجد لله على جميع نعمه .

(الباب الثالث في للتكرات المألوفة في العادات)

فتشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثلها إذا لامطع في حصرها واستقصاها . فمن ذلك :

(منكرات الساجد)

اعلم أن للتكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة فإذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم أن النعم منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأن الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه وإذا قلنا منكر محظور أو قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا . فعما يشاهد كثيرا في الساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهي عنه إلا عند الخلق الذي يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة إلا ينفع النهي معه ومن رأى سبيحا في حالته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد بالأثر وفي الخبر ما يدل عليه إذ ورد في التبيين أن السمع شريك القائل (١)

رجاله رجال الصالحين . (الباب الثالث في المنكرات المألوفة)

(١) حدث القناب والسمع شريكان في الإثم تقدم في الصوم .

لصالحهم الأوقات بالقربات فيترجون بذلك ويروقون لطرفة من كوشف بصرف اليقين من ذلك لئلا يظن أن شدة أسرع إجابة وأسهل اختيارا وأتم اعتمادا والأولون استلبين بذلك منهم ما استوعروا واستكشف منهم ما استروا وقد لا يمنع صور ذلك الرهايين والبراهمة من هو غير منتهج سبل الهدى وراكب طريق الردى ليكون ذلك في حقهم مكررا واستدراجا ليستحسنوا حلهم ويستفروا في مقار

الطرد والبقاء لهم فيما أراد الله منهم من الصلوة والضلال والردى والموال حتى لا يستر السالك بيسير شيء يفتح له ويعلم أنه

وكذلك كل ما يندرج في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها أو انحراف عن القبلة بسبب ظلام أو غمي فكل ذلك نجس الحسبة فيه . ومنها قراءة القرآن بالحقن بحسب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فإن كان التكتف في السجدة يضيئ أكثر أوقاته في أمثال ذلك وبشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فإن هذا أفضل له من ذكره وتطوعه لأن هذا فرض وهي قرينة تعدى فائدتها فهي أفضل من نافعة تقتصر عليه فائدتها وإن كان ذلك ينم عن الوراقة مثلاً أو عن الكسب الذي هو طعمته فإن كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجزله ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لجزءه . والذي يكثر اللحن في القرآن إن كان قادراً على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فإنه عاص به وإن كان لا يطاوعه اللسان فإن كان أكثر ما يقرأه لحناً فليتركه وليجتهد في تعلم القائحة وتصحيحها وإن كان الأكثر صحيحاً وليس بقدر على التوبة فلا بأس له أن يقرأ ولكن ينبغي أن يخضع به الصوت حتى لا يسمع غيره ولئنه سراً منه أيضاً وجه ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فليست أرى به بأساً والله أعلم . ومنها إرسال المؤمنين في الأذان وتطويلهم بعد كثرته وانحرافهم عن صواب القبلة بجميع الصدر في الحيلتين أو انفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريضها فإن صدرت عن معرفة فيستحب النصح منها والحسبة فيها وكذلك إذا كان المسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي أن يمنع من الأذان بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يول على أذانه في صلاة وترك سحور أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح . ومن للسكروهات أيضاً تكبير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة إما من واحد أو جماعة فإنه لا فائدة فيه إذ لم يبق في السجدة تأم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى يبينه غيره فكل ذلك من للسكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف . ومنها أن يكون الخطيب لابساً ثوباً أسود يثقل عليه الإبريسم أو ممسكاً سيفاً مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب وأما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض ومن قال إنه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهوداً في العصر الأول لكن إذا لم يرد فيه نهي فلا يفتنى أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للأحباب . ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ للبدع بحسب منعه ولا يجوز حضور مجلسه إلا على قصد إظهار الرد عليه وإزالة الكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين - أو إليه فإن لم يقدر فلا يجوز صماع البدعة قال الله تعالى لنبيه - فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره - ومهما كان كلامه مائلاً إلى الإرجاء ونجاسة الناس على العامي ، وكان الناس يزدادون بكلامه جرأة ويقفوا الله وبرحمته وثوقاً يزيد بسببه رجائهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فاتهم إلى الحوف أحوج وإنما العدل تعديل الحوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لحقت أن أكون أنا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شامعاً من الناس في ثيابه وهيبته كثير الأسماء والأشعار والحركات وقد حضرت مجلسه النساء فهذا منكر يجب للتع منه فإن الفساد فيه أكثر من الإصلاح وينبغي ذلك منه برأى أحواله

لو منى على الماء
والهواء لا يفسد ذلك
حتى يؤدي حق التتوي
والزهد فأما من تتوى
بخيال أوقع بمحال ولم
يحكم أساس خلوته
بالاخلاص يدخل
الحلوة بالزور ويدخل
بالرور فيرفض
العبادات ويستحقها
ويسلبه الله تعالى
لذة للعامة وتنهب
عن قلبه هبة
الثريمة ويضع في
الدنيا والآخرة فليعلم
الصادق أن القصور
من الحلوة التقرب إلى
الله تعالى بسبابة
الأدلة وكشف الجوارح
عن للسكروهات
فيصلح قوم من
أرباب الحلوة إدامه
الأوراد وتورمها على
الأوقات ويصلح قوم
ملازمة ذكر واحد

بل لا ينبغي أن يسلم الوطء إلا لمن ظاهره الورع وهيبته السكينة والوقار وزيه زى الصالحين وإلا فلا يزداد الناس به إلا تماديا في الضلال ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن ذلك أيضا مظنة الفساد والعداوت تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور الساجد للصلاوات ومجالس الذكر إذا خيفت الفتنة بين قد منتهن عائشة رضي الله عنها قبل لها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمون من الجاهات قالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثن بيده لمعن (١) وأما اجتياز المرأة في السجدة مسترة فلا تمنع منه إلا أن الأولى أن لا تستخذل للسجد مجازا أصلا وقراءة القرآن بين يدي الوعاط مع التقديد والألحان على وجه ينبري نظم القرآن ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف . ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة والتعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم القرآن وإنشادهم الأشعار وما يجري مجراه فهذه الأشياء منها ما هو محرم لكونه تلبسا وكذا كالكدابين من طريقة الأطباء وكأهل الشعبة والتبليسات وكذا أبواب التعويذات في الأغلب توصلون إلى يمينها بتبليسات على الصبيان والسوداء فهذا حرام في السجد وخارج السجد ويجب اللع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس وإخفاء عيب على المشتري فهو حرام . ومنها ما هو مباح خارج السجد كالحياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة فهذا في السجد أيضا لا يحرم إلا بمرض وهو أن يضيق الحبل على الصلين ويشوش عليهم صلاتهم فإن لم يكن شيء من ذلك فليس بحرام والأولى تركه ولكن شرط بإباحته أن يجري في أوقات نادرة وأيام ممدودة فإن أخذ السجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن الباحات ما يباح بشرط القلة فإن كثر صار صغيرة كما أن من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار فإن كان القليل من هذا لوقع بابه لحيف منه أن ينجر إلى الكبير فلينع منه ولكن هذا التبع إلى الوالي أو إلى القيم بمصالح السجد من قبل الوالي لأنه لا يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للأحد اللع ما هو مباح في نفسه لحوفه أن ذلك يكثر . ومنها دخول المجانين والصبيان والسكران في السجد ولا بأس بدخول الصبي للسجد إذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب في السجد ولا الكسوت على لبعه إلا إذا أخذ السجد ملعبا وصار ذلك متعادا فيجب اللع منه فهذا مما عمل قلة دون كثير ، ودليل حل قلبه ما روي في الصحيحين « أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضي الله عنها حتى نظرت إلى الحبيشة يزفون ويلعبون بالدق والحراب يوم العيد في السجد » ولا شك في أن الحبيشة لو أخذوا السجد ملعبا لمنعوا منه ولم ير ذلك على التدرية والقلعة منكر حتى نظر إليه بل أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتصرم عائشة تطيبا لقلبها إذ قال « دونكم يا بني أرفدة » كما نقلناه في كتاب السجاء . وأما المجانين فلا بأس بدخولهم السجد إلا أن يغشى ثوبهم له أو شتمهم أو تظلمهم بما هو لغش أو تماطبهم لما هو منكر في صورته ككشف العورة وغيره . وأما المجنون الهادي الساكن الذي قد علم بالعادة سكنه وسكوته فلا يجب إخراجه من السجد والسكران في معنى المجنون فإن خيف منه التقذاف أغنى النبي ﷺ والألباء باللسان وجب إخراجه وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه فوج فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا ومن أكل الثوم والبصل (٢) فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور الساجد ولكن يجعل ذلك على الكراهة والأمر في الحرأشد . فإن قال قائل ينبغي أن يضرب السكران ويخرج من السجد زجرا . قلنا لا ، بل ينبغي أن يلزمه القعود في السجد ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا

ويصلح قوم دوام لمرافقة وصلح قوم الانتقال من الذكر إلى الأوراد وقوم الانتقال من الأوراد إلى الذكر ومعرفة مقادير ذلك يصلح للصالحين والشيخ للطعام على اختلاف الأوضاع وتنوعها مع نفسه للأمة وشفتته على الكافة يريد المراد أنه لا نفسه غير مبتلى بسوى نفسه مما لا يستتبع ومن كان مما لا يستتبع في نفسه مثل هذا أكثر مما يصلح .

الباب الثامن

والشؤون في كيفية الدخول في الأربعينية روى أن داود عليه السلام ابتلى بالحبيشة خرقه ساجدا أربعين يوما ولبية حتى أتاه

(١) حديث عائشة لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثن أي النساء من بعده لمعن الساجد مثق عليه (٢) هذا الحديث لم يخرج العراقي وود خرجه الشارح عن البخاري ومسلم وغيرهما .

فأما ضربه للجزر فليس ذلك إلى الأحاد بل هو إلى الولاة وذلك عند إقراره أو شهادته شاهدين فأما لجرد الرائحة فلا ، نعم إذا كان يتنى بين الناس متايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعاه عن إظهار أثر السكر فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة والمضى يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فإن كان مستترا محجيا لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه والرائحة قد تنفوح من غير شرب بالجلوس في موضع المحر وبوصوله إلى الفم دون الابتلاع فلا ينبغي أن يبول عليه .

(منكرات الأسواق)

من المنكرات المعتادة في الأسواق الكذب في الرابحة وإخفاء السيب فمن قال اشترت هذه السلعة مثلا بشرة وأرجع فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق وعلى من عرف ذلك أن يخبر للفتى بكذبه فإن سكنت مراعاة لهاب البائع كان شركا له في الحيانة وعصى بسكوته وكذا إذا علم به عيا فيلزمه أن يئنه الشترى عليه وإلا كان راضيا بضياع مال أخيه للسل وهو حرام وكذا التفاوت في الدراع والكيال واللبزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو روضه إلى الوالى حتى يغيره . ومنها ترك الإعجاب والقبول والاكتفاء بالملعطة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود وكذا في الرقيات كلها وهى غالبة وكذا سائر التصرفات الفاسدة . ومنها بيع للالهى وبيع أشكال الحيوانات الصورة في أيام العيد لأجل الصبيان فذلك يجب كسرها والتع من بيعها كاللاهى وكذلك بيع الأواني المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلاس الذهب والحرير أعنى التي لا تصالح إلا للرجال أو بملء بمادة البلد أنها يلبسه إلا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يتاد بيع الثياب للبتلة للتصورة التي يلبس على الناس بفصارتها وابتذالها وبزعم أنها جديدة فهذا الفعل حرام والتع منه واجب وكذلك تلبس اغراق الثياب بالرفو وما يؤدي إلى الاتباس وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبس وذلك بطول إحصاءه . فليس بما ذكرناه ما لم نذكره .

(منكرات الشوارع)

فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات وبناء الدكاك التصلة بالأنية الملوكة وغرس الأشجار وإخراج الرواشن والأجنحة ووضع الحشب وأعمال الجبوب والأطعمة على الطرق فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضيق الطرق واستضرار المارة وإن لم يؤدي إلى ضرر أصلا لسهة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب وأعمال الأطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل إلى البيوت فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه الكافة ولا يمكن التمتع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب التمتع منه إلا بقدر الحاجة والرعى هو الحاجة التي تراد الشوارع لأجلها في العادة النفعة وليس لأحد أن يخص بها إلا بقدر الحاجة والرعى هو الحاجة التي تراد الشوارع لأجلها في العادة دون سائر الحاجات . ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يعرق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدها وضما بحيث لا تمرق أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع وإلا فلا منع إذ حاجة أهل البلد إلى ذلك نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدرة النقل ، وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه . وكذلك ذبح العصاب إذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت ويولوث الطريق بالنم فإنه منكر يمنع منه بل حقه أن يخذل في مكانه مذبحا فإن في ذلك تضيقا بالطريق وإضراراً بالناس بسبب ترشيش النجاسة وبسبب استنفاد الطباع للقاذورات وكذلك طرح القمامة

الغفران من ربه وقد
تقرر أن الوحدة
والعزلة ملاك الأمر
ومتسك أرباب
الصدق فمن استمرت
أوقاته على ذلك فجميع
عمره خلوة وهو الأسلم
لدينه فإن لم يتيسره
ذلك وكان مشغلا
بنفسه أولا ثم بالأهل
والأولاد ثانيا فليجل
لنفسه من ذلك نصيا .
قل عن سفيان
الثوري فيأروى أحمد
ابن حرب عن خالد بن
زيد عنه أنه قال كان
يقال ما أخلص عبدا
أربعين صباحا إلا أنبت
الله سبحانه الحكمة
في قلبه وزهده الله
في الدنيا ورغبه
في الآخرة وبصره داء
الدنيا ودواءها فاتهتاهد
العبد نفسه في كل سنة

على جواد الطريق وتبدد شعور البطيخ . أورش الماء بحيث يحشى منه التزاق والتشركل ذلك من المنكرات وكذلك إرسال الماء من البلايب المخرجة من الحائط في الطريق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب أو يضيئ الطريق فلا يمنع منه في الطرق الواسعة إذ المعدول عنه يمكن فأما ترك مياه المطر والأحوال والتلويح في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يخصص به شخص معين إلا التلج الذي يخص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق . وإن كان من المطر فذلك حصة عامة على الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للأشخاص إلا الوعظ فقط وكذلك إذا كان له كعب عقور على باب داره يؤدي الناس فيجب منه منه وإن كان لا يؤدي إلا بتجسس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وإن كان يضيئ الطريق بيسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من أن ينال على الطريق أو يقعد مقودا يضيئ الطريق فكله أولى بالمنع .

(منكرات الحمامات)

منها الصور التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر فان كان الموضع مرتعلا اتصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير جائزة وبكعبه أن يشوه وجهها ويطل به صورتها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان . ومنها كشف العورات والنظر إليها ومن حملتها كشف الدلائل عن النقذ وماتحت السرة لتتجلى الوسخ بل من حملتها ادخال اليد تحت الإزار فان مس عورة الغير حرام كالنظر إليها . ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلائل لتعبر الأفضاد والأعجاز فهذا مكروه إن كان مع حائل ولكن لا يكون محظورا إذ لم يحش من حركة الشهوة وكذلك كشف العورة للحجامة السمن من القواش فان المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنها للشفية في الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات للرجال . ومنها غسل اليد والأواني النجسة في المياه القليلة وغسل الإزار والطاس النجس في الحوض وماء قليل فانه منجس للماء إلا على مذهب مالك فلا يجوز الإنكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الاتماس والعلف وهو أن: وله أن يحتاج أن نسل اليد أولا ثم تقمسها في الماء . وأما أنت فمستثنى عن هذا وتغويت الطهارة على وما يجري مجرى هذا فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر . ومنها أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملساء مزققة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قله وإزالته وبشكل الحمامي إهماله فانه يفضي إلى السقطة وقد تؤدي السقطة إلى انكسار عضو أو إخلاله وكذلك ترك الصدر والصابون الزلق على أرض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يشعر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي إذ حقه تنظيف الحمام والوجه لإجباب الضمان على تاركه في اليوم الأول وعلى الحمامي في اليوم الثاني إعادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة الرجوع في مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها وفي الحمام أمور آخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فانتظر هناك .

(منكرات الضيافة)

فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في محمرة فضة أو ذهب أو الشراب أو استعمال ماء اللورد في أواني الفضة أو ما رؤوسها من فضة . ومنها إسدال الستور وعليها الصور . ومنها صماع الأوتار أو صماع القينات . ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان في الرجال

مرة وأما التريد الطالب إذا أراد أن يدخل الحولة فأكل الأمر في ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج كل ما يملكه ويقتل غسلا كاملا بعد الاحتياط للثوب وللصلى بالنظافة والطهارة وصلى الركعتين ويثوب إلى الله تعالى من ذنوبه يكاء وتضرع واستسكان وتحنن ويسوى بين السريرة العلانية ولا يتطوى على غل وغش وحقد وحسد وخيانة ثم يقدم في موضع خلوته ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجمعة فترك المحافظة على صلاة الجمعة غلط وخطأ فان وجد تفرقة في خروجه يكون له شخص يصل معه جماعة

شباب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن هجز عن تغييره أئمه الخرج ومن لم يهجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات وأما الصور التي على الخارقي والزراعي القروضة فليس منكرًا وكذلك على الأطباق والقصاص لا الأواني المتخذة على شكل الصور فقد تكون رؤوس بعض الجاهل على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المسكحة الصغيرة من الفضة خلاف وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراماً أو كان للوضع منصوباً أو كانت الشباب القروضة حراماً فهو من أشد المنكرات فإن كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور إلا لجل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الناس في حالة مباشرة للفسق وإنما النظر في مجالسته بعد ذلك وأنه هل يجب بنفسه في الله ومقاتلته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله وكذلك إن كان فيه من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فإن كان التوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزع عنه إن كان ممزراً لعموم قوله عليه السلام «هذان حرام على ذكور أمتي»^(١) وكما يجب منع الصبي من شراب الخمر لا لكونه مكلفاً ولكن لأنه يأنس به فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة الزين بالحرير تنب عليه إذا اعتاده فيكون ذلك بذراً للفساد يندر في صدره فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يسر قلها بعد البلوغ أما الصبي الذي لا يميز فيصنف معنى التحريم في حقّه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله فيه والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز نعم محل الزين بالذهب والحرير لقضاء من غير إسراف ولا يرى رخصة في تنقيب أذن الصبية لأجل تعليق حلق الذهب فيها فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز إلا الحاجة مهمة كالمقصود والحجامة والحلتان والزين بالخلق غير مهم بل في التفریط تعليقه على الأذن وفي الخاتق والأمورة كفاية عنه فهذا وإن كان معتاداً فهو حرام ولتنتج منه واجب الاستئجار عليه غير صحيح والأجرة للأخوة عليه حرام إلا أن يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يلقنا إلى الآن فيه رخصة . ومنها أن يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فإن كان لا يقدر عليه لم يهجز فإن كان لا يتبع لا يتكلم بدعته فيجوز الحضور مع إظهار السكراة عليه والإعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وإن كان فيها مضحك بالكمات وأنواع النوادر فإن كان مضحك بالفحش والكذب لم يهجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار عليه وإن كان ذلك مزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح أغنى ما قبله من فاما اتخاذ منعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يغني أنه كذب ولا يخصصه التلبس فليس من جهة المنكرات كقول الإنسان مثلاً طيبك اليوم مائة مرة وأعدت عليك الكلام ألف مرة وما يجري مجراه مما يعلم أنه ليس بقصده التحقيق فذلك لا ينجس في العدالة ولانتر الشهادة به وسياق حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربيع المهلكات . ومنها الإسراف في الطعام والبناء فهو منكر بل في المال منكران : أحدهما الإسراف في الآخر . الإسراف في الإسراف فإلا ضاعة نفويت مال بلا فائدة يعتد بها كإحراق التوب وتزويجه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال إلى الناحية والمطرب وفي أنواع الفساد لأنها فوائد محرمة شرعاً فصارت كالمدومة وأما الإسراف فقد يطلق لإرادة صرف المال إلى الناحية والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف إلى الباحات في نفسها ولكن مع البائلة والمبائلة تختلف بالإضافة إلى الأحوال فتقول لمن لم يملك إلا مائة دينار مثلاً معه عاله وأولاده

(١) حديث هذان حرامان على ذكور أمتي أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي وقد تقدم في الباب الرابع من آداب الأكل .

في خلوة ولا ينبغي أن يرضى بالصلاة منفرداً ألبتة فترك الجماعة يغني عنه آفات وقد رأينا من يتشوش عنه في خلوة ولعل ذلك بشؤم إصراره على ترك صلاة الجماعة غير أنه ينبغي أن يخرج من خلوته لصلاة الجماعة وهو ذكر لا يفتقر عن الذكر ولا يكثر إرسال الطرف إلى ما يرى ولا يصني إلى ما يسمع لأن القسوة الحافظة وللتنبيه كلوج ينتفش بكل مرئ ومسموع فيكره ذلك الوسواس وحديث النفس والخيال ويجهتد أن يحضر الجماعة بحيث يدرك مع الإمام تكبيرة الاحرام فأفاضل الامام وانصرف يتصرف إلى خلوته متى في خروجه

ولا معيشة لهم سواء فاتفق الجميع في ولاية فهو مسرف يجب منعه منه ذل تعالى - ولا تبسطها كل البسط فتعقد ملوما محسورا - ذل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطوب بالنفقة فلم يقدر على شيء - وقال تعالى - ولا تبذر تبذرا إن للبذير كانوا إخوان الشياطين - وكذلك قال عز وجل - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا - فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي أن يحجر عليه إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل صادقة فله أن ينفق جميع ماله في أبواب البر ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله إلى قشور حيطانه وتزين بيانه فهو أيضا إسراف محرم وفضل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لأن التزين من الأغراض الصحيحة ولم تزل الساجد تزين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن قش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة فكذلك الدور وكذلك القول في التجميل بالثياب والأطعمة كذلك مباح في جنسه وبصير إسرافا باعتبار حال الرجل وروته وأمثال هذه التكررات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه التكررات الجماع ومجالس القضاء ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تغلوا بجمعة عن منكر مكروه أو محذور . واستقصاء جميع التكررات يستدعى استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها.

(التكررات العامة)

اعلم أن كل قاعد في بيته أينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التفاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبادي ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أستاذ الخلق وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد قه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل قه فرغ من فرض عينه ونفرض لفرض الكفاية أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستجيب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرها ممتصوب فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلا أعم الحرج الكفاية أجمعين أما العالم فالتقصير في الخروج وأما الجاهل فالتقصير في ترك التعلم وكل عاى عرف شروط الصلاة فعليه أن يرف غيره وإلا فهو شريك في الإثم ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالما بالشرع وإنما يجب التبليغ على أهل العلم فكل من تعلم مشكلة واحدة فهو من أهل العلم به ولو لم يدرى الإثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بصانعتهم أليق ، لأن المفتين لو تركوا حرقهم بطلت العايش فهم قد شهدوا أمرا لا بد منه في صلاح الخلق وشأن القه وحرفته تبليغ ما بقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن العلماء هم ورثة الأنبياء وليس للإنسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذا كل من يتيقن أن في السوق منسكرا يجرى على الدوام أوفى وقت بيته وهو قادر على تغييره فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالعمود في البيت بل يلزمه الخروج فإن كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البس لزمه الخروج لأن حروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير عزم صحيح لحق على كل مسلم أن يبدئ نفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك أهل بيته ثم يتدعى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ثم إلى أهل محله ثم إلى أهل بلده ثم إلى أهل السواد المكتشف يبلده ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم وهكذا إلى أقصى العالم فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد وإلا حرج به على كل قادر عليه قريبا

استعلاء نظر الخلق إليه وعلمهم بجلوسه في خلوته فقد قيل لا تطعم في المرة عند الله وأنت تريد للمرة عند الناس وهذا أصل يتسد به كثير من الأعمال إذا أهمل وينصلح به كثير من الأحوال إذا اعتبر ويكون في خلوته جاهلا وقته شيئا واحدا موهوبا فبإدامة فعل الرضا بما لا يؤذ ذكرا أو صلاته أو مراقبة وأى وقت فتر عن هذه الأقسام ينال فإن أراد تعيين أعداد من الركعات ومن التلاوة والذكر أتى بذلك شيئا فشيئا وإن أراد أن يكون بحكم الوقت يستمد أخف ما على قلبه من هذه الأقسام فإذا فرغ عن ذلك ينال وإن

كان أم يهدا ولا يسقط الخراج مالم يبق على وجه الأرض جلعن بغرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسمى إليه بنفسه أو بغيره فيعطه فرضه وهذا شغل شغل لمن همه أمر دينه يشغله عن تجرئة الأوقات في التفرجات النادرة والانساق في دقائق الصلوات التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه .

(الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين بالمرءوف ونهيهم عن المنكر)

قد ذكرنا درجات الأمر بالمرءوف وأن أوله الترضي وتأييده الوعظ وتأييده التخصيص في القول والبراهين التبع بالتهر في الحل على الحق بالفرب والقوية والجائر من جملة ذلك مع السلاطين الرتبان الأوليان وهما التبريف والوعظ وأما التبع بالتهر فليس ذلك لأحد الرعية مع السلطان لأن ذلك بحركة الفتنة ويهيج الشر ويكون مايتوهم منه من المخذور أكثر ، وأما التخصيص في القول كقولته : يا ظالمين لا تخاف الله وما يجرى مجراه فذلك إن كان بحركة فتنة يتصير شرها إلى غيره لم يجر وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه فقد كان من عادتنا السلف التبرع بالأخطار والتصرع بالانكار من غير مبالاة بولاك للهجة والتعرض لأنواع الذناب لعلهم بأن ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل ظلم إلى إمام فأمره مناه في ذات أفعاله فقتله على ذلك (١) » وقال عليه السلام : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر (٢) » ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : « قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وترك قوله الحق ماله من صديق (٣) » ولما علم الصليوني في الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كالورثة بالأخبار قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الملائكة وعلمين أنواع المناب وصاربن عليه في ذلك الله تعالى ومحتسبين لما ينلونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمرءوف ونهيهم عن المنكر ماثل علماء السلف . وقد أوردنا جملة ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام وتقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم . فها ماروي من إنكار آل بكر الصديق رضي الله عنه على أكبر قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء ، وذلك ماروي عن عروة رضي الله عنه قال : « قلت لمحمد بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبا كانت تظهر من عدائهم فقال حصرهم وقد اجتمع أشرفهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل منه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وقرق جماعتنا وسب أئمتنا وقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فينيهام في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مرهم طائفا بالبيت فها مر بهم غمزوه ببعض القول

(الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين بالمرءوف ونهيهم عن المنكر)

(١) حديث غير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل ظلم إلى رجل فأمره مناه في ذات أفعاله فقتله على ذلك الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم في الباب قبله (٢) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر تقدم (٣) حديث وصفه صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بأنه قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم تركه الحق ماله من صديق الترمذي بسند ضعيف مقتصر على آخر الحديث من حديث على رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق وأما أول الحديث فرواه الطبراني إن عمر قال لكعب الأخبار كيف تجد نقي ، قال أجدهنك قرنا من حديد قال وما قرن من حديد قال أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم .

قال ففرت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ففرت ذلك في وجهه عليه السلام ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال أنسمعون يا مشرك قريش : أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالدين قال فأتى طريق القوم حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى إن أشدهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه يقول انصرف يا أبا القاسم راهدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من القد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكركم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بدأكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا أنت الذي تقول كذا لما كان قد بلغهم من عيب آلهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك قال فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بجماع رداءه قال وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يسكن ويلسك أنتن رجلا أن يقول رب الله قال ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأعد ما رأيت قريشا بلغت منه ^(١) وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغناء الكعبة إذ أقبل عتبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فغفقه خفا هديدا فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أنتن رجلا أن يقول رب الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ^(٢) » وروى أن معاوية رضي الله عنه حين العطاء قام إليه أبو مسلم الخولاني فقال له يا معاوية إنه ليس من كدك ولا من كد أيك ولا من كدامك قال فغضب معاوية وزل عن الثبر وقال لهم مكانكم ، وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال إن أباسم كلني بكلام أغضبني وإلى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل ^(٣) » وفي دخلت فاعتسلت وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدتي ولا من كد أبي فلهوا إلى عطائكم . وروى عن حبة بن حصن المزني قال كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشأ يدعو لعمري رضي الله عنه قال فخطبني ذلك منه فقلت له أين أنت من صاحبه فضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول إن حبة بن حصن المزني يمرضني في خطبتي فكتب إليه عمر أن أخصمه إلى قال فأشخصني إليه فقدمت فغضبت عليه الباب فخرج إلى قال من أنت قلت أنا حبة فقال لي لا مرجأ ولا أهلا قلت أما للرجب فمن الله وأما الأهل فلا أهلا لي ولا مال فبذا استحللت يا عمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيتهم فقال ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الآن أخبرك به إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فخطبني ذلك منه فقلت له أين أنت من صاحبه فضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب إليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه بابا وهو يقول أنت والله أوفق منه وأرشد فهل أنت ظافر لي دهن يغر الله لك قال قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين قال

والخولة فالأولى أن يتخنع بالحزب واللع ويتناول كل ليقترطلا واحدا بالبداعي يتناول بهند المشاء الآخرة وإن قسمه نمنسين يأكل أول الليل نصف رطل وآخر الليل نصف رطل فيكون ذلك أخف للمعدة وأعون على قيام الليل وإحيائه بالسكر والصلاة وإن أراد تأخير فطوره إلى السحر فليعمل وإن لم يصبر على ترك الآدام يتناول الآدام وإن كان الإدام شيئا يقوم مقام الحزب ينقص من الحزب بقدر ذلك وإن أراد التقليل من هذا القدر أيضا ينقص كل ليلة دون الفضة بحيث يتيسر لله في العشر الأخير من الأربعين

(١) حديث عروة قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته الحديث بطوله البخاري مختصرا وابن حبان بإسناده (٢) حديث عبد الله بن عمرو بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغناء الكعبة إذ أقبل عتبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه البخاري (٣) حديث معاوية التغيب من الشيطان الحديث وفي أوله قصة أبو نعيم في الحلية وفيه من لا أعرفه .

ثم اندفع باكياً وهو يقول والله ليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر. وآل عمر فعل لك أن أحدثك بليته ويومه قلت نعم قال أما ليلة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من الشركين خرج ليلا فنبهه أبو بكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من أهلك قال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا أتجن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليته على أطراف أصابعه حتى خفيت ظفرا رأى أبو بكر أنها قد خفيت حملها على عاتقه وجعل يشتبه حتى أتى فم النار فأخذه ، ثم قال والذى بئتك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزلني قبلك قال فدخل فلم يره عينا فعمله فأدخله وكان في النار خرق فيه حبات وأفاع فألقه أبو بكر فقدمه محافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجلسن يضربن أبا بكر في قدميه وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم ما يجد ورسول الله ﷺ يقول يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبي بكر فهداه ليلته ، وأما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نعل ولا تركي فأنبته لا آلوه نسجاً قتلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم فقال لي أجياب في الجاهلية خوار في الإسلام فإذا أتاهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوآله لومنون عقلا كانوا يسطون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فسكران والله رشيد الأمر فهذا يومه ثم كتب إلى أبي موسى بلومه ^(١) . وعن الأصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بكعة في وقت حجة في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقصد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يأمر المؤمنين اتقى الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهدوا بالعصاة واتقوا الله في أولاد المهاجرين والأنصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتقوا الله في أهل التور فاتهم حسن السلفين وتفقد أمور السلفين فانك وحدك السؤل عنهم واتقوا الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له أجل أفضل ثم نهض وقام قبض عليه عبد الملك قال يا أبا محمد إنعاساً لنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتنا أنت ؟ فقال مالي إلى مخلوق حاجة ثم يخرج فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف . وقد روى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوماً وقف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله على ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة فربه عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ أدخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فنادانا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له ويلك أمرتك أن تدخلني إلى رجل يحدثني ويسامرنى فأدخلتني إلى رجل لم يرش أن يسمى بالاسم الذي اختاره لي الله فقال له حاجبه ما مر بي

(١) حدث ضبة بن محسن كان علينا أبو موسى الأشعري أميراً بالبصرة وفيه عن عمر أنه قال والله ليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فعل لك أن أحدثك بليته ويومه وليلته فذكر ليلة الهجرة ويوم الرد بطوله رواه البيهقي في دلائل النبوة بإسناد ضعيف هكذا وقصة الهجرة رواها البخاري من حديث عائشة بنير هذا السياق واتفق عليها الشيخان من حديث أبي بكر بلفظ آخر ولهما من حديث قال قلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وأما قتاله لأهل الردة ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكثر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف تغافل الناس الحديث.

إلى نصف رطل وإن قوى قسح النفس بنصف رطل من أول الأربعين وتسع يسيرا كل ليلة بالتدريج حتى يمد فطوره إلى ريع رطل في العشر الأخير . وقد اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء : قلة الطعام وقلة النوم وقلة الكلام والاعتزال عن الناس وقد جعل للجوع وقتان : أحدهما آخر الأربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكلة واحدة يجعلها بعد المشاء الأخيرة أو يقسمها أكتنين كما ذكرنا والوقت الآخر على رأس اثنتين وسبعين ساعة فيكون على

أحد غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم أقبل عليه بعدته فكان في حديثه عطاء أن قال له بلغنا أن في جهنم واديا يقال له هيب أعده الله لكل إمام جائر في حكمه ضيق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فوق على قفاه إلى جوف المجلس منبها عليه فقال عمر لعطاء قلت أمير المؤمنين قبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز قدزعه غمرة شديدة وقاله يا عمر إن الأمر جد صعب ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال مكثت سنة أجد ألم غمرته في ذراعي . وكان ابن أبي حميلة يوصف بالفعل والأدب فدخل على عبد الله بن مروان فقال له عبد الله تكلم قال هم أنكم وقد علمت أن كل كلام تكلم به التكلم عليه وبال . إلا ما كان فيه فيك عبد الله ثم قال يرحمك الله لم يزل الناس يتواغظون ويتواصون قال الرجل يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا يتبينون من خصص مرارثها ومباينة الردي فيها إلا من أَرْضَى الله بسخط نفسه فيك عبد الله ثم قال لا جرم لأجل هذه الكلمات مثالا نصيب عني ما عشت ، ويروى عن ابن عائشة أن الحاج دعا فقها بالبصرة وقها السكوة فدخلا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل قال الحاج مرحبا بيا سيدا إلى . إلى ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فعد عليه ففعل الحاج هذا كرتا ويسألنا إذ ذكر على بن أبي طالب رضي الله عنه فقال منه وثنا منه مقاربة له وفرقا من ثبته والحسن ساكت عاض على إبهامه فقال يا أبا سعيد مالي أترك ساكتا قال ما عيسيت أن أقول قال أخبرني برأيك في أي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول - وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الدين هدى الله وما كان الله ليضيق بإيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم - فعلى من هدى الله من أهل الإيمان فأقول إن نعم التي عليه السلام وخنته على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سابق مباركة تسبقته من الله أن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحضرها عليه ولا يحول بينه وبينها وأقول إن كانت لى هنة فله حسبه والله ما جأ فيه فولا أعدل من هذا فسر وجه الحاج وتغير وقام عن السر رمضا فدخل بيتا خلفه وخربنا . قال عامر التميمي فأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أنضبت الأمير وأوغرت صدره فقال إليك عني يا عامر يقول الناس عامر التميمي عالم أهل السكوة أنتيت شيطانا من شياطين الإنس تكلم بهواه وتقاربه في رأيه وبحك يا عامر هلا انقبت إن مثلت فصدعت أو مكنت فقلت قال عامر يا أبا سعيد قد قلنا وأنا أعلم ما فيها قال الحسن فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة قال وبشت الحاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذي تقول فأنتم الله فتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما أخذ الله على السماء من الواثق - لبيئته للناس ولا يكتبونه - قال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يلقى عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك . وحكى أن حطيطا الزيات جرى به إلى الحاج فلما دخل عليه قال أنت حطيط قال نعم قال سل عما بدا لك فاني عاهدت الله عند اللقاع على ثلاث خصال إن سللت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوفيت لأشكرن قال فأتوا قال فأتوا قال فأتوا إنك من أعداء الله في الأرض تنتهم الحارم وتختل بالظنة قال فأتوا قال فأتوا قال فأتوا قال فأتوا إنك من أعداء أعظم جرم منك وإنما أنت خطيئة من خطايا قال فقال الحاج ضموا عليه العذاب قال فأتوا به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم حمله على لجه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبه قصبه حتى استحووا لجه فاهيموه يقول شينا قال فقيل للحجاج إنه في آخر رمق فقال أخرجوه فارسوا به في السوق قال جعفر فأتيت أنا وصاحب له فقلنا له حطيط أفك حاجة قال شربة ماء فأتوه بشربة ثم مات وكان ابن عثمان عشرة سنة رحمة الله عليه . وروى أن عمر بن هبيرة دعا فقها أهل البصرة وأهل السكوة وأهل

لبنين والانتظار في الآية الثالثة ويكون لكل يوم ولية ثلث رطل وبن هذين الوقتين وقت وهو أن يفطر من كل للبنين ليل ويكون لكل يوم ولية نصف رطل وهذا ينبغي أن يفطر إذا لم ينتج ذلك عليه سامة وضئرا وقت الشراح في الذكر وللحاملة فإذا وجد شيئا منه ذلك فليفطر كل ليلة وبأكل الرطل في الوقتين أو الوقت الواحد فالفسي إذا أخذت بالانتظار من كل للبنين ليل ثم ردت إلى الانتظار كل ليلة تنفع وإن سومت بالانتظار كل ليلة لا تنفع بالرطل وتطلب الآدم والشهوات وقس على هذا فهي إن أطعمت

الدنية وأهل الشام وقرأها قبل سألهم وجعل يكلمهم عامر الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علما ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال ها هذان هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا عمرو إني أمين أمير المؤمنين على العراق وعابله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالريعة وضمني حقهم فأنا أحب حفظهم وتهدد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يملكون عن الصابة من أهل الديار الأمراء عليهم فيه فأقبض طائفة من عطائهم فأضمر في بيت المال ومن نيتي أن أردعه عليهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا أردعه فلا أستطيع رد أمره ولا إيفاد كتابه وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة فقول لي في هذا تبعه وفي أشيعه من الأمور والتيغ فيها لي ماذكرت قال الشعبي : قلت لأصح الله الأمير إنما السلطان والديني وصيب قال فسر بقولي وأهبط به ورأيت البصري في وجهه وقال فقه الحديث ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعابله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالريعة وضمني حقهم والنصيحة لهم والتهدد لما يصلحهم وحق الريعة لازم لك وحق عليك أن تحوهم بالنصيحة وإلى سمعت عبد الرحمن بن مرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة (١) ويقول إني ربما قبضت من عطائهم إرادة صلاحهم ولصالحهم وأن رجسوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا أردعه فلا أستطيع رد أمره ولا إيفاد كتابه وحق الله أكرم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ولا طاعة لخلق في عصية الخالق فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفا لكتاب الله فابذه يا ابن هيرة اتق الله فانه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيدك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودينك خلف ظهرك وتهدم على ربك وتزل على عمك يا ابن هيرة إن الله يجتلك من زيد وإن يزيد لا يمنعك من الله وإن أمر الله فوق كل أمر وإنه لإطاعة في عصية الله وإني أحذرك بأسمه الذي لا يرد عن القوم المهجرين ، قال ابن هيرة إربح على ظلمك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وإنما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة لعله به وما يحله من فضله وتنبه فقال الحسن يا ابن هيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هيرة إنك أن تلقى من يبيع لك في دينك وعملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يفرق وبينك وقام ابن هيرة وقد يسر وجهه وتغير لونه وقال الشعبي قلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال إليك غنى يا عمر قال فخرجت إلى الحسن التحف والظرف وكانت له للزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى إليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا لما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء لإماتل القوس العربي بين القاروف ومانهنا مشهدا إلا برز علينا وقال لله عز وجل وقتلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحياه . ودخل محمد بن واسع على بلال بن أبي بردة فقال له ما تقول في القدر ؟ فقال جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم

(١) حديث الحسن عن عبد الرحمن بن مرة من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة رواه البغوي في معجم الصحابة بإسناد ابن وقد اتفق عليه الشيخان بنحوه من رواية الحسن عن معقل بن يسار .

طمنت وإن أتممت
قمت . وقد كان بعضهم
ينقص كل ليلة حق
النفس إلى أهل قوتها
ومن الصالحين من
كان يمر القوت بنوي
التمر وينقص كل ليلة
نواة ومنهم من كان
يسير بعود رطب
وينقص كل ليلة بقدر
نشاف العود . ومنهم
من كان ينقص كل
ليلة ربع سبع الرغبة في
حق يفي الرغبة في
شهر ومنهم من كان
يؤخر الأكل ولا يعمل
في هليل القوت ولكن
يعمل في تأخير
بالدرج حتى تدرج
ليلة في ليلة وقد فعل
ذلك طائفة حتى انتهى
طهم إلى سبعة أيام
وعشرة أيام وحصة
عشر يوما إلى الأربعين
وقد قيل لسهل بن

فإن فيهم شغلا عن القدر . وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني حمى محمد بن علي قال إني لحاضر
جلس أمير المؤمنين أبي جعفر للصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال
فأتى الغفاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين
سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد أنهم أهل تحطم
في أعراض الناس كثير والأذى لهم ، فقال أبو جعفر : قد سمعت فقال الغفاريون يا أمير المؤمنين سل عن
الحسن بن زيد فقال يا ابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد فقال أشهد عليه أنه يحكم بغير
الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح ، فقال يا أمير
المؤمنين أسأله عن ذلك فقال ما تقول في قال تعني يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله ألا أخبرني ذلك
تسألني بالله كأنك لا تحرف نفسك قال والله لتخبرني قال أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه
فجعله في غير أهله وأشهد أن الظلم يابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا
ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال له أما والله لو لآتي جالسي هنا لأخذت فارس والروم واليمن والترك
بهذا المكان منك قال فقال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذوا الحق وقبضوا
بالسوية وأخذوا بأفهام فارس والروم وأصفرا آتاهم قال ظل أبو جعفر قباه وخلق سييله وقال والله لولا
أني أعلم أنك صادق لقتلتك ، قال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين إني لأصحبك من ابنك للهدى
قال فلبث أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس التصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث
تقدسني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن سامني قولك له ابنك الهدى فقال ينفر الله لك يا أبا عبد الله
كلنا مهدي كلنا كان في للهدى . وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث إلى أبو جعفر المنصور
أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال
لي ما الذي أبغاك عنا يا أوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الأخذ عنكم
والاتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجعل شيئا مما أقول لك قال وكيف أجعله وأنا
أسألك عنه وفيه وجهك إليك وأفدتك له قال قلت أخاف أن تسمعني ثم لا تعمل به قال فصاح بي
الريص وأهوى يده إلى السيف فأنزله المنصور وقال هذا مجلس مشوبة لا مجلس عقوبة (١) فطابت
نفسى وانبطت في الكلام ، فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « إنما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فاتها نعمة من الله سقت إليه فإن
قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إنما يزداد الله بها سخطا عليه » (٢) يا أمير
المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله ﷺ « إنما وال مات غاشا لرعيته
حرم الله عليه الجنة » (٣) يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله إن الله هو الحق المبين إن الذي لئن
قلوب أمثلكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم

عبد الله هذا الذي
يأكل في كل أربعين
وأكثر أكلة ابن
يذهب له الجوع عنه
قال بطه النور . وقد
سألت بعض الصالحين
عن ذلك فذكر لي
كلما ببارة دلت على
أنه يجد فرحاً به بطنه
مع له الجوع وهذا
في الخلق واقع أن
الشخص يطرقة فرح
وقد كان جائعا فيذهب
عنه الجوع وهكذا في
طرق الخوف يقع ذلك
ومن فعل ذلك ودرج
نفسه في شيء من هذه
الأقسام التي ذكرناها
لا يؤثر ذلك في نقصان
عقله واضطراب جسمه
إذا سلك في حمية
الصدق والاخلاص
وإنما غنى في ذلك
وفي دوام الله كره على
من لا يخلص لله تعالى.

روى رجبا موصيا لهم بقية في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس خفيقي بك أن تقوم له فيهم بالحق وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولهم وراهم سائرا لاتملق عليك دونهم الأبواب ولا تقيم دونهم الحجاب لتنهج بالعمة عندهم وتبتسب بما أصابهم من سوء يأمر المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم وأسودهم ملههم وكافهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا أثبت منهم قائم وراء قائم وليس منهم أحد إلا هو ويشكو بلية أدخلها عليه أو ظلامة سبها إليه يأمر المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا (١) فكيف بمن شقق أشتارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلام عن بلادهم وغيرهم الخوف منه يأمر المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله لم يبتك جبارا ولا متكبيرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعرابي فقال أقتص مني فقال الأعرابي قد أحطلتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسي فدعاه غير (٢) يأمر المؤمنين رضى نفسك لنفسك وخذلها الأمان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها (٣) » يأمر المؤمنين إن التلك لوبق لمن فلك لم يصل إليك وكذا لا يبق لك كالم يبق لغيرك يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك - مال هذا الكتاب لا يادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - قال الصغيرة التيسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الأسنن يأمر المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لومات سخة على شاطئ القرا متبعة لحشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدك وهو على بساطك يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك - يادود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله - قال الله تعالى في الزبور : يادود إذا فعد الحصان بين يديك فكان لك في أحدها هوى فلا تمنين في نفسك أن يكون الحق له فيقلع على صاحبه فأعوك عن نبوتى ثم لا تكون خليفة ولا كرامة يادود إنما جعلت رسل إلى عبادي رعا كراما لا بل لهم بال رعاية ورقتهم بال سياسة ليحبروا الكسبر ويدلوا الهزل على الكلا والله . يأمر المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات

(١) حديث عروة بن رويم كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين الحديث ابن أبي الدنيا فيه وهو مرسل وعروة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين

(٢) حديث حبيب بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده الحديث ابن أبي الدنيا فيه ، وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتص من نفسه وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرة أنسب بن حضير ، فقال أوجعتي قال أقتص الحديث قال صحيح الاسناد (٣) حديث لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها ابن أبي الدنيا من رواية الأوزاعي معضلا مذكر استناده ورواه البخاري من حديث أنس بلفظ قريب .

وقد قيل حد الجوع أن لا يميز بين الحبيب وغيره مما يؤكل ومتى عيت النفس الحبز فليس بجائع وهذا المعنى قد يوجد في آخر الحديث بعد ثلاثة أيام وهذا جوع الصديقين وطلب الغناء عند ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام بفرامض العبودية ويكون هذا حجة الضرورة لمن لا يعتمد في التقليل بالتدريج فأما من درج نفسه في ذلك فقد صبر على أكثر من ذلك إلى الأربعين كما ذكرنا وقد قال بعضهم حد الجوع أن يبرق فاذا لم يقع القباب على رزاقه بدل هذا على خلو العدة من الدسومة وصفاء البزاق كالماء الذي لا يقصده القباب . روى أن سفيان

والأرض والجلال لأين أن عدله وأشفق منه يأمر المؤمنين حديثي زيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمار الأصبغ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقبلا قال له : ما منك من الخروج إلى حملك ؟ أما علمت أن قتل مثل أجرة الجاهل في سبيل الله قال لا ولا وكيف ذلك ؟ قال إنه ينبغي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من وال يلب شيئا من أمور الناس إلا أتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه لا يشكها إلا عدله فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر اقتضاعة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم ينادي فيساب فان كان حسنا نجا بإحسانه وإن كان سيئا أخرجه به ذلك الجسر فيجوي به على النار سبعين خرغا » (١) وقال له عمر رضي الله عنه من حمت هذا ؟ قال من أبي ذر وسلمان فأرسل إليهما فمرساهما فقتلنا من صناديد من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر فإمرأته من يتولاها بما فيها قال أبو ذر رضي الله عنه من سلت الله أخاه وأوصى خذ بالأرض ، قال فأخذ للتدليل فوضه على وجهه ثم بكى واتعجب حتى أبكى ثم قلت يأمر المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم إمارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا عباس يا عمر النبي قدس تحبها خير من إمارة لا تحبها (٢) نصيحة منه لهما وعقبة عليه وأخبره أنه لا ينبغي عنه من الله شيئا إذ أوحى الله إليهما أنذر عقبك الأقرين - قال : يا عباس وأوصية عبي التي وباطمة بنت محمد إنني لست أغنى عنكم من الله شيئا إن لي عمل ولكم حملك (٣) وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس إلا خفيف العقل أرب لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذه في الله لومة لائم . وقال الأمراء أربعة : فأمر قوي ظلف حقه وماله فذلك كالجاهل في سبيل الله يد الله بأسطة عليه بالرحمة ، وأمر في ضف ظلف حقه وأمر عاه لضعفه فهو على شفاهلاك إلا أن رحمه الله ، وأمر ظلف عاه وأمر عاه فذلك الحطمة الذي قاله في رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة الحطمة فهو المسالك وحده » (٤) وأمر أرمع حقه وماله فهلكوا جميعا وقد بلغني يأمر المؤمنين أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أتيتك حين أمر الله بتنازع النار فوضعت على النار تسر ليوم القيامة قال له جبرائيل صف لي النار قال إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فمضى سوداء مظلمة لا ينشأ جرمها ولا ينطق لها والقي بشك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن ثوبا من ثيابها صب في مياه الأرض جميعا لقتل من ذاقه

التوري وإبراهيم بن آدم رضي الله عنهما كانا بطولان ثلاثا وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بطوي هنا . وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بطوي سبعة أيام . واشهر حال جدنا محمد بن عبد الله للعروف بسوي رحمه الله وكان صاحب أحد الأسود الدبوري أنه كان بطوي أربعين يوما وأقصى ما بلغ في هذا المعنى من الطي رجل أدركنا زمانه وما رأته كان في أهر يقال له الزاهد خليفة كان يأكل في كل شهر لوزة ولم نسمع أنه بلغ في هذه الأمة أحسن بالطي والتدريج إلى هذا الحد وكان في أول أمره على ما حكى ينقص القوت

(١) حديث عبد الرحمن بن عمر أن عمر استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة الحديث وفيه مرفوعا ما من وال يلب شيئا من أمور الناس إلا أتى الله يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه الحديث ابن أبي الدنيا فيه من هذا الوجه ورواه الطبراني من رواية سويد بن عبد العزيز عن يسار بن أبي الحكم عن أبي وائل أن عمر استعمل بشر بن عاصم قد ذكر أخضر منه وأن بشرا صمه من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر في سلمان (٢) حديث يا عباس يا عمر النبي قدس تحبها خير من إمارة لا تحبها ابن أبي الدنيا هكذا مضلا بشر إسناد ورواه البيهقي من حديث جابر متصلا من رواية ابن التكرار مرسل وقال هذا هو المخطوط مرسل (٣) حديث يا عباس وياضية وباطمة لا أغنى عنكم من الله شيئا لي عمل ولكم حملك ابن أبي الدنيا هكذا مضلا دون إسناد ورواه البخاري من حديث أبي هريرة متصلا دون قوله لي عمل ولكم حملك (٤) حديث شر الرعاة الحطمة رواه مسلم من حديث عائذ ابن عمر الزني متصلا وهو عند ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي مضلا كما ذكره الصنف.

ولو أن ذراعاً من السلطة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعاً لذابت وما استقلت ولو أن رجلاً أدخل النار ثم أخرج منها لئات أهل الأرض من ثمن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكي التي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبكائه قال أتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً ولم يكف جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وجهه ؟ قال أخاف أن أبني بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منى من اتسكى على منزلي عند ربى فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبيكان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد آتسكنا أن نصيباً فيذبكما وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة (١) وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اللهم إن كنت تعلم أنى أبلى إذا قعد الحصان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تهلى طرفه عين يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى وإنه من طلب العز بطاعة الله رفضه الله وأعزه ومن طلبه بعبصية الله أهله الله ووضعه ، فهذه نصيحتي إليك والسلام عليك . ثم نهضت فقال لي إلى أين ؟ قلت إلى الوصل والوطن إذ أن أمير المؤمنين إن شاء قال قد أدت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله للوفى لغيري واليمين عليه وبه أمتين وعليه أتوكل وهو حسي ونم الوكيل فلا تخفى من مطالعتك إياي بمثل هذا فانك للقبول القول غير اللهم في النصيحة . قلت أفضل إن شاء الله . قال محمد بن مصعب : فأمره بجال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بمرض من الدنيا وعرفنا للتصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك . وعن ابن الماجر قال قدم أمير المؤمنين للتصور مكة شرفها الله حاجباً فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلى ولا يعلم به فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء للؤذون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فيصلى بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فينبأ هو يطوف إذ مع رجل عند اللززم وهو يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البنى والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع للتصور في مشيه حتى ملا مسامحه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأثابه الرسول وقاله أجب أمير المؤمنين فصل ركنين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له للتصور ماهذا الذي سمعتك تقول من ظهور البنى والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم فوالله لقد عشت مسامحي ما أمرضني وأقاني ؟ فقال يا أمير المؤمنين إن أمتني على نهيي أبأنتك بالأمور من أسوأها وإلا اقتصرت على نفسي فيها لي شغل شاغل فقال له أنت آمن على شكك قال الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح مظهر من البنى والفساد في الأرض أنت فقال ورحك وكف يدخلى الطمع والصغراء والبيضاء في يدي والخلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل أحدنا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله تعالى استرعاك أمور السليين وأمواهم فأغفلت أمورهم واعتصمت بجمع أمواهم وجلت بينك وبينهم حجاباً من الجس والآجر وأبواباً من الحديد وحجة معهم السلاح ثم سجت نفسك فيها منهم وبشت عمالك في جمع الأموال وجبايتها وأخذت وزراء وأعواناً طلة إن نسيت لم يذكروك وإن ذكرت لم يبينوك وقوتهم على ظلم الناس بالأموال والسكران والسلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان ثم مبيتهم ولم تأمر بإصلاح الظلوم ولا للهور ولا للجائع ولا العارى ولا الضيف ولا الفقير ولا أحد إلا وله في هذا المال حق

(١) حديث بلغني أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال آتيتك حين أمر الله بتأخير النار وضعت على النار تمر لروم القيامة الحديث أطوله ابن أبي الدنيا فيه هكذا معضلاً بغير إسناد .

بنشاف المود ثم طوى حتى انتهى إلى اللوزة في الأربعين ثم إنه قد يسلك هذا الطريق جميع من الصادقين وقد يسلك غير الصادق هذا لوجودهوى مستكن في باطنه يهون عليه ترك الأكل إذا كان له استعلاء لنظر الحاق وهذا عين النفاق نموذج بالهمن ذلك والصادق ربما يقدر على الطي إذا لم يعلم بحاله أحد وربما تضعف عزيمته في ذلك إذا علم بأنه يطوى فإن صدقه في الطي ونظره إلى من يطوى لأجله يهون عليه الطي فإذا علم به أحد تضعف عزيمته في ذلك وهذا علامة الصادق فلهما أوجس في نفسه أنه يجب أن يرى بعين التقل

فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتم لنفسك وأمرتهم على رعبك وأمرت أن لا يحببوا عنك
 نجى الأموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله قال لنا أخوته وقد سخر لنا فاستروا على أن لا يصل
 إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أنصروه
 حتى تسقط منزلته ويصرف قدره فلما انتشر ذلك عنك وعظم أعظمهم الناس وهابهم وكان أول
 من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال لينفخوا بهم على ظلم رعبتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة
 من رعبتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فاستلأت بلاد الله بالطمع بنينا وفسادا وصار هؤلاء
 القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل فإن جاء منتظم حيل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد
 رفع صوته أوصته إليك عند ظهورك وجسدك قد نهت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في
 مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألو صاحب الظلم أن لا يرفع مظلمته وإن كانت للمظلم
 به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال للظلم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو
 ويستنبت وهو يدفنه ويمتل عليه فإذا جهدها خرج وظهرت صرخ يئن يدك فيضرب ضربا
 مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تسكر ولا تغير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا ولقد
 كانت بنو أمية وكانت العرب لا يبتغي إليهم للظلم إلا رفعت ظلالته إليهم فينصف ولقد كان الرجل
 يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي بأهل الاسلام فيستدرونه مالك مالك فيرفون
 مظلمته إلى سلطانهم فينصف ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك قدمنها
 مرة وقد ذهب معي ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك تبكي لباكبت عيناك فقال أما إنني
 لست أبكي على الصية التي نزلتني ولكن أبكي للظلم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال أما إن
 كان قد ذهب معي قان بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم وكان
 ركب البيل ويطوف طرفي النهر هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك باق قد غلبت
 رأفته بالشركين ورقته على شيء نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تنقلب رأفتك
 بالمسلمين ورقتك على شيء نفسك فأنك لا تجمع الأموال إلا الواحد من ثلاثة إن قلت أجمعها لولدي
 قد أراك الله عبدا في العطل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال ومامن مال إلا ودونه
 يد شحبة تحويه فأزال الله تعالى بلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذي تعطى
 بل الله يعطى من يشاء وإن قلت أجمع المال لأعبيد ساطاني قد أراك الله عبدا فيمن كان بذلك ما أغنى عنهم
 ما جمعه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والصلاح والكرام وما ضرز ولدا إليك ما كنتم
 فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية
 التي أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح يا أمير المؤمنين هل تعاقب من
 عصاك من رعبتك بأشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما أنت عليه
 من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخولد في العذاب الأليم وهو
 الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضرمت جوارحك فلماذا تقول إذا اتزعج للهلك الحق الميئن ملك الدنيا
 من يدك ودعاك إلى الحساب هل ينفي عنك عنده شيء مما كنت فيه مما صححت عليه من ملك الدنيا
 فبكي المصور بكماء شديدا حتى غلب وارتفع صوته ثم قال يا بني لم أخافك ولم أخش شيئا ثم قال كيف احتياي
 فيها حول فيه ولم أر من الناس إلا خائفا قال يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين قال ومن هم ؟
 قال السما قال ودرواني قال هو بوانك محافة أن تعملهم على مظهر من طريقتك من قبل عمالك
 ولكن اقبح الأبواب وسهل الحجاب واتصرا للظلم من الظالم واتنع المظالم وأخذ الشيء مما حل وطاب

عليهم نفسه فإن فيه
 شائبة التناق ومن
 يطوى في يمينه الله
 تعالى فرحا في باطنه
 ينسب الطعام وقد
 لا ينسب الطعام ولكن
 استلاء قلبه بالأشوار
 يقوى جاذب الروح
 الروحاني فيجذب إلى
 مركزه ويستقره من
 العالم الروحاني وينير
 بذلك عن أرض
 الشهوة الفسادية وأما
 أثر جاذب الروح إذا
 تخلف عنه جاذب
 النفس عند كمال
 طمأنينتها وانكسار
 أنوار الروح عليها
 بواسطة القلب المستنير
 فأجل من جذب
 الغناطيس الحديد إذ
 الغناطيس يجذب
 الحديد بروح الحديد
 مشا كل للغناطيس
 فيجذب به نسبة الجنية

واقسمه بالحق والعدل وأنصاف من على أن من هرب منك أن يأتيك فيما نوك على صلاح أمرك وربيك
 فقال النصور : اللهم وقتي أن أعمل بما قاله هذا الرجل وجاء المؤذنون أسلوا عليه وأقيمت الصلاة فخرج
 ضليهم ثم قال فاحرس عليك بالرجل إن لم تأتني به لأضرب عنقك واغناظ عليه فيضا شديدا فخرج
 الحرس يطلب الرجل فيبنا هو يطوف فإذا هو بالرجل يصلي في بعض الشباب فقدم حتى صلى ثم قال إذا
 الرجل أماتني قال بلى قال أماترفه قال بلى قال فانطلق معي إلى الأمير قد أنى أن يقتلني إن لم آت
 بك قال ليس لي إلى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال كيف قال تحسن تترا قال لا فأخرج من
 مزود كان معه رقما مكتوباً به شيء قال خذ فاجسه في جيبك فإن فيه دواء الفرج قال وماداه الفرج
 قال لا يرزقه إلا الشهداء قلت رحمك الله قد أحسنت إلى فإن رأيت أن تخبرني ما هذا الدواء وما فضله قال من
 دعا به مساء وصباحا همدت ذنوبه ودام سروره وبعث خطابه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه
 وأعطى أهله وأعين له عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يعوت إلا شهيدا تحول اللهم كما لطفت في عظمتك
 دون الأطفال وعلوت بعظمتك على الظلماء وعلت مامحت أرضك كلوك بما فوق عرشك وكانت
 وسواس الصدور كالملائكة عندك وعلاية القول كالسر في علك واقاد كل شيء سطمتك وخضع
 كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله يدك اجل لي من كل هم أسيت فيه فرجا
 وخرجنا اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وستر لك على قبيح عملي أطعمني أن أسألك
 ما لا أستوجه بما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك المحسن إلى وأنا للشيء إلى نفسي
 فبا بيني وبينك تتودد إلى نعمتك وأمنيتك إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك
 قد بغضك وإحسانك على إنك أنت التواب الرحيم قال فأخذته فصرته في جيب ثم لم يكن لي ثم غير
 أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلى وتبسم ثم قال ويلك وتحسن السحر فقلت لا والله
 يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ قال هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال قد
 نجوت وأمر يسخره وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال أمره فقلت لا قال ذلك الحضر عليه السلام .
 وعن أبي عمران الجوني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوا بمأصرا إليه من أمر الخلافة
 فتح يوت الأموال وأقبل يحجزهم بالجواز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر
 التمسك والتشف وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد بن النضر الثوري قدما فنهجه سفيان ولم يرزه فاشتاق
 هرون إلى زيارته ليخوبه ويحدثه فلم يرزه ولم يبعأ بموضعه ولا بمأصرا إليه فاشتد ذلك على هرون
 فكتب إليه كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين إلى
 أخيه سفيان بن سعيد بن النضر أما بعد يا أخي قد عرفت أن الله تبارك وتعالى وإخيه بين المؤمنين وبصل
 ذلك فيه وله واعلم أني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حيلك ولم أقطع منها ودك وإنني منطو لك على
 أفضل الحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلديها الله لأنتيك ولوحوا لما أجد لك في قلبي من الحبة
 واعلم يا أبا عبد الله أنما بيني من إخواني وإخوانك أحد إلا وقد زلاني وهناني بمأصرت إليه وقد تحت
 يوت الأموال وأعظمهم من الجواز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وإنني استبطأتك فلم
 تأتني وقد كتبت إليك كتابا شوقا مني إليك شديدا وقد علقت يا أبا عبد الله مجابا في فضل المؤمنين
 وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالجمل العجل ، فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا
 كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشوته فقال لي رجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له
 عباد الطالقاني قال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بني
 ثور ثم سل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فالتق كتابي هذا إليه وع بسمك وقلبك جميع ما يقول

الحاجة فإذا تجنبت
 النفس بمس نور
 الروح الواسل إليها
 بواسطة القلب بصير
 في النفس روح
 استدعا القلب من
 الروح وأدله إلى
 النفس فتجذب الروح
 النفس بجنية الروح
 الحادثة فيها فيزدي
 الألمعة النبوية
 والشهوات الحيوانية
 ويتحقق عنده قول
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « آيت
 عند رب يعطى
 ويسقى » ولا يقدر
 على ما وصفناه إلا بعد
 نصير أعماله وأقواله
 وسائر أحواله ضرورة
 فيتناول من الطعام
 أيضا ضرورة ولو
 تكلم مثلا بكلمة
 من غير ضرورة
 التهب فيه نار الجوع

فأحص عليه ذوق أمره وجلبه تخفيري به فأخذ عبد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيبة فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في السجد قال عباد فأقبلت إلى السجد فلما رأيته قام قائما وقال أهوذا بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير قال عباد فوفقت الكلمة في قلبي غرجت فلما رأيته زلت يداي السجد لهما يصل ولم يكن وقت صلاة فربطت خروسي يداي للسجد ودخلت فإذا جلساؤه قموذ قد نكسوا رءوسهم كأنهم لصوم قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت لما رفع أحد إلى رأسه وردوا السلام على بروس الأصابع فبقيت وأنا لما منهم أحد يمرض على الجلوس وقد علاني من هيبته الرعدة ونددت عني إليهم فقلت إن للسلطان هوسيان فزيت بالكتاب إليه فلما رأى الكتاب ارتعد وجماعته منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد ويسلم وأدخل يده في كفه ولها بعبادته وأخذ قلبه يده ثم رماه إلى من كان خلفه وقال يأخذ بصنكم يذوقه فاني أستغفر الله أن أمس شيئا منه ظالم يده قال عباد فأخذه بهضم خلفه كأنه خائف من فم حية تشبه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبسجيم للتعب فلما فرغ من قراءته قال اقبلوه واكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فقيل له يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزي به وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصل به ولا يبق شيء منه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما كتب فقال اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الذليل سفيان بن سعد بن النضر الثوري إلى العبد للثور بالآمال هرون الرشيد الذي سلب حلاوة الإيمان . أما بعد فاني قد كتبت إليك أعرفك آني قد صرمت جلاك وقطعت ودك وقلت موضعك فأنك قد جلتني شاهدا عليك بأفراك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأثقت في غير حق وأخذت في غير حكم ثم لم أرض بأصلته وأنت تاء عني حتى كتبت إلى تصدني على نفسك أما إنني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى ياهرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضام حل رضيت بفعلك المؤلفة قلوبهم والماملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل أم رضي بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام أم هل رضي بذلك خلق من ربيتك فشد ياهرون مؤذنا وأعد للسئلة جوابا وللبلاء جلبا واعلم أنك ستف بين يدي الحكم العدل قد رزمت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيت القرآن وبجالت الأختيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما للظالمين إماما ياهرون قعدت على السرير وليست الحرير وأسبلت سترادون بأك وتصبحت بالحجبة رب العالمين ثم أقصدت أجدادك الظلة دون بأك وسترك يظفون الناس ولا يصنعون يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويؤنون ويعدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس فكيف بك ياهرون غدا إذا نادى للنادي من قبل الله تعالى احشروا الذين ظفروا وأزواجهم أين الظلة وأعوان الظلة قدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفسكهما إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار ، كأن بك ياهرون وقد أخذت بضيق الحقائق ووردت الساق وأنت ترى حسناك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة عن سيئاتك بلاء على بلاء وظلة فوق ظلة فأحفظ بوصيقي واتعظ بموعظتي التي وعظنتك بها . واعلم آني قد نصحتك وما أقيت لك في النصيحة فاني والله ياهرون في رعبتك واحفظ عهدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم أن هذا الأمر لو بقي لتبرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل

التهاب الحلقاء بالنار
لأن النفس الرافدة
تستقط بكل ما يوقظها
وإذا استيقظت
نزعته إلى هواها فالجهد
للراد بهذا إذا فطن
لسياسة النفس ورزق
العلم سهل عليه
الطبي وتندر حكمة
للعونة من الله تعالى
لأبنا إن كوشف
بشيء من النع الألية .
وقد حكى قبر أنه
اشتهد به الجوع وكان
لا يطالب ولا يسبب
قال فلما انتهى جوعى
إلى القاية بسد أيام
فتح الله على تنفاحة
قال فتناولت التنفاحة
وصعدت أكلها فلما
كسرتها كوشفت
بحوراء نظرت إليها
عقب كسرها حدث
عضدى من الفرج
بذلك ما استغثت

بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من زود زادا فنه من خسر دنياه وآخرته وإن أحببك يا هرون
 عن خير دنياه وآخرته فإياك إياك أن تكتب لي كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام . قال عبد
 القادر إلى الكتاب منشورا غير مطبوع ولا مخزوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقت للوعظة
 من قلبي فتأديت يا أهل الكوفة فأجابوني قتلتم لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله إلى الله فاجابوا
 إلى الله تائبين والدرهم قتلتم لأحاجة لي في السال ولكن جبة صوف خشنه وعباءة قطونا فقال فأميت
 بذلك وزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون وعليه
 السلاح الذي كنت أحمله حتى أميت باب أمير المؤمنين هرون حافيا راجلا فنهزني من كان علي باب الخليفة
 ثم استؤذن لي فدخلت عليه وبصرني على تلك الحالة قام وقدم ثم قام وأجلس بطمر رأسه ووجهه
 وبدع بالويل والجزن ويقول انتفع الرسول وخاب للرسل مالي ولدنيا مالي ولذلك زول عن سريته
 ثم أنبت الكتاب إليه منشورا كما دفع لي فأقبل هرون يقرؤه ودموعه تتحد من عينيه ويقرأ
 ويصيح قال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهته إليه فأنقته بالحديد
 وضيق عليه السجن كنت نجحه عبرة لغيره فقال هرون : أتركوا يا عبيد الله المنور من غرر عموه
 والشقي من أهلكتموه وإن سفيان أمة وحده فتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان إلى
 جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظرت نفسه واتق الله فبقيتم
 عليه غدا من عمله فانه عليه بحاسب وبه مجازي والله ولي التوفيق . وعن عبد الله بن مهران قال
 حج الرشيد فوافي بالكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول الجبوني فبين
 خرج بالكساسة والصبيان يؤذونه وبولون به إذ أقبلت هودج هرون فكفك الصبيان عن الولوع
 به فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف يده عن وجهه فقال
 ليك بهلول فقال يا أمير المؤمنين : حدثنا أئمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي
 صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقه له صبياء لاضرب ولا طرد ولا إليك إليك^(١) وتواضعك
 في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك قال فيكي هرون حتى سقطت دموعه على
 الأرض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله بالاجلال فأنتقم من ماله
 وعنف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة . قال
 لردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلاحاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيتاه قال يا أمير المؤمنين
 هؤلاء أهل التمس بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الله بيني وبينهم لا يجوز قال يا بهلول فجري
 عليك ما يهوتك أو يهيكك قال فرغ بهلول رأسه إلى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله
 فبحال أن يذكرك وينساني قال فأقبل هرون السجاف ومضى . وعن أبي العباس الهاشمي عن صالح
 ابن للآمون قال دخلت على الحرث الهاشمي رحمه الله فقلت له : يا أبا عبد الله هل حاسبت نفسك ؟ فقال كان
 هذا مرة قلت له فاليوم قال أكتم حالي إلى لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمعها نفسى
 ولولا أن يظنني فيها فرح ما أعلنت بها وقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فإذا أتاني حسن الوجه مليب
 الراحة فسلم علي ثم قد بين يدي قلت له من أنت فقال أنا واحد من السباحين أقصد للتعبدين في
 محاريهم ولا أرى لك اجتهدا فأبى سء حملك قال قلت له كنهان للصاب واستجلاب الفوائد قال

(١) حديث قدامة بن عبد الله العامري رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقه
 له صبياء لاضرب ولا طرد ولا إليك إليك الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه دون قوله منصرفا
 من عرفة وإنما قالوا برى الجرة وهو الصواب وقد تقدم في الباب الثاني .

عن الطعام أياما
 وذكر لي أن الحوراء
 خرجت من وسط
 التضامة والابحان
 بالقصد ركن من
 أركان الإيمان فلم
 ولا تسكر . وقال
 سهل بن عبد الله
 رحمه الله من طوى
 أربعين يوما ظهرته
 القدرة من اللسكوت
 وكان يقال : لا يزد
 اليد حقيقة الزهد
 الذي لا مشوبة فيه
 إلا بمشاهدة قدرة
 من اللسكوت . وقال
 الشيخ أبو طالب
 للشيخ رحمه الله :
 عرفنا من طوى
 أربعين يوما برياضة
 النفس في تأخير
 القوت وكان يؤخر
 فطره كل ليلة إلى
 نصف سبع اليك
 حتى يطوى ليلة

فصاح وقال ما علمت أن أحدا بين جنبي للشرق والغرب هذه صفته قال الحرب فأردت أن أزيد عليه
قلت له أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم
فمن أين تعرفهم قال فصاح صيحة غشى عليه منها فسكت عندي يومين لا يقبل ثم ألقى وقد أحدث في
ثيابه فقلت لإزالة عقله فأخرجته له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفي قد تركت به فاغتسل وأعد صلاتك
فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له إن تريد قال لي قم معي فلم يزل يمشي حتى
دخل على المؤمنين فلم عليه وقال يا ظالم أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيري فيك أما اتق
الله تعالى فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه
للمؤمن وقال من أنت قال أنا رجل من السباحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم أجدهم في
حظا فطلعت بموعظتك لئلي ألحقهم قال فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا في ذلك
الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فليأخذه قال الحرب فاختبأت عنه فاخذته أقوام غريبا فدفنوه
وكنتم معهم لا أعلمهم بحاله فالتفت في مسجد بالمقابر عززونا على الفتى فخلبني عينا فاذهاوبين وصائف
لم أر أحسن منهن وهو يقول يا حارث أنت والله من السكّاتين الذين يخفون أحوالهم ويطيئون ربه
قلت وما فعلوا قال الساعة يلتقونك فظننت إلى جماعة فكان قلت من أنت قالوا السكّاتون أحوالهم حرك
هذا الفتى كلامك له فلم يكن في قلبه مما وصفت شيئا فخرج للأمر والهي وأن الله تعالى أنزله منا
وغضب لبيده . وعن أحمد بن إبراهيم الترمي قال كان أبو الحسين التوري رجلا قليل الفضول لا يزال
عما لا يمينه ولا يفتش عما لا يحتاج إليه وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلقه فزل ذات يوم
إلى مشرعة تعرف بشرعة الصالحين يظهر للصلاة إذ رأى زورا فيه ثلاثون دنانير كتب عليها بالقر
لطف قراءه وانكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بالطف فقال للملاح إيش
في هذه الدنانير قال وإيش عليك امض في شغلك فلما سمع التوري من اللاح هذا القول ازدادته نشاطا إلى
معرفة قال أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنانير قال وإيش عليك أنت والله سوف يفضولي هذا خمر
للمعتضد يريد أن يسم به مجلسه فقال التوري وهذا خمر قال نعم فقال أحب أن تطعني ذلك للدرى فاغناظ
للالاح عليه وقال لسلامه أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت للدرى في يده صعد إلى الزورق ولم يزل
يكسرهما دنا دنا حتى أتى على آخرها لإدنا واحدوا اللاح يستغيث إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يوءم
ابن جسر أفلح قبض على التوري وأشخصه إلى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك
الناس في أنه سيقنله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد ويده عمود يقبله
فلما رأى قال من أنت قلت عتسب قال ومن ولالك الحسبة قالت التي ولالك الامامة ولاني الحسبة يا أمير
المؤمنين قال فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال ما الذي حملك على ما صنعت ؟ فقلت شفقة
على عليك إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فأطرق منكر في كلامي ثم رفع
رأسه إلى وقال كيف تخاف هذا الدين الواحد من جملة الدنانير فقلت في غلظة على خبره يا أمير المؤمنين
إن أذن فقال هات خبرني فقلت يا أمير المؤمنين إني أقبات على الدنانير بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك
وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فتابت هبة الحق عني فأقدمت عليها بهذا الحال إلى
أن صرت إلى هذا الدين فاستعمرت نفسي كبرا على أني أقدمت على مثلك فذهت ولو أقدمت عليه بالحال
الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال المعتضد اذهب قد أطلقتا يدك غير ما أحببت
أن تغيره من المنكر . قال أبو الحسين فقلت يا أمير المؤمنين بض إلى التغير لأن كنت غير من الله
تعالى وأنا الآن أغير عن شرطى فقال المعتضد ما حاجتك قلت يا أمير المؤمنين تأمر بأخراحي سالما

في نصف شهر
في طوى الأربعين
في سنة وأربعة
أشهر فتتدرج الأيام
والليالي حتى يكون
الأربعين بمنزلة يوم
واحد . وذكر لي أن
الذي فعل ذلك ظهرت
له آيات من للسكرات
وكشف بمات قدرة
من الجبروت بحسب الله
بحاله كيف شاء . وعلم
أن هذا العنق من الطي
والثقل لو أنه عين
الفضيلة ما فات أحدا
من الأنبياء ولكان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبلغ من ذلك إلى
أقصى غايته ولا شك
أن تلك فضيلة لا تسكر
ولكن لا تنحصر
مواهب الحق تعالى في
ذلك فقد يكون من
بأكل كل يوم أفضل
من بطوى أربعين

فأمره بذلك وخرج إلى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفاً من أن يسأله أحد حاجة يسألها المتخذ فأقام بالبصرة إلى أن توفي المتخذ ثم رجع إلى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم استكملوا على فضل الله تعالى أن يحرمهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخذوا هذه النية أتركلامهم في القلوب القاسية فليتها وأزال قساوتها وأما الآن قد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تسكلموا لم تساعد أفعالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولم يصدقوا وضدوا حق العلم لأفلقوا قصاد الرعايا بخساد للولك وفساد للولك بخساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأرادل فكيف على الولك والأكابر والله للسمعان على كل حال .

(كتاب آداب الميشة وأخلاق النبوة)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتبه ، وأدب نبيه محمداً ﷺ فأحسن تأديبه ، وذكر أوصافه وأخلاقه ثم أخذ صفيه وحبيه ، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه ، وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه . وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيراً . أما بعد : فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح المعارف وسرائر القلوب هي ممارس الأفعال ومناجياتها وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينا وتجميلها وتبدل المحاسن مكارهها ومساوئها ومن لم يمتنع قلبه لم تمتنع جوارحه ومن لم يكن صدره مشككاً الأنوار الإلهية لم يرض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت أن أختتم ربيع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب الميشة لئلا يشق على طالبا استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربيع العادات قد أتى على جملة من الآداب فاستغفرت تكريرها وإعادة فان طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة العادات فرأيت أن أقصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الماثورة عنه بالإسناد فأسردها مجموعة فصلا فصلا محدودة الأسانيد ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الإيمان وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلام رتبة وأجلهم قدراً فكيف مجموعها ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك معرباً عن مكارم الأخلاق والشيم ومنتزعا عن آذان المجاهدين لنبوته صلواتهم الصمم والله تعالى ولى التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل المتبحرين ومجيب دعوة المضطربين ولذا ذكر فيه أولاً بيان تأديب الله تعالى إياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ثم بيان كلامه وضحه ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس ثم بيان غفوه مع القدرة ثم بيان إغضائه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم .

(كتاب آداب الميشة وأخلاق النبوة)

يوماً وقد يكون من لا يكشف جوى من معاني القدرة أفضل من يكشفها إذا كلفه الله بصرف اللرفة فاقدرتاً ثم من القادر ومن أهل القرب القادر لا يستغرب ولا يستكر شيئا من القدرة ويرى القدرة تجلى له من سجد أجزاء علم الحكمة فإذا أخلص البصيرة تعالى أرومين يوماً واجتهد في ضبط أحواله جوى من الأنواع التي ذكرنا من العمل والسكر والقوت وغير ذلك تعود بركة تلك الأرومين على جميع أوقاته وساعاته وهو طريق حسن اعتماد طائفة من الصالحين وكان جماعة من الصالحين يخارون

(بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال العن الله تعالى أن يزيه بمحسن الآداب ومكارم الأخلاق فكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى^(١) ويقول اللهم جنبني منكرات الأخلاق^(٢) فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل - ادعوني استجب لكم - فأنزل عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن . قال سعد بن هشام دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن أبيها فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أما ترى القرآن قلت بلى قالت كان خلق خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن^(٣) وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى - خذ الصو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وقوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقوله - واسبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور - وقوله - ولن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور - وقوله - فاعف عنهم واصنع إن الله يحب المحسنين - وقوله - وليفوا وليصنعوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم - وقوله - ادفع بالحق هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - وقوله - والسكاطين الطيغ والمافين عن الناس والله يحب المحسنين - وقوله - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تحسسوا ولا يثبت بعضكم بعضا - ولما كسرت ربابته وشجع يوم أحد ففعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف يملح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم^(٤) فأنزل الله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - تأديبا له على ذلك وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تحصر وهو عليه السلام المقصود الأول بالتأديب والتهديب ثمينة بشرق النور على كافة الخلق فانه أدب بالقرآن وأدب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « بشت لأتكم مكارم الأخلاق^(٥) » ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق بما أوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق فلا يتبدى ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أنشأ عليه فقال تعالى - وإنك لعل خلق عظيم - فسبحان ما أعظم شأنه وأتم امتنانه ثم انظر إلى عظم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم أنشأ فقول الله زينه بالخلق الكريم ثم أنشأ إليه ذلك فقال - وإنك لعل خلق عظيم - ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق وينفض سفاهتها^(٦) قال صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه يا عباد الله لا ينجى من النار إلا من لم يجرى عليه من مكارم الأخلاق فانها مما تادل على سبيل النجاة فقال له رجل أجمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما خير منه لما أتى بسبايا طيغ وقتت جارية في السبي فقالت يا محمد

(١) حديث كان يقول في دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولهذهما اللهم أحسنت خلقى فأحسن خلقى وإسنادهما جيد وحديث ابن مسعود رواه حب

(٢) حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق ت وحسنه وك وصححه واللفظ له من حديث قطبة ابن مالك وقال ت اللهم إني أعوذ بك (٣) حديث سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن رواه مسلم وروى الحاكم في قوله إنها لم تغر جناه (٤) حديث كسرت ربابته صلى الله عليه وسلم يوم أحد الحديث في نزوله ليس لك من الأمر شيء - من حديث أنس وذكره خ تعليقا (٥) حديث بشت لأتكم مكارم الأخلاق أحمد وك هق من حديث أبي هريرة قال الحاكم صحيح على شرطه وقد تقدم في آداب الصبغة (٦) حديث إن الله يحب تعالى الأخلاق وينفض سفاهتها هق من حديث سهل بن سعد متصلا ومن رواها بطلمة ابن عبيد الله بن كرز مرسلها ورجلها تقات .

للأربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وهى أربعون موسى عليه السلام . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة قال أنا أبو منصور محمد ابن عبد الملك بن خيرون إجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهري إجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن مساعد قال أنا الحسين بن الحسن التروى قال ثنا عبد الله بن المبارك قال أنا أبو معاوية الضرير قال أنا الحجاج عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أخلص لله تعالى العبادة أربعين يوما ظهرت بنابيع الحكمة من قلبه على لسانه » .

إن رأيت أن نخل عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فأتى بنت سيد قومي وإن أتى كان يحى القمار ويكف الماني ويشبع الجائع ويعلم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم الطائي فقال صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحنا عليه خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق قيام أبو بردة بن نيار فقال يا رسول الله الله يحب مكارم الأخلاق فقال والذي نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا الحسن الأخلاق (١) وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال «إن الله حفي الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال» (٢) ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الضيعة ولين الجانب وبذل المعروف وإطعام الطعام وإفشاء السلام وعيادة المريض السلم برأكان أوقاجرا وتشجيع جنازة السلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان أو كافرا وتوفير ذى الشية للسلم وإجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والإصلاح بين الناس والجلود والكرم والسباحة والإبتداء بالسلم وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمة الإسلام من الابهو والباطل والقنا والمازف كلها وكل ذى نور وكل ذى دخل والنية والكذب والبخل والشح والجفاء والسكر والحديبة والنجمة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبني والعدوان والظلم . قال أنس رضى الله عنه فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدع غشا أو قال عيا أو قال شينا إلا حذرناه ونهانا عنه (٣) ويكنى من ذلك كله هذه الآية - إن الله يأمر بالعدل والإحسان - وقال معاذ أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يا معاذ أوصيك ببقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالمهد وأداء الأمانة وترك الحيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل وزورم الإيمان والتفقه في القرآن وحسب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكما أو تكذب صادقا أو تطيع آمما أو تهوى إماما عادلا أو تضد أرضا وأوصيك ببقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة الرب بالسر والعلاية بالملاينة (٤) فهكذا أدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب .

(يان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار)

فقال كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (٥)

(١) حديث على قوله وبخيار رجل مسلم يبحث أخوه السلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا الحديث وفيه مرفوعا لما أتى بسبايا طي: وقفت جارية في السبي فقالت يا محمد إن رأيت أن نخل عنى الحديث ت الحكيم في نوادر الأصول باسناد فيه منقطع (٢) حديث معاذ حفي الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال الحديث بطوله لم أقف له على أصل ويبنى عنه حديث معاذ الآتي بعده بحديث (٣) حديث أنس لم يدع صلى الله عليه وسلم نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها لم أقف له على إسناده وهو صحيح من حيث الواقع (٤) حديث يا معاذ أوصيك ببقاء الله وصدق الحديث يؤمنهم في الحلية وهن في الزهد وقد تقدم في آداب الصلوة (٥) حديث كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عبد الرحمن بن أبزي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحلم الناس الحديث وهو مرسل . وروى أبو حاتم بن حبان من حديث عبد الله بن سلام في قصة إسلام زيد بن شحمة من أخبار اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب يا عمر كل علامات النبوة قد عرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما من يسبق حلمه حله ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلما فقد اختبرتهما الحديث .

[الباب التاسع
والعشرون في أخلاق
الصوفية وشرح الحلق
الصوفية وأثر الناس
حظا في الاقتصاد
برسول الله صلى الله
عليه وسلم وأخبرهم
ياحياء سته والتخلق
بأخلاق رسول الله
صلى الله عليه وسلم من
حسن الاقتصاد وإحياء
سسته على ما أخبرنا
الشيخ العالم ضياء
الدين شيخ الإسلام
أبو أحمد عبد الوهاب
ابن طي قال أنا أبو الفتح
عبد الملك بن أبي
القاسم الهروي قال
أنا أبو نصر عبد العزيز
ابن حمد التبرقي قال
أنا أبو محمد عبد الجبار
ابن محمد الجراسي قال
أنا أبو الباس محمد بن
أحمد الهروي قال أنا
أبو عيسى محمد بن

وأشجع الناس (١) وأعدل الناس (٢) وأعطف الناس لم تمس يده قط بدمارة لا يملك رقبها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه (٣) وكان أسخى الناس (٤) لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء ولم يجد من يطيعه وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه (٥) لا يأخذ مما آتاه الله إلى قوت عامه قط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله (٦) لا يستل شيئا إلا أعطاه (٧) ثم يود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأتيه شيء (٨) وكان يخفف العمل ويرقع الثوب ويحرم في مهنة أهله (٩)

عيسى بن سورة الترمذي قال ثنا مسلم ابن حاتم الأنصاري البصري قال ثنا محمد ابن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي ابن زيد عن سعيد بن السيب قال قال أنس ابن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس في قلبك غش لأحد فافعل » ثم قال : يا بني وذلك من سنن ومن أحياسن قد أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة » فالصوفية أحيوانة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهمهم وقدوا في بداياتهم لرعاية أتو الله وفي وسط حالهم اقتدوا بأعماله فأثم لهم ذلك أن تحققوا

(١) حديث أنه كان أشجع الناس متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث كان أعدل الناس في التماثل من حديث علي بن أبي طالب في الحديث الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه وفيه قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبوا صاروا عنه في الحق سواء الحديث وفيه من لم يسم (٣) حديث كان أعف الناس لم تمس يده قط بدمارة لا يملك رقبها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم له الشيخان من حديث عائشة مامست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة إلا امرأة عليا (٤) حديث كان أسخى الناس الطبراني في الأوسط من حديث أنس فضلت على الناس بأربع بالسقاء والشجاعة الحديث ورجاله ثقات وقال صاحب البرزاني إنه منكر وفي الصحيحين من حديثه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس واتقاه عليه من حديث ابن عباس وتقدم في الزكاة (٥) حديث كان لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط وإن فضل ولم يجد من يطيعه وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه من حديث بلال في حديث طويل فيه أهدى صاحب فداك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركائب عليهن كسوة وطعام ويسع بلال لذلك ووفاء بنيه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في السجد وحده وفيه قال فضل شيء قلت نعم دينار قال انظر أن ترجعني منهما فقلت بداخل كل أحد من أهل حتى ترجعني منهما فلربنا أحدي في السجد حتى أصبح وظل في السجد اليوم الثاني حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكباً فانطلقت بهما فكسوتهما وأعطتهما حتى إذا صلى الشمة دعاني فقال ما فعل الذي قبلك قلت قد أركك الله منه فكبر وحمد الله شغفاً من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء أرواحه الحديث وللبخاري من حديث عقبة ابن الحارث ذكرت وأنا في الصلاة فكرهت أن يمسى ويبيت عندنا فأمرت بقسمته ولأبي عبيد في غريه من حديث الحسن بن محمد مرسلان لا يقبل مالا عنده ولا يبيت (٦) حديث كان لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه قط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم في الزكاة (٧) حديث كان لا يستل شيئا إلا أعطاه الطيالسي والدارمي من حديث سهل بن سعد وللبخاري من حديثه في الرجل الذي سأله الشملة قبيل له سألتها ياها وقد علمت أنه لا يرسلها الحديث وللم من حديث أنس ما سئل عن الإسلام شيئا إلا أعطاه وفي الصحيحين من حديث جابر ما سئل شيئا قط فقال لا (٨) حديث أنه كان يؤثر بما أدره لغيره حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام هذا معلوم ويدل عليه ما رواه ت ن ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة بشرين صا من طعام أخذته لأهله وقال ه ثلاثين صا من شعير وإسناده جيد وخ من حديث عائشة توفي ودرعه مرهونة عند يهودي ثلاثين وفي رواية هق ثلاثين صا من شعير (٩) حديث وكان صلى الله عليه وسلم يخفف الثمل ويرقع الثوب ويحرم في مهنة أهله أحمد من حديث عائشة كان يخفف ثملته ويخيط ثوبه ويسمل في بيته كما يسمل أحدكم في بيته ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ لفظ ويرقع الثوب وللبخاري من حديث عائشة كان

ويقطع اللحم معهم^(١) وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد^(٢) وبجيب دعوة العبد والحر^(٣) ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو غند أرنب ويكافى عليها^(٤) ويأكله ولا يأكل الصدقة^(٥) ولا يستكبر عن إجابة الأمة والسكين^(٦) ينضب لربه ولا ينضب لنفسه^(٧) وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه عرض عليه الانتصار بالشركين على الشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيد في عدد من معه فابى وقال : أنا لا أنتصر بغيرك^(٨) ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلين بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على من الحق بل وداه بمائة ناقة وإن باصحابه حاجة إلى بعير واحد يتقوون به^(٩) وكان يصب الحجر على بطنه

يكون في مهنة أهله^(١٠) حديث أنه كان يقطع اللحم أحمد من حديث عائشة أرسل إلنا آل أبي بكر بقائمة شاة لئلا فامسكت وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقات فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في أثناء حديث زوام الشعامن الثلاثين ومائة إلا حزله رسول الله صلى الله عليه وسلم من سواد بطنها^(١١) حديث كان من أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من المذراء في خدرها^(١٢) حديث كان يجيب دعوة العبد والحر^(١٣) هـ من حديث أنس كان يجيب دعوة للملوك قال ك صحيح الاسناد . قلت بل ضعيف وللدارقني في غرائب مالك وضعفه والخطيب في أسماء من روى عن مالك من حديث أبي هريرة كان يجيب دعوة العبد أي أي طعام دعى وبه ولودعيت إلى كراع لأجبت وهذا بعدومه دال على إجابة دعوة الحر وهذه القطعة الأخيرة عندخ من حديث أبي هريرة وقد تقدم وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة كان لا يدعو أحر ولا أسود من الناس إلا أجابه الحديث وهو مرسل^(١٤) حديث كان يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو غند أرنب ويكافى عليها خ من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويشيب عليها ، وأما ذكر جرعة اللبن وغند الأرنب ففي الصحيحين من حديث أم الفضل أنها أرسلت بقدح لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف يعرفه فقبضه أبو أحمد من حديث عائشة أنه أتت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا الحديث وفي الصحيحين من حديث أنس أن أباطلة بعث بورك أرنب أو غندها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله^(١٥) حديث كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم^(١٦) حديث كان لا يستكبر أن يمسي مع السكين نك من حديث عبد الله بن أبي أوفى بسند صحيح وقد تقدم في الباب الثاني من آداب الصغرة ورواه أيضا من حديث أبي سعيد الخدري وقال صحيح على شرط الشيخين^(١٧) حديث كان ينضب لربه ولا ينضب لنفسه في التباين من حديث هند بن أبي هالة وفيه وكان لا تقضيه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يتم لضبه شيء حتى ينتصر له ولا ينضب لنفسه ولا ينتصر لها وفيه من لم يسم .^(١٨) حديث وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه عرض عليه الانتصار بالشركين على الشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيد في عدد من معه فابى وقال أنا لا أنتصر بغيرك من حديث عائشة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بحرة الوبرة ادركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة فصرح به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راوه فلما ادركه قال جئت لأتبعك واصيب مملك فقال له اتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن استعين بغيرك الحديث^(١٩) حديث وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلين بين اليهود فلم يحف عليهم فوداه بمائة ناقة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن أبي حنيفة ورافع بن خديج والرجل الذي وجد مقتولا هو عبد الله بن سهل الأنصاري .

في نهايتهم بأخلاقه
وتعسين الأخلاق
لا يأتي إلا بعد تركية
النفس وطريق التركية
بالإذعان لسبابة
الشرع وقد قال الله
تعالى لبيته محمد صلى
الله عليه وسلم - وإنك
لعل خلق عظيم -
لما كان أشرف الناس
وأزكاهم نفسا كان
أحسنهم خلقا قال مجاهد
على خلق عظيم أي على
دين عظيم والدين
مجموع الأعمال الصالحة
والأخلاق الحسنة .
سئلت عائشة رضي الله
عنها عن خلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قالت كان خلقه القرآن
قال قتادة هو ما كان
بأمره من أمر الله تعالى
ويشهى عما نهى الله
عنه وفي قول عائشة
كان خلقه القرآن سر

مرة من الجوع^(١) وصراً يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال وإن وجد ثراً دون خير أكله^(٢) وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبزاً أو شعيراً أكله وإن وجد حلواً أو عسلأً أكله وإن وجد لبناً دون خبزاً اكتفى به وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله ، لا يأكل منسكاً^(٣) ولا على خوان^(٤) منديله باطن قدميه^(٥) لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية^(٦) حتى لقي الله تعالى بإشارته على نفسه لا تقرا ولا يخلأ^(٧) يحجب الوليمة ويعود المرضى^(٨) ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس^(٩)

(١) حديث كان يصعب الحاجر على بطنه من الجوع متفق عليه من حديث جابر في قصة خفر الحندق وفيه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم شد على بطنه حجراً وأغرب حب فقال في صحبته إنما هو الحजर يضم الحاء وآخره زاي جمع حجرة وليس بمتابع على ذلك ورد على ذلك ما رواه ت من حديث أن طلحة شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفضاً عن بطوناً عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين ورجاله كلهم ثقات (٢) حديث كان يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال إن وجد ثراً دون خير أكله وإن وجد خبزاً أو شعيراً أكله وإن وجد حلواً أو عسلأً أكله وإن وجد لبناً دون خبزاً اكتفى به وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله انتهى . هذا كله معروف من أخلاقه ففي ت من حديث أم هانئ دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعندك شيء ؟ قلت لا إلا خبز يابس وخلق فقال هات الحديث ، وقال حسن غريب وفي كتاب الثبائل لأبي الحسن بن الضحاك بن القري من رواية الأوزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبالي ما رددت به الجوع وهذا معضل ولمسلم من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا ما عندنا إلا خل فدعا به الحديث وله من حديث أنس رأيتُه متعباً يأكل تمرات وت وصحبه من حديث أم سلمة أنها قربت إليه جنباً مشوياً فأكل منه الحديث وللشيخين من حديث عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً خبز بر حتى مضى لسبيله لتظلم وفي رواية له ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين وت وصحبه وه من حديث ابن عباس كان أكثر خبزم الشعير وللشيخين من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل ولهما من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب لبناً فدعا بماء فشمض ون من حديث عائشة كان يأكل الرطب بالبطيخ واستاده صحيح (٣) حديث أنه كان لا يأكل منسكاً تقدم في آداب الأكل في الباب الأول (٤) حديث أنه كان لا يأكل على خوان تقدم في الباب المذكور (٥) حديث كان منديله باطن قدمه لا أعرفه من فله وإنما العروف فيه ما رواه ه من حديث جابر كنا زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلباً ما نجد الطعام فإذا وجدناه لم يكن لنا منديل إلا أكفنا وسواعدنا وقد تقدم في الطهارة (٦) حديث لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تقدم في جملة الأحاديث التي قبلها ثلاثة أحاديث (٧) حديث كان يحجب الوليمة هذا معروف وتقدم قوله لودعيت إلى كراع لأجبت وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس أنه كان الرجل من أهل العوالي يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف الليل على خبز الشعير فيجيب واستاده ضيف (٨) حديث كان يعود المرضى ويشهد الجنائز ت وضعه وه ك وصحبه من حديث أنس ورواه ك من حديث سهل بن حنيف ، وقال صحيح الاستاد وفي الصحيحين عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز (٩) حديث كان يمشي وحده بين أعدائه بلا حارس ترك من حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية - والله يصمك من الناس - فأخرج رأسه من القبة فقال انصرفوا فقد عصمت الله قال ت غريب وقال ك صحيح الاستاد .

كبير وعلم غامض
مانطقت بذلك الإعجاز
خصها الله تعالى به
من بركة الوحي النبوي
وحجة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتخصيصه
بإياها بكلمة خذوا حظ
دينكم من هذه
الحجرات وذلك أن
النفوس مجبولة على
غرائز وطباع هي من
لوازمها وضرورتها
خلقت من تراب ولها
بحسب ذلك طبع
وخلفت من ماء ولها
بحسب ذلك طبع
وهكذا من حمائم
ومن صلال كالغفار
وبحسب تلك الأصول
التي هي مبادئ تكونها
استفادت صفات من
الهيبة والسبعة
والشيطانية وإلى صفه
الشيطة في الإنسان
إشارة بقوله تعالى - من

أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غير كبر ^(١) وأبلنهم في غير تطويل ^(٢) وأحسنهم بشرا ^(٣) لا يهوله شيء من أمور الدنيا ^(٤) ويلبس ما وجد ثمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس ^(٥) وخاتمه فضة ^(٦) يلبسه في خصره الأيمن ^(٧) والأسير ^(٨) يردف خلفه عبده أو غيره ^(٩) يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بصيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة بمش

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر أبو الحسن بن الفضال في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته صلى الله عليه وسلم حين للثمة لين الخلق كريم الطيبة جميل العائشة طليق الوجه إلى أن قل متواضع في غير ذلة وفيه دائب الاطراق وإسناده ضيف وفي الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند من حديث ابن أبي أوفى كان لا يأنف ولا يشكر أن يمشي مع الأرملة وللشكين الحديث وقد تقدم وعند أبي داود من حديث البراء بن عجلان وجلسنا كأن على رؤوسنا الطير الحديث ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك أنبت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير (٢) حديث كان أبلغ الناس من غير تطويل خ م من حديث عائشة كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ولهما من حديثي لم يكن يسرد الحديث كردم علقه خ ووصله م زادت ولكنه كان يتكلم بكلام بينه وبينه فصل يحفظه من جلس إليه وله في الثمائل من حديث ابن أبي هالة يتكلم بمجامع الكلام فصل لأفضل ولا ينصرف (٣) حديث كان أحسنهم بشرا في الثمائل من حديث علي بن أبي طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق الحديث وله في الجامع من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب قات وفيه ابن لمبة (٤) حديث كان لا يهوله شيء من أمور الدنيا أحمد من حديث عائشة ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا وما أعجبه أحد قط إلا ذوقني وفي لفظ له ما أعجب النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذوقتي وفيه ابن لمبة (٥) حديث كان يلبس ما وجد ثمرة شملة ومرة حبرة ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس خ م من حديث سهل بن سعد جاءت امرأة يردة . قال سهل هل تدرون ما البردة هي الشملة منسوج في حاشيتها وفيه فخرج إلينا وأنها لإزاره الحديث ولا بن ماجه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في شملة قد عقد عليها فيه الأحوص بن حكيم يختلف فيه وللشيخين من حديث أنس كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الحبرة ولهما من حديث المغيرة بن شعبه وعليه جبة من صوف (٦) حديث خاتمه فضة متفق عليه من حديث أنس أخذ خاتما من فضة (٧) حديث لبس الخاتم في خصره الأيمن م من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة في يمينه وللبخاري من حديثه فاني لأرى يرفقه في خصره (٨) حديث نخمته في الأسير م من حديث أنس كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى (٩) حديث إردافه خلفه عبده أو غيره أردف عليه وسلم أسامة بن زيد من عرفة كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة وأردفه مرة أخرى على حمار وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة وهو مولاة وابن مولاة وأردف الفضل بن عباس من الزدلفة وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة .

صلصال كالقنار
لدخول النار في القنار
وقد قال الله تعالى -
وخلق الجن من مارج
من نار الله تعالى غنى
لطفه وعظيم عنايته
نزع نصيب الشيطان
من رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ما ورد
في حديث حليمة ابنة
الحارث أنها قالت
في حديث طويل فينا
نحن خلف يوتنا
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم مع أخ له
من الرضاة في بهم
لنا جاءنا أخوه يشتد
فقال ذاك أخى القرشي
قد جاء رجلا علىهما
ثياب ياض فأمنجما
فشقا بطنه فخرجت
أنا وأبوه فنشد نحوه
فنبهه فأما منتعما لونه
فاعتقه أبوه ، وقال
أبي بن ماسك ١ قال

راجلا حافيا بلرداء ولا حمامة ولا قلنسوة يعود الرضى في أقصى المدينة^(١) يحب الطيب ويكره الرائحة الردئية^(٢) ويحالى القراء^(٣) ويؤاكل الساكنين^(٤) ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم^(٥) يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم^(٦) لا يعمو على أحد^(٧)

(١) حديث كان يركبها أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بقلشيباء ومرة حمارا ومرة راجلا ومرة حافيا بلرداء ولا حمامة ولا قلنسوة يعود الرضى في أقصى المدينة في الصحيحين من حديث أنس ركوبه صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة وسلم من حديث جابر بن سمرة ركوبه القرس عرياحين انصرف من جنازة ابن الدحداح وسلم من حديث سهل بن سعد كان قلني صلى الله عليه وسلم فرس يقال له: اللحييف ولهما من حديث ابن عباس طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بيرو ولهما من حديث البراء رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بقلته البيضاء يوم حنين ولهما من حديث أسامة أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على إكاف الحديث ولها من حديث ابن عمر كان يأتي قبا راكبا وما يقابلها وسلم من حديثه في عيادته صلى الله عليه وسلم لسعد بن عباد بن قتامة وقننا معه ونحن بضمة عشر ماعليا نعالا ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نحى في السياخ الحديث (٢) حديث كان يحب الطيب والرائحة الطيبة ويكره الروائح الردئية من حديث أنس جيب إلى النساء والطيب وذلك من حديث عائشة أنها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فغفلها وكان يعبه الريح الطيبة لفظك وقال صحيح على شرط الشيخين وابن عدى من حديث عائشة كان يكره أن يوجد منه إلى الريح طيبة (٣) حديث كان يحالى القراء د من حديث أبي سعيد جلست في عصابة من منغاف الهاجرين وإن بعضهم ليستربضا من العرى الحديث وفيه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل نفسه فينا الحديث وهو من حديث خباب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا الحديث في نزول قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم - إصاها حسن (٤) حديث مؤاكلة المساكين خ من حديث أبي هريرة قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بث بها إليهم ولم يتناولوا منها وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها (٥) حديث كان يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم ت في التنازل من حديث على الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم وكان من سيرته إشار أهل الفضل بأذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين وفيه يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويؤلف عليهم الحديث والطرابي من حديث جرير في قصة إسلامه فألقى إلى كساءه ثم أقبل على أصحابه ثم قال إذا جاءكم كريم قوم فآكروهم وإسناده جيد ورواه ك من حديث معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه نحوه وقال صحيح الاستناد (٦) حديث كان يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ك من حديث ابن عباس كان يجلس العباس لإجلال الوالد والوالدة وله من حديث سعد بن أبي وقاص أنه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليا فقال ما أنا بأخركم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه قال في الأول صحيح الاستناد وسكت عن الثاني وفيه مسلم للثلاثي شريف فأثر عليا لفضله بتقدم إسلامه وشهوده بدارا والله أعلم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد لا ييقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر (٧) حديث كان لا يعمو على أحد دت في التنازل ون في اليوم والليلة من حديث أنس كان قفا يواجه رجلا حتى يكرهه وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبي هريرة أن رجلا استأذن عليه صلى الله عليه وسلم فقال بش أخو العشرة فلما دخل ألان له القول الحديث .

جاء رجلان عليهما ثياب بيضاء فاضجماني فشقا بطي ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم ردا كما كان فرجنا به معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابن هذا قد أصيب انطلقنا بنا فلزده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف قالت فاحتشاه فلم تزع أنه إلا وقد قدما به عليا قالت ما ردكأ قد كنتا عليه حربين قلنا لا والله لا ضير إلا أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذي كان علينا وقلنا نحى الأملاف والأحداث نرده إلى أهله قالت ماذا بكما فاصدقاني شاككا فلم تمدنا حتى أخبرنا خبره فقالت خشيتا عليه الشيطان

يقبل معدرة اللعتر إليه ^(١) يمزج ولا يقول إلا حقا ^(٢) يضحك من غير قهقهة ^(٣) يرى اللب البياح فلا يسكره ^(٤) يساق أله ^(٥) وترفع الأصوات عليه فيصبر ^(٦) وكان له لقاح وغنم ينفوت هو وأهله من ألبانها ^(٧) وكان له عبيد وإماء لا يرضع عليهم في مأكل ولا لبس ^(٨) ولا يفضله وقت في غير عمل لله تعالى أو فبا لا بد منه من صلاح نفسه ^(٩) يخرج إلى بساتين أصحابه ^(١٠)

(١) حديث يقبل معدرة اللعتر إليه متفق عليه من حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه طلق الخلفون يتخذون إليه قبل منهم علانيهم الحديث (٢) حديث يمزج ولا يقول إلا حقا أحمد من حديث أبي هريرة وهو عند ت لفظ قالوا إنك تداعينا قال إني ولا أقول إلا حقا وقال حسن (٣) حديث ضحكه من غير قهقهة الشيخان من حديث عائشة مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى لهواته إنما كان يتسم وت من حديث عبد الله بن الحارث ابن جزء ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسما قال صحيح غريب وله في الثمائل في حديث هند بن أبي هالة جل ضحكه التبسم (٤) حديث يرى اللب البياح ولا يكرهه الشيخان من حديث عائشة في لب الحبيشة بين يديه في المسجد وقال لهم دونكم يا بني أرفقة وقد تقدم في كتاب الباع (٥) حديث مسابته صلى الله عليه وسلم أهله دون في الكبرى وه من حديث عائشة في مسابته لها وتقدم في الباب الثالث من التكا (٦) حديث رفع الأصوات عنده فيصبرخ من حديث عبد الله بن الزبير قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر التمتع بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافتك قتاريا حتى ارضعت أصواتها فزلت - يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله - (٧) حديث وكان له لقاح وغنم ينفوت هو وأهله من ألبانها محمد بن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة كان عيشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللب أوقات أكثر عيشنا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاح بالغابة الحديث وفي رواية له كانت لنا أغر سبع فكان الراعي يبلغ بهن مرة الحى ومرة أحدا وبروح بهن علينا وكانت لقاح بذى الحبل فيؤب إلينا ألبانها بالليل الحديث وفي إسنادهم محمد بن عمر الواقدي ضيف في الحديث وفي الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع كانت لقاح رسول الله ﷺ ترى بذى قرد الحديث ولأبي داود من حديث لقيط بن صبرة لنا غنم مائة لا تريد أن تزيد فإذا ولد الراعى بهمة ذبحنا مكناها شاء الحديث (٨) حديث كان له عبيد وإماء فلا يرضع عليهم في مأكل ولا لبس محمد بن سعد في الطبقات من حديث سلمى قالت كان خدم النبي صلى الله عليه وسلم أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد أعتقهم كلهم وإسناده ضعيف وروى أيضا أن أبا بكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد المزب بأساء خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بركة أم أيمن وزيد بن حارثة وأبا كبشة وأمنة وعفرائ وسفيانة وتوبان ورباحا ويسارا وأبارافع وأباموية ورافعا أعتقهم كلهم وفضالة ومدعما وكركرة وروى أبو بكر بن الضحاك في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري ناسد ضعيف كان صلى الله عليه وسلم يأكل مع خادمه وم من حديث أبي اليسر أطمعهم بما نأكلون واليسوم عما تلبسون الحديث (٩) حديث لا يفضى له وقت في غير عمل لله تعالى أو فبا لا بد منه من صلاح نفسه ت في الثمائل من حديث علي بن أبي طالب كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزأ لأهله وجزأ لنفسه ثم جزأ لغيره وبين الناس فرد ذلك بالحاسة على العامة الحديث (١٠) حديث يخرج إلى بساتين أصحابه تقدم في الباب الثالث من آداب الأكل خر وجه صلى الله عليه وسلم إلى بساتين أبي الهيثم بن التيهان وأبي بوب الأنصاري وغيرهما.

كلا والله ما للشيطان عليه سيل وإنه لكان لا يني هذا شأن ألا أخبرك ما جره قلنا بل قالت حملت به لما حملت حملت أخف منه قالت فرايت في التوم حين حملت به كأنه خرج حتى نور قد أضاءت به قصور الشام لم يقمه الولود متعدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء فدعاه عنكا فمد أن طهر الله رسوله من نصب الشيطان بعث النفس الزكية النبوة على حد غوس البشر لها ظهور بصفات وأخلاق مبقاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق لوجود أمهات تلك الصفات في نفوس الأمة يزيد من الظلمة

لا يحضر مسكننا فقره وزماته ولا يهاب ملكا للملك يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا (١) قد جمع الله تعالى له السيرة القاضية والسياسة التامة وهو أي لا يقرأ ولا يكتب نساء في بلاد الجهل والصحارى في قرى وفي رعاية التمس لآب له ولا أم فعله الله تعالى جميع حاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والنبطة والمخلص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول (٢) . وقتنا الله لطاعته في أمره والتأسي به في نه آئين يارب العالمين .

(بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه)

مما رواه أبو البحتري قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المؤمنين بشتمه لإجلها كفارة ورحمة (٣) وما لمن امرأة قط ولا خادما بلنة (٤) وقيل له وهو في القتال لو لم يمتهم بارسول الله

(١) حديث لا يحضر مسكننا فقره وزماته ولا يهاب ملكا للملك يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحدا
 خ من حديث سهل بن سعد مرّ رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقولون في هذا ؟
 قالوا حري إن خطب أن ينكح الحديث وفيه لمّ رجل من قراء المسلمين فقال ما تقولون في هذا ؟
 قالوا حري إن خطب أن لا ينكح الحديث وفيه هذا خير من ملّ الأرض مثل هذا وم من حديث
 أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى ويصير والتجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى
 الله عز وجل (٢) حديث قد جمع الله له السيرة القاضية والسياسة التامة وهو أي لا يقرأ ولا يكتب
 نساء في بلاد الجهل والصحارى وفي قرى وفي رعاية التمس لآب له ولا أم فعله الله جميع حاسن الأخلاق
 والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والنبطة والمخلص في
 الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول هذا كله معروف معلوم فروى ت في الثبائل من حديث طي
 ابن أبي طالب في حديثه الطويل في صفته وكان من سيرته في جزء الأمة إشار أهل الفضل بأذنه
 وقسمه الحديث وفيه فسأله عن سيرته في جلسائه فقال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب
 الحديث وفيه كان يخزن لسانه إلا فيما بينه وفيه قد ترك نفسه من ثلاث من الزناء والإكثار
 وما لا بينه الحديث وقد تقدم بضمه وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس في قوله - وما كنت
 تلوم من قبله من كتاب ولا خطه يمينك - قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب
 وقد تقدم في العلم والبخارى من حديث ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق
 الثلاثين ومائة في سورة الأنعام - قد خسر الدين قتلوا أولادهم سفها بغير علم - وحسب من
 حديث أم سلمة في قصة هجرة الحبشة أن جفرا قال فتجاشي أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية بعيد
 الأصنام ونأكل للينة الحديث ولأحمد من حديث أبي بن كعب إن لقي صحرا ابن عشرين وأشهر
 فاذا كلام فوق رأس الحديث وخ من حديث أبي هريرة كنت أرهاها أي التمس على قريريط
 لأهل مكة ولأبي بل وحب من حديث حليمة إنما تزجوا أكرامة الرضاة من والد للولود وكان بها
 الحديث وتقدم حديث بنت بمكارم الأخلاق (٣) حديث ما شتم أحدا من المؤمنين إلا جلها الله
 كفارة ورحمة متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فأي المؤمنين لمته شتمته
 جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة . وفي رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفي رواية فاجعلها كفارة
 وقربة وفي رواية فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة (٤) حديث ما لمن امرأة ولا خادما قط للعروف
 ما ضرب مكان لمن كما هو متفق عليه من حديث عائشة والبخارى من حديث أنس لم يكن ظاهرا
 ولا باطنا وسيأتي الحديث الذي يمد فيه هذا المعنى .

غابوت حال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 وحال الأمة فامتدت
 تلك الصفات للبقاء
 بظهورها في رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 بتزليل الآيات المحكمات
 لجزائها قسمها تأديا
 من الله تلبية رحمة
 خاصة له وطاعة للأمة
 موزعة بنزول الآيات
 على الآباء والأوقات
 عند ظهور الصفات
 قال الله تعالى - وقالوا
 لولا نزل عليه القرآن
 جملة واحدة كذلك
 لنثبت به فؤادك
 ورتلناه تزيلا -
 وثبتت القواد بد
 اضطراب بحركة النفس
 بظهور الصفات
 لارتباط بين القلب
 والنفس وعند كل
 اضطراب آية متضمنة
 لخلق صلح حتى إما

قال هـ إنما بعث رحمة ولم أبعث لعنا^(١) وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له^(٢) وما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب به في سبيل الله تعالى وما انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله وما خبر بين أمرين قط إلا أخار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رسم فيكون أبعد الناس من ذلك^(٣) وما كان يأتيه أحد حر أو عبدا وأمة إلا قام معنى حاجته^(٤) وقال أنس رضي الله عنه والذي بشه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لمضته ولا لمي نسائه إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقد^(٥) قالوا وما تاب رسول الله ﷺ مضجعاً إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض^(٦) وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعث في السطر الأول فقال محمد رسول الله عدي المختار لافظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، مؤدبه بمكة وهجرته بطابة وملسكه بالشام يأنزر على وسطه هو ومن معه دعاء القرآن والعلم ينص على أطرافه وكذلك نفعه في الأنجيل وكان خلقه أن يبدأ من قبله بالسلام^(٧) ومن قومه حاجة صابرة حتى يكون هو للتصرف^(٨) وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر^(٩)

(١) حديث إنما بعث رحمة ولم أبعث لعنا م من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له الشيخان من حديث أبي هريرة قالوا يا رسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع عليهم قيل هل كنت دوس فقال اللهم اهد دوسا وانتهم (٣) حديث ما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب في سبيل الله وما انتقم من شيء صنع إليه إلا أن تنتهك حرمة الله الحديث متفق عليه من حديث عائشة مع اختلاف وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصلوة (٤) حديث ما كان يأتيه أحد حر أو عبداً أو أمة إلا قام معه في حاجته فليقم من حديث أنس إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة تأخذ يد رسول الله ﷺ فتطلق بحيث شاءت وتوصله ه وقال في أنزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها وقد تقدم وتقدم في شأن من حديث ابن أبي أوفى ولا يأتى ولا يستكر أن يمشي مع الأرملة والسكين حتى يقضي لهما حاجتهما (٥) حديث أنس والذي بشه بالحق ما قال في شيء قط كرهه لمضته ولا لمي أحد من أهله إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقد روي الشيخان من حديث أنس ما قال كفى صنته لم صنته ولا شيء ركنته لم ركنته وروى أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث له فيه ولا أمرى بأمر فثابت فيه فثابتني عليه فإن عاتبنى أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شيء كان وفي رواية له كذا أفضى (٦) حديث ما عاب مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرشوا له اضطجع على الأرض، لم أجده بهذا اللفظ والمعروف ما عاب طعاما ويؤخذ من عموم حديث على بن أبي طالب ليس يفض إلى أن قال ولا عياب رواه في التماثل والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة وروى ابن أبي عاصم في كتاب السنن من حديث أنس ما علفه عاب شيئا قط وفي الصحيحين من حديث عمر اضطجعا على حصير وتوصحه من حديث ابن مسعود نام على حصير فقام وقد أثر في جنبه الحديث (٧) حديث كان من خلقه أن يبدأ من قبله بالسلام في التماثل من حديث هند بن أبي هالة (٨) حديث ومن قومه حاجة صابرة حتى يكون هو للتصرف الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث على بن أبي طالب وهو من حديث أنس كان إذا لقي الرجل يكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو للتصرف ورواه ت نحوه وقال غريب (٩) حديث وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر م من حديث أنس الذي قبله كان إذا استقبل الرجل فضاخه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع لفظه وقال غريب .

وكان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأ بالمصافحة ثم أخذ يده فشا به ثم شد قبضته عليها^(١) وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله^(٢) وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة ؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته^(٣) وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوكة^(٤) ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه^(٥) لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس^(٦) وما رؤى قط ماداً أرجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون للكان واسما لاضيق فيه وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة^(٧) وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه^(٨) وكان يؤثر الداخل عليه بالسواة التي تحته فإن أبي أن يقلعها عزم عليه حتى يفعل^(٩) وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه^(١٠) حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة

(١) حديث كان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأ بالمصافحة ثم أخذ يده فشا به ثم شد قبضته من حديث أبي ذرٍّ وسأله رجل من غزوة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصاحك إذا لقيتموه قال ما لقيته قط إلا صاحني الحديث ، وفيه الرجل الذي من غزوة ولم يسم وصاحا البيهقي في الأدب عبد الله وروينا في علوم الحديث للحاكم من حديث أبي هريرة قال شريك يدي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وهو عندهم بلفظ أخذ رسول الله ﷺ يدي (٢) حديث كان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله عز وجل ت في الثمالي من حديث علي في حديث الطويل في صفته وقال علي ذكر بالتون (٣) حديث كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته لم أجده أصلا (٤) حديث كان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوكة د ت في الثمالي من حديث أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتج يديه وإسناده ضعيف والبخاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه فناء الكعبة محتيا يديه (٥) حديث إنه لم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه د من حديث أبي هريرة وأبي ذرٍّ قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيب التريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل الحديث (٦) حديث إنه جئنا انتهى به المجلس جلس ت في الثمالي في حديث علي الطويل (٧) حديث ما رؤى قط ماداً أرجليه بين أصحابه حتى يضيق بها على أحد إلا أن يكون للكان واسما لاضيق فيه الدار قطني في غرائب مالك من حديث أنس وقال باطل وتوهلر مقدما ركبته بين يدي جلس له زاد ابن ماجه قط وسنده ضعيف (٨) حديث كان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه ك وصحح إسناده من حديث أنس . دخل جرير بن عبد الله في التي صلى الله عليه وسلم وفيه فأخذ برده فألقاها عليه فقال اجلس عليها يا جرير الحديث وفيه فإذا أتاكم كرم قوم فأكرموا وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصعبة ولطبراني في الكبير من حديث جرير فأتني إلى كساء ولأن نعيم في الحلية فيسقط إلى رداءه (٩) حديث كان يؤثر الداخل بالسواة التي تكون تحت الحديث تقدم في الباب الثالث من آداب الصعبة (١٠) حديث ما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة ت في الثمالي من حديث علي الطويل وفيه ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحب جلسيه أن أحدا أكرم عليه منه وفيه مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة.

معنى قوله عليه السلام « إنما أنسى لأسن » فظهر صفات نفسه الشريفة وقت استئصال الآيات لتأديب قوس الأمة وتهذيبها رحمة في قهقه حتى تزكي قوسهم وتشرف أخلاقهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأخلاق حمزة عند الله تعالى فإذا أراد الله تعالى ببعد خيرا منه منها خلقا وقال صلى الله عليه وسلم « إنما بحث لأتمم مكارم الأخلاق » . وروى عنه صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ما مقبوضة عشر

ولله تعالى - فبارحة من الله لت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نقصوا من حوكم - ولقد كان يدعو أصحابه بكنام إكراما لهم واستئالة لقلوبهم (١) ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به (٢) ويكنى أيضا النساء اللاتي هن الأولاد واللاتي لم يلدن ينادى لهن السكنى (٣) ويكنى الصبيان فيسئلين به (٤) قلوبهم وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا (٥) وكان أرق الناس بالناس وخير الناس للناس وأضع الناس للناس (٦) ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات (٧) وكان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم ومحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ثم يقول عشرين جبريل عليه السلام (٨) .

(بيان كلامه وضحه على الله عليه وسلم)

كان على الله عليه وسلم أفصح الناس منطقا وأحلام كلاما ويقول (٩) :

(١) حديث كان يدعو أصحابه بكنام إكراما لهم واستئالة لقلوبهم في الصحيحين في قصة الغار من حديث أبي بكر بابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وللحاكم من حديث ابن عباس أنه قال لعمر بابا حفص أبصرت وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر إنه لأول يوم كنانى فيه بأبى حفص وقال صحيح على شرطهم وفي الصحيحين أنه قال لعلى قم بابا تراب وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك أن أباحسن وجد مضى في بطنه فتخلخت عليه بريد عليا ولأبى يمل الوصل من حديث سعد ابن أبي وقاص فقال من هذا أبو إسحاق فقلت نعم وللحاكم من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له (٢) حديث كان يكنى من لم يكن له كنية وكان يدعى بما كناه به ت من حديث أنس قال كنانى النبي صلى الله عليه وسلم بقة كنت أختلج بيني أبا حمزة قال حديث غريب وه أن عمر قال لصبي بن مالك تكنتى وليس لك ولد قال كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابى يحيى وللطبرانى من حديث أبي بكرة تدليت يكره من الطائف فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم فأنت أبو بكرة (٣) حديث كان يكنى النساء اللاتي هن الأولاد واللاتي لم يلدن ينادى لهن السكنى ك من حديث أم أيمن في قصة شربها بول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يأمن قولى إلى تلك الفخارة الحديث وه من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ كل أزواجك كنيته غيرى قال فأنت أم عبد الله وخ من حديث أم خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يأمن خالد هذا سنة وكانت صغيرة وفيه مولى للزبير لم يسم ولأبى داود باسناد صحيح أنها قالت يا رسول الله كل مواشى لهن كنى قال فاكنتى بابنك عبد الله بن الزبير (٤) حديث كان يكنى الصبيان في الصحيحين من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخ له صغير بابا عمير ما ضل النغير (٥) حديث كان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا هذا من اللعوم ويدل عليه إخباره صلى الله عليه وسلم أن بى آدم خيرهم بطىء التضب سريع النقى رواه ت من حديث أبى سعيد الخدرى وقال حديث حسن وهو صلى الله عليه وسلم خير بى آدم وسيدهم وكان ﷺ لا يضرب نفسه ولا يتصر لها رواد في الثبائل من حديث هذين أبى هالة (٦) حديث كان أرق الناس بالناس وخير الناس للناس وأضع الناس للناس هذا من اللعوم وروينا في الجزء الأول من فوائد أبى السداح من حديث على في صفة النبي صلى الله عليه وسلم كان أرحم الناس بالناس الحديث بطوله (٧) حديث لم تكن ترفع في مجلسه الأصوات ت في الثبائل من حديث على الطويل (٨) حديث كان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم ومحمدك الحديث أخرجه النسائى في اليوم واليلة وك في المستدرک من حديث رافع بن خديج وتقدم في الأذكار ولله عوات (٩) حديث كان أفصح الناس منطقا وأحلام كلاما أبو الحسن بن الضحاك في كتاب الثبائل وابن الجوزى

خلقا من آله واحدا منها دخل الجنة وتقديرها وتعديدها لا يكون إلا بوحى سماوى لمسل ونهى والله تعالى أبرز إلى الخلق أمامه منبئة عن صفاته سبحانه وتعالى وما أظهرها لهم إلا ليدعوم إليها ولولأن الله تعالى أودع في القوسى البشرية التخلق بهذه الأخلاق ما أبرزها لهم دعوة لهم إليها بخص رحمة من يشاء ولا يمد والله أعلم أن قول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز فاضل وزام

أنا أفصح العرب ^(١) وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ^(٢) وكان نزر الكلام مع اللقاة إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه كخرزات نظم ^(٣) قالت عائشة رضي الله عنها كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا كان كلامه نزرا وأتم تترون الكلام ثرا ^(٤) قالوا وكان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وصكان مع الإعجاز يجمع كل ما أراد ^(٥) وكان يتكلم بجوامع الكلم لافضول ولا تقصير كأنه يتبع بضه بين كلامه توقف يحفظه سامعه وبه ^(٦) وكان جهر الصوت أحسن الناس نعمة ^(٧) وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ^(٨)

في الوفاء بإسناد ضيف من حديث بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفصح العرب وكان يتكلم بالكلام لا يدرون ما هو حتى يجبرهم ^(١) حديث أنا أفصح العرب الطبراني في الكبير من حديث أبي سعيد الخدري أنا أعرب العرب وإسناده ضعيف وك من حديث عمر قال قالت يار رسول الله ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا الحديث . وفي كتاب الرد للطلالين أبي الدنيا في حديث مرسل أن أعرابيا قال قلني صلى الله عليه وسلم ما رأيت أفصح منك ^(٢) حديث إن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم لك من حديث ابن عباس وصححه كلام أهل الجنة عربي ^(٣) حديث كان نزر الكلام مع اللقاة إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه خرزات النظم الطبراني من حديث أم معبد وكان منطق خرزات نظم يتحدرون حلو للنطق لا نزر ولا هذر وقد تقدم وسأني من حديث عائشة بسده كان إذا تكلم تكلم نزرا وفي الصحيحين من حديث عائشة كان يحدثنا حديثا لوعده العاد لأحشاء ^(٤) حديث عائشة كان لا يسرد كسردكم هذا كان كلامه نزرا وأتم تترونه ثرا اتفق الشيخان على أول الحديث وأما الجتلان الأخبرتان فرواه الحلبي في فوائده بإسناد منقطع ^(٥) حديث كان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الإعجاز يجمع كل ما أراد عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع والدارقطني من حديث ابن عباس بإسناد جيد أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصارا وشرطه الأول متفق عليه كاسيأتي قال خ يلقني في جوامع الكلم أن الله جمعه الأمور الكثيرة في الأمر الواحد والأميرين ونحو ذلك وللاحكام من حديث عمر المتقدم كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل لحفظها ^(٦) حديث كان يتكلم بجوامع الكلم لافضول ولا تقصير كلام يتبع بضه بين كلامه توقف يحفظه سامعه وبه ^(٧) في التماثل من حديث هند بن أبي هالة وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بشت بجوامع الكلم ولأبي داود من حديث جابر كان في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل وفيه شخب لم يسم وله والقرمذي من حديث عائشة كان كلام النبي صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه وقالت يحفظه من جلس إليه وقالت في اليوم واليلة يحفظه من سمعه وإسناده حسن ^(٧) حديث كان جهر الصوت أحسن الناس نعمة ت ن في الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر بيننا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت جهوري يا محمد فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو من صوته هاؤم الحديث . وقال أحمد في مسنده وأجابه نحو مما تكلم به الحديث وقد يؤخذ من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان جهوري الصوت ولم يكن يرضه دائما وقد يقال لم يكن جهوري الصوت وإنما رفع صوته رفقا بالأعرابي حتى لا يكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر والشيخان من حديث البراء ماصمت أحدا أصحنا صوتا منه ^(٨) حديث كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ت في التماثل من حديث هند بن أبي هالة .

خلى إلى الأخلاق
الروائية فاحتشمت
من الحضرة الإلهية
أن تقول متخلقا
بأخلاق الله تعالى
فبرت عن النبي ولما
كان خلقه القرآن
استجاء من صبحات
الجلال وستر لالحال
بلطف اللقال وهذا
من وفور عليها وكال
أدبها وبين قوله تعالى
- ولقد آتيناك سمعا
من الثاني والقرآن
العظيم - وبين قوله
- وإنك لعل خلق عظيم -
مناسبة مشعرة بقول
عائشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن .
قال الجنيدي رحمه الله

ولا يقول للسكر ولا يقول في الرضا والنضب إلا الحق (١) ويعرض عن تكلم بغير جيل (٢) ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره (٣) وكان إذا سكت تكلم - لمساؤه ولا يتنازع عنده (٤) في الحديث وسط بالجد والصيحة (٥) ويقول لا تضربوا القرآن بضه يعض فانه أنزل على وجوه (٦) وكان أكثر الناس تبسا وضحكاً في وجوه أصحابه وتبسيا مما تحدثوا به وخطا لنفسه بهم (٧) وربما ضحك حتى تبدو نواجذه (٨) وكان ضحك أصحابه عنده التيسم اقتداء به وتوقيراً له (٩) قالوا ولقد جاءه أعرابي يوماً وهو عليه السلام متغير اللون ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابي فانا نسكر لونه فقال دعوني فوالذي بيته بالحق نيا لأدعه حتى يتيسم فقال يا رسول الله بلغنا أن المسيح يبنى الدجال يأتي الناس بالتريد وقد هلكوا جوعاً أتري بي بأبي أنت وأمي أن أكف عن ثريده تفتا وتزها حتى أهلك هزالاً أم أضرب في ثريده حتى إذا تضلفت شبعاً آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يضيئ الله بما يفي به للؤمنين (١٠) قالوا وكان

(١) حديث لا يقول للسكر ولا يقول في الرضا والنضب إلا الحق د من حديث عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهى قريش وقالوا تكتب كل شيء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يترى يتكلم في النضب والرضا فأمسكت عن الكتاب ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بأبضه إلى فيه وقال اكتب فوالذي قضى يده ما يخرج منه إلا حق رواه ك وصححه (٢) حديث يعرض عن تكلم بغير جيل ت في الثبائل من حديث علي الطويل يتغافل عما لا ينشئ الحديث (٣) حديث يكنى عما اضطره الكلام مما يكره فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رافعة حتى تذوق عسلته وبذوق عيلتك روله خ من حديث عائشة ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها في الرأه التي سأله عن الاغتسال من الجيخ خذي فرصة ممسكة فتطري بها الحديث (٤) حديث كان إذا سكت تكلم جلساًؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ت في الثبائل في الحديث علي الطويل (٥) حديث يعط بالجد والصيحة م من حديث جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحمرت عيناه وتلاصوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول مبعكم وما سكت الحديث (٦) حديث لا تضربوا القرآن بضه بعض وأنه أنزل على وجوه الطيراني من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد حسن إن القرآن يصدق بضه بعضاً فلا تكذبوا بضه بعض في رواية للهرودي في ذم الكلام إن القرآن لم ينزل لتضربوا بضه بعض في رواية له أهبذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بضه بعض في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف (٧) حديث كان أكثر الناس تبسا وضحكاً في وجوه أصحابه وتبسيا مما تحدثوا به وخطا لنفسه بهم ت من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحداً أكثر تبسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين من حديث جرير ولا رآني إلا تبسم وت في الثبائل من حديث علي يشحك مما تضحكون منه ويشجب مما تعجبون منه وم من حديث جابر بن مرة كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتيسم (٨) حديث وربما ضحك حتى تبدو نواجذه متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود في قصة آخر من يخرج من النار وفي قصة الجبر الذي قال إن الله يضع السموات على أصبع ومن حديث أبي هريرة في قصة الجامع في رمضان وغير ذلك (٩) حديث كان ضحك أصحابه عنده التيسم اقتداء به وتوقيراً له ت في الثبائل من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديثه الطويل جل ضحكك التيسم (١٠) حديث جاءه أعرابي يوماً وهو متغير ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابي فانا نسكر لونه فقال دعوني والذي بيته بالحق نيا لأدعه حتى يتيسم فقال

كان خلقه عظماً لأنه لم يكن له حمة سوى الله تعالى وقال الواسطي رحمه الله لأنه جاد بالكونين عرضاً عن الحق وقيل لأنه عليه السلام عاثر الخلق بخلقهم وبابنهم بقلبه وهذا ما قاله بعضهم في معنى التصوف: التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صمرت الأكوام في عينه بمشاهدة مكنونها وقيل معنى خلقه عظمها لاجتماع مكارم الأخلاق فيه . وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته إلى

من أكثر الناس تبساً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يحط بحطبة عظة (١) وكان إذا سر ورضي فهو أحسن الناس رضا فان وعظ وعظ بعد وإن غضب وليس يغضب إلا لله لم يقم لتبسه شيء وكذلك كان في أموره كلها (٢) وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول : اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه وأرني للسكر منكراً وارزقني اجتنابه وأعذني من أن يشبهه على فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تباً لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (٣)

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد (٤) وكان أحب الطعام إليه ما كان على صنف (٥) والضعف

يارسول الله بلغنا أن السبع الدجال يأتي الناس بالتريد وقد هلكوا جوعاً الحديث وهو حديث منكر لم أقفله على أصل ورده قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الثيرة بن شعبة اتفق عليه حين سأله أنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك وفي رواية لمسلم أنهم يقولون إن معه جبلاً من خبز ولحم الحديث نعم في حديث حذيفة وأبي مسعود اتفق عليهما إن معه ماء ونارا الحديث (١) حديث كان من أكثر الناس تبساً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه القرآن أو يذكر الساعة أو يحط بحطبة عظة تقدم حديث عبد الله بن الحارث ما رأيت أحداً أكثر تبساً منه وللطبراني في معارج الأئمة الحديث (٢) حديث جابر كان إذا نزل عليه الوحي قلت نذر قوم فإذا سري عنه فأكثر الناس ضحكاً الحديث ولأحمد من حديث علي أواليزير كان يحط بذكر أيام الله حتى يرف في وجهه وكأنه نذير قوم يسبهم الأمر غدوة وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبس ضاحكاً حتى يرتفع عنه ورواه أبو يعلى من حديث الزبير من غير شك وللعالم من حديث جابر كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وهو عند مسلم باقظ كان إذا خطب (٣) حديث كان إذا سر ورضي فهو أحسن الناس رضا وإن وعظ وعظ بعد وإن غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لتبسه شيء وكذلك كان في أموره كلها أبو الشيخ بن حبان في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف غضبه ورضاه بوجهه كان إذا رضى فكأنما تلاحك الجدر وجهه وإسناده ضعيف والراد به الرأفة توضع في الشمس فيرى ضوءها على الجدار والشيخين من حديث كعب بن مالك قال وهو يريق وجهه من السرور وفيه وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه الحديث وم كان إذا خطب احمرت عيناه وعلاسوته واشتد غضبه الحديث وقد تقدم وت في الشائل في حديث هذبن أي حالة لا تغضب الدنيا وما كان منها فإذا أعدى الحق لم يقم لتبسه شيء حتى يتصره ولا يغضب لنفسه ولا يتصرها وقد تقدم (٤) حديث كان يقول اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه وأرني للسكر منكراً وارزقني اجتنابه وأعذني من أن يشبهه على فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تباً لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم لم أقف لأوله على أصل ، وروي الاستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : اللهم إنك سألنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطنا منها ما برضيك عنا وم من حديث عائشة فيها كان يغتص به صلاته من الليل اهدني لما اختلف فيه إلى آخر الحديث .

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

(٤) حديث كان يأكل ما وجد تقدم (٥) حديث كان أحب الطعام إليه ما كان على صنف

حسن الخلق في حديث أخبرنا به الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا القنص المروى قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد الجراسي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذي قال حدثنا أحمد بن الحسين ابن خراش قال حدثنا جبان بن هلال قال حدثنا مبارك بن فضالة قال حدثني عبد الله ابن سعيد عن محمد بن للتكر عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن

ما كثرت عليه الأيدي ، وكان إذا وضعت السائدة قال : باسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة ^(١) وكان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس للصلى إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ^(٢) وكان لا يأكل الحار ويقول : إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا نارافأبروه ^(٣) وكان يأكل مما يليه ^(٤) ويأكل بأصابعه الثلاث ^(٥) وربما استعان بالربعة ^(٦) ولم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان ^(٧) وجاءه عثمان بن عفان رضى الله عنه فبالوذج فأكل منه وقال ما هذا يا أبا عبد الله قال بأى أنت وأهى نجس السمن والصل في البرمة ونفضها على النار ثم تليته

أى كثرت عليه الأيدي أبو يعلى والطبراني في الأوسط وابن عدى في الكامل من حديث جابر بسند حسن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي ولأبى يعلى من حديث أنس لم يجمع له غذا وعشاء خبز وسلم إلا على صنف وإسناده ضعيف ^(١) حديث كان إذا وضعت السائدة قال باسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة . أما التسمية فرواهان من رواية من خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرب إليه طعاما يقول باسم الله الحديث وإسناده صحيح وأما بقية الحديث فلم أجده ^(٢) حديث كان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وقدميه كما يفعل للصلى إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد . عبد الرزاق في الصنف من رواية أيوب مضلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل احتضر وقال كل كايا كذا الحديث وروى ابن الضحاك في التباين من حديث أنس بسند ضعيف كان إذا قد على الطعام استوفى على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفضل كما يفعل العبد روى أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بسند حسن من حديث أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشى على ركبتيه وكان لا يتكلم ^(٣) وأورده في صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبره من حديث ابن عمر إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ولأبى يعلى من حديث عائشة آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وسندها ضعيف ^(٤) حديث كان لا يأكل الحار ويقول إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا نارالبهيقي من حديث أبي هريرة بسند صحيح آتى النبي صلى الله عليه وسلم يوما بطعام سخن فقال ما دخل بطنى طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم ولأحمد بإسناد جيد والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث حولة بنت قيس وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فقضها لفظ الطبراني والبيهقي وقال أحمد فأحرقت أصابعه فقال حسن والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة أبردوا الطعام فإن الطعام الحار غير ذي بركة وله فيه وفي الصغير من حديثه آتى بصحفة فخور فرفض يده منها وقال إن الله لم يطعمنا نارا وكلامها ضعيف ^(٥) حديث كان يأكل مما يليه أبو الشيخ بن حبان من حديث عائشة وفي إسناده رجل لم يسم وصماه في رواية له وكذلك البيهقي في روايته في الشعب عبيد بن القاسم نسب سفيان الثوري وقال البيهقي تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب ولأبى الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه ^(٥) حديث أكله بأصابعه الثلاث من حديث كعب بن مالك ^(٦) حديث استأثته بالربعة رويته في التيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمري هالك وفي مصنف ابن أبي شيبة من رواية الزهري مرسلان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بالحس ^(٧) حديث لم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان الدار قطنى في الأفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف لا تأكل بأصبع فانه أكل اللؤلؤ ولا تأكل بأصبعين فانه أكل الشياطين الحديث .

من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثرون للثنيقون قالوا يا رسول الله علنا الثرثرون وللثنيقون ؟ قال التكبرون والثرثرو للكار من الحديث والقشوق للظاول على الناس في الكلام قال الواسطي رحمه الله الخلق العظيم أن لا غصام ولا غصام وقال أيضا وإنك لعل خلق عظيم لو جدانك حلوة للطامة على

ناخذ مخ الحنطة إذا طحنت فثقله على السمن والصل في البرمة ثم نسوطة حتى ينضج فيأتي كآري
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا الطعام طيب ^(١) وكان يأكل خبز الشعير غير منخول ^(٢)
 وكان يأكل القثاء ^(٣) بالرطب ^(٤) والملح ^(٥) وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ ^(٦) والنب ^(٧)
 وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكّر ^(٨) وربما أكله بالرطب ^(٩) ويستعين بالدين جعاً وأكل
 يوماً الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فرث شاة فأشار إليها بالنوى لجلت تاحلل
 من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة ^(١٠) وكان ربما أكل النب

(١) حديث جاهد عثمان بن عفان بالغالوج الحديث قلت للعروف أن الذي صنعه عثمان الخبيص روله
 البيهقي في الشعب من حديث ليث بن أبي سليم قال إن أول من خبص الخبيص عثمان بن عفان قدمت
 عليه عبر تحمل النقي والصلء الحديث وقال هذا منقطع وروى الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث
 عبد الله بن سلام أقبل عثمان ومعه راحلة عليها غرارتان وفيه فاذا دقيق وحين وعسل وفيه ثم قال
 لأصحابه كلوا هذا الذي تسميه فارس الخبيص وأما خبر القالوج فرواه باسناد ضعيف من حديث
 ابن عباس قال أول ما سمعنا بالقالوج أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أمك تنح
 عليهم الأرض وغاض عليهم من الدنيا حتى إنهم ليأكلون القالوج قال النبي صلى الله عليه وسلم وما
 القالوج قال غلظون السمن والصلل جميعاً قال ابن الجوزي في الموضوعات هذا حديث باطل لا أصل له
 (٢) حديث كان يأكل خبز الشعير غير منخول البخاري من حديث سهل بن سعد (٣) حديث كان
 يأكل القثاء بالرطب متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر (٤) حديث كان يأكل القثاء بالملح
 أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره ورواه ابن عدى وفيه جاهد
 ابن كثير متروك (٥) حديث كان أحب الفاكهة الرطبة إليه البطيخ والنب أبو نعيم في الطب النبوي
 من رواية أمية بن زيد العيسى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب من الفاكهة النب والبطيخ
 وروى أبو الشيخ وابن عدى في الكامل والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أنس
 كان يأخذ الرطب يمينه والبطيخ يساره وبأكل الرطب بالبطيخ وكان أحب الفاكهة إليه وفيه يوسف
 ابن عطية الصغار جمع على ضعفه وروى ابن عدى من حديث عائشة كان أحب الفاكهة لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم الرطب والبطيخ وله من حديث آخر لها فإن خير الفاكهة النب وكلاهما ضعيف
 (٦) حديث كان يأكل البطيخ بالخبز والسكّر أما أكل البطيخ بالخبز فلم أره وإنما وجدت أكل
 النب بالخبز فيها ورواه ابن عدى من حديث عائشة مرفوعاً عليكم بالمرامة قيل يا رسول الله وما المرامة
 قال أكل الخبز مع النب فإن خير الفاكهة النب وخير الطعام الخبز وإسناده ضعيف وأما أكل البطيخ
 بالسكّر فإن أريد بالسكّر نوع من التمر والرطب مشهور فهو الحديث الآتي بعده وإن أريد به السكّر
 الذي هو الطبرزد فلم أره أصلاً إلا في حديث منكر معضل ورواه أبو عمر التوفاني في كتاب البطيخ من
 رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل بطيخاً يسكّر وفيه موسى بن إبراهيم
 للروزي كذبه يحيى بن معين (٧) حديث أكل البطيخ بالرطب بن من حديث عائشة وحسنه وه
 من حديث سهل بن سعد كان يأكل الرطب بالبطيخ وهو عند الدار يلفظ البطيخ بالرطب (٨) حديث
 استماتته بالدين جميعاً فأكل يوماً الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فرث شاة فأشار إليها
 بالنوى لجلت تاحلل من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة أما استماتته يديه
 جميعاً فرواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال آخر ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى يديه
 رطبات وفي الأخرى قثاء يأكل من هذه ويمض من هذه وتقدم حديث أنس في أكله يديه قبل

سرك وقال أيضاً أنك
 قبلت فون ما أديت
 إليك من نسي أحسن
 مما قبله غيرك من
 الأنبياء والرسول وقال
 الحسين لأنه لم يؤر
 فيك جفاء الخلق مع
 مطالمة الحق وقيل
 الخلق العظيم لباس
 القوى والتخلق
 بأخلاق الله تعالى إذ لم
 يبق للأعواض عنده
 خطر وقال بعضهم
 قوله تعالى ولو تولى
 علينا بعض الأقاويل
 لأخذنا منه باليمين -
 آم لأنه حيث ظالماتك
 أحضره وإذا أحضره
 أغفله وحجبه وقوله
 لأخذنا آم لأن فيه
 قثاء في قوله هذا القائل

خرطاً يرى رؤاه على لحته تمرز القؤل (١) وكان أكثر طعامه اللحم والتمر (٢) وكان يجمع اللبن بالتمر ويسمها الأطين (٣) وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لقل (٤) وكان يأكل التريد باللحم والقرع (٥) وكان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخرى يونس عليه السلام (٦) قالت عائشة رضي الله عنها وكان يقول وبأعائشة إذا طيختم قدراً فأكثروا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين (٧) وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد (٨) وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له ويؤتي به فيأكله (٩) وكان إذا أكل اللحم لم يسلط رأسه إليه ورضه إلى فيه رضاء ثم ينشئه انتهاشاً (١٠) وكان يأكل الحبز والسمن (١١)

هذا ثلاثة أحاديث وأما قصته مع الشاة فروى عنها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث أنس بإسناد ضعيف (١) حديث ربما أكل الغنم خرطاً الحديث ابن عدى في الكامل من حديث الياس والعتيل في الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا عنصراً وكلاماً ضعيف (٢) حديث كان أكثر طعامه اللحم والتمر خ من حديث عائشة توفي رسول الله ﷺ وقد شبعنا من الأسودين التمر والماء (٣) حديث كان يجمع اللبن بالتمر ويسمها الأطين أحمد بن حنبل في رواية إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال دخلت على رجل وهو يجمع لبن التمر وقال أدن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعنا الأطين ورجاله قاتوا وبهامة لا يضر (٤) حديث كان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لقل أبو الشيخ من رواية ابن سمان قال سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم الحديث وت في السائل من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا فدعنا له شاة فقال كأنهم علموا أنها أحب اللحم وإسناده صحيح و ه من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم (ه) حديث كان يأكل التريد باللحم والقرع م من حديث أنس (٦) حديث كان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخرى يونس ن ه من حديث أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القرع وقال ن الدباء وهو عند م بلفظ تصببه وروى ابن مردويه في قصصه من حديث أبي هريرة في قصة يونس فلفظته في أصل شجرة وهي الدباء (٧) حديث بأعائشة إذا طيختم قدراً فأكثروا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين رويها في فوائد أبي بكر الشافعي (٨) حديث كان يأكل لحم الطير الذي يصاد ت من حديث أنس قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال اللهم انني بأحب الخلق إليك يأكل مني هذا الطير فجاء على فأكل منه قال حديث غريب قلت وله طرق كلها ضعيفة ، وروى د ت واستر به من حديث سفينة قال أكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم لحم حباري (٩) حديث كان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له فيؤتي به فيأكله قلت هذا هو الظاهر من أحواله فقد قال من تبع الصيد غفل رواه د ت من حديث ابن عباس وقال حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني قد كانت قبلي فله رسل كلهم يصطاد ويطلب الصيد فهو ضعيف جداً (١٠) حديث كان إذا أكل اللحم لم يسلط رأسه إليه ورضه إلى فيه رضاء ثم ينشئه د من حديث صفوان بن أمية قال كنت أكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ اللحم من العظم فقال أدن اللحم من فيك فإنه أهني وأمرأ وت من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهش اللحم نهشاً فإنه أهني وأمرأ وهو منقطع والذي قلبه منقطع أيضاً وللشيوخ من حديث أبي هريرة فتناول الدراع فنهش منها نهشة الحديث (١١) حديث كان يأكل الحبز والسمن متفق عليه من حديث أنس في قصة طويلة فيها فأتى بذلك الحبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقت وعصرت أمهات عكة فأدتمه الحديث وفيه ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ه فصنعت فيها شيئاً من سم ولا يصح و د ه من

نظر فيها قال إن كان في ذلك فناء فني قوله وإنك بقاء وهو بقاء بعد فناء والبقاء أم من الفناء وهذا البقاء بمنصب الرسالة لأن الفناء إنما عز لمزاحة وجوده منموم فإذا نزع النجوم من الوجود وتبدلت السموات فأى عزة تبقى في الفناء فيكون حضوره بالله لا بنفسه فأى حجة تبقى هناك . وقبل من أول الخلق العظيم قدأوى أعظم للقمامات لأن للقمامات ارتباطاً عاماً والخلق ارتباطاً بالنعوت والصفات . وقال الجليلي اجتمع

وكان يجب من الشاة الذراع والكشف ، ومن القدر الدباء ومن الصباغ الحل ومن التمر المجوة ^(١) ودعا في المجوة بالبركة وقال هي من الجنة وغفاء من السم والبهر ^(٢) وكان يجب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحفاء التي يقال لها الرجلة ^(٣) وكان يكره الكليتين لمساكنهما من البول ^(٤) وكان لا يأكل من الشاة سباعا : الذكركر والأثنين والثلاثة والرارة والقند والحيا والسم ، ويكره ذلك ^(٥) وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات ^(٦) وماذم طعاما قط لكن إن أحميه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضه إلى غيره ^(٧) وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما ^(٨)

حديث ابن عمر وددت أن عندي خبزة يضاه من بر صمراء ملبقة بسمن الحديث قال د منكر .

(١) حديث كان يجب من الشاة الذراع والكشف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الحل ومن التمر المجوة وروى الشيخان من حديث أبي هريرة قال وضعت يدي على الله عليه وسلم قطعة من ثريد ولم تناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه الحديث . وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنف وإسناده ضعيف من حديث أبي هريرة ولم يكن يصبه من الشاة إلا الكنف وتقدم حديث أنس كان يحب الدباء قبل هذا بسة أحاديث ولأبي الشيخ من حديث أنس كان أحب الطعام إليه الدباء وله من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف كان أحب الصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلولة بالإسناد المذكور كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المجوة (٢) حديث دعا في المجوة بالبركة وقال هي من الجنة وغفاء من السم والسكر البزار والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن الأسود قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد سدوس فأهدينا له تمرا وفيه حتى ذكرنا تمر أهلنا هذا الجذامي قال بارك الله في الجذامي وفي حديثه خرج هذا منها الحديث قال أبو موسى للذي قيل هو تمر آخر وبن ه من حديث أبي هريرة المجوة من الجنة وهي شفاء من السم وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص من تصبغ سبع تمرات من مجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر (٣) حديث كان يجب من البقول الهندباء والبقلة الحفاء التي يقال لها الرجلة أبو نعيم في الطب النبوي من حديث ابن عباس عليكم بالهندباء فانه ما يوم إلا ويغطر عليه قطرة من قطر الجنة وله من حديث الحسن بن علي وأنس بن مالك نحوه وكلها ضيفة وأما الباذروج فم أجد فيه حديثا وأما الرجلة فتروى أبو نعيم من رواية ثور قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بالرجلة وفي رجله قرحة فدلواها بها فبرئت فقال رسول الله ﷺ بارك الله فيك أنبي حيث شئت فأنت شفاء من سبعين داء أدناه الصداع وهذا مرسل ضعيف (٤) حديث كان يكره الكليتين لمساكنهما من البول وروياه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشخير من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن علي العدوي أحد الكذابين (٥) حديث كان لا يأكل من الشاة : الذكركر والأثنين والثلاثة والرارة والقند والحيا والسم ، ابن عدى ومن طريقه البيهقي من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ورواه البيهقي من رواية عجمه مرسل (٦) حديث كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات مالك في الوطا عن الزهري عن سليمان بن يسار مرسل ووصله الدارقطني في غرائب مالك عن الزهري عن أنس وفي الصحيحين من حديث جابر أتى بقدر فيه خضرات من بول فوجد لها ريحا الحديث وفيه قال فأتى أناجي من لاثاجي ولسم من حديث أبي أيوب في قصة بته إليه بطعام فيه ثوم فربأ كل منه وقال إني أكرهه من أجل ريحه (٧) حديث مادم طعاما قط لكن إن أحميه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضه إلى غيره تقدم أول الحديث وفي الصحيحين من حديث ابن عمر في قصة الضب فقال كلوا فانه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قومي (٨) حديث كان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما

فيه أربعة أهياء :
السقاء والألفة
والتمسحة والشفقة .
وقال ابن عطاء : الخلق
الطيبون أن لا يكون له
اختيار ويكون تحت
الحكم مع قضاء النفس
وفاء للأولاد . وقال
أبو سعيد القرشي :
الطيب هو الله ومن
أخلاقه الجود والكرم
والصفح والنفو
والإحسان ألا ترى إلى
قوله عليه السلام : إن
له مائة وبضعة عشر
خلقا من أتى بواحد
منها دخل الجنة ، فلما
تخلق بأخلاق الله
تمالى وجد التمام عليه
بقوله - وإنك لعل

وكان يلقى بأصابه الصلحة ويقول آخر الطعام أكثر بركة ^(١) وكان يلقى بأصابه من الطعام حتى تهمر ^(٢) وكان لا يمسح يده بالتدليل حتى يلقى بأصابه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي الطعام البركة ^(٣) وإذا فرغ قال الحمد لله اللهم لك الحمد أطعمت فأعيتت وسقيت فأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه ^(٤) وكان إذا أكل الحبز واللحم خاصة غسل يديه بغسل جيد ثم يمسح بفضل الماء على وجهه ^(٥) وكان يشرب في ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفي أواخر حالات تحميمات ^(٦) وكان يمسح الماء بمص ولا يمسح بها ^(٧) وكان يدفع فضل سورة إلى من على يمينه ^(٨) فإن كان من على يساره أجل رتبة قال للذي على يمينه السنة أن تعطى فإن أحببت آثرتهم ^(٩) وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ ^(١٠) وكان لا يتنفس في الإناء بل ينحرف عنه ^(١١) وآتى بإناء فيه

خلق عظيم - وقيل عظم خلقك لأنك لم ترض بالأخلاق وسرت ولم تكن إلى التعتوت حتى وصلت إلى اللذات . وقيل لما ثبت محمد عليه الصلاة والسلام إلى الحجاز حجزه بها عن اللذات والشهوات وألقاه في الغربة والجفوة فطافا بذلك عن دنس الأخلاق قال له - وإنك لمل خلق عظيم . - وأخبرنا الشيخ الصالح أبو زرعة ابن الحافظ أن الفضل محمد بن طاهر القدسي عن أبيه قال أنا أبو عمر الليثي قال أنا أبو محمد

أما الضب في الصحيحين عن ابن عباس لم يكن بأرض قومي فأجندني أعافه ولهمان حديث ابن عمر أحلت لنا ميتتان ودمان وفيه أما الدمان فالكبد والطحال واليهيقي موقوفاً على زيد بن ثابت إني لا أكل الطحال وما بي إليه حاجة إلا ليعلم أهلي أنه لا بأس به ^(١) حديث كان يلقى الصلحة ويقول آخر الطعام أكثر بركة اليهقي في شعب الإيمان من حديث جابر في حديث قال فيه لا ترفع الصلحة حتى تلمعها أو تلمعها فإن آخر الطعام فيه البركة وم من حديث أنس أمرنا أن نسلت الصلحة وقال إن أحدكم لا يدري أي طعامه يبارك له فيه ^(٢) حديث كان يلقى بأصابه من الطعام حتى تهمر م من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى تهمر فلم أنف له على أصل ^(٣) حديث كان لا يمسح يده بالتدليل حتى يلقى بأصابه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي بأصابه البركة م من حديث كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يمسح يده حتى يلمعها وله من حديث جابر فإذا فرغ فلقى بأصابه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة واليهيقي في الشعب من حديثه لا يمسح أحدكم يده بالتدليل حتى يلقى يده فإن الرجل لا يدري في أي طعامه يبارك له فيه ^(٤) حديث وإذا فرغ قال اللهم لك الحمد أطعمت وأعيتت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه الطبراني من حديث الحرث بن الحارث بسند ضعيف والبخاري من حديث أبي أمامة كان إذا فرغ من طعامه قال الحمد لله الذي كفانا وآوانا غير مكفي ولا مكفور وقال مرة الحمد لله بغير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا ^(٥) حديث كان إذا أكل الحبز واللحم خاصة غسل يديه غسلاً جيداً ثم يمسح بفضل الماء على وجهه أبو يعلى من حديث ابن عمر بأسناد ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيئاً فليغسل يده من ربح وضره لا يؤذي من حذاه ^(٦) حديث كان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميمات الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورجاله ثقات وم من حديث أنس كان إذا شرب تنفس ثلاثاً ^(٧) حديث كان يمسح الماء بمص ولا يمسح بها بغوى والطبراني وابن عدي وابن قانع وابن مندو وأبو نعيم في الصحابة من حديث بهز كان يستاك عرضاً وشرب مصاً للطبراني من حديث أم سلمة كان لا يمسح ولا يبي من حديث ميمونة لا يمسح ولا يلمس وكذا ضعيفة ^(٨) حديث كان يدفع فضل سورة إلى من عن يمينه متفق عليه من حديث أنس ^(٩) حديث استئذانه من على يمينه إذا كان على يساره أجل رتبة متفق عليه من حديث سهل بن سعد ^(١٠) حديث شربه بنفس واحد أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بأسناد ضعيف والحاكم من حديث أبي قتادة وصححه إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد ولعل تاويل هذين الحديثين على ترك التنفس في الإناء والله أعلم ^(١١) حديث كان لا يتنفس في الإناء حتى ينحرف عنه ك من حديث أبي هريرة ولا يتنفس أحدكم في الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم ليتنفس

عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد^(١) ثم قال صلى الله عليه وسلم « لا حرمه ولكني أكره القفر والحساب بفضل الدنيا غدا أحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه الله » وكان في بيته أهدى حياء من العائق لا يسألهم طعاما ولا يشتهي عليهم إن أطعموهما كل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب^(٢) وكان ربما قام فأخذ مائتا كل بنفسه أو يشرب^(٣).

(بيان آدابه وأخلاقه في اللباس)

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك^(٤) وكان يعبه الثياب الخضر^(٥) وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم

وقال حديث صحيح الاسناد (١) حديث أنى إناء فيه عسل وماء فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله شربتان في شربة إلى آخره وسنده ضعيف (٢) حديث كان في بيته أهدى حياء من العائق لا يسألهم طعاما ولا يشتهي عليهم إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب الشبان من حديث أنى سعيد كان أهدى حياء من العذراء في خدرها الحديث وقد تقدم وأما كونه كان لا يسألهم طعاما فإنه أراد أى طعام يبيته من حديث عائشة أنه قال ذات يوم يا عائشة هل عندكم شيء ؟ قالت قلت ما عندنا شيء الحديث وفيه فصار رجع قلت لأهديت لنا هدية قال ما هو قلت حبيس قال هاتيه وفي رواية قريه وفي رواية للنسائي أصبح عندكم شيء تطعميني ولأبي داود هل عندكم طعام وت أعذك غدا وفي الصحيحين من حديث عائشة فدعا بطعام فأبى بخبز وأدم من أدم البيت فقال ألم أؤرمه على النار فيها لحم الحديث وفي رواية لمسلم لو صنعت لنا من هذا اللحم الحديث فليس في قصة بريرة إلا الاستفهام والرضا والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهي والله أعلم . وللتبيين من حديث أم الفضل أنها أرسلت إليه بقدر لبن وهو واقف على بعبه فشربه ولأبي داود من حديث أم هانئ فعبات الوليدة إناء فيه شراب فتناوله فشرب منه وإسناده حسن (٣) حديث وكان ربما قام فأخذ مائتا كل أو يشرب بنفسه من حديث أم التمر بنت قيس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب ومعه على وعلى ناقه - ولنا دوال معلقة بقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها الحديث وإسناده حسن ولترمذى وصححه وابن ماجه من حديث كبشة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من في قربة معلقة قائما الحديث .

(بيان أخلاقه وآدابه في اللباس)

(٤) حديث كان يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك الشبان من حديث عائشة أنها أخرجت إزارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه اللبدة فقالت في هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية إزارا غليظا ولهما من حديث أنس كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجرائي غليظ الحاشية الحديث لفظ مسلم وقال خ برد نجرائي ه ه بسند ضعيف من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا قصيرا يدين والطول ودون حنقه ون من حديث أم سلمة كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص ولأبي داود من حديث أسماء بنت زيد كانت يد قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسغ وفيه شهرين حوشب مختلف فيه وتقدم قبل هذا الحديث الجبة والشملة والخبرة (٥) حديث كان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم ه ه من حديث ابن عباس خبرنا بك البياض فألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم قال ك صحيح الاسناد وله أصحاب السنن من حديث حمزة عليكم بهذه الثياب البياض فلبسها

عبد الله بن يوسف قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال ثنا جعفر بن الحجاج الرقي قال أنا أيوب بن محمد الوزان قال حدثني الوليد قال حدثني ثابت عن يزيد عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول « مكارم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا يكون في ابنه ولا تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن

وكان يلبس القباء المشعوب للحرب وغير الحرب ^(١) وكان له قباء سندس فلبسه فتحسن خضرته على يابض لونه ^(٢) وكانت ثيابه كلها مشعرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق ^(٣) وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها ^(٤) وكانت له ملحفة مصبوعة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها ^(٥) وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره ^(٦) وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد ^(٧)

أحياناً وكفوا فيها موتاكم لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وقال ت حنن صحيح ^(٨) حديث كان يلبس القباء المشعوب للحرب وغير المشعوب الشيخان من حديث السورين بحزمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقمية من ديباج مزرور بالذهب الحديث وليس في طرق الحديث لبسها إلا في طريق علقم قال غفر جرحه عليه قباء من ديباج مزرور بالذهب الحديث وم من حديث جابر لبس النبي صلى الله عليه وسلم يوماً قباء من ديباج أهدى له ثم نزع الحديث ^(٩) حديث كان له قباء سندس فلبسه الحديث أحمد من حديث أنس أن أكيدر دومة أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس أوديباج قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها والحديث في الصحيحين وليس فيه أنه لبسها وقال فيه وكان ينهى عن الحرير وعند ت وصححه ن أنه لبسها ولكنه قال بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب ^(١٠) حديث كان ثيابه كلها مشعرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق أبو الفضل محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبدالله بن بسر كانت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم إزاره فوق الكعبين وقميصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك وإسناده ضعيف وك وصححه من حديث ابن عباس كان يلبس قميصاً فوق الكعبين الحديث وهو عنده بإفظ قميصاً قصير اليدين والطول وعندهما وت في التماثل من رواية الأشعث قال سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس إذا زادكم الله ثياباً فلبسوها من ديباج مزرور بالذهب الحديث وغيرها ده ت في التماثل من رواية معاوية بن قرة بن إياس عن أبيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في رعدة من مزة وبإسناده وإن قميصه مطلق الأزرار وللبيني من رواية زيد بن أسلم قال رأيت ابن عمر صلى محولة أزاره فسألت عن ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطعه وفي العلل للترمذي أنس أخ عن هذا الحديث قال أنا ألقى هذا الشيخ كان حديثه موضوع يعني زهير بن محمد راويه عن زيد بن أسلم قلت تابعه عليه الوليد بن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة في صحيحه والطبراني من حديث ابن عباس بإسناده ضعيف دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي محتجباً بحلل الأزرار ^(١١) حديث كان له ملحفة مصبوعة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها د من حديث قيلة بنت حمزة قالت رأيت النبي صلى الله عليه وسلم عليه أعمال ملاءتين كانتا بزعفران قالت لا تعرفه إلا من عبد الله بن حسان قلت ورواته وتقول ود من حديث قيس بن سعد فاغتسل ثم ناوله أبي سعد ملحفة مصبوعة بزعفران أو ورس فاشتمل بها الحديث ورجاله ثقات ^(١٢) حديث ربما لبس الكساء وحده ليس عليه غيره ه وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بني عبد الأشهل وعليه كساء متلف به الحديث وفي رواية البزار في كساء ^(١٣) حديث كان له كساء ملبد يلبسه ويقول أنا عبد ألبس كما يلبس العبد الشيخان من رواية أبي بردة قال أخرجت إلينا عائشة كساء ملبد وإزاراً غليظاً قالت في هذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وللجاري من حديث عمر إنما أنا عبد ولبد الرزاق في الصنف من رواية أبوب السخيتاني مرفوعاً معضلاً إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلاً.

أراد به السعادة : صدق الحديث وصدق اليأس وأن لا يشيع وجاره وصاحبه جاثمان وإعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذم للصاحب وإقراء الضيف ورأسهن الحياء .
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال « تقوى الله وحسن الخلق » وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : التمّ والفرح يكون هذا التمّ غم فوات الحظوظ العاجلة لأن ذلك

وكان له ثوبان لجمته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة^(١) وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ويستند طرفه بين كتفيه^(٢) وربما أمّ به الناس على الجنائز^(٣) وربما صلى في بيته في الأزار الواحد ملتصقا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الأزار الذي جامع فيه يومئذ^(٤) وكان ربما صلى بالليل في الأزار ويرتدى بعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك^(٥) ولقد كان له كساء أسود فوجهه فقالت له أم سلمة بأني أنت وأمي مافل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته مارأيت شيئا قط كان أحسن من يداك على سواده^(٦) وقال أنس وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيه^(٧) وكان يتنعم^(٨) وربما خرج وفي خاتمه الحيط المربوط بشد كرهه النبي^(٩)

(١) حديث كان له ثوبان لجمته خاصة الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد فاذا انصرف طويها إلى مثله وردد حديث عائشة عند ابن ماجه مارأيته يسب أحدا ولا يطوى له ثوب (٢) حديث ربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره فعقد طرفيه بين كتفيه الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله فاذا عليه إزاره وليس عليه غيره وللبخاري من رواية محمد بن السكندر صلى بنا جابر في إزار قدغندمه من قبل قفله وثيابه موضوعة على الشجر وفي رواية له وهو يصلي في ثوب ملتصقا به ورداؤه موضوع وفيه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي هكذا (٣) حديث ربما أمّ به الناس على الجنائز لم أنف عليه (٤) حديث ربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتصقا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ أبو يعلى بإسناد حسن من حديث معاوية قال دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد فقلت بأثم حبيبة أيسلي النبي صلى الله عليه وسلم في الثوب الواحد قالت نعم وهو الذي كان فيه ما كان تمنى الجماع ورواه الطبراني في الأوسط (٥) حديث ربما كان يصلي بالليل ويرتدى بعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نسائه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في ثوب بعضه على وسلم كان يصلي من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حاضض على مرط بعضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وللطبراني في الأوسط من حديث أبي عبد الرحمن حاضن عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة يصليان في ثوب واحد نصفه على النبي صلى الله عليه وسلم ونصفه على عائشة وسنده ضعيف (٦) حديث كان له كساء أسود فوجهه فقالت له أم سلمة بأني أنت وأمي مافل ذلك الكساء الحديث لم أنف عليه من حديث أم سلمة وسلم من حديث عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحلا أسود ولأبي داود ون صنع للنبي صلى الله عليه وسلم ردة سوداء من صوف فلبسها الحديث وزاد فيه ابن سعد في الطبقات فذكرت يياض النبي صلى الله عليه وسلم وسوادها ورواه ذلك بالفظحية وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث أنس ربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيه البزار وأبو يعلى بالفظ صلى ثوب واحد وقد خالف بين طرفيه وللبزار خرج في مرضه الذي مات فيه مرتديا ثوب فطن فصلى بالناس وإسناده صحيح و ه من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها وفي كامل ابن عدي قد عقد عليها هكذا وأشار سفيان إلى قضاء وفي جزء الفطر ع فقد عا في عنقه ما عليه غيرها وإسناده ضعيف (٨) حديث كان يتنعم الشيخان من حديث ابن عمر وأنس (٩) حديث ربما خرج وفي خاتمه حيط مربوط بشد كرهه النبي^(٩) عد من حديث وثالة بسند ضعيف كان إذا أراد الحاجة أو ثقي في خاتمه خيطا وزاد الحارث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر ليد كره به وسنده ضعيف .

بعض من التسخط والتضجر وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ويكون الفرح للشار إليه الفرح بالحظوظ العاجلة المنوع منه بقوله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - وهو الفرح الذي قال الله تعالى - إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين - لما رأى مفاعمه تنوء بالعصبة أوى القوة فأما الفرح بالأقسام الأخروية فمحذوف ينافي فيه قال الله تعالى - قل

وكان يغمم به على الكتف ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة (١) وكان يلبس القلانس تحت العام وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصل إليها (٢) وربما لم تكن العمامة فيشد العصاية على رأسه وعلى جبهته (٣) وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فرعاء طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على في السحاب (٤) وكان إذا لبس ثوبا لبسه من قبل يمينه (٥) ويقول الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأتجمل به في الناس (٦) وإذا نزع ثوبه أخرجه من يساره (٧) وكان إذا لبس جديدا أعطى خلقه ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من محل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما أواراه حيابا ميتا (٨)

(١) حديث كان يغمم به على الكتف ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة الشيخان من حديث أنس لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قالوا إنهم لا يقرون إلا كتابا عننوما فأخذ خاتما من فضة الحديث وث في التماثل من حديث ابن عمر أخذ خاتما من فضة كان يغمم به ولا يلبسه وسنده صحيح وأما قوله الحاتم على الكتاب خير من التهمة فلم أقف له على أصل (٢) حديث كان يلبس القلانس تحت العام وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصل إليها الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوة بيضاء ولأن الشيخ من حديث ابن عباس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة قلانس: قلنسوة بيضاء مضرية وقلنسوة بردجيرة وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر فرعاء وضما بين يديه إذا صلى وإسنادها ضعيف ولأن داود وث من حديث ركانة فرقى ما بيننا وبين للتركين العام على القلانس قال ت غريب وليس إسنادها بالقائم (٣) حديث ربما لم تكن العمامة فيشد العصاية على رأسه وعلى جبهته من حديث ابن عباس صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم للبر وقد عصب رأسه بصصابة دمام الحديث (٤) حديث كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فرعاء طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على في السحاب ابن عدى وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جدا ولا ينعم في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث عمامته السحاب الحديث (٥) حديث كان إذا لبس ثوبا يلبسه من قبل يمينه من حديث أبي هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف في رفعه (٦) حديث الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأتجمل به في الناس وقال غريب وهو ك وصحه من حديث عمر بن الخطاب (٧) حديث كان إذا نزع ثوبه خرج من يساره أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان إذا لبس شيئا من الثياب بدأ بالأيمن وإذا نزع بدأ بالأيسر وله من حديث أنس كان إذا ارتدى أو ترجل أو تأتمل بدأ بيمينه وإذا خلع بدأ بيساره وسندها ضعيف وهو في الاتمال في الصحيحين من حديث أبي هريرة من قوله لا من فعله [١] حديث كان له ثوب لجمته خاصة الحديث تقدم قرأنا بلفظ توبين (٨) حديث كان إذا لبس جديدا أعطى خلقه ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما الحديث ك في الاستدراك والبيهقي في الشعب من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ثيابه فلبسها فلما بلغ راقبه قال الحمد لله الذي كساني ما أتجمل به في حياتي وأوارى به عورتي ثم قال ما من مسلم يلبس ثوبا جديدا الحديث دون ذكر تصدقه صلى الله عليه وسلم بثيابه وهو عندت دون ذكر لبس النبي صلى الله عليه وسلم بثيابه وهو أصح وقد تقدم قال البيهقي وهو غير قوي .

[١] قول الرازي: حديث كان له ثوب لجمه ليس هذا الحديث بمنختا فلهه بنسخة المراقى .

بفضل الله وبرحمته
فذلك فليفرحوا -
وفسر عبد الله بن
البارك حسن الخلق
قال هو بسط الوجه
وبذل المعروف وكف
الأذى بالصوفيا رضوا
نفسهم بالمكابدة
والمجاهدة حتى أجابت
إلى تحسين الأخلاق
وكم من نفس تجيب
إلى الأعمال ولا تجيب
إلى الأخلاق فنفس
العباد أجابت إلى
الأعمال وجمعت
عن الأخلاق ونفس
الزهاد أجابت إلى
بسن الأخلاق دون
النفس ونفس
الصوفية أجابت إلى

وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه (١) وكانت له عباءة خضراء له حيا تنقل ثني طاقين تحته (٢) وكان ينام على الحسبر ليس تحته شيء غيره (٣) وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيبي وكانت قبضة سيفه عملة بالنقطة (٤) وكان يلبس للنقطة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة (٥) وكان اسم قوسه الكتوم وجبته الكافور (٦) وكان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها الضياء واسم بئله الدلدل

(١) حديث كان له فراش من أدم حشو. ليف الحديث متفق عليه من حديث عائشة مقصرا على هذا دون ذكر عرضه وطوله ولأبي الشيخ من حديث أم سلمة كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم نحو ما يوضع الإنسان في قبره وفيه من لم يسم (٢) حديث كانت له عباءة خضراء له حيا تنقل ثني طاقين تحته ابن سعد في الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنى الحديث ولأبي سعيد عنها أنها كانت تفرش النبي صلى الله عليه وسلم عباءة باتين الحديث وكلاهما لا يصح وث في التهايل من حديث خصه وسئلت ما كان فراشه قالت مسح ثنية تنتين فينام عليه الحديث وهو منقطع (٣) حديث كان ينام على الحسبر ليس تحته شيء غيره متفق عليه من حديث عمر في قصة اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم لسانه (٤) حديث كان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيبي وكان قبضة سيفه عملة بالنقطة الطبراني من حديث ابن عباس كان لرسول الله ﷺ سيف قائمته من فضة وقيمته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشعة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حربة تسمى النبعة وكانت له محجن تسمى الدفن وكان له ترس أبيض يسمى موجزا وكان له فرس أدم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الحاج للؤخر وكان له بقة شياه يقال لها الدلدل وكانت له ناقه تسمى القصواء وكان له حمار يسمى يعفور وكان له بساط يسمى الكر وكانت له عنزة تسمى النمر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى للرآة وكان له مفراض يسمى الجامع وكان له قصب شو حظ يسمى المشوق وفيه على بن غرة الدمشقي نسب إلى وضع الحديث ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء تسمى العقاب ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلًا وله من حديث علي بن أبي طالب كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار ت ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر وكان من حديث علي في أثناء حديث وسيفه ذو الفقار وهو ضعيف ولابن سعد في الطبقات من رواية مروان بن أبي سعيد بن للعل مرسلًا قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيف قطي وسيف يدعى يثارا وسيف يدعى الخنم وكان عنده بعد ذلك الخنم ورسوب أصابها من القلي وفي سنده الواقدي وذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه أنه قال إنه ﷺ قدم المدينة ومعه سيفان يقال لأحدهما الضب شهده بدرًا ولأبي داود وث وقال حسن ون وقال منكر من حديث أنس كانت قبضة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة (٥) حديث كان يلبس للنقطة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة لم أتف له على أصل ولابن سعد في الطبقات وأبي الشيخ من رواية محمد بن علي بن الحسين مرسلًا كان في درع النبي صلى الله عليه وسلم حلقتان من فضة (٦) حديث كان اسم قوسه الكتوم وجبته الكافور لم أجد

الأخلاق الكريمة كلها
أخيرنا الشيخ أبو زرعة
إجازة عن أبي بكر
ابن خلف إجازة عن
السلي قال سمعت
حسين بن أحمد بن
جنر يقول سمعت
أبا بكر الكناني يقول
التصوف خلق فن
زاد عليك بالخلق زاد
عليك بالتصوف فالعباد
أجابت قوسهم إلى
الأعمال لأنهم يسلكون
بنور الاسلام والزهاد
أجابت قوسهم إلى
الأخلاق لكونهم
سلكوا بنور الإيمان
والصوفية أهل القرب
سلكوا بنور الاحسان
قلا ياثر بواطن أهل

وكان اسم حمارة ينفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة (١) وكان له مطهرة من غبار يتوضأ فيها وضرب منها (٢) فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يذفون عنه فإذا وجدوا في الطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم ويتنعمون بذلك البركة .

(بيان غفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة)

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (٣) وأرغبهم في الضومع القدرة حتى أتى قتلا من ذهب وفضة قسمها بين أصحابه قام رجل من أهل البادية فقال « يا محمد والله لن أمر الله أن تعدل فأمر الله أن تعدل وعك فمن يعدل عليك بدى قلاولى قال ردوه على رويها (٤) » روى جابر « أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم خير من فضة في ثوب بلال قال له رجل يا رسول الله اعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعك فمن يعدل إذا لم اعدل قد خبت إذن وخسرت إن كنت لا اعدل قام عمر فقال ألا أضرب عنقه فإنه منافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي (٥) » وكان رسول الله ﷺ في حرب فراؤا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني فقال الله قال فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ قال قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قال لاغير أني لأقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك على سبيله فجاء أصحابه فقال جشكم من عند خير الناس (٦) » وروى أنس « أن يهودية أمت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها فبعى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فألحسا عن ذلك فقالت أردت قتلك فقال

له أصلا وقد تقدم في حديث ابن عباس أنه كانت له قوس تسمى السداو كانت له كنانة تسمى الجمع وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من سلاح بني قينقاع ثلاثة قسي : قوس اسمها الروحاء وقوس شوحت تدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصغراء من سبع (١) حديث كان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها الضياء واسم بنته الدلدل واسم حمارة ينفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة تقدم بضمه من حديث ابن عباس عند الطبراني والبخاري من حديث أنس كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقه يقال لها الضياء ولمسلم من حديث جابر في حجة الوداع ثم ركب القصواء ولك من حديث علي : ناقته القصواء وبنته دلدل وحمارة غفيرة الحديث وروينا في فوائد ابن الدحداح فقال حمارة ينفور وفيه شاته بركة وخ من حديث معاذ كنت ردفت النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له غفيرة ولاين سعد في الطبقات من رواية إبراهيم بن عبد الله من ولد عتبة بن غزوان كانت منافع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سباعا : هجورة وزمزم وسقيا وبركة ودرعة واهلال وأطراف وفي سننه الوافدي وله من رواية مكحول مرسلات كانت بشاة تسمى قر (٢) حديث كانت له مطهرة من غبار يتوضأ فيها وضرب منها الحديث لم أقف له على أصل .

(بيان غفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة)

(٣) حديث كان أحلم الناس تقدم (٤) حديث أتى قتلا من ذهب وفضة قسمها بين أصحابه الحديث أبو الشيخ من حديث ابن عمر باسناد جيد (٥) حديث جابر أنه كان يقبض للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا بني الله اعدل الحديث ورواه (٦) حديث كان في حرب فزوى في المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف الحديث متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو في مسند أحمد أقرب إلى لفظ الصنف وصحى الرجل غورث بن الحارث .

القرب والصوفية نور
اليقين وتأمل في
بواطنهم ذلك الصلح
القلب بكل أرجائه
وجوانبه لأن القلب
يبين بضمه بنور
الاسلام وبضه بنور
الإيمان وكله بنور
الاحسان واليقان فاذا
ابيض القلب وتور
انعكس نوره على
النفس والقلب وجه
إلى النفس ووجه إلى
الروح والنفس وجه
إلى القلب ووجه إلى
الطبع والمترزة والقلب
إذ لم يبيض كله لم
يتوجه إلى الروح بكلمة
ويكون ذا وجهين
وجه إلى الروح ووجه

ما كان الله يسلمك على ذلك قالوا أفلا قتلها قال لا ^(١) وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحلّ القيد فوجد ذلك خفة وماذ كرك ذلك اليهودي ولا أظهره عليه قط ^(٢) وقال علي رضي الله عنه «بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير وللقداد قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها طينة معها كتاب فضدوه منها فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ فقلنا أخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب قلنا أخرجي الكتاب أولت عن الثياب فأخرجته من غفاسها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من الشركين بمكة يجرم أمرا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بإحاط بما هذا قال يا رسول الله لا تسجل عليّ إني كنت أمرا ملصقا في قومي وكان من مملكتهم المهاجرين لهم قرايات بمكة يحمون أهلهم فأجبت إذ فاتني ذلك من النسب منهم أن آخذ فيهم يدا يحمون بها تراقي ولم أفضل ذلك كفرا ولا رغبة بالكفر بعد الإسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه صدقكم فقال عمر رضي الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم إنه شدد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع عليّ أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ^(٣) وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة قال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أرد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأحمر وجهه وقال: «رحم الله أخى موسى قد أودى بأكثر من هذا فصر ^(٤)» وكان صلى الله عليه وسلم يقول «لا يلقى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ^(٥)».

(بيان إغشائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يرف في وجهه غضبه ورضاه ^(٦) وكان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحية السكرعة ^(٧) وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه ^(٨) يعني الصفرة ، وبال أعراي في السجد بعضرتة فهم به السجادة فقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أسى أن يهودية أنت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة الحديث ورواه وهو عنده من حديث أبي هريرة (٢) حديث سحره رجل من اليهود فأخبره جبريل بذلك حتى استخرجه الحديث ن إسناده صحيح من حديث زيد بن أرقم وقصة سحره في الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر (٣) حديث علي بن أبي حمزة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير وللقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ الحديث متفق عليه (٤) حديث قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أرد بها وجه الله الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث لا يلقى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر د من حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه .

(بيان إغشائه صلى الله عليه وسلم عما يكرهه)

(٦) حديث كان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يرف في وجهه غضبه أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرف رضاه وغضبه بوجه الحديث وقد تقدم .

(٧) حديث كان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحية السكرعة الحديث وقد تقدم أبو الشيخ من حديث عائشة بإسناده حسن (٨) حديث كان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه يعني الصفرة د ت في الثبائل ون في اليوم واللبلة من حديث أسى وإسناده ضعيف .

إلى النفس فاذا أيسر
كله توجه إلى الروح
بكله فيتداركه مدد
الروح وزداد إشراقا
وتورا وكلما انجذب
القلب إلى الروح
انجذبت النفس إلى
القلب وكلما انجذبت
توجهت إلى القلب
بوجهها الذي يليه
وتور النفس لتوجهها
إلى القلب بوجهها
الذي يلي القلب وعلامة
تورها طمأنينتها قال
الله تعالى - وإني بها

«لا تزرموه» أي لا تغطوا عليه البول ثم قال له «إن هذه للساجد لا تصح لشيء من القدر والبول والحلاء» (١) وفي رواية قريبا ولا تنفروا وجاءه أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت قال غضب للسكون وقاسوا إليه فأغار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك قال نعم جزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فان أحببت قل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان القد أو العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى كذلك فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم : إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبها الناس فلم يزدوها إلا تهورا فتأداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين نائقي فاني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قدام الأرض فردها هونا هونا حتى جاءت واستأخدت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار» (٢)

(بيان سحاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسحاحم وكان في شهر رمضان كالريح للرسل لا يمك شيئا (٣) وكان على رضى الله عنه إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله (٤) وما سئل عن شيء قط على الإسلام إلا أعطاه (٥) وإن رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنا سدت ما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما مثل شيئا قط فقال لا (٦) وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعه على حصير ثم قام إليها فقسمها لما رد سائلا حتى فرغ منها (٧) وجاءه رجل فسأله

(١) حديث بال أعرابي في السجد يحضرته فقال صلى الله عليه وسلم لا تزرموه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث جاء أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أحسنت إليك فقال الأعرابي لا ولا أجملت الحديث بطوله البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(بيان سحاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

(٣) حديث كان أجود الناس وأسحاحم في شهر رمضان كالريح الرسل الشيخان من حديث أنس كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس ولها من حديث ابن عباس كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان وفيه فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح الرسل (٤) حديث كان على إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأجراً الناس صدرا الحديث رواه ت وقال ليس لإسناده يتصل (٥) حديث ما سئل شيئا قط على الإسلام إلا أعطاه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث ما مثل شيئا قط فقال لا متفق عليه من حديث جابر (٧) حديث حمل إليه تسعون ألف درهم فوضعه على حصير ثم قال إليها فقسمها لما رد سائلا حتى فرغ منها أبو الحسن ابن الضحاك في الثمائل من حديث الحسن مرسل أن رسول الله ﷺ قدم عليه مال من البحرين فماتون ألفا لم يقدم عليه مال أكثر منه لم يسأله يومئذ أحدا إلا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يعط ساكنا فقال له العباس الحديث والبخاري تعليقا من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لما كان يرى أحدا إلا أعطاه

النفس للطمعة ارجى
للى ربك راضية
مرضية وتور وجهها
الذى بلى القلب بثابة
نورانية أحد وجهي
الصف لا ككتاب
التورانية من اللؤلؤ
وبقاء شيء من الظلة
على النفس لنسبة
وجهها الذى بلى
الفرزة والطبع كبقاه
ظاهر الصف على
ضرب من الكندر
والنقصان عاقبا
لتورانية باطنه وإذا

فقال ماعذى شي* ولكن ابيع على فاذا جاءنا شي* قضينا فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه (١) ولما قتل من حين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة غطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا عطون ردائي لو كان لي عدد هذه المشاة نعماً لقسمتها بينكم ثم لا يجدون غيري ولا كذاباً ولا جباناً (٢)

(بيان شجاعة صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أعجب الناس وأشجعهم (٣) قال علي رضي الله عنه لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً (٤) وقال أيضاً كنا إذا امر البأس ولقي القوم القوم اتخينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه (٥) قيل وكان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر الناس بالقتال تشمر وكان من أشد الناس بأساً (٦) وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو (٧) وقال عمران بن حصين مالتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب (٨) وقالوا كان قوى البطش (٩) ولما غشيه للشركون نزل عن بقلته فجعل يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب فما رآه يومئذ أحد كان أشد منه (١٠)

إذ جاءه العباس الحديث ووصله عمر بن محمد البحري في صحيحه (١) حديث جاءه رجل فسأله فقال ماعذى شي* ولكن ابيع على فاذا جاءنا شي* قضينا فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله الحديث في الشجاعة من حديث عمر وفيه موسى بن علقمة القروي لم يروه غير ابنه هرون (٢) حديث لما قتل من حين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة غطفت رداءه الحديث خ من حديث جبير بن مطعم .

(بيان شجاعة صلى الله عليه وسلم)

(٣) حديث كان أعجب الناس وأشجعهم الدارمي من حديث ابن عمر بسند صحيح ما رأيته أعجب ولا أجود ولا أشجع ولا أرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وللشيخين من حديث أنس كان أشجع الناس وأحسن الناس الحديث (٤) حديث علي لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم الحديث أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بأسناد جيد (٥) حديث علي أيضاً كنا إذا حمى البأس ولقي القوم القوم اتخينا برسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بأسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث البراء (٦) حديث كان قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر بالقتال تشمر الحديث أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض الخليل مرسلاً (٧) حديث كان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب الحديث م من حديث البراء والله إذا حمى الوطيس تنقي به وإن الشجاع من الذي يحامى به (٨) حديث عمران بن حصين مالتى كتيبة إلا كان أول من يضرب أبو الشيخ أيضاً وفيه من لم أعرفه (٩) حديث كان قوى البطش أبو الشيخ أيضاً من رواية أبي جعفر مضلاً ولطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع وسنده ضعيف (١٠) حديث لما غشيه للشركون نزل فجعل يقول : أنا النبي لا كذب . الحديث متفق عليه من حديث البراء دون قوله لما رآه يومئذ أحد يومئذ أشد منه وهذه الزيادة لأبي الشيخ وله من حديث علي في قصة بدر وكان من أشد الناس يومئذ بأساً

تور أحد وجهي
النفس لجأت إلى تحيين
الأخلاق وتبديل
النوت وهدى صي
الأبدال أبدالاً والسر
الأكبر في ذلك أن قلب
الصوفي بدوام الإقبال
على الله ودولم يذكر
بالقلب واللسان يرتقي
إلى ذكر القدرات وصير
حيثما يتجاء العرش
فالعرش قلب الكائنات
في عالم الخلق والحكمة
والقلب عرش في عالم
الأمر والقدرة . قال

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا في علو منصبه (١) قال ابن عامر رأيت برى الجيرة على ناقه شبيه لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك (٢) وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف (٣) وكان يهود للريش ويتبع الجنائز ويجيب دعوة للملوك (٤) ويخضف التل ويضع القوب وكان يصنع في يتيمع أهله في حاجتهم (٥) وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته فذلك (٦) وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٧) وأتى صلى الله عليه وسلم رجل فأرعد من هيئته فقال له هون عليك فليست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد (٨) وكان يجلس بين أصحابه مختلط بهم كأنه أحدهم فيأتى الغرب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل عنه حتى يطلبوا إليه أن يجلس جلوسا يعرفه الغرب فينوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه (٩) وقالت له عائشة رضي الله عنها كل جلوس الله فذلك منكنا فانه أهون عليك قال فأصنى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهة الأرض ثم قال بل أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (١٠) وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى (١١) وكان لا يدعو أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال ليك (١٢) وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم وقابهم وتواضعا لهم (١٣) وكانوا يتناشدون الشعرين يديه

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا في علو منصبه أبو الحسن بن الضحاك في الثبائيل من حديث أبي سعيد الحمري في حديث طويل في صفته قال فيه متواضع في غير منة وإنسانه متعيف (٢) حديث قال ابن عامر رأيت برى الجيرة على ناقه شبيه لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك ت ه من حديث قدامة ابن عبد الله بن عمار قال ت حسن صحيح وفي كتاب أبي الشيخ قدامة بن عبد الله بن عامر كاذ كره للصف (٣) حديث كان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف متفق عليه من حديث أسامة بن زيد (٤) حديث كان يهود للريش ويتبع الجنائز ويجيب دعوة للملوك ت وصفه وك وصح إنسانه من حديث أنس وتقدم متقطعا (٥) حديث كان يخضف التل ويضع القوب ويصنع في يته مع أهله في حاجته هو في السند من حديث عائشة وقد تقدم في أوائل آداب العيشة (٦) حديث كان أصحابه لا يقومون له لما يملكون من كراهته لذلك هو عند ت من حديث أنس وصحه وتقدم في آداب الصحبة (٧) حديث كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم متفق عليهم من حديث أنس وتقدم في آداب الصحبة (٨) حديث أتى رجل فأرعد من هيئته فقال هون الله عليك فليست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ك من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث كان يجلس مع أصحابه مختلط بهم كأنه أحدهم فيأتى الغرب فلا يدرى أيهم هو الحديث دن من حديث أبي هريرة وأبي ذر وقد تقدم (١٠) حديث قالت عائشة كل جلوس الله فذلك منكنا فانه أهون عليك الحديث أبو الشيخ من رواية عبيد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف (١١) حديث كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق الله من حديث أنس وتقدم في آداب الأكل (١٢) حديث وكان لا يدعو أحد من أصحابه ولا من غيرهم إلا قال ليك أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة وفيه حسين بن علوان منهم بالكذب والطبراني في الكبير بإسناد جيد من حديث محمد بن حطاب في أثناء حديث أن أمة قالت يا رسول الله قل ليك وسمديك الحديث (١٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى

سهل بن عبد الله
التسرى القلب كالعش
والصدر كالكرسي
وقد ورد عن الله تعالى
« لا يسئ أرضي ولا
سمائي ويسئ قلب
عبدى للؤمن » فلما
اكتحل القلب بنور
ذكر المذات وصار
بحرا موجا لمن نجات
القرب جرى في جداول
أخلاق النفس صفاء
التوالت والصفات
وتحقق التخلق بأخلاق
الله تعالى . حكى عن

أحيانا وبذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فينسم هو إذا ضحكوا ولا يجرم إلا عن حرام (١) .

(بيان صورته وخلقه صلى الله عليه وسلم)

كان من صفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير للتردد بل كان ينسب إلى الربة إذا مشى وحده ، ومع ذلك فلم يكن بمشابه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما اكتشفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فرقا نسباً إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الربة ويقول صلى الله عليه وسلم وجل الخير كله في الربة (٢) . وأمالونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض والأزهر هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان ، ونعت عمه أبو طالب فقال :

وأبيض يستقي القمام بوجهه نعال النيام عصمة للأرامل (٣)

ونعت بعضهم بأنه مشرب بحمرة فقالوا إنما كان الشرب منه بالحمرة مظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والأزهر الصافي عن الحمرة ماتعت الثياب منه وكان عرقه يطلع في وجهه كالثلج الأبيض من السك الأذفر وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنة ليس باليسط ولا الجيد القلط وكان إذا مشطه بالمشط يأتي كأنه حيك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية أنه كان إلى شعمة أذنيه وربما جعله غدائر أربعة تخرج كل أذن من بين غدبرتين وربما جعل شعره على أذنيه كبند سواقه تتلأف وكان شيء في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة مازاد على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس

الشيخ أبي طي
الفارمزي أنه حكى
عن شيخه أبي القاسم
الكركاني أنه قال إن
الأسماء التسعة
والثمين صير أوصافاً
لعبد السالك وهو عبد
في السلوك غير واصل
ويكون الشيخ عن
بهذا أن العبد يأخذ
من كل اسم وصفاً يلام
ضعف حال البشر
وتصوره مثل أن يأخذ
من اسم الله تعالى
الرحيم معنى من الرحمة

أمر الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم الحديث ت في التناول من حديث زيد بن ثابت دون ذكر الشراب وفيه سليمان بن خازنة يخرجه عنه الوليد بن أبي الوليد وذكره ابن حبان في الثقات (١) حديث كانوا يتشاهدون الشعرين يديه أحيانا وبذكرون أشياء من أمر الجاهلية الحديث م من حديث جابر بن سمرة دون قوله ولا يجرم إلا عن حرام .

(بيان صورته صلى الله عليه وسلم)

(٢) حديث كان من صفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير للتردد الحديث بطوله أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة بزيادة وهما دون شعر أبي طالب الآتي ودون قوله وربما جعل شعره على أذنيه كبند سواقه تتلأف ودون قوله وربما كان واسع الجبهة إلى قوله وكان سهل الحدين وفيه صبيح بن عبد الله الفرغاني منكر الحديث قاله الخطيب في الصحيحين من حديث البراء له شعر يبلغ شعمة أذنيه و د ت وحسنه وه من حديث أم هانئ قدم إلى مكة وله أربع غدائر وت من حديث علي في صفته صلى الله عليه وسلم أدعج العينين أهدب الأشفا حديث وقال ليس إسناده متصل وله في التناول من حديث ابن أبي هالة أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوايخ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقي العينين له نور يعلوه يحبه من لم تأمله أتم كثر اللحية سهل الحدين ضليع القم مفلج الأسنان الحديث (٣) حديث نعت عمه أبو طالب فقال :

وأبيض يستقي القمام بوجهه نعال النيام عصمة للأرامل

ذكره ابن إسحاق في السيرة وفي السند عن عائشة أنها تملت بهذا البيت وأبو بكر بقى فقال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه وخ تملقا من حديث ابن عمر ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستقي فما ينزل حتى يحبس كل ميزاب فأنشد وقد وصله بإسناد صحيح

وجها وأنورهم لم يصفه واستب الإشبته بالقمير ليل البدر وكان يرى رضاء وغضبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول :

أمين مدطقي الخبير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وكأن صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة أنزع الحاجبين صاحبهما وكان أبلغ ما بين الحاجبين كأن ما بينهما القضة المخلصة وكانت عيناه تملأون أدهمهما فكان في عينيه تخرج من حمرة وكان أهدب الأفصار حتى تكاد تتلبس من كثرتها وكان أفنى العينين : أي مستوي الأنف وكان مفلج الأسنان : أي متفرقتها وكان إذا اقترب صاحبا أقر عن مثل من البرق إذا تلاقا وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ستم فم ، وكان سهل الحدين صلبهما ليس بالطويل الوجه ولا للكثم كث اللحية وكان يمشي لحيته وبأخذ من شاربه وكان أحسن عباد الله عتقا لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ما ظهر من عتقه فشمس والرياح فشكأنه إزريق فضة مشرب بها يتلأف في رياض القضة وفي حمرة الذهب ، وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يبدو لحم بعض بدنه بضاً كالأرأة في استوائها وكالقمر في رياسته هو صوره ما بين لبتة وسرته بشر متقاد كالضبيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عتق تلوكت يظلي الأزار منها واحدة ويظهر اثنتان ، وكان عظيم للتكبير أشعر مما ضخم الكراديس : أي رموس العظام من التكبير والرققين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كنفه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس وكان عبل الضدين والفرعين طويل الزندين رجب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابه قضبان القضة كفه ألين من الحزكان كفه كف عطار طيا مسها بطيب أول يمسا بصاغة الصانع فيظل يومه مجد رجمها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان برجمها على رأسه وكان عبل ما تحت الأزار من القضدين والساق وكان مستدل الحلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان له مناسكا يكاد يكون على الحلق الأول لم يضره السمن . وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشي كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صلب يخطو تكفيا ويمشي المويى بغير تبخر والمويى تخارب الخطا وكان عليه الصلاة والسلام يقول « أنا أشبه الناس بآم صلى الله عليه وسلم وكان أي إبراهيم صلى الله عليه وسلم أشبه الناس في خلقا وخلقاً » وكان يقول « إن لي عند ربى عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الناصر الذي يحول الله في الكفر وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد وأنا الحاشر عثر الله العباد على قدسي وأنا رسول الرحمة ورسول النبوة ورسول اللامع واللقى قيت الناس جميعا وأنا قم ^(١) قال أبو الجحترى : والقمم الكامل الجامع ، والله أعلم .

(١) حديث إن لي عند ربى عشرة أسماء الحديث ابن عدى من حديث على وجار وأسامة بن زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيف وله ولا في نسبه في الدلائل من حديث أبي الطفيل لي عند ربى عشرة أسماء قال أبو الطفيل حفظت منها ثمانية فذكرها بزيادة وخمس وذكر سيف بن وهب أن أبا جعفر قال إن الأسماء طه وبس وإسناده ضعيف وفي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم لي أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا الناصر وأنا العاقب ولمسلم من حديث أبي موسى واللقى ونبي النبوة ونبي الرحمة ولأحمد من حديث حذيفة ونبي اللامع وسنده صحيح .

على قدر قصور البشر
وكل إشارات للشافح
في الأسماء والصفات
التي هي أعز علومهم
على هذا الفن والتفسير
وكل من توم بملك شيئا
من الحلول تزندق
والحمد وقد أوصى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم معانا
بوصية جامعة لمسلمين
الأخلاق قاله وبإعادة
أوصيك بتقوى الله
وصديق الحديث والوفاء
بالعهد وأداء الأمانة

(بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه)

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى إلى سماع أخباره للشمسة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعادته وسجاياه وسياسة لأصناف الخلق وهدايته إلى منبسطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده بإيم إلى طاعته مع ما يحكي من هجاب أجوبته في مضائق الأسئلة وبدائع تديراته في مصالح الخلق ومحاسن إشاراته في تفصيل ظواهر الشرع الذي يميز الفقهاء والمقلد عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة الهيبة وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شامته وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى إن العربي القمع كان يراه فيقول : والله هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده وإنما أوردنا بعض أخلاقه لنعرف محاسن الأخلاق وليتبع لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله إذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يافر قط في طلب عالم ولم يزل بين أظهر الجياليين من الأعراب يتبعاً ضيقاً مستضعفاً فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلاً فقط دون غيره من المعلوم فضلاً عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك فلم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكن فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يترتب فيه محصل ، فلنذكر من جعلها ما استفاضت به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة إشارة إلى جماعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله العادة على يد مغير مرة ، إذ شق له القمر بمكة لما سأله قريش آية ^(١) وأطمع النفر الكثير في منزل جابر ^(٢) وفي منزل أبي طلحة ويوم الخندق ^(٣) ومرة أطمع ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق ^(٤) وهو من أولاد المز فوق التود ومرة أكثر من ثمانين رجلاً من أفراس شعير حملها أنس في يده ^(٥) ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقه بنت بشر في يدها فأكلوا كلهم حتى شعوا من ذلك وفضل لهم ^(٦) ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فترى أهل السكر كلهم وهم عطاش وتوضوا من قدح صغير ضاق عن أن يسط عليه السلام يده فيه ^(٧)

(بيان معجزاته)

- (١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس (٢) حديث إطعام النفر الكثير في منزل جابر متفق عليه من حديثه (٣) حديث إطعامه النفر الكثير في منزل أبي طلحة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث إطعامه ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق الإسماعيلي في صحيحه ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة من حديث جابر وفيه أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلثمائة وهو عند دود ذكر العدد وفي رواية أبي نعيم في دلائل النبوة وهم ألف (٥) حديث إطعامه أكثر من ثمانين رجلاً من أفراس شعير حملها أنس في يده من حديث أنس وفيه حتى قل ذلك ثمانين رجلاً ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤراً وفي رواية لأبي نعيم في الدلائل حتى أكل منه سبع وثمانون رجلاً وهو متفق عليه بلفظ والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً (٦) حديث إطعامه أهل الجيش من تمر يسير ساقه بنت بشر في يدها الحديث البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن إسحاق : حدثنا سعيد بن ميناء عن ابنة بشر بن سعد وإسناده جيد (٧) حديث نبع الماء من بين أصابعه فترى أهل السكر كلهم وهم عطاش وتوضوا الحديث متفق عليه

وترك الحيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل وزود الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجرع من الحساب وخفض الجناح وإيالة أن تسب حلياً أو تكذب صادرة أو تطمع آمناً أو تضيئ إماماً عادلاً أو تغدأ أرضاً أو صيك باقتضائه الله عند كل حبر وشجر ومدر

وأهراق عليه السلام وضوءه في عين نبوك ولا ماء فيها ، ومرة أخرى في بئر الحديبية فعبثا تشاء بالماء
 فخر من عين نبوك أهل الجلبش وهم أئوف حق رؤوا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن
 فيها قبل ذلك ماء (١) وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعمائة راكب
 من تمر كان في أجناعه كربة اليمبر وهو موضع بروكة فزودهم كلهم منه وبقي منه فعبثه (٢) ورعى
 الجلبش قبضة من تراب فعصيت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى - وما رميت إذ رميت
 ولكن الله رمى - (٣) وأبطل الله تعالى السكاهة بعبثه عليه السلام فعدمت وكانت ظاهرة موجودة (٤)
 وحن الجذع الذي كان يحطب إليه لما عمل له التبر حتى صعب منه جميع أصحابه مثل صوت الأبل فضمه
 إليه فمكن (٥) ودعا اليهود إلى غي اللوت وأخبرهم بأنهم لا يتحنونه فحبل بينهم وبين التطق بذلك وعجزوا
 عنه (٦) وهذا مذكور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الاسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة
 جهرا تعلقا للآية التي فيها وأخبر عليه السلام بالتوب وأخذ عثمان بأن تصيبه بلوى بعدها الجمعة (٧)
 وبأن عمرا تقتله الفئة الباغية (٨) وأن الحسن يصبح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين (٩)

من حديث أنس في ذكر الوضوء فقط ولأنني نعيم من حديثه خرج إلى قبا فأتى من بعض يومهم
 بقدر صغير وفيه ثم قال هلم إلى التبر قال أنس بصر عيني نبع الماء من بين أصابعه ولم يرد القدر
 حتى رؤوا منه وإساده جيد ولابزار واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس كان في
 سفر فشكا أصحابه العطش فقال اتوني بماء فأتوه بأناء فيه ماء فوضع يده في الماء فجعل الماء ينبع
 من بين أصابعه الحديث (١) حديث إهراقه وضوءه في عين نبوك ولا ماء فيها ومرة أخرى في بئر
 الحديبية فعبثا تشاء بالماء الحديث م من حديث معاذ بقصة عين نبوك ومن حديث سلمة بن الأكوع
 بقصة عين الحديبية وفيه قامة دعا وإنما يسقى فيها فعبثا الحديث وللبخاري من حديث البراء أنه توصأ
 وصبه فيها وفي الحديثين معا أنهم كانوا أربعة عشر مائة وكذا عند مخ من حديث البراء وكذلك
 عندهما من حديث جابر ، وقال البيهقي إنه الأصح ولهما من حديثه أيضا ألف وخمسمائة وسلم من
 حديث ابن أبي أوفى ألف وثلاثمائة (٢) حديث أمر عمر أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان كربة
 اليمبر الحديث أحمد من حديث العثمان بن مفرق وحديث دكين بن سعيد بن أسد بن صحيحين وأصل
 حديث دكين عند أبي داود مختصرا من غير بيان لعدد م من حديث ربيعة الجلبش قبضة من
 تراب فعصيت عيونهم الحديث م من حديث سلمة بن الأكوع دون ذكر نزول الآية فرواه ابن
 مردويه في تفسيره من حديث جابر وابن عباس (٤) حديث إبطال السكاهة بعبثه الخرافة من
 حديث مرداس بن قيس القوسي قال حضرت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت عنده السكاهة
 وما كان من تغييرها عند مخرجه الحديث ولأنني نعيم في الدلائل من حديث ابن عباس في استراق
 الجن السمع فلقونه على أوليائهم فلما بث محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالجوم وأصله عند مخ
 بغير هذا السياق (٥) حديث حنين الجذع مخ من حديث جابر وسهل بن سعد (٦) حديث دعا اليهود
 إلى غي اللوت وأخبرهم بأنهم لا يتحنونه الحديث مخ من حديث ابن عباس لو أن اليهود تناولوا اللوت
 لما تناولوا الحديث والبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس لا يقولها رجل منك إلا غص ريقه فسات
 مكانه فأبوا أن يعملوا الحديث وإسناده ضعيف (٧) حديث إخباره بأن عثمان تصيبه بلوى بعدها الجمعة
 متفق عليه من حديث أبي مرسى الأشعري (٨) حديث إخباره بأن عمرا تقتله الفئة الباغية م
 من حديث أبي قتادة وأم سلمة ومخ من حديث أبي سعيد (٩) حديث إخباره أن الحسن يصلح الله
 به بين فئتين من المسلمين عظيمتين مخ من حديث أبي بكر .

وأن تحدث لكل ذنب
 نوبة السر بالسر
 والصلانية بالصلانية
 بذلك أدب الله عباده
 ودعاهم إلى سكارم
 الأخلاق ومحاسن
 الآداب . وروى معاذ
 أيضا عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال
 حقا الاسلام بكارم
 الأخلاق ومحاسن
 الآداب . أخبرنا الشيخ
 العالم ضياء الدين
 عبد الوهاب بن علي
 باستاذه للتقدم إلى

وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار^(١) فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء إلهية لا تعرف لأتية بشيء من وجوه تقدمت المعرفة بالانجرام ولا بكشف ولا بخط ولا بجزر سكن بأعلام الله تعالى له ووجهه إليه ، وأتبعه سراق بن مالك فساخت قدما فرسه في الأرض وأتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق القرس وأندره بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى^(٢) فكان كذلك وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلته وهو بصنعاء ألين وأخبر بمقتله^(٣) وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه^(٤) وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له^(٥) وقال لنفر من أصحابه مجتمعين أحدهم في النار ضرسه مثل أحد فماتوا كلهم على استقامة وارثه منهم واحد فقتل مرتدا^(٦) وقال لآخرين منهم آخرهم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات^(٧) ودعا شجرتين فأنتاه واجتمعتا ثم أمرهما فافترقا وكان عليه السلام نحو الرية فإذا مشى مع الطوال طالم^(٨) ودعا عليه السلام التصاري إلى الباهلة فامتنعوا فرفعهم صلى الله عليه وسلم أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا ففعلوا صحة قوله فامتنعوا^(٩) وأناه عامر بن الطفيل بن مالك وأريد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتسكاهم عازمين على قتله عليه السلام فحبل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بضعة وهلك ر بدبصاعة أحرقته^(١٠) وأخبر عليه السلام

الترمذي رحمه الله قال أنا أبو صيرب قال حدثنا قيس بن الليث عن مطرف عن عطاء عن أم الرداء عن أبي الرداء قال سمعت النبي عليه السلام يقول « ما من شيء يوضع في البرزخ أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق يبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة » وقد كان من

(١) حديث إخباره عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وسهل بن سعد (٢) حديث اتباع سراق بن مالك له في قصة الهجرة فساخت قدما فرسه في الأرض الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق (٣) حديث إخباره بمقتل الأسود العنسي ليلته وهو بصنعاء ألين ومن قتله وهو مذكور في السير والذي قتله فيروز بالله وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأمنني شأنهم فأفأ وحى إلى في المنام أن افخضهما ففخضتهما فطارا فتأولتهما كذا بين يجرجان بمدى فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء الحديث (٤) حديث خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه بسند ضعيف من حديث ابن عباس وليس فيه أنهم كانوا مائة وكذلك رواه ابن إسحاق من حديث محمد بن كعب القرظي مرسل (٥) حديث شكا إليه البعير وتذلل له د من حديث عبد الله بن جعفر أثناء حديث وفيه فانه شكا إلى إنك نجيعه وتدثبه وأول الحديث عندم دون ذكر قصة البعير (٦) حديث قال لنفر من أصحابه أحدهم ضرسه في النار مثل أحد الحديث ذكره الدارقطني في المؤلف والمختار من حديث أبي هريرة بغير اسناد في ترجمة الرجال ابن عفرته وهو الذي رتدوه وبالجملة وذكره عبد الله بالمهمة وسبقه إلى ذلك الواقدي والدائمي والأول صحيح وأكثر كذا ذكره الدارقطني وابن ماكولا ووجهه الطبراني من حديث رافع بن خديج بلفظ أحد هؤلاء النفر في الزاوية الواقدية عن عبد الله بن نوح متروك (٧) حديث قال لآخرين منهم آخرهم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات الطبراني والبيهقي في الدلائل من حديث ابن عذرة وفي رواية البيهقي أن آخرهم موتا ناصرة بن جندب لم يذكر أنه احترق ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة نحوه . ورواه ثقات وقال ابن عبد البر إنه سطر في قدر مخلوطة ماء حارا فمات وروى ذلك بإسناد متصل إلا أن فيه داود بن المهبر وقد ضعفه الجمهور (٨) حديث دعا شجرتين فأنتاه فاجتمعتا ثم أمرهما فافترقا أحمد من حديث علي بن مرة بسند صحيح (٩) حديث دعا التصاري إلى الباهلة وأخبر إن فعلوا ذلك هلكوا فامتنعوا غ من حديث ابن عباس في أثناء حديث ولو خرج الدين ياهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا (١٠) حديث أناه عامر بن الطفيل بن مالك وأريد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتسكاهم عازمين على قتله

أنه يقتل أبي بن خلف الجحى غدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته فيه ^(١) وأطعم عليه الصلاة والسلام السم فمات الذي أكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده أربع سنين وكله الدراع السموم ^(٢) وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يندم واحد منهم ذلك اللوح ^(٣) وأنذر عليه السلام بأن طواف من أمته يفرزون في البحر فكان كذلك ^(٤) وزويت له الأرض فأرى مشارقتها ومغارها وأخبر بأن ملك أمته حبيط مازويه منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أول للشرق من بلاد الترك إلى آخر للغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يسموا في الجنوب ولا في الشمال كما أخبر صلى الله عليه وسلم سواء بدواه ^(٥) وأخبر فاطمة ابنته رضى الله عنها بأنها أول أهله لحاقا به ^(٦) فكان كذلك وأخبر نساءه بأن أطولهن بدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن بدا بالصدقة وأولهن لحاقا به رضى الله عنها ^(٧) ومسح ضرع شاة حائل لابن لها فدرت ^(٨) وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضى الله عنه وفعل ذلك مرة أخرى في خيمة أم معبد الخزاعية وندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه السلام يده فكانت أصح عليه وأحسنها ^(٩) وتفل في عين على رضى الله عنه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبهته بالراية ^(١٠) وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم ^(١١) وأصابت رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها يده فبرأت من حينها ^(١٢) وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فمنا جميع ما بقى فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة تهم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء

خليل بينهما وبين ذلك الحديث طب في الأوسط والأكر من حديث ابن عباس بطوله بسندلين ^(١) حديث إخباره أنه يقتل أبي بن خلف الجحى غدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته البيهقي في دلائل النبوة من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسل ^(٢) حديث إنه أطعم السم فمات الذي أكله معه وعاش هو بعده أربع سنين وكله الدراع السموم من حديث جابر في رواية له رسالة أن النبي مات بشر بن البراء وفي الصحيحين من حديث أنس أن اليهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسومة فأكل منها الحديث وفيه لما زلت أعرفها في لحوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) حديث إخباره صلى الله عليه وسلم يوم بدر بمصارع صناديد قريش الحديث من حديث عمر بن الخطاب ^(٤) حديث إخباره بأن طواف من أمته يفرزون في البحر فكان كذلك متفق عليه من حديث أم حرام ^(٥) حديث زويت له الأرض مشارقتها ومغارها وأخبر بأن ملك أمته حبيط مازويه منها فكانت كذلك أيضا ^(٦) حديث إخباره فاطمة أنها أول أهله لحاقا به متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضا ^(٧) حديث أخبر نساءه بأن أطولهن بدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب الحديث من حديث عائشة وفي الصحيحين أن سودة كانت أولهن لحاقا به قال ابن الجوزي وهذا غلط من بعض الرواة بلا شك ^(٨) حديث مسح ضرع شاة حائل لابن لها فدرت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود أحمد من حديث ابن مسعود باستناجيد ^(٩) حديث ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها فكانت أصح عليه وأحسنها أبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة من حديث قتادة بن النعمان وهو الذي سقطت عينه في رواية للبيهقي أنه كان يدر وفي رواية أبي نعيم أنه كان بأحد وفي إسناده اضطراب وكذا رواه البيهقي فيمن حديث أبي سعيد الخدري ^(١٠) حديث تفل في عين على وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبهته بالراية متفق عليه من حديث على ومن حديث سهل بن سعد أيضا ^(١١) حديث كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه من حديث ابن مسعود ^(١٢) حديث أصابت رجل بعض أصحابه فمسحها يده فبرأت من حينها في قصة قتلى بدر ف.

أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل ولم يجد من يعطيه ، وآتيه الليل لا يأتى إلى منزله حتى يبرأ منه ولا يناله من الدنيا وأكثر قوت عامه من أيسر ما يجد من التمر والشير وضع ماعدا ذلك في سبيل الله لا يستل شيئا إلا يعطى

في العسكر إلا على من ذلك^(١) وحكى الحكم بن العاص بن وائل [١] مشيئة عليه السلام مستهزأ فقال صلى الله عليه وسلم كذالك فكن فلم يزل يرتش حتى مات^(٢) وخطب عليه السلام امرأة فقال له أبوها إن بها برسا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال عليه السلام فلتكن كذالك^(٣) فبرست وهي أم شبيب بن البراء الشاعر إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وإنما اقتصرنا على السفيين ومن يسترب في انحراف العادة على يده وزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنتقل تواليا لتواتر هو القرآن فقط كن يسترب في شجاعة على رضى الله عنه وسخاوة حاتم الطائي ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث عفاضه وروايته لا يشارى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لشي معجزة باقية سواء عليه السلام إذ تهدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلقاء الخلق وقصصهم العرب وجزيرة العرب حيثما ملأوه بألاف منهم والقصص صنفهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادى بين أظهرهم أن يأتوا بثله أو بشر سور مثله أو بسورة من مثله إن شكوا فيه وقال لهم - قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً - وقال ذلك تعجيباً لهم فجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم لقتل ونسائه وذراهم ليس وما استطاعوا أن يمارضوا ولا أن يقدحوا في جراته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقاً وغرباً قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر وقد انقضى اليوم قريب من خمسين سنة فلم يقدر أحد على معارضة فاعظم شياؤه من ينظر في أحواله ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه إلى الآن ثم في انتشاره في أقطار العالم ثم في إذعان ملوك الأرض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه وبشبهه يشارى به ذلك في صدقه وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر ففسأ الله تعالى أن يوفتنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال بمئة وسعة جوده . ثم كتاب آداب العبادة وأخلاق النبوة بحمد الله وعونه ومنه وكرمه ، ويتلوه كتاب شرح محابب القلب من ربيع الهللكات إن شاء الله تعالى .

ثم يسود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى وبما احتاج قبل القضاء العام . وكان يحصف النمل وبرقع الثوب ويختم في مهنة أهله ويقطع اللحم مهيئاً . وكان أشد الناس حياءً وأكثرهم تواضعا لصلوات الرحمن عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

[١] حديث قل زاد جيش كان معه فدعا بما بقى فاجتمع شيء يسير فدعا فيه بالبركة الحديث متفق عليه من حديث سلمة بن الأكوع [٢] حديث حكى الحكم بن العاص مشيئة مستهزأ به فقال فكذلك كن الحديث البيهقي في الدلائل من حديث هناد بن خديج صحيحه إسناد جيد ولا حاكم في المستدرک من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الاسناد . [٣] حديث يد طلحة لما أزال ما كان بها من شلل أصابها يوم أحد حين مسحها بيده من حديث جابر لما كان يوم أحد وفيه قتال طلحة قال أحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حسن وليس فيه أنه مسحها ولبيخري من حديث قيس رأيت يد طلحة شلاء وفي بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد [٤] حديث خطب امرأة قال أبوها إن بها برسا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال فلتكن كذالك فبرست المرأة ذكرها ابن الجوزي في التلخيص ومما حارجه بنت الحارث ابن عوف الزبيدي وتبعه على ذلك الدمايطي في جزء له في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصح ذلك . [٥] قوله الحكم بن العاص بن وائل هكذا في النسخ وصوابه كما في الشارح الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس [٦] قول العراقي حديث يد طلحة الخ لم يكن بدختنا ولا بنسخة الشارح وأثبتناه بما للأصل فليحفظ .

[قد تم بحون الله وحسن توفيقه طبع : الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين

وبياه : الجزء الثالث إن شاء الله تعالى . وأوله كتاب شرح محابب القلب]

فهرس الجزء الثاني

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالي

صفحة

صفحة

٦٢ (كتاب آداب الكسب والمعيش)

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات

٦٣ (الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه)

٦٦ (الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع الخ

وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات

التي هي مدار الكسب في الشرع)

(العقد الأول البيع

٧٠ (العقد الثاني عقد الربا

٧١ (العقد الثالث السلم

٧٢ (العقد الرابع الإجارة

٧٣ (العقد الخامس القراض

(العقد السادس الشراكة

٧٤ (الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم

في للعامة)

القسم الأول فيما يعم ضرره وهو أنواع

٧٦ القسم الثاني ما يخص ضرره للعامل

٨٠ (الباب الرابع في الاحسان في للعامة)

٨٤ (الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه

فيما يخص وبم آخرته)

٨٩ (كتاب الحلال والحرام)

وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات

(الباب الأول في فضيلة الحلال ومذمة

الحرام وبيان أصناف الحلال ودرجاته

وأصناف الحرام ودرجاته الودع فيه)

فضيلة الحلال ومذمة الحرام

٩٣ أصناف الحلال ومداخه

القسم الأول الحرام لصفة في عينه الخ

٩٤ القسم الثاني ما يحرم لخلل في جهته إثبات

اليد عليه

٢ (كتاب آداب الأكل)

وهو الأول من ربيع العادات

٣ (الباب الأول فيما لا بد للفرد منه وهو ثلاثة

أقسام: قسم قبل الأكل، وقسم مع الأكل،

وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول في الآداب التي تتقدم على

الأكل وهي سبعة

٥ القسم الثاني في آداب حالة الأكل

٦ القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام

٧ (الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع

والشاركة في الأكل وهي سبعة)

٨ (الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى

الإخوان الزميرين)

١٢ (الباب الرابع في آداب الضيافة)

١٩ فصل يجمع آداباً ومناهي طيبة وشرعية متفرقة

٢١ (كتاب آداب النكاح)

وهو الكتاب الثاني من ربيع العادات

٢٢ (الباب الأول في الترغيب في النكاح

والترغيب عنه)

الترغيب في النكاح

٢٤ ما جاء في الترهيب عن النكاح

٢٥ آفات النكاح وفوائده

٣٧ (الباب الثاني فيما يراعى حالة المتقدمين أحوال

للرأة وشروط العقد)

٤٣ (الباب الثالث في آداب للعائسة وما يجري

في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج

وفما على الزوجة)

٥٨ القسم الثاني من هذا الباب النظر في

حقوق الزوج عليها

صفحة	صفحة
١٥٥ (الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها)	٩٥ درجات الحلال والحرام
١٥٩ بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا	٩٦ أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا
١٦٤ بيان النقص في الله	٩٩ (الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام)
١٦٦ بيان مراتب الذين يفتنون في الله وكيفية معاملتهم	١٠٠ للثار الأول الشك في السبب الحال والمهرم
١٦٨ بيان الصفات الصروطة فيمن يختار محبته	١٠٣ للثار الثاني الشبهة على منشؤه الاختلاط
١٧٠ (الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحية)	١١٠ للثار الثالث الشبهة أن يتصل بالسبب الحلال محبة
١٧١ الحق الأول في المال	١١٥ للثار الرابع الاختلاف في الأداة
١٧٢ الحق الثاني في الاعانة بالنفس الخ	١١٨ (الباب الثالث في البحث والسؤال والمجوم والإجمال ومظانها)
١٧٤ الحق الثالث في اللسان بالسكوت الخ	١٢١ للثار الأول أحوال المالك
١٧٨ الحق الرابع على اللسان بالطلق	١٢١ للثار الثاني ما يستند الشك فيه إلى سبب المال لا في حال المالك
١٨١ الحق الخامس العفو عن الزلات والمفوتات	١٢٧ (الباب الرابع في كيفية خروج الثائب عن المظالم المالية وفيه نظران)
١٨٣ الحق السادس الدعاء للأخ في حياته الخ	النظر الأول في كيفية التمييز والخراج
١٨٤ الحق السابع الوفاء والاخلاص	١٢٩ النظر الثاني في المصرف
١٨٦ الحق الثامن التحذير وترك التكلم الخ	١٣٣ (الباب الخامس في إدارات السلاطين وصلاهم وما يعمل منها وما يحرم وفيه نظران)
١٨٩ (خاتمة) لهذا الباب نذكر فيها جملة الخ	١٣٤ النظر الأول في جهات الدخول لسلطان
١٩٠ (الباب الثالث في حق السلم والرحم والجوار ولللك وكيفية العاشرة مع من يدلى بهذه الأسباب)	١٣٨ النظر الثاني من هذا الباب في قدر المأخوذ وصفة الآخذ
١٩١ حقوق للسلم	١٤٠ (الباب السادس فيما يعمل من مخالطة السلاطين الظلمة وبجرم وحكم غشيانهم بالسلم والدخول عليهم والإكرام لهم)
٢١١ حقوق الجوار	١٥١ (الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى)
٢١٥ حقوق الأقارب والرحم	١٥٤ (كتاب آداب الألفة والأخوة)
٢١٦ حقوق الوالدين والولد	والصحب والمعاشرة مع أصناف الخلق وهو
٢١٩ حقوق المملوك	الكتاب الخامس من أربع العادات الثاني وفيه ثلاثة أبواب
٢٢١ (كتاب آداب العزلة)	
وهو الكتاب السادس من أربع العادات وفيه بابان	
٢٢٢ (الباب الأول في نقل للذاهب والأقوال وذكر حجج القريتين في ذلك)	
٢٢٣ ذكر حجج المائتين إلى مخالطة ووجه ضعفها	
٢٢٤ ذكر حجج المائتين إلى تفضيل العزلة	

صفحة	مفحة
٢٦٦ (كتاب آداب السماع والوجد)	٢٢٦ (الباب الثانى فى فوائد العزلة وسوغااتها وكشف الحق فى فضلها)
وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات	الفائدة الأولى التفرغ للعبادة والقسكرالح
وفيه بابان : الباب الأول فى ذكر اختلاف	٢٢٨ الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن
الطعام فى إباحة السماع وكشف الحق فيه .	العاصى الذى يترضى الانسان لها الح
بيان أقويل الطاء وللصوفة فى تحليه	٢٣٢ الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن
ونحريمه	والخسومات وصيانة الدين والنفس الح
٢٦٨ بيان الدليل على إباحة السماع	٢٣٣ الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس
٢٨٢ بيان حجج القاتلين بتحريم السماع	٢٣٤ الفائدة الخامسة أن ينقطع طمع الناس
والجواب عنها	عنك وينقطع طمعك عن الناس
٢٨٤ (الباب الثانى فى آثار السماع وآدابه وفيه	٢٣٥ الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة
مقامات ثلاث)	للقلاء والحلم ومقاساة حقهم وأخلاقهم الح
٢٨٥ القيام الأول فى القهم	٢٣٦ آفات العزلة للبيئة على فوات فوائد
٢٨٩ القيام الثانى بعد القهم والتزويل الوجد	المخالطة السببة الآتية
٢٩٨ للقيام الثالث من السماع نذكر فيه آداب	الفائدة الأولى التعلم والتعلم
السماع ظاهره وباطنه الح	٢٣٨ الفائدة الثانية النفع والانتفاع
٣٠٢ (كتاب الأمر بالمعروف)	الفائدة الثالثة التأديب والتأديب
والتمى عن التكر وهو الكتاب التاسع	٢٣٩ الفائدة الرابعة الاستئناس والإنسان
من ربيع العادات الثانى وفيه أربعة أبواب	الفائدة الخامسة فى فضل الثواب وإنائه
٣٠٣ (الباب الأول فى وجوب الأمر بالمعروف	الفائدة السادسة من فوائد المخالطة التواضع
والتمى عن التكر وفضيلته وللذمة فى	٢٤٩ الفائدة السابعة التجارب
إحماله وإصاحته)	٢٤٣ (كتاب آداب السفر)
٣٠٨ (الباب الثانى فى أركان الأمر بالمعروف	وهو الكتاب السابع من ربيع العادات
وشروطه ، وأركانه أربعة)	وفيه بابان
الركن الأول المحتسب	٢٤٤ (الباب الأول فى الآداب من أول التهوض
٣٢٠ الركن الثانى للحسبة ما فيه الحسبة	إلى آخر الرجوع وفى فيه السفر وفائدته
٣٢٣ الركن الثالث المحتسب عليه	وفيه فصلان)
٣٢٤ الركن الرابع نفس الاحتساب	الفصل الأول فى فوائد السفر وفضله ونيته
(باب آداب المحتسب)	٢٥٠ الفصل الثانى فى آداب السافر من أول نهوضه
٣٣٠ (الباب الثالث فى التسكرات للآلوفة فى	إلى آخر رجوعه وهو أحد عشر أدبا
العادات)	٢٥٩ (الباب الثانى فى آداب السافر من تله
مسكرات للماجد	من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات الح)
٣٣٣ مسكرات الأسوالى	القسم الأول العلم برخص السفر
مسكرات الشوارع	٢٦٦ القسم الثانى ما يتجدد من الوظيفة الح

صفحة	صفحة
٣٦٠	٣٣٤ منكرات الحلمات
٣٦٣	٣٣٥ منكرات الضيافة
٣٦٦	٣٣٦ للسكرات العامة
٣٧٢	٣٣٧ (الباب الرابع: فى أمر الأمرء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر)
٣٧٧	٣٥١ (كتاب آداب الميعة وأخلاق النبوة)
٣٧٨	وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات
كان بكرهه	من كتب إحياء علوم الدين
٣٧٩	٣٥٢
٣٨٠	٣٥٣
٣٨١	٣٥٤
٣٨٢	٣٥٥
٣٨٤	٣٥٦

فهرس بقية عوارف المعارف للسهروردي الذى بالهامش

صفحة	صفحة
١٧٢	٢ (الباب التاسع: فذكر من انتهى إلى الصوفية وليس منهم)
(من الفتوح)	١٣ (الباب العاشر: فى شرح رتبة الشيخة)
١٩٥	٣٤ (الباب الحادى عشر: فى شرح حال الخادم ومن يشبه به)
(الباب الحادى والعشرون: فى شرح حال التجرد وللتأهل من الصوفية مفاصدهم)	٤٢ (الباب الثانى عشر: فى شرح خرقه الصوفية)
٢٢٠	٦٢ (الباب الثالث عشر: فى فضيلة سكان الرباط)
(الباب الثالث والعشرون: فى القول فى السماع رداً وإنكاراً)	٧٠ (الباب الرابع عشر: فى تشابه أهل الرباط بأهل الصفة)
٢٦٤	٨٠ (الباب الخامس عشر: فى خصائص أهل الرباط والصوفية فيما يتعاهدونه ويختصون به)
(الباب الرابع والعشرون: فى القول فى السماع ترغفاً واستغناء)	٩٥ (الباب السادس عشر: فى ذكر اختلاف أحوال مشايخهم فى السفر والقام)
٢٧٩	١٢٢ (الباب السابع عشر: فى ما يحتاج إليه الصوفى فى سفره من الفرائض والقضائل)
(الباب الخامس والعشرون: فى القول فى السماع تأديباً واعتناء)	١٤٠ (الباب الثامن عشر: فى القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه)
٢٩٦	١٥٨ (الباب التاسع عشر: فى حال الصوفى للتدبىب)
(الباب السادس والعشرون: فى خاصية الأربعينية التى يتعاهدها الصوفية)	
٣١٠	
(الباب السابع والعشرون: فى ذكر كرم دوح الأربعينية)	
٣٣٢	
(الباب الثامن والعشرون: فى كيفية الدخول فى الأربعينية)	
٣٥٣	